

العدد (٧٠)

أكتوبر ١٩٨٢





رئيس مجلس الادارة :

عبدالله عبدالبارى

رئيس التحرير :

ابراهيم نافع

الفهرس

السياسة الدولية

مجلة دورية تصدر عن
مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية بالأهرام

العدد (٧٠)
اكتوبر ١٩٨٢

رئيس التحرير :
د . بطرس بطرس غالى

مدير التحرير :
السيد يسين

سكرتيرو التحرير :
احمد يوسف القرعى
نبية الأصفهانى
سوسن حسين

الإدارة والتحرير والاعلانات
شارع الجلاء ـ القاهرة .
ت : ٧٥٥٥٠٠٠ ـ ٧٤٥٦٦٦

الاشتراكات السنوية :
ـ داخل الجمهورية (٢٠٠ قرشا)
ـ للدول العربية (بالبريد الجوى) :
٧ دولارا امريكى او ما يعادله
ـ للدول الأجنبية (بالبريد العادى)
١٠ دولار امريكى او ما يعادله
ـ للدول الاجنبية (بالبريد الجوى)
٢٠ دولار امريكى او ما يعادله

☐ التقارير :

☐ فى الاستراتيجية العسكرية :

☐ ندوات ومؤتمرات دولية :

☐ مكتبة السياسة الدولية :

☐ مجلات السياسة الدولية :

☐ شهريات الاحداث الدولية :



الآفـاق الجـديدة للتـــكامل ..

إن الاضواء عادة تتسلط على الازمات والقضايا الساخنة مثل العدوان الاسرائيلى على الشعبين اللبنانى والفلسطينى ، او القتال الدائر بين العراق وايران . اذ يكون ذلك على حساب قضايا غاية فى الأهمية تؤثر على حياة الشعوب ومستقبلها بشكل مباشر ، ولكنها بطبيعتها لا تثير الانتباه ولا لاتجتذب الاضواء . ومن ذلك قضية اساسية بالنسبة لمصر تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وهى قضية التكامل مع السودان . فان التكامل يحمل فى طياته مفتاح النمو الاقتصادى والرفاهية والاكتفاء الذاتى لكل من السودان ومصر . وعلى كل مصرى أن يتجه بأنظاره وآماله نحو الجنوب وعلى كل سودانى ان يتجه بأنظاره وآماله نحو الشمال . ان وادى النيل وحدة متكاملة جغرافيا وتاريخيا وحضاريا وعسكريا ووجدانيا .

إن كان التكامل يمكن ان يأخذ اشكالا متعددة بادئا بالوحدة السياسية حتى التلاقى العضوى او دعاوى الأمن المشترك ، فان الأجهزة التى تباشر هذا التكامل وتشرف على تنفيذه يجب تطويرها وتجديدها بشكل يضمن كفاءتها ومساهمتها الفعالة فى تحقيق هذا الهدف الحيوى بالنسبة للشعبين المصرى والسودانى .

والتكامل ينبع من ارادتى الشعبين ، ولذلك فان العمل التكاملى لن يتمكن من مواجهة التحدى ومن تعدى آفاق المرحلة الجديدة الا بمشاركة فعالة وايجابية من الشعبين .

ـ السودانى المصرى

ويوم نرى السـودانى يقـطن فى القـاهرة ويتـاجر فى الأسكندرية ويمارس عمله فى طنطا بينمـا يسـاهم المصرى فى استغلال الأراضى الغنية فى جنوب السودان ويشـترك المدرس والمهندس والطبيب مع أخيه السودانى فى النهـوض بـالجنوب ويعاون على تحقيق رفاهيته فاننا نكون قد دخلنا فى مرحلة من التكامل تفوق فى ابعادها وعمقها مرحلة الوحدة السياسية .

التكامل بين مصر والسودان امل وضرورة ويجب ان يتحول الى واقع وحدوى رشيد .

ان مركز الدراسات السـياسية والاسـتراتيجية سـيتولى الاشراف على سلسلة من الندوات العلمية تجرى فى الخـرطوم والقاهرة وجـوبا والأسـكندرية وسـتناقش هـذه الندوات العلاقات المصرية ـ السودانية من وجهة النظر التاريخية كما ستتعرض للجوانب الاقتصادية وكذلك لنظرة السودانيين لمصر ونظرة المصريين للسـودان . ويأمـل المركز ان يتحقـق مـن التفاعل والنقاش الحر بين المثقفين والبـاحثين السـودانيين والمصريين حد ادنى من وحدة الفكر حول الخطوات الاساسية التى ينبغى أن تمر بهـا عملية التـكامل بين مصر والسـودان تنفيذا لارادة الشعبين وتحقيقا للآمال الكبـرى المعلقـة بهـذه التجربة الوحدوية التى نرجو أن تكون نواة ونمـوذجا لوحـدة عربية شاملة .

« السياسة الدولية »



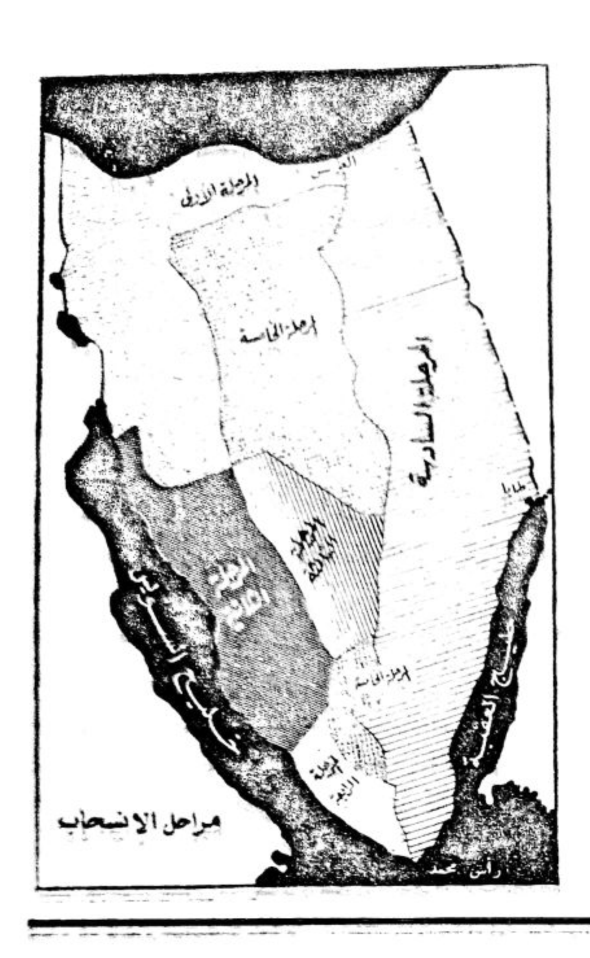
أزمــة طــابا وأنعكاساتها على الدبلوماسية المصرية

د . أحمد أمين عامر

أستاذ العلوم السياسية المساعد

وعميد كلية التجارة جامعة قناة السويس

كانت مصر فى قبضـــــة الدولة العثمانية وجزءا متمما لمتلكاتهـا كانت تعين واليا على مصر لادارة شـئونها الداخلية الى أن قـامت الحرب بين السلطان العثمانى ووالى مصر محمـد على باشا الذى انتصر على قوات السلطان العثمانى فى عدة مواقع فى الشام منهـا مـوقعة نزيب فى ٢٤ يونيو سـنة ١٨٣٩ حيث هزم ابراهيم باشا القوات العثمانية التـى أرسلها السـلطان محمـود لاسـترداد سـوريا ولكن السلطان مات بعد هذه الموقعة بأسبوع فخلفه السلطان عبد المجيد ، ولقد أثارت انتصـارات القـوات المصرية على الجيوش العثمانية مخـاوف الدول الأوربية التـى تكتلت لتقف فى وجه محمد على وعقد مؤتمر لندن فى ١٥ يوليو سـنة ١٨٤٠ بين روسـيا وبـروسيا والنمسـا وانجلترا والدولة العثمانية وقرر المؤتمر أن يكون حـكم مصر لمحمد على وذريته الأكبر فالأكبر مـن بعـده على قاعدة الوراثة فى السلطنة العثمانية وأن تـكون له ولاية عكا مدة حياته على أن يتنازل لقاء ذلك عن كل فتوحاته وبعثت الدولة العثمـانية الى محمـد على تبلغـه هـذه القرارات رسميا ولكن محمـد على رفض الاسـتسلام واستعد للقتال وكانت فرنسا تـؤيده فى ذلك ـ فـأصدر السلطان العثمانى فرمانا بعزله عن ولاية مصر ، ولكن الدول الأوربية المتحالفة تدخلت لتفرض على محمد على تسوية بمقتضاها يعترف له ولذريته من بعـده بـولاية مصر على أن تجلو جيوشـه عن سـوريا وفلسـطين ، فأضطر محمد على الى الرضـوخ لتلك الشروط والتـى ظلت تؤثر بدرجة لها اعتبارها فى الدبلومـاسية المصرية بل وفى النظام السياسى المصرى حتى الحـرب العـالمية الأولى . فقد اعترف مؤتمر لندن بولاية محمد على باشا على مصر وفى الوقـت ذاتـه احـاط تلك الولاية ببعض الشروط التى تربط مصر بالباب العالى بنوع خاص من التبعية كما يتضح ذلك من المذكرة التى أرسلها مندوبـو الدول الأوربية المتحالفة فى مؤتمر لندن الى الباب العالى


مراحل الانسحاب

والتي تنص على [١] : « تكلف الدول الحضرة السلطانية بأن تتعامل مع محمد على ليس فقط بكرم الأخلاق فى الغاء الأمر الذى أصدرته بسقوطه ، بل وأيضا تعده بأن أولاده من صلبه يتولون باشوية مصر الواحد بعد الآخر بطريق التوارث متى خلا هذا المنصب بسبب وفاة الباشا الذى كان يتولاه ... وأن الدول الأربع لم تشر الى صلح مناف لحقوق السلطان الشرعية ولا الى طريقة مخالفة للواجبات المفروضة على والى مصر بصفة كونه من رعايا الدولة العثمانية فانتدبته لأن يدير باسمها مقاطعة عثمانية .... وأن كافة المعاهدات والشرائع العثمانية الحاضرة والمقبلة تتبع الاجراء بموجبها أيضا فى ولاية مصر كما هى جارية فى سائر الممالك العثمانية ، وذلك الشرط تعتبره الدول عروة وثقى لاتصال مصر بالدولة العثمانية كأنها جزء من ممالكها » ، ولقد كان من أثر ذلك أن تدخلت الدول الأجنبية ليصدر السلطان محمود الثانى الفرمان العالى الشاهانى أو الخط الشريف بمنح محمد على ولاية مصر وراثية فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م الموافق ٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ هـ . والذى صادق عليه مندوبو انجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا . وجاء فى الفرمان « طول اختباركم ومالكم من الدراية بأحوال البلاد المسلمة وادارتها لكم من مدة مديدة لا يتركان لنا ريبا بأنكم قادرون بما تبدونه من الغيرة والحكمة فى ادارة شئون ولايتكم على الحصول من لدنا الشاهانى على حقوق جديدة من تعاطفاتنا الملوكية وثقتنا بكم فتقدرون فى الوقت نفسه احساناتنا اليكم قدرها وتجتهدون ببث هذه المزايا التى امتزتم بها فى أولادكم . وبمناسبة ذلك صممنا على تثبيتكم فى الحكومة المصرية المبينة حدودها فى الخريطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الأعظم ومنحناكم فضلا عن ذلك ولاية مصر عن طريق

(١) ابراهيم امين غالي ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٧٦ ، ص ١٩٨ .

الميراث » وقد أرفق بالفرمان خطاب وخريطة ونص فيه أيضا على « أبقى فى عهدتكم بموجب فرماننا هذا الهمايونى بطريق الامتياز حكم وادارة ولاية مصر المحدودة بحدودها القديمة المعينة فى الخريطة التى أرسلها لكم الصدر الأعظم مختومة بخاتم الصدارة مضموما الى ذلك الوراثة وشروطها ، أنه كلما خلا محل الوالى يكون اسناد الولاية لأولاده وأولاد أولاده الذكور الاكبر فالأكبر ويكون تعيينهم بمعرفة الدولة العلية » . [٢] وعلى كل فهذا الفرمان يثبت فيه السلطان محمد على واليا على مصر ويجعل الحكم وراثيا فى أسرته وكانت معه خريطة تحد مصر شرقا من العريش الى السويس بوصل خط مستقيم يبقى فى شرقه ولاية الحجاز وسوريا ، والباب العالى يستشهد بهذه الخريطة أحيانا ، على أن هذه الخريطة لم يعثر لها على أثر سواء فى مصر أو الآستانة [٣] ولكن حكومة مصر لم تعترف مطلقا بالحد المشار اليه بل جعلت حد مصر الشرقى خطا مستقيما ممتدا من رفح على نحو ٢٨ ميلا من العريش الى جنوب قلعة الوجه فأدخلت به سيناء كلها وقلاع العقبة وضبا والمويلح والوجه بدليل أنها كانت تدير سيناء وهذه القلاع وتحميها بجنودها قبل فرمان سنة ١٨٤١ ، ذلك أنه بعد أن نجح محمد على فى القضاء على الحركة الوهابية سنة ١٨١٨ ، استولى على الحجاز وقلاعه وجعل نفسه حامى الحرمين وفى نهاية الحرب بين محمد على والدولة العثمانية فى عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٨٤٠ استرجع السلطان الحجاز وجعلها ولاية عثمانية ولكن بقى الجنود المصريون والموظفون المصريون يحمون طريق الحج المصرى الذى يمر بطور سيناء والعقبة ومدائن صالح فى قلاع نخل والعقبة والمويلح وضبا والوجه الى أن أهمل هذا الطريق حين بدىء ارسال المحمل المصرى بحرا من السويس ولم تعد هناك حاجة لطريق البر وذلك سنة ١٨٨٥ فقامت الدولة العلية تطالب مصر بهذه القلاع لتربطها من الناحية الادارية بولاية الحجاز . ولما كانت مصر فى ذلك الحين مشغولة بالثورة السودانية وقد انهكتها الثورة العرابية أيضا ، ولم يكن لها حاجة ماسة بالقلاع الحجازية بل كانت تنفق عليها بدون جدوى فسلمت الوجه سنة ١٨٨٧ ثم ضبا والمويلح سنة ١٨٩١ ثم العقبة سنة ١٨٩٢ . وكان سعد أفندى رفعت قومندان سيناء عند اخلائه العقبة قد نزل فى وادى طابا [٤] على نحو ثمانية اميال من العقبة وحفر بئرا فى فم الوادى واقام بجنوده هناك حوالى ثمانية اشهر ولكنه شكا بعد المشقة ووعورة الطريق وقلة الماء فى طابا فأرسلت الحربية المصرية مندوبا ليختار مكانا فيه ماء فاختار النويبع حيث بنى قلعة صغيرة سنة ١٨٩٣ لتكون مركزا للشرطة وهى واقعة على نحو ميلين من مصب وادى العين شمالا و ٥٠ ميلا من العقبة جنوبا [٥].

مقومات الأزمة :

كانت تولية الخديو عباس حلمى الثانى – عقب وفاة الخديو توفيق سنة ١٨٩٢ – بادرة أزمة حول الحدود المصرية بل وحول شبة جزيرة سيناء كلها خاصة وان شق قناة السويس قد أظهر الأهمية الاستراتيجية لشبه جزيرة سيناء سواء فى التنافس الدولى الأوربى أو فى نظر الباب العالى الذى حاول جاهدا استرداد جزء منها وضمها الى ولاية الحجاز أو متصرفية فلسطين . ولذا حين صدر فرمان تولية عباس حلمى الثانى خديويا على مصر فى ٧ يناير سنة ١٨٩٢ مخالفا لفرمانات التولية ولأحكام معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ على أمل أن تمر المسالة دون أى اعتراض وبالتالى تكون سابقة لتسجل حقوق الباب العالى على شبة جزيرة سيناء [٦] الا أن رد الفعل المصرى ورد الفعل البريطانى جاءا على غير ما توقعت الدبلوماسية العثمانية ذلك أنه لما جاء فرمان تولية الخديو عباس حلمى الثانى من السلطان عبد الحميد وقد أخرج منه شبه جزيرة سيناء نهضت مصر تطالب بحقها وأيدتها انجلترا فى ذلك ، فقد اعترض المعتمد البريطانى فى مصر السير افلن بارنج [٧] Sir

(٢) الحاج احمد شفيق باشا ، منكراتى فى نصف قرن ، الجزء الثانى ، القسم الثانى من يناير سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٤ ، مطبعة مصر ، الطبعة الاولى – بدون تاريخ – ص ٨٠

(٣) تعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٦ ، ص ٥٨٨ .

(٤) وادى طابا ينشا من جبل طرف الركن ونقب العقبة ويصب فى الخليج قرب مصب طويبة على نحو ثمانية اميال من قلعة العقبة برا وستة اميال بحرا وهو الوادى الذى وقع عليه النزاع بين الدولة العلية والحكومة المصرية . فبقى فى حد مصر وجعل مبدا الحد الفاصل اكمة صغيرة فى جنبه الايسر عند مصب الخليج سميت راس طابا .

(٥) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٢٨٦ .

(٧) عين سير افلن بارنج معتمد انجلترا وقنصلها العام فى مصر فى مايو سنة ١٨٨٣ وكانت له دراية سابقة باحوال مصر اذ اشترك فى صندوق الدين والمراقبة الثنائية ، كما كان عضوا بارزا فى مؤتمر لندن سنة ١٨٨٤ للنظر فى المالية المصرية ، ثم اصبح اللورد كرومر وكان الحاكم الفعلى لمصر وظل فى منصبه حتى استقال فى ابريل سنة ١٩٠٧ .

Avelyn Baring – اللورد كرومر فيما بعد – على ذلك وأوقف قراءة الفرمان رسميا حتى جاء التصحيح من الآستانة فى صورة تلغراف جواد باشا الصدر الأعظم فى ٨ ابريل سنة ١٨٩٢ يدخل سيناء فى الادارة المصرية ويترك القديم على قدمه فقبلت مصر الفرمان اذ ذاك وعدت التلغراف متمما لفرمان التولية (٨) وقد جاء فى هذا التلغراف « فى علم فخامتكم أن جلالة السلطان الأعظم قد اباح قيام عدد كاف من الضبطيات تضعها الحكومة المصرية فى الوجه والمويلح وضبا والعقبة فى ولاية الحجاز ، وفى بعض الأماكن فى شبه جزيرة طور سيناء بسبب مرور المحمل الشريف المصرى عن طريق البر . ولما كانت هذه الأماكن غير واردة فى الخريطة المؤرخة سنة ١٢٥٧ والمسلمة الى المرحوم محمد على باشا والمبينة فيها حدود مصر لذلك فقد عاد الوجه الى ولاية الحجاز بارادة من جلالته الشاهانية . كما عادت أيضا أماكن الضبا والمويلح وقبل ذلك قد ضمت العقبة اليوم الى ولاية الحجاز المذكورة . أما ما تعلق بشبه جزيرة طور سيناء فان الحالة الراهنة تبقى كما هى ، وتكون ادارتها فى يد الخديوية المصرية كما كانت فى عهد جد فخامتكم اسماعيل باشا والمرحوم والدكم توفيق باشا »(٩) وهكذا فان الجهود البريطانية أحبطت المحاولة العثمانية وكانت سببا فى اقرار مبدأ أساسى لمنع أى سوء تفاهم فى المستقبل بشان الحدود ويتلخص هذا المبدأ فى : أن حكومة بريطانيا لن توافق على أى تغيير فى الفرمانات التى ترسى أسس العلاقات والصلات بين مصر والباب العالى بدون رضاها ، ولذا فقد بادر المعتمد البريطانى السير افلن بارنج بارسال مذكرة الى وزير الخارجية المصرية تجران باشا فى ١٣ ابريل سنة ١٨٩٢ جاء فيها : (١٠) « معلوم لدى سعادتكم أنه لا يمكن تغيير شىء فى الفرمانات التى تقرر العلاقات بين الباب العالى بدون رضا حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى وبناء على تلك الأسباب وكل الى أن أوجه أنظاركم الى ما ذكر بالفرمان الحاضر من تحديد تخوم مخالفة لما جاء فى الفرمان الصادر لسمو الخديو السابق واذا قرىء على حدة يفهم منه أن شبه جزيرة سيناء تكون ادارتها تابعة فى المستقبل الى ولاية الحجاز لا الى الخديوية المصرية . » وقد تحددت الخطوط الفاصلة بين مصر والممتلكات العثمانية على أن شبه جزيرة سيناء أى الاراضى المحددة شرقا بخط وهمى من الجنوب الشرقى من نقطة تبعد مسافة قصيرة عن شرق العريش الى خليج العقبة تستمر ادارتها بيد مصر أى تابعة للخديوية أما قلعة العقبة الواقعة شرقى الخط المذكور فتكون تابعة لولاية الحجاز (١١) . وقد بعث السير افلن بارنج بمذكرته هذه رسميا الى سفير انجلترا فى الآستانة الذى أبلغها بدوره الى الباب العالى ، وأرسل أيضا صورة منها مع صور جميع المكاتبات والمراسلات التى دارت بشأن فرمان التولية الى الدول الأوربية الأخرى الموقعة على معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، فاعترفت هذه الدول بقبولها أما الباب العالى فلم يجب عنها لا بالقبول ولا بالرفض ، وقد وافق الخديو من جانبه على هذا المبدأ الذى أقرته الدبلوماسية البريطانية ، وهكذا تطابقت المصالح المصرية مع المصالح البريطانية خلال أزمة فرمان تولية الخديو عباس حلمى الثانى والتى انتهت بالاعتراف الصريح بأن شبه جزيرة سيناء جزء من الولاية الخديوية لا يجوز أجراء أى تعديل فيها بدون موافقة الدول الموقعة على معاهدة لندن الضامنة لبقاء الأوضاع التى تقررت بالنسبة للحدود بين مصر والدولة العثمانية لقد كان المنطق يقضى ألا تقوم الحكومة البريطانية بتلك المساعى والجهود الدبلوماسية المكثفة الا بعد حصولها على تفويض أو توكيل من الدول الموقعة على معاهدة لندن الا أن ذلك لم يتحقق واكتفت الدبلوماسية البريطانية بابلاغ تلك الدول بما تم مؤكدة بذلك عزمها على تثبيت مركزها الخاص فى مصر ، والملاحظ أن موافقة الدول المشتركة فى معاهدة لندن على ما حدث تم بخطابات متبادلة بين ممثليها ووزارة الخارجية المصرية مما يدل بوضوح على نية الدبلوماسية المصرية على الاحتفاظ بالطابع الدولى للمسألة المصرية حتى لا تنفرد بها انجلترا وحدها . (١٢)

وعلى كل فانه يمكن القول أنه حينما تولى عباس حلمى الثانى خديوية مصر أراد الباب العالى اخراج سيناء من فرمان التولية فعارضته انجلترا ومصر وانتهت أزمة فرمان التولية بأن استولت الدولة

---

(٨) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٥٨٨ .
(٩) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٢٨ .
(١٠) المرجع السابق وايضا نعوم بك شقير تاريخ ، سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٥٨٨ .
(١١) المرجع السابق .
(١٢) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٢٩ .

٧٨٦

العثمانية على العقبة وتركت شبه جزيرة سيناء لمصر بمقتضى تلغراف .

ولقد اعقب أزمة فرمان التولية زيارة الخديو عباس لبعض المواقع فى سيناء تأكيدا للسيادة المصرية عليها . فزار الطور سنة ١٨٩٦ والعريش سنة ١٨٩٨ ووصل الى الحدود المصرية عند رفح ، وقد سجل عثمان بك فريد محافظ العريش تاريخ تلك الزيارة على عمودى الحدود الفاصلة بين المتصرفية الفلسطينية ومصر فنقش على عمود الحدود المواجهة لمصر العبارة الآتية : " فى يوم السبت المبارك ١٢ شوال سنة ١٣١٥ و ٥ مارس ١٨٩٨ أشرقت شمس طلعة الجناب الأعظم ولى النعم سمو عباس حلمى باشا الثانى الأفخم فى سماء الحدود المصرية فكست هذه العلامة الكائنة برفح حلل أنوار البهاء محفوفاً ببعض أعاظم رجاله الكرام الذين منهم أصحاب السعادة عبد الحليم عاصم باشا سرياور وحسن عاصم باشا سرتشريفاتي وحسين محرم بك قومندان الحرس . حرس الله ملكه بحسن تدبيره وأدام عزه وتأييده وابتهاجه أمين - محافظ العريش عثمان فريد " . (١٣)

ويجب أن نشير الى أن أزمة فرمان التولية لم تكن هى المشكلة الوحيدة عندما تولى عباس حلمى الثانى خديوية مصر فقد كانت هذه التولية فاتحة عهد جديد فى الحركة الوطنية والفكرية فى مصر وذلك بعد عشر سنوات من عمر الاحتلال البريطانى لمصر عقب فشل الثورة العرابية ، اذ بدأ الشعور الوطنى المصرى بقيادة مصطفى كامل متأثراً بأفكار الشيخ جمال الدين الافغانى . كما يجب أن نشير أيضا الى أن عودة العقبة الى الادارة العثمانية كان مقدمة لنشاط ملحوظ من جانب الباب العالى ولكن أزمة فرمان التولية فتحت أعين الدبلوماسية المصرية والدبلوماسية البريطانية على ضرورة مراقبة تحركات الدولة العثمانية فى حدودها بشبة جزيرة سيناء ، وقد تأكدت مصر أن السلطان أمر بانشاء نقطة عسكرية عند عين القصيمة وأخرى عند مشاش الكنتلا فى وادى الجرافى وكلا الموقعين داخلان فى حدود سيناء ، وكان السلطان قد انشأ قائمقامية جديدة فى بئر سبع سنة ١٨٩٩ فأخذت مصر ترقب حركات الباب العالى على حدودها بعين ساهرة . (١٤)

أزمة الحدود الغربية سنة ١٩٠٤ :

حينما كان الخديو عباس فى سيدى عبد الرحمن حضر اليه مأمور مرسى مطروح وأخبره أن الأتراك بنوا فى السلوم التابعة لمصر مخزنين للمؤن بحجة أنه يصعب عليهم ان يصعدوا بها على الجبل المطل على الميناء حيث تقع النقطة التركية ، وان مأمور العشور التركى نزل فى الأراضى المصرية على بعد يوم ونصف من هذا الجبل الذى يعتبر حداً فاصلا بين مصر وطرابلس وجبى العشور من العربان مع انهم فى أراض مصرية ...... ولما عاد الخديو عباس الى مصر أمر احمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوى ان يكتب مذكرة بتلك الواقعة الى بطرس باشا غالى ليبلغها بدوره الى اللورد كرومر ، وأن الخديوى يرى أن ترسل سفن تابعة لخفر السواحل لاحتلال ميناء السلوم وأن ينبه على سفن خفر السواحل بزيادة المرور على هذا الميناء وأن تنشأ نقطة مصرية على مسافة يومين من مرسى مطروح تتكون من ملازم ثان وستة جنود قبل أن يضع الاتراك يدهم على هذه الأراضى لأنهم يعتبرون أن الحدود هى فى أم الرخم التى لا تبتعد عن مرسى مطروح بأكثر من ثلاث ساعات بالهجين ، اذ من الضرورى الاسراع بعمل الاحتياطات اللازمة لحفظ حقوق مصر ، لأنه لو استولت الدولة العلية على السلوم فستختصر مصر ميناءاً حربيا هاما هذا فضلاً عن أنها اقرب طريق الى واحة سيوة كما اقترح الخديو أيضا ارسال هنتر باشا مدير عموم خفر السواحل والقائمقام دومريكر لعمل مشروع للحدود يرسل لكرومر بعد الاتفاق عليه .

وبالفعل التقى بطرس باشا غالى باللورد كروم وحدثه فى تلك الحادثة ورأى الخديو عباس بشأنها ، فشكر اللورد كروم الخديو عباس ووافق على مقترحاته ، وقد احتجت الحكومة المصرية لدى الدولة العلية على هذا الاعتداء وأوعز اللورد كرومر الى سفير انجلترا فى الأستانة بالاحتجاج على سلوك الجنود الاتراك فى السلوم التابعة لمصر لأن الضابط العثمانى قال للمندوبين المصريين أنه تصرف بناء على أوامر الدولة العلية . غير أن مصر استردت أراضيها . (١٥)

أزمة طابا الأولى سنة ١٩٠٦

كانت الظروف الدولية سنة ١٩٠٥ مهيأة لكى تحاول الدولة العثمانية استرداد نفوذها فى مصر حيث كان الرأى العام المصرى يؤيدها فى كل مبادرة لمناهضة الاستعمار البريطانى متأثرا بتعاليم جمال الدين الأفغانى والتى تتلخص فى أنه لا جنسية للمسلم خارج

(١٣) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ، ص ٥٥٦ .
(١٤) المرجع السابق ص ٥٨٩ .
(١٥) الحاج احمد شفيق باشا ، منكراتي في نصف قرن ، مرجع سابق ص ٥٨ .

دينه ولذا يجب تحقيق وحدة الدول الاسلامية فى جامعة اسلامية ، ومن ثم اتخذ مصطفى كامل من فكرة الالتفاف حول الخلافة الاسلامية أساسا لجهاده الوطنى ، واقامة جبهة متحالفة موحدة بزعامة السلطان ضد المطامع البريطانية التى تشكل الخطر الحقيقى على مصر ، وشجع السلطان والدبلوماسية العثمانية الحركة الوطنية لاستعادة نفوذه فى مصر وفى الظاهر لتحريرها من الاحتلال البريطانى ... وازاء تلك المبادرات العثمانية حاولت الدبلوماسية المصرية أن تؤكد سيادتها على سيناء فانتهزت فرصة حادثة قتل فى أوائل سنة ١٩٠٥ وقررت وزارة الحربية المصرية بناء على أمر عالى خديوى ارسال قومسيون للتحقيق ومحاكمة المتهمين ونفذ حكم الاعدام فى المتهمين فى قلعة نخل فى ٢٨ مايو سنة ١٩٠٥ وكان الغرض الرئيسى من البعثة التحقق من نشاط الجنود الاتراك على الحدود مع مصر ، وتأكيدا للسيادة المصرية على سيناء عينت الحكومة المصرية المستر براملى – وهو شاب انجليزى مغامر – مفتشا على شبه جزيرة سيناء » والذى أسرع بارسال قوة صغيرة من الشرطة فى نقب العقبة وشرع فى اجراء بعض الاصلاحات الادارية وتنظيم قوة من شرطة الهجانة والمشاه ، فأشاعت بعض الصحف المصرية المعادية للاحتلال البريطانى خبرا مؤداه أن الانجليز أرسلوا رجالهم الى سيناء ليبنوا القلاع على حدودها ، فبعثت والى سوريا برقية بهذا المعنى الى السلطان الذى طلب بدوره من مصر رجوع الجنود الانجليز عن الحدود فأجابته مصر بكذب هذه الاشاعة .

استيلاء الدولة العلية على طابا :

أصدر نظارة الحربية المصرية فى أوائل يناير سنة ١٩٠٦ أمرها الى براملى بالتوجه إلى نقب العقبة لوضع خفر من الشرطة فى نقب العقبة لمراقبة الحدود منعا لتهريب الأسلحة ولما وصل براملى الى نقب العقبة على رأس قوة صغيرة من الشرطة ، ولما لم يجد فى هذا الموقع الماء الكافى لأنشاء نقطة دائمة فى هذا الموقع توجه الى المرشش فى سفح النقب على الجانب الغربى من راس خليج العقبة ولكن اللواء رشدى باشا قائد الحامية العثمانية فى قلعة العقبة ذهب الى المرشش وطلب من براملى – بكل تلطف – الرجوع عنها ، فرجع ووضع تقريرا بالواقعة الى الحكومة المصرية التى طلبت بدورها من السلطان تعيين لجنة مشتركة من المصريين والاتراك لتحديد التخوم نهائيا بين سيناء والممتلكات العثمانية فى الحجاز والشام ، ولكن السلطان ابى ولم يحرك ساكنا .[١٦] وقد اعتبرت الحكومة المصرية عدم رد الباب العالى على الاقتراح المصرى رفضا له . ازاء هذا الرفض العثمانى لتشكيل لجنة مشتركة لتعيين الحدود رأت نظارة الحربية المصرية ارسال قوة من الجنود النظاميين مع الأميرالاى سعد بك رفعت قومندان سيناء وبراملى على سفينة خفر السواحل المصرية« نور البحر » لاحتلال وادى طابا[١٧] ولكن اللواء رشدى باشا قائد حامية العقبة العثمانى كان قد سبق وأرسل حامية من الجنود الاتراك احتلت هذا الوادى ، ويقول سعد بك رفعت فى تقريره عن مهمته هذه« فلما وصلت بنا الباخرة ميناء طابا رأيت العساكر التركية قد انتشرت على التلال التى تطل على طابا من الشرق وقائدهم ضابط برتبة بكباشى واقفا على الشاطىء ، فأمرت العساكر بالاستعداد للنزول الى البر وسبقتهم اليه فاستقبلنى القائد المذكور وقال : ما الخبر ؟ قلت : قد جئت ببعض العساكر المصرية لاحتلال طابا . قال : ان طابا فى حد العقبة وجزء منها فلا أسمح لأحد أن ينزل فيها . قلت : بل طابا فى حد الجزيرة وقد أقمت فيها بنفسى مع العساكر بعد اخلاء العقبة سنة ١٨٩٢ تسعة أشهر وحفرت فيها هذه البئر ودللته عليها ، وفيما أنا اناقشه فى ذلك حضر المستر براملى برا من نخل بوادى طويبة واشترك معنا فى المناقشة ، فأصر القائد على قوله أنه يقاومنا اذا أنزلنا العساكر الى البر وكانت عساكره قد انتشرت على التلال وصوبت نيرانها نحونا ، فرأينا من الصواب اجتناب سفك الدماء ، فعدنا إلى الباخرة ونزلنا فى جزيرة فرعون[١٨] على نحو ميلين من طابا ثم ارسلنا

---

(١٦) المرجع السابق ص ٧٨ .
ايضا ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٣٢ .
ايضا نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق س ٥٨٩ .

(١٧) طابا نقطة تقع على الساحل الغربى لخليج العقبة على بعد خمسة اميال من راس الخليج بحرا وثمانية اميال بطريق البر وهى تقع داخل الحدود المصرية بثلاثة او اربعة اميال ، وطابا نقطة هامة لقرب الابار منها كما انها تتحكم فى الممرات التى توصل الى سيناء من راس الخليج بالاضافة لتحكمها فى طريق غزة .

(١٨) جزيرة فرعون تقع عند راس خليج العقبة على ثمانية اميال من مدينة العقبة بحرا وهى جزيرة صغيرة محيطها نحو الف متر وتتكون من اكمتين صغيرتين بينهما فرجة ضيقة وبينها وبين بر سيناء نحو ٢٥٠ مترا وهى داخلة فى حد سيناء .

الخبر الى حكومتنا ومكاتنا ننتظر اوامرها »[١٩] وهكذا منع الضباط المصرى وقواته من النزول فى طابا بل وهددوه . باستخدام القوة اذا اقبل على ذلك .
وكانت التعليمات التى ارسلها المستر فندلى نائب المعتمد البريطانى فى القاهرة الى مستر براملى يقتصر عليه تعيين مراكز الحدود كالآتى :

١ ـ بيور : وهى ابار عند راس الخليج يمتلكها البدو المصريون(٢٠ جنديا وضابطا) .
٢ ـ نقب العقبة : مركز يتحكم فى الطريق من الساحل الى الداخل(١٠ جنود) .
٣ ـ طابا : التى تتحكم فى الطريق على طول الساحل .

وتضمن التعليمات ايضا انه باحتلال تلك المراكز يمكن سد الطرق بين الأراضى المصرية والممتلكات العثمانية ومنع اى قوة من التغلغل داخل الهضبة ، وانه يجب احتلال تلك المراكز بمنتهى الحذر والا يتراجع عنها اذا ما تم احتلالها الا تحت ضغط القوة وانه على المستر براملى كسياسة عامة ترك المراكز المنخفضة على راس الخليج .

ولكن عليه احتلال المركزين الأخيرين نقب العقبة وطابا لأهميتهما حيث يتحكمان فى الطرق الى الداخل ويمنعان مبعوثى الدولة العثمانية من الوصول الى قبائل سيناء واثارتها .

وهكذا نشأت أزمة طابا فهناك قوة مصرية كانت لديها تعليمات محددة بالتواجد فيها ، وهناك ايضا قوة عثمانية سارعت باحتلالها ورفضت تماما اى انزال مصرى فيها ، وقوت مركزها فيها اذ بلغ عدد الجنود العثمانيين فيها ١٥٠ رجلا أما المفتش براملى فكان معه٢٥ رجلا نزلوا فى جزيرة فرعون وقد بعث اللواء رشدى باشا قائد الحامية العثمانية برسالة جاءته من الصدر الأعظم الى سعد بك رفعت الذى نزل فى جزيرة فرعون تقول :« لما كانت طابا تابعة للدولة السنية فليس من حق القوات المصرية النزول فيها وعلى ذلك لا يسمح لها بالنزول بأى حال » وهكذا بدأ الأمر كأن الدولة العثمانية خلقت أمرا واقعا وتحركت الدبلوماسية العثمانية فى كل اتجاه فى محاولة لتثبيت الأمر الواقع ، بينما تحركت الدبلوماسية المصرية فى محاولات لاعادة الأمور الى نصابها تدعمها الدبلوماسية البريطانية التى تمكنت من تعبئة قوى دولية وممارسة ضغوط سياسية وعسكرية لم تنجح الدبلوماسية العثمانية فى مجاراتها فيها .

وقد بعث الصدر الاعظم برقية الى الخديو عباس فى ١٠ يناير سنة ١٩٠٦ هذا نصها« علمنا من جواب اللواء رشدى باشا ان الأميرالايين سعد بك رفعت وبراملى بك الانجليزى المرسلين من طرفكم على الوابور« نور البحر » الى طابا انزلا هناك خمسين جنديا نصبوا لهم معسكرا صغيرا . وانه على الرغم من ان امير اللواء رشدى باشا افهمهما بأنه لا محل لاقامتهم تجاه القره قول العثمانى فانهما اصرا على رايهما ومن حيث أن هذه الحال ربما جاءت بنتيجة قد لا تتفق مع الرضاء العالى ومن حيث انه يفهم أنكم لم تعطوا للآن تنبيهات من قبلكم ، فنرجو حميتكم وديانتكم المسلم بها العمل بسرعة على ملافاة هذه الحالة» [٢٠] ولكى نفهم قصد الدبلوماسية العثمانية من هذه البرقية يجب أن نستقرىء الحياة السياسية المصرية وأوضاع قواها السياسية فى ذلك الوقت فقد كان الخلا ف مستحكما بين الخديو عباس ومصطفى كامل ذلك لأنه منذ وقع الأتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا يئس الخديو عباس من امكانية نجاح سياسيته المناهضة للسياسة البريطانية فى مصر ولذا بدأ يتقرب من الانجليز مما أبعده ـ بالطبع ـ عن الحزب الوطنى ولكن الخديو أصبح فى مركز حرج ذلك أن مسعاه للتقرب من الأنجليز لم يكلل بالنجاح وعداؤه للحزب الوطنى أبعده عن الشعبية التي كان قد اكتسبها منذ تولى العرش ، وحاولت الدبلوماسية العثمانية أن تستغل موقف الخديو الحرج لصالحها ....

فأي مسلك يسلكه الخديو ؟ هل يؤيد مع الحزب الوطنى وجهة النظر العثمانية أو يقاومها فيظهر بمظهر المؤيد للسياسة البريطانية فى مصر ؟ ... وعلى كل فقد كان الغرض من هذه البرقية هو احراج الخديو عباس ، فهو اما أن يجبر على الاصطدام مع الانجليز واما أن يفقد شعبيته لدى الرأى العام المصرى الذى كان يؤيد السلطان تحت تاثير الحزب الوطنى ، وفوق ذلك كله فقد كان السلطان يعلم أن مصر تحت الاحتلال البريطانى وأنه ليس فى وسع الخديو أن يتصرف لا فى قليل أو كثير ، الى جانب ذلك فعلي أثر نشوب أزمة طابا شنت جريدة اللواء لسان الحزب الوطنى حملة تتهم فيها السلطات البريطانية باعداد شبه جزيرة سيناء لأعمال حربية ضد الدولة العثمانية . والملاحظ

---

(١٩) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٥٩٠ وما بعدها .
(٢٠) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٧٨ .

هنا أنه رغم أن الهدف الأساسى من التحرك العثمانى هو سلخ سيناء عن مصر الا أن حقد الرأى العام المصرى على الاستعمار البريطانى فى ذلك الوقت قد أعماه عن رؤية المصالح الحيوية المصرية . فبالرغم من مساندة بريطانيا للمصالح الحيوية المصرية فى طابا لم تكن سوى ستار يخفى هدف بريطانيا الحقيقى وهو ابعاد كل ما يهدد قناة السويس من ناحية الشرق . ومهما يكن الأمر فأن المصلحة هنا مشتركة وتأييد الموقف البريطانى كان ينسجم مع المصالح المصرية .

استدعى الخديو بطرس باشا غالى[٢١] على أثر ورود برقية الصدر الأعظم ودرس معه المسألة ثم اجتمع بطرس غالى باشا بعد ذلك بالنظار ثم تقرر بعد أن صدر الأمر بسحب القوة المصرية الى جزيرة فرعون الرد على الصدر الأعظم بالتالى : « من القديم فأن موقع طابا تحت ادارة الحكومة المصرية ومن الثابت أن التلغراف الوارد من مقامكم السامى يوم ١١ رمضان سنة ١٣٠٩ هـ ــ ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ م بخصوص شبه جزيرة سيناء يقرر حفظ الحالة على ما كانت عليه ، ومن حيث أن قومندان العقبة يمانع فى وجود العساكر المصرية هناك فى حين أن الغرض من وجودهم هو منع تهريب الأسلحة ولكن منعا لسوء التفاهم أمرنا بسحبهم ومن حيث أن ثقتى بأن هذا لا يرضى صاحب الجلالة الخليفة فحسما لهذه المشاكل ومنع تكرارها أرجو تعيين مندوب من قبلكم ليتفق مع المندوب المصرى على تعيين الحد الفاصل وبذلك لا يقع تعرض آخر لاقامة العساكر المصرية الذين تقتضى الضرورة وجودهم » .[٢٢] ولقد ذهبت الدبلوماسية العثمانية الى أبعد من ذلك فى احراج الخديو عباس فأيدت برقيتها الى الخديو فى ١٠ يناير سنة ١٩٠٦ برسالة أخرى فى ١٢ يناير سنة ١٩٠٦ شكت فيها من أن ضابطا انجليزيا يقود قوة من الجيش المصرى قد أقام معسكرا بالقرب من العقبة عن طريق غزة وأعلن عن نيته فى اقامة مراكز حراسة فى هذه النقطة وفى غيرها من الاراضى التركية وأرسل الباب العالى تلك الشكوى الى السفير البريطانى فى الأستانة طالبا التوسط لسحب تلك القوة من المركز الذى احتلته خارج الاراضى المصرية »[٢٣] وظلت المسألة معلقة ، وكان واضحا أن قصد الباب العالى هو الضغط على الخديو واستغلال عدم اكتراث الانجليز بالمصالح المصرية بغية الحصول على بعض المكاسب أسوة بما وقع اثر ازمة فرمان التولية فقد رأينا أنه حصل على العقبة وبعض المراكز الأخرى . فقد يكسبه موقفه من أزمة طابا بعد المساومة مع الانجليز مواقع جديدة فى سيناء وفى الضفة الغربية من خليج العقبة .

واعتقدت الدبلوماسية العثمانية أن الانجليز لن يروا فى تفاهة تلك المواقع ما يستحق قيام أزمة حادة لذلك تشدد فى موقفه وأعاد الكرة فى أواخر يناير سنة ١٩٠٦ ببرقية وردت من الصدر الأعظم الى الخديو جاء فيها : « لعدم وجود خلاف بنقطة طابا المجاورة للعقبة فلا محل لتعيين حد فاصل ونرجو بذل همتكم فى منع الخطر الذى يحدث من انشاء نقطة عسكرية هناك »[٢٤]

التدخل البريطانى فى الأزمة :

ازاء رفض الباب العالى الموافقة على مبدأ تشكيل لجنة مشتركة للفصل بين الحدود دخلت الأزمة فى دور خطير اذ ظهرت بوضوح نيات الدبلوماسية العثمانية وتدخل اللورد كرومر فى الأزمة بصراحة بعد أن ظل مستترا وراء السلطات المصرية ، فأرسل الى سفير بريطانيا فى الاستانة برقية قال فيها : « من المتوقع أن تستمر الأزمة طالما لم تعين حدود بصفة حاسمة »

---

(٢١) بطرس باشا غالى : ولد فى بلدة الميمون ببنى سويف سنة ١٨٤٦ وهو اكبر ابناء غالى بك نيروز الذى كان موظفا فى الدائرة الخاصة الخديوية ، ادخله والده احد الكتاتيب الابتدائية فى بنى سويف وبعد عام ارسله الى مدرسة حارة السقايين حيث تلقى فيها بعض العلوم العربية ومبادىء اللغة الفرنسية وبعد ذلك سافر الى اوربا لاتمام دراسته وتلقى علوم الترجمة التى ادخلها رفاعة رافع الطهطاوى ، واشترك مع محمد قدرى باشا سنة ١٨٧٤ فى تعريب قوانين المحاكم المختلطة الى اللغة العربية . وكانت له اليد الطولى فى وضع قانون المحاكم الاهلية ، وعين وكيلا للحقانية سنة ١٨٨١ ثم سكرتيرا لمجلس النظار سنة ١٨٨٢ وظل فى هذا المنصب الى ان عين ناظرا للمالية مرتين : الاولى فى نظارة نوبار باشا والثانية فى نظارة مصطفى رياض باشا ، ثم عين ناظرا للخارجية فى نظارة نوبار باشا وفى نظارة مصطفى فهمى باشا ، وظل فى هذا المنصب حتى تولى رئاسة النظارة من ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ الى ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ .

(٢٢) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٧٨ وما بعدها .

(٢٣) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢٤) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

وهكذا سجلت بريطانيا لعدم تكريس الامر الواقــع الذى خلقه احتلال الجنود العثمانيين لطــابا ، ولم يات هــذا التدخل فقط نتيجة لوقفها كدولة محتلة وانما الاهم من ذلك بسبب رفضها التام لأى اقتراب لاية دولة حتى ولو كانت تركيا من قناة السويس شريانها الامبراطورى ، وكان الاحتلال العثمانى لطــابا يمثــل خطرا فى هــذا الاتجاه فلجات بريطانيا الى الضغط الدبلومــاسى والى التلويح باستخدام القوة العسكرية فقد ارســل السـير اوكونر برقية من اســتانبول فى ٢٨ يناير ســنة ١٩٠٦ جاء فيها انه التقى بوزير الخــارجية التــركية فى هــذا اليوم وذكر له ان عمل السلطات العسكرية التركية كان مفاجاة ، وان طابا تقع فى سيناء على الشاطىء الغربى لخليج العقبة ، وســأله عن مــدى مــاتراه الحــكومة العثمانية فى عملها مــن عدالة ، وفى اليوم نفســه تقــدم السير أوكونر السفير البريطانى فى الاستانة بــالمطالب التى سبق أن قدمها اللورد كرومر والتى تتلخص فى :

١ ـ عدم الاكتراث بــالتهديدات التــركية التــى كانت تتحدث من حين لآخر عن طــرد القــوات المصرية مــن مواقعها حتى ولو كان الألمان وراء التشدد العثمانى .

٢ ـ الاصرار على تشكيل لجنة مشتركة لرسم الحــدود بين مصر والسلطنة العثمانية .

٣ ـ جلاء القوات التــركية عن طــابا والاراضى التــى تحتلها فى أرض يعتبرهــا مصرية .

ولكن توفيق بــاشا وزير خــارجية تــركيا قــال انه سيعرض هذه المطالب البــريطانية على مجلس الوزراء العثمانى . وفى اليوم التالى أى فى ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ قدم السفير البريطانى فى الاستانة احتجاجا الى الصدر الاعظم على احتلال القوات التركية لطابا وقــال له انه ليس من حق الاتراك احتلال المكان الذى لاشك فى كونه أرضا مصرية ونصح السفير البريطانى الصدر الاعظم بأنهم اذا كانوا فى طابا فعليهم الانسحاب لتجنب أزمــة حــادة ..... وفى اليوم نفســه أبلغ تــوفيق بــاشا وزير خارجية تركيا الســفير البــريطانى فى الاســتانة بــأن المسألة فى طريق الحل وأن اتفاقا قد تــم بين القــائدين التركى والمصرى .

وهكذا نلاحظ أن الموقف العثمانى كان سلسلة مــن التسويف والتردد الغــرض منهــا جس نبض الانجليز ومعرفة الى أى حد قد يلجأون الى استخدام القوة لحل الأزمة ونشير أيضا الى أن نبأ الاتفــاق بين القــائدين التركى والمصرى كان تــأويلا خــاطئا لحــديث دار بين القائدين ذكر فيه اللواء رشدى باشا لرفعت بــك انهمــا اخــوان يخــدمان نفس السلطان وان جــلالته شرح الموضوع بالتفصيل لسمو الخــديو فتبين انه ليس هناك خلاف . ولكن السلطات البريطانية فى مصر نفت حدوث اى اتفاق كما يزعم الوزير التركى . كما بعــث المستر براملى تقريرا الى القاهرة فى ١١ فبراير ســنة ١٩٠٦ جاء فيه أن الاتراك يهددون المراكز المصرية فى جــزيرة فرعون مما اضطره الى ابقاء الباخرة « نور البحــر » لتســهم فى الدفــاع عن المواقــع المصرية عند الضرورة واشار التقرير الى ان الاتــراك اســتولوا على مــواقع اخرى على الساحل الغربى منها نقب العقبة .[٢٥]

وفى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٦ قطع القائد العثمــانى فى العقبة كل اتصال بالمواقع المصرية فى ســيناء وأعلن انه يحملها عواقب عدم انســحابها منهــا . وفى تلك الاثناء كانت الانباء ترد بأن الاتراك يعززون مواقعهم وأنهــم ارسلوا لواءين من المشاة الى العقبة . ومــرة أخــرى يسعى ســفير بــريطانيا لدى الدولة العثمــانية فيقــرر الصدر الأعظم عقد مجلس الوزراء لاتخاذ قــرار ولكن المجلس ينفض دون نتيجة . ولذا لجــأت الدبلومــاسية البريطانية الى التلويح والتهديد باستخدام القوة فابلغت وزارة الخارجية البــريطانية الســفير التــركى فى لندن بانها عازمة على ارسال بارجة حــربية الى مياه خليج العقبة هى البارجة « ديانا » اذا لم يذعن الباب العالى لمطالب الحكومة البريطانية . وفعــلا نفــذت بــريطانيا تهديدها فصدرت الاوامــر فى ١٤ فبــراير ســنة ١٩٠٦ بوضع البارجة « ديانا » تحــت تصرف اللورد كرومــر الذى تركت له حرية اختيار الوقت الملائم لارسالها الى العقبة . وفى الوقت ذاته كانت الدبلومــاسية العثمــانية تبذل مكثفة لتثبيت الأمر الواقع . ففى ١٥ فبراير سنة ١٩٠٦ بعث السلطان برسالة الى السير اوكونر السفير البريطانى فى الاستانة يبلغه فيها بأن طابا وغيرهــا مــن الأماكن التى تحتلها القوات العثمانية ضــمن الأراضى التــى تــديرهـا الدولة العلية ومــن ثــم ليس هناك أى عدوان . وبعد ذلك بيومين أرسل السلطان عبــد الحميد الثانى رسالة أخرى الى سفير بــريطانيا فى الاســتانة بنفس المعنى وان كان قد أضاف أن قائد العقبــة اللواء رشدى باشا قد أبلعه بأن طابا ومكانيين اخريين تقــع داخــل الأراضى العثمــانية ..... ولذا لم ينتــظر اللورد كرومر طــويلا فــأصدر أوامــره الى الكابتــن « فبس هورنبى » قومندان البارجة ديانا فى السويس بــالتوجه

---

(٢٥) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٤٣ وما بعدها .

الى جزيرة فرعون للمحافظة على الجنود المصريين النازلين بها ومنع الجنود العثمانيين من التوغل فى سيناء . كما صدر الأمر الى نعوم بك شقير بمرافقة البارجة مندوبا من قبل المخابرات المصرية فوصلت البارجة جزيرة فرعون مساء ١٨ فبراير سنة ١٩٠٦ حيث رافق البارجة القائمقام باركر بك مساعد مدير المخابرات المصرية الى العقبة ؛ وعند المرور بطابا شاهد ركاب البارجة الجنود الاتراك ويقدر عددهم بنحو الفى رجل كانوا لا يزالون يحتلون وادى طابا وكانوا فى وضع استعداد تام لاطلاق النار [٢٦] وقد التقى الكابتن هورنبى وباركر بك ونعوم بك شقير مع اللواء رشدى باشا قائد الحامية العثمانية فى العقبة ودار الحديث عن اصل النزاع وعد اللواء رشدى باشا نزول المستر براملى الى [illegible] تحرشا بالدولة العلية . وقال أن طابا والنقب يتحكمان فى العقبة لذلك فهما منها ولابد من ضمهما اليها لأجل سلامتها . وأن المنطقة المحيطة براس الخليج تكون ميناء طبيعيا واحدا ومن ثم فهى ارض تركية وعلى ذلك فان طابا والقطار ونقب العقبة والقصيمة كلها بلاشك تركية . ولكن البعثة المصرية ـ البريطانية ردت عليه بأن المعلوم لدى حكومة مصر ان شرق الخليج تابع للعقبة وغربه تابع لسيناء وقد سبق للجنود المصريين أن احتلوا طابا عدة أشهر بعد اخلاء العقبة ولم تتركها مصر الا لبعدها ووعورة طرقها ومن ثم فان احتلال الجنود العثمانيين لطابا والنقب قبل تحديد التخوم رسميا بين الدولة العلية ومصر يعد تحرشا بمصر ، وقال الكابتن هورنبى « وأنا الآن عائد الى جزيرة فرعون وسأبقى فيها الى ان ترسل لجنة لتحديد التخوم » . [٢٧]

وبعد ان وصلت الامور الى حد الأزمة بدأ الباب العالى فى التراجع فى ١٨ فبراير سنة ١٩٠٦ فابدى السلطان موافقته على ارسال لجنة مهمتها « التحرى عن موقع الأماكن موضوع النزاع » وأن الباب العالى « سيسحب قواته اذا ماتبين أن تلك المراكز واقعة فى الأراضى التى تديرها مصر » . وأسرع سفير انجلترا فى الاستانة بابلاغ هذا النبأ الى اللورد كرومر . وفى اليوم التالى قابل وزير خارجية تركيا سفير انجلترا فى الاستانة الذى ذكره بالشرط الذى تصمم الحكومة البريطانية على تنفيذه لحل الأزمة وهو : سحب القوات العثمانية من طابا وغيرها من المواقع التى تحتلها فى الأراضى المصرية .

وفى ١٩ فبراير سنة ١٩٠٦ وصل ياور اللواء رشدى باشا الى جزيرة فرعون ليخبر البعثة التى على البارجة ديانا بأنه ورد خبر من الاستانة ان الغازى مختار باشا [٢٨] مندوب الدولة العثمانية فى مصر قادم الى العقبة لتعيين الحدود . وفى اليوم نفسه وصلت الباخرة نور البحر من السويس الى جزيرة فرعون لتخبر البعثة التى على البارجة ديانا ان الحكومتين المصرية والعثمانية اتفقتا على ارسال مندوبين لتعيين الحدود وأن مندوبى الدولة العلية هم ضابط من حامية العقبة وضابطان من الاستانة هما أحمد مظفر بك ومحمد فهمى بك وأنهما قد غادرا الاستانة فى طريقهما الى مصر ، وأما مندوبو مصر فى اللجنة المشتركة لتعيين الحدود فهم الأميرالاى أوين بك مدير المخابرات [٢٩] واللواء اسماعيل باشا سرهنك وكيل الحربية

---

(٢٦) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ؛ مرجع سابق ص ٥٩١ .

(٢٧) المرجع السابق ص ٥٩٢ .

(٢٨) الغازى مختار باشا (١٨٣٧ ـ ١٩١٨) قائد تركى ، ولد فى مدينة بورصة وتلقى مبادىء العلوم فيها ثم أكمل دراسته فى الاستانة وانتظم فى سلك الجيش العثمانى وعين يوزباشى سنة ١٨٦٠ ورقى الى رتبة بكباشى سنة ١٨٦١ ثم أميرالاى سنة ١٨٦٨ وارسل فى اواخر السنة ذاتها الى اليمن لاخماد الفتنة التى نشبت فيها . وفى سنة ١٨٦٩ رقى الى رتبة فريق ثم مشير وعين بعد ذلك واليا على كريت ولما نشبت الحرب بين روسيا والدولة العلية (١٨٧٦ ـ ١٨٧٨) عهد اليه بقيادة الفيلق الرابع من الجيش العثمانى واستبسل فى دفاعه عن اقليم قرص وعن ارضروم ومنحه السلطان عبد الحميد فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٧٧ الوسام العثمانى المرصع ولقبه بالغازى . وفى سنة ١٨٨٣ عين سفيرا فوق العادة للدولة العثمانية فى المانيا ، واخيرا ارسل الى مصر للمخابرة مع السير ادموندرود بشان المسالة المصرية وبقى بها بصفة قوميسير (معتمد) عن الدولة العلية حتى السنة الأولى التى أعقبت عزل السلطان عبد الحميد عندما ناصبه الاتحاديون العداء واستبدلوه بزعوف باشا . وفى ٩ يوليو سنة ١٩١٢ تولى الصدارة العظمى بعد سقوط الاتحاديين امام الحركة التى قامت فى الجيش بزعامة « هيئة ضباط الانقاذ » والتى تم بمقتضاها استقالة سعيد حليم باشا الصدر الأعظم .

(٢٩) الاميرالاى اوين بك تولى ادارة المخابرات ووكالة حكومة السودان بالنيابة ثم بالأصالة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٥ حتى ٢٧ فبراير سنة ١٩٠٨ ، وعين رئيسا للجنة الحدود المصرية ، ثم نقل مديرا الى نتقلة بالسودان .

والأميرالاى سعد بك رفعت [٣٠] قومندان سيناء .

الا أن الدبلوماسية العثمـانية لجـأت الى المراوغة والمناورة مرة أخرى اذ أرسل الصدر الأعظم برقية الى الخديو عباس فى ٢٢ فبراير سـنة ١٩٠٦ جـاء فيهـا « مما لاشك فيه أن حـوالى العقبـة هـو تحـت ادارة السلطة السنية وأيضا فان المقاطعة المصرية هـى مـن الأجزاء المتممة للممـالك الشـاهانية ولاحـاجة لتعيين مندوب لاقامة خط الحدود وبـالرغم مـن أنه كان يلزم صرف النظر عن انشاء القره قولات العسـكرية التـى أرسلنا عنها برقيتين ، فقد علمنا أخيرا مـع الأسـف بارسال مدرعة من طرفكم الى طابا وارسالها لايتفق مع سابق اشعار فخـامتكم ، ومـن هنا تحـدث مسـألة لاموجب لها قد تكون منافية لصداقة التبعية اذا فـرض وأنزلت المدرعة العساكر وأقامت نقـطة هناك فنرجـو خاصة سحب المدرعة » . [٣١]

وهكذا اتضح بجلاء موقف الباب العـالى ومـطامعه ليس فقط فى بعض المواقع ولكن فى سيناء كلهـا وتقـدم وجهة نظر جديدة تهدم أساس الاتفاقات الدولية المبرمة بشأن مركز مصر الخاص تحـت ولاية بيت محمـد على باشا ووجهة النظر الجديدة هـى أنه « مـادامت مصر ولاية عثمانية فـلا يمـكن أن تـوجد بينهـا وبين بقية الولايات الخاضعة للادارة العثمـانية مبـاشرة حـدود وتخوم » [٣٢] وقد تبنت جـريدة اللواء لسـان الحـزب الوطنى هذه النظرية الجديدة ودافعت عنها ، ولم يكتف الباب العالى ببرقية الصدر الأعظم ولكنه كلف الغـازى مختار باشا المندوب السامى العثمانى فى مصر بتقـديم مذكرة مطولة الى بطرس باشا غالى ناظـر الخـارجية يشرح فيها موقف الباب العـالى وقـد جـاء فى المذكرة [٣٣] « قبل الدخول فى ماهية الحادثة نبين وجهـة نظـر الدولة العلية فنقول أنه فى ١١ كانون الثانى سنة ١٣٢١ رومى تسلمت برقية سـامية مـن اسـتانبول بناء على المعلومات الواردة عليها من قومندان العقبة جاء فيها : أن الادارة المصرية شرعت فى احداث نقط عسـكرية فى جهات متعددة بين العقبة والعريش وأنه صار مخـابرة قومندان العقبـة بمنع الانشـاءات المذكورة وأخـطرت الخديوية المصرية تلغرافيا بصرف النظر عن أمثال هذه المنشـات ذلك لأن الدولة العلية لايمـكنها السـماح بانشاءات عسكرية فى نقط كان متـروكا ادارتهـا لمصر بصـفة مـؤقتة ، وبناء عليه لما زرت الخـديو وكلمته له المسألة قال لى بانه ارسل تلغرافا الى فخـامتكم بـأن التدابير المذكورة كانت لتدعيم النظام فى تلك النقط ولانه لم يسبق تعيين الحـدود فـانه طلب فى تلغـرافه المذكور ارسال مندوبين لتعيين الحدود ، وبعد ذلك سمعت بـأن قومندان العقبة اخطر مأمورى مصر بعدم القيام بعمـل اى منشات هناك وانه على الرغم من هذا الاخطار فقـد علم بحصول الانشاءات ، لذلك ارسل قوة عسكرية لهدم ما استحدث ومنع العمل ، وعند وصول القوة تصـادف وصول الوابور نور البحر واخراجه خمسين نفـرا مـن العساكر للقيام بعمل الانشاءات ، ومـن هـذا الوقـت حدث الخـلاف الذى مـازال مسـتمرا ، ولازالة هـذا الخلاف يجب ايضاح ماهية المسألة فى تفسير علاقـات مصر بالدولة فنقول :

التصرفات الملكية لمصر وادارة أمورها الداخلية :

كانت مصر من القديم فى قبضـة الدولة وكلمـا دعت الحاجة تعين مـن قبلهـا واليا عليهـا لادارة شـئونها الداخلية لأنها من الأجزاء المتممة للدولة .

ولكن لسبب من الأسـباب فـان الوالى محمـد على باشا قام ضد الدولة وانتصر عليها .

وكان من أثر ذلك تصديق مندوبى انجلترا والنمسـا وروسيا وبروسيا على حصول محمـد على بـاشـا على الفرمان العالى رقم ٢ ربيع الاخـر سـنة ١٢٥٧ الذى جاء فيه .... أبقـى فى عهـدتكم بـطريق الامتياز ادارة الخـطة المصرية المحـدودة بحـدودها القـديمة المعينة بالخريطة المختومة بخاتم الصدارة ، مضموما الى ذلك الوراثة وشروطها أنه كلما خلا محل الوالى يكون اسناد الولاية لأولاده وأولاد أولاده الذكور ، الأكبـر فـالأكبر ويكون تعيينهم بمعرفة الدولة العلية .

وفى حين انقـراض الذكور يكون التعيين مـن حـق الدولة وليس لأبناء الاناث حـق فى منصـب الولاية ... الخ ... وفى هذه العبارة ثلاث نقط هامة .

أولا : الخريطة المذكورة ، وعندى صـورة منهـا ، وهى تحدد مصر شرقا من العريش الى السويس بوصل

---

(٣٠) القائمقام سعد بك رفعت تولى قومندان (محافظ) سيناء من سنة ١٨٩٢ حتى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٠٠ وهو اول من تولى قومندانية سيناء بعد دخولها فى حوزة الحربية وهو متزوج من احدى بنات قبائل بدو سيناء ويعرف قوانينهم واعرافهم ، وقد نقل الى حكومة السودان فى ٢٣ اغسطس سنة ١٩٠٠ثم احيل الى المعاش برتبة اميرالاى .

(٣١) الحاج احمد شفيق باشا ، منكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٧٩ .

(٣٢) جريدة اللواء ٧ مايو سنة ١٩٠٧ .

(٣٣) الحاج احمد شفيق باشا ، منكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٧٩ الى ص ٨٢ .

خط مستقيم يبقى فى شرقه أراضى ولاية الحجاز وسورية .

ثانيا : كلمة « ابقاء » التركية ، معناها ان مأموريته هى بحسب القديم ، أما ادارة مصر الداخلية فهى تحت قيود معينة منها امتياز الوراثة ، أما حق التصرفات الملكية فهى بمثابة سائر الايالات الشاهانية (أى كما كانت فى قبضة الدولة العلية) .

والدليل هو أولا : انه عند انقراض الذكور ترجع الى الدولة أمور الادارة وثانيا : سكان مصر هم تابعون للرعوية العثمانية وثالثا : أنه ليس للخديوية مناسبات سياسية مع الدول الأجنبية ورابعا : قوتها العسكرية معدودة من القوة العمومية العثمانية وأمثال ذلك لايجعل فى الملكية من فرق بين مصر وسائر الولايات الشاهانية . وفقط ادارة الامور الداخلية تدخل تحت القيود الموضوعة للامتياز وصاحب هذا الامتياز هو المرحوم محمد على باشا ومن بعده حسب قاعدة الوراثة لواحد من أولاده وأحفاده الذكور ، وخلاصة القول أنه عند العودة لكلمة (مصر) يرد على الخاطر تصرفات الملكية والادارة الداخلية ، فالكلمة الاولى دائما محفوظة فى قبضة الدولة ، والثانية هو أنه فى دائرة القواعد المرسومة يكون من ورثة محمد على باشا خديو يحمل رتبة الصدارة .

طريق الحج : قديما كان طلب والى مصر التصريح له باستخدام موظفين مصريين وعساكر مصرية للمحافظة على طريق المحمل الذى يمر بطور سينا والعقبة ومدائن صالح ، ودام هذا الحال خلفا بعد سلف الى ماقبل ١٥ سنة . ولما صار البدء بارسال المحمل المصرى بحرا من السويس لم يبق من لزوم لطريق البر فالدولة رأت أن تربط ادارته بولاية الحجاز . وعلى هذا كانت حدود مصر تبتدىء من الوجه وبعده ضبا ومويلح . وبعد تولية الحضرة الخديوية صار استرداد العقبة وصار ترك شبه جزيرة طور سينا لمصر بصفة حدود (بمقتضى تلغراف) يستبان منه هذه التفصيلات : أن الدولة بحسب قرار الدولة المعين فيه الحد من العريش الى السويس هو عبارة عن جزء ألحق بناء على لزومه الى الخريطة المصرية . ولزوال الحاجة صار استرداد قسم منه وبقى شبه جزيرة طور سينا الى ادارة مصر تحت استرداده عند اللزوم . لهذا لا يمكن قبوله بصفته حدودا وان قيام الادارة المصرية بانشاءات عسكرية فيه مخالفة ظاهرة كالشمس .

العساكر الشاهانية الموجودة بموقع طابا ، هى للمحافظة على هذا الحق وفى قسم من ممتلكات الدولة كان ملحقا بمصر على سبيل الامانة ، وقد يستخلص أيضا أن التصرفات الملكية فى مصر هى بيد الدولة مثل تصرفاتها فى باقى الولايات وليس فى الأمر معاهدة مبرمة عن طريق أجنبى فالدولة باعتبارها صاحبة الالحاق لها كذلك حق الاسترداد ، خصوصا وأن الأراضى المتحدث عنها خارجة عن القرار الدولى .

لهذا فهى فى كل وقت خاضعة لما هو جار لسائر الولايات .

فاذا قيل بفرض أن هذه الأراضى بموجب التلغراف رقم ٨ أبريل سنة ١٨٩٤ بقيت لمصر ، كما صار ابلاغ بعض الدول ، فالجواب هو أن التبليغ لم يتضمن الالحاق وليس هناك صراحة قطعية بذلك بل على العكس فان كلمة ابقاء التى ذكرت البلاغ لبعض الدول تفيد المحافظة على الحدود القديمة وهى بمثابة اعلان فقط بأن مصر هى المرجع فى كل مايتعلق بهذه النقطة .

لذلك لم نفهم السبب الموجب للحدة والاعداد الحاصل من جراء منع الانشاءات العسكرية ، وعدم قبول تعيين الحدود فى أرض تركت لمصر مع قابليتها للاسترداد ، مع كون ذلك من الحقوق الصريحة للدولة وعلى الخصوص التهديد الواقع بارسال الوابور البحرى ديانا قد يفهم أن مصر ظنت أن لها الخط المرسوم بين العقبة والعريش ، ولكن الحقيقة أن النهاية لشبه جزيرة طور سينا وقنال السويس وخليج العقبة من الشمال والخط الواصل منها الى الجنوب يتشكل منها قطعة مثلثة .

وان هذا الخط هو حدود بين الدول – فادارة المثلث المتخلف من هذا الخط بين العريش والسويس وان كانت لولاية الحجاز الا انه صار السكوت عليها الى الان .

على أن تطور مسألة العساكر الشاهانية وتهديدهم فى موقع طابا ان هو الا حق صريح للدولة جعلها مجبورة للبحث فيه .

وفى الواقع كذلك أن الخط الممتد من العقبة الى العريش وان كان يشكل شبه جزيرة كبيرة وأن النهاية الشمالية للخليج مع ايصالها بالخط المتقدم يتشكل منها منطقة صغيرة هى طور سينا وأن كل خليج من خلجان هذه المنطقة يعرف باسمه الخاص .

بناء عليه يجب العلم بأنه من حق الدولة العلية فى كل يوم ارسال عساكرها لغاية جهة السويس .

موقع طابا المختلف عليه والداخل فى شبه الجزيرة ان كانت ادارته تركت لمصر فان مرور فرع خط السكة الحديد الحجازية من العقبة يجعل منه ميناء بالخليج وأن سواحل الميناء لاتكون فى يد ادارتين . ومع أن الملكية للدولة فان كل ما هناك هو عبارة عن مساحة جبلية صخرية لاتنفع بشىء وان ترك ادارتها للدولة لن يضر ذلك لمصر فى شىء .

وحيث أنه لم يكن لدولة انجلترا أى مناسبة فى موقع طابا فليس لوجود الباخرة ديانا أى معنى لأية شكوى

٧٩٤
فحق الكلام هو لسمو الخديو وحده فلذلك يرد على الخاطر بأن سموه هو العامل على وجود هذه السفينة هناك .

وحيث أنه من أهم وظائف الخليفة الأعظم تأمين سلامة طريق الحج ، وكان أمر المحافظة يقوم به ولاة مصر الا أنه من بعد سيكون جلالة الخليفة مجبوراً على القيام به .

فنعرض لفخامتكم الكيفية رجاء أن تتفضلوا بمطالعة الشيء في وقته » .

الادعاءات العثمانية :

بهذه المذكرة المطولة التي قدمها الغازي مختار باشا الى وزارتنا الخارجية المصرية تكون الدبلوماسية العثمانية قد كشفت كل أوراقها فاتضحت أن الأطماع العثمانية تتعدى بكثير موقع طابا وترمي الى الاعتراف للسلطان بحق استرداد جزء من سيناء أو حتى سيناء بأسرها متى أراد ذلك وفي هذه المذكرة أيضا تتلخص الادعاءات العثمانية في الآتي :

١ = لايمكن للدولة العلية السماح لمصر بإقامة منشآت عسكرية في نقاط كانت متروكة ادارتها لمصر بصفة مؤقتة .

٢ = بالرجوع الى فرمان رقم ٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ هـ الذى أبقى بعهدة محمد على باشا بطريق الامتياز ادارة الخطة المصرية المحدودة بحدودها القديمة المبينة بالخريطة المختومة بختم الصدارة يتبين :

ا ـ أن الخريطة المذكورة ـ وعند الغازى صورة منها = تحد مصر شرقا من العريش الى السويس بوصل خط مستقيم تبقى في شرقه أراضي ولاية الحجاز وسوريا .

ب = أن كلمة « إبقاء » التركية معناها أن مأموريته هي بحسب القديم أما ادارة مصر الداخلية فهي تحت قيود معينة منها امتياز الوراثة أما حق التصرفات الملكية فهي بمثابة سائر الولايات الشاهانية .

٣ ـ ظلت شبه جزيرة سيناء الى ادارة مصر تحت استردادها عند اللزوم ولذا لا يمكن قبولها بصفة حدود .

٤ = الجنود العثمانيون الموجودون في موقع طابا تم للمحافظة على هذا الحق وهم في جزء من ممتلكات الدولة العثمانية كان ملحقا بمصر على سبيل الامانة فالدولة باعتبارها صاحبة الحق لها كذلك حق الاسترداد .

٥ = يحق للدولة العثمانية في أي وقت شاءت ارسال جنودها لغاية السويس .

٦ ـ ان موقع طابا المختلف عليه والداخل في سيناء وان كانت ادارته تركت لمصر الا أن وضعه قد تغير بمرور فرع السكة الحديد الحجازية من العقبة فجعل منه ميناء بالخليج وسواحل الميناء لايمكن أن تظل في ادارتين .

٧ = أن موقع طابا المتنازع عليه رغم أنه ملك للدولة العثمانية الا أنه عبارة عن مساحة جبلية صخرية لاتنفع بشيء وترك ادارتها للدولة العثمانية لا يضير مصر شيء .

٨ = ليس لدولة انجلترا اى مصلحة في طابا وعلى ذلك فليس لوجود البارجة ديانا أى معنى فحق التحدث بشأن طابا هو لسمو الخديو وحده ولذلك يرد على الخاطر بأن سموه هو العامل على وجود هذه البارجة هناك .

الحجج والأسانيد المصرية :

حين اطلع الخديوي على مذكرة الغازي مختار باشا والتي هي بمثابة تقرير تباحث الخديو مع مصطفى فهمي باشا [٣٤] رئيس الوزراء وبطرس غالي باشا فيما جاء بهذا التقرير وبعد اتصال الأخيرين باللورد كرومر قدما للخديو تقريرا للرد على مذكرة الغازي مختار باشا وبعد مناقشة هذا التقرير رأى الخديو عباس تعديل صياغته بحيث تستبعد منه العبارات الشديدة وتقرر ارسال هذا التقرير الشرى الى الصدر الأعظم وينص على : [٣٥]

« بناء على التلغراف الوارد أخيرا من فخامتكم حصلت محادثتنا مع صاحب الدولة مختار باشا بحضور رئيس مجلس النظار وناظر خارجيتنا ، وكان من الطبيعي الرد على جوابه في اليوم التالي » .

فحضر لدينا في اليوم التالي الرئيس مع ناظر الخارجية ، وعرفا بأن تقرير دولة مختار باشا لايمكن قبوله لما فيه من تجاوز لحقوق مصر الممتازة ، وقدما الينا تقريرا بهذا الصدد وقالا بوجوب ارساله الى الباب العالي ، فبعد محو واثبات فيه قبلناه منهما مع الأضطرار والأسف ؛ لأن الرفض قد لايمكن توفيقه مع

---

(٣٤) مصطفى فهمي باشا تولى النظارة ثلاث مرات : الأولى من ١٤ مايو سنة ١٨٩١ حتى ١٧ يناير سنة ١٨٩٢ ، والثانية من ١٧ يناير سنة ١٨٩٢ حتى ١٥ يناير سنة ١٨٩٣ والثالثة من ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥ حتى ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ .

(٣٥) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتي في نصف قرن ، مرجع سابق ص ٨٤ الى ص ٨٥ .

موقفنا ولا ارى من حاجة للايضاح .

ماهية هذا التقرير هو أن الحدود المصرية فى شبه جزيرة طور سينا تنتهى بالعقبة ، ويدخل فى هذا التحديد موقع طابا . ذلك لأنه بورود تلغرافكم السامى مع الفرمان الأخير كانت نظارة خارجيتنا بينت الحدود المصرية بناء على طلب اللورد كرومر فيما مر ، وهذا هو سبب الاحتجاج الواقع الان .

ولما كان هذا التقرير مغايرا بالمرة لارائى وان صداقتى ووجدانى لايقبلان كتمانه . وكنت أيضا مجبرا على تقديمه ، فقد فعلت ذلك بعد محو واثبات ، تاركا تقدير الواقع لشرف فخامتكم

وحيث أنه من ضمن الأغراض الخفية ، التى يعمل بعضهم عليها ، تصويرى فى نظر متبوعى المعظم بصورة خرى ، لكنى أبين بأن حالى ومقالى يحولان دون ذلك .

أما فيما يختص بطريقة حل وتسوية هذه المسألة فانه جاء فى خاطرى أن يكون رد فخامتكم على التقرير المذكور بما يأتى :

إن التفسير والايضاح هما من حق صاحب الأمر والفرمان دون سواه . وعلى كل حال فانه من الأمور المسلم بها أن الدولة التى تترك مؤقتا لجهة من جهاتها أمر ادارة جهة ، لها عند اللزوم والحاجة أن تستردها فيقال فى هذه الحال :

قضت الضرورة بالحاق الجهة الفلانية بصورة قطعية الى ولاية الحجاز ، والحدود المصرية تعتبر من نقطة « كذا » ويكون تلغرافكم بصورة قطعية بغض النظر عن جوابنا الذى نص فيه على عدم القبول . هذا على ماأظن هو الحل .

وحيث إنه ثابت من تحرياتى الخصوصية انه ليس ثم من حق سياسى ولا من سبب للتطور فانى كفيل بأنه لايمكن تدخل أى طرف اخر . »

وعلى اثر وصول هذه الرسالة السرية للاستانة جاء الرد بما يأتى :« كان قد صرح للادارة المصرية بايجاد عساكر بقدر اللزوم فى الوجه ومويلح وطابا والعقبة وبعض مواقع من شبه جزيرة طور سينا وسواحل الحجاز بسبب ارسال المحمل المصرى بطريق البر كما هو فى علمكم السامى .

وبما أن هذه المواقع لم تدخل فى خريطة التحديد المصرية المرفقة مع الفرمان الصادر الى المرحوم محمد على باشا فى سنة ١٢٥٧ هـ ، ولمساس الحاجة أعيدت الوجه أولا وبعدها طابا ومويلح والان العقبة الى ولاية الحجاز .

أما شبه جزيرة طور سينا فقد صدرت الارادة الشاهانية بالمحافظة على الحدود الممنوحة الى محمد على باشا وجدكم اسماعيل باشا ووالدكم كما كانت من قبل . »

ومن هذا التقرير يمكن أن نلخص الحجج والأسانيد المصرية فى الاتى :

١ ـ أن الحدود المصرية فى سيناء تنتهى بالعقبة ويدخل فى هذا التحديد موقع طابا وانه بورود تلغراف الباب العالى فى الفرمان الأخير كانت نظارة الخارجية المصرية بينت الحدود المصرية بناء على طلب اللورد كرومر وهذا هو سبب الاحتجاج الواقع الان .

وهكذا القى الخديو عباس مسئولية الأزمة على الدبلوماسية البريطانية .

٢ ـ أن هذا التقرير فى جوهره يتنافى مع اراء الخديو بالمرة وانه مجبر على تقديمه وقد فعل ذلك بعد أن غير من لهجته التى أعدت من جانب حكومته .

٣ ـ يؤكد الخديو عباس ولاءه للسلطان ويذهب الى ابعد حدود النفاق فيقدم الاقتراحات المنافية لوجهة النظر المصرية بل ويتبنى وجهة النظر العثمانية بقوله « ان التفسير والايضاح هما من حق صاحب الأمر والفرمان دون سواه . وعلى كل حال فمن الامور المسلم بها أن الدولة التى تترك مؤقتا لجهة ما من جهاتها أمر دارة جهة لها عند اللزوم أن تستردها » .

٤ ـ يشجع الخديو عباس السلطان فى موقفه المتشدد دون اكتراث بمصالح مصر الحيوية ويؤكد للصدر الأعظم أن الأزمة لن تأخذ شكلا خطيرا اذا أصر الباب العالى على رأيه . وهكذا يقترب الخديو من نظرية الحزب الوطنى ويلتقى معها ، بل ويدخل مع مصطفى كامل فى مزايدة الغرض منها خلق المشاكل وازعاج سلطات الاحتلال البريطانى .

ومهما يكن من أمر فقد سر الباب العالى من موقف الخديو وقام بوضع مقترحاته موضع التنفيذ وأبدى الصدر الأعظم ارتياحه فى برقية بعث بها الى الخديو عباس تقول « أتشرف بأن أعرض لسموك أن اشعار فخامتكم المتضمن اعادة موقعى طابا والمويلح الى ادارة ولاية الحجاز وتبليغكم الفخيمة فى شأن طريق الصدق والاخلاص الذى اتخذتموه مع الباب العالى قد استوجب حصول التقدير والمحظوظية لدى مولانا ملجأ الخلافة ، وبحسب ما أمرت به أبشر فخامتكم بسلامة الحضرة السلطانية العالى وعلى حسب اشعار فخامتكم فقد اجرينا التنبيهات على من لزم لأخذ موقعى طابا والمويلح تحت الادارة مباشرة» ... واختتم الصدر الأعظم رسالته الى الخديو بأن ألح عليه برفض كل تدخل أجنبى فى الأزمة فيقول الصدر الأعظم « والمهمة الجليلة التى تقع على فخامتكم فى هذا الباب تستلزم محظوظية على انفرادها لدى الحضرة الشاهانية صار ينتظر من انتساب وعبودية فخامتكم المسلمة للأعتاب العلية حصول نهو هذا الأمر بدون

٧٩٦

اعطاء فرصة لتمكن المداخلة الأجنبية واستكمال الأسباب السريعة لاعادة ارتباط موقع العقبة بولاية الحجاز كما تقتضيه شيمتكم الجليلة المنطوية على العلم بدقائق الأمور »(٣٦).

ومن هنا نرى أن الأزمة قد ضمت عناصر متناقضة أهمها :

١ ـ تطلب الحكومة المصرية تشكيل لجنة مشتركة بتعيين الحد الفاصل بين سيناء والمتلكات العثمانية ، بينما وزارة الخارجية المصرية تؤكد حق مصر فى طابا وفقا للفرمانات السابقة .

٢ ـ يشجع الخديو عباس ـ فى الخفاء ـ الباب العالى على التمسك بحقه فى سيناء .

٣ ـ يؤيد الانجليز وجهة النظر المصرية بغية ابعاد الأتراك ووراءهم الألمان ـ قدر المستطاع ـ من احدى المناطق التى تعتبر داخلة فى نفوذهم .

٤ ـ يؤيد الحزب الوطنى المطالب العثمانية باسم التضامن الاسلامى .

ولقد علم اللورد كرومر بمضمون التقرير السرى الذى بعث به الخديو الى الصدر الأعظم اذ تمكن الانجليز فى مصر وفى الآستانة من الحصول على صور البرقيات والرسائل السرية المتبادلة بين الخديو عباس والآستانة وكانت كلها ضدهم وأن الخديو كان يظهر لهم غير ما يبطن اذ كان يقول أن اتصالاته بالآستانة هى فى صالح بريطانيا ولذا بعد أن كان ملك انجلترا يعطف على الخديو ويعتقد أنه مخلص ازاء هذا العطف قال الملك ادوارد السابع بعد أن اطلع على مراسلات الخديو مع الآستانة « كنت أظن ان الخديو معنا ولكنا نعرف الآن أنه يظهر لنا غير ما يضمر فلا نثق به »(٣٧).

وهكذا غيرت أزمة طابا مجرى الأمور ، فكان من نتيجة موقف الخديو وحيرة الحكومة المصرية أن أخرجت الدبلوماسية البريطانية أزمة طابا من محور النشاط الدبلوماسى بين الدبلوماسية العثمانية والدبلوماسية المصرية وتولت الدبلوماسية البريطانية ـ كرومر بنفسه بالاشتراك مع سفير انجلترا فى الآستانة ـ المفاوضة مع العثمانيين وذلك بعد أن كانت هناك جهتان تتفاوضان بشأن طابا هما : الجهة الأولى : هى الباب العالى وانجلترا عن طريق اللورد كرومر وسير أوكونر ، أما الجهة الثانية : فهى الغازى مختار باشا والخديو والحكومة المصرية ... وقد كان التفاوض الأساسى بين بريطانيا والباب العالى ، بينما ظل الغازى مختار باشا يحاول الضغط على الخديو وعلى الحكومة المصرية .

ظلت الحال على ما هى عليه فى العقبة وطابا وجزيرة فرعون : القوات المصرية تحتل جزيرة فرعون تحت حماية البارجة ديانا ، والقوات العثمانية ترابط فى طابا والعقبة ، ولقد خفف من حدة تصاعد الموقف تعليمات كل من الحكومتين العثمانية والمصرى بتفادى كل تحرش قد يؤدى الى نزاع مسلح(٣٨) ولقد طلب الكابتن هورنبى قائد البارجة ديانا من نعوم بك شقير أن يذهب الى اللواء رشدى باشا قائد الحامية العثمانية فى العقبة ليبلغه نبأ تشكيل اللجنة المشتركة المصرية العثمانية لتعيين الحدود وتم ذلك فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٠٦ وتحادثا بشأن الحدود بصفة غير رسمية وتبين من حديث اللواء رشدى باشا أنه يظن ان الانجليز يقومون بأعمال حربية فى سيناء ويقصدون الشر بالدولة العلية وأن براملى قد أرسل الى المرشش عمدا لفتح باب الشر ولكن نعوم بك شقير أزال هذا الظن وأنوهم حبا فى السلام بقوله : « أنت تعلم أن بدو سيناء وسوريا دأبهم شن الغارة بعضهم على بعض والسنة الماضية (١٩٠٥) عمت الفوضى سيناء كلها وقتل اثنان من غزاة البدو أخوين من أهالى نخل على درب الحج وفرا الى سوريا ، وكلما ارتكب بدوى جناية فى سيناء فر الى سوريا أو الحجاز وليس على الحدود من رادع أو مراقب فاضطرت الحربية المصرية أن تعين سعد بك رفعت قومندانا على سيناء بعد أن أحيل الى المعاش نظرا لمعرفته حال البلاد ومقدرته على سياسة البدو وعينت معه المستر براملى مفتشا ومساعد قصد ترقية أحوال البلاد الاقتصادية والزراعية ، وأن كل ما تريده حكومة مصر الآن هو أن يعين الخط الفاصل بين سيناء وسوريا لتتمكن من وضع خفر فى نقط معينة على الحدود لمنع غزاة سوريا من الدخول الى سيناء ومنع غزاة سيناء من الخروج الى سوريا والوقوف فى وجه الجناة الفارين من البلدين ، وربما كان قصدها البعيد أن يكون القنال بعيدا عن كل خطر » .. وأضاف نعوم بك شقير أنه « يرى القوم مصرين على طلب اخلاء طابا قبل الشروع فى تعيين الحدود ولذلك يحسن جدا أن تنصحوا باخلاء هذا الوادى قبل ان يقدم الطلب رسميا »(٣٩)

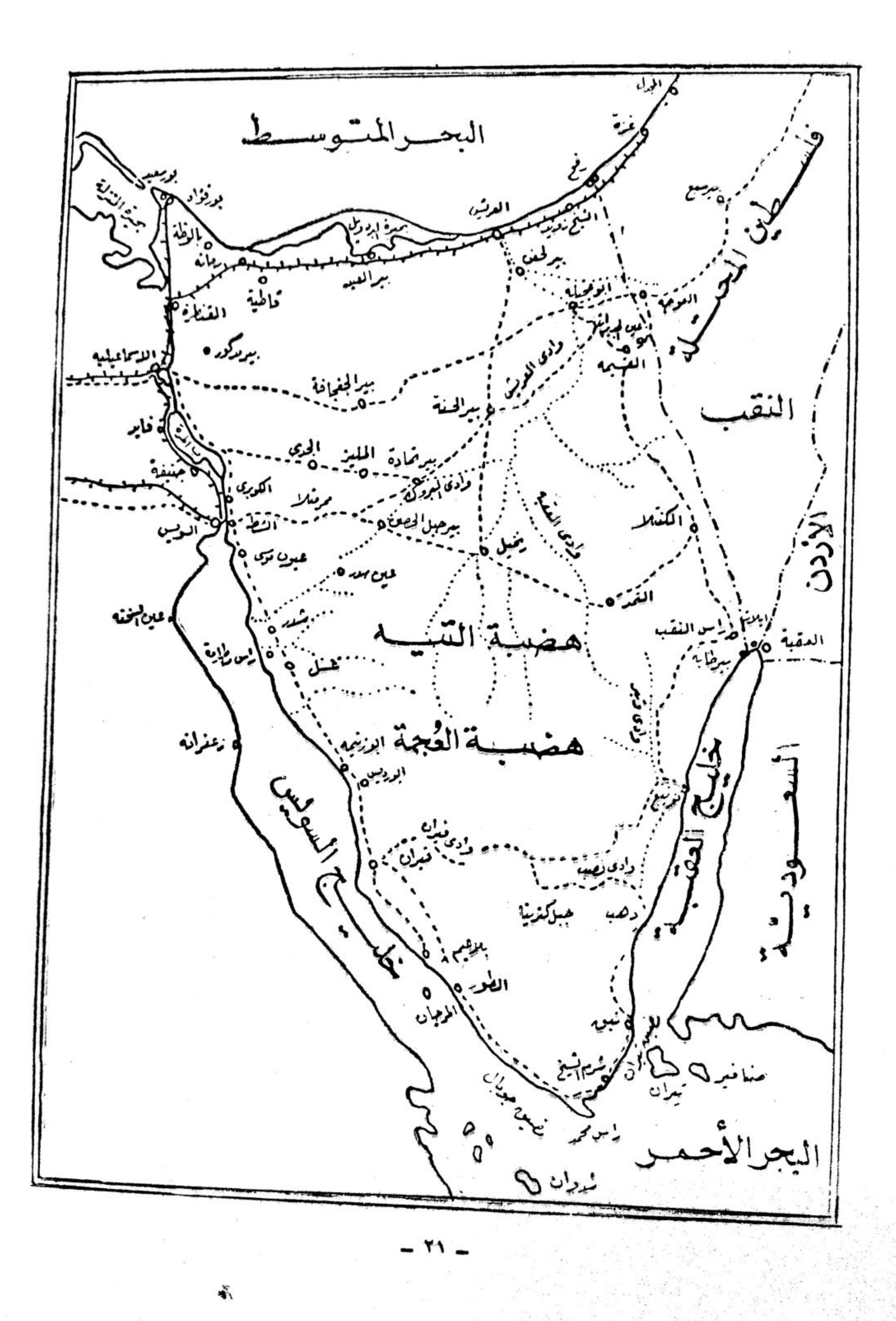
---

(٣٦) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٤١ ومابعدها .

(٣٧) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٩١ .

(٣٨) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٤٢ ومابعدها .

(٣٩) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٥٩٣ وما بعدها .



البحر المتوسط
بورسعيد
بورفؤاد
العريش
رفح
غزة
فلسطين المحتلة
النقب
الأردن
السعودية
الإسماعيلية
القنطرة
قاطية
رمانة
بئر العبد
بئر الجفجافة
بئر الحسنة
بئر تمادة
المليز
فايد
جنيفة
الكبريت
السويس
الشط
عيون موسى
الكونتلا
نخل
التمد
القسيمة
أبو عجيلة
هضبة التيه
هضبة العجمة
رأس النقب
العقبة
إيلات
رأس سدر
أبو زنيمة
أبو رديس
خليج السويس
خليج العقبة
نويبع
دهب
الطور
نبق
شرم الشيخ
رأس محمد
تيران
صنافير
البحر الأحمر

ويجب أن نشير هنا الى أن المندوبين العثمانيين فى اللجنة المشتركة لتعيين الحدود قد وصلا الى مصر فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٦ وبدلا من أن يتصلا بالحكومة المصرية نزلا ضيفين فى دار الغازى مختار باشا ثم صدر لهما الأمر فسافر الى العقبة عن طريق دمشق فى ٢ مارس سنة ١٩٠٦ دون أن يتحادثا مع أحد بشأن مهمتهما مما أغضب المسئولين المصريين والانجليز فقد كان معنى ذلك واضحا وهو أن الباب العالى أراد أن يظهر ان اللجنة مكلفة فقط باجراء تحقيق وليست مكلفة بالتفاوض وعلى كل فقد أثار موقف المندوبين العثمانيين استياء الخديو عباس لأنهما حضرا الى مصر ولم يكلفا نفسيهما مشقة طلب مقابلة الخديو . ولما لفت نظر الغازى مختار باشا الى تلك المخالفة أجاب : أنهما جاءا الى مصر لمعاونته فقط وليس لهما اية سلطة للتفاوض ، واقتصر رد الدبلوماسية العثمانية بعد ذلك على أنها فى انتظار تقارير المندوبين(٤٠) وقد دعا هذا التطور أن يطلب السفير البريطانى فى الآستانة الاجتماع بالسلطان فى ٢ مارس سنة ١٩٠٦ ليمارس الضغط عليه فيذكر له السلطان بأن المعلومات التى قدمت اليه تثبت أن طابا ضمن الأراضى التى أدارتها تركيا وأن المسألة تحتاج الى عناية فى البحث لاتصالها بالأماكن المقدسة ، ولكن السفير البريطانى فى الآستانة السير أوكونر يطلب اللقاء بالسلطان بعد ذلك بيومين فيلتقى به فى ٥ مارس سنة ١٩٠٦ ليضغط على السلطان بأقصى ما يستطيع وذلك حتى لا تتحول المسألة الى أزمة حادة ، وعلى خريطة حملها السفير إلى السلطان يطلعه على المواقع المذكورة على الجانب المصرى الغربى من الخليج . أما بالنسبة الى الدبلوماسية العثمانية فقد سبق أن رأينا كيف أن المندوب السامى التركى فى القاهرة الغازى مختار باشا قد التقى بالخديو وأخذ يحثه ويضغط عليه لقبول الأمر الواقع والا يدع بريطانيا تتدخل بينه وبين متبوعه السلطان غير أن رد الحكومة المصرية كان واضحا فى عدم قبول ما عرض عليه ، وفى لندن استمر السفير العثمانى فى العاصمة البريطانية يداور ويناور وقد أبرز للمسئولين البريطانيين برقية وصلته من حكومته تقول : « بما أن طابا تابعة للعقبة فنحن نثق فى قدرتك على اقناع الحكومة البريطانية بذلك .

ازداد التوتر على اثر تقديم المندوبين العثمانيين أحمد مظفر بك ومحمد أفندى فهمى تقريرهما فى ٢ ابريل سنة ١٩٠٦ والذى جاء فيه أن طابا تدخل ضمن الأراضى العثمانية ، وفى تلك الأثناء قدم الغازى مختار باشا طلبا الى الخديو يعرض فيه اجراء مفاوضات لحل الأزمة وهو يريد بذلك أن يفهم الانجليز أنهم ليسوا طرفا فى الأزمة وفى الوقت ذاته احراج الخديو عباس حلمى الثانى وتذكيره بما قاله الخديو من أن على الباب العالى أن يسير فى خطته دون الاكتراث بما تضطر الحكومة المصرية الى كتابته تحت الضغط البريطانى ، وكان رد الخديو على اقتراح الغازى مختار باشا هو قبول التفاوض بشروط هى : أن ترسل الآستانة رسميا الى مختار باشا تفويضا يمنحه حق التفاوض وأن يشترك فى المفاوضات رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية . وفعلا عقدت أول جلسة للمفاوضات بين الخديو عباس والغازى مختار باشا بحضور مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس النظار وبطرس باشا غالى ناظر الخارجية .

وتقدم الغازى مختار باشا بمشروع تضمن عدة مقترحات هى :(٤١)

١ - مع عدم المساس بالفرمان وملحقه المؤرخ فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ .

٢ - تتكون سيناء من الأراضى الواقعة جنوب الخط المستقيم بين العقبة والسويس .

٣ - شمال تلك المنطقة تسير الحدود المصرية مع خط مستقيم بين رفح والسويس .

٤ - الأراضى التى يحدها من الشمال الغربى الخط بين رفح والسويس وجنوبا الخط من السويس الى العقبة ، وشرقا الخط من العقبة الى رفح فهى أراضى تركية .

وقد أطلق على هذا المشروع اقتراح السلطان وهو يقضى بضم معظم بلاد التيه الى الدولة العثمانية وذلك برسم خط من العريش الى السويس ومن هذه الى نقب العقبة بحيث يكون شرق هذا الخط للدولة العثمانية والباقى لمصر(٤٢) ويلاحظ أن من نتائج هذا المشروع ما يلى :

١ - تمتد الأراضى العثمانية حتى شواطىء قناة السويس .

٢ - تقع طابا فى الأراضى المصرية .

٣ - تقسم شبه جزيرة سيناء بحيث أن الجزءين المعترف بهما للحكومة المصرية تفصلهما أراضى تركية تمتد حتى حتى القناة .

---

(٤٠) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٤٥ .

(٤١) د . لبيب يونان رزق ، ازمة العقبة ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ سنة ١٩[illegible] ص ٢٧١ .

(٤٢) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٥٩٤ .

ولما رفضت مصر هذا المشروع او حتى مجرد النظر فيه . ما لبث الغازى مختار باشا ان أخرج من جعبته مشروعا آخر يتلخص فى مد خط مستقيم بين رفح وراس محمد[٤٣] يكون غربه تابعا لمصر وشرقه تابعا للدولة العثمانية وهذا المشروع اطلق عليه اقتراح الباب العالى او اقتراح الغازى لان الغازى مختار باشا صرح بأنه « فى استطاعته حمل السلطان على قبوله » واما نتائج هذا المشروع فهو غلق خليج العقبة عند جزر تيران وبذلك يصبح الخليج بحرا تركيا مما يهدد الطريق الى الهند .

ولقد رفضت مصر النظر فى هذين المشروعين واصرت على الخط الذى يخوله فرمان تولية عباس حلمى باشا من رفح الى العقبة [٤٤] ذلك لأن كلا من المشروعين يظهر بوضوح نيات الباب العالى واطماعه فى سيناء ورغبته فى سلخ جزء منها من السيادة المصرية[٤٥] .

وتوقفت المفاوضات بين الغازى والخديو فى ١٢ ابريل سنة ١٩٠٦ ، وفى اليوم التالى بعث الخديو ببرقية الى الصدر الاعظم يتمسك فيها بفرمان التولية والبرقية الملحقة كاساس لكل تفاوض .

مهمة شفيق باشا[٤٦] فى الاستانة لانهاء الأزمة :

قررت الدبلوماسية المصرية ايفاد أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوى الى الاستانة وذلك فى ١١ ابريل سنة ١٩٠٦ ومعه ملف كامل بجميع صور المراسلات والمكاتبات والوثائق المتعلقة بأزمة طابا وكانت تعليمات الخديو اليه ان يقول أحمد شفيق باشا فى السراى أن الجناب العالى الخديو بذل كل ما يستطيعه ولا يزال على ولائه للسلطان ، وان يقابل احمد شفيق باشا سفير انجلترا فى الاستانة ولكن لا يبوح له بالمكاتبات السرية ، وقد استشار أحمد شفيق باشا بطرس باشا غالى وزير الخارجية قبل السفر الى الاستانة فيما اذا طلب السفير البريطانى محادثته فهل يحادثه فى شئ ؟ فاجاب غالى باشا بأنه لا مانع وانه سيخبر كرومر بذلك[٤٧] .

وصل أحمد شفيق باشا الى يلدز فى ١٥ أبريل سنة ١٩٠٦ ولما لم يجد رئيس الكتاب تحسين باشا توجه الى نورى باشا وسلمه الوثائق وفى اليوم التالى قابل احمد شفيق باشا رئيس الكتاب الذى دخل على السلطان وعاد فابلغه بان جلالة السلطان متأكد أن سمو الخديو يعاضد الرغبات السلطانية فى مسألة العقبة وأبدى ملاحظات ومعلومات تؤيد أن طابا من اراضى الدولة وكلف احمد شفيق باشا أن يكتب الى الخديو بذلك ، ثم قال تحسين باشا رئيس الكتاب « ان مختار باشا ارسل يطلب أن تبعث الدولة ببرقية معينة الى الحكومة المصرية فلم يوافق السلطان عليها وفضل ان تحل المسألة بمعرفة الخديو[٤٨] .

فى ١٦ أبريل سنة ١٩٠٦ تحدث أحمد شفيق باشا مع فريد باشا الصدر الأعظم بشأن مسألة طابا وقال فريد باشا أنه الوحيد الذى دافع عن الخديو وقد تسبب له ذلك إتهام السلطان له بالتحيز للخديو ولكن السلطان إقتنع أخيراً باخلاص الخديو عباس وأن من صالح الدولة العلية أن يكون التابع والمتبوع على وفاق لاسيما والخديو رجل مخلص وصادق الاسلام ومحب للدولة العلية والسلطان ، ثم كلف الصدر الأعظم أحمد شفيق باشا أن يخبر الخديو بأنه سيبذل كل مجهود لمعاونته فى الأستانه فى المسائل الرسمية ، وأنه ينصح أن تكون المراسلات الخاصة بالعقبة للسراى رأسا وأن بريطانيا أميل الآن إلى التساهل فى الموضوع . وفى اليوم التالى إلتقى أحمد شفيق باشا بالمستر أوكونر سفير بريطانيا فى الأستانه ودار الحديث حول مسألة طابا ، وقد أوضح السفير البريطانى لأحمد شفيق باشا بأنه فى بداية الأزمة طلب إلى الباب العالى إخلاء طابا أولا وبعدئذ تدور المفاوضات لحل المشكلة ، وكان الباب العالى عازما على القبول إلا أنه ثبت أن العثمانيين ينوون إحتلال جزيرة فرعون لولا إرسال الجنود المصريين وإحتلالهم إياها وقد هددهم العثمانيون باخراجهم بالقوة إلا أن وصول البارجة ديانا حالت دون ذلك .

---

(٤٣) راس محمد : هو تل صغير فى راس مثلث سيناء ارتفاعه حوالى ١٢٠ مترا وعلى بعد حوالى ٢٠ ميلا منه شمالا راس النصرانى .

(٤٤) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٥٩٤ .

(٤٥) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، ص ٢٤٦ وما بعدها .

(٤٦) احمد شفيق باشا (١٨٦٠ - ١٩٤٠) مؤرخ مصرى تخرج من مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق باريس وعين وكيلا للجامعة المصرية الاهلية وتولى رئاسة الديوان الخديوى فى عهد عباس حلمى الثانى ، وأسهم فى معالجة كثير من القضايا السياسية .

(٤٧) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٨٥ وما بعدها .

(٤٨) المرجع السابق .

وان الباب العالى كان قد عين إثنين من الضباط للتفاهم فى مسألة الحدود ولكنهما عادا إلى الآستانه بعد مقابلة الغازى مختار باشا لهما ، ويعزى تغيير موقف الباب العالى فى التمسك والتشدد إلى الغازى مختار باشا واحمد عزت العابد باشا وقد فهم أحمد شفيق باشا من حديث السفير البريطانى أن حكومته متمسكة بوجهة نظرها وهى إخلاء طابا من الجنود العثمانيين وذلك عكس مافهمه من الصدر الأعظم أمس عن موقف بريطانيا وقال السفير البريطانى « أن هذه المسألة لو سلم فيها الباب العالى فانه يتدخل بعدها فى كل شىء (٤٩) واشار السفير إلى انه يلاحظ أن الصحف المصرية ـ عدا المقطم ـ تناصر الباب العالى وتساءل عن السبب فى ذلك فأجابه أحمد شفيق باشا بأن جريدة اللواء لسان حال مصطفى كامل وجماعته متصلة بالغازى تبدأ بنشر آرائه وتتبعها الصحف الأخرى وألح السفير البريطانى إلى أحمد شفيق باشا بأنه يجب القيام بعمل شىء لتدارك هذا التيار الضار الذى يناصر الباب العالى ضد إنجلترا المدافعة عن الأراضى والحقوق المصرية . (٥٠)

وهنا نلاحظ إستمرار ميوعة بل وتناقض موقف الخديو ، فكان يرسل رسميا إلى الباب العالى رفض الدبلوماسية المصرية قبول مقترحات الغازى ، ويبعث فى الوقت ذاته إلى أحمد شفيق باشا برسالة موجهة إلى الصدر الأعظم يقول فيها ، أنه إضطر إلى أن يجارى سلطات الاحتلال البريطانى فى قبول وجهة نظره ويبدى أسفه لذلك ، ويكلف مندوبه أن يبلغ شفاهة الصدر الأعظم الأسباب التى إضطرته إلى رفض المقترحات العثمانية ، ويقوم أحمد شفيق باشا بتلك المهمة (٥١) وقد وردت إلى أحمد شفيق باشا فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٦ رسالة من مصر باسم الصدر الأعظم وطلب منه أن يسلمها بنفسه إلى الصدر الأعظم ذلك أن الصدر الأعظم كان قد أرسل برقية لمصر بنتيجة الاتصالات والمفاوضات مع الغازى مختار باشا فأرسل الرد عليه فى صيغة غير لائقة وإضطر الخديو أن يجارى الدبلوماسية البريطانية أو سلطات الاحتلال البريطانى فى قبول هذه الصيغة وهو يأسف لذلك ، ويكلف أحمد شفيق باشا بابلاغ الصدر الأعظم شفاهة ، فضلا عن ان الخديو كتب له تقريرا بالأسباب التى دعت إلى أن يكون الرد بهذه الصيغة وارفق التقرير مع الرد ، وتوجه احمد شفيق باشا فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٠٦ إلى الصدر الأعظم ليسلمه الرسالة ويقول له الصدر الأعظم « أخبر الجناب العالى أننا نجرى اللازم الآن لانهاء مسألة طابا ويلزم أن يساعدنا » . ويلمح احمد شفيق باشا إلى الصدر الأعظم بضرورة إرضاء بطرس باشا غالى ويعرض تساهل الباب العالى فى مسألة الدير القبطى فى القدس فيرد عليه الصدر الأعظم « على بطرس باشا أن يساعدنا فى مسألتنا وعلى ان ارضيه تمام الرضا » وهكذا بدا للدبلوماسية العثمانية أن مسألة طائفية كافية لحمل مسئول مصرى على تجاهل مصالح مصر الحيوية ، ويبدو أن شفيق باشا أراد أن يبين للصدر الأعظم شدة تمسك بطرس باشا غالى بحقوق مصر فى سيناء وأن يفهمه أنه الرجل الوحيد الذى يمكنه التأثير على الدبلوماسية البريطانية وحملها على التساهل ولذا فانه يحسن إرضاؤه بدلا من الضغط على الخديو الذى ليس فى وسعه المساعدة . (٥٢)

أزمة رفح سنة ١٩٠٦ وإحتجاج الحكومتين المصرية والانجليزية رسميا :

قابل الخديو عباس الغازى مختار باشا فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٠٦ وحضر المقابلة رئيس النظار وناظر الخارجية ولم يقدم الغازى أى إقتراح أو تنازل بل ذهب ينذر بوجوب طاعة أوامر السلطان ، وفى نفس اللحظة وردت الأنباء عن تدفق الامدادات العسكرية العثمانية على العقبة وأن اللواء رشدى باشا يستعد لشن حملة داخل سيناء فى إتجاه نخل . وتفاقمت المشكلة فقد تعدت أزمة طابا وإمتدت إلى منطقة رفح فى أقصى الشمال ذلك أن العثمانيين بعد إحتلالهم طابا أرسلوا قوة من الجنود لاحتلال رفح فأزالوا عمودى الحدود من مكانهما تحت السدرة وإقتلعوا عمد التلغراف المصرى بين بئر رفح وطريق بئر رفيح وإستبدلت بالعمودين الفاصلين بين الحدود أعمدة عثمانية ونصبت الخيام بين السدرة وطريق رفيح ، فلما بلغ الخبر حكومة مصر من أسعد أفندى عرفات مراسل جريدة المقطم فى العريش قبل أن يبلغه محمد بك إسلام ناظر قلعة العريش (أول أغسطس سنة ١٩٠٢ ـ آخر أبريل سنة ١٩٠٦) إلى الحكومة المصرية إستدعى إلى مصر وألحقت محافظة العريش إداريا بالحربية التى أرسلت إليها القائمقام

---

(٤٩) المرجع السابق ص ٨٦ .

(٥٠) المرجع السابق .

(٥١) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٤٨ .

(٥٢) المرجع السابق . وايضا . الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٨٧ .

باركر بك مساعد مدير المخابرات لادارة شئونها مؤقتا . وأمرت الحكومة المصرية البارجة البريطانية منيرفا التى كانت مرابطة فى ميناء بورسعيد بالتوجه فورا إلى رفح للتحقق من صحة الخبر ، وعين الكابتن « ديموث » قومندان البارجة معتمدا للدولة البريطانية ونعوم بك شقير معتمدا للحكومة المصرية وطلبت الحكومة المصرية منهما التثبت من صحة الخبر بنفسيهما حتى إذا ماوجداه صحيحا إحتجا على العمل رسميا باسم الحكومتين المصرية والبريطانية معا ويسلما الاحتجاج الرسمى المشترك إلى ضابط الجنود العثمانيين فى رفح ثم تعود البارجة منيرفا بعد ذلك إلى مصر وقد حذرتهما الحكومة المصرية فى الوقت ذاته من تعدى حدود رفح شمالا .[٥٣]

أبحرت البارجة فى ميناء بورسعيد بمصر عصر يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٠٦ فوصلت رفح ٣٠ أبريل للتحقق من صحة واقعة إزالة عمودى الحدود ، وتبين من أقوال الشهود أن العمودين قد أزيلا فعلا يوم ١٢ أبريل فضلا عن إستبدال ١١ عمودا من أعمدة التلغراف المصرى فى بئر رفح بأعمدة عثمانية فى ٢٨ أبريل ، كما دلت التحريات أن مايقرب من خمسين جنديا عثمانيا وعلى رأسهم يوزباشى أركان حرب (مفيد بك) قد نصبوا خيامهم الخمسة فى حد مصر ، فبعث نعوم بك شقير إلى قائد القوة العثمانية برسالة مع أحد جنود حرس الحدود يقول فيها أنه حضر مندوبا من قبل الحكومة المصرية لمقابلة قومندان الجنود العثمانيين المعسكرين الآن فى رفح مقابلة خصوصية ودية .[٥٤] وقد وجه الكابتن أ . و . ويموث رسالة إلى مفيد بك هذا نصها :

« قومندان العساكر الشاهانية برفح ــ بعد السلام أكتب إليكم هذا لأخبركم أنى جئت مندوبا من قبل الحكومة البريطانية لمقابلتكم بشأن خط الحدود ويمكننى الانتظار هنا ساعتين فقط فاما أن تأتوا إلى أو أن أذهب إليكم ومعى نعوم بك شقير مندوبا من حكومة مصر وأرجو أن تتكرموا بالرد حالا مع رافعه . وإعلموا أن مأموريتنا هذه هى مأمورية ودية سلمية ويمكن إنهاؤها بمقابلة صغيرة »[٥٥] فلما لم يحضر رغم الانتظار أرسل إليه المعتمدان إحتجاجا من على ظهر البارجة منيرفا فى ميناء رفح فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٣٠ أبريل سنة ١٩٠٦ هذا نصه[٥٦] « حضرة قومندان العساكر الشاهانية برفح ــ نعلم حضرتكم أننا إنتظرنا خمس ساعات فى بيت التلغراف تجاه معسكركم لأجل مقابلتكم فلا حضرتم ولا حضر منكم جواب فعدنا إلى الوابور ، وقد لاحظنا أن عمودى الحدود اللذين كانا قائمين على جانبى السدرة التى عسكرتم بقربها قد رفعا من مكانهما ، ولاحظنا أيضا أن عمد التلغراف المصرى من خط الحدود إلى طريق بئر رفيح قد بدلت بعمد أخرى . فبالنيابة عن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية نحتج على فعلكم هذا إحتجاجا شديدا ونطلب أن تعيدوا عمودى الحدود وعمد التلغراف إلى أماكنها وتحافظوا على الحدود المقررة . وسنرسل نسخة من كتابنا هذا إلى رجال الحل والعقد من المصريين والانجليز فى مصر . وإذا أحببتم مخاطبتنا فالطراد لايسافر من ميناء رفح قبل صباح الغد الثلاثاء الساعة تسعة أفرنجى . »

التوقيع	التوقيع
أ.و. ويموث قومندان الطراد مينرفا	نعوم بك شقير
معتمد الحكومة البريطانية	معتمد الحكومة المصرية

وعند الفجر حضر أحد الضباط العثمانيين وأبلغ المعتمدين أم مفيد بك آت لمقابلتهم فى الساعة الثامنة صباحا ، وحضر مفيد بك ومعه ١٥ فارسا وقال موجها كلامه إلى نعوم بك شقير : « بما أنك معتمد الحكومة المصرية فانى أفاوضك فى الأمر وأما الكابتن ويموث معتمد الحكومة البريطانية فانى أستقبله كزائر ، وكل ماأعلمه عن مركز الانجليز فى مصر أنهم يديرون ماليتها وليس لهم حق التدخل فى مسألة الحدود ، فالمفاوضة فى الحدود إنما تكون بين مصر وهى ولاية ممتازة من ولايات الدولة العليا وبين متصرفية القدس الشريف . » ثم أضاف : « وهل تقصدون بكتابكم الأخير هذا بلاغا نهائيا ؟ » فأجاب نعوم بك شقير : « لا ، إنما هو إحتجاج رسمى على إزالة عمودى الحدود من مكانهما » ولما أنكر مفيد بك ذلك قال له نعوم بك شقير : « إننى أنصحكم بصفة ودية وليس كممثل للحكومة المصرية وأن مسألة الحدود الآن قد دخلت فى دور حرج جدا وأن القول بأنه لم تكن هناك عمد تدل

---

(٥٣) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٥٦٨ وص ٥٩٤ .

(٥٤) المرجع السابق ص ٥٩٥ وما بعدها .

(٥٥) المرجع السابق ص ٥٩٧ وايضا الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٨٨ .

(٥٦) المرجع السابق .

على الحدود لاينجينا من الحرج ، وأن مصر وبريطانيا قد عقدتا النية على تنفيذ مطالبهما وتـرك القـديم على قيمه بالرضا أو بالقوة ، فإن كان رجـال الدولة العلية واثقين في قدرتهم على الثبات في هذا المضمار فليفعلوا ماشاءوا وإلا فانى أنصحهم أن يجدوا لهذه المشكلة حلا يحفظ كرامـة الدولة العليا ولايعـرضها للفشـل والخذلان » . وأضاف نعوم بـك شـقير : أنه كلبناني الأصل ذي صبغة عثمانية يغار على كرامـة دولتـه ولذا فانه يرى حفظا للمسألة وأبسط حل للقضية أن يكتـب مفيد بك إلى حكومته بأن يجلوا الجنود العثمـانيون عن طابا والعقبة ـ وأن تشـكل لجنة مشـتركة مصرية ـ عثمانية لتعيين الحدود الفاصلة بصورة جـدية وودية ، وقد علم نعوم بك شقير أن الجنود العثمـانيين ظنوا أن البارجة منيرفا عازمة على إنزال الجنود المصريين إلى البر فاصطف الجنود العثمـانيون على رؤوس التـلال المشرفة على الشاطىء لمنع البارجة من إنزال الجنود ، بل أكثر من ذلك فـكر ـ الجنود العثمـانيون في إلقـاء القبض على المعتمدين الانجليزى والمصري وهما في كوخ التلغراف .(٥٧)

ثم أقلعت البارجة منيرفا من العريش في ٢ مايو سنة ١٩٠٦ ووصلت البعثة المصرية البريطانية إلى القـاهرة في اليوم التالى .

البلاغ النهائي من الحكومة البـريطانية إلى الدولة العلية :

عند هذا الحد قررت حكومة بريطانيا تـوجيه بـلاغ نهائي أو إنذار إلى الباب العالي وإتخذت الدبلومـاسية البريطانية كافة الخـطوات والتـدابير والاسـتعدادات اللازمة لذلك ، وهي مزيج مـن الضـغط الدبلومـاسي والتهديد بـاستخدام القـوة وكان أمـام الدبلومـاسية البـريطانية عدة بـدائل وخيارات في هـذا الصـدد ، وإستبعد منذ الوهلة الأولى مبدأ القيام بمظاهرة بحرية بريطانية في البحر الأحمر حتي لايثير ذلك غضب العالم الاسلامي وسخطه ، كماإستبعدت أيضا فكرة إرسـال قوة إنجليزية لطرد القوات العثمـانية مـن مـواقعها في طابا وعلى الحدود الغربية إذ يتطلب ذلك حملة عسكرية كبيرة فضلا عن أن حرارة القيظ في هـذا الموسـم مـن العام قد يجعلهـا شـاقة علي القـوات البـريطانية ، إستبعدت الدبلومـاسية البـريطانية كل هـذه البـدائل والخيارات ، أما البديل الذى أصبح قرارا فهـو القيام بمظاهرة بحرية أمـام الشـواطىء التـركية في البحـر الأبيض بشأن طابا ، ففى ٣٠ أبريل سنة ١٩٠٦ تقـرر إجراء تعبئة بحرية في ميناء بيريه باليونان فاذا لم يكف ذلك للضغط تقوم البحرية البـريطانية بـاحتلال بعض جزر بحر إيجه والبقاء فيها إلى أن يرضخ الباب العالى للانذار البريطاني وفي الوقت نفسه تقرر إبقاء البـارجة ديانا أمام العقبة حتـى إذا مـاتقدم الجيش العثمـاني صوب نخل في وسط سيناء دمرت البـارجة ديانا آبـار المياه في العقبة ممـايجعل تقـدم القـوات العثمـانية في سيناء مستحيلا .(٥٨)

ولما انتهت كل التدابير والاسـتعدادات مـن جـانب الدبلوماسية البريطانية التى نجحـت في الحصـول على تأييد دولى قوى خاصة من كل مـن فـرنسا وروسـيا واللتين كانتا تشكلان مع بـريطانيا قـوة ضـغط لهـا إعتبارها على الباب العالى ، ففى ٢ مايو سـنة ١٩٠٦ أبلغ السفير الفرنسى في لندن الحكومة البريطانية بـأن حكومته قد أرسلت تعليماتها إلى سفيرها في الآسـتانه لاستخدام كل نفوذه لاجبار السـلطان على الانسـحاب مـن الأراضي المصرية ، وفى اليوم نفسـه أبـرق وزير خارجية روسيا إلى زينوفييف سفير روسيا في الآستانه يطلب منه تنسيق جهوده مع زميليه البريطاني والفرنسى للضغط على الباب العالى بشأن طابا .

ولما كانت الدبلوماسية البريطانية ترى أن في قبـولها المقترحات العثمانية بشأن طابا تمثل خطرا على الملاحة في القناة وعلى نفوذها في مصر وعلى العائلة الخـديوية أيضـا أوعز السـير إدوارد جـراى وزير الخـارجية البريطانية إلى السير نيقولاس أوكونر سفير بـريطانيا في الآستانه في ٣ مايو سنة ١٩٠٦ أن يتقـدم إلى وزير الخارجية العثماني بمذكرة طويلة إعتبرت بمثابة بـلاغ نهائي وجاء في هذه المذكرة « خلافا لما جـاء في فـرمان تولية الخديو عباس وبرقية ٨ أبريل بشأن إدارة سيناء فان الحكومة الامبـراطورية قـد إحتلت طـابا بقـوة عسكرية رفضت أن تسحبها رغم تـكرار الطلب بـذلك ورغم أن طابا واقعة ضـمن الأراضى الخـاضعة لادارة سمو الخديو بدون شك ..... وعلى الحكومة العثمـانية أن تعلم أن الحكومة البـريطانية لن تـظل سـاكتة على إنتهاك حقوق سمو الخديو والعدوان على أراضيه .... وعلى ذلك لى الشرف أن أبلغ سـموكم بـأن وزير

---

(٥٧) المرجع السابق ص ٥٩٩ ومابعدها .

(٥٨) إبراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٥٠ .

الخارجية البريطانية قد أصدر لى التعليمات لابلاغكم أنه على الحكومة العثمانية أن توافق على تعيين خط الحدود بين رفح ورأس خليج العقبة على أساس برقية ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ وأن تجلو عن طابا .... وأن أى تأخير سوف ينتج عنه زيادة صعوبة الموقف ، وأضيف إلى ذلك أنه إذا لم يتحقق هذا خلال عشرة أيام فستكون النتائج وخيمة للغاية . "

وهكذا تتلخص المطالب البريطانية التى وردت فى البلاغ النهائى فى الآتى : (٥٩)

١ - إخلاء طابا .

٢ - عودة الجنود العثمانيين فى رفح إلى الحدود القديمة .

٣ - إعادة عمودى الحدود فى رفح إلى مكانهما .

ولم تكتف الدبلوماسية البريطانية بهذا الاجراء وإنما أرادت أن تصبغ تصرفها وسلوكها بصبغة شرعية فطلبت من الدول الأوربية الموقعة على معاهدة لندن فى سنة ١٨٤٠ ومن ألمانيا تأييد تصرفها ، ولما تحقق لها ذلك إطمأنت إلى أن الأزمة لن تكون لها مضاعفات دولية . والواقع أن الدبلوماسية البريطانية كانت تلعب لعبة سهلة لأن الحجج والادعاءات العثمانية كانت ضعيفة واهية من الناحية القانونية فضلا عن أن غالبية الدول الموقعة على معاهدة لندن كانت مرتبطة مع بريطانيا بمصالح مشتركة ففرنسا ترتبط مع إنجلترا بالاتفاق الودى سنة ١٩٠٤ ، ولذا لم تكتف الحكومة الفرنسية بتأييد السياسة البريطانية وإنما ذهبت أبعد من ذلك وسعت ضاغطة على الباب العالى لقبول المطالب البريطانية ، أما روسيا فكانت ترتبط بفرنسا بمعاهدة تحالف ، وبالنسبة إلى ألمانيا والتى يرى البعض أنها هى التى حرضت تركيا فى الخفاء على إفتعال مسألة الحدود لغاية فى النفس فيبدو أن إستعداد ألمانيا لم يكن قد تم ، ولذا لم تر أن موضوع طابا من الأهمية بحيث يثير أزمة مع بريطانيا سيدة البحار ، لذا أرسل سفير ألمانيا فى إنجلترا إلى السير إدوارد جراى منكرة جاء فيها أن الامبراطورية الألمانية لاتؤيد موقف حكومة الباب العالى من المشكلة بل أن السفير الألمانى فى الآستانه نصح السلطان بأن يسلم بالمطالب البريطانية لأن ألمانيا لاتستطيع أن تنصر السلطان على بريطانيا فى الظروف الراهنة . وهكذا دل البلاغ النهائى على أنه إذا لم يقدم الباب العالى الترضية المطلوبة فستضطر بريطانيا إلى الالتجاء إلى القوة خاصة وأن فرنسا ألمانيا وروسيا يؤيدون مطالب بريطانيا التى أخذت تستعد للطوارىء فى مصر وسيناء بل وفى الآستانه ايضا .

إزاء هذا الضغط الهائل للدبلوماسية البريطانية حاولت الدبلوماسية العثمانية من جديد - وهى يملؤها اليأس - إخراج الأزمة من محورها المحدود وطرح مشكلة مركز بريطانيا فى مصر على بساط البحث . ففى ٥ مايو سنة ١٩٠٦ تقدم الباب العالى بالمقترحات التالية :

١ - إعتراف بريطانيا بسيادة السلطان على مصر .

٢ - إعتراف السلطان بالمعاهدات الدولية الخاصة بمصر .

٣ - إشتراك القوات التركية فى الدفاع عن مصر وقناة السويس جنبا إلى جنب مع بريطانيا .

٤ - فى حالة قبول هذا المقترحات يكون الباب العالى مستعدا للجلاء عن طابا وتعيين أعضاء اللجنة المشتركة المختصة برسم الحدود .

وهكذا يبدو من هذه الطلبات أن الدبلوماسية العثمانية كانت تبحث عن مخرج مشرف من الأزمة ولكن بريطانيا رفضت مقترحات الباب العالى قائلة - بصورة مهينة - إنه ليس منطقيا أن يطلب من السلطان الاعتراف بفرمانات أصدرها هو بنفسه ...

ومن جديد حاولت الدبلوماسية العثمانية الوصول إلى إتفاق مباشر مع الخديو إذ أرسل الصدر الأعظم برقية فى ٩ مايو يطلب فيها من عباس التفاوض بين الحكومتين المصرية والعثمانية . ولكن عباس رد - بناء على مشورة كرومر - أنه ليس لديه مايضيفه إلى ماسبق أن تقدم به . (٦٠) ومن ثم لم يبق أمام الدبلوماسية العثمانية سوى التسليم بمطالب بريطانيا إذ أن المهلة المحددة فى البلاغ النهائى أوشكت على النفاذ وكمحاولة أخيرة للجهود الدبلوماسية العثمانية للتملص من الضغوط الواقعة عليها أبلغ وزير الخارجية العثمانية عندما إستقبل سفير بريطانيا فى الآستانه فى ١٠ مايو سنة ١٩٠٦ بأن السلطان قد أمر بانسحاب القوات العثمانية من طابا والابقاء على الوضع الراهن فى سيناء . وأعتبر السفير البريطانى أن هذه محاول أخرى لاضاعة الوقت وأن الأمر قد أصبح خطيرا للغاية .... وقد قررت الدبلوماسية البريطانية فى ١٢

---

(٥٩) المرجع السابق - ايضا الحاج احمد شفيق باشا ، منكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٨٩ - ايضا نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٦٠٢ .

(٦٠) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٥١ .

٨٠٤

مايو إبلاغ العثمانيين بأن عدم إستجابتهم للمطالب البريطانية سيؤدى إلى تقديم مطالب جديدة . وبالفعل قابل أوكونور الصدر الأعظم ليبلغه التحذير الجديد ، ولكن الصدر الأعظم ابلغ السفير البريطانى بأنه قد طلب من الخديو تعيين المبعوثين الذين سيشتركون فى العمل مع المبعوثين العثمانيين لتعيين الحدود المصرية لشبه جزيرة سيناء وان الانسحاب من طابا والاماكن الأخرى سوف يبدا فى تلك الليلة . وقد صرح السلطان إلى سفير بريطانيا فى الأستانه بأنه لم يكن يعلم أن مسألة طابا قد تحرجت إلى هذا الحد وانه لما علم أمر بقبول وجهة النظر البريطانية بشأنها . [٦١] ولم يبق أمام الباب العالى إلا التسليم بمطالب بريطانيا فى آخر ساعة فأمر باخراج الجنود العثمانيين من طابا وعاد الجنود العثمانيون فى رفح إلى حدهم ، وكانوا قد كسروا عمودى الحدود فصدر الأمر إلى قائمقام بئر سبع وقائمقام غزه بتلافى الأمر فحضرا إلى رفح ونصبا عمودين = أحدهما من الجرانيت الأسود طوله ستة أقدام والآخر من الجرانيت الرمادى طوله أربعة أمتار - تحت السدرة قرب مكان العمودين الأولين . [٦٢]

ولكن السفير البريطانى لم يقنع برد الصدر الأعظم شفويا على رسالته وطالبه برد رسمى وصله فعلاً فى ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ إذ بعث توفيق باشا الصدر الأعظم رسالة إلى السير نيقولاس أوكونر سفير بريطانيا العظمى فى الآستانه هذا نصها : [٦٣]

« جناب السفير - تشرفت بالمذكرة التى تكرمتم بارسالها فى ٢ الجارى بشأن احتلال طابا فاسمحوا لى أن أخبركم أنه لم يخطر قط ببال الحكومة الشاهانية الخروج عن مضمون التلغراف المرسل من المرحوم جواد باشا إلى سمو الخديو فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ ومع ذلك فان الرسالة التى تشرفت بارسالها إليكم فى ١١ الجارى كانت واضحة كل الوضوح فان إخلاء طابا قد تقرر وصدرت الاوامر بذلك . وقد استقر الراى على ان الضباط أركان حرب الموجودين الآن فى العقبة والموظفين الذين ينتدبون من قبل سمو الخديوى يمرون معا على الأمكنة اللازمة ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطوبوغرافية ويعينوا على خريطة النقط الطبيعية التى يكون بها ضمان الحال الحاضرة وبقاء القديم على قدمه فى شبه جزيرة سيناء على القاعدة التى وضعها جواد باشا فى تلغرافه السالف الذكر وأن يرسموا خطا للحدود يبتدىء من رفح بقرب العريش ويتجه جنوبا بشرق على خط مستقيم تقريبا إلى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل ثلاثة أميال من العقبة وبذلك تكون الرغائب التى أبديتموها سعادتكم فى رسالتكم المشار إليها قد تحققت تماما .
هذا وإنا نسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك إلى لندن ونأمل أن حكومة جلالة الملك ترى بذلك برهانا جديدا على رغبتنا الشديدة فى دوام حفظ العلائق بيننا على دعائم المودة التامة وأن فى إبداء حكومة جلالته تمام إرتياحها لذلك دليلا على القيمة التى تعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن الحظ بين الحكومتين أفندم » .

الامضاء

« توفيق »

وفى تلك الأثناء كانت بريطانيا قد إحتلت جزيرتى لنوس وميتلين من جزر بحر إيجه وفرضت الرقابة على خط التلغراف التركى المار من العريش مما أدى إلى قطع الاتصالات التلغرافية مع اليمن . وأسرع الخديو عباس بارسال موافقته على المذكرة العثمانية مما أثار غضب كرومر إذ كانت مطالب المعتمد البريطانى تذهب إلى أبعد مما تقدمت به حكومة الباب العالى إذ إقترح اللورد كرومر الى السير إدوارد جراى وزير خارجية بريطانيا الآتى :

١ - إستدعاء الغازى مختار باشا من مصر .
٢ - طرد العثمانيين من خليج السلوم .
٣ - حرمان السلطان من حق الفيتو على طلبات مصر فى الاستدانة .
٤ - طلب التعويض عن النفقات البريطانية لتعبئة الأسطول وإجراء المناورات البحرية .

ولقد عزى كرومر رفضه تسرع الخديو فى الموافقة على المذكرة العثمانية بحجة أن السلطان سيعتبر أن تسوية أزمة طابا تمت بالاتفاق المباشر بينه وبين الخديو ومن ثم فلن تكون هناك حاجة إلى التدخل البريطانى ، وأنه أيضا فى حالة قبول هذه الصيغة من المحتمل جدا مواجهة المشكلة من جديد مرة أخرى إذا لم تتخذ الاحتياطات الكافية وأتهم كرومر الخديو عباس

(٦١) الحاج أحمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٦٠٢
(٦٢) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٨٩ .
(٦٣) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٨٩ .

،عرقلة مساعيه وإعاقة عمله ، وصمم على أن يكون الرد مباشرة بين السلطات البريطانية والباب العالى وقد كان له ماأراد .(٦٤)

اللجنة المصرية - العثمانية المشتركة وتعيين الحدود :

صدر أمر الباب العالى إلى المندوبين العثمانيين فى العقبة بأن يشتركا مع من تنتدبهم الحكومة المصرية لتعيين خط الحدود ، وقد تم تعديل محدود فى أعضاء اللجنة الذين إنتدبتهم مصر أولا لأسباب صحية وتشكلت لجنة مصرية جديدة من الأميرالاى أوين بك مدير المخابرات واللواء إبراهيم باشا فتحى من أرباب المعاشات ، وندب نعوم شقير لسكرتارية اللجنة المصرية . وفيما يلى نص الأمر العالى الصادر فى هذا الشأن :

« سعادتلو إبراهيم باشا فتحى وعزتلوا الأميرالاى أوين بك إقتضت إرادتنا بتعيينكما وتعيين حضرة نعوم بك شقير معكما بصفة سكرتير لتسوية الحدود بين العقبة ورفح وذلك بالاتحاد مع الضباط المندوبين من قبل الدولة العلية لهذا الغرض وهم الآن فى العقبة . وقد فوضناكم تفويضا مطلقا باجراء ماترونه موافقا من التغييرات الطفيفة فى خط الحدود بقصد تسهيل الادارة على الطرفين وذلك بالاتفاق مع مندوبى الدولة العلية المذكورين وهذا الخط الفاصل يبدأ من رفح بقرب العريش ويتجه إلى الجنوب الشرقى حتى ينتهى فى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل ثلاثة أميال من العقبة ويكون خطا متعرجا يقرب من المستقيم ، ولذا أصدرنا أمرنا هذا لكم للعمل بمقتضاه .
فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٩ - الختم (عباس حلمى)

وكان معنى ذلك ببساطة أن تكون طابا داخل الأراضى المصرية بنحو خمسة اميال طالما انه يفصل بين العقبة وطابا بطريق البحر نحو ٨ اميال كما جاء فى توصيف دار المعتمد البريطانى فى القاهرة لموقع طابا التى اعيدت اليها مصريتها وعلى ضوء ذلك بدأت اللجنة المشتركة لتعيين الحدود عملها ، فسافرت الى العقبة بطريق البحر فوصلت جزيرة فرعون فى ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦ وقد صحبت اللجنة معها ضمن ما صحبت المستر كيلن والمستر ويد وهما مهندسان انجليزيان فى قلم المساحة المصرية لرسم خريطة فنية للحدود من العقبة الى رفح ، اللذين شرعا على الفور فى رسم خريطة

العقبة وضواحيها وفى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٧ التقى اللواء رشدى باشا وعضوى اللجنة المشتركة مندوبى الحكومة العثمانية وهما الأميرالاى اركان حرب احمد مظفر بك وهو تركى الأصل والبكباشى اركان حرب محمد فهمى بك وهو كردى الأصل وبدأت اللجنة المشتركة فى المفاوضات من اجل الوصول الى مبدأ الخط الفاصل اولا . فقال الجانب العثمانى ان الدولة العلية اخلت طابا وتركتها لمصر حفظا لكرامة مصر والدولة البريطانية وان الجانب العثمانى فى المفاوضات يأمل لقاء ذلك ان يسلم الجانب المصرى بأن يبدأ الخط المستقيم المشار اليه فى كتاب الصدر الأعظم من انف الجبل الذى على شاطىء الخليج ويطل على وادى طابا من الشرق ثم يتمشى على رؤوس تلال النقب التى تطل على العقبة الى المفرق لأن هذا الحد - من وجهة نظر الجانب العثمانى - هو وحده الذى يضمن سلامة العقبة من الوجهة الحربية . ولكن الجانب المصرى اجل قراره فى هذا الموضوع الى ان تتم خريطة الحدود . ورغم ان اللجنة المشتركة المصرية التركية كانت تجتمع كل يوم أو يومين للتباحث فى خط الحدود حتى عرف كل طرف رأى الطرف الآخر ، الا أن الجانب المصرى قرر ألا يبت فى امر حتى تتم الخريطة فينظر فى خط الحدود كله دفعة واحدة .(٦٥)

وانتهى المهندسان البريطانيان من رسم خريطة العقبة فى ٤ يونيو ١٩٠٦ ، ولما كانت مذكرة ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ تقضى باتباع « خط يقرب من المستقيم يبدأ من رفح وينتهى بنقطة تبعد ثلاثة اميال على الأقل من العقبة » رأت اللجنة أن تبدأ - قبل مغادرة العقبة - بتعيين نقطة على خليج العقبة تكون بداية الخط الذى تسير عليه اللجنة فاتفقت اللجنة المشتركة على أن تكون المرشش التى تبعد ٣ ¼ ميل من قلعة العقبة هى نقطة البداية وجعلت اللجنة اول محطة لها المفرق عند رأس النقب ، وفى ٧ يونيو سنة ١٩٠٦ سار المهندسان البريطانيان امام اعضاء اللجنة المشتركة على الخط المستقيم يعينان مواقع الجبال والأماكن البارزة على جانبى الخط بالأرصاد الفلكية ويرسمان خريطة الطريق ، وسارت اللجنة فى اثرهما على الخط حتى وصلت الى رفح فى ٢٨ يونيو ، وانضم الى المهندسين المستر هيس من موظفى قلم المساحة المصرية الذى كان فى انتظارهما فرسموا خريطة للحدود خطا مستقيما من رفح الى المرشش والبلاد الواقعة على جانبيه على نحو

---

(٦٤) ابراهيم امين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، مرجع سابق ص ٢٥٢ .

(٦٥) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٦٠٥ وما بعدها .

خمسة اميال من كل جانب .

واجتمعت اللجنة المشتركة للنظر فى تعيين الحدود ووضع كل من الجانب العثمانى والجانب المصرى مشروعيهما .

وكان المشروع الذى تقدم به الجانب المصرى . خطا للحدود يقرب جدا من المستقيم وينطبق على طبيعة البلاد وتوزيع القبائل اكثر من كل خط سواه .

اما المشروع الذى تقدم به الجانب العثمانى فقد عرض خطا اسماه الخط الادارى الفاصل ويبدأ من رأس طابا على خليج العقبة ويمتد على رؤوس التلال المطلة على العقبة الى المفرق ثم يسير بطريق غزة المشهور الى ان يصل الى جبل الأحيقبة فينحرف شمالا بغرب بئر عجرود فيضمها اليه ثم يعود الى طريق غزة حتى يصل الى قرب القصيمة فينحرف غربا نحو خمسة كيلو مترات عنها ويضمها اليه ويمر فوق جبل المويلح الى الروافعة فى وادى العريش ويتمشى فى الوادى الى المقضبة ثم يسير شمالا بشرق الحد بين السواركة والترابين الى رفح ويمر بعامودى الحدود الى ان يصل الى البحر المتوسط عند تل الخرائب عند ميناء رفح على البحر المتوسط . وهكذا ادخل مشروع الجانب العثمانى فى هذا الخط كثيرا من بلاد اللحيوات والتياها والعزازمة والترابين التابعين لسيناء .

وقد عزز الجانب العثمانى مشروعه بحجة مؤداها ان قائمقامية بئر سبع بعد تأسيسها سنة ١٨٩٩ وقائمقامية غزة من قبلها ضربنا عليها الضرائب وأن مذكرة ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ تنص على ترك القديم على قدمه . (٦٦) ولكن الجانب المصرى فند هذه الحجة بالأدلة القاطعة والمحررات الرسمية وشهادة مشايخ الحدود انفسهم الذين رافقوا اللجنة من العقبة الى رفح ان البلاد التى اخرجها مشروع الجانب العثمانى من خط الجانب المصرى الذى يقرب من المستقيم وادخلها فى خط الجانب التركى المتعرج نحو الغرب كانت منذ القديم تابعة لسيناء ولم يدفع اهلها ضرائب قط الى الدولة العثمانية الا القديرات والتياها والصبحيون العزازمة الداخلين فى خط الجانب المصرى ، فقد تبين ان قائمقامية بئر سبع بعد تاسيسها سنة ١٨٩٩ ضربت عليهم بعض الضرائب ظلما واعتداء ولكن قائمقامية غزة من قبلها لم تفرض عليهم ضرائب . (٦٧)

وقد استغرقت هذه المناقشات عدة جلسات بين ٨ و ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٦ فاصر الجانب العثمانى على رأيه ولم يشأ ان يعدل موقفه ، فرفع كل من الجانب المصرى والجانب العثمانى حججه وآراءه مفصلة الى حكومته وظلت اللجنة المشتركة فى رفح تنتظر الرد حتى وصل فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٠٦ برقية لكل جانب من حكومته تخبره بما تم عليه الاتفاق بين سفير بريطانيا ومجلس الوكلاء فى الاستانة وينص على ما يلى : (٦٨)

١ ـ ان النقب من رأس طابا الشرقى الى قرب المفرق يكون للعقبة ، واما المفرق نفسه وأبار ما بين وعين قديس وعين القديرات وعين القصيمة تكون لسيناء ويكون خط الحدود من المفرق الى رفح خطا يقرب من المستقيم كما اقترحه الجانب المصرى .

٢ ـ أن تقام اعمدة على طول خط الحدود للدلالة عليه وذلك بحضور مندوبى الجانبين .

٣ ـ ان القبائل القاطنة على جانبى الخط يكون لها حق الانتفاع بالمياه كما جرت العادة وكذلك الجنود العثمانيون والأهالى والجندرمة ينتفعون من المياه التى بقيت غربى الخط الفاصل .

٤ ـ يظل الأهالى والعربان على ما كانوا عليه قبلا من حيث ملكية الاراضى والمياه كما هو متعارف بينهم .

وعقدت اللجنة المشتركة عدة جلسات لتعيين خط الحدود بموجب هذه القواعد الأربعة على الخريطة . فكان خطا يقرب جدا من المستقيم ولكنه كله يقع غربى الخط المستقيم ما عدا نقطة واحدة فيه وهى موضع عمودى رفح فانها وحدها على الخط المستقيم ، ورفع كل جانب هذا الخط مع صورة الاتفاق الى حكومته .

وفى اول اكتوبر سنة ١٩٠٦ جاء لكل جانب تصريح من حكومته بتوقيع الاتفاق والخريطة فاجتمعت اللجنة فى اليوم نفسه ورسم الخط المتفق عليه منقطا بالحبر الأسود الهندى على نسختين من خريطة الحدود ، ثم بحثت اللجنة فى اللغة التى يكتب بها الاتفاق ، واتفق الطرفان على أن تكون اللغة التركية لانها اللغة الرسمية بين مصر والدولة العثمانية وان تكتب نسختان ويوقع كل طرف على نسختى الاتفاق والخريطة ، وان يترجم الاتفاق الى الانجليزية والعربية فيأخذ كل جانب نسخة من كل ترجمة ليضمها الى الأصل الموقع . وتم توقيع الاتفاق فى الساعة الثامنة مساء اول اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، ونورد فيما يلى النص الحرفى للاتفاق كما ترجم الى العربية : (٦٩)

---

(٦٦) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٦٠٨ وما بعدها .
(٦٧) المرجع السابق ص ٦١٠ .
(٦٨) المرجع السابق .
(٦٩) المرجع السابق ص ٦١١ الى ص ٦١٤ .

« هذه هي الاتفاقية التي وقـع عليهـا وتبـودلت في رفح ، ١٣ شعبان المعظم سـنة ١٣٢٤ هـ الموافـق ١٨ ايلول سـنة ١٣٢٢ ـ اول اكتـوبر سـنة ١٩٠٦ م بين مندوبي الدولة العلية ومندوبي الخديوية الجليلة المصرية بشأن تعيين « خط فاصل اداري » بين ولاية الحجـاز ومتصرفية القدس ، وبين شبه جزيرة طور سيناء .

« بما انه قد عهد الى كل من الأمير الاى اركان حـرب احمد مظفر بك والبكباشي اركان حرب محمد فهمي بـك بصفتهما مندوبي الدولة العلية والى كل من امير اللواء براهيم فتحي باشا والأميرالاى روجر كرميكل رويرت اوين بك بصفتهما مندوبـى الخـديوية الجليلة المصرية بتعيين خط فاصل اداري بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طـور سـيناء ـ قـد اتفـق الفريقان باسم الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية على ما يأتي :

(المادة الأولى) يبدأ الخط الفاصل الاداري كما هـو مبين بالخريطة المرفوقة بهذه الاتفاقية من نقـطة رأس طابا الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتـد الى قمة جبل فـورت مـارا على رؤوس جبـال طـابا الشرقية المطلة على وادى طابا . ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالإستقامات الآتية :

من جبل فورت الى نقطة لا تتجاوز مائتي متـر الى الشرق من قمة جبل فتحي بـاشا ومنهـا الى النقـطة الحادثة من تلاقى امتداد هذا الخط بالعمود المقام مـن نقطة علي مائتي متر من قمة جبـل فتحـي بـاشا علي الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفرق (المفرق هو ملتقى طـريق غزة الى العقبـة بـطريق نخـل الى العقبة) . ومن نقطة التـلاقى المذكورة الى التلة التـي الى الشرق من مكان ماء يعـرف بثميلة الردادي والمطلة على تلك الثميلة (بحيث تبقي الثميلة غربي الخط) . ومـن هناك الى قمـة رأس الردادي المدلول عليهـا بالخريطة المذكورة اعلاه ب A 3 . ومن هناك الى رأس جبل الصفرا المدلول عليه ب A 4 .ومن هناك الى القمة الشرقية لجبل ام قف المدلول عليها ب A 5 .ومن هناك الى نقطة مدلول عليها ب A 7 . الى الشمال مـن ثميلة سويلمة . ومنها الى نقـطة مـدلول عليهـا ب A 8 الى غرب الشمال الغربي من جبل سماوي . ومن هناك الى قمة التلة التي الى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالى مـن وادي مـا بين بحيث يكون البئر شرقي الخط الفاصل) . ومـن هناك الى A 9 ومنها الى A 9 bis غربي جبل القراة . ومن هناك الى رأس العين المدلول عليه ب A 10 bis .ومـن هناك الى نقطة على جبل ام حواويط المدلول عليها ب A 11 . ومن هناك الى منتصف المسافة بين عمـودين قـائمين تحت شجرة على مسافة (٣٩٠) ثـلاثمائة وتسـعين مترا الى الجنوب الغربي من بئر رفح والمدلول عليه ب A 13 . ومن هناك الى نقطة على التلال الرملية في اتجاه (٢٨٠°) مائتين وثمـانين درجـة مـن الشـمال المغناطيسي (اعني ٨٠° الى الغـرب) وعلى مسـافة اربعمائة وعشرين مترا في خط مستقيم مـن العمـودين المذكورين . ومن هذه النقـطة يمتـد الخـط مسـتقيما باتجاه (٣٣٤°) ثلثمائة واربع وثـلاثين درجـة مـن الشـمال المغناطيسي (اعني ٢٦° الى الغـرب) الى شاطيء البحر الأبيض المتوسط مارا بتلة خـرائب على ساحل البحر .

(المادة الثانية) قد دل على الخـط الفـاصل المذكور بالمادة الأولى بخط اسود متقطع في نسـختي الخـريطة المرفوقة بهذه الاتفاقية والتي يوقـع عليهـا الفـريقان ويتبادلانها بنفس الوقت الذي يوقعان فيه على الاتفاقية ويتبادلانها .

(المادة الثالثة) تقام اعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التي على ساحل البحر الأبيض المتوسط الى النقطة التي على ساحل خليج العقبة بحيث ان كل عمود منها يمكن رؤيته من العمـود الذي يليه وذلك بحضـور مندوبي الفريقين .

(المادة الرابعة) يحافظ على اعمدة الخط الفـاصل هذه كل من الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية .

(المادة الخامسة) إذا اقتضى في المستقبل تجديد هذه الاعمدة او الزيادة عليها فكل من الطرفين يرسل مندوبا لهذه الغاية وتطبق مواقع العمد التي تـزاد على الخـط المدلول عليه في الخريطة .

(المادة السـادسة) جميع القبـائل القـاطنة في كلا الجانبين لها حق الانتفاع بالمياه حسب سابق عاداتهـا اي ان القديم يبقي على قدمه فيما يتعلق بذلك وتعـطى التامينات اللازمة بهذا الشأن الى العربان والعشائر . وكذلك العساكر الشاهانية وأفراد الأهالي والجندرمـة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل .

(المادة السـابعة) لا يؤذن للعسـاكر الشـاهانية والجندرمة بالمرور الى غربـي الخـط الفـاصل وهـم مسلحون .

(المادة الثامنة) تبقي اهالي وعربان الجهتين على ما كانت عليه قبلا من حيث ملكية المياه والحقول والأراضي في الجهتين كما هو متعارف بينهم

مندوبون من قبل
الخديوية الجليلة المصرية
امير اللواء « ابراهيم فتحي »
اميرالاى « اوين »

مندوبون من قبل
الدولة العلية
اميرالاي اركان حرب « مظفر »
بكباشي اركان حرب « فهمي »

٨٠٨

وبعد توقيع الاتفاق اصبح من الضرورى ان يعود اعضاء اللجنة المشتركة على طول الحد لتخطيطه عملا بالمادة الثالثة من الاتفاقية ورأى الجانبان ان تقام عمد على طول الخط وتثبت فى الأرض بفلنكات من حديد كعمد التلغراف وبعد ذلك تبنى فى مكان هذه العمد عمد ثابتة بالحجر والأسمنت بحضور مندوبى الجانبين . ولذا فقد احضرت من مصر عمد وفلنكات من حديد وسار الفريقان على طول الخط ونصبت العمد بحيث كان كل عمود يرى من مكان العمود الذى يليه كنص المادة الثالثة من الاتفاق وبلغ عدد العمد التى نصبت ٩١ عمودا نصب العامود رقم ١ فى ميناء رفح على تل الخرائب فى ٤ اكتوبر وآخر عمود على رأس طابا وهو العمود رقم ٩١ وذلك فى ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦ .

وفى ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٦ عاد اليوزباشى اسماعيل الفتى الى طابا مندوبا عن الجانب المصرى فى اللجنة المشتركة لبناء الاعمدة بالحجارة حسب اتفاق الجانبين ومعه عددا من الضباط والجنود المصريين يبلغ حوالى ٤٠ رجلا من الأورطة الرابعة مشاة وخمسة بنائين من قسم الاشغال العسكرية وكان القائمقام باركر بك الذى عين مديرا لسيناء قد التقى بهم فى اليوم نفسه وظلا فى انتظار المندوبين العثمانيين اللذين وصلا فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٦ وهما مظفر باشا وفهمى بك مندوبا الجانب العثمانى فى اللجنة المشتركة وانضم اليهما اليوزباشى غالب ليرافقوا مندوبى الجانب المصرى فى اللجنة المشتركة لبناء العمد ، واتفق على ان يكون شكل العمود هرما مقطوعا تكون قاعدته مترا مربعا وارتفاعه عن سطح الارض من مترين الى مترين ونصف ومسطح راسه ٣٠ سم × ٣٠ سم وان تغرز الفلنكة الحديد فى رأس العمود ، وشرع فى بناء العمد بمصاحبة المندوبين الثلاثة عن الجانب العثمانى حتى اتوا على آخرها ، وكان اول عمود بنى على رأس طابا يوم السبت ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٦ واعطى نمرة ٩١ وآخر عمود بنى على تل الخرائب فى ميناء رفح فى ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ واعطى نمرة واحد ، وبعد ان تم بناء عمد الحدود شرعت ادارة سيناء فى اقامة نقطة الشرطة على الحدود ، وقد قسم الخط الحدودى الشرقى بقصد حراسته الى ثلاثة اقسام هى : رفح ويمتد من ميناء رفح الى وادى الأبيض – القصيمة ويمتد من وادى الأبيض الى رأس وادى الأحيقبة – مشاشى الكنتلا ويمتد من رأس الاحيقبة الى نقب العقبة (٧٠) .

وهكذا عادت طابا مصرية بل عادت سيناء كلها مصرية ، ويمكن القول ان ازمة طابا هى اول شرارة اذكت الروح القومية والوطنية المصرية .

انعكاسات ازمة طابا الأولى على الدبلوماسية المصرية

كان لازمة طابا سنة ١٩٠٦ انعكاساتها سواء على الحياة السياسية والقوى السياسية فى مصر او على الحياة السياسية الدولية ونتناول الآثار السياسية لازمة طابا على النحو التالى :

١ – فى المجال الدولى :

١ – استفادت بريطانيا بذكاء من الاتفاق الودى بينها وبين فرنسا كما استفادت من معاهدة التحالف بين فرنسا وروسيا للضغط على الباب العالى واذعانه للمطالب البريطانية وقد ساعد على ذلك ضعف الأسانيد والحجج العثمانية وظهور بريطانيا بمظهر المدافع عن الحقوق المصرية ، وعلى كل فقد وضع الاتفاق الودى على محك ازمة طابا فتبين صلاحيته وفهمت الدولتان الاستعماريتان مدى الفوائد التى يمكن جنيها من تضامنهما .

٢ – لم تتمكن المانيا من مساندة الدولة العثمانية ولكن موقف الدول التى ستكون سنة ١٩١٤ معسكر الحلفاء المعادية للباب العالى ساعد على ارتماء تركيا فى احضان المانيا والنمسا .

٣ – ساعد موقف الصحافة المصرية على الترويج فى الغرب لمحاربة فكرة الجامعة الاسلامية لما بدا من ان الوطنيين يفضلون فى البلاد الاسلامية تضحية بلادهم عن الوقوف موقف العداء من الخلافة الاسلامية مما اظهر الحركات الوطنية والتحررية فى الدول الاسلامية على انها حركات دينية مبنية على التعصب وهذا سهل على الدول الاستعمارية – خاصة بريطانيا وفرنسا – ضرب الحركات التحررية وفكرة الجامعة الاسلامية بحجة انها تضرب التعصب الدينى .

٤ – ضعف الباب العالى ثم تعاون الدول الكبرى واثار ضعفه مطامع الدول البلقانية التى كانت ما تزال خاضعة لنفوذ الدولة العثمانية ففتح ذلك الباب للحروب البلقانية وهكذا عرفت الدول الكبرى ضعف الدولة العثمانية فهى تبدى التشدد اولا ثم ما تلبث ان تفرط فى القضية كلها .

٥ – ان الدولة العثمانية لم تكن تتصل – حتى ازمة طابا – بصفة رسمية مع انجلترا بشأن مصر ولكن

---

(٧٠) المرجع السابق ص ٦١٤ حتى ص ٦١٦ .

ازمة طابا اضطرتها الى الاتصال المباشر مع بـريطانيا مما اثر على نفوذ الدولة العثمانية فى مصر .[٧١] وهـذا ما قاله الصدر الاعظم .

ب ـ فى المجال الداخلى :

ن الانعـكاسات القـوية لأزمـة طـابا على الحياة السياسية المصرية تتلخص فى الآتى :

١ ـ موقف الصحافة المصرية فى ذلك الوقت مـن ازمـة طابا تحدد على النحو التالى :[٧٢]

جاهرت الصـحف المعـادية للاحتـلال البـريطانى باستيائها الشديد من تدخل بـريطانيا وقـالت إنه ليس لانجلترا حق الدفاع عن استقلال مصر الادارى فى وجه الدولة العلية لانها لو تغلبت عليها فى هذا المضمار فقدت الدولة العلية معنى السيادة الحقيقى على مصر .

ـ قالت الصـحف الموالية للاحتـلال البـريطانى : ان لانجلترا الحق الكامـل فى الدفـاع عن اسـتقلال مصر الادارى فى وجه الدولة العلية والا فان بـريطانيا تفقـد معنى السيادة الاحتلالية ويكون بعـد ذلك للدولة العلية الحق فى ان تنقص مـا شـاءت مـن اسـتقلال مصر الادارى .

ـ أيدت بعض الصحف المعتدلة قول الصـحف الموالية للاحتلال وزادت عليه ان حق انجلترا هـذا يدوم حتـى تنهض الدولة العلية وتكره بـريطانيا على الجـلاء عن مصر واما فى مسألة سيناء فالامر ليس كذلك لأن سيناء ليست جزءا من مصر ولا امتياز لهـا بـل هـى وديعـة اعطيت لها مؤقتا تسهيلا للحج المصرى ففـى احتـلال الدولة العلية لطابا تكون قد استردت جزءا مـن سـيناء لايجاد دائرة حول العقبة لا يكون لأحد كلمة فيهـا غير الاتراك كما استردت من قبـل الوجـه والمويلح وضـبا والعقبة .

ـ اما الصحف المؤيدة لموقف مصر فقالت بـأن سـيناء كانت فى معظم عصور التاريخ بل وبعد الاسلام كانت فى كل العصور تابعة لمصر وجزءا متمما لها غير منفصـل عنها وتشهد بذلك آثار مصر الباقية فى سيناء منذ عهـد الدولة المصرية الأولى الى هذا العهد .

وعلى كل فقد اثارت الصحف المحلية بعض الشـغب فى مصر خاصة وقد اتهم بعضها الانجليز بانهم يسعون لاحباط مشروع سكة الحجاز الحديدية فزادت الحكومة البريطانية حاميتها حتى بلغـت نحـو ٦ آلاف رجـل . وصرحت الحكومة البريطانية بأنها لا تسمح باقل تغيير يحصل فى امتيازات مصر الممنوحة لها فى الفرمانات الا اذا صدقته واقـرته بـريطانيا وقـالت اننا دخلنا مصر وسيناء جزءا منها وتحت ادارتها وسترى انهـا تبقـى كذلك ما دمنا فيها .

٢ ـ ادت ازمة طابا الى وضع بذور وارهاصات نشـوء القـومية المصرية والانتمـاء المصرى والولاء الموحـــد لمصر ، او بعبارة اخـرى تحـديد الذات او الشـخصية المصرية ، ففى عصر الهيمنة العثمـانية سـيطر عامـل الدين او عامل القومية الدينية ولم تكن هناك حساسيات اقليمية فكان مركز القوة يتحرك من قطر الى آخر وكان القطر الواحد تابعا يوما ومتبوعا غدا على التناوب دون حرج ، ولقـد اعتـرفت الحـكومة البـريطانية ـ رغم احتـلالها لمصر ـ بـالتبعية المصرية للدولة العثمـانية وحتى الحرب العالمية الأولى عندما فـرضت حمـايتها على مصر ... وابان ازمة طابا سنة ١٩٠٦ كانت هناك ثلاث سلطات فى مصر ، سلطة فعلية يمثلهـا الاحتـلال البريطانى ، وسلطة شرعية يمثلها الخـديو ، وسـلطة قانونية يمثلها السـلطان العثمـانى ، وكانت السـلطة القانونية للدولة العثمانية تتخـذ عدة مـظاهر اولها : الصلاحيات التـى منحتهـا تسـوية ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ للسلطان باصدار فرمان تعيين ابناء اسرة محمد على فى ولاية مصر كلمـا خلت ، وهـذه الصـلاحيات لم تتـح الفرصة للباب العالى لاستخدامها الا مرة واحدة فقـط عند تولية عبـاس الثـانى فى يناير سـنة ١٨٩٢ ، وفى العادة ان ولاية حاكم جديد من اسرة محمـد على كانت فرصة ينتهزهـا السلطان العثمانى لكسب يدعم به تبعية مصر للدولة العثمـــانية او للرجـــوع فى تنازل يكون السلطان قد منحه للحـاكم السـابق[٧٣] وقـد عمـدت سلطات الاحتلال البريطانى الى تضـييع تلك الفـرصة على السلطان ونجحت فى ذلك ، فعند وفاة الخديو توفيق اتخذ اللورد كرومر كافة الترتيبات لاعلان الأمير عباس خديو يا لمصر مما اصبح معه مـن الصـعب بـل ومـن المستحيل تدخل السلطان ، الذى لم يعد امـامه سـوى

---

(٧١) انظر نص رسالة احمد شفيق باشا من الاستانة الى الخديو عباس فى ٢٨ مايو سنة ١٩٠٦ ، فى الحـاج احمـد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ٩٠ .

(٧٢) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٦٠١ .

(٧٣) - Ahmed Abd el Rahim Mustafa : Some Aspects of Egypt's Foreign Relations Under Abbas 2. The Annals of the Faculty of Arts. Ain Shams University Vol. VIII, 1963.

التصديق على كل ما تم وارسال فرمان التولية (٧٤) ، وهكذا نجحت السلطة الفعلية فى حد بل وحرمان السلطة القانونية من ممارسة فعالياتها . ثانيها : اقامة مندوب سامى تركى فى القاهرة منذ عام ١٨٨٥ وقد جاء فى البداية بهدف التفاوض لاخراج الانجليز فيما عرف بمفاوضات مختار - وولف (١٨٨٥ - ١٨٨٧) وبعد شل المفاوضات استقر فى القاهرة باعتباره الرمز الحى للسلطة القانونية فى مصر وكان يطلق عليه لقب « قوميسيير عثمانى » وكان واجبه حماية الحقوق التى كانت تركيا لا تزال تمتلكها ضد توغل بريطانيا العظمى (٧٥) وكان استمرار هذا المنصب شوكة فى حلق الوجود البريطانى فى مصر حيث اقام الغازى مختار باشا علاقة خاصة مع القوى السياسية المصرية المناهضة للوجود البريطانى ، سواء تمثلت هذه القوى فى عباس الثانى شخصيا الذى التزم بخطة العداء نحو كرومر وقد وجد فى الغازى مختار سندا قويا فى هذا الصدد ، او تمثلت فى الحزب الوطنى وتشجيع مصطفى كامل على الاتجاه نحو تبنى فكرة الجامعة الاسلامية ، ومنها ايضا موقف القومسيير العثمانى خلال ازمة طابا من تحريض للسلطان على الاحتفاظ بالمواقع المصرية التى احتلتها القوات العثمانية على خليج العقبة (٧٦) وقد دفعت هذه الحادثة الى تفجير ازمة سياسية كادت تنقلب الى صدام عسكرى فى الخليج ، ولقد أدى نجاح بريطانيا فى ازمة طابا إلى أن اندفعت الى شل فاعلية هذا المنصب ايام الغازى مختار باشا وعدم تعامل بريطانيا معه باعتبار ان الخديو هو الممثل الشرعي الوحيد للسلطان فى مصر . وبالجملة قضت ازمة طابا على نفوذ المندوب العثمانى فى مصر واصبحت الهيمنة الكبرى للانجليز . **ثالثها** : ما خوله الباب العالى لنفسه من حقوق على الأراضى المصرية باعتبارها فى النهاية جزءا لا يتجزأ من اراضى الامبراطورية العثمانية وبالذات الاراضى المتاخمة لفلسطين حيث كانت الدولة العثمانية لا زالت تمارس سيادتها الفعلية ، وقد حاول السلطان استخدام حقه فى انتزاع بعض الاراضى المصرية مرتين فى عهد الاحتلال البريطانى . الاولى عام ١٨٩٢ عند تولية الخديو عباس وفى هذه المرة بعد ان افلتت من الباب العالى فرصة المساومة على تعيين عباس الثانى فى الخديوية حاول تعويضها بأن ادخل فى فرمان التولية بعض التغييرات على حدود الأراضى التى يديرها الخديو باقتطاع سيناء من هذه الاراضى ولكن الضغط البريطانى نجح فى اجبار السلطان على التراجع كما سبق ان اشرنا (٧٧) والثانية سنة ١٩٠٦ فى ازمة طابا تلك الازمة التى تجاوز فيها الباب العالى مرحلة الادعاءات كما حدث فى ازمة فرمان التولية سنة ١٨٩٢ الى مرحلة العمل باحتلال قواته ميناء طابا المصرى على خليج العقبة وفى هذه المرة ايضا وقفت سلطات الاحتلال البريطانى بصلابة فى مواجهة العمل العثمانى مما اسفر عن تراجع مخز - كما راينا - للدبلوماسية العثمانية وقد نجم عن هذا التراجع نصر كبير للسلطة الفعلية على السلطة القانونية ليس فقط فى نطاق ازمة طابا ولكن ايضا - وهذا هو الاهم - فى طبيعة العلاقات العثمانية والبريطانية مع مصر ، وهذا ما عاترف به السفير البريطانى فى الاستانة من ان ازمة طابا قد اقرت مبدأ اعتراف الحكومة العثمانية بحق الحكومة البريطانية بالتدخل فى شئون مصر وفى المفاوضات التى يمكن ان تجرى بين الحكومة العثمانية وبين الخديو (٧٨) وهذا ما يعنى تنازل الدولة العثمانية عن جانب هام من سلطاتها القانونية على مصر لسلطات الاحتلال البريطانى .

٣ - فقدت بريطانيا ثقتها فى الخديو عباس بعد حصول كرومر على صور المراسلات السرية المتبادلة بين الخديو عباس والسلطان اثناء ازمة طابا والتى يفهم منها بأن الخديو كان يتظاهر بأنه يعمل مع المصالح البريطانية فى الوقت الذى كان فى تعامله مع السلطان العثمانى يبين له انه لا يوافق على السلوك البريطانى فى الأزمة ، وقد حاول الخديو ان يبرر موقفه هذا فى حديث ادلى به الى مراسل جريدة الديلى تلجراف البريطانية فى اواخر مارس سنة ١٩٠٧ بعد انفراج الازمة بقوله أنه رغم احترامه للسلطان باعتباره الرئيس الدينى لا يمكن ان يتنازل لتركيا عن اى امتياز ناله اجداده وان

---

(٧٤) - Cromer, The Earl of Abbas 2, London, 1915, P.P. 1 - 3

(٧٥) منكرات عباس حلمى الثانى ، المصرى فى ١٩٥١/٥/٧ .

(٧٦) - Further Correspondence Respecting the Affairs of Egypt and the Sudan P.LXIV,NO. 147, O'Conor to Grey March 14, 1906 Tel. No. 39.

(٧٧) - Cromer, Modern Egypt, Vol. II PP. 268 - 269.

(٧٨) - Correspondence p. LXV No. 359 O'Conor to Grey, May 15, 1906 Desp. No.332

المصريين يؤيدونه فى ذلك ، وعلى ذلك فـــانه ـ اى الخديو ـ يرى ان اتهامه فى ازمة طابا بالاشتغال لصالح تركيا مردود وليس له اصل (٧٩) بالرغم من كل ذلك اخذت سلطات الاحتلال البريطانى تتحين الفرصة الملائمة لخلع الخديو عباس والتخلص منه وكان فى نشوب الحرب العالمية الأولى الفرصة المواتية وكان الخديو عباس وقتها كعادته يقضى الصيف فى الاستانة كل عام وطلب عباس من الحكومة البريطانية مساعدته فى العودة الى مصر فنصحته بالاتجاه الى بلد محايد فى الوقت الحاضر وليكن ايطاليا ولكن الخديو رفض وفى هذا الرفض كان يمضى نفيه السياسى وانتحاره السياسى ، والواقع ان بريطانيا لم ترغب فى مساعدة الخديو فى العودة الى مصر لأنه لم يكن فى ماضيه السياسى بالنسبة لها ما يشجعها على اجابة طلبه فخشيت اذا هو عاد فى هذه الظروف ان يزداد مركزها حرجا فى مصر خاصة خلال فترة الحرب ، فعزلته بريطانيا وعينت بدلا منه السلطان حسين كامل فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، وقد جاء فى التبليغ الذى ارسله السير ملن شيتهام نائب الحكومة البريطانية فى مصر الى الحاكم الجديد فى نفس التاريخ « ان لدى حكومة جلالة الملك ادلة وافرة على ان سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق قد انضم انضماما قطعيا الى اعداء جلالته منذ اول نشوب الحرب مع المانيا وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا للخديو السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالته » (٨٠)

٤ ـ ادت ازمة طابا الى غلبة تزايد مشاعر الانتماء المصرى على مشاعر الانتماء العثمانى واضحى جليا ان الانتماء الاسلامى لا يعنى بالضرورة التبعية او الانتماء العثمانى ، ومع الوقت اخذت الوطنية المصرية تعبر عن ذاتها ويتحول اليها تدريجيا ولاء جماهير المصريين بدلا من الولاء للدولة العثمانية مما كان مقدمة للدعوة الى فكرة الاستقلال الوطنى .... وعلى كل فقد غيرت ازمة طابا التيارات الفكرية فى مصر وكانت سببا فى اضمحلال الحزب الوطنى وتوجيه حركة التحرر الوطنى نحو افاق جديدة فقد كان موقف الحزب الوطنى من ازمة طابا مؤيدا للدولة العثمانية ومضحيا بالمصالح المصرية وسلخ جزء من التراب الوطنى المصرى واعطائه للدولة العثمانية كان موقف الحزب الوطنى هذا مثار نقد من غالبية المثقفين المصريين وقد احس مصطفى كامل بذلك فحاول مقاومة هذا التيار بحملة دعائية واسعة فى اوربا ليثبت للرأى العام الغربى ان العالم الاسلامى بعيد عن التعصب ، ولم يستطع القول بان الدولة العلية والقومسيير العثمانى فى مصر الغازى مختار باشا كانا يمدانه بالمال للقيام بالدعاية ضد الاحتلال البريطانى . وعلى ذلك بدات تظهر فى الأفق احزاب سياسية ذات برامج وطنية واكثر تحررا من التبعية العثمانية منها على سبيل المثال حزب الامة الذى انشىء سنة ١٩٠٧ معبرا عن الانتماء المصرى كبديل للانتماء العثمانى .

وهكذا نرى البصمات البعيدة الغور التى تركتها ازمة طابا سواء على المستوى الوطنى المحلى فى مصر او على المستوى السياسى الدولى .

ازمة طابا الثانية سنة ١٩٨٢

لقد قدر لطابا مرة ثانية ان تكون مركز اهتمام الدبلوماسية المصرية والدبلوماسية الاسرائيلية وذلك خلال ترتيبات الانسحاب النهائى لاسرائيل من شبه جزيرة سيناء .

مقدمات الازمة :

فى اعقاب الغزو الاسرائيلى لسيناء سنة ١٩٥٦ كانت هناك محاولات من بعض الكتاب للتشكيك فى خضوع سيناء نفسها للسيادة القانونية لمصر(٨١) . منها محاولة الكاتب الكندى اليهودى الكولونيل بلومفيلد الذى الف كتابا لهذا الغرض سنة ١٩٥٧(٨٢) وبالرغم من ضعف الحجج الواردة فى هذا الكتاب فقد نقلت منه عبارات فى الفصل الخامس باكتساب الاقليم فى موسوعة وايتمان(٨٣) . كما نادى بنفس الفكرة اللورد

---

(٧٩) الحاج احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، مرجع سابق ص ١١٦ .

(٨٠) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، مرجع سابق ص ٧٣٠ .

(٨١) د . ابراهيم شحاته ، قضية الحدود الامنة والتوسع الاسرائيلى ، مجلة السياسة الدولية القاهرة ، العدد ٢٥ ـ يوليو سنة ١٩٧١ ، ص ٥٣٢ .

(٨٢) - L.M. Bloom field, Egypt, Israel and the Gulf of Aqaba in International law, 1957.

(٨٣) وايتمان ، الجزء ٢ ص ١١٠٤ وما بعدها .

٨١٢
Soulbury اليهودى البريطانى فى خطابه الى جريدة التيمز اللندنية[٨٤] والمنشور كملحق فى كتاب بلومفيلد وقد عاد بلومفيلد الى الادعاء نفسه فى خطاب نشرته له جريدة نيويورك تيمز الامريكية فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٧[٨٥] وتستند محاولة التشكيك هذه الى النص فى ملحق معاهدة لندن على الخط المحازى لخليجى العقبة والسويس (أى المحدد لجنوب سيناء) كجزء من « سوريا الجنوبية » وليس من مصر[٨٦] والى نص فرمان ٢٣ مايو سنة ١٨٤١ بتثبيت محمد على واليا على مصر مع رسم حدود هذه الولاية فى خريطة مرفقة تتضمن خطا بين السويس ورفح والى اغفال ذكر سيناء كاملة فى الفرمانات اللاحقة بتعيين الخديو ، الا انه لايمكن تجاهل التطورات اللاحقة ، فقد ظلت سيناء كلها منذ عهد محمد على تحت ولاية الحكومة المصرية دون انقطاع[٨٧] وفى سنة ١٨٩٢ صدر فرمان الباب العالى بتعيين الخديو عباس حلمى ونص هذا الفرمان على اعتباره خديو لمصر « بحدودها القديمة المعروفة فى فرمان سنة ١٨٤١ مع الاضافات الواردة فى فرمان سنة ١٨٦٥ ، فقامت الحكومة البريطانية صاحبة السيادة الفعلية على مصر بالاتصال بالحكومة العثمانية طالبة توضيح وضع سيناء التى كانت ضمن الاقاليم الخاضعة فعلا لحكومة الخديو . وجاء رد الصدر الاعظم الى الخديو عباس فى برقية ٨ ابريل سنة ١٨٩٢ التى نصت على انه « فيما يتعلق بحدود سيناء يستمر الوضع القائم وتقوم الخديوية بادارتها بنفس الطريقة التى كانت تدار بها فى عهد جدك اسماعيل باشا ووالدك محمد توفيق باشا »[٨٨] .

وبناء على ذلك اصدر القنصل العام البريطانى السير بارنج (لورد كرومر فيما بعد) الى وزير الخارجية المصرى مذكرة تفيد موافقة الحكومة البريطانية على « الحدود » المذكورة فى الفرمان « مكملة ومعدلة وموضحة ببرقية ٨ ابريل » اى بما يشمل سيناء كلها . وقد استمر هذا الوضع دون منازعة حتى سنة ١٩٠٦ عندما نشب خلاف بين الحكومة العثمانية من جهة والحكومتين البريطانية والمصرية من جهة اخرى حول وضع بعض الاماكن شرقى سيناء ، وانتهى الخلاف بصدور الارادة السلطانية بقبول الخط من رفح الى العقبة (ثلاثة اميال غربى العقبة) كالخط المحدد للمنطقة الخاضعة لادارة الخديو . وتم توقيع اتفاق وخرائط بناء على ذلك بين المندوبين الاتراك والمصريين واعتمدت هذه النتيجة من جانب المعتمد البريطانى فى القاهرة بتاريخ ٢ اكتوبر

---

(٨٤) - L.M. Bloomfield, Egypt, Israel OP. cit. PP. 217 -
ايضا جريدة التيمز اللندنية فى ١٩٥٧/٢/٦ .

(٨٥) انظر تعليقا على هذا الخطاب فى : - Aziza Fahmy, The Sinai Peinsula, Egyptien Rev. Inter. L. No 23 - 1967, Annex.

(٨٦) - Separate Act, annexed to Convention for the Pacification of the Levant between Great Britain, Austria, Prussia, Russia and Ottoman Empire.
وقد تم تبادل التصديق عليه فى ١٨٤٠/٩/٢٧ ، النص : « يعد الباب العالى بمنح محمد على ، هو وذريته المباشرة ، ادارة باشالك مصر ، كما يعد بمنح محمد على على مدى الحياة ، بلقب باشا عكا وقيادة قلعة سان جون فى عكا ، ادارة الجزء الجنوبى من سوريا المحدد بالخط التالى : يبدا الخط من راس ناخورة على شاطىء المتوسط .. حتى يصل الى النقطة الشمالية لخليج العقبة ومن هناك يتبع الشاطىء الغربى لخليج العقبة والشاطىء الشرقى لخليج السويس حتى يصل الى السويس . انظر الاصل الفرنسى منقولا فى بلومفيلد ص ١١١ .

(٨٧) يفيد اللورد كرومر ، فى مراسلاته الرسمية مع حكومته بتاريخ ١٩٠٦/٥/٢١ بان « رفح التى تقع على مسافة شرقى العريش أعترف بها دائما كالنقطة التى يبدا منها خط الحدود شمالا » « وان « رحالة عربيا معروفا عاش وكتب فى الفترة بين ١٢٧٤ و ١٣٣٢ وصف الحدود الشرقية لمصر على النحو التالى : تحد مصر شرقا نقطة على بحر القلزم (البحر الاحمر) مقابل اسوان حتى غرب قصير القلزم (السويس حاليا) الى صحراء تيه بنى اسرائيل ثم يتجه الخط شمالا الى البحر الابيض عند رفح من اعمال العريش »

(٨٨) - British Documents on the Origins of the War, 1898- 1914, Vol., V, PP. 18 - 19 (Brit. Cmd. 3006).

سنة ١٩٠٦[٨٩] وقد اعتبر هذا الخط هو الحدود الدولية بين مصر وفلسطين اثناء الانتداب البريطانى على الاخيرة . وبعد ان استقلت مصر فى فبراير سنة ١٩٢٢ ، تنازلت تركيا بموجب معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣[٩٠] عن كل حقوقها وادعاءاتها على مصر والسودان من تاريخ ٥ نوفمبر ١٩١٤ (اى قبيل اعلان وضع مصر تحت الحماية البريطانية) ولم تنازع اية دولة منذ ذلك التاريخ وحتى الآن فى السيادة المصرية على سيناء ابتداء من الخط الموصل بين رفح ونقطة على رأس خليج العقبة تقع على بعد ثلاثة اميال غربى ميناء العقبة . ثم اتت اتفاقية الهدنة بين مصر واسرائيل فى فبراير سنة ١٩٤٩ لتصف كما سيجىء هذا الخط بانه « الحدود المصرية (المادة ٦) مما يفيد اعتراف اسرائيل نفسها بهذه الصفة له .

أما الادعاء بان سيناء لم تخضع للسيادة المصرية فلا يستند بعد ذلك الا الى القول بان السلطان العثمانى قد سلم فقط بوضعها تحت « ادارة » الحكومة المصرية دون « سيادتها » . ويتناسى هذا الادعاء انه فى الوقت الذى استعمل فيه لفظ « الادارة » للتعبير عن سلطات الحكومة المصرية على سيناء سواء فى ١٨٤٠ او فى ١٨٩٢ ، لم تكن للحكومة المصرية سوى سلطات الادارة على اقليم مصر كلها . وقد استعمل نفس اللفظ فى معاهدة سنة ١٨٤٠ بشأن سلطات محمد على فوق مصر وليس فقط فوق جنوب سوريا . ذلك ان سلطة الحكومة المصرية لم تتحول الى سيادة قانونية الا بالاستقلال فى سنة ١٩٢٢ الذى تنازلت بعده تركيا فى معاهدة لوزان عن اية حقوق كانت لها على مصر بحدودها المعروفة وقت المعاهدة وبأثر رجعى .

كيف نشأت ازمة طابا الثانية :

فقد انسحبت اسرائيل سنة ١٩٥٧ من سيناء الى حدود مصر الدولية بما فيها طابا ذلك ان حدود مصر الدولية قد اكتسبت هذه الصفة قبل انشاء اسرائيل بزمن طويل . وعادت مسألة الحدود الامنة تطرحها اسرائيل مرة اخرى فى اعقاب حرب الايام الستة يونيو سنة ١٩٦٧ ثم حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ الى ان عقدت معاهدة السلام بين مصر واسرائيل فى مارس سنة ١٩٧٩ . والتى نصت فى مادتها الاولى على ان « تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ماوراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الاول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء »[٩١] ثم اكدت ذلك المادة الثانية من نفس المعاهدة بقولها « ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح بالخريطة فى الملحق الثانى »[٩٢] ونص الملحق العسكرى المرفق بالمعاهدة فى مادته الاولى على ان يتم الانسحاب الاسرائيلى على مرحلتين الاولى الانسحاب المرحلى الى الخط الممتد شرق العريش رأس محمد ثم فى المرحلة الثانية يتم الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء الى ماوراء الحدود الدولية .

كما نص الملحق العسكرى فى مادته الاولى ايضا على

---

(٨٩) المرجع السابق ، ص ٥ – ٢٨ – ١٩٥ .

وانظر ايضا الرسائل المتبادلة بين وزير الخارجية العثمانى والسفير البريطانى فى القسطنطينية فى مايو ١٩٠٦ بشأن تحديد مهمة اللجنة التركية المصرية المكلفة بتخطيط الحدود ، حيث حدد الوزير العثمانى هذه المهمة فيما يلى :

« ... pour tracer la ligne de démarcation à partir de Rafeh près d'El Arish, et allant vers la ligne du sudEst en une ligne approximativement directe jusqu'à un point sur le Golfe d'Akaba à une distance d'au moins trois miles d'akaba »

ووافق السفير البريطانى على ذلك

British state papers 481 - 2

وبلومفيلد ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

وراجع اشارة اللورد كرومر لهذه المسالة فى كتابه **Cromer, Modern Egypt, Vol. II, p. 269**

وبصفة عامة **Stanley Sinai and palestine in Connection with their history (1910).**

(٩٠) المادة ١٦ ، ١٧ من معاهدة الصلح مع تركيا ، منشورة فى :

des matens, Nouveau Recueil Géneral de Traltés, Sér. III, vol . 13 P.338.

(٩١) الفقرة الثانية من المادة الاولى من معاهدة السلام بين مصر واسرائيل سنة ١٩٧٩ .

(٩٢) المادة الثانية من معاهدة السلام بين مصر واسرائيل سنة ١٩٧٩

ان يتـم تشـكيل لجنة مصرية ــ اسرائيلية مشـتركة للاشراف على عمليات الانسـحاب على ان تحـل هـذه اللجنة فور استكمال الانسحاب الاسرائيلي النهـائي . ومهمة هذه اللجنة المشتركة كما حددتها المادة الرابعـة من معاهدة السـلام المصرية الاسرائيلية هـو تسـهيل تنفيذ هذه المعاهدة ، وتنص المادة الرابعـة مـن تنظيم التحـركات في سـيناء على ان اللجنة المشـتركة هـذه تختص ايضا بمواجهة والسعي الى حل اى مشكلات قد تنشأ خلال تنفيذ الانسحاب كما تقوم هذه اللجنةبتنظيم الخط الفاصل للحدود الدولية .

وعقب ابرام معاهدة السـلام المصرية الاسرائيلية في مارس سنة ١٩٧٩ قرر الجانب الاسرائيلي ان يوسـع الاقاليم التـي تحيط بميناء ايلات التـي ليسـت لهـا شواطيء فتقرر بناء فندق سياحي في وادى طـابا وقـد سمحت اسرائيل للرأسمالي الاسرائيلي رافي نيلسـون باقامة هذا الفندق الكبير وفي الوقت ذاته انتهز الفرصة لاقامة شاطيء (بلاج) خاص قرب الفندق يأتـي اليه الاسرائيليون المقيمون في ايلات ، وقد تم ذلك بعد توقيع الاتفاقية ودون ابلاغ الحكومة المصرية بـذلك ممـا يدل على سوء نية الجـانب الاسرائيلي وتـراخي واهمـال الجانب المصرى الذى لم يعترض على اقامة مثـل هـذا الفندق في الاراضي المصرية .

وفي اكتوبر سنة ١٩٨١ وخلال احـدى الاجتمـاعات المسـتمرة بين الجـانبين المصى والاسرائيلي في اللجنة الوزارية العليا لترتيبات الانسحاب النهائي واسـتلام وتسـلم المناطـــق والاراضي والمنشآت كانت اللجنة المشتركة المصرية ــ الاسرائيلية تحاول ان ترسم الخط الفاصل للحدود الدولية المصرية بداءة برفح على البحـر المتوسط الى خليج العقبة تـم الاتفـاق على وضـع كل العلامات على الحدود ماعدا العلامة رقم ٩١ الخـاصة بطابا فوقع خلاف بين الجانبين المصرى والاسرائيلي ، وحاولت اللجنة العسكرية المصرية الاسرائيلية جـاهدة خلال اجتماعاتها المتعـددة وزياراتهـا الميدانية لخـط الحدود لاعادة تعليم نقاط الحدود ان تصل الى اتفاق ، وفي مـارس سـنة ١٩٨٢ اعلن اللواء محسـن حمـدى رئيس الجـانب المصرى في اللجنة العسـكرية ان هناك خلافات بين مصر واسرائيل على بعض النقاط وان هذه الخلافات يتم بحثها وان الموقف المصرى محدد وواضح في مسألة نقاط وعلامات الحدود حيث ان كل شيء يتـم وفقا للخرائط والوثـائق التـاريخية الموجـودة والتـي توضح بلا ادنى شك او غموض حد الحدود الدولية لمصر وقال انه لاخـلاف بين الجـانبين على ان الانسـحاب سيتم حتى الحدود الدولية لمصر مـع فلسـطين تحـ الانتداب ولكن الخلاف يتركز حول تفسير وجهة نظر كل جانب لوضع نقاط وعلامات الحدود على هذا الخط وان الخلاف في التفسير بين الجانبين المصرى والاسرائيلي يقل عن بضعة امتار في بعض النقاط ولايزيد عن ١٠٢٠ مترا في اكبـرها ، وان هناك خـلافات حـول نقـاط وعلامات الحدود عند منطقة طابا وكانت هذه اول مـرة يعلن فيها رسميا عن وجود هذا الخلاف حـول طـابا . وبعدها بايام اعتـرف كمـال حسـن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرية بعد لقـائه مـع ابريل شارون وزير الدفـاع الاسرائيلي في سـيناء ــ وهمـا رئيسا الجـانبين المصرى والاسرائيلي في اللجنة العليا لترتيبات الانسحاب ــ بـأن هناك خـلافا في وجهـات النظر حول طابا . وانه واثق من انه سـيحل وان مصر لن تتنازل او تفرط في سنتيمتر واحد من اراضـيها وان الحفـاظ على وحـدة التـراب الوطني المصرى هـدف اسـاسي وركيزة لكل تحـرك[٩٣] واشـار الى ان هـذا الخلاف نشأ حول تفسير كلمة الميول الشرقية لتل طابا حيث ان الوثائق التاريخية والخـرائط الموجـودة لدى الجانبين المصرى والاسرائيلي تـوضح خـط الحـدود بالتفصيل في كافة المواقع . وفي منطقة طـابا تـؤكد ان نقطة الحدود تقـع على الميول الشرقية لتـل طـابا وان الخلاف ينحصر حول تفسير اسرائيل لهذه الكلمة حيث يحددون لها موقعا مخالفا لموقعها المحـدد الذى نعـرفه وان مساحة الخـلاف هـذه لاتتجـاوز ١٠٢٠ متـرا . واشار السيد كمـال حسـن على بـأن الجـانبين سيواصلان المباحثات حول هـذه النقـطة مـن اجـل التوصل الى حلها وان مصر متأكدة انها ستتمكن مـن ازالة هذه العقبة حيث ان الحق في جانبها وفقا للواقـع وعلى اساس ماتوضحه اتفاقية سنة ١٩٠٦ بخصوص مسألة طابا حيث ان طابا مصرية مـائة في المائة ، وان مسألة طابا سـتبحث بـالتفصيل في مبـاحثات اللجنة الوزارية لترتيبات الانسحاب التى تعقد في اسرائيل بعد ايام وبالفعل بعد ايام سافر كمال حسن على والدكتـور بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية المصرى الى اسرائيل وعقدت اجتماعات ودارت مفـاوضات طـويلة ومكثفة مـع مناحـم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلي وابريل شـارون وزير الدفـاع واسـحق شـامير وزير

---

(٩٣) جريدة الاخبار ، القاهرة ٢٩ ابريل سنة ١٩٨٢ .

الخارجية الاسرائيلى وعرضت مصر موقفها المبدئى بصراحة ووضوح وهو انه لاتنازل ولاتفريط فى حبة رمل واحدة من سيناء وان اى خلاف حول الحدود يجب ان يحل وفقا للمادة السابعة من معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية والتى تنص على انه « ١ ـ تحل الخلافات بشأن تطبيق او تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة . ٢ ـ اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة تحل بالتوفيق او تحال الى التحكيم[٩٤] وهكذا تحدد هذه المادة ثلاث وسائل لحل اى خلاف .

اولها : مزيد من المفاوضات . ثانيهما : التوفيق عن طريق وسيط ثالث . ثالثها : التحكيم الدولى . وأبدت مصر رغبتها فى اللجوء الى التحكيم حيث ان الخلاف لم يكن حله عن طريق المفاوضات ورفض الجانب الاسرائيلى رغبة مصر فى اللجوء الى التحكيم بحجة انه لم يتم بعد استنفاد وسيلة المفاوضة او وسيلة التوفيق التى تنص عليها المادة السابعة ... وفى هذا الوقت عرف الجانب المصرى ان اسرائيل قامت ببناء فندق ضخم فى وادى طابا وان هذا الفندق بدأت انشاءاته بعد توقيع اتفاقية السلام ولم يتم الانتهاء منه حتى الآن .

وقبل الانسحاب الاسرائيلى قامت مصر بنشاط دبلوماسى مكثف وقدمت اسانيدها وحججها وهى :

١ ـ ان العلامة رقم ٩١ موجودة فى طابا .

٢ ـ الخرائط تؤكد حق مصر فى طابا وان طابا مصرية .

٣ ـ وصف المنطقة التى تضمنته الاتفاقات والمواثيق الدولية يؤكد مصرية طابا .

٤ ـ ان اسرائيل عقب عدوان سنة ١٩٥٦ وعند انسحابها من سيناء سنة ١٩٥٧ الى الحدود الدولية المصرية تم انسحابها وفق المفهوم المصرى .

٥ ـ ان المشكلة فنية يمكن ان يتم توسيتها عن طريق خبراء فى بضعة ساعات .

أما الجانب الاسرائيلى فقد ادعى انه كان هناك خطأ فى رسم الحدود الدولية لمصر وان موقف اسرائيل ليس سوى تصحيح لهذا الخطأ ، ومن ثم لابد من الرجوع الى المادة السابعة فى معاهدة السلام بين اسرائيل ومصر والتى تقول فى فقرتها الاولى ان المنازعات المتعلقة بتطبيق هذه المعاهدة او تفسيرها يجب ان تتم تسويتها عن طريق المفاوضات وانشاء لجنة وان هذا التفاوض قد يستمر بضعة اشهر ، اما الفقرة الثانية من هذه المادة فهى تقول ان المنازعات التى لايمكن تسويتها عن طريق المفاوضات يجب تسويتها عن طريق التوفيق او التحكيم . ويرى الجانب المصرى على هدى الادعاء الاسرائيلى بان النزاع حول طابا هو نزاع على متعلق بتفسير نصوص وقرارات المعاهدة وبالتالى فيجب ان تتم تسويته وفقا للتحكيم وقرار التحكيم ملزم . بينما يرى الجانب الاسرائيلى الذى يريد كسب الوقت على هذا الاقتراح المصرى بان النزاع يجب تسويته اولا عن طريق التوفيق ، وهو غير ملزم وان رفض احد الطرفين او كل من الطرفين قرار لجنة التوفيق حينئذ يأتى دور التحكيم فى حل الازمة وهكذا تبدو مناورة الجانب الاسرائيلى الذى يريد كسب الوقت لان القاعدة انه لايجوز الالتجاء الى الاسلوب الاول وهو التوفيق او الاسلوب الثانى وهو التحكيم الا بموافقة طرفى النزاع .

اجراء مؤقت حتى يتم الحل النهائى :

و وحسما للخلاف وحتى لاتعرقل ازمة طابا عملية الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء عن موعده المحدد تقدمت مصر بالمقترحات التالية :

١ ـ ان تنسحب اسرائيل من المناطق المتنازع عليها فى طابا الى خط الحدود الذى تراه مصر

٢ ـ ان تتقدم السلطة المصرية الى خط الحدود الذى تراه اسرائيل فى هذه المناطق

٣ ـ ان تجمد الحياة فى طابا وتدخلها قوات حفظ السلام حتى يتم التوصل الى اتفاق حلها .

٤ ـ ان يتم حل الخلاف على اساس المادة السابعة من معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية وتستمر الجهود والاتصالات الدبلوماسية بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية على اعلى مستوى ثم كانت ليلة ٢٤ ابريل سنة ١٩٨٢ وقبل الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء بساعات اذ وصل الوفدان الامريكى والاسرائيلى الى القاهرة وعقدت فى وزارة الخارجية المصرية جلسة مباحثات ثلاثية استمرت حتى منتصف الليل وغادر الوفدان القاهرة الى تل أبيب لعرض الافكار النهائية على الجانب الاسرائيلى .

وفى مساء ٢٦ ابريل سنة ١٩٨٢ وقع كل من السفير شافعى عبد الحميد وكيل الخارجية المصرية ودينفيد كيمحا سكرتير عام الخارجية الاسرائيلية اتفاقا بين مصر واسرائيل حول اسلوب واسس تسوية الخلاف حول نهاية خط الحدود فى منطقة رأس طابا على خليج العقبة وذلك وفقا للأسس التالية[٩٥] :

---

(٩٤) المادة السابعة من معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، مارس سنة ١٩٧٩

(٩٥) جريدة الاهرام ، القاهرة فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٨٢ .

١ ـ الانسحاب الاسرائيلى الى ماوراء خط الحدود الدولى الذى تراه مصر .
٢ ـ ان تتواجد القوات المتعددة الجنسيات والمراقبون فى المنطقة المختلف عليها الى ان يتم الاتفاق بشكل نهائى على الحدود .
٣ ـ عدم قيام اسرائيل باية انشاءات جديدة فى المنطقة حتى يتم التوصل الى حل نهائى للخلاف بالتوفيق او التحكيم .
٤ ـ تبدأ الاجتماعات لبحث اسلوب تطبيق المادة السابعة من معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية وهى التى تنص على التوفيق او التحكيم وذلك بعد ان استنفدالطرفان سبل التفاوض حول هذا الخلاف .
٥ ـ تشترك الولايات المتحدة الامريكية فى هذه الاجتماعات هى بناء على طلب الفريقين .

هذه هى المبادىء الخمسة التى تحكم الاوضاع فى منطقة طابا المتنازع عليها حتى يتم التوصل الى حل نهائى للمشكلة بقرار من لجنة التوفيق او لجنة التحكيم .

ان طابا تقع على بعد عشرة كيلومترات بعد ميناء ايلات الاسرائيلى بالقرب من نهاية خليج العقبة ويبدأ منها خط الحدود شبه المستقيم الممتد حتى مدينة رفح على ساحل البحر المتوسط وليست طابا مجرد موقع على الحدود الدولية ولكنها تقع على منعطف طبيعى على ساحل خليج العقبة ومنها يرى المرء بوضوح ميناء العقبة الاردنى ومنشآته على الجانب الآخر من الخليج ومنها ايضا يمكن رؤية اضواء ميناء ايلات الاسرائيلى فى الليل[٩٦] . ولقد كان من المقرر افتتاح فندق راف نيلسون السياحى فى طابا قبيل الانسحاب الاسرائيلى بأيام الا ان الجانب المصرى رفض ذلك لانه يقع داخل الاراضى المصرية وحتى تتم تسوية الخلاف بين الطرفين وفقا لاتفاقية اجراءات تسوية ازمة طابا فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٨٢ فقد انتقلت وحدة للقوات المتعددة الجنسيات لحفظ السلام لتنتشر فى مساحة كيلو مترين تحيط بمنطقة الفندق[٩٧] وتحددت مهمة هذه القوة التى يتراوح عددها بين ١٣ ، ١٥ فردا يتمركزون فى المنطقة المتنازع عليها بأنها الحفاظ على الامن وسلامة المنطقة ومراقبة من ينتهك الشروط المتفق عليها واعادته الى السلطات التابع لها سواء أكانت مصرية ام اسرائيلية نظرا لعدم وجود اية سلطة مدنية فى هذه المنطقة .[٩٨]

وقد اقيم عند طابا مركزان موقتان للحدود ، ويعرف المركز المصرى باسم شجرة الدوم اما المركز الاسرائيلى فيعرف باسم راف نيلسون ويفصل بين المركزين المصرى والاسرائيلى ٩٠٠ مترا تم الاتفاق بين الجانبين المصرى والاسرائيلى على اعتبارها منطقة مشتركة مؤقتا للمصريين والاسرائيليين الى ان يتم حل المشكلة ويجب ان نشير هنا الى ان المركز الاسرائيلى قد اقيم خارج حدود مصر الدولية عند النقطة ٩١ الى ان تحسم المشكلة .[٩٩]

وقد شكلت مصر لجنة قانونية تضم مجموعة من الاساتذة والخبراء المتخصصين فى القانون الدولى برئاسة الدكتور وحيد رأفت لدراسة الجوانب القانونية للتوفيق والتحكيم والنواحى المكملة له الخاصة بموضوع طابا .[١٠٠] كما شكلت لجنة فنية برئاسة اللواء محسن حمدى للاتفاق على النظام الذى سيسود هذه المناطق المتنازع عليها خلال المرحلة الانتقالية . وترى مصر اللجوء الى التحكيم فى المقام الاول لحل المشكلة .

والملاحظ انه حتى الآن (اكتوبر سنة ١٩٨٢) لم يتم الاتفاق على الاسلوب الذى سيتم بمقتضاه تسوية هذا الخلاف وان كان من الارجح ان يبدأ بالتوفيق ثم ينتقل الى التحكيم ، كما ان الجانب المصرى يرغب فى تحديد وقت زمنى سواء بالنسبة لعملية التوفيق . كتكوين لجنة التوفيق والمدة او الفترة التى فى خلالها يمكن ان يصدر قرار لجنة التوفيق وربط التوفيق بالتحكيم بمدة زمنية ايضا بينما الجانب الاسرائيلى يريد كسبا للوقت عدم ربط التوفيق او التحكيم بأى مدة زمنية ، بل ان الجانب الاسرائيلى مازال يأمل ويوحى باجراء حل وسط وهو تقسيم منطقة طابا المتنازع عليها مناصفة بين كل مصر واسرائيل بحيث يقع الفندق فى الجانب الذى سيؤول الى اسرائيل فى حالة تطبيق هذا الاقتراح وهذا يدل على ان الجانب الاسرائيلى غير واثق من نتيجة التوفيق او التحكيم لضعف حججه واسانيده ، بينما نجد ان الجانب المصرى مستمسك بمصرية طابا وانه لاتفريط فى ذرة رمل واحدة مما يدل على انه واثق فى ان قرار التوفيق او التحكيم سيكون فى صالحه . كما نلاحظ ايضا ان الجانب المصرى يسعى لادخال الجانب الامريكى كطرف شريك فى الازمة بينما يسعى الجانب الاسرائيلى الى عدم اشتراك الجانب

---

(٩٦) جريدة الاهرام ، القاهرة فى ١٩٨٢/٥/١ ، ١٩٨٢/٥/٩
(٩٧) جريدة الاهرام ، القاهرة فى ١٩٨٢/٤/٢٩ .
(٩٨) جريدة الاهرام ، القاهرة فى ١٩٨٢/٤/٣٠ .
(٩٩) جريدة الاهرام ، القاهرة فى ١٩٨٢/٥/١ .
(١٠٠) جريدة الاهرام ، القاهرة فى ١٩٨٢/٥/١٢ .

الامريكى حتى لايأخذ النزاع على طابا طابعا دوليا يبعده عن الطابع الثنائى .

ومن المتوقع ان عملية حل ازمة طابا ستطول لان الجانب الاسرائيلى يماطل حتى يفرض الامر الواقع على الجانب المصرى الذى احس بخطورة هذا الوضع فوجه كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية مصر خطابا الى اسحق شامير وزير خارجية اسرائيل فى مايو سنة ١٩٨٢ يتضمن وجهة نظر الجانب المصرى فى ضرورة الالتجاء الى التحكيم فى اسرع وقت ممكن حتى لايؤثر مثل هذا الخلاف على تعليم الحدود على العلاقات الطبيعية بين البلدين وتطورها مستقبلا وحتى لايتولد الشعور لدى الشعب المصرى بالاحباط فى بداية مرحلة العلاقات الطبيعية بين البلدين تجاه احترام احكام معاهدة السلام التى نصت بوضوح فى مادتها السابعة على اللجوء الى التوفيق او التحكيم على مايطرأ من خلاف حول تطبيق او تفسير المعاهدة .(١٠١)

ومهما يكن من امر فانه لايصح التهوين بحال من اهمية عنصر الزمن فى مسألة الحدود خاصة وان القانون الدولى نفسه لايملك تجاهله . فاذا كان القانون يغلب على الواقع فى الزمن القصير طبقا لقاعدة ان الخطأ لايصبح مشروعا فى نظر القانون Ex Injuria tus non oritur فان الواقع قد يغلب على القانون مع مضى الزمن Ex factis tus oritur

وقد سبق لاسرائيل ان اعتمدت بنجاح على هذا العنصر الهام فى الماضى فقد ادعت سنة ١٩٤٨ انها تحتفظ بالاراضى الخارجة عن حدود الدولة الاسرائيلية كاجراء مؤقت الى ان يتم التوصل الى حدود دائمة وهى الآن تطالب بحدود وراء هذه الاراضى نفسها ، ولايجب ان يترك عنصر الزمن الآن ليتحول معه الاحتلال المؤقت الى حيازة دائمة .

---

(١٠١) جريدة الاهرام ، القاهرة فى ١٩٨٢/٥/١٦ .

دراسة في

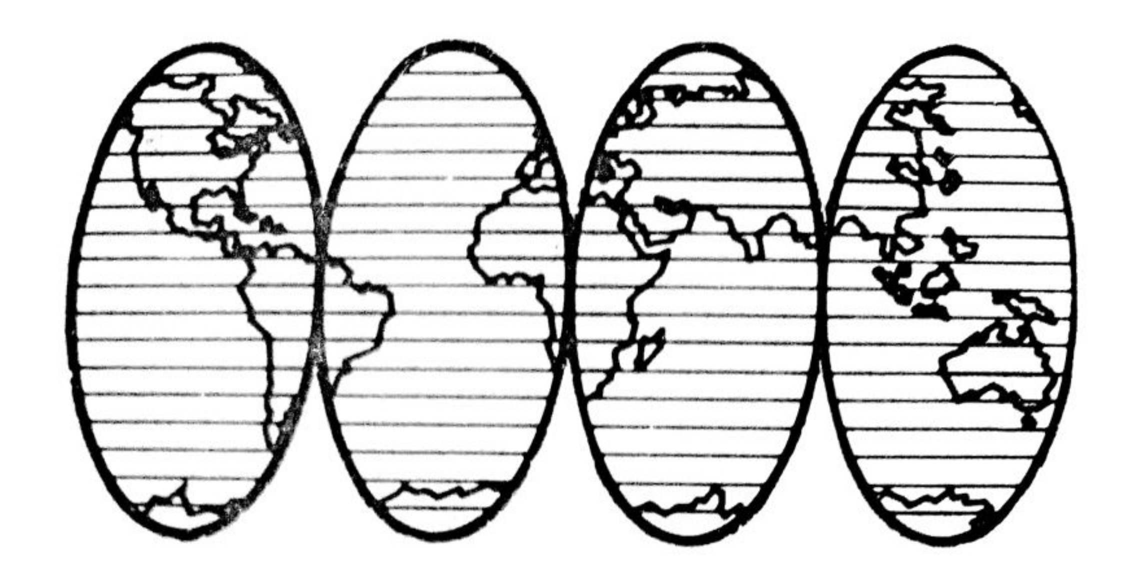
محادثات ستارت والطرف الثالث

د . نازلى معوض أحمد

٢٩ يونيو الماضى افتتحت بجنيف أول جلسة منذ ثلاث سنوات كاملة – من جلسات المحادثات الرسمية بين خبراء كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بشأن قضية الحد أو التخفيض من الأسلحة الاستراتيجية النووية للعملاقين فى نطاق المسرح الاوربى ، تلك المحادثات التى تطلق عليها أجهزة الاعلام الغربية على وجه الخصوص اصطلاح « ستارت »[١] تمييزا لها عن اصطلاح محادثات سولت –١ وسولت –٢ بصدد نفس القضية إبان الستينيات والسبعينيات[٢]

والموضوع الأساسى لمحادثات « ستارت » بين العملاقين يدور حول عمليات الخفض المتبادل بين الجانبين للأسلحة الاستراتيجية ذات الأنظمة النووية طويلة المدى (اكثر من خمسة آلاف كيلو مترا) المثبتة على الأرض أو التى تطلق من الغواصات أو الطائرات القاذفة .

(١) start : محادثات خفض الاسلحة الاستراتيجية Strategic Arms Reduction Talks
(٢) salt : محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية Strategic Arms Limitation Talks



وقد بدأت المحادثات الثنائية المباشرة بين الدولتين العظميين حول قضية السلاح الاستراتيجى النووى عام ١٩٦٩ فى هلسنكى ، وجرت على مرحلتين متميزتين . وانتهت المرحلة الأولى (سولت ـ١) فى مايو عام ١٩٧٢ بتوقيع اتفاقيتين فى موسكو ، نصت الأولى على قواعد تبادلية بين الدولتين للحد من الصواريخ العابرة للقارات التى تطلق من الأرض أو من غواصة وذلك لمدة خمس سنوات ، بينما تناولت الاتفاقية الثانية الحد من انظمة الصواريخ المضادة للصواريخ . ثم انتهت المرحلة الثانية فى يونيو عام ١٩٧٩ فى فيينا بتوقيع اتفاقية سولت ـ ٢ بين الرئيسين الامريكى كارتر والسوفييتى بريجنيف وتضمن نص الاتفاقية معاهدة رئيسية وبروتوكولا اضافيا . وينتهى العمل بالمعاهدة الرئيسية عام ١٩٨٥ وتقضى بالحد من الصواريخ الاستراتيجية ليكون عددها ٢٤٠٠ صاروخا ، والحد من الصواريخ متعددة الرؤوس ليكون عددها ١٣٢٠ صاروخا ، والحد من قاذفات القنابل المزودة بصواريخ كروز أما البروتوكول الاضافى فيقضى بمنع نشر صواريخ جديدة متحركة عابرة للقارات .

إلا أن مجلس الشيوخ الامريكى لم يصدق على اتفاقية سولت ـ٢ لاعتبارات كثيرة أهمها السياسة التوسعية السوفييتية فى أراضى افغانستان .

□□□

اما الجولة الثالثة من محادثات التوازن الاستراتيجى النووى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، التى بدأت فى يونيو من هذا العام (١٩٨٢) ، فهى وليدة عدد من التطورات الموضوعية التى لحقت بمسار العلاقات الثنائية بين العملاقين فى

الشهور القليلة السابقة . كما أن المعلقين يتوقعون لهذه الجولة الثالثة مفاوضات شاقة معقدة قد تطول شهورا . وذلك لأن هناك طرف ثالث فى هذه الجولة ، طرف له ثقله ووجوده ووزنه فى سير تلك المحادثات وان لم يشارك مشاركة مباشرة فيها ، واعنى به مجموع دول اوربا الغربية وموقفها من الآفاق الاستراتيجية المطروحة بين الدولتين الأعظم على اراضيها التى يطلق عليها « المسرح النووى باوربا الغربية » .

وتسعى هذه الدراسة الى القاء بعض الضوء على حقائق وخلفيات هذه الجوله الثالثة لمحادثات العملاقين حول التوازن النووى بينهما ، وذلك انطلاقا من تحليل جزئيات التطور الحادث فى الأونة الراهنة وفى الشهور القليلة الماضية ، فى مسار العلاقات الامريكية السوفيتية ، وكذلك تبيان ملامح الموقف العام للطرف الثالث فى هذه المحادثات : اوربا الغربية ، وذلك من خلال جزئيات موضوعية تنقسم اليها الدراسة .

- اجتماع نيويورك (سبتمبر سنة ١٩٨١)[٣] : اتفاق على استئناف المحادثات .

حدث لأول مرة فى نيويورك خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة لقاء رفيع المستوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى منذ دخول الرئيس ريجان البيت الابيض فى يناير ١٩٨١ . حيث عقد الكسندرهيج وزير الخارجية الامريكى ونظيره السوفييتى اندرية جروميكو اجتماعين مطولين فى ظرف الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر الماضى (١٩٨١) .

وخلال الأشهر الثمانية الأولى على ولاية ريجان لم يحدث اتصال على مستوى يعتد به بين الادارة الامريكية الجديدة برجالها « الجمهوريين » والاتحاد السوفييتى وقد ظلت حكومة ريجان تعارض أى لقاء رسمى رفيع مع موسكو عقابا لها على ما ترى واشنطن « أنه نزعات توسعية عدوانية » من جانب السوفييت فى انحاء العالم . واعاد الخط المتشدد الذى تطرحه ادارة ريجان إزاء السوفييت الى الاذهان ذكريات الحرب الباردة عندما كانت المواجهة بين القطبين بمثابة التهديد المباشر والدائم للسلام العالمى . ولذلك كان اجتماع نيويورك المذكور بين هيج وجروميكو يعنى تغييرا ملموسا فى النهج العدائى الذى تسلكه الادارة الامريكية ضد السوفييت

وتم الاتفاق بين وزيرى خارجية الدولتين الأعظم على بدء محادثات جديدة بين البلدين فى جنيف يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ على وجه التحديد وذلك حول الحد من الأسلحة النووية القصيرة المدى فى اوروبا .

لقد كانت ادارة ريجان تفضل تأجيل المفاوضات مع السوفييت انطلاقا من الحاجة للوصول الى تقييم متكامل للوضع الاستراتيجى العام . كذلك كان السوفييت يصرون على عدم اجراء اية مفاوضات مع الولايات المتحدة ما لم يقم حلف شمال الاطلنطى اولا بالغاء جميع مشاريع المسرح النووى الأوربى الغربى . فالاجتماع بين هيج وجروميكو فى نيويورك والذى سجل فى الواقع نقطة تحول حاسمة جديدة فى قضية التوازن النووى بين العملاقين . والذى يمكن أن نحدد به تاريخ المرحلة الثالثة فى تلك القضية ، إنما هو انعكاس لتلاقى ادراك الدولتين العظميين بخطورة مرور الزمن واقتراب عام ١٩٨٣ . ذلك ان حلف الاطلنطى كان قد اتخذ قرارا فى ديسمبر سنة ١٩٧٩ يطلق عليه « سياسة السير فى اتجاهين » وقوام هذه السياسة المزدوجة المذكورة يتمثل فى استعداد العالم الغربى لمواجهة نووية على نفس المسرح الأوربى ضد السوفييت . من ناحية . ومن ناحية أخرى الحرص على استمرارية محادثات العملاقين حول الاستراتيجية النووية . وبالفعل فقد تم الاتفاق بين الحلفاء الغربيين على وضع الصواريخ الامريكية (صواريخ كروز وبيرشينج -٢) فى مسرح اوربا الغربية ، ولكن شريطة اجراء المفاوضات مع الاتحاد السوفييتى حول الحد والخفض التبادلى للأسلحة والصواريخ الاستراتيجية النووية .

ولنا ان نتلمس حقائق الموقف الامريكى والموقف السوفييتى والتى أدت بالفعل الى اتفاق الدولتين على استئناف الحوار الاستراتيجى بينهما .

لقد رأى السوفييت[٤] ان الامريكيين يتحركون بسرعة فى اتجاه التفوق العسكرى . وقد عزز من وجهة النظر السوفيتية هذه ، الى حد كبير ، قرار الرئيس ريجان بانتاج وتخزين قنبلة النيوترون . كذلك شعر قادة الكرملين بقلق بالغ من برنامج مكوك الفضاء الامريكى واحتمالات استخداماته العسكرية . فاذا قامت الولايات المتحدة بتحويل المكوك الى سلاح فضائى فسيكون لزاما على السوفييت انفاق موارد هائلة للحاق بالولايات المتحدة فى هذا المجال . ووجدت اشارة علنية بأن موسكو بدأت بالفعل فى تطوير برامجها الاستراتيجية الخاصة بها . فقد قرنت جميع بيانات موسكو الرسمية ، الدعوة بالدخول فى مباحثات للحد من الأسلحة الاستراتيجية ، بالعزم على ملاحقة تطور الأسلحة الامريكية الاستراتيجية .

---

(٣) Daily Telegraph, 25/9/81 - The Guardian 26/9/81 - Washington Post 30/9/81

(٤) Washington Post, « Strategic Predominance, »

كذلك وضح ان الكرملين قد اعتزم استثمار الوسائل السياسية والدعائية لتقويض سياسات الولايات المتحدة العسكرية في اوربا . وكان من أهم اهداف موسكو وسوف يظل ، كذلك الحيلولة دون مرابطة الصواريخ الامريكية الجديدة متوسطة المدى في اوربا الغربية . اذ ان اقامة هذه الصواريخ « كروز وبيرشينج -٢ » - في نظر المحللين السوفييت - لابد وان يؤدي فورا الى تغيير التوازن الاستراتيجي . كذلك يعتقد السوفييت ان الامريكيين جادون في تحقيق التفوق الاستراتيجي على الاتحاد السوفييتي وانهم يعتزمون استخدام الجولة الثالثة من محادثات الحد من التسليح الاستراتيجي كأداة أخرى لاحتواء القوة السوفيتية . فالمقترحات الامريكية بشأن الحد من التسلح ما هي إلا وسيلة من وسائل العلاقات العامة لتهدئة الرأى العام في الغرب ، في الوقت الذي يعمل فيه الامريكيون في الحقيقة على كسب الوقت اللازم لبدء تنفيذ برامجهم الرامية الى تحقيق التفوق الاستراتيجي .

لقد اعتزم الاتحاد السوفييتي بدء الجولة الثالثة هذه في ظل حقيقة جلية واضحة على جميع المستويات في موسكو وهو ان الاتحاد السوفييتي لن يسمح للولايات المتحدة بتغيير الميزان الحالي للقوة العسكرية وان السوفييت على استعداد لدفع أى ثمن في سبيل منع المخطط الامريكي المذكور من أجل ارغام السوفييت على احتلال المركز الثاني في العالم من جديد .

وواقع الأمر ان الاتحاد السوفييتي يعتبر من أغنى بلدان العالم بحجمه وموارده وحكومته مركزية الى الدرجة التي تمكنها من تعبئة مواردها بسرعة وتركيز هذه الموارد في أى اتجاه مرغوب فيه . ومن المتفق عليه ان الشعب السوفييتي مازال قادرا على تحمل تضحيات لايستطيع معظم الامريكيين تحملها . وقد اوضحت مجلة نوفيو فريمبا نيوتايمز السوفييتية هذه الحقيقة ، بقولها : « ان القدرات العلمية والتكنولوجية القوية التي تعتمد على موارد طبيعية كافية تسمح للاتحاد السوفييتي بالرد على أى تحديدات » .

ان وراء موقف موسكو الذي لا يلين بشأن التوازن الاستراتيجي مع واشنطن ، هدفان رئيسيان في السياسة السوفييتية :

أولهما : هو حمل حكومة ريجان على الانغماس في عملية الحد من التسلح ببدء مباحثات حول الحد من الأسلحة النووية متوسطة المدى في اوربا .

وثانيهما : هو أنه بمجرد أن تبدأ المباحثات الاستراتيجية في جولتها الثالثة ، سيكون من الصعوبة بمكان على الولايات المتحدة ان تبدأ في اقامة صواريخها الجديدة من طراز كروز وبيرشينج - ٢ في اوربا الغربية عام ١٩٨٣ وفقا للخطة الموضوعة بهذا الشأن من قبل حلف الاطلنطي .

تلك كانت أهم مقومات ودعائم الموقف العام للاتحاد السوفييتي من الجولة الثالثة لمحادثات ستارت . فماذا عن الجانب المقابل ؟

ان الولايات المتحدة(٥) تبنى موقفها من الجولة الثالثة لمحادثات التوازن النووى مع الاتحاد السوفييتي على اركان ثلاثة رئيسية ترتكز عليها المسئولية الاستراتيجية العامة الملقاة على عاتق زعيمة المعسكر الغربي . أول هذه الاركان يتمثل في مسئولية ومهمة الولايات المتحدة في الحفاظ على درجة عالية من التماسك والفعالية داخل اطار النظام الامنى لحلف شمال الاطلنطي . وذلك أن أهم هدف للسياسة الامريكية في اوربا الغربية يتمثل في تفادى خطورة معينة وهي ان يلجأ الحلفاء الاوربيون الى خلق شقة كبيرة تفصل ما بين سياساتهم الأمنية داخل اوربا الغربية ، وبين السياسة الدفاعية العامة للولايات المتحدة الامريكية .

أما الركن الثاني من أركان الاستراتيجية العامة للسياسة الخارجية الامريكية فيتجسد في مسئولية الولايات المتحدة في اقامة ضمانة واقعية لشكل من اشكال الاستقرار في العلاقات بين الشرق والغرب كمعسكرين متناقضين مصلحيا ومتنافسا ومتعارضين ايديولوجيا واجتماعيا . والركن الثالث يتعلق بمعالجة المهمتين الواردتين في الركنين الأول والثاني ، وذلك بتحقيق ما يسمى بـ « هامش من الأمن » من أجل الابقاء على وضعية التفوق في العديد من المجالات العسكرية الاستراتيجية للولايات المتحدة ، على الاتحاد السوفييتي .

ان الولايات المتحدة تدخل هذه الجولة الثالثة من المحادثات حول التوازن النووى مع الاتحاد السوفييتي وهي تنظر مليا في ثلاثة اتجاهات في آن واحد : نظرة الى شركائها وحلفائها عبر الاطلنطي ، ونظرة الى المعسكر الشيوعي بزعامته السوفييتية المطلقة ، ونظرة الى الترسانة الامريكية الاستراتيجية .

وبالاضافة الى ما سبق ظهرت في نفس فترة اجتماع نيويورك بين هيج وجروميكو والذي ولدت فيه فكرة استئناف الحوار الاستراتيجي بين العملاقين . ظهرت دعوة قوية جديدة من جانب عدد من رجال السياسة

Herald Tribune. 6/10/1981. (٥)

الامريكيين ، من اجل حث ادارة ريجان على المضى قدما فى هذه الجولة الثالثة . فقد دعا جورج كينان السفير الامريكى السابق فى موسكو ، فى مقالة له نشرها عدد من الصحف الامريكية ، دعا القوتين النوويتين العظميين الى تخفيض ترساناتهما النووية بنسبة ٥٠٪ وتتلخص افكاره فى الرقابة على الخفض المتبادل الذى سوف يتفق عليه مستقبلا ، عن طريق ما أصبح يطلق عليه اسم « وسائل الرصد القومية » .

وفى دراسة تحليلية مطولة[٦] تحت عنوان « قبل ان تحلق الأسلحة النووية فى الفضاء » ، كتب دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة فى عهدى الرئيسين كيندى وجونسون يقول مستخدما حجة قوية قاطعة .

إذا وجدنا سبيلا ما لضمان عدم اخفاء الرؤوس النووية فى كهوف نيومكسيكو وسيبريا ويونان (يقصد القوى النووية الامريكية والسوفييتية والصينية) فاننى سأقبل فى اليوم التالى الا يكون هناك أسلحة نووية على الاطلاق فى العالم كله » ويوجه راسك أنظار المفاوضين الامريكيين فى الجولة الثالثة المزمعة آنذاك فى محادثات الأسلحة الاستراتيجية ، الى حقيقة البعد الصينى الخطير ضمن ابعاد الاستراتيجية النووية السوفييتية » اثناء هذه المحادثات مع السوفييت يجب ان نعلم نحن الامريكين ، أن شبح جمهورية الصين الشعبية موجود على مائدة المباحثات وأن المسئولين السوفييت يرون مليارا من الصينيين المسلحين بالأسلحة النووية يقفون فى مواجهة الاتحاد السوفييتى فى آلاف الأميال من الحدود المشتركة بين العملاقين الشيوعيين فى أراضى آسيا » .

ثم يعارض دين راسك فى تحليله فكرة انتفاوض من مركز القوة ذلك انه من اكثر الافكار القديمة عقما تلك الفكرة التى تظهر من وقت لاخر بين الراى العام الذى يسهل خداعة ، وتقول اننا نحن (الامريكيين) يجب ان نبنى ترساناتنا الخاصة بالاسلحة النووية بسرعة حتى يمكننا التفاوض حول الحد من الاسلحة الاستراتيجية من « مركز القوة » ولكن معظم الاسلحة الجديدة تتطلب سنوات عديدة قبل ان تكون جاهزة للعمل . ومن ثم يكون من الحماقة تاجيل مباحثات الحد من تلك الاسلحة حتى يصبح مركز القوة هذا حقيقة

واخيرا يقدم دين راسك مشروعا مقترحا لبنود الاتفاق مع السوفيت لقد نجحنا حتى الان فى ابعاد الاسلحة النووية عن المنطقة الجنوبية القطبية وعن قاع المحيطات وعن الدوران فى الفضاء الخارجى ... ويتبقى الوصول الى اتفاق مع الروس حول الامور التالية :

١ ـ حظر استخدام الاسلحة من اى نوع فى الفضاء .

٢ ـ عدم قيام اى دولة بمهاجمة الاقمار الصناعية لاى دولة اخرى باى وسيلة كانت .

٣ ـ اذا خرج اى قمر صناعى ينتمى لاى دولة عن نطاق السيطرة ، تجرى مشاورات بين الاطراف حول الوسائل التى ينبغى اتخاذها لتدمير القمر الصناعى مصدر التهديد . ينبغى علينا التوصل الى اتفاق حول هذه الامور الثلاثة والا وجدنا انفسنا امام برنامج تسلح فضائى يفوق تصوراتنا من حيث النفقات فى الوقت الذى لن يضيف فيه سوى القليل إن لم يكن لاشىء للقدرات العسكرية المقارنة مع تحقيق ارباح طائلة للصناعات الفضائية ليس غير » .

وشارك افريل هاريمان[٧] السياسى والدبلوماسى الامريكى المخضرم والذى شغل مناصب عديدة فى وزارة الخارجية الامريكية منها منصب سفير بلاده فى لندن وفى موسكو ، فى الحملة التى قام بها عدد من الكتاب والصحفيين والخبراء الامريكيين فى الشئون الامنية للمعسكر الغربى من اجل الدعوة الى تجنيب العالم كارثة نووية لاتفلت من اثارها اى بقعة فى الكرة الارضية ولذا ركز هؤلاء جميعا على ضرورة اقدام الولايات المتحدة الامريكية على استئناف الجولة الثالثة من محادثات السلاح الاستراتيچى مع الاتحاد السوفيتى فى اقرب وقت

ومما يسجل لافريل هاريمان انه قد كرس حوالى الاربعين عاما الاخيرة من حياته للدفاع عن اعتقاده الجازم فى حتمية تغلب العملاقين تبادليا على مخاوف كل منهما تجاه الاخر من اجل تحقيق استقرار معقول فى ارجاء عالمنا المعاصر .

وكتب هاريمان فى مقالته بصحيفة واشنطن بوست مذكرا الراى العام الامريكى بحقيقة رهيبة وهى ان للقوات الاستراتيچية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، قوة تفجيرية تفوق ١٠٠ الف مرة القوة التفجيرية لقنبلة هيروشيما التى فجرت فى اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية ثم يندد هاريمان بالسياسة الاستراتيچية الامريكية فى الاونة الاخيرة ، وفى ظل ادارة الرئيس ريجان فيقول :

« وتوشك الولايات المتحدة على نشر الالات من الصواريخ النووية طراز كروز وهى صواريخ يصعب احصاؤها بدقة بطبيعتها بسبب حجمها الصغير وهذه الصواريخ التى لايمكن رصدها ـ ستؤدى الى عقم الاتفاقيات الحالية الخاصة بخفض عدد هذه الاسلحة النووية » ثم يذكر المسئولين فى بلاده بضرورات [illegible]

Washington Post, 9/10/1981. (٦)
Washington Post, 3/11/1981. (٧)

جولة ثالثة من المحادثات مع الاتحاد السوفيتي » وقد تم التخلى عن معاهدة سولت ــ ٢ التى غطت على سباق التسلح الاستراتيجى ووضعت قيودا ملحوظة على القوة العسكرية السوفيتية وبدلا من ان تسعى الى وضع قيود حقيقية على التسلح وهو ماسمعنا وعودا بشانه منذ عام ، فان الدعوة الوحيدة التى نسمعها الان هى حديث لاينتهى عن التسلح النووى فى اوروبا دون اى محادثات على الاطلاق عن الاسلحة الاستراتيجية حتى العام القادم » .

واذا كانت هذه الاراء سالفة الذكر تعبر عن موقف عناصر قوية مؤثرة فى الضمير الجماعى القومى للولايات المتحدة الامريكية ، من قضية سباق التسلح النووى الرهيب بين العملاقين ، فان الموقف الاوروبى الغربى العام من ضرورة استئناف محادثات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى للحد من ترساناتهما النووية التاكتيكية والاستراتيجية ، قد اتسم بوضوح حاسم وبالتحركات الجماعية العلنية الشعبية فى مختلف بلدان حلف الاطلنطى[8] .

والواقع انه منذ ان قررت ادارة الرئيس ريجان عدم التصديق على المعاهدة الثانية للحد من استخدام الاسلحة الاستراتيجية (سولت ــ٢) ازداد القلق العام لدى الراى العام الاوربى وتطور الاحتجاج ضد انتشار الاسلحة النووية فى اوروبا التى ستتحول الى ساحة لحرب نووية بين العملاقين وطوال النصف الثانى من العام الماضى وفى الشهور الاولى من العام الحالى حدثت فى اوروبا الغربية حملات واسعة ضد السلاح النووى فى اوروبا تنادى بان الصيغة العملية الوحيدة لتخفيض اخطار الحرب النووية هى احداث توازن فى المسرح الاوروبى للاسلحة النووية الرادعة . واجتاحت المدن الاوروبية الكبيرة وخاصة بون مظاهرات جماهيرية ضخمة احتجاجا على الخطة الامريكية الاستراتيجية الخاصة بانشاء قواعد للصواريخ الامريكية الجديدة فى اوروبا الغربية او مايعرف باسم خطة نشر صواريخ كروز ــ بيرشنج ، والتى تحتاج منا الى بعض الايضاح .

سياسة السير فى اتجاهين لحلف الاطلنطى احتجاجات وتهديدات :

خلال اجتماع المجلس الوزارى لحلف شمال الاطلنطى فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٧٩ ، تم اقرار سياسة « السير فى اتجاهين » ومعناها سياسة مزدوجة تتبعها دول الحلف الغربى ازاء مساعى السوفييت لاحراز تفوق استراتيجى وتاكتيكى نووى . ويتمثل الشق الاول فى هذه السياسة فى خطة نشر صواريخ كروز ــ بيرشنج٢ الامريكية فى اراضى اوروبا الغربية بالتركيز على المانيا الغربية اما الشق الثانى فيتعلق بضرورة استئناف المحادثات بين العملاقين بشان حسم التوازن الاستراتيجى النووى فى العالم .

وحدد الحلفاء الغربيون توقيتا زمنيا معينا لتنفيذ الشق الاول من هذه السياسة وهو عام ١٩٨٢ . ولذلك نظم المناهضون لخطة نشر الصواريخ الامريكية فى اوروبا تلك المظاهرات الحاشدة مع نهاية عام ١٩٨١ وبدايات عام ١٩٨٢ .

هذا وقد جاءت المبادرة[9] التى تدعو الى اقامة الصواريخ الامريكية الجديدة فى نفس اراضى اوروبا الغربية . اساسا من هيلموت شميت مستشار المانيا الغربية الذى اثار فى عام ١٩٧٧ انتباه اوروبا الغربية الى الاخطار المتزايدة التى تهدد هذه المنطقة من العالم بفعل الصواريخ السوفيتية ذات الرؤوس النووية من طراز (اس . اس . ٢٠) تلك الصواريخ التى يمكنها القضاء بضربة واحدة على جميع القدرات الاوروبية فى تعبئة طاقاتها الدفاعية العسكرية .

والواقع ان مبادرة شميت المذكورة لم تنبع فحسب من التهديدات السوفيتية المحتملة او المرجحة من وجهة النظر الغربية ، بل كانت هذه المبادرة انعكاسا وتعبيرا عن مضامين القضية التقليدية التى شغلت حلف الاطلنطى طويلا ومازالت ، وهذه القضية تدور حول كيفية اقناع شعوب اوروبا ، الغربية منها والشرقية على حد سواء ، بمصداقية سياسة الولايات المتحدة نحو اوروبا الغربية واهم اركان تلك السياسة هو الاسراع بنجدة اوروبا الغربية فى حالة تعرضها لهجوم سوفييتى :

وتتلخص خطة صواريخ كروز ــ بيرشينج ٢٠ فى اقامة ٥٧٢ صاروخا نوويا حراريا متوسط المدى فى اوروبا الغربية منها ٢٠٠ صاروخا فى المانيا الغربية وحدها . والهدف من اقامة هذه الصواريخ هو مناهضة الاجراء السوفييتى بنشر صواريخ جديدة متوسطة المدى من النوع الذى يطلق عليه « صواريخ المسرح » وعلى الاخص صواريخ « اس . اس . ٢٠ » وهى صواريخ حديثة متقدمة تكنولوجيا ومتحركة يمكن ان تصل الى كل انحاء اوروبا الغربية والشرق الاوسط ومعظم مناطق اسيا . ويشير البنتاجون فى بعض

---

(٨) Times, 21/10/1981.

(٩) « Defense Nationale »(Juillet 1981): » les armes nouvelles et la sęcuritę des pays de L'Europe de l' Ouest ».

تقاديره عن انه تم فعلا فى اواخر عام ١٩٨١ نشر ٧٥٠ راسا حربيا فوق حاملات صواريخ اس . اس - ٢٠ السوفيتية المذكورة .

هذا ولقد اثارت هذه المظاهرات الاروبية ضد خطة صواريخ (كروز بيرشنج) الامريكية ، حرجا كبيرا لحكومات البلدان الغربية التى وافقت تحت الضغوط الامريكية القوية ، على مرابطة هذه الصواريخ فوق اراضى بلادها كما اثارت المظاهرات الاروبية غضبا واضحا فى واشنطن وقلقا فى الوقت نفسه من ان ترغم هذه الاحتجاجات العواصم الاروبية على اعادة النظر فى قبولها للخطة النووية الامريكية التى وافقت عليها قبل عامين .

والابعاد الحقيقية لهذه القضية برمتها انما تتجلى فى تهديدات متبادلة مابين العملاقين ، ومسرحها الرئيسى هو اروبا الغربية ذاتها .

ان الحجة التى تستند اليها واشنطن فى تمسكها بنشر هذه الصواريخ هو الاتحاد السوفييتى باقامته لصواريخه الجديدة المتحركة والمتمركزة فى غرب الاورال بصفة اساسية ، وانما قد اخل اخلالا خطيرا بالتوازن النووى القائم فى اروبا الغربية الامر الذى يستدعى الاسراع باعادة التوازن الى سابق عهده وهو مالايمكن ان يتاتى الا بنشر صواريخ كروز وبيرشنج - ٢ فى اراضى اروبا الغربية .

وفى البداية عارضت حكومات اروبا الغربية[١٠] - عدا بريطانيا - الخطة الامريكية لاسباب من بينها عدم اقتناعها بوجاهة المنطق الامريكى ومن بينها عدم اقتناعها رغبتها فى ان تتوتر العلاقات بينها وبين الاتحاد السوفيتى ولكن هذه الحكومات عادت فوافقت على المشروع الامريكى بعد ان تعهدت واشنطن ببدء جولة ثالثة من محادثات الحد من التسلح النووى مع موسكو ثم ظهرت بعد ذلك تاثيرات المظاهرات المناهضة للتسلح النووى فى اروبا الغربية عندما ضغط الحلفاء الاروبيون خلال مؤتمر وزراء دفاع حلف الاطلنطى الذى عقد فى اسكتلندا فى الخريف الماضى من اجل ان تقبل إدارة الرئيس ريجان بما وصف باسم « اختيار الصفر » اى ان يتم الغاء مشروع اقامة الصواريخ الامريكية الجديدة فى اروبا الغربية اذا وافق السوفييت على ازالة صواريخ اس . اس .٢٠ ، وذلك خلال الجولة الثالثة - لمحادثات العملاقين حول الحد من التسلح النووى .

والسؤال الذى تثيره الدراسات الفنية[١١] فى هذا المجال يتعلق بمدى فعالية التوازن النووى الذى يمكن ان تحققه خطة (كروزو بيرشينج ٢) الامريكية لمواجهة شبكات الصواريخ السوفيتية اس . اس ٢٠) غرب الاورال ؟ ونذكر هنا دراسة قدمها مكجورج باندى[١٢] المساعد الخاص للرئيس الامريكى لشئون الامن القومى فى عهدى الرئيسين كندى وجونسون تحت عنوان

« هذه الصواريخ هل يحتاج اليها الاوروبيون » .

ويرى هذا الخبير فى شئون الامن الامريكى ان لدى الجانبين اعدادا مختلفة من نظم الصواريخ المتوسطة المدى والصواريخ الاستراتيجية البعيدة المدى وان هذه النظم اكثر من كافية لتهديد كل من اروبا الغربية والاتحاد السوفيتى على قدم المساواة فى هذا المضمار وهذا يعنى ان نشر صواريخ كروزو بيرشينج - ٢ لايحقق فعالية ذات شان فيما يتعلق بالتوازن النووى بين الشرق والغرب . فالصواريخ السوفييتيه الموجودة سابقا من طراز « اس . اس . ٤اس » و (اس اس ٥ اس) رغم انها قديمة وبطيئة فانها كافية فى حد ذاتها لتهديد اروبا بهجوم نووى . وما هو اهم واخطر من ذلك هو ان كل صاروخ سوفييتى استراتيجى بعيد المدى يستطيع الوصول الى الولايات المتحدة ، يمكن له ان يضرب اروبا كذلك .

ويوضح الخبير الامريكى باندى فى شئون الامن القومى لبلاده ان هناك العديد من الصواريخ الاستراتيجية السوفييتية - حوالى ٢٥٠٠ صاروخ - وفى مقدورها حمل عدد كبير جدا من الرؤوس الحربية - حوالى ٧ الاف راس حربى - والامر لايحتاج الا لاقل من ١٠٪ من هذه القوة لتحقيق كافة النتائج التى يخشى ان تحققها صواريخ (اس إس ٢٠) فى اروبا . ويخلص الخبير الى نتيجة نهائية بصدد قضية التوازن النووى بين العملاقين على المسرح الاروبى وهى ان « الضغط على الاروبيين بقبول امر لاحاجة لهم اليه من وجهة نظرهم ،خطأ فادح لانه ينبغى على الاروبيين والولايات المتحدة ان يفكروا من منطلق مايريدونه الاروبيون ومايحتاجون اليه ، وليس

---

(١٠) Charles zor gbibe. « Dissuasion ou Guerre nucleaire » A.I.J.D. 1980 - Document N : 3., P.P.7 - 14.

(١١) « Strategie de non- guerre et hypotheses de conflit Nucleaire » « Defense Nationale » mai 1979

(١٢) Washington. Post, 2/11/1981.

من منطلق التنافس الآلى مع ايه حركة يقوم بها السوفييت فى مجالات التسلح النووى » .

وإذا كانت هذه هى مظاهر التهديدات النووية السوفيتية لدول المعسكر الغربى ، سواء كانت بلدان أوربا الغربية أو الولايات المتحدة فى عقر دارها ، فما هى ملامح التهديدات النووية الامريكية لكتلة المعسكر الشيوعى فى اوربا الشرقية وزعيمها الاتحاد السوفيتى ؟؟

إن مصطلح « الطلقة التحذيرية الأولى » .. عبارة قالها الكسندر هيج وزير الخارجية الامريكية(١٣) خلال شهادة له أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى . وقد وردت العبارة ضمن حديث طويل لوزير الخارجية الامريكية السابق ، والذى كان من قبل قائدا اعلى لقوات حلف الاطلنطى فى اوربا ، عن الاختيارات المطروحة امام الحلفاء الغربين لردع الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو إذا ماشنت هجوما بالأسلحة التقليدية على بلدان غرب اوربا . واختيار « الطلقة التحذيرية النووية » يقصد به توجيه انذار لحلف وارسو بأن تصرفه قد تجاوز حد الاحتمال حتى يتراجع ولاينفجر الموقف .

وعلى حد تعبير هيج نفسه خلال شهادته امام اللجنة فإن هناك « خططا للطوارىء فى نظرية حلف الاطلنطى لاطلاق سلاح نووى لأغراض التحذير ، هدفه أن يؤكد لاطلاق سلاح نووى لأغراض التحذير ، هدفه أن يؤكد للجانب الآخر أنه تجاوز حد الاحتمال فى المجال التقليدى للحرب والهدف من ذلك كله هو الابقاء على العنف فى أقل مستوى ممكن »

وقد سارع كاسبار واينبرجر وزير الدفاع الامريكى بإصدار نفى رسمى علنى لوجود مثل هذه الخطة ضمن خطط حلف الاطلنطى قائلا : ليس هناك فى أى من الخطط الموجودة حاليا أى شىء مماثل لذلك . وينبغى الا يكون هناك شىء من ذلك على الاطلاق ولكن اعترف وايتبرجر بأنه قد جرت مناقشات حول فكرة « الطلقة التحذيرية » النووية فى حلف الاطلنطى خلال الستينات ولكنها استعيدت — طبقا لما ذكره وزير الدفاع الامريكى — بعد ذلك تماما . وكان الهدف الواضح من تصريح واينبرجر المذكور ، هو ازالة المخاوف التى اثارتها عبارة هيج عن الطلقة التحذيرية النووية الاولى . ولكن انهالت على إثرها المقالات التى تحلل هذه العبارة وعواقبها واحتمالاتها .

ويذكر فى هذا الصدد(١٤) مقالة للمراسل العسكرى لصحيفة الاوبزرفر البريطانية مع « ايان ماذر » وجاء فى مطلعها ان هناك اكثر من ٤٠ الف هدف معظمها فى روسيا واوربا الشرقية يوجه اليها الغرب اسلحة نووية . ثم يوازن الكاتب مابين ادعاء هيج عن الضربة التحذيرية النووية الاولى ونفى واينبرجر للفكرة برمتها . ويخلص الى انه مامن شك فى ان هيج هو فى موقع العارف بواقع الامور فى حلف الاطلنطى نظرا لكونه قد شغل لمدة خمس سنوات منصب القائد الاعلى لقوات حلف الاطلنطى فى اوربا . ومن ثم كان مسئولا عن تنفيذ « خطة الضربة العامة » . وهى مجموعة من التوجيهات المعدة سلفا للدخول فى حرب بما فى ذلك الحرب النووية .

ولقد كانت النقطة الأساسية فى نظرية حلف الاطلنطى بشأن الرد المرن هى ترك الروس فى موضع التخمين حول ما يمكن أن تكون عليه ردود فعل حلف الاطلنطى فى الظروف المختلفة . ونشأت فى إطار نفس النظرية أفكار عن التحذير النووى من بينها فكرة « الطلقة عبر الافق » والتى بحثها حلف الأطلنطى طوال الستينات من حيث تطبيقات ثلاثة هى : تفجير رأس نووى فى منطقة منعزلة فى حلف الاطلنطى نفسه ، ثم إطلاق رأس نووى الى منطقة غير مأهولة فى حلف وارسو مثل مناطق المحيط المتجمد الشمالى الواسعة بالاتحاد السوفييتى أو إطلاق رأس نووى على ارتفاع كبير فى الجو بحيث لا يؤدى ذلك لالحاق أية أضرار .

وفى عام ١٩٦٦ بالذات ابلغ الجنرال نورستيد الذى كان يشغل عندئذ منصب القائد الأعلى للقوات الحليفة فى اوربا ، ابلغ الكونجرس الامريكى ، « أنه فى حالة قيام حلف وارسو بهجوم صغير تشير المخابرات الى أنه مقدمة لهجوم أوسع نطاقا فإن إحدى الخطط الكثيرة للتعامل مع الموقف هى بحث استخدام عدد محدود من الاسلحة النووية الصغيرة ضد اهداف يجرى اختيارها بعناية وقد يكون ذلك عبارة عن خمسة اسلحة فقط » .

وفى عام ١٩٦٩ عندما أعلن حلف الاطلنطى لأول مرة التزامه بأنه على استعداد لأن يكون البادىء باستخدام الاسلحة النووية اذا تعرض للهجوم ، قال أحد مخططى الحلف أن احد الاختيارات سيكون توجيه ضربة نووية محدودة للغاية « وسيتم ابلاغ العدو بعزمنا على

---

(١٣) من المعروف ان الكسندر هيج استقال او اقيل من منصبه فى غمرة احداث الغزو الاسرائيلى للبنان فى يونيو الماضى .

(١٤) The Observer, 5/11/1981.

ممارسة ضبط النفس ولن توجه مثل هذه الضربة الى قيادة العدو ونظم اتصالاته حتى يستطيع قيادة العدو اعطاء وتلقى التعليمات والسيطرة على قواتهم .

وفى عام ١٩٧٥ قال جيمس شليسنجر [١٥] وزير الدفاع الامريكى فى ذلك الوقت أن خطط حلف الاطلنطى تتضمن اطلاق مابين ١٠ الى ٤٠ رأسا نوويا على فترات متقطعة يفصل كلا منها عن الاخر بضع عشرات من الدقائق .. من أجل احداث تغيير فى مدركات قادة حلف وارسو وخلق موقف يؤدى الى بدء التفاوض السلمى بين القطبين

وبالاضافة الى هذه التصريحات للمسئولين الرسميين فى حلف الاطلنطى حول الضربة النووية الامريكية التخديرية الأولى للاتحاد السوفيتى ، فهناك أبحاث للخبراء تناولت نفس الموضوع . فقد اثبت دكتور ديزموندبول فى أحدى دراساته[١٦] وجود مابين ١٠٠ و ٢٠٠ هدف سوفيتى لاتؤدى مهاجمة السلاح الامريكى النووى لها الى الحاق « اضرار اضافية » اى قتل المدنين .

وتتضمن هذه الاهداف السفن الحربية الموجودة فى البحر وبعض المواقع المنعزلة لصواريخ اس . اس ١٨ العابرة للقارات فى صحراء كازانستان والتسهيلات النووية الموجودة بجزر نوفايا زيمليا المنعزلة فى المحيط المتجمد الشمالى والقواعد المنعزلة للقاذفات الاستراتيجية والرادار واجهزة الرصد . ونخلص من التحليل السابق الي أن افكار « الطلقات التخديرية » مازالت جزءا من نظرية حلف الاطلنطى ، وبما يشكل خطرا حاسما على السلام العالمى ، ذلك أن هذه الضربة التخديرية النووية قد تؤدى الى خلق انطباع عام لدى الطرف الآخر الذى يتعرض لهذه الضربة ، بأن هجوما نوويا شاملا على وشك الوقوع عليه ، مما يدفعه الى توجيه ضربة وقائية شاملة . وهكذا ينتهى العالم الى كارثة نووية حقيقية .

خلاصة الأمر ، وفى ظل تلك التهديدات المتبادلة بين الدولتين الأعظم ، ومع اقتراب الموعد الذى اتفق عليه هيج وجروميكو فى اجتماعهما فى نيويورك – سابق الذكر – من أجل استئناف الحوار فى جنيف حول الحد من الاسلحة النووية التاكتيكية متوسطة المدى ، تلاحقت على الادارة الامريكية فى واشنطن مطالب رسمية من الحكومات الاوربية الغربية فى مراسلات بعضها سرى وبعضها علنى ، تشير الى ضرورة القيام سريعا باستئناف المفاوضات[١٧] الجادة مع السوفيت حول الاسلحة النووية خاصة فى ظل الاخطار الهائلة على الأمن الاوربى والتى يفرضها التحرك السوفيتى من اجل تعزيز قدراته العسكرية فى مواجهة الولايات المتحدة الامريكية .

محادثات جنيف للحد من الاسلحةالنووية التاكتيكية نوفمبر ١٩٨١ مارس ١٩٨٢)

فى يوم ٣٠ نوفمبر الماضى (١٩٨١) بدأت فى مقر البعثة الدبلوماسية السوفيتية فى جنيف جلسات موسعة لمحادثات العملاقية بشأن تخفيض عدد الصواريخ النووية متوسط المدى فى اوربا وذلك على مستوى الخبراء السياسين والفنين ، وترأس الوفد الامريكى بول نيتز وترأس الوفد السوفيتي بولن كفيتنسكي وذلك فى أول خطوة حقيقية فى مسار استئناف الحوار بين القوتين العظمتين بهدف الرقابة على التسلح النووى تبادليا . وكان هذا الحوار قد توقف تماما منذ بداية عهد الرئيس ريجان فى يناير ١٩٨١ .

هذا وقد افتتحت محادثات جنيف حول الحد من الأسلحة النووية التاكتيكية فى ٣٠ نوفمبر الماضى وسط خضم دعائى وحملات اعلامية حادة من الجانبين ، ففى ١٨ نوفمبر أى قبل بدء المحادثات بأيام معدودة ألقى الرئيس الامريكى ريجان فى نادى الصحافة القومى بواشنطن خطابا شاملا حول السياسة الخارجية للولايات المتحدة والاحتمالات القائمة أمام المضى قدما فى تنفيذ البرنامج الخاص بتطوير السلاح النووى والاستراتيجي لبلاده والذى تقدر تكاليفه الاجمالية بما يزيد على ١٨٠ الف مليون دولار على مدى السنوات الخمس القادمة ، وكذا الاحتمالات الخاصة بالاتفاق على خفض سباق التسلح بين العملاقين فى مجال السلاح النووى التاكتيكى فى جنيف[١٨]

وكانت النقطة المحورية فى خطاب ريجان هذا تدور

---

(١٥) « Effects of Limited Nuclear Warfare », Hearings before the Subcommithee on Arms Control, Senat des Etats- Unis, 18 septembre 1975.

(١٦) بحث نشره عام ١٩٨١ المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى لندن تحت عنوان « هل يمكن التحكم فى الحرب النووية »

(١٧) كانت هذه المفاوضات قد استؤنفت بعد سولت ٢٠ ونتيجة للقرار المزدوج المذكور لحلف الاطلنطى – فى ١٧ اكتوبر ١٩٨٠ فى جنيف وتوقفت بعد ذلك بشهر دون ان تتعدى مرحلة استكشاف المواقف .

(١٨) Le Monde. 18 et 19 Novembre 1981.

حول استجابة الولايات المتحدة للمقترح الذى قدمته الحكومات الغربية بشأن التوازن النووى بين العملاقين على المسرح الاستراتيجى والتاكتيكى الاوربى ، ذلك المقترح الذى اطلق عليه الرئيس الامريكى « الخيار الصفر » ومضمونه هو ماذكرناه سابقا عن استعداد الولايات المتحدة لالغاء نشر صواريخها الجديدة من طراز كروز وبيرشنج ـ ٢ من اراضى اوربا الغربية ، وذلك مقابل أن يوافق الاتحاد السوفيتى على ازالة صواريخه المنصوبة فعلا طراز اس . اس ـ ٢٠ وصواريخه اس اس ـ ٥ واس . اس ـ ٤ . وقال ريجان وهو يقدم اقتراحه للرأى العام العالمى أن الولايات المتحدة تعتزم التفاوض مع الاتحاد السوفيتية انطلاقا من حسن النية وتحدوها الرغبة فى الاستماع الى المقترحات السوفيتية ودراستها .

ولكن الرئيس الامريكى عاد بعد ذلك يبرر مواقفه المتعلقة بالتسلح النووى قائلا أنه ينبغى لفت الانظار الى الخلفية التى يتم تقديم المقترحات الامريكية فى نطاقها . ذلك أنه خلال السنوات الست الماضية لم تضم الولايات المتحدة بنشر أى صواريخ جديدة وسحبت الف رأس نووى منها ، بينما قام الاتحاد السوفيتى بنشر ٧٥٠ رأسا نوويا تحملها صواريخ موجهة دقيقة التصويب ومنصوبة فوق منصات متحركة . وليس للولايات المتحدة فى انحاء اوربا الغربية صواريخ تاكتيكية منذ أن قامت الادارة الامريكية بتنفيذ قراراتها بتفكيك آخر صواريخ تاكتيكية لها فى اوربا منذ ١٥ عاما .

وأوضح الرئيس الامريكى أنه من اللازم فى غمار المفاوضات ذاتها ، أن تتركز الأنظار على بعض الادعاءات السوفيتية التى إذا ماتركت دون دحض ، فانها يمكن أن تشكل عقبات خطيرة فى طريق التقدم الحقيقى فى اتجاه الحد من الأسلحة . فالسوفيت يؤكدون على أن خطر نيران القوات النووية المتوسطة المدى قائم فعلا . ولكن هذا التأكيد يراه الرئيس ريجان محض مغالطة أو خطأ متعمدا لأن أى تقدير موضوعى يثبت أن السوفيت متفوقون بنسبة ٦ الى ١ فى مواجهة الولايات المتحدة ، وذلك فى مجال السلاح النووى التاكتيكى على وجه التحديد .

ثم يرفض الرئيس ريجان مقترح السوفيت بتحريك صواريخهم طراز إس . إس ٢٠ الى ماوراء جبال الاورال بما يزيل التهديد السوفيتى النووى عن اوربا ويرى الرئيس الامريكى عدم جدوى هذا المقترح عمليا لأن هذه الصواريخ حتى لو نشرت خلف تلك الجبال سيكون لديها مدى يجعلها تصل الى المدن الغربية الكبرى مثل روما واثينا وباريس ولندن واستردام وبرلين الغربية .. الخ ذلك لأن هذه الصواريخ موضوعة فوق منصات متحركة يمكن نقلها من مكان لآخر فى فترة وجيزة من الوقت .

والواقع أن هذه الخطبة لريجان جاءت كرد اعلامى ودعائى يتضمن المنطق الامريكى المتعلقة باستئناف الحوار النووى مع السوفيت ، وذلك فى مواجهة المنطق السوفيتى المضاد الذى عبر عنه الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف فى حديث صحفى خطير أدلى به لصحيفة دير شبيجل الالمانية اثناء زيارة رسمية قام بها لالمانيا الغربية فى نفس شهر نوفمبر الماضى .

قال برجنيف فى حديثه هذا(١٩) والموجه أساسا للرأى العام الاوربى الغربى : « أنه منذ الخمسينات تقوم الولايات المتحدة بنشر الأسلحة النووية فى اوربا وفى المياه المحيطة بها لتوجيه ضربات ضد المراكز الحيوية للاتحاد السوفيتى و ضد حلفائه فى اوربا الشرقية . وقد بدأت هذه الأسلحة باسم « نظم القواعد المتقدمة » والنظرية أو السياسة التى تعنيها هذه التسمية اطلق عليها فى واشنطن فى سنوات الخمسينيات بالذات اسم نظرية أو سياسة « حافة الهاوية » وبعد ذلك بفترة وجيزة ظهرت الاسلحة النووية فى اوربا وفى بعض بلدان حلف الاطلنطى الأخرى .

ويصل بريجنيف الى ذروة الجرعة الدعائية التى يستهدف التأثير بها على فئات الرأى العام الغربى حين يقول فى حديثه هذا :

« .. ولتتصوروا انفسكم فى موقعنا . هل نستطيع أن نقف نوقف الامبالاة ، والحصار يفرض حولنا من كل جانب عن طريق القواعد العسكرية وعن طريق الاعداد المتزايدة من حاملات الموت النووى متمثلة فى الصواريخ التى تنطلق من الأرض والبحر وقاذفات القنابل .. الخ أن هذه الأسلحة كلها مصوبة من مناطق عديدة فى اوربا الى المدن والمصانع السوفيتية ويستمر برجنيف فى حديثه فينكر تركيز أجهزة الاعلام الغربية على موضوع « التهديد السوفيتى » لاوربا الغربية خلال السنوات القليلة الماضية وذلك بواسطة صواريخ اس . اس ـ ٢٠ . ويكرر اقتراحه السابق فى خريف عام ١٩٧٩ بأن يجتمع ممثلو الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بدون تأخير لبحث الموقف والتوصل الى اتفاق بينهما حول « الندية النووية » فى اوربا .

---

(١٩) The Observer, 4/11/1981 - Le Monde 5/11/1981

ولكن الاجابة كما يقول بريجنيف كانت قرار حلف الاطلنطى فى ديسمبر ١٩٧٩ « باعادة التسلح »

ثم قام برجنيف بعد هذا العرض السابق لخلفيات سياسة « السير فى اتجاهين » لحلف الاطلنطى ، بتحديد ميزان القوات النوية فى اوربا ، من وجهة النظر السوفيتية بطبيعة الحال ، فيقول :

« إذا ادخلنا ضمن النظم المتوسطة المدى ، الصواريخ النووية الرئيسية التى تملكها بلدان حلف الاطلنطى وكذلك الاسلحة النووية التى تطلق من الجو والتى تستطيع الوصول الى الاتحاد السوفيتى من البلدان الاوربية الغربية ومن البحار الموجودة حول اوربا والتى يصل مدى عملها الى الف كيلو متر ، وقمنا بعقد مقارنة بينها وبين الأسلحة السوفيتية المماثلة فى الجزء الاوربى من الدولة السوفيتية فإنه يوجد فى الوقت الراهن توازن بين حلف الاطلنطى وحلف وارسو فيما يتعلق بمثل هذه الأسلحة . ذلك أن دول حلف الاطلنطى لديها ٩٨٦ من مثل هذه الحاملات المختلفة ولدى الاتحاد السوفيتى ٩٧٥ وحدة من الأسلحة المماثلة . ولم يختلف الموقف حتى بعد ان بدأ الاتحاد السوفيتى فى احلال صواريخ اس . اس ـ ٢٠ المتقدمة الحديثة محل صواريخ اس . اس ـ ٤ واس . اس ـ ٥ القديمة فعندما نقوم بنشر صاروخ جديد فإنه يحل محل صاروخ اخر او اثنين من الصواريخ القديمة . وصحيح أن صاروخ اس . اس ـ ٢٠ يستطيع ان يحمل ثلاثة رؤوس نووية ولكن قوتها الشاملة تقل عن رأس نووى قديم واحد . وبالتالى فانه خلال عملية احلال الصواريخ القديمة بأخرى جديدة فان العدد الاجمالى لحاملاتنا فى تناقص وهو ما يعنى نقص قدراتنا فيما يتعلق بالأسلحة النووية متوسطة المدى »

ويمكن للمرء ان يستخلص من هذا الحديث الصحفى الطويل لبريجنيف أن الزعيم السوفيتى قد رد على مقترح ريجان المسمى « الخيار الصفر » بطريقة ايجابية واضحة وذلك عندما عرض تقليل عدد الصواريخ السوفيتية بالمئات نتيجة لاحلال اس . اس ـ ٢٠ محل صواريخ اس . اس ـ ٤ واس . اس ـ ٥ القديمة . ومعنى ذلك أن الاتحاد السوفيتى قد رفض علنا وصراحة « الخيار الصفر » الذى اقترحته الولايات المتحدة بأن تزال الصواريخ السوفيتية النووية متوسطة المدى من مناطق غرب الاورال مقابل عدم تنفيذ مشروع وضع الصواريخ الامريكية كروز وبيرشينج ـ ٢ فى اوربا الغربية .

وفضلا عن حديث بريجنيف سالف الذكر ، فأن القادة السوفييت وكذلك الوسائل الاعلامية السوفيتية قد استغلوا التصريحات الامريكية المتطرفة من جانب بعض رجال الادارة الامريكية عن الحرب النووية المحدودة وعن الطلقة التحذيرية النووية الأولى ، الى اقصى حد من اجل التدليل على صحة وجهات نظرهم المعادية لنشر الصواريخ الامريكية فى أوربا الغربية وللتاكيد على نواياهم السلمية المناهضة لدعاة الحرب فى واشنطن .

وعلى الرغم من دعايات بريجنيف بشأن حب السلام فأن الروس ليسوا ابطال سلام حقيقيين . وهم ينظرون بجدية تامة الى الاستفادة المادية والسياسية من القوة العسكرية . ولكن بسبب هذه الجدية نفسها ، فضلا عن المركزية الشديدة التى يتميز بها نظامهم السياسى ، فانهم لا يتحدثون عن حرب نووية محدودة او مختصرة . والدليل على ذلك هو أنه على امتداد سنوات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات بذل الروس جهودا جبارة مكلفة لدرجة هائلة من اجل بناء قوات عادية تقليدية ضخمة ونجحوا الى حد كبير فى تحسين قدرتهم على استخدام قوتهم العسكرية فى بقاع كثيرة من العالم [٢٠]

أن المهمة الاساسية للترسانة النووية السوفيتية هو ان تكون درعا فعالا يقدم التغطية اللازمة لاستخدام السوفييت للاسلحة العادية التقليدية أن موسكو ترغب بالاحرى فى « الانتصار بواسطة السلام » او تحقيق مايسمى فى الادبيات العسكرية السوفيتية بـ « السلام عن طريق الشيوعية » والمفترض فى القوة العسكرية السوفيتية ان تكون لمجرد وجودها فقط ، وسيلة للتهديد والمساومة مستقبلا .[٢١]

وجدير بالذكر انه فى الأيام القليلة السابقة على انعقاد مؤتمر جنيف للحد من الأسلحة النووية التاكتيكية بين الدولتين العظميين فى نوفمبر الماضى ، حدث تطور فى الموقف الغربى الرسمى ذو شقين متناقضين فيما بينهما . فمن ناحية أولى : تعرضت الجهود المضنية التى تقوم بها الادارة الامريكية برئاسة الرئيس ريجان لرفع الكفاءة العسكرية النووية الامريكية لضربة حادة اتت من داخل النظام الامريكى ذاته . حيث بدأت مشكلة خفض اعتمادات البرنامج العسكرى الدفاعى الضخم الذى وضعته ادارة ريجان مما يهدد فعليا بتقويض البرنامج الزمنى لحلف الاطلنطى فيما يتعلق بنشر الصواريخ الامريكية التاكتيكية فى اوربا . فقد قام مجلس النواب الامريكى

---

(٢٠) New York Times, 25/11/1981.
(٢١) Le Figaro , 15/12/1981.

بخفض الميزانية المخصصة لانتاج صـواريخ كروز بمقدار ٤١ مليون دولارا منها ٢٥ مليون دولارا من الاعتمادات الخاصة بانتاج الرؤوس النووية للصواريخ والباقي وهو ١٥ مليون دولار من الاعتمادات المخصصة لانتاج معدات ميكانيكية خاصة بالصاروخ . وقد تم خفض بعض الاعتمادات العسكرية الأخرى التي من شأنها التأثير على اوربا فقد قام مجلس النواب الامريكي بخفض مبلغ ٢٥ مليون دولارا من الاعتمادات المخصصة لانتاج قذائف مدفعية نووية لحلف الاطلنطي لأن ادارة ريجان قررت المضى قدما فى انتاج قذائف النيوترون .

وقد تم خفض اعتمادات البرنامج الدفاعي للرئيس ريجان الى حد كبير حتى ان نسبة الزيادة فى هذه الاعتمادات لا تزيد الا بنسبة واحد فى المائة من الميزانية الدفاعية فى عهد رئاسة جيمى كارتر وذلك طبقا لاخر الاحصاءات فى واشنطن . ويضاف الى ما سبق أن هناك العديد من انواع التسليح الجديدة التي اعلنها ريجان مثل صواريخ أم اكس الجديدة العابرة للقارات والتى تنطلق من قواعد ارضية وصواريخ « ترايدنت دى ـ ٥ » التي تزود بها الغواصات إنما قد جرى التخطيط لها فى عهد حكومة كارتر وقدرت لها اعتمادات خاصة بها فى الميزانية الامريكية قبل عهد رئاسة ريجان .

أما الشق الثانى من الموقف الغربى الرسمى قبيل انعقاد مؤتمر جنيف لمحادثات القطبين حول القوة النووية التاكتيكية ، فقد تمثل فى مظاهر واضحة من التدعيم السياسي والدعائى للموقف الامريكى فى تلك المحادثات ، والتى عبرت عنها اجهزة حلف الاطلنطى بصفة عامة وبعض العواصم الغربية الهامة فقبل بدء المحادثات بأيام قليلة صدر بيان من حلف الاطلنطى يؤكد مساندة دول الحلف الكاملة للموقف الامريكى الداعى الى التفاوض للحد من الاسلحة فى اوربا . واعلن لورنس ايجلبرجر وكيل الخارجية الامريكية فى ختام اجتماع بين خبراء نزع السلاح بالحلف فى بروكسل ان « الولايات المتحدة سوف تدخل المفاوضات وهى تلقى تأييدا كاملا من حلفائها »

واعلن شارل ارنو وزير الدفاع الفرنسى [٢٢] عن ترحيب بلاده بالمقترحات الامريكية التى تهدف الى اقناع السوفييت بازالة الصواريخ اس . اس ـ ٢٠ الموجهة الى اوربا فى مقابل الامتناع عن نشر الصواريخ الامريكية بيرشنج ـ٢ فى اوربا الغربية واكد الوزير الفرنسي فى الوقت نفسه ان الردع النووى يعد اساس سياسة فرنسا الدفاعية كما اعلن انه سيتم تزويد سلاح الجو الفرنسي بالاسلحة النووية بدلا من الاعتماد على الغواصات وحدها وصرح بانه سيتم فى عام ١٩٨٥ تزويد ١٥ طائرة من طراز ميراج ـ ٤ بصواريخ نووية جو ـ ارض متوسطة المدى .

واتخذ البرلمان الهولندى قرارا بتأييد المقترحات الامريكية ودعوة الحكومة الى العمل على تأمين تأييد شركاء هولندا الأخرين فى حلف الاطلنطى للمقترحات ولكن البرلمان رفض فى الوقت نفسه اقتراحا برفض خطط اقامة الصواريخ بيرشنج ـ ٢ الامريكية بالاراضي الهولندية .

وعلى الرغم من هذه المظاهر الايجابية للتأييد الرسمي من قبل حكومات الدول الاعضاء فى حلف الاطلنطى ، للولايات المتحدة فى محادثاتها النووية التاكتيكية مع الاتحاد السوفيتى . فقد بدات هذه المحادثات بالفعل فى جنيف يوم ٣٠ نوفمبر الماضى (١٩٨١) وسط جو من الاثارة النفسية التى لم تعرفها اى مباحثات سابقة بشأن الاسلحة بين واشنطن وموسكو . فالمظاهرات الصاخبة والحاشدة التى شهدتها العواصم الاوربية الغربية ضد التسلح النووى فى الاسابيع السابقة مباشرة على محادثات جنيف هذه ، لم تقتصر على ملايين الاوربيين فى شتى عواصم اوربا الغربية بل استقطبت كذلك عددا لايستهان به من الامريكيين داخل الولايات المتحدة . لقد كانت تلك المظاهرات تعبيرا جماهيريا عن قلق شديد مشروع من الأهوال الكامنه فى احتمالات نشوب حرب نووية بين العملاقين تدور رحاها على اراضى اوربا الغربية .

ومن ثم فانه يكون من قبيل التبسيط المخل بالحقيقة ان تفسر محادثات جنيف المذكورة بإطار موضوعى محدد الأركان ومحدود المعالم وهو ان الجانبين يستهدفان الحد من انتاج نوعية معينة من الاسلحة النووية لديهما فى اوربا او ان يقتصر تصور هذه المحادثات كوسيلة اتفاقية تنظيمية لاقامة التوازن العسكري والنفسى بين العملاقين فى القارة الاوربية بل ان محادثات جنيف قد تمحورت حول قضية اكثر شمولا وعمومية وخطورة الا وهى قضية حرص الشعوب الشديد على تضييق امكانية المغامرة باندلاع الحرب النووية [٢٣]

---

(٢٢) من المعروف ان فرنسا قد خرجت من كافة التنظيمات العسكرية لحلف الاطلنطى منذ عام ١٩٦٦ فى ظل رئاسة الجنرال ديجول وسياساته الاستقلالية عن الولايات المتحدة الامريكية

(٢٣) Washington Post, 4/12/81, « East and West in Geneva ».

وجلس المفاوض الامريكى على مائدة المحادثات فى جنيف مركزا بصورة محددة جهوده الفكرية وقدراته الاقناعية حول موضوع الصواريخ السوفيتية متوسطة المدى فى اوربا ومطالبا بازالتها وخاصة تلك التى من طراز اس . اس ٢٠ الحديث وذلك بدعوى ابعاد شبح الخطر عن سماء اوربا الغربية هذا بينما يصر المفاوض السوفيتى فى نفس جلسات محادثات جنيف هذه ، على ضرورة ان تشمل هذه المفاوضات جميع الانظمة النووية المتوسطة المدى وهذه الانظمة تتضمن فى الجانب الغربى منها مجاميع ضخمة من المقاتلات الامريكية والقنابل النووية فى فرنسا وبريطانيا ـ وقد رجح المراقبون ان تكون هذه المسألة بالذات اى اختلاف الرؤية لدى كل من الطرفين المباشرين فى المحادثات بصدد مدى النطاق الفنى والموضوعى لهذه المحادثات ـ هى مثار الخلاف الرئيسى فى الجولة الاولى من استئناف محادثات التوازن النووى بين القطبين .

هذا وان كانت بعض التحليلات السياسية تشير الى ان الازمة الاقتصادية التى تفاقمت فى السنوات الاخيرة فى مجالات الانتاج الزراعى فى الاتحاد السوفيتى لابد وان تدفع قادة الكرملين الى تقديم التنازلات امام الولايات المتحدة فى محادثات جنيف للحد من الاسلحة النووية التاكتيكية .

ومنذ الجلسة الأولى تم الاتفاق على فرض حظر كامل على انباء وتفاصيل هذه المحادثات والقصد من فرض السرية على المحادثات كانت رغبة الجانبين فى تجنب جو الاثارة حول مداولاتهما التى ما كادت تبدأ حتى توقع لها المراقبون ان تستمر وقتا طويلا . بل لقد استنتج البعض منهم ضعف الاحتمالات المتعلقة بتوصل الجانبين الى اتفاق موضوعى يعتد به بين العملاقين فى المجال النووى ، وذلك قبل الموعد المقرر لنشر الصواريخ الامريكية الجديدة متوسطة المدى فى انحاء اوربا الغربية ، والذى تحدد بشهر ديسمبر من عام ١٩٨٣ .

وتساءلت أجهزة الاعلام وأوساط الرأى فى العواصم الغربية خلال شهر من جلسات متعاقبة بين الوفدين السوفييتى والامريكى فى جنيف ، حول ما إذا كانت الولايات المتحدة ستمضى قدما فى تنفيذ خطة نشر الصواريخ المتوسطة المدى فى انحاء اوربا ، اثناء فترة استمرار محادثات جنيف ذاتها ، أم انها ستؤجل ذلك التنفيذ طيلة تلك المحادثات ، مما يعتبر حقيقة نجاحا اكيدا للاتحاد السوفيتى . ولكن هل يقبل الامريكيون ان يكسب السوفييت نقطة لصالحهم على حساب المصالح الامنية العليا للولايات المتحدة ؟

وقبل ان تتوقف محادثات جنيف بسبب عطلة اعياد الميلاد الماضية على ان تستأنف فى بداية العام الحالى حدث تطوران متناقضان بالنسبة لمسار قضية التوازن النووى بين العملاقين . اولهما تطور ايجابى وثانيهما تطور سلبى .

فمن ناحية اولى اعلنت مصادر سوفيتية رسمية استعداد بلادها للتراجع عن خططها لنشر الاسلحة النووية فى اوربا مقابل ان تتخذ دول حلف شمال الاطلنطى خطوة مماثلة (٢٤) فقد نسبت وكالة تاس السوفيتية الرسمية يوم ٢٦ ديسمبر الماضى الى الناطق بلسان مركز القيادة العسكرية السوفيتية الجنرال « نيكولاى شيرفوف » قوله فى مقابلة تليفزيونية ان « موسكو » مستعدة للتراجع عن التسلح النووى فى اوربا بما فى ذلك نشر اسلحة متوسطة المدى وتكتيكية ـ على شرط ان تكون الخطوة متبادلة مع الدول الغربية . واضاف إذا لم يكن الغرب مستعدا لاتخاذ قرارات كهذه فنحن نوافق على اجراء خفض فى عدد الرؤوس النووية متوسطة المدى لتصبح بضع مئات من الطرفين . فالاتحاد السوفيتى يسعى لايجاد تفاهم مع الغرب حول مسألة الصواريخ فى اوربا طالما استمرت محادثات الجانبين فى جنيف حول الحد من الأسلحة التاكتيكية فى اوربا .

إلا أن أحداث بولندا فى أواخر ديسمبر الماضى أدت إلى توتر جديد فى علاقات الدولتين العظميين ولخصت مجلة تايم الأمريكية الموقف فى بولندا عام ١٩٨١ قائلة :

« إن مابدا كعام للحرية فى بولندا انتهى نهاية درامية اختلط فيها العنف واراقة الدماء والقمع . فبعد ان دفعت حكومة الجنرال نوفيشى ياروزلسكى الى الحائط بسبب التحدى الذى فرضته نقابة التضامن وبعد ان ووجهت بالانهيار الاقتصادى وتعرضت لضغوط السوفييت الذين تملكهم الغضب ، رد ، بالطريقة المعهودة فى البلدان الشيوعية فقبض على زعامات نقابة التضامن والقى الجنرال ياروزلسكى بيانا من الاذاعة البولندية اعلن فيه ان البلاد اصبحت تخضع للاحكام العسكرية وانه تم تشكيل مجلس عسكرى للخلاص الوطنى تحت رئاسته » .

وهنا بعث الرئيس الامريكى ريجان برسالة شديدة اللهجة الى الزعيم السوفييتى ليونيد بريجينيف وادلى بتصريح جاء فيه انه وجه تحذيرا الى الزعيم السوفييتى بريجينيف بأنه اذا استمر القمع فى بولندا فان الولايات المتحدة ستتخذ اجراءات سياسية

---

(٢٤) **Le Monde, 27/12/1981.**

واقتصادية عنيفة ضد موسكو . وقال ريجان فيما وصف بانه اعنف رد فعل امريكي منذ اعلان الاحكام العسكرية اننى اريد ان اؤكد هذه الليلة (مساء يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٨١) انه اذا لم تتوقف اجراءات العنف في بولندا فاننا لن نستطيع بل ولن نتعامل « مع المجرمين واولئك الذين يساندونهم ويحرضونهم » . وكان من رأى الرئيس الامريكي ان القيادة البولندية لم تكن لتقوم بما قامت به ليلة ١٣ ديسمبر لولا تحريض السوفييت وضغوطهم .

واصبح التعبير الشائع بين الاوساط الرسمية في واشنطن هو « الغزو بالوكالة » اى ان السوفييت غزوا بولندا فعلا عن طريق القوات البولندية . بل تردد في اشنطن ايضا بأن الجنود السوفييت نزلوا الى شوارع وارسو وهم يرتدون زى القوات المسلحة البولندية .[٢٥]

وبعد ذلك حدث تصاعد اخطر حيث اعلن ريجان فرض عقوبات اقتصادية ضد الاتحاد السوفييتي ، وقد ردت موسكو على هذا الاجراء ببيان حاد اللهجة اتهم فيه الاتحاد السوفييتي الرئيس الامريكي ريجان باللجوء الى الابتزاز السياسى وبالعمل على تدمير الوفاق الدولي[٢٦] . وجاء في البيان السوفييتي ان العقوبات الاقتصادية الامريكية تهدف الى تسميم المناخ الدولي وزيادة حدة المواجهة وأن الولايات المتحدة تسعى الى « اذكاء حملة الكراهية ضد الدول الاشتراكية والاتحاد السوفييتي في المقام الاول مع هدم اسس العلاقات الامريكية السوفييتية التى تم التوصل بجهود مضنية والحد من هذه العلاقات الى ادنى مستوى » .

وهكذا كان واضحا مع نهاية العام الماضي ان العلاقات الامريكية السوفييتية وصلت الى اسوأ حالاتها منذ دخول القوات السوفييتية الى افغانستان عام ١٩٧٩ .

ولكن خبراء الكونجرس وزعماء اتحاد مزارعى الحبوب في الولايات المتحدة ابدوا معارضتهم لبرنامج العقوبات التى فرضها الرئيس ريجان على السوفييت بسبب ازمة بولندا ، ومن بينها مشروع قرار تقدم به الرئيس الامريكي لاعلان حظر كامل على التعامل التجارى مع الاتحاد السوفييتي الذى تشكل المنتجات الزراعية الامريكية ٨٠ في المائة من صادراتها الاجمالية اليه .

فلقد حذر « جون هارت » كبير الخبراء في دائرة الابحاث التابعة للكونجرس الامريكي من ان تعليق الولايات المتحدة محادثات الحبوب مع الاتحاد السوفييتي بسبب الازمة الراهنة في بولندا سينعكس سلبيا على واشنطن ، وسيدفع موسكو الى تحسين محاصيلها لتأمين احتياجاتها . واوضح الخبير الامريكي ان الاتحاد السوفييتي اضطر الى استيراد كميات مناسبة من الحبوب خلال السنوات الثلاث الماضية بسبب رداءة المواسم الا ان تحسن المحاصيل السوفييتية هذه السنة ، سينتزع زمام المبادرة من ايدى الامريكيين وقال ان تعاون الحلفاء الغربيين يعتبر اساسيا لنجاح الحظر على السوفييت . الا ان الدول الاوربية وفي طليعتها المانيا الغربية تعتقد ان « الولايات المتحدة بالغت في ردود فعلها ازاء الازمة البولندية »[٢٧] .

كذلك اعلن رئيس مكتب واشنطن لاتحاد مزارعى الحبوب مايكل هول « ان فرض حظر نهائى على التعامل التجارى مع الاتحاد السوفييتي سيزعزع الثقة بالولايات المتحدة كمصدر يعتمد عليه للحبوب ، ثم ان السوفييت سيتحولون الى اسواق اخرى لتأمين احتياجاتهم من الحبوب والبروتين . كما اكد مايكل هول ان هذا الحظر ضد الاتحاد السوفييتي سيكلف الحكومة الامريكية مبالغ طائلة تدفعها للمزارعين لتعويض اى كساد يواجهونه نتيجة لهذا الاجراء . وان انهاء العمل باتفاق الشحن البحرى المبرم بين واشنطن وموسكو سيعرقل حركة الملاحة بين البلدين .

ورغم ما اثارته الازمة البولندية من توتر خطير بين واشنطن وموسكو فان مفاوضات الحد من الاسلحة النووية التاكتيكية قد استؤنفت مرة اخرى في جنيف بعد مرور شهر واحد من اعلان الاحكام العسكرية في بولندا اى في اواسط شهر يناير الماضي .

والواقع ان استمرار الحوار بين الدولتين العظميين حول الحد من الاسلحة النووية في اوربا ، وان كان يعتبر مواصلة من جانب الولايات المتحدة في الوفاء بالتعهد الذى قطعته لشركائها داخل حلف الاطلنطى الذين يعقدون اهمية كبرى على تخفيف حدة التهديد النووى في اوربا ، الا انه بات يشكل ثغرة جديدة واضحة في السياسة الامريكية التى تدعو الى الربط الشامل بين سلوك الاتحاد السوفييتي في العالم وفرصة الوفاق مع الولايات المتحدة . وكان الكسندر هيج قد صرح في اليوم الاخير من العام الماضي بأن المفاوضات

---

(٢٥) Washington Post, 24/12/1981.

(٢٦) بيان وكالة تاس السوفيتية في ٣٠ ديسمبر ١٩٨١ .

(٢٧) New York Times, 28/12/1981.

حول الاسلحة الاستراتيجية فى اوربا « ليست بمنأى » عن احداث بولندا .

هذا وقد ظلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى عشية لقائهما من جديد فى جنيف على خلاف حول سؤالين جوهريين هما : اى نظم للاسلحة النووية يتعين ان تشملها المفاوضات وكيفية تقديم الطاقات التدميرية لدى كل من الجانبين ؟ ويتفق الجانبان تماما حول نقطة واحدة وهى ان مفاوضات جنيف ستكون طويلة وشاقة وبالغة التعقيد .

وجدير بالذكر انه فى خضم التطورات المذكورة خرج بيريز دى كويلار السكرتير العام للامم المتحدة بدعوة الى عقد اجتماع قمة امريكى سوفييتى لما سيتمخض عنه من تخفيف لحدة التوترات الدولية والى تسوية سلمية للمشاكل الرئيسية بين دول الغرب والكتلة الشرقية .

حرب دعائية محتدمة :

استؤنفت مفاوضات جنيف بين خبراء الجانبين الامريكى والسوفييتى بعد مرور شهر على احداث بولندا . ولكن احاط بهذا الاستئناف التفاوضى خضم له دوى وضجيج من الحرب الدعائية بين الطرفين كاد يعيد للاذهان المعارك الكلامية المعلنة الحادة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ابان سنوات الخمسينيات فى ظل اشتداد اوار الحرب الباردة بينهما .

وتمثل هذا الصراع الدعائى فى واقعتين اساسيتين اولهما اجتماع بين وزيرى خارجية البلدين فى جنيف يوم ٢٦ يناير الماضى ، وثانيهما اقتراح سوفييتى جديد قدمه الرئيس بريچنيف فى يوم ٣ فبراير الماضى بشأن خفض متبادل للسلاح النووى .

فقد اجتمع الوزيران فى جنيف ودام الاجتماع بينهما سبع ساعات كاملة . وفى برقية من ٦ صفحات كاملة اذاعتها وكالة تاس السوفيتية ، وضح تراجع الوزير الامريكى عن التفاهم الذى سبق ان تم التوصل اليه بين واشنطن وموسكو بشأن اعتبار محادثات الحد من الاسلحة النووية المتوسطة المدى فى جنيف مرحلة تمهيدية يتم خلالها الاتفاق على استئناف محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية . حيث اعلنت وكالة تاس فى برقيتها المطولة[٢٨] .

« عندما تم التعرض لقضية استئناف المفاوضات حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية تجنب الطرف الامريكى ضبط موعد يكون فيه مستعدا لذلك » .

وصرح هيج فى مؤتمر صحفى بعد انتهاء مباحثاته مع جروميكو بأن خلافاتهما حول بولندا القت ظلا قاتما طويلا على جميع مسائل الغرب والشرق . وانه ابلغ وزير الخارجية السوفييتى ان الولايات المتحدة لن توافق على بدء اى نوع من المفاوضات حول خفض الاسلحة الاستراتيجية حتى تسمح الظروف بذلك .

واوضح هيج للصحفيين ان غرض المباحثات لم يكن تحسين العلاقات الامريكية السوفيتية او العلاقات بين الشرق والغرب عموما بل ان هذه المباحثات استهدفت اتاحة الفرصة امام الجانب الامريكى للاعراب بوضوح عما يثير اهتمامنا وقلقنا وبصفة خاصة قلقنا ازاء الموقف فى بولندا »[٢٩] .

اما وزير الخارجية السوفييتى فقد ادلى ببيان رسمى عقب المباحثات اعلن فيه انه ينبغى على الولايات المتحدة ان تكف عن تدخلها فى الشئون البولندية وان موسكو لن تناقش هذه الشئون مع اى كان بما فى ذلك الولايات المتحدة . وقال ان بلاده على استعداد لبدء المفاوضات حول خفض الاسلحة الاستراتيجية ولكن تبين أن الولايات المتحدة غير مستعدة لهذه المفاوضات .. وانه فى الوقت الذى ينتظر فيه العالم تسوية مشكلة الاسلحة الاستراتيجية فان مسئولية النتائج المترتبة على السياسة التى تستهدف عرقلة هذه المباحثات تقع برمتها على عاتق حكومة الولايات المتحدة التى لاتستطيع ان تهرب من هذه المسئولية . »

ومن جهة اخرى انتهز الزعيم السوفييتى ليونيد بريچنيف فرصة لقائه مع ممثلين عن الاشتراكية الدولية من بينهم عدد من الشخصيات السياسية البارزة فى اوربا الغربية ، بقصر الكرملين فى موسكو يوم ٣ فبراير الماضى[٣٠] لاعلان اقتراح سوفييتى جديد يقضى بخفض الصواريخ النووية التاكتيكية الامريكية والسوفيتية بمقدار الثلثين حتى عام ١٩٩٠ ... وقد اقترن الاقتراح السوفييتى بهجوم عنيف شنه بريچنيف على الولايات المتحدة واتهم حكومة ريجان بأنها تتجنب الدخول فى مفاوضات جادة حول الحد من الصواريخ المتوسطة المدى وتستخدم تبريرات مختلفة لعدم استئناف مباحثات الحد من الاسلحة الاستراتيچية ... وتحدث عن النتائج الخطيرة للسياسة الراهنة التى ينتهجها حلف الاطلنطى وخص من دول الحلف ، الولايات المتحدة ، بالنسبة لسلام العالم . وقال انه لم يحدث من قبل منذ نهاية الحرب العالمية

---

(٢٨) وكالة تاس السوفيتية يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٨٢ .

(٢٩) Le Monde 28/1/1982.

(٣٠) وكالة تاس السوفيتية فى ٤ فبراير ١٩٨٢ .

الثانية ان وصل الموقف لهذه الدرجة من الخطورة[٣١] .

وهكذا تتضح مقومات الحرب الدعائية فى طيات هاتين الواقعتين المذكورتين تلك الحرب الدعائية ماكانت سوى حلبة ملاكمة بينهما من اجل كسب الرأى العام الاوربى وفى اوربا الغربية بالذات . ان واشنطن لاتريد ان يتشكك الرأى العام الاوربى فى التزام الولايات المتحدة بالدبلوماسية السلمية فى صراعها ضد الاتحاد السوفييتى فى مجال الاسلحة النووية ، وذلك حتى لاتفقد نقطة لصالح موسكو فى حرب الدعاية التى تستهدف كسب الرأى العام الاوربى .

كذلك فان بريجنيف عندما اعلن اقتراحه بخفض الصواريخ النووية بمقدار الثلثين امام وفد الاشتراكية الدولية ، انما كان يستهدف الى حد كبير من وراء اعلان التزامه هذا كسب نقطة لصالح موسكو فى هذه الحرب الدعائية التى احتدم اوارها مع بدء نفس الجولة الثانية من محادثات جنيف حول الاسلحة النووية التاكتيكية .

المعادلة الصعبة للعلاقات الاوربية : الامريكية (صفقة الغاز السوفييتى) :

اذا كانت حركة السلام فى المانيا الغربية وعدد من دول اوربا الغربية الاخرى ومطالبة القائمين عليها بازالة الصواريخ النووية الامريكية من الاراضى الاوربية وبابعاد المسرح الاوربى نسبيا عن صراع التفوق النووى بين العملاقين ، قد ادت الى اهتزاز حقيقى فى جبهة التحالف الغربى فى الخريف الماضى ، فان العلاقات الامريكية الاوربية قد تعرضت مع بدايات العام الحالى لمنعطف خطير بسبب موضوع هام يتعلق بصميم تطور العلاقات بين الدولتين العظميين فى العام المعاصر واعنى بهذا الشقاق السياسى البالغ الذى اعترى مسار العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية ، حول قضية صفقة الغاز الطبيعى السوفييتى التى ابرمها الاتحاد السوفييتى مع المانيا الغربية (فى نوفمبر الماضى) ثم مع فرنسا (فى يناير الماضى) .

ففى ليلة ٢٣ يناير ١٩٨٢ تم فى باريس التوقيع على صفقة تجارية هائلة تنص على ان الاتحاد السوفييتى الذى يصدر حاليا الى فرنسا اربعة مليارات متر مكعب من الغاز الطبيعى سنويا . سوف يزودها بثلاثة اضعاف هذه الكمية فى سنوات :لتسعينيات وسوف يصبح بالتالى اكبر مزود لها بالغاز الطبيعى بما يعادل ثلث امدادات فرنسا ككل من الغاز الطبيعى ذى الاهمية القصوى فى مجالات الانتاج الصناعى وميادين الحياة العادية[٣٢] .

هذا الاتفاق السوفييتى ــ الاوربى بشأن الغاز الطبيعى المستخرج من صحراء سيبريا الجليدية ، هو بحق « صفقة القرن » سواء نظرنا اليه من وجهة نظر اقتصادية وتجارية بحتة او من زاوية التحليل السياسى .

ويقضى الاتفاق بمد خط انابيب يبلغ طوله عدة الاف من الكيلو مترات لنقل الغاز الطبيعى السوفييتى من حقول انتاجه بصحراء سيبريا الى مناطق الاستهلاك فى فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وبلدان غربية اوربية اخرى . وتبلغ نفقات المشروع خمسة وعشرون الف دولار . وبالتالى فانه يعتبر اضخم صفقة اقتصادية وتجارية تبرمها دولة منفردة . على الاطلاق خلال هذا القرن .

ولهذا المشروع اهمية خطيرة بالنسبة للاتحاد السوفييتى وبالنسبة لدول اوربا الغربية .

فالاتحاد السوفييتى سوف يحقق بعد اتمام انشاء المشروع وبدء ضخ الغاز الى اوربا الغربية ، ارصدة ضخمة من العملات الصعبة الضرورية لكافة قطاعات الاقتصاد السوفييتى . ودول اوربا الغربية تجد فى هذا المشروع مصدرا بديلا للطاقة يخفف عنها بعض الاعباء والمتاعب التى تواجهها فى الحصول على الطاقة بالاساليب المتاحة حتى الآن ، أى نقل البترول من مصادر انتاجه وخاصة من منطقة الشرق الأوسط الى هذه البلدان .

كذلك فان لصفقة الغاز بجانبها الانشائى المتعلق بمد خط الأنابيب ما بين سيبريا واراضى اوربا الغربية ، أى عبر قارة اوربا ككل ، إنما تقدم مزايا اقتصادية هائلة لدول اوربا الغربية من حيث توفير فرص عمل واسعة تقضى على الكثير من آثار البطالة والكساد التى تعانى منهما بشدة تلك الدول منذ سنوات . فالاتفاق ينص على ان تقوم شركات غرب اوربا بتقديم الجانب الاعظم من المعدات اللازمة للمشروع والذى يستغرق ٤ سنوات على الأقل وهذا معناه تشغيل المصانع الاوربية فى انتاج معدات المشروع ومستلزماته ، مما يخفف من حدة المشاكل الاقتصادية فى اوربا الغربية .

فالفرنسيون والالمان الغربيون يقيمون تقييما عاليا الغاز الطبيعى السوفييتى كمصدر بديل متاح جديد

---

(٣١) Times, 5/2/1982.

(٣٢) Washington Post, 5/2/1982.

للطاقة ، كما يتحمسون بشدة لتعاقدات الانتاج الضخمة المترتبة على المشروع (والتى تصل قيمتها بالنسبة لفرنسا الى مليارين من الفرنكات الفرنسية كذلك فان فكرة التضحية ولو بعدد ضئيل من فرص العمل التى تتيحها الصفقة المذكورة مع الاتحاد السوفييتى ، امر لا يتقبله الرأى العام الغربى الاوربى .

ومن زاوية التحليل السياسى نجد ان المشروع هو اكبر اتفاق اقتصادى بين الاتحاد السوفييت ، الدولة الأولى فى حلف وارسو ، وبلدان اوربا الغربية التى تشكل الاغلبية العظمى من اعضاء حلف الاطلنطى ، وهو ما يعنى تقاربا مصلحيا وماديا ضخما ، بين الاتحاد السوفييتى واوربا الغربية رغم الخلافات الايدلوجية الجوهرية بين الجانبين ورغم تناقضات الانتماء التنظيمى الدولى لكل منهما ، هذا التقارب الضخم المذكور من شأنه ان يؤكد مظاهر وابعاد الاستقلالية السياسية النسبية والاقتصادية المتزايدة لدول اوربا الغربية عن الدوران فى فلك العملاق الامريكى .

والاختلاف الموضوعى ما بين العقد الفرنسى السوفييتى بشأن الغاز الطبيعى ونظيره الالمانى السوفييتى ، هو ان الاتفاق الفرنسى قد تم اعلانه بعد قرابة الشهر من اعلان الاحكام العسكرية فى بولندا يوم ١٣ ديسمبر الماضى بينما ابرمت المانيا الغربية صفقتها مع السوفييت فى نوفمبر الماضى أى قبل شهر من تطورات الأحداث البولندية لدرجة تفجير الموقف العام لصالح الحكم العسكرى القائم فى بولندا .

ولقد كانت الولايات المتحدة تعارض منذ البداية هذا المشروع وكانت حجتها فى هذه المعارضة هى ان اعتماد اوربا الغربية على هذا المصدر السوفييتى للطاقة سيعرضها لضغوط سوفييتية هائلة يمكن ان تشل فعالياتها العسكرية فى مواجهة اى « تجاوز » من جانب المعسكر الشرقى ضد المعسكر الغربى .

وقد ازدادت المعارضة الامريكية لمشروع خط انابيب غاز سيبريا بعد احداث بولندا وبعد ان اعلنت الادارة الامريكية فرض عدد من العقوبات الاقتصادية على الاتحاد السوفييتى « باعتباره المسئول الأول عن القمع الذي يجرى فى بولندا منذ يوم ١٣ ديسمبر » أى منذ اعلان الأحكام العسكرية فى بولندا .

ولقد كان رد دول أوربا الغربية على المعارضة الامريكية فى البداية هو أن الاتحاد السوفييتى يحترم فى العادة اتفاقاته الاقتصادية والتجارية وانه لا خوف على الاطلاق من تعرضها لأى ضغوط سياسية سوفييتية نتيجة لصفقة الغاز . كذلك فان الاوربيين الغربيين لم يتحمسوا للعقوبات الاقتصادية التى فرضتها واشنطن على السوفييت على اساس ان فرض العقوبات التجارية اسلوب سلبى خاطىء . فسياسة العقوبات لم تنجح فى سنة ١٩٢٠ عندما كانت الدولة السوفييتية وليدة بعد ، ولم تنجح بعد الحرب العالمية الثانية عندما خرج الاتحاد السوفييتى من معاركها منهوك القوى فكيف يمكن لمثل هذه السياسة العقابية الاقتصادية والتجارية ان تنجح الآن وقد اصبح السوفييت يتمتعون بقوة عسكرية كبيرة ؟[٣٣]

كذلك يرى الساسة الاوربيون الغربيون ان التاريخ لن يتغير باتخاذ اجراءات محدودة . والاجراءات الفعالة حقيقة هى تلك التى يلتزم بها كل الحلفاء الغربيين جنبا الى جنب مع الولايات المتحدة الامريكية ، وهنا يقول وزير خارجية فرنسا كلود شيسون فى احد احاديثه الصحفية : « يجب الا ننسى ما حدث بالنسبة لحظر تصدير الحبوب الامريكية للاتحاد السوفييتى » ومن ثم صدرت التصريحات العديدة من جانب واشنطن والتى تشير الى ان الاعضاء الاوربيين فى الحلف الغربى يضعون الاهتمامات القومية او حتى الوطنية الضيقة المباشرة فى موضع أعلى واسمى على متطلبات الامن الجماعى للمعسكر الغربى ككل . وحقيقة الامر فى هذه النقطة بالذات أنه لم يكن منطقيا البتة ان يكون رد الفعل الامريكى على هذا القدر من تجاهل الواقع . فكيف مثلا يتسنى للامريكيين أن يفسروا منطق استمرار بيع الحبوب الامريكية الزراعية الى الاتحاد السوفييتى فى الوقت الذى يطالبون فيه حلفاءهم الاوربيين بتأخير او بتأجيل صفقة الغاز السوفييتى الى أجل غير مسمى ؟!

هذا وقد كانت صفقة الغاز الفرنسية السوفييتية بالذات مصدر نزاع حاد بين حكومتى باريس وواشنطن علما بأن العلاقات القائمة الفرنسية الامريكية لم يكن قد اعتراها حتى ذلك الحين ما يعكر صفوها على الرغم من فوز الاشتراكيين الفرنسيين فى انتخابات ١٩٨١ ومن دخول وزراء شيوعيين الى الحكومة الفرنسية ومن سياسة فرنسا تجاه امريكا اللاتينية باعترافها بالمقاومة اليسارية فى السلفادور وتقديمها للاسلحة الى ثوار نيكاراجوا .

---

(٣٣) كريستيان ساينس مونيتور ، ٣ مارس ١٩٨٢ .

إلا أن الموقف الامريكى الرسمى من « صفقة القرن » للغاز السوفييتى تضمن انقساما حادا ما بين اجنحة الادارة الامريكية وتمثل ذلك فى اختلاف جذرى فى وجهة نظر كل من وزارة الدفاع بقيادة كاسبار واينبرجر ووزارة الخارجية بقيادة الكسندر هيج ، ازاء الأسلوب الأمثل لمواجهة اخطار تلك الصفقة على التحالف الغربى[٣٤]

فرجال وزارة الدفاع الامريكية طالبوا الادارة الامريكية بمعارضة بناء خط الانابيب معارضة مباشرة وفعالة من أجل حرمان الاتحاد السوفييتى من عائدات الغاز الطبيعى المزمع بيعه الى اوربا الغربية ، والذى تقدره اجهزة المخابرات المركزية الامريكية بأكثر من عشرة بلايين دولار فى السنة عندما يكتمل بناء خط الانابيب الى اوربا الغربية . وبالتالى فان من الضرورى بالنسبة للمصالح الامريكية العليا ان يعرقل هذا المشروع ، لأن مثل هذه العائدات الضخمة من العملات الاجنبية لابد وان تساعد الاتحاد السوفييتى على تعزيز قاعدته الصناعية والعسكرية . ولذا ضغط رجال وزارة الدفاع على الرئيس ريجان من أجل اتباع سياسة كفيلة بتأجيل اقامة خط الانابيب لسنتين او ثلاث سنوات ، مما يلحق اضرارا مادية واقتصادية بالغة للاتحاد السوفييتى . ومن جهة أخرى فان تأخير عملية تنفيذ المشروع سيتيح للادارة الامريكية وقتا ثمينا لاقناع الحلفاء الاوروبيين بالتخلى عن بناء هذا المشروع الكبير والذى سيجعل أوروبا الغربية معتمدة على الغاز السوفييتى بنسبة ٢٥٪ من جملة احتياجاتها من هذه المادة الحيوية البالغة الأهمية .

أما رجال الخارجية الامريكية فقد ارتأوا الأمر من زاوية مختلفة تماما ، فقد رأوا امكانية الاستفادة الغربية من حاجة السوفييت الى تكنولوجيا الغرب وبذلك يمكن فرض المزيد من الضغوط على المعسكر الشرقى . كذلك فان فرض الضغوط الامريكية على الحلفاء الاوربيين لالغاء صفقة خط الانابيب ، اعتبرته وزارة الخارجية فى ظل هيج سلبية خطيرة قد تؤدى الى احداث تصدع خطير فى صفوف حلف شمال الاطلنطى . واعتقدت الخارجية الامريكية ان الدخول فى مواجهة كبيرة مع اوربا حول مشروع خط الانابيب يمكن ان يعطى السوفييت ورقة رابحة لتسليط الضوء على اخطار البطالة فى البلاد وصرف الأنظار عن التورط السوفييتى فى فرض الأحكام العسكرية فى بولندا . وكانت ادارة ريجان قد اعلنت فى التاسع والعشرين من ديسمبر الماضى (١٩٨١) فرض ضوابط اضافية على تصدير التكنولوجيا والاجهزة المتعلقة بالبترول والغاز الطبيعى الى الاتحاد السوفييتى وادت هذه القرارات الى تجميد بعض العقود المبرمة بين الشركات الامريكية والحكومة السوفيتيية . وهنا اقترحت الخارجية الامريكية بقيادة هيج على الادارة الريجانية ان تفرض شروطا متشددة بشأن الصادرات الى الاتحاد السوفييتى ولكن شريطة الحصول على موافقة صريحة حقيقية من الحكومات الاوربية الغربية .

واستمر هذا الصراع فى الراى بين اجنحة الادارة الامريكية . وفى تلك الاثناء بدأت لجنة من الخبراء التابعين لوزارة الدفاع الامريكية دراسة تستهدف توسيع نطاق العقوبات التجارية التى فرضتها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفييتى عقب اعلان فرض الأحكام العسكرية فى بولندا ، لتشمل الشركات الاوربية التى تعتزم تزويد السوفييت - بمقتضى تراخيص من الشركات الامريكية - بالمعدات اللازمة لبناء خط الانابيب الذى سينقل الغاز من سيبيريا الى اوربا .. وذلك مثل التوربينات واجهزة الضغط اللازمة لضخ الغاز ، وغير ذلك من معدات خط الانابيب والتى تصل قيمتها الى عدة مليارات من الدولارات .

وتضمنت هذه الدراسة للبنتاجون ، مطالبة الشركات الامريكية بالغاء التراخيص التى تمنحها للشركات الاوربية ووقف عمليات المقاصات التجارية بين الشركات الامريكية وبين الشركات الاوربية التى تنتهك هذه العقوبات . وكان المنطق الاقتصادى الذى تأسست عليه دراسة خبراء البنتاجون هذه ان عرقلة مشروع خط الانابيب الجديد ستوجه ضربة فى الصميم للاقتصاد السوفييتى لأن خبراء التخطيط الاقتصادى السوفييت يعولون على صادرات الغاز الطبيعى ، من اجل تزويد الاتحاد السوفييتى بمعظم دخله من العملات الصعبة فى النصف الثانى من عقد الثمانينات حيث تتزايد توقعات الانخفاض الكبير فى حجم وقيمة صادرات البترول السوفييتى .

وعشية الجولة الاولى للرئيس ريجان على المسرح السياسى الاوربى فى اوائل يونيو الماضى ، والتى شملت فرنسا (مؤتمر فرساى للقمة الاقتصادية للدول الغربية) ثم بون ولندن وبرلين والفاتيكان (زيارات رسمية) وضح تغلب الفريق المعتدل فى نظرته للسياسة الامريكية تجاه الحليف الاوربى الغربى وتراجعت ...

---

(٣٤) هذا الخلاف انتهى لصالح فريق وزارة الدفاع وكان من اهم اسباب خروج هيج من وزارة الخارجية فى يونيو الماضى .

الادارة الامـريكية بهـدوء تـدريجي عن هـذه النزعة المتشددة التـى هـزت بعنف دعائم حلف الاطلنطـى . واشار ريجان مرارا اثناء جولته الاوربية عن تنازله عن معـارضته الصـارخة لمشروع خـط انابيب الغـاز السوڤييتى فى اوربا الغربية وان كان قـد اعلن رفضـه المطلق لمد خط انابيب مماثل أخر .

وواقع الأمر ان هذا الاعتدال الظـاهرى فى الموقـف الرسمى الامريكى من صـفقة الغـاز السـوڤييتى كان راجعا الى مقتضيات الاطار الدعائى لرحلتـه الأولى فى اوربا وهو فى رئاسة الولايات المتحدة . فيقول فى هـذا الشأن احد مساعدى الرئيس الامـريكى : انه ينبغـى على ريجان ، بالنسبة للرأى العام الامريكى ان يبـزغ من رحلته كسياسى قدير وجدير بالاحترام يسيطر على الاحداث سيطرة كاملة . امـا بـالنسبة للرأى العـام الاوربى فأنه ينبغى عليه أن يبدو رجلا محبـا للسـلام لديه حساسية خاصة بالمشاكل الاوربية ولديه الرغبة فى تولى ما يفرضه عليه ذلك من مسئوليات . أما بـالنسبة للروس والصينيين ... فأنه ينبغى عليه أن يظهر بمظهر الزعيم المتمـاسك الذى لا غنى عنه بـالنسبة للتحـالف الغربى والمعبر عن الاهتمامات والقيم المشتركة لهـذا التحـالف »

هذه المقتضيات المذكورة جعلت الرئيس ريجان يدفع الحلفـاء الاوربيين الى رؤية الموقـف الامـريكى ازاء العقوبات الاقتصادية ضـد الاتحـاد السـوڤييتى أثناء رحلته الاوربية ، بمنظار يختلف تماما عن الممـارسات الواقعية له فى هذه القضية عندمـا عاد الى بـلاده .[٣٥] ذلك أنه فى يوم ١٩ يونيو الماضى أى بعد عودة ريجان من رحلته الاوربية بـأيام قليلة ، أعلن الرئيس الامـريكى فرض عقوبات اقتصادية جديدة من اجل اعاقة بناء خط انابيب الغاز الطبيعى السوڤييتى ، وذلك بفرض حـظر تام على التجهيزات الخـاصة بهـذا الخـط المذكور ، ويشمل ذلك الحظر منتجات الشركات الأمـريكية التـى تعمل خارج الولايات المتحدة . وكذلك منتجات الشركات الأجنبية التى تعمـل بتصـاريح او حقـوق امتياز مـن مؤسسات امريكية والهدف من هـذا الحـظر هـو منع توريد المعدات اللازمة لخط أنابيب الغـاز السـوڤييتى الى اوربا والذى يبلغ طوله ٥٥٠٠ كيلو مترا .

وبعد مرور ثـلاثة اسـابيع على تـأكيد العقـوبات الاقتصـادية الامـريكية المذكورة والمفـروضة على موسكو ، أعلنت وكالة تـاس السـوڤييتية يوم ٦ يوليو الماضى (١٩٨٢) أن الاتحـاد السـوڤييتى سـينفذ فى المواعيد المقررة عقود الامداد بالغاز التى وقعها مع دول غرب اوربا . وبمقتضى هـذه العقـود يمـد الاتحـاد السوڤييتى اوربا الغربية باربعين مليار متر مكعب من غاز سيبيريا كل عام وذلك خـلال التسـعينات ، منهـا ١١,٢ مليار متـر مـكعب سـنويا لالمانيا الغـربية و٨ مليارات مكعب سنويا لفرنسا على ان يبدأ توريد الغاز السوڤييتى فى منتصف عام ١٩٨٤ .

وسرعان ما رددت وكالات الانباء الغـربية أصـداء السخط فى عموم العواصم الغـربية فى اعقـاب القـرار الامريكى المذكور والذى من شأنه الابقاء على معـدلات البطالة المرتفعة فى دول غرب اوربا . ونددت العـواصم الاوربية بهذا القرار الذى اتخذ بشكل مفـاجىء ومـن جانب واحد فقـط دون اجـراء مشـاورات مـع الدول الغربية . وجدير بالذكر ان اليابان قد انضمت الى هذه العواصم الاوربية فى ادانتها للقرار الامريكى بـالحظر على المعدات اللازمة لبناء خط انابيب غاز سـيبيريا . ذلك لأن هذا القرار له تـأثيراته السـلبية على مشروع يابانى سوڤييتى لتنمية حقول النفط والغـاز بجـزيرة ساخالين السوڤييتية ، والتى يقوم الاتحاد السوڤييتى بموجبها بتزويد اليابان بنحو ثلاثة ملايين طن من الغاز سنويا ولمدة ٢٠ عاما أعتبـارا مـن عام ١٩٨٨ . وهنا ابلغت اليابان الحكومة الامريكية أنه لايمـكنها أيقـاف شحنات من الأجهزة والآلات التـى تصـنع فى اليابـان بترخيص أمريكى على الرغم من الحـظر الذى فـرضه الرئيس الأمريكى ريجان على تلك التجهيزات .

وبصرف النظر عن تطورات الأزمـة بين واشـنطن وحلفائها عبر الأطلسى بشأن العلاقات الفنية والتجارية المتزايدة بين الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الغـربية ، فان العقدة الحقيقية بين الجانبين الغـربيين تـكمن فى التناقض الجوهرى القائم فعلا ما بين تصور كل منهما لما يجـب ان تـكون عليه العـلاقات الأمـريكية ـ السوفيتية . ان الاوربيين بصورة عامـة يعتقـدون ان الوفاق بين الشرق والغرب فى فتـرة السـبعينيات كان انتصارا كبيرا لأنه ادى الى تقليص أخطار الحـرب فى اوربا والى فتح ابـواب اوربـا الشرقية امـام النفـوذ الغـربى ، وكذلك الى تمهيد الطـريق الى اجـراء المفاوضات حول نزع السلاح . اما الامريكيون فيميلون الى الاعتقاد بأن الوفاق الدولى قد كان فشلا حقيقيا ، لأن السوفيت واصـلوا تعـزيز قـدراتهم العسـكرية ونجحوا فى توسيع دائرة نفـوذهم فى العـالم الثـالث . وبالتالى فان الأمريكيين يشعرون بضرورة العـودة الى

---

(٣٥) كريستيان سانيس مونيتور ، ١٩٨٢/٧/٢ .

سياسة التطويق العسكرى النشط الغربى حول المعسكر الشرقى اى عودة الى سياسة الاحساطة الأمريكية التى عرفها العالم ابان الخمسينيات مع عنفوان الحرب الباردة بين القطبين .

وعلى العكس من هذه النظرة الامريكية المتشددة ، يرى الأوربيون امكانية السيطرة على القوة السوفيتية دون اللجوء الى المواجهة المباشرة الخطيرة بين العملاقين ، على نطاق العالم مما يهدم منجزات الوفاق الدولى بالنسبة للمصالح الاقتصادية والتجارية لأوربا الغربية فى علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى ودول الشرق الأوربى . ويعتبر الرأى العام فى اوربا الغربية أنه من غير المقبول منطقيا ان تترك الولايات المتحدة الأمريكية استحكامات العالم الغربى تنهار وتتصدع تحت ثقل الأسلحة التى ينبغى ان تحمى هذه الاستحكامات . فعلى العملاق الغربى الا يحصر اهتماماته فى الخطر السوفيتى المحتمل او الممكن او حتى الوهمى ، وانما ينبغى عليه ان يوجه انظاره نحو الأخطار الحقيقية التى تهدد السلام والأمن الدوليين والتى تحيق بالكتلة الغربية ، وذلك فى ظل الضغوط الاقتصادية المتزايدة وظروف الكساد والبطالة المتفشية فى دول اوربا الغربية .

تلك هى اهم ملامح المعادلة الصعبة للعلاقات الامريكية الأوربية والتى يقف الاتحاد السوفيتى — قاسما مشتركا أعظم — فى جانبى الدولة .

بدء محادثات ستارت : مقدمات وخلفيات :

ادت الظلال الكثيفة التى القتها كل من أزمة بولندا ومشكلة صفقة الغاز السوفيتى على محادثات جنيف حول الحد من الأسلحة النووية المتوسطة المدى ، والتى بدأت فى ٣٠ نوفمبر الماضى واستؤنفت فى الشهور الأولى من العام الحالى ، ادت الى تأجيلها رسميا فى منتصف مارس الماضى الى تاريخ يحدد فيما بعد .

الا ان الحوار حول السلاح النووى بين القطبين انتقل من مستوى القوى النووية المتوسطة المدى الى صعيد اعلى واهم واخطر . الا وهو صعيد الأسلحة النووية الاستراتيجية . بمعنى أخر بدأت ارضية المسرح السياسى لمحادثات سولت السابقة تتهيأ لمرحلة جديدة يطلق عليها محادثات ستارت بين العملاقين الأمريكى والسوفيتى .

هذا الانتقال وهذا التهيؤ المذكورين حدثا واقعيا نتيجة لتطورين اساسيين : مبادرة سوفيتية رئاسية ثم حركة امريكية للسلام ونبذ الحرب النووية بشكل اسلحتها

ففى منتصف مارس الماضى فاجأ الرئيس السوفيتى بريجنيف العالم عندما القى خطابا امام المؤتمر السابع عشر لاتحاد النقابات العمالية السوفيتية الذى عقد فى موسكو ، واعلن فيه ان الاتحاد السوفيتى قرر تجميد نشر الصواريخ التى تمت اقامتها بالفعل فى غرب الاورال من حيث الكم او النوع كما قرر كذلك وقف استبدال الصواريخ القديمة المعروفة باسم اس . اس ٤ واس . اس ٥ بالصواريخ الأحدث ٣٦ .

وكانت مصادر عسكرية فى بون قد اشارت الى ان الاتحاد السوفيتى قام بنشر ٢٨٨ صاروخا من طراز اس . اس ٢٠ من بينها ٢٠٠ موجهة الى دول حلف الأطلنطى فى اوربا . هذا وقد لخص الرئيس بريجنيف اقتراحاته فى النقاط التالية :

(١) أن الاتحاد السوفيتى يعلن من جانب واحد تأجيل نشر صواريخه النووية المتوسطة المدى فى اراضيه التى تقع فى اوربا .

(٢) انه قرر وقف أحلال الصواريخ الحديثة محل الصواريخ القديمة .

(٣) كما يعلن عن استعداده للحد اعتبارا من هذا العام وبمبادرة منه ، من عدد صواريخه المتوسطة ، اذا لم يتدهور الموقف الدولى .

(٤) ويرى ان نشر صواريخ امريكية جديدة فى اوربا من شأنه أن يخلق موقفا استراتيجيا جديدا فى العالم ، سيرغمه على اتخاذ اجراءات رادعة .

(٥) وهو يوجه نداء للولايات المتحدة كى لاتعرقل استئناف مفاوضات (سولت)

(٦) اقترح على الولايات المتحدة التعهد بدورها بعدم نشر صواريخ كروز بعيدة المدى قبل استئناف المفاوضات .

(٧) يبدى استعداده للتفاهم مع الولايات المتحدة للحد المتبادل لأنشطة القوات البحرية وخاصة الغواصات حاملة الصواريخ .

وتوالت التعليقات والتفسيرات وردود الأفعال سريعة متلاحقة نتيجة لمبادرة بريجنيف هذه .

فذكرت صحيفة يوغسلافية(٣٧) أن مقترحات بريجنيف الجديدة تتفق مع « حاجات السوفيت الاقتصادية التى تدفعهم لمحاولة جديدة لوقف سباق التسلح » . وتضيف ان هذه المقترحات السوفيتية موجهة بصفة خاصة الى اوربا لازالة مخاوفها فى

---

(٣٦) وكالة تاس السوفيتية فى ١٧ مارس ١٩٨٢ .

(٣٧) صحيفة بوليتيكا اليوغسلافية يوم ٢٠ مارس ١٩٨٢ .

المجال الاستراتيجي ولدعم آفاق التعاون الاقتصادى والتجارى بين الاتحاد السوفييتي ودول اوربا الغربية .

اما اجهزة الاعلام السوفيتية[٣٨] فقد اوضحت ان المقترحات السوفيتية الجديدة حول نزع السلاح يجب ان تفسر باعتبارها « اشارة الى الغرب تشهد على رغبة الاتحاد السوفيتي فى التوصل الى اتفاق مع الولايات المتحدة حول الحد من الأسلحة النووية وتخفيض عددها » .

هذا بينما رأى كثير من الساسة والمعلقين الامريكيين ان المهلة التى اعلنها بريجنيف من جانب واحد امام المؤتمر السابع عشر للنقابيين السوفيت تبدو فى شكل بادرة سياسية تستهدف فى آن واحد تشجيع البدء فى مفاوضات جنيف حول الأسلحة المتوسطة المدى فى اوربا ، وايضا الحث على بدء المفاوضات الخاصة بخفض الأسلحة الاستراتيجية (ستارت) التى يتعين ن تحل محل مشروع (سولت ٢) الذى رفضه الرئيس ريجان رفضا قاطعا .

ثم وصل الرد الرسمي من الحكومة الأمريكية على مبادرة بريجنيف وذلك عندما اعلن كاسبار واينبرجر وزير الدفاع فى ادارة الرئيس ريجان امام التليفزيون الأمريكى ان « الحكومة الامريكية قد بدأت المرحلة النهائية للاستعدادات المكثفة للمفاوضات مع الاتحاد السوفيت الخاصة بخفض الأسلحة الاستراتيجية » .

وتبدو الخلفية الواقعية لهذا التصريح من وزير دفاع الولايات المتحدة فى « موجة » الحركة السلمية التى تسود عدة اقطار اوربية خاصة فى المانيا الغربية وفى الولايات المتحدة ذاتها حيث بدأ ينمو تيار فكرى قوى ينادى بضرورة تجميد الأسلحة النووية فورا عند مستواها الحالى لدى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

وفى هذا الاتجاه قدم كل من ادوارد كيندى وهارك مارفيالد وهما من ابرز اعضاء الكونجرس الأمريكى ، مشروع قرار الى الكونجرس يطالب بالتجميد الفورى للترسانات النووية لدى العملاقين . وحظى المشروع بتأييد ٢٢ عضوا من مجلس الشيوخ و ١٥٠ نائبا من مجلس النواب . وكانت هذه بادرة تعبر عن قلق الرأى العام الأمريكى من انعكاسات كارثة نووية .

وجدير بالذكر ان هناك علماء امريكيون لعبوا دورا بارزا فى هذه الحركة وكذلك عدد من الأساقفة الجامعيين ورجال القانون وحتى رجال عسكريين مثل الأميرال جايلر المدير السابق لوكاله المخابرات التابعة للبنتاجون وكذلك بول وارنكيه المفاوض السابق فى اتفاقات سولت ٢

ومعارضو الأسلحة النووية لا يتحدثون بلغة دبلوماسية او يطرحون الشروط العسكرية او المواصفات الفنية ، وانما يتحدثون بلغة قاطعة تضع الخيار محصورا بين الحياة والموت . وهم يعتقدون بأن تهديدات الحرب النووية تحمل عناصر هائلة من الخطورة لا يمكن تركها للسياسيين الذين لا يستطيعون حل قضاياهم القومية بالحرب النووية .

ومن ابرز مظاهر هذه الموجة السلمية مقالات ودراسات عديدة نشرت فى الصحف والمجلات الأمريكية تطالب جميعها بضرورة بدء مفاوضات جادة للحد من سباق التسلح النووى الرهيب بين العملاقين خاصة مع انتصاف عام ١٩٨٢ واقتراب عام ١٩٨٣ وهو التاريخ المحدد لوضع الصواريخ النووية الأمريكية كروز وبيرشنج ٢٠ على اراضى اوربا الغربية[٣٩]

كذلك قام اربعة من كبار المسئولين الحكوميين الامريكيين ممن سبق لهم العمل مع ادارات امريكية مختلفة ، بمناشدة الادارة الامريكية الحالية باجراء تحول عسكرى استراتيجي اساسى ، وذلك بالتخلى عن المبدأ القائل بأنه يجب على الولايات المتحدة توجيه « الضربة النووية الاولى » لو قام الاتحاد السوفيتي بمهاجمة الدول الأوربية الغربية بقواته المسلحة التقليدية التى تتفوق عدديا على تلك القوات التقليدية التابعة لحلف الأطلنطى .

ولقد وردت اقتراحات المسئولين الأربعة فى مقالة ظهرت فى مجلة « الشئون الخارجية » فى مايو الماضى ، واشترك فى كتابتها كل من ماكجورج بوندى مستشار الأمن القومى لكل من الرئيسين السابقين كيندى وجونسون ، وروبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكى السابق فى عهد هذين الرئيسين وجورج كتيان السفير الأمريكى الأسبق فى الاتحاد السوفيتي وجيرار سميث رئيس الوفد الأمريكى السابق لمحادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية فى عهد الرئيس نيكسون .

وخلص الكتاب الأربعة من تحليلاتهم للسياسة الاستراتيجية النووية لكل من الدولتين الأعظم الى ان استعمال اى سلاح نووى فى اوربا سواء من قبل التحالف الغربى او ضده ، فانه يحمل فى طياته مخاطر كبيرة نحو تصاعده وتحوله الى حرب نووية عامة مما

---

(٣٨) صحيفة برافدا السوفيتية يوم ١٩ مارس ١٩٨٢ .

(٣٩) مقال كتبه ديفيد برودر فى جريدة واشنطن بوست فى اول مايو ١٩٨٢ .

فى نفس يوم بدء محادثات ستارت نشرت فى التقرير السنوى عن « الميزان العسكرى » فى العالم ، والذى يصدره المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن ، الارقام التالية عن القوة النووية العسكرية لكل من العملاقين :

نوع السلاح	الاتحاد السوفيتى	الولايات المتحدة الامريكية
الانظمة الارضية	١٣٩٨ نظاما ارضيا يتكون من : ٥٨٠ صاروخا من طراز اس . اس ـ ١١و ٣٠٨ صاروخا من طراز اس . اس ١٨و ٦٠ صاروخا من طراز اس . اس ١٣ و ١٥٠ صاروخا من طراز اس . اس ١٧و ٣٠٠ صاروخا من طراز اس . اس ١٩	١٠٥٢ نظاما ارضيا يتكون من ٤٥٠ صاروخا من طراز مينوتمان ـ ٢ و٥٥٠ صاروخا من طراز مينوتمان ـ ٣ و٥٢ صاروخا من طراز تتيان ـ ٢ .
الغواصات النووية قاذفة الصواريخ	٨٤ قطعة تحمل ٩٨٩ صاروخا	٣٦ قطعة تحمل ٥٧٦ صاروخا
القوة الجوية الاستراتيجية	٦٥٠ قاذفة منها ١٥٠ طويلة المدى . ١٠٥ من طراز (تى يو ٩٥ بير) و ٤٥ من طراز (ميا ـ ٤ بيون) و ٥٠٠ قاذفة متوسطة المدى و ٣١٠ من طراز تى ـ يو ـ ١٦ بادجير و ١٢٥ من طراز تى ـ يو بلاندر و ٦٥ من طراز تى ـ يو ٢٢ م . باكفاير	٣٧٦ قاذفة منها ٣١٦ من طراز بى ـ ٥٢ طويلة المدى و٦٠ من طراز اف بى ١١١ متوسطة المدى .

يجلب الدمار للجميع ولن يكون النصر لأى طرف .

هذا وقد جاء نداء المسئولين الأربعة السابقين لنبذ فكرة الضربة الأولى وبالذات فى الوقت الذى تنطلق فيه الأصوات الداعية لتجميد الوضع النووى دليلا جديدا على أن الولايات المتحدة مقبلة على جولة جديدة من جولات النقاش والحوار مع الاتحاد السوفيتى حول السياسات النووية المتبعة . وبالفعل جاء رد الفعل سريعا من جانب البيت الأبيض ازاء حملة الضغط السلمية هذه . ففى اواخر شهر مايو الماضى اعلن ريجان عن استعداد بلاده لاعادة فتح المحادثات حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتى وعلى الفور التقط قادة الكرملين الخيط ورحب بريجنيف فى خطاب القاه امام مؤتمر لمنظمة الشباب الشيوعى السوفيتى « الكومسمول » باعلان الرئيس الامريكى واقترح فرض تجميد فورى على ترسانة الأسلحة النووية الاستراتيجية لدى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على ان يتزامن هذا التجميد مع بدء مفاوضات ستارت بين واشنطن وموسكو .

وفى الوقت الذى يتحدث فيه الاتحاد السوفيتى عن « الحد والخفض » من الأسلحة الاستراتيجية ، فان الولايات المتحدة التى لم تعد تستخدم سوى كلمة الخفض(٤٠)، تطلق على هذه المرحلة الثالثة الحالية من محادثات الخفض من الأسلحة الاستراتيجية مصطلح « ستارت » والذى يعنى ايضا باللغة الانجليزية كلمة « بداية » .

وبدأت محادثات ستارت فى جنيف بين العملاقين يوم ٢٩ يونيو الماضى والتى يتوقع لها المراقبون امتدادا زمنيا طويلا نسبيا نظرا لحساسية الأمور موضع النقاش فيها ، وفرضت على جلسات هذه المحادثات سرية تامة ، ولم يسمح لأى جهاز اعلامى بتغطية المحادثات ولو فى خطوطها العريضة .

واخيرا فان الاسلحة النووية موجودة لغرض واحد ـ منطقيا ـ وهو ان تكون بذاتها رادعا يحول دون قيام حرب نووية . وإذا ما استخدمت مرة فانها ستكون اداة للتدمير الشامل تؤدى الى دمار الجانبين ـ الجانب الذى يسعى لتدمير الجانب الاخر والجانب الذى يتعرض للتدمير . وهناك قاعدة عسكرية بسيطة لا تتغير لسباق التسلح النووى . هذه القاعدة تتمثل فى انه فى غياب القيود وعندما لا تتوافر اجراءات رصد الاسلحة النووية التى تنظمها المفاوضات ، تستطيع الولايات المتحدة ان تضيف المزيد لقوتها النووية ولكن الاتحاد السوفيتى يستطيع ان يفعل بالمثل تماما او اكثر .

هكذا فان محادثات ستارت تنجح واقعيا إذا اوصلت طرفيها الى قبول خفض رئيسى للاسلحة النووية التى يمتلكها كل منهما ، على أن يكون هذا الخفض بأقدار متساوية للجانبين .

(٤٠) « الحد » وترجمته Limitation معناه وضع حدود على الانتاج العسكرى النووى . الخفض وترجمة Reduction معناه انقاص الكم والنوعية القائمة من القوى النووية .



الموجهات التاريخية العقائدية للسلوك الاسرائيلى

د . عباس رشدى العمارى

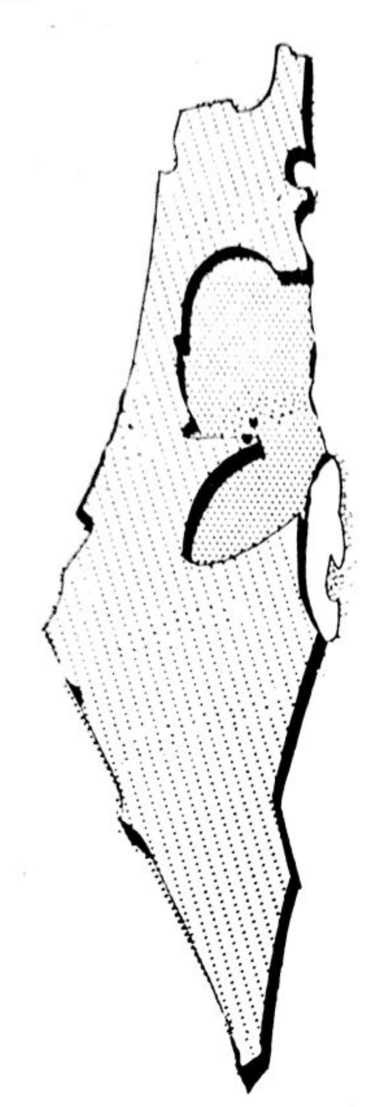
تستأثر قضية باهتمام الضمير الانسانى كما فعلت قضية إضطهاد اليهود، ولانجحت سياسة فى إبتزازه بقدر نجاح الصهيونية سقط من المسلمين شهداء، وكان للمسيحية عصر إستشهاد[1] . أغرقت حمامات الدم الهنود الحمر، ومحيت أرمينيا من الوجود .

إقفرت القارة الأفريقية ـ على مدى ثلاثة قرون ـ من سكانها بعد أن حملت سفن الرقيق أكثر من مائة مليون افريقى الى أراضى تبعد الآف الأميال عن موطن ابائهم واجدادهم، سيقوا مغلولى الأعناق كالسائمة فى سفن الماشية فمات أربعة أخماسهم أثناء الرحلات البحرية المضنية من لذع السياط، وسوء التغذية، وشدة العنت، ولم ينجح من حاول الهرب من الأحياء الباقين من الجلد أو تقطيع الأوصال أو الموت فى ابشع صورة[2] . عذب النازى وقتل فى كل مكان إمتد اليه ظل الصليب المعقوف ، اباد اهالى تسمانيا ، ونكل بالسلاف . وخطط لابادة الجنس الغجرى عن بكرة ابيه ، مثل بالمدنيين فى الاقطار التى وصلت اليها قواته فى وحشية بالغة ، وانزل بأسرى الحرب الذين وقعوا فى قبضته اشد صنوف العذاب ، شهد الشهد اليابانى فى

---

(١) وفى هذا المعنى يقول الحاخام Richard singer عضو المجلس اليهودى العالمى « إن المعاناة لم تكن فى يوم ما قصرا على طائفة بعينها دون غيرها فقد قاسى المسيحيون والمسلمون بنفس القدر الذى قاسى به اليهود » .

(٢) انظر التفاصيل المروعة لتاريخ الرق فى , « The Liberian Nation » Doris Banks Heneries, 1954 published by Herman Jaffy, New York.



هيروشيما ونجازاكى الموت كما لم يشهده أحد مـن قبل فى صـورتيه العـاجلة والآجلة التـى لايزال أبناؤه يتعرضون له حتى اليوم . ولكن هذه المآسى وغيرها الكثير إنطمست فى لاوعى الضمير الانسـانى بعـد أن إمتلأت منطقة الوعى فيه حتى حافتها بمأساة إضطهاد اليهود حتى لم يعد يتسع لغيرها، وأصـبح لهـا ولهـا وحدها فقط حق إبتزازه سلاحا ومالا ودعما سـياسيا وصمتا عالميا يرقى الى مـرتبة التـواطؤ كلمـا أمعنت إسرائيل فى عدوانها على العرب . فأى قـدر هـذا مـن الجرم إرتكبته الشعوب فى حق اليهـود يسـتوجب كل هذا التفكير الذى يبدو وكأنه لانهـاية له!! . ولم أختص العالم كله أبناء اليهودية دون سـائر الأديان الأخـرى بمـافيها الوثنية بهـذا الاضـطهاد! تلك قضـية تقتضى العودة الى تاريخ اليهود فى ظل نظم الحكم المختلفة، وفى العصور المتعاقبة وثنية كانت أم مسيحية أم إسـلامية، إقطاعية كانت أم ديمقراطية ولسوف نرى فى الصفحات التالية ان اليهود فى كافـة العصـور وتحـت الأشـكال المختلفة للحكومات كانوا يشكلون جـزءا مـن الطبقـة المميزة، وأن الاضطهاد الذى تحاول أغراض الأبتـزاز السياسى المبالغة فى تجسيده قد بدأ داخل أسوار الجيتو ذاتها ونتيجة لتسلط طبقة من أبناء اليهودية على طبقة أخرى، وأن هذه الأخيرة لم تتحـرر مـن وطـأة هـذا الطغيان الا تحت تأثير عوامل خارجية .

وبعد نشأة إسرائيل تثور أمامنا قضية أخرى تتعلق بـالسلوك الاسرائيلى الذى طـالما وصـفه المعلقـون االسياسيون المنصفون بأنه يهـدف الى تحقيق أطمـاع اسرائيل التوسعية، وبأن سلوكها هـذا يمثـل «عدوانا جديدا» يشكل خرقا لميثاق الأمـم المتحـدة، وإنتهـاكا لحقوق الانسان .. الخ . هذا التحليل لدوافع السـلوك االاسرائيلى ووضع التكييف القانونى له لم يعد جـديدا علينا، وكل دولة من دول العالم عرضـة لأن يوجـه الى سلوكها هذا الاتهام إذا ما أقدمت على تهـديد السـلام العالمى أو خرقه . الا أن الظـاهرة تسـتحق أن نقـف امامها بإمعان هى ظاهرة تـكرار السـلوك الاسرائيلى

المعن فى تهديد السلام وتعريضه للخطر وخرقه حيث أن إسرائيل تكاد تكون هى الدولة الوحيدة من بين دول العالم التى لم تبذل أدنى جهد لاقناع باقى العالم بالتزامها بمبادئ القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة فضلا عن مبادئ الأخلاق الدولية التى تواضعت عليها الأمم المتمدينة، مما يدفعنا الى الأعتقاد بأن هذا السلوك، رغم تسليمنا بوجود دوافع سياسية خلفه، إنما يمثل ظاهرة مرضية تعبر عن الأزمة التى صاحبت الكيان الاسرائيلى منذ نشأته حتى الآن . وهى الأزمة الناجمة عن محاولة اسرائيل التأقلم مع الوضع الجديد الذى إكتسبته فى المجتمع الدولى بإسباغ صفة الدولة عليها ، وهو مجتمع جديد عليها كل الجدة وغريب عنها كل الغرابة . جديد وغريب عنها فى قيمه ، وتقاليده، وعاداته، ونظرته للمستقبل، ومفاهيمه عن الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، ومعنى الله والانسان، مجتمع يفرض عليها أن تعيش دولة بين الدول وأن تتخلص من رصيدها التاريخى فى العيش دولة داخل الدول، مجتمع يتطلب الانتماء اليه أن تتخلص إسرائيل من رواسب الفكر العام من الانعزالية، والشك فى الآخرين، والنظرة العدائية المتعالية الى غير اليهود، مجتمع يفرض عليها أن تتخلص من طموحاتها الدينية ومن العنصرية الكامنة فى عقيدة الاختيار الالهى لشعب اسرائيل واستبدالها بالامتثال للمبادئ القانونية التى تحكم العلاقات بين الدول، وفى مقدمتها ذلك المبدأ القانونى الذى يقرر قاعدة المساواة بين الدول حتى لو تعارضت مع نبوءة تضع إسرائيل فوق الأمم[3] . وقديما ولمايتجاوز تطور المجتمعات البشرية طور الدولة، ولا إندمجت بعد فى كيان أرحب وأوسع يطلق عليه إسم المجتمع الدولى، وعندما كانت الدولة وحدها مقررة لكل الحقوق وقبلها وحدها تترتب كافة الالتزامات حاول المسيح عليه السلام أن يحل هذا التناقض عندما طلب من اليهود أن يعطوا ماللقيصر لقيصر ومالله لله، واليوم وبعد أن أصبح قيصر لايرمز للدولة فحسب، بل تجاوز مدلوله نطاق الدولة ليرمز الى كيان أعم وأشمل متمثلا فى المجتمع الدولى، فإن المشكلة تبعث مرة أخرى من جديد لتضع اسرائيل أمام المعادلة الصعبة وهى كيفية إعطاء قيصر ماقد ينتقص من حقوق الله فى شريعتهم فماهى العلاقة التى تصورها الشريعة اليهودية بين اليهود وغيرهم، وماهو الحل إذا تناقضت هذه الصورة مع ماترسمه القواعد الدولية للعلاقات بين الدول، واى الشريعيتين تسود فى حالة التناقض؟ وهنا يقتضى المقام العرض لموقف الشريعة اليهودية من غير اليهود وهو ماسنتناوله بالتفصيل اللازم فى مكان لاحق من هذه الدراسة .

والتلازم بين القضيتين وثيق، ويرجع الى حقيقة تعلقهما سويا بالسلوك الاسرائيلى، فإذا كانت قضية إضطهاد اليهود تمثل فى نظر البعض مبررا لالتماس المعاذير للعدوانية المتأصلة فى السلوك الاسرائيلى، فإن قضية موقف الشريعة اليهودية من غير اليهود تمثل الأسباب الحقيقية لا المختلفة، والبواعث لاالمبررات لهذه العدوانية . ونعرض فيمايلى لكل من هاتين القضيتين:

القضية الأولى : إضطهاد اليهود :

نجحت الصهيونية فى ترسيخ مسمى «إضطهاد اليهود» مثلما نجحت فى تحقيق العديد من المنجزات الأخرى، وأكبر دليل على نجاحها فى ذلك أن أصدقاء الصهيونية وأعداءها على حد سواء، أو الذين تحظى دعوى الصهيونية بتعاطفهم وتأييدهم بسبب هذا الاضطهاد، والذين يهاجمون الصهيونية ويتهمونها بابتزاز المشاعر وتزييف التاريخ ويقللون من حجم هذا الاضطهاد، هؤلاء وأولئك يشيرون الى هذه القضية على أنها قضية « اضطهاد اليهود » وفى تقديرنا أن استخدام هذا المسمى لايخلو من التعسف فى التعميم فليس كل مامر باليهود من محن عبر تاريخهم الطويل كان إضطهادا . فمامن أحد ينكر أن الجيوش الغازية عندما تقوم بفتح مدينة من المدن، وخاصة إذا إستبسل أهلها فى الدفاع عنها، ترتكب من الفظائع والمذابح ماتقشعر لهولها الأبدان، واليهود أنفسهم لم يخرجوا على هذه القاعدة عندما قاتل بعضهم البعض وها هو سفر الأخبار الأيام الثانى يروى لنا أنه بعد أن أنتصر فتح بن رمليا ملك اسرائيل على آحاز ملك يهوذا أن أحاز هذا دفع أيضا ليد ملك اسرائيل (دفعه الرب ليد ملك اسرائيل) فضربه ضربة عظيمة وقتل بن رمليا فى يهوذا مائة وعشرين ألفا فى يوم واحد . الجميع بنو بأس لأنهم تركو الرب إله آبائهم . وقتل زكرى جبار أفرايم معسيا إبن الملك .. وسبى بنو اسرائيل من

---

(٣) انظر ما جاء فى هذا الصدد فى سفر اشعيا ـ٤٩» .. وهكذا قال السيد الرب هاأنذا أرفع الى الامم يدى، والى الشعوب اقيم رايتى فياتون باولادك فى الاحضان، وبناتك على الأكتاف يحملن ، ويكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم مرضعاتك .. بالوجوه الى الارض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين انى انا الرب الذى لا يخيب من إنتظره ...» .

إخوانهم مئتى ألف من النساء والبنين والبنات ، وبهذا ايضا منهم غنيمة وافرة واتوا بالغنيمة الى السامرة»[٤] . واليهود أنفسهم قد إرتكبوا هذه الفظائع المروعة ضد الشعوب الأخرى ولم تنكرها أسفارهم ومثل ذلك عندما قتل شاوول الجبعونيين وفى هذا يقول سفر صموئيل الثانى مبررا سبب الجوع الذى أنزله الله باليهود ثلاث سنين «إن هذا لأجل شاوول وبيته بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين - وهم الذين حلف لهم بنوا اسرائيل ويهوذا» نقول أن حوادث القتل البشعة هذه والمذابح الدامية ظاهرة مألوفة فى تاريخ البشرية ومتكررة تصيب الشعوب المهزومة، ونقول عن الشعوب التى تقع ضحية هذه المذابح أنها هزمت أو إنكسرت أو قهرت أو غلبت على أمرها، أو أضطرت للاستسلام فلماذا يترك اليهود كل هذه المسميات ويصرون على إستخدام هذه الكلمة المثيرة للعطف والاشفاق ؟ لماذا يعتبر الاسرائيليون أنفسهم قد وقعوا ضحية للاضطهاد بدلا من الاعتراف بأنهم قد إنهزموا فى الوقائع الحربية التى دارت بينهم وبين المصريين والآشوريين والبابليين؟ نقول هذا حتى لايتمادى الاسرائيليون فى إرجاع تاريخ إضطهادهم الى العصور السحيقة تلاعبا منهم بالألفاظ . ألا يرجعون تاريخ هذا الاضطهاد كما يحلو لهم أن يسموه بدلا من الهزيمة - الى عهود شيشنق الأول[٦] وشلمناصر الخامس[٧] وبنوخذ نصر[٨]، ولماذا يجنح الاسرائيليون مرة أخرى الى التلاعب بالألفاظ وإستخدام لفظ «إضطهاد» فى غير محله، وإطلاقه على مواقف كان من الأنسب أن يطلق عليها «الانتقام من اليهود» أو «الثأر من اليهود» أو «الثورة ضد طغيان اليهود» لأنهم قبلوا وإستمرأوا أن يكونوا أداة فى يد الرجعية والأقطاع لسحق الطبقات المطحونة فلما ثارت هذه الأخيرة ضد مضطهديها وإنتقمت منهم سمى اليهود هذا الانتقام إضطهادا !

ومامن احد يجادل فى أن الثورات التى قامت ضد اليهود قد إقترنت بارتكاب جرائم وحشية ومذابح دامية، ولكن أين هى تلك الثورات المحسوبة الملتزمة بالمبادئ الانسانية؟ ومتى كان الثوار يعبرون عن غضبتهم بإظهار العطف والحب لقاهريهم؟ .. وأية ثورة عبر التاريخ لم يكن لها ضحايا؟ . لقد تعددت ثورات الفلاحين والعمال والمستعبدين ضد الطغاة وأذنابهم وسقط لكل منها ضحايا عديدون وأولها الثورة الفرنسية الكبرى التى اتت بمبادئ الحرية والآخاء والمساواة ورغم ذلك لم يختلف إثنان على أنها ثورات وليست إضطهادا . ومع ذلك كله - من أجل الحقيقة والانصاف - فقد لحق باليهود اضطهاد بدأ داخل اسوار الجيتو ذاتها وكان مضطهدو اليهود هم اليهود أنفسهم عندما تسلطت الطبقة العليا الممثلة فى رجال الدين واثرياء اليهود على السواد الاعظم من اخوانهم ولذلك فان أصدق الحديث عن اضطهاد اليهود يجب أن يبدأ بالحديث عن إضطهاد اليهود يجب أن يبدأ بالحديث عن الاضطهاد الطبقى ، ويتبع ذلك إستعراض للسمات الرئيسية المتميزة لتلك الفترة التى تواضع العديد من الكتاب على تسميتها باليهودية الوضعية Normative Judaism أو اليهودية الربانية Rabbinical Judaism والتى إنفرد عنهم الكاتب اليهودى الاسرائيلى Israel Shahak بتسميتها باليهودية الكلاسيكية Classical Judaism [٩] باعتبارها الفترة التى كثيرا ماالجأ اليهود الى الاستشهاد بها كنقطة الذروة فى إضطهاد العالم وكراهيته لهم، ثم ننتهى بعد ذلك الى الوجه الجديد لاضطهاد اليهود ممثلا فى ظاهرة معاداة السامية .

أولا : الاضطهاد الطبقى :

لعل الضحية الوحيدة التى يصدق القول بأنها كانت

---

(٤) اخبار الايام الثانى ٢٨ : ٥ -٨

(٥) صموئيل الثانى، الاصحاح الحادى والعشرون .

(٦) راس الأسرة الثانية والعشرين التى حكمت مصر من نحو ٩٥٠ -٧٤٥ ق . م واتخذت من بوبسطة مقرا لها وقد غزا فلسطين فى السنة الخامسة من حكم رحبعام فى نحو ٩٢٦ ق . م وذلك بعد إنقسام مملكة اليهود .

(٧) ملك آشور فى الفترة من (٧٢٧ -٧٢٢ ق . م) الذى بدأ غزو إسرائيل وتم الغزو فى سقوط اسرائيل فى عهد سلفه سرجون الثانى (٧٢٢ -٧٠٥ ق . م)

(٨) الملك البابلى الذى احتل أورشليم إيذانا بسقوط يهوذا عام ٥٩٧ ق . م . ومثل بأهلها لخيانة ملكها صدقيا لعهده له .

(٩) وهى تلك التى تطلق على الفترة من عام ٨٠٠ ميلادية الى أواخر القرن الثامن عشر فى تاريخ اليهودية .

موضع إضطهاد فى تاريخ اليهودية هى الفرد اليهودى أو رجل الشارع داخل الجيتو والذى مثل السواد الأعظم من قاطنى الجيتو Ghetto(١٠) حيث تعرض لاكراه بدنى وإضطهاد فكرى من قبل كهنته والنظم الاستبدادية التى تحالفوا معها ، ثم وقع مرة ثانية ضحية لانتقام الشعوب من طغيان الطبقة الفوقية ذات النفوذ داخل الجيتو والدول التى عاشوا فيها . اذ لم يكتف الحاخامات بنفوذهم الدينى عليه وخضوعهم الاختيارى لهذا النفوذ مثل الامتثال لأوامر رجال الدين بعدم التعامل مع اليهودى الذى يحكم عليه بالحرمان أو الطرد من جماعة المؤمنين Excommunication ، ولا حتى دفن جثمانه بعد موته ، بل تجاوزوا ذلك إلى ممارسة الاكراه البدنى على الخارجين على قوانينهم من اليهود بعقوبات تتراوح بين الغرامة والجلد والسجن والنفى وأحيانا الجلد حتى الموت فى بعض البلدان مثل بولندا فيما قبل عام ١٧٩٥ وأسبانيا فى النصف الأول من القرن الخامس عشر . ويلوم إسرائيل شاهاك كاتبة مثل Hanna Arndt ، التى وضعت مؤلفات عديدة عن نشأة الأنظمة الشمولية وتطورها وعن اليهود ومعاناتهم (١١) لأنها لم تكتب لنا شيئا عن الطغيان الذى تعرض له الفرد اليهودى من جانب رجال دينه فى مجتمعات اليهود فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر والتى أبتليت بوباء إحراق الكتب ، وإضطهاد الكتاب ، والأعتقاد فى الخرافات وبوجود قوى سحرية كامنة فى التعويذات ، وحظر تعليم المبادىء الأولية لأى فرع من فروع العلوم الدنيوية ، أو حتى الدينية غير اليهودية ، وتحريم تعلم اللغة الألمانية المكتوبة بحروف لاتينية(١٢) وإستغلت السلطات الدينية نفوذها الدينى لاسدال ستار كثيف بين أبناء طائفتها وبين المعرفة حتى يسلس قيادهم ، كما لجأت إلى التضليل حتى تتمكن من إجبارهم للامتثال الأعمى لأوامرها ورغباتها المتسمة بالأنانية ومن قبيل ذلك ما أثارته فى نفوس عامة اليهود من كراهية شديدة إبان فترة اليهودية الكلاسيكية ـ كما أسماها شاهاك ـ لكافة أنواع المعرفة باستثناء التلمود ، وممارسة طقوس الباطنية اليهودية التى كانت القبلانية Cabbala من أشهر مذاهبها رغم إحتفاظ قلة من العلماء بأسرارها ، كما شمل الحظر الكثير من أسفار العهد القديم والشعر العبرى بإستثناء ما تعلق منه بالطقوس الدينية ، ولم يتوقف الأمر على مجرد حظر قراءة كتب الفلسفة اليهودية بل تعدى ذلك إلى وجوب لعن أسمائها أنى ذكرت ، وحرمت دراسة كافة اللغات تحريما قاطعا وكذلك الرياضيات والعلوم والجغرافيا والتاريخ بما فى ذلك تاريخ اليهودية ذاتها(١٣) وكان أول كتاب نشر بالعبرية عن التاريخ هو ذلك المسمى بـ « تاريخ ملوك فرنسا والسلاطين العثمانيين » فى القرن السادس عشر ، ولم ينشر بعده إلا كتابا آخر يعالج تاريخ إضطهاد اليهود مما يتفق مع رغبة الحاخامات فى تعميق الشعور بالكراهية ضد الأمميين Gentiles بينما حظرت السلطات الدينية نشر أول كتاب يتضمن حقائق عن تاريخ اليهود فى العصور القديمة فلم ير النور إلا فى القرن التاسع عشر . أما جهل المجتمعات اليهودية بالجغرافيا خلال تلك الأونة فقد كان أشد وأفدح بما فيها جغرافية الأماكن المقدسة فى فلسطين ، وقد تم إكتشاف ذلك من إتجاه قبلة المعابد اليهودية نحو الشرق فى بولندا وروسيا ، ولما كان من المفروض أن تكون هذه القبلة متجهة نحو القدس فإننا نستنتج من ذلك أنهم قد إعتقدوا بأن القدس تقع فى الشرق خلافا لحقيقة وقوعها جغرافيا فى الجنوب . وليس هناك دليلا أوضح على مدى الجهل الذى خيم على عقول رجال الدين اليهودى أنفسهم خلال تلك الفترة من أن أول عمل جغرافى صدر باللغة العبرية فى روسيا عام ١٨٠٣ تضمنت مقدمة

---

(١٠) هو الحى الذى يسكنه اليهود وحدهم فى المدن التى يقيمون فيها، ويرجع تاريخيا الى تعليمات يوسف عليه السلام عندما طلب من اخوته ان يلتمسوا من فرعون الاقامة فى منطقة خاصة بهم بحجة كونهم لا يعرفون الا مهنة رعى الماشية فاقطعهم ارضا فى ناحية جاسات نزولا على رغبتهم وهذا خلافا لما يزعمه اليهود من ان الشعوب الأخرى هى التى نبذتهم وحشرتهم فى احياء لايشاركهم احد فيها، وفى الحقيقة ان اليهود هم الذين فرضوا على أنفسهم هذه الانعزالية . انظر فى هذا « المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل » تأليف محمود نعناعة ص ٣٢١، ٣٢٢ الناشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢ .

(١١) ومن اشهر مؤلفاتها فى هذا الصدد Origins of Totaliteriansm الذى خصصت جانبا كبيرا منه للحديث عن اليهود .

(١٢) قبل نهاية القرن الثامن عشر سمح رجال الدين اليهودى بكتابة الالمانية بحروف عبرية فقط وكان جزاء المخالفة هو الحرمان والجلد .

(١٣) من الجدير بالذكر ان كتابة التاريخ اليهودى توقفت تماما منذ عهد Josephus Flavius فى نهاية القرن الأول الميلادى، واستمر الحال كذلك حتى عصر النهضة حيث إنتعشت لفترة قصيرة .

شكوى واضعية من إنكار الحاخامات لوجود مايسمى بالأمويكتين على خريطة العالم . وفى شرق أوربا أصدرت السلطات الدينية اليهودية مرسوما بتصريم كافة الدراسات غير المتعلقة بالتلمود حتى لو لم تتضمن هذه الدراسات مايستوجب اللعن لانها تمثل فى رأيهم إعتداءا على الوقت الذى يجب تكريسه لدراسة التلمود فإن لم تتيسر مثل هذه الدراسة لليهودى وجب عليه أن يكرس هذا الوقت لجمع المال اللازم لمساعدة فقهاء التلمود . وفى مثل هذا الارهاب الفكرى لم يكن من السهل تصور نشأة كوميديا يهودية — وذلك على خلاف الرأى الراجح بين الغربيين عن روح الفكاهة اليهودية — وليس هذا بسبب الارهاب الفكرى فقط وإنما لأن الشريعة اليهودية حرمت تحريما قاطعا مبدأ هجو الأحبار أو زعماء اليهودية (١٤) . لقد إستطاع الحاخامات بإسم الدين أن يستعبدوا عقول اليهود ، وأن يخدروا وجدانهم ، ويسمموا أرواحهم فى أبشع صور الاضطهاد وأشدها هولا . ألا ماأصدق الشاعر والفليسوف الرومانى لوكر يتوس عندما قال Tantum Religio Potuit Suadere maloram« ماأكثر مايدفع الدين بالرجال إلى إرتكاب أشد الجرائم نكرا » . وإذا كنا ننكر على كارل ماركس قوله بأن « الدين أفيون الشعوب » باعتباره طعنا فى الأديان فإنه بلاشك يعد كذلك إذا أستخدمت الأديان إستغلال سيئا لتحقيق أغراض أنانية لطبقة رجال الدين (١٥) .

ثانيا : عهد اليهودية الكلاسكية : (١٦)

وتمثل العصر الوسيط فى تاريخ اليهودية أو مرحلة إنتقال مابين اليهودية الأرثوذكسية واليهودية الحديثة

وتتميز هذه المرحلة بانتشار ظاهرة مايسمى بإضطهاد اليهود ، وهى الظاهرة التى كثيرا مايشير إليها غلاة الصهيونية كدليل على تأصل كراهية الشعوب الاخرى لبنى إسرائيل وإتخاذ من ذلك سببا للتطرف الاسرائيلى . وقد يكون من المناسب قبل التعرض للسمات الرئيسية التى ميزت هذا العهد أن نعرض بإيجاز سريع لما سبقها من عصور فى تاريخ اليهودية من زاويتى الخصائص العقيدية والاجتماعية لتبيان مسار تطورها وعلاقتها بهذا العهد وما إحتفظ لنفسه به منها ، وما إختلف فيه عنها . ويرى الكاتب الاسرائيلى إسرائيل شاهاك أن هذا العهد قد سبقته مرحلتين مميزتين على طريق تطور الهيكلين العقائدى والاجتماعى هما :

١ — **المرحلة الأولى** : وتمثلها تلك الفترة التى شهدت قيام مملكتى إسرائيل ويهوذا وتنتهى بتدمير الهيكل الأول عام ٥٨٧ ق.م والنفى البابلى (ويهتم جانب كبير من العهد القديم بهذه الفترة رغم أن معظم أسفاره الرئيسية بما فيها أسفار موسى الخمس الأولى قد كتبت فى الواقع بعد هذا التاريخ) وكانت الحياة الاجتماعية والعقائد الدينية السائدة فى هاتين المملكتين تشبه إلى حد كبير الحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية فى الممالك المجاورة مثل سوريا وفلسطين (١٧) . أما خصيصتى التوحيد الدينى والعزلة الاجتماعية اللتان إشتهرت بهما المجتمعات اليهودية فيما بعد فقد إقتصرت خلال هذه المرحلة على دوائر ضيقة من الانبياء والكهنة(١٨) الذين كانوا يستمدون نفوذهم من ملوك فارس المستعمرين .

٢ — **المرحلة الثانية** : وتبدأ هذه المرحلة مع العودة الأولى من بابل عام ٥٣٧ ق.م. وتمتد حتى عام ٥٠٠

---

(١٤) حدث هذا بصفة عامة فى الفترة السابقة على القرن التاسع عشر، إلا انه حدث خروج على هذا المبدأ فى البلدان التى كان النفور فيها سائدا بين الحاخامات واثرياء اليهود مثل ايطاليا فى الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر، وفى الأندلس الأسلامية . انظر فى النهى عن سب الزعماء ماجاء فى سفر الخروج ٢٢ : ٢٨ « لا تسب الله، ولا تلعن رئيسا فى شعبك » .

(١٥) نشا إمتياز الطبقة المقدسة او طبقة الاحبار استنادا الى تكريسه فى سفر اللاويين حيث إحتكرت قبيلة اللاويين التى احتكرت الكهانة وفى هذا يقول سفر الخروج ٣٠ : ٣٠ « وتمسح هرون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى » وقد إختصهم الرب دون غيرهم من بنى اسرائيل بالاكل من طعامه وإعفاهم الرب من واجب الحرب وفى هذا يقول سفر العدد ١٢:٣ « ها انى قد اخذت اللاويين من بنى اسرائيل بدل كل فاتح رحم من بنى اسرائيل فيكون اللاويون لى » وعقد الرب مع اللاويين « ميثاق كهنوت ابدى » (سفر العدد ٢٥ : ١٣) لا يتغير ابدا . انظر فى مكانة الكهنة والرؤساء . مرجع محمود نعناعة السابق ص ٣٢٠، ٣٢١ .

(١٦) وفقا لتسمية Israel Shahak

(١٧) انظر ما جاء عن إعتناق اليهود الوثنية فى سفر إرميا ٤٤ : ١٥ ـ١٩

(١٨) ارتاكسركيس الأول .

ميلادية ، وقد تميزت بقيام مركزين منفصلين لليهودية أحدهما فى فلسطين والآخر فى بلاد الرافدين حيث تمتع كل منهما باستقلال ذاتى وإعتمد فى حياته على الزراعة ، ومما يدعو إلى الدهشة أن اليهودية التى كانت قاصرة فى المرحلة السابقة على دوائر ضيقة من الأنبياء والكهنة إنتشرت فى هذه المرحلة بسطوة ونفوذ الامبراطورية الفارسية ، وفى هذا الصدد يشير سفر عزرا إلى جهود الكاهن عزرا فوصفه بأنه كان « كاتبا ماهرا للشريعة الموسوية » وأن إمبراطور الفرس أرتحشستا قد أسند إليه مهمة إقامة قضاة وحكاما يقضون بين جميع الشعب الذى فى عبر النهر من العالمين بشريعة إلهه ، وأن كل من لايعمل بهذه الشريعة يقضى عليه عاجلا إما بالموت أو النفى أو غرامة مال أو حبس [١٩] . كما يكشف سفر نحميا ـ وكان ساقيا للملك أرتحشستا ـ الذى أقيم حاكما على يهوذا عن السلطات الواسعة التى خولها له الفرس لاجبار الناس على الدخول فى اليهودية . وقد أستمر اليهود ملتزمين بالنمط الأرثوذكسى للشريعة اليهودية طوال هذه المرحلة . وتعرضت محاولات الخروج عليه لأقسى مظاهر القمع ، إلا أن هذا الالتزام سرعان ماأصابه الوهن بعد حدوث الانقسام الكبير إلى فريسيين وصدوقيين عام ١٤٠ ق.م. وكان إنتصار إحدى الطائفتين على الأخرى يستتبع فرض عقيدتها بقوة السلاح على يهود المركزين فى فلسطين وبلاد الرافدين . وكانت الضربة الثانية التى وجهت إلى النمط الأرثوذكسى أو التقليدى ناجمة عما أصابه من تصدع نتيجة لتسرب الفلسفة الهلينية وإنتشارها بين الطبقة الارستقراطية من اليهود (فيما بين عامى ٣٠٠ ـ ١٦٦ ق.م) ومرة أخرى فى الفترة من عام ٥٠ ق.م إلى ٧٠م. تحت حكم هيرود العظيم وخلفائه . أما اليهود الذين عاشوا خارج هذين المركزين فقد تمتعوا فى معظم هذه الفترة ، وخاصة بعد سقوط الامبراطورية الفارسية ، بحرية دينية واسعة ظلت مكفولة لهم طوال عهد الممالك الهلينية ، وعهد الجمهورية الرومانية ، وبداية عهد الامبراطورية الرومانية على نحو مكنهم من وضع الأسس الأولى للأدب العبرى باللغة اليونانية [٢٠] وإلى هذه الحرية التى تمتع بهااليهود خارج المركزين يعزى الفضل فى تمكن بعضهم من إعتناق المسيحية ، وإلى الابقاء على حياة بولس الرسول عندما رفض حاكم كورنثة الرومانى النظر فى دعوى الهرطقة التى اقامتها عليه السلطات الدينية اليهودية دافعا بعدم إختصاصه . إلا أن هذه الحرية الدينية إنتهت عام ٢٠٠ ميلادية على أيدى الامبراطورية الرومانية نتيجة لاتفاق عقدته هذه الامبراطورية مع زعماء اليهود (أسرة نسيم) يخضع بموجبه جميع يهود الامبراطورية فى كل الأمور المتعلقة بالنظام والضرائب لسلطان هؤلاء الزعماء والمحاكم الربانية مقابل تعهد هؤلاء الزعماء بحفظ النظام وكفالة إحترام القانون بين ابناء دينهم .

الميزات الأساسية لليهودية الكلاسكية :

تمتد الحقبة التى تمثلها اليهودية الكلاسكية ـ كما عرفها إسرائيل شاهاك ـ من عام ٨٠٠ م حتى نهاية القرن الثامن عشر وتتميز بالخصائص التالية :

أولا : إختفاء طبقة الفلاحين :

شهدنا فى خلال المرحلة الثانية كيف إعتمد يهود مركزى اليهودية فى فلسطين وبلاد الرافدين على الزراعة بصفة أساسية فى كسب معاشهم ، أما فى خلال عهد اليهودية الكلاسيكية الذى واكب عهد الاقطاع فإننا نلاحظ إختفاء هذه الظاهرة من المجتمعات اليهودية ، ويعزى السبب فى ذلك إلى قيام نظام رق الأرض Serfdomفى تلك الآونة ، وهذه الحقيقة تؤكد لنا أنه مهما قيل عن الاضطهاد الذى تعرض له اليهود المتمثل فى سوء أوضاعهم الاقتصادية وفى التفرقة المجحفة فى المعاملة ـ والتى سعى مشوهو التاريخ إلى المبالغة فى تصويرها ـ إلا أن وضع اليهودى سواء أكان يعمل

---

(١٩) سفر عزرا ٧ : ٢٥، ٢٦ ويتحدث الاصحاحان الأخيران من هذا السفر عن طلب عزرا من بنى اسرائيل التخلص من الزوجات الغريبات وسعيه ابطال الزيجات المختلطة « ... فماذا نقول يا الهنا الان بعد اذ أهملنا وصاياك التى امرت بها على السنة عبيدك الأنبياء بان لا نعطى بناتنا لأبناء شعوب الأرض ولا نأخذ بناتهم لبنينا » (الاصحاح التاسع) ، وفى الاصحاح العاشر « .. وإحتشدوا (اى اليهود) فى ساحة المعبد فندد بهم عزرا وطلب منهم التوبة وإعتزال امم الارض والنساء الغريبات لنيل مرضاة الرب اله آبائهم فقالوا بصوت واحد نفعل كما قلت » .

(٢٠) من الجدير بالذكر ان السلطات الدينية اليهودية قد رفضت هذا الادب فيما بعد، كما رفضت كل ما كتب عن تاريخ اليهودية بعد عام ٤٠٠ ق .م . وانه حتى القرن التاسع عشر كان اليهود يجهلون جهلا تاما كل ما يتعلق بالمسادا .

حرفيا أم بائعا متجولا ، أم كاتبا ، أم وصيفا فى قصر أحد النبلاء لايمكن مقارنته إطلاقا بالحياة التعسة التى عاشها أو بالأحرى ذاق ويلاتها رقيق الأرض ، والذى ملك عليه سيده حتى حق الحياة والموت . بل أن الوضع الاجتماعى لليهود قد إرتقى بعملهم كوكلاء للتاج والاقطاعيين فى بروسيا والنمسا والمجر ، ودفعهم حماسهم لارضاء سادتهم إلى إتباع أقسى الأساليب لاستنزاف جهد الفلاحين من أجل الحصول على عائد أفضل يرضى سادتهم فساموا الرق سوء العذاب لتحقيق ذلك فضلا عن أن هذه الفرصة كانت متنفسا لهم للتعبير وبطريقة قانونية عن إحتقارهم الموروث للأمميين Gentiles[٢١] وتركز هذا الاحتقار – حيث لم يجد مجالا آخر له – على طبقة الفلاحين وهو الأمر الذى صورته الأعمال الأدبية التى كتبت باللغتين « اليدية »[٢٢] والعبرية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .[٢٣]

ثانيا : مصانعة الطبقة الحاكمة :

فى مكان لاحق من هذه الدراسة سوف نستعرض موقف الشريعة اليهودية من الأمميين ، وفى سياق هذا العرض سوف نرى كيف تطالب هذه الشريعة أبناءها باحتقارهم وتحقيرهم والاحجام عن الاشادة بهم أو بعاداتهم إلا أن هذا المبدأ يخضع لاستثناء وحيد يتعلق بالملوك والحكام حيث لا تقف هذه الشريعة عند حد النهى عن التعرض لأشخاصهم بل تتجاوز ذلك إلى الأمر بمدحهم ، والصلاة من أجلهم وإطاعة كل أوامرهم حتى فيما يتعلق منها ببعض الأمور الدينية ! ، وفى الوقت الذى تنهى فيه الأطباء اليهود من إنقاذ حياة الأمميين فى عطلة السبت نجدها لا تجيز لهم فحسب بل وتأمرهم أيضا أن يبذلوا قصارى جهدهم – حتى لو أنتهكت حرمة السبت – لانقاذ حياة الملوك والحكام ، ولعل هذا يفسر لنا السبب وراء شهرة الأطباء اليهود الذائعة بين الملوك والنبلاء والبابوات والأساقفة وحرص هؤلاء الأخيرين على اللجوء إلى الأطباء اليهود فى حالة مرضهم . ولم تقتصر الشهرة على الأطباء وحدهم بل إمتدت لتشمل جامعى الضرائب والمكوس اليهود والذين كانوا يضربون عرض الحائط بأى إعتبار إنسانى من أجل إرضاء أولى الأمر وإكتساب ثقتهم على حساب الطبقات الكادحة والمطحونة . ويرجع سبب هذا التزلف إلى الملوك والحكام إلى حقيقة أن المجتمعات اليهودية كانت تستمد وضعها القانونى من الميثاق الذى كان يمنحه لها الملك أو النبيل مقررا فيه إستقلالها الذاتى وما يترتب على ذلك من تمتع الطبقة الفوقية (الحاخامات والأثرياء) فى المجتمعات اليهودية بسلطات شبه مطلقة على أبناء جاليتهم . ويرجع تاريخ هذه الامتيازات إلى العصر الأخير للامبراطورية الرومانية التى أسبغت على الأحبار إمتيازات مماثلة لتلك التى تمتعت بها طبقة رجال الدين المسيحى فى العصور الوسطى فأعفتهم من دفع الضرائب ، وفوضتهم حق فرض الضرائب على أبناء دينهم . كما وجد فى الفترة من عام ٢٠٠ – ٥٠٠ م منصب الحبر الأعظم ليكون الزعيم الدينى لجميع يهود الامبراطورية[٢٤] وخصصت طبرية فى فلسطين لتكون مقرا له . وإلى جانب المكانة الدينية السامية التى كانت للحبر الأكبر رفعت مكانته الاجتماعية والرسمية إلى مصاف كبار رجال الامبراطورية من قناصل وقواد ، ولم يكن يبزه فى مكانته هذه سوى أعضاء الأسرة الامبراطورية ، وقد بلغ من سمو مكانة الحبر الأعظم والتقدير الذى أحيط به شخصه أن الامبراطور ثيودوسيوس الأول لم يتردد فى إعدام واليه على فلسطين عندما تناهى إليه إقدام الأخير على إهانة الحبر الأعظم . وفى هذا العهد أغدقت الامبراطورية الرومانية الأمتيازات على الحبر الأعظم فأعفته هو ومن يعينهم من أحبار من الضرائب وزودته بسلطات حفظ النظام وفرض الضرائب على يهود الامبراطورية على النحو السابق تفصيله ، وقد توسع الحبر الأعظم وأعوانه من الأحبار فى إستخدام هذه السلطات فى القضاء على الهراطقة من اليهود ، وعلى المتجاسرين على إنتقاد الحبر الأعظم لأنه يفرض

---

(٢١) يطلق تعبير Gentiles على غير اليهود من أبناء الأمم الاخرى .

(٢٢) « اليدية » لهجة من لهجات اللغة الألمانية تكثر فيها الكلمات العبرية والسلافية وينطق بها اليهود فى الاتحاد السوفيتى ووسط أوربا وتكتب بحروف عبرية .

(٢٣) ومن أشهر الكتاب الذين صوروا نزعة الاحتقار هذه Bashevis Singer, Agnon الحاصلان على جائزة نوبل فى الآداب وأيضا شاعر العبرية Bialik صاحب القصيدة المشهورة My Father التى تروى كيف بلغت مأساة أحد اليهود ذروتها عندما أضطر لبيع الفودكا للفلاحين الذين وصفهم الشاعر بأنهم حيوانات، وقد إكتسبت هذه القصيدة شعبية ساحقة فتقرر تدريسها فى المدارس الاسرائيلية .

(٢٤) ألغى هذا المنصب الامبراطور ثيودوسيوس الثانى بموجب القانون الذى أصدره عام ٤٢٩ م وإن كانت سلطات الطبقة الدينية داخل المجتمعات اليهودية قد ظلت على ما كانت عليه حتى انهارت مع ظهور الدولة الحديثة على النحو الذى سوف نعرض له بالتفصيل فيما بعد .

٤٤٨
الضرائب على البؤساء والمعدمين ليزداد ثراؤه لاجئين في ذلك إلى مختلف الأسلحة والوسائل الارهابية من الحرمان إلى الجلد حتى الموت (كما حدث في بولندا فيما قبل عام ١٧٩٥) وهو الأمر الذى ترتب عليه حدوث نفور متبادل بين رجال الدين وعامة اليهود حيث كان الأولون ينظرون إلى العامة باحتقار لجهلهم (وهو الجهل الذى فرضه رجال الدين عليهم على النحو السابق تبيانه) وكان العامة يبغضون رجال الدين لاضطهاد الأخيرين لهم .

ثالثا : إزدهار نفوذ الطبقة الفوقية اليهودية في ظل الأنظمة الاستبدادية :

إزدهر نفوذ السلطة الدينية اليهودية وحلفائها من أثرياء اليهود في ظل قيام أنظمة رجعية استبدادية ، وفي البلدان التى لم يكن الوعى القومى قد تبلور فيها بعد ، مثلما كان الحال في بولندا في الفترة السابقة على عام ١٧٩٥ ، وفي الممالك التى قامت في شبه جزيرة أيبرية في النصف الأول من القرن الخامس عشر ، أو بعبارة أخرى في تلك البلدان التى كان يوجد فيها فراغ وفجوة واسعة بين الطبقة الحاكمة وعامة الشعب حيث أسرع اليهود إلى شغل هذا الفراغ مكونين طبقة وسطى تستمد نفوذها من الطبقة الحاكمة ، ومن ثم إستوجبوا كراهية الطبقة الوسطى الناشئة في تلك البلدان – إلى جانب كراهية الفلاحين على النحو السابق شرحه – والتى رأت فيهم منافسين يتفوقون عليها فيما أنعمت به الطبقة الحاكمة عليهم من إعفاء من الضرائب . وإذ يقوى الوعى القومى وتأخذ الدول القومية في الظهور ، وتتأكد الحقوق الدستورية للشعوب فان هذا النفوذ الذى تمتعت به الطبقة الفوقية اليهودية (رجال الدين وأثرياء اليهود) يتجه نحو الاضمحلال . نشهد ذلك في إنجلترا التى دخلها اليهود مع وليم الفاتح باعتبارهم يشكلون جزءا من الطبقة المؤثرة التى لاغنى للنبلاء عن الاقتراض منها للوفاء بالتزاماتهم المالية الباهظة ويستمر دورهم المؤثر هذا حتى صدور العهد الأعظم (الماجنا كارتا Magna Carta) وهى وثيقة الحقوق الأساسية عام ١٢١٥ حيث بدأ هذا الدور يفقد فاعليته حتى طردوا نهائيا من إنجلترا في عهد الملك إدوارد الأول بعد نشأة البرلمان الانجليزى . وفي ظل نظام الاقطاع الذى ساد فرنسا خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر كان اليهود يعدون أنفسهم في مصاف طبقة الفرسان ، وإشترط عليهم زعيمهم Rabbenu Tam الا يقبلوا ضيافة أى إقطاعى يسمح لهم بالنزول في مقاطعته قبل أن يسبغ عليهم إمتيازات مماثلة لتلك التى يتمتع بها الفرسان من أبناء هذه المقاطعة ، إلا أن مكانتهم هذه قد أخذت في التزعزع مع بدء حركة الكوميونات في عهد فيليب الرابع . ولم يكد التاج الفرنسى يقر حقه في فرض الضرائب وتأخذ الملكية من فرنسا طابعا قوميا حتى طردوا من فرنسا . اما في اسبانيا المسيحية فاننا نجد اليهود يعيشون بحق عصرهم الذهبى حيث عملوا كقيمين على خزائن ملوك قشتالة ، وجامعى ضرائب ومكوس ومبعوثين دبلوماسيين ، وتمتعت المحاكم الربانية باختصاصات واسعة وصلت إلى حد فرض عقوبة الاعدام بالجلد حتى الموت على جماعة القرائين[٢٥] وجدع أنف اليهودية التى تعاشر أحد الأمميين حتى يبغضها رفيقها ، وقطع يدى من يجرؤ على مهاجمة قضاة المحاكم الربانية ... الخ وعندما بلغ الوعى القومى أوجه في عهد فرديناند وإيزابيلا الكاثوليكين إنتهى الأمر بطرد اليهود . أما في بولندا فيما قبل عام ١٧٩٥ فقد إرتفع شأن اليهود على نحو لم يبلغوه في أى من الدول الأخرى حيث تمتعوا بمركز إجتماعى مميز . حدث هذا في الوقت الذى كانت بولندا تعد فيه من أكثر الدول الأوروبية تخلفا ورزوا تحت وطأة الاقطاع في عهد الملك Casmir الأكبر (١٣٣٣ – ١٣٧٠ م) والذى ترتب على موته وضعف خلفائه أن عمت البلاد الفوضى وتعاظم نفوذ النبلاء على حساب سلطة الملكية المتدهورة ، وفي ظل مثل هذه الظروف بلغ طغيان الاقطاع أشده[٢٦] وخاصة في الأراضى الروسية التى ضمتها بولندا أنذاك (روسيا البيضاء وأوكرانيا) فاستباح الاقطاعى لنفسه قتل رقيقه متى شاء ، وبوصول الملكية في بولندا إلى أسوأ حالات ضعفها في عهدى سيجسموندا الأول (١٥٠٦ - ١٥٤٨) ، وخليفته سيجسموند أغسطس الثانى (١٥٤٨ – ١٥٧٢) إزداد نفوذ النبلاء قوة على قوة ووصلوا إلى قمة سطوتهم ، ولما كانت الأرض وحدها أنئذ مصدر الثروة التى تغذى هذه السطوة وتدعمها فقد إزداد حال رق الأرض ضغثا على إبالة ، ولجأ النبلاء إلى الطبقة التى تملك كل أسباب الحيلة والقسر

---

(٢٥) القرائية هو مذهب يهودى نشا في بغداد في القرن الثامن ويرفض اتباعه التمسك بتعاليم التلمود .

(٢٦) ساد الاعتقاد بان حال رق الأرض في هذه الفترة من تاريخ بولندا كان أسوأ بكثير من حالهم في روسيا القيصرية إلا أن الحقيقة ليست كذلك اذ أنه مما لا شك فيه أن بيع الرقيق في الأسواق وتجنيدهم للمهمات الانتحارية كما كان متبعا في روسيا القيصرية أسوأ بكثير من الحال الذى تردى فيه الرق في بولندا .

لاستنزاف آخر قطرة من جهد الفلاح الا وهى الطبقة الفوقية فى المجتمعات اليهودية فولوها وكالة أعمالهم وفوضوها فى إستخدام كل أساليب القمع والأرهاب لتحقيق ذلك ولم تتردد فى ذلك فاستخدمت كل ما أتيح لها من وسائل بلا هواده لارضاء سادتهم من ناحية وللتنفيس عما يعتمل فى قلوبهم من كراهية للأمميين من ناحية أخرى ، وقد قبض اليهود ثمن إخلاصهم على شكل إمتيازات واسعة قفزت بهم إلى أعلى طبقات السلمين االاجتماعى والاقتصادى على نحو لم يشهدوه فى اية مرحلة من مراحل تاريخهم منذ بدء الشتات ، وبلغت هذه المكانة ذروتها بانشاء لجنة الأراضى الأربعة The committee of four lands ذات الاختصاصات الواسعة فى فرض الضرائب على يهود اقاليم بولندا الأربعة وتحصيلها ، وكان يخصص جزءا من هذه الضرائب لنفقات إدارة اللجنة ، وجزءا ثانيا للانفاق على مصالح الطائفة اليهودية أما الباقى فقد كان يحول إلى خزانة الملك . ولعله من نافلة القول أن نكرر هنا أن هذا النفوذ الذى نتحدث عن تمتع اليهود به كان قاصرا على الطبقة الفوقية ، وأنه لم يكن على حساب رق الأرض فقط وإنما على حساب الطبقة الوسطى الناشئة كذلك ، بل وعلى حساب عامة اليهود أيضا الذين عانوا أولا من إضطهاد زعمائهم لهم ثم كانوا كبش فداء لثورة الشعوب ضد طغيان النبلاء وأذنابهم من زعماء اليهود .

مدلول إضطهاد اليهود فى تلك الحقبة :

شهدنا من خلال العرض السابق كيف كان حال اليهود فى ظل الامبراطوريتين الفارسية والرومانية وبخاصة فى عصرها الأخير وما نعموا به من إمتيازات لم تتح لغيرهم من أبناء الطوائف الأخرى فوصلوا فى عهديهما إلى أعلى المناصب ، هكذا كان حالهم فى عهد الوثنية والتى لم تدخر جهدا فى إلقاء معتنقى المسيحية فى أول عهدها إلى الوحوش الضارية ، بل أنه حتى فى تلك الفترات التى كان اليهود فيها مصدر قلاقل وإزعاج للسلطات الحاكمة نجد مؤرخا مثل Gibbon يشيد بروح التسامح التى تحلى بها ماركوس أوريليوس وهو يواجه ثورة اليهود الشهيرة (ثورة بار ـ خوبا من عام ١٣٢ ـ ١٣٥ م) .

كما شهدنا أنه فى عصر الاقطاع وجد لليهود أنفسهم مكانا بين الطبقة المميزة سواء فى أسبانيا المسيحية فى النصف الأول من القرن الخامس عشر أم فى بولندا فى الفترة التى تبدأ من القرن السادس عشر حتى عام ١٧٩٥ كما حظوا برعاية الملوك والنبلاء فى إنجلترا وفرنسا الاقطاعيتين . بل انه من الملاحظ وقوف البابا ورجال الدين والملوك والنبلاء ضد إلحاق الأذى باليهود عند إحتدام ثورة الشعور الدينى ضد اليهود خلال الحروب الصليبية ، وانه عندما تعرض اليهود للاعتداء فى إنجلترا خلال هذه الحروب انزل ريتشارد الأول عقابة الصارم بالمذنبين ، وفى الوثائق التى تؤرخ لتاريخ اسبانيا فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر نجد ان أكثر الملوك الكاثوليك تدينا يطلبون من عمالهم التعاون مع السلطات الدينية اليهودية فى توقيع عقوبة الغرامة على المنتهكين لحرمة السبت وتشهد بذلك رسالة الحاخام الشهير Moshe Sopher حاخام برسبورج (براتسلافا الحالية) والموجهة إلى المجمع الدينى فى فينا تحت إسم Responsa « ... وإذا ما وصل الى علمى أن يهوديا قد تجاسر على فتح حانوته فى الأيام المحرمة فانى أبادر بارسال شرطى للزج به فى أعماق السجن » . أكثر من هذا نجد أنه حتى فى ظل الأنظمة التى إشتهرت بكراهيتها لليهود ، وباصدار قوانين مجحفة بهم يبدو حرص الحكام على إستتباب النظام والقانون فى بلادهم أكبر من كراهيتهم لليهود فها هو نيقولا الأول لا يترك مناسبة إلا ويؤكد فيها إزدرائه لليهود ومع ذلك يبادر إلى تأكيد سلطان القانون وإنزال القصاص العادل ببعض القتلة وعلى رأسهم الحاخام « **Tzadik** »[٢٧] لأنهم قتلوا يهوديا باغراقه فى المياه الساخنة بحمام المدينة . وكذلك مترنيخ الذى إشتهر نظامه بالرجعية وكراهيته لليهود يؤكد بحزم أنه لن يتردد فى إستئصال شأفة كل من يتجاسر على وضع السم فى طعام ماسموا فى ذلك الحين باسم « الأحبار الليبراليين » .

والثابت أيضا أن الاسلام والمسيحية كانا أبعد مايكونا عن معاداة اليهودية بسبب صلة كل من هاتين الديانتين باليهودية فالاسلام لا يعترف باسلام المرء مالم يؤمن بالله وكتبه ، ومن بينها التوراة ، ورسله ومن بينهم موسى عليه السلام ، ولا نذكر ـ فيما نعلم ـ أن تاريخ الدول الاسلامية قد سجل مذبحة واحدة دبرت لليهود بل العكس من ذلك هو الصحيح حيث وصل اليهود إلى مكانة عالية فى عهود الدول الفاطمية والسلاجقة والأيوبية والعثمانية ، وفى الأندلس الاسلامية إزدهرت الآداب والنحو والفلسفة العبرية فى وقت كان فيه أى نشاط فكرى غير دراسة التلمود يعتبر من قبيل « الأفكار المحرمة » ، وفى عهد

---

(٢٧) حاخام مدينة يهودية صغيرة فى اوكرانيا عام ١٨٣٠ .

ملوك الطوائف وصل بعض اليهود إلى منصبي قائد الجيوش والوزير الأول في غرناطة . خلاصة القول أن اليهود بلغوا مكانة رفيعة لم يصلوا إليها قط في أي مكان آخر من العالم في تلك العصور . وشملت الحماية ارواحهم وأموالهم وحرياتهم[٢٨] ، أما بالنسبة للمسيحية فانه فضلا عن القداسة التي يحظى بها الكتاب المقدس لديهم فانه كثيرا ما حكي عن القديس توما أنه وبخ المرأة التي أنكرت انحدار العذراء من أصل عبرى . ولم تحمل المسيحية هذا الحقد الهائل لليهودية بسبب إصرار اليهود - بحسب رواية الانجيل - على صلب المسيح رغم محاولة الحاكم الرومانى بيلاطس النبطى إثنائهم عن ذلك بقوله « إنى لا اجد فى هذا البار علة تستوجب الموت » ورغم غسل يديه من دم المسيح وإلقاء تبعته على اليهود وأبنائهم . نقول أن المسيحية كلها لم تشترك فى هذا الحقد إذ فى الوقت الذى ظلت فيه ذاكرة الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا مفعمة بالمرارة بسبب هذه الواقعة تشاركها فى ذلك الكنيسة الأرثوذكسية فى رومانيا فان الكنيستين الكاثوليكية فى روما والارثوذكسيه فى بلغاريا لم تتطرفا إلى هذا الحد ، وفى الوقت الذى تجهر فيه الكنيسة البروتستانتية فى لاتفيا وأستونيا بالعداء لليهود نجد نفس الكنيسة فى هولندا وسويسرا والدول الاسكندنافية أول من يدين ظاهرة العداء للسامية . هكذا كان موقف الأديان والحكومات من اليهودية واليهود أفبعد هذا يقال أنهم كانوا ضحايا إضطهاد تلاعبا باللفظ وتشويها للحقيقية ، والحقيقة أنه كانت هناك مذابح لليهود ، والحقيقة أيضا أنه قد نكل باليهود وأرتكبت فظائع ضدهم ولكن لم يكن هذا تعبيرا عن إضطهاد الشعوب لهم بل كان إنتقاما للشعوب منهم ، فلم يضطهد اليهود - قبل قيام النازية - لكونهم يمثلون أصحاب ديانة مختلفة أولأنهم من جنس آخر ، بل كانوا فى كثير من الأحيان أفضل حالا من أبناء الشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها . كرمتهم الوثنية عندما كانت تذبح المسيحيين ، ورفعتهم بولندا فى الوقت الذى كان فيه قطاع من شعبها يمثل أسوأ صور العبودية كرق للأرض ، وتزوجوا من الطبقات الرفيعة فى بولندا وأسبانيا فى الوقت الذى كان فيه مثل هذا الأمر مستحيلا بالنسبة للرقيق البولندى أو الفلاح الأسبانى . وتكفل النظام الحاكم فى البلدان التى عاشوا فيها بحمايتهم ضد الثورات التى قامت ضدهم خوفا من أن يستشرى خطر الثورة فيمتد إلى النظام ذاته .

لقد كانت المذابح التى تعرض لها اليهود هى النتيجة الحتمية لدورهم المريب عندما إستخدمتهم الأنظمة الاستبدادية كأداة قمع ضد الشعوب وقبولهم لهذا الدور وتفانيهم فى أدائه فلما ثارت الشعوب ضد مستغليها وقاهريها وكان اليهود أدوات هذا الاستغلال والقهر لحقتهم نار الثورة ، وفى هذا يصف Jhon Stoye مذبحة Chmielnicki[٢٩] التى حدثت فى أوكرانيا عام ١٦٤٨ ، والتى إشتعلت شرارتها الأولى بتمرد مجموعة من الضباط القوزاق ثم تطورت بعد ذلك لتصبح حركة شعبية واسعة النطاق شارك فيها رقيق الأرض « .. لقد كانت ثورة المعدمين والمغلوبين على أمرهم ، وكانت ثورة الأرثوذكس من أبناء أوكرانيا (الذين إضطهدتهم الكنيسة البولندية الكاثوليكية) ضد سادتهم من الكاثوليك وأتباعهم من رجال الدين واليهود » . إن ظاهرة ثورة المضطهدين ضد الطغاة من أكثر الظواهر تكرارا فى تاريخ الانسانية فلم يمض وقت طويل على ثورة تشملينكى حتى ثار الفلاحون الروس تحت زعامة Stenka Rayzan ، وبعد ذلك بمائة عام ثاروا مرة أخرى تحت قيادة Pugachev . وشهدت ألمانيا ثورة الفلاحين عام ١٥٢٥ كما شهدت فرنسا ثورة اليعقوبيين ما بين عامى ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ، كما ثار العبيد فى أنحاء متعددة من العالم وكان أقربها ثورة العبيد فى سان دومنجو وفى كل هذه الثورات لم يكن اليهود بين ضحاياها ، وكل هذه الثورات صحب قيامها إرتكاب فظائع فهل يطلق المنصفون على كل هذه الثورات إسم « إضطهاد الطغاه » قياسا على « إضطهاد اليهود » أم أن الثورة لا تصبح ثورة إلا إذا كان وقودها من غير اليهود فإن أصاب وبالها اليهود تصبح إضطهادا ! ! .

معاداة السامية فى العصر الحديث :

فى خلال الشهور الثمانية الواقعة ما بين يونيو ١٩٤٢ وفبراير ١٩٤٣ إستخدم النازى عددا من عربات

---

(٢٨) انظر تعليقنا فى العدد السابق تحت عنوان « ما وراء التطرف والعقلانية فى الفكر اليهودى » ص ٢٤٨ وما بعدها .

(٢٩) يشير اليهود عادة الى هذه الثورة باعتبارها ابرز الامثلة على تأصل نزعة معاداة السامية لدى الشعوب الاخرى .

السكك الحديدية لدفع اليهود المذعورين أمامها إلى غرف الغاز أكثر مما أستخدمه لنقل العتاد الحربى ، كان ذلك إبان هجومه الكبير على الاتحاد السوفيتى الذى إنتهى بهزيمته فى ستالينجراد وذلك تنفيذا لذبحته الهائلة التى قضت على عدد يتراوح ما بين ٥ ـ ٦ مليون يهودى من يهود أوروبا ، فلم كانت هذه الذبحة المروعة ؟ وهل كانت إمتدادا لموجة الكراهية والعداء التى إشتدت ضد اليهود فى العهود السابقة بسبب دورهم كأدوات للاقطاع مارس بواسطتها جبروته وطغيانه ؟ . يؤكد إسرائيل شاهاك فى هذا الصدد أن الوجه المعاصر لمعاداة السامية لا يمت بصلة ما لموجة العداء التى سادت فى العصور الوسطى ضد اليهود إذ أن ظهور الدولة الحديثة على أنقاض النظام الاقطاعى قد استتبع إنتهاء دور اليهود الاقتصادى والاجتماعى الذى لعبوه كأدوات للاقطاع ومن ثم زوال الأسباب التى جلبت عليهم عداء الشعوب الأخرى . وإذا لم يكن الأمر كذلك فهل تكون الرأسمالية هى السبب وراء ظاهرة العداء الجديدة للسامية ؟ وينحى شاهاك هذا السبب جانبا حيث أنه من الملاحظ أن إنجلترا وبلجيكا وهما من أعرق الدول الرأسمالية يعتبران أقل الدول عداءا للسامية ، بل أنه فى داخل بلد واحد ـ كألمانيا مثلا ـ يمكننا ملاحظة أن ظاهرة العداء للسامية تبدو أشد فى المجتمعات الزراعية ـ كباڤاريا مثلا ـ عنها فى المناطق الصناعية الأخرى . ثمة إحتمالات اخرى يمكن تصورها على ضوء التحولات الكبرى التى طرأت على المجتمع الدولى ترجع بجذورها إلى الثورة الفرنسية الكبرى وما أتت به من أفكار تحريرية وتقدمية نفذ تأثيرها عبر أسوار الجيتو فحصل الفرد اليهودى على قدر معقول من الحقوق ، وفى بعض الحالات على المساواة القانونية الكاملة على حساب نفوذ رجال الدين ومن ثم كسب المجتمع المفتوح أول أعدائه ـ وإلى جانب هؤلاء كانت هناك فئة من المحافظين أبغضت كل ما جاء به المجتمع المفتوح من شر وخير ، وفى جملة ما أبغضته خروج اليهود من معاقلهم ، لا كراهية فى اليهود أنفسهم وإنما لان هذا الخروج يمثل بعضا من هذا الجديد الذى يكرهونه ، وهناك أخرون لم ينسوا لليهود إفسادهم للحياة السياسية فى بلادهم ، وفى مقدمة هؤلاء رائد معاداة السامية الفرنسى E.Drument الذى تناول بالنقد اللاذع النبلاء الذين كانوا يتملقون أسرة روتشيلد أكثر من نقده لأسرة روتشيلد ذاتها ولم يسلم من نقده هذا حتى البابا وذلك فى مؤلفه الشهير فرنسا اليهودية « France La juive » (عام ١٨٨٦) . إذن فقد يمكننا القول أن الوجه الجديد لمعاداة السامية كان أحد القرابين التى قدمت على مذبح التحول من القديم إلى الجديد ومن المجتمع المغلق إلى المجتمع المفتوح واحد الافرازات الضارة لهذا التحول ، وقد وجدت اداة تنفيذها فى ظاهرة إستشراء مرض كراهية الأجانب Xenophobia بين العنصريين الألمان والهوس الذى اصابهم فى الحفاظ على النقاء العنصرى للمجتمع وسمو الجنس الآرى على باقى الاجناس الأخرى ولما كان اليهود هم الأجانب الوحيدين فى الدول الأوروبية منذ عام ١٩٠٠ فقد اصابتهم وحدهم ويلات هذه النزعة العنصرية ، والحقيقة أن العنصريين من الألمان كانوا يكرهون الزنوج بنفس القدر الذى كرهوا به اليهود ولكن لم يكن فى ألمانيا زنوج فى ذلك الحين ليقاسوا كما قاسى اليهود .

ثمة حقيقة أخرى تؤكد الاختلاف الجوهرى بين إضطهاد اليهود فى العصور الوسطى والوجه الجديد لمعاداة السامية إذ أن هذه الأخيرة تقوم على خرافة التفوق بين الأجناس وتضع الجنس اليهودى فى مرتبة دنيا بين باقى الأجناس بينما لم يكن هناك ثمة وجود لفكرة تفوق الأجناس إبان العصور الوسطى فالطابع العالمى لكل من الاسلام والمسيحية يضعان المؤمنين بهما على قدم المساواة أمام الله مهما إختلفت الأجناس التى ينحدرون منها ، ولا يرتقى أحدهما درجة أعلى من الأخر بسبب جنسه بل ترفعه تقواه وإمتثاله لتعاليم دينه ، ونظام الاقطاع فى العصور الوسطى لم يعرف الطبقية الجنسية بل كان النفوذ الاقتصادى هو مفتاح الوصول إلى أعلى الطبقات ومن ثم إستطاع اليهودى أن يتزوج من الطبقات الأستقراطية فى بلدان مثل بولندا وأسبانيا . خلاصة القول أن ظاهرة معاداة السامية فى العصر الحديث لم تنبع من فراغ أسطورة الجنس الآرى فقط بل كانت هناك عوامل مساعدة هيأت المناخ الملائم لانتشارها من رجعية يهودية تحلم بالعودة إلى « الجيتو » الذى تشعر بأنها قد نفيت منه أكثر مما تشعر بأنها قد تحررت من طغيانه ، وكهنة يهود ترغب فى إستعادة سلطانها المفقود حتى لو إقتضى الأمر ذبح بعض القطيع الشارد ليخاف باقى القطيع ويعود إلى حظيرة الجيتو ، وطبقة محافظة تتحرق شوقا إلى إثبات فوضى المبادىء التقدمية حتى لو إقتضى الأمر سفح بعض الدماء ومن هنا جاء التحالف بين المحافظين أعداء السامية والزعماء اليهود أنفسهم الذين كانوا على إستعداد لمحالفة الشيطان من أجل تحقيق أهدافهم .

والحقيقة الثابتة تاريخيا أنه رغم أن نجاح الصهيونية يعزى الى درجة كبيرة إلى رد الفعل القوى الذى أحدثته معاداة السامية إلا أن الصهيونية لم تجد

غضاضة في التحالف مع معاداة السامية ذاتها[30] لتحقيق أهدافها فهرتسل نبي الصهيونية يتحالف مع Von plehve وزير نيقولا الثاني ، وكان هذا الوزير من الد أعداء السامية وهو الذي دبر مذبحة Kishinev لليهود ، وقد زار هرتسل روسيا في أغسطس عام ١٩٠٣ أي قبل مرور أربعة شهور على هذه المذبحة المروعة وإتفق مع الوزير الروسي على تهجير اكبر عدد ممكن من اليهود في اقصر وقت ممكن حتى يحرم الحركة الاشتراكية الوليدة من دعمهم . وفي المقابلة التي تمت يوم ٨ أغسطس بين الرجلين أكد الروس لهرتسل بأنه يعد نفسه من أشد مؤيدي الصهيونية ، كما تعاهد جابوتنسكي مع بتليورا الزعيم الأوكراني الرجعي والذي قامت قواته بذبح أكثر من مائة الف يهودي بين عامي ١٩١٨ _ ١٩٢١ ، وتحالف بن جوريون مع اليسار الفرنسي المتطرف أثناء حرب الجزائر والذي يضم شخصيات إشتهرت بشدة عدائها للسامية ، وقد حاول الفرنسيون تطييب خاطر بن جوريون فأقسموا له أن عداءهم ليس موجها ضد اليهود في إسرائيل وانما ضد اليهود الفرنسيين فقط .

أكثر من هذا نلاحظه في موقف الصهاينة الألمان الذين كانوا أول من هلل لوصول هتلر الى السلطة وايدوا نظريته الخاصة بسيادة الجنس لأن مؤداها هو وقف عملية إدماج اليهود في المجتمع الألماني ويعرب الدكتور يواقيم برنز في كتابه الصادر عام ١٩٣٤ تحت عنوان « WIR Juden » « نحن اليهود » عن تهنئته لهتلر بمناسبة انتصاره على عدوهم المشترك المتمثل في الليبرالية ويمضي قائلا « إننا لسنا اسفين علي ذلك (أي على وقف عمليات ادماج اليهود في المجتمع الألماني وتجريد اليهودي من حقه في الزواج باجنبية) فإن ماحدث في الواقع هو إرغام لليهود على الاعتراف بهويتهم اليهودية ، واننا نؤيد استبدال قانون الادماج باخر جديد ينص على انتماء اليهود الى الأمة اليهودية والجنس اليهودي . ويجب على كل يهودي ان يبدي تقديره واحترامه للدولة التي تحرص على نقاء الجنس والأمة لأن هذا يعني انتمائه الى بني جنسيه ، فان هو فعل ذلك فلن يقع ابدا في مصيره الولاء الخاطيء لدولة ما .. » ويسير باقي الكتاب على هذا المنوال من اشادة بالنازية ودورها في القضاء على الآراء الليبرالية وبخاصة ماجاءت به الثورة الفرنسية . فلماذا قطع هؤلاء الصهاينة كل هذا الشوط مع الذين عادوا السامية قبل ظهور النازية ، ومع النازية ذاتها الذين لم يكتفوا بتاييدها بل تواطؤا معها ضد ابناء دينهم ؟ لقد كانوا يحلمون بانه في ظل ازدهار نظرية تفوق الجنس الآري ستنمو وتزدهر نظرية الجنس اليهودي ! وكان هذا بداية تواطؤ الصهيونية مع أعداء السامية لاليخلصوا ابناء دينهم من نير المعاناة بل ليحققوا اطماع الصهيونية السياسية . ولو كان هذا على حساب ارواح اليهود انفسهم فها هو حاييم وايزمان يقول غداة انتصار الثورة البلشفية « والآن فانهم يقولون ان الباعث الأكبر على الحركة الصهيونية قد زال بعد ان تحرر يهود روسيا . وليس هناك اكثر سطحية وخطا من هذا الرأي . اننا لم نقم حركتنا ابدا على الام شعبنا في روسيا او في غيرها . ان هذه الآلام لم تكن قط سببا للحركة الصهيونية وان كفاح القومية اليهودية ينبع من الرغبة في ايجاد وطن لها . »

وفي عام ١٩٤٦ أعلن الحاخام Abba H.Silver أن هدف الصهيونية ليس انقاذ اليهود اللاجئين وانما منح القومية اليهودية الكيان السياسي للدولة .

وحيث كانت فلسطين هي هدف الصهيونية فقد رفض الساسة الصهاينة مشروع استيطان اليهود في كمبرلي باستراليا . نرى ذلك في التقرير الذي يقطر مرارة المقدم من هيئة مشروع Freeland League والذي جاء فيه « .. منذ الذي يستطيع ان يتكهن كم الفا من اليهود كان من الممكن انقاذ ارواحهم من مخالب هتلر لولا جهود الساسة الصهاينة اعداء اليهودية لاحباط ذلك ؟ .. كم الفا من اليهود كان من الممكن ان يبداوا حياتهم في كمبرلي بدلا من تلك النهاية التعسة في اوشفيتز ؟ » . ورفض الساسة الصهاينة ايضا الجهود التي بذلتها بريطانيا لاستقبال اللاجئين من يهود اوروبا على ارضها مما جعل محرر النيويورك تايمز يصرخ يائسا « لماذا يحق السماء يضحى بكل هؤلاء التعساء من اجل فكرة الدولة !! » .

وعندما اتهم السفير الاسرائيلي في كندا Yacov Herzog الدول العربية بانها تتخذ من مشكلة اللاجئين الانسانية سلاحا سياسيا للمساومة وذلك اثناء حوار اجراه مع المؤرخ العالمي ارنولد توينبي عام ١٩٦١ في جامعة Macrill رد توينبي قائلا « اعتقد ان اسرائيل بمحاولتها استرعاء الانتباه الى هذا الجانب بالذات من السياسة العربية انما تضع نفسها في بيت من زجاج لأني اعتقد ان هناك الكثير الذي يمكن ان يقال عن اللاجئين اليهود الذين ارسلوا عقب الحرب العالمية الثانية الى فلسطين لاسباب سياسية وليست انسانية في الوقت الذي كان يمكنهم ان يجدوا حياة

(٣٠) انظر في ذلك مقالنا السابق الاشارة اليه .

اكرم ومستقبلا افضل فى استراليا او شمال امريكا .. »

أما Morris Ernest فقد اخبرنا كيف عملت الصهيونية على احباط مشروع تقدم به الرئيس روزفلت لانقاذ حياة خمسين الف يهودى وذلك بان تفتح جميع دول العالم ابوابها لاستقبالهم ورفضت الصهيونية ذلك لان هجرة اليهود الى فلسطين توفر لهم الذريعة لجمع التبرعات لاستصلاح تلك المنطقة الجرداء .

سلاح معاداة السامية :

افليس بعد كل هذا مجال للدهشة ؟ الا يعتبر من أغرب مفارقات التاريخ ان يقوم عتاة الصهيونية الذين تحالفوا مع اعداء السامية قبل قيام النازية ، والذين هللوا لانتصار النازية بل وتواطؤوا معها على ابناء دينهم ان يشهروا سلاح معاداة السامية فى وجه كل من يجرؤ على انتقاد سياسة اسرائيل ؟ . لم يسلم من هذه التهمة المؤرخ العالمى « ارنولد توينبى » لانه كتب فى المجلد الثامن من مؤلفه Astudy of History « ان اليهود بطردهم العرب الفلسطينين من ديارهم عام ١٩٤٨ لهم اكثر جرما من بنوخذ نصر وتيتوس وهادريان ومحاكم التفتيش الاسبانية والبرتغالية عندما قتلت واضطهدت اليهود » . كما ان الكاتبة الشهيرة Dorothy Thompsoh ذات التاريخ المجيد فى تعبئة الشعوب ضد النازية ، والتى تبنت الدعوة الصهيونية فى البداية ايمانا منها بانها حركة انسانية تهدف الى تحقيق آلام ضحايا النازية وصمت بمعاداة السامية عندما ادركت حقيقة الصهيونية كحركة عنصرية ارهابية وكرست جهودها لتاييد حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة الى ديارهم . كما لم يسلم من هذه التهمة الكاتب الروسى شهير بوريس باسترناك . ولم يمل الصهيونيون ولا انصارهم تكرار هذه النغمة المحلية ولا احتكار الاتهام بمعاداة السامية لمن ينتقد سياسة اسرائيل او يدين عدوانها سواء اكان الموجه اليه هذا الاتهام مسلما ام مسيحيا بل حتى لو كان يهوديا ، الأمر الذى دعى الدكتور دافيد ريسمان بجامعة هارفارد الى الكتابة فى مجلة Jewish News Letter ان اليهود لم يسيطروا فقط على اصوات الناخبين ، ولا على القدرات التنظيمية والمالية اليهودية

ولكنهم احتكروا ايضا حق مهاجمة اى شخص يعترض على اهدافهم السياسية واتهامه بمعاداة السامية . واصبح السبيل اليهود لدفع هذا الاتهام هو مصادقة اسرائيل والدعوة الى تاييدها . وفى التاريخ القريب نجد النائب البريطانى Richard crossman[٣١] يتهم فى كتابة Anation Reborn « ميلاد جديد لامة » العرب والحكومة البريطانية والجيش والبوليس البريطانيين بمعاداة السامية فقد اتهم بيفن بذلك لانه صرح بوجوب معاملة اليهود فى فلسطين على ضوء وضعهم كجماعة دينية شانهم فى ذلك شأن المسلمين والمسيحيين فاذا رفضوا مثل هذه المعاملة فان هذا يعنى انهم ليسوا جماعة دينية وبالتالى ليسوا يهودا ، وكان هذا هو سبب اتهام كروسمان له بانه يضحى باليهود من اجل مصالح بريطانيا . نقول ان هذه النغمة المجوجة الملة « معاداة السامية » قد اصبحت انشودة اجهزة الدعاية الصهيونية التى لاتمل تكرارها . فمن يتصور انه فى عام ١٩٦٤ يصدر العنوان الرئيسى فى التايمز الأمريكية على هذا النحو « ان جريمة ابادة الجنس التى ارتكبها هتلر تدل بوضوح على حقيقة اطماعه فى بولندا » ان اى قادم من اى كوكب أخر الى الأرض سيعتقد اننا لازلنا نعيش فى عالم ١٩٤٤ وتسعى هذه الأجهزة الى تضخيم اى حادث فردى يقع ليهودى وتصوره وكانه كارثة رهيبة وفى ذروة حماسها هذا تتجاهل احداثها اكثر جسامة يروح ضحيتها المئات واحيانا الآلاف من البشر .

وخلاصة كل ما تقدم ان اسطورة اضطهاد اليهود فى العصور الوسطى كانت ذكرا لانصاف الحقائق وان المذابح التى دبرت لهم والفظائع التى حلت بهم لم تكن الا انتقاما وقصاصا منهم لدورهم المشين كادوات قمع وطغيان ولما كانت القاعدة الاصولية تقضى بانه « لا يحق للمرء ان يدعى ويداه غير نظيفتان » فان من الأولى بهم ان يسدلوا على ماحدث ستارا كثيفا من النسيان لا ان يستغلوا خطاياهم بلا حياء لتبرير اضطهادهم لشعب فلسطين .

كما أن معاداة السامية فى العصر الحديث تدين بنجاحها فى تنفيذ مذابحها الى عتاة الصهاينة الذين تحالفوا معها وساعدوها على ذلك لتحقيق اغراضهم السياسية على حساب اعتبارات انسانية ثم عادوا مرة

---

(٣١) عضو لجنة التحقيق الأمريكية الانجليزية التى ارسلت الى فلسطين عام ١٩٤٥ ومن الاصدقاء المقربين لحاييم وايزمان .

٨٥٤

اخرى واستغلوا هذه الاعتبارات الانسانية – التى تجاهلوها عندما اتاحوا للنازى ذبح اخوانهم – ليحققوا بها اغراضا سياسية جديدة ومتجددة الى ما لانهاية كسلاح يبادرون الى شهره فى وجه كل من يعترض على سياسة اسرائيل العدوانية او ينتقدها او يدينها او حتى لايبدى التعاطف اللازم لها ، ولكم استهلكوا المآسى والمحن التى مر بها شعبهم لاستدرار دموع الضمير الانسانى حتى ليخشى المرء ان يذرف هذا الضمير دموعا اكثر مما ينبغى فتغرقه .

القضية الثانية : السلوك الاسرائيلى وموجهاته :

عرضنا فى القضية الأولى لحقيقة ماسمى بالاضطهاد اليهودى فى صورتيه الكلاسيكية والمعاصرة وقد يصلح هذا العرض ليكون خلفية تاريخية لتفسير السلوك الاسرائيلى ، وذلك على ضوء حقيقة ان الذين تولوا الحكم غداة نشأة الدولة اليهودية هم اولئك اليهود الذين جاءوا الى فلسطين من دول شرق اوروبا وبخاصة بولندا وهم اولئك الذى ورثوا عن اجدادهم موقف اليهود من الطبقات الكادحة وبخاصة الفلاحين كما ورثوا ايضا عنهم ذكريات مريرة عن مذابح تشيملنكى الدامية .

واذا كانت هذه الخلفية التاريخية قد تصلح لتفسير بعض موجهات هذا السلوك فان معظم موجهاته لا تكشف عنها الا الخلفية الدينية . وقد يقال ان تفسير سلوك الدول فى هذا العصر استنادا الى معطيات دينية انما يمثل ردة فى استخدام ادوات التفسير بعد ان تجاوز العالم بمراحل زمنية طويلة طور الفصل بين الدين والدولة ، وقد يقال ايضا إن هذه الآداة ان كانت تصلح لتفسير سلوك المجتمع اليهودى المغلق Closed society وراء جدران الجيتو حيث كان يمثل دولة داخل الدولة فانها لا تصلح لتفسير سلوك هذا المجتمع بعد ان انتقل من عزلته الى عالم ارحب واوسع ليصبح دولة بين الدول ، قد يقال أن اليهود الذين أضطهدوا بحق او غير حق – لم يجدوا متنفسا لعزلتهم الا اللجوء الى الدين حيث وجدوا فيه السلوى والعزاء والوعد بعالم افضل لا ياخذون فيه مكانهم بين الامم فحسب بل تكون لهم فيه السيادة عليهم فلما نشأت دولتهم تحرروا من اسار هذا الدين وسعوا الى المشاركة مع غيرهم من الدول لتحمل مسئولياتهم فى صنع حركة التاريخ وبناء عالم تسوده الرفاهية والسلام . قد يقال كل ذلك وغيره للتقليل من شان الدين كأداة لتفسير السلوك الاسرائيلى . ولكن الحقيقة غير ذلك فقد طالب هرتزل فى كتابة « الدولة اليهودية » Das Juden staat باقامة دولة يهودية فى فلسطين ومن ثم اكتسبت هذه الدولة طابعها الدينى البحت منذ اللحظة التى ولدت فيها كفكرة تداعب خيال منظرى الصهيونية الأول . واليهود يصفون انفسهم دائما بمجتمع دينى او بتعبير ادق امة دينية A Religious Nation وفى القرن التاسع الميلادى قال احد كبار احبارهم وهو سعاد يا هاجاون Sa'adia Hagga'on « ان شعبنا لا يكون شعبا الا بالتوراة » واذا كان البعض قد ايد اسرائيل بسبب الشعور بعقدة الذنب ازاء ماتعرض له اليهود بما سمى اضطهاد فان البعض قد ايدها ايضا بسبب الدين . فايدها المتمسكون بالتفسير الحرفى للكتاب المقدس Biblical Literalists لاعتقادهم بان عودة اليهود الى فلسطين هو شرط أساسى لابد من تحقيقه أولا لعودة المسيح ، وايدها البعض الاخر من المسيحيين لايمانهم بما جاء فى العهد القديم من حتمية عودة اليهود الى وطنهم الأول . ولما كان الدين اليهودى لايقتصر على مجرد تنظيم العلاقة بين الانسان وربه بل يتجاوز ذلك الى التدخل فى ادق دقائق حياة اليهود بوجهيها الفردى والاجتماعى حتى ما تعلق منها بشرب جرعة ماء فى منزل غير اليهودى فانه يصبح من المتعين الرجوع الى ذلك القدر من الشريعة اليهودية الذى ينظم علاقة اليهود بغيرهم وتاثير ذلك على السلوك الاسرائيلى .

اولا :الشريعة اليهودية واثرها على السلوك الاسرائيلى :

الشريعة اليهودية :

نعرف عن اليهودية انها احدى الديانات السماوية الثلاثة الى جانب المسيحية والأسلام ، ونعرف ان كتابها هو التوراة الذى انزله الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى عليه السلام « الأسفار الخمس الأولى » وان عدد اسفارها تسعة وثلاثون حسب النسخة البروتستانتية وستة واربعون حسب النسخة الكاثوليكية [٣٢] والى جانب التوراة يوجد التلمود الذى سنشير اليه بايجاز فى الصفحات التالية كما سنعرف ان ثمة صوفية او باطنية يهودية قد نشأت فى القرن الثانى عشر الميلادى واتضحت ملامحها فى القرن السادس عشر عرفت باسم القبلانية Cabbala .

وليس هناك من شك فى ان ادعاء غير المتخصصين حتى من اليهود انفسهم الاحاطة بدقائق الشرعة

---

(٣٢) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٩ ص ١٤ .

اليهودية هو ادعاء غير قابل للتصديق ، واذا كان الامر كذلك بالنسبة لليهود انفسهم من غير المتخصصين من رجال اللاهوت فان اقترابنا من هذا الموضوع الشائك سوف يكون اقتراب الحاذر الذى يقنع بما جاء فى النص وصدقه السلوك الاسرائيلى ذاته ، وفى حدود النص سوف نقنع منه بما تطلبه التعريف او اقتضاه غرض هذه الدراسة ، والنص الذى نعنيه هنا هو ذلك المؤثر فى توجيه السلوك الاسرائيلى وهو ما تستند اليه اليهودية الكلاسيكية ــ بحسب تعريف شاهاك ــ او اليهودية الوضعية او اليهودية الربانية كما اسماها غيره دون اليهودية التوراتية Biblical Judaism ، وعلة ذلك ان اليمين الدينى فى اسرائيل(او اليهود الأرثوذكس) شديدو الاعتقاد بما جاء فيها ، وانه يطوع سلوكه ويسخره وفقالها .

أ ــ التوراة :

على الرغم من ان هناك غموضا كبيرا قد اكتنف الظروف والأزمان التى دونت فيها اسفار العهد القديم فان البعض يرجع ان بداية التدوين كانت فى القرن التاسع الميلادى والذى يفصل بينه وبين عهد موسى عليه السلام مدة لا تقل عن اربعة قرون خلت من تواتر الرواية الشفوية الدقيقة للنصوص المحفوظة لشريعة موسى حيث اهمل بنو اسرائيل توراتهم كما ينص سفر الملوك الثانى « فقال حلقيا الكاهن الأعظم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب ، وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه .. واخبر شافان الكاتب الملك قائلا قد اعطانى حلقيا الكاتب سفرا وقرأه شافان امام الملك فلم سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه .. [٣٣] وغير الاهمال فقد اتجه اليهود الى عبادة الأوثان تقليدا للشعوب المجاورة ومن ثم فلا يمكن الاطمئنان فى ظل هذه الظروف الى سلامة شريعة موسى عليه السلام من التحريف والاضافة والبتر[٣٤] فاذا كان الشك والغموض يحيطان بالاسفار ذاتها فان مشكلة تفسيرها تعتبر اكثر تعقيدا حيث يكاد يكون ضربا من المستحيل على الذين يجهلون العبرية معرفة المضامين الحقيقية للتوراة من قراءتهم لترجماتها باللغات الاخرى حيث ياخذون بظاهر النص دون مقصوده الذى تحدده آداة التفسير ذات الحجية المطلقة فى هذا الصدد وهى التلمود . ولنضرب على ذلك الامثلة التالية :

جاء فى الوصية الثامنة من الوصايا العشر « لا تسرق » [٣٥] والمعنى الظاهرى لهذه الوصية هو تحريم السرقة الا انه لما كانت عقوبة مخالفة الوصايا العشر هى الاعدام وفقا للتلمود بينما لايعاقب على سرقة الممتلكات بالاعدام فقد فسر المعنى الحقيقى لهذه الوصية على ان السرقة المعاقب عليها بالاعدام وفقا للتلمود بينما لايعاقب على سرقة الممتلكات بالاعدام فقد فسر المعنى الحقيقى لهذه الوصية على ان السرقة المعاقب عليها بالاعدام هى سرقة الاشخاص (اى اختطافهم) الا ان التلمود يجيز اختطاف غير اليهودى ومن ثم يصبح الاختطاف المقصود بهذه الوصية والمعاقب عليه بالاعدام هو اختطاف الشخص اليهودى .

يوحى النص الظاهرى « العين بالعين والسن بالسن »[٣٦] هو اقتلاع عين من يقتلع عين شخصا آخر . ولكن تفسير التلمود غير ذلك حيث انه يقرر تعويض سمل العين بعين مال .

والآية التى تحث المرء على ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه [٣٧] ليس دعوة للمحبة الانسانية كما يوحى ظاهرة النص بل فسرت على اساس محبة اليهودى فقط وعلى ضوء مثل هذه التفسيرات كان سلوك اليهود الأرثوذكس (اليمين الدينى) خلال حرب يونية ١٩٦٧ اذ عندما لامهم اخوانهم من اليهود بسبب الفظائع التى ارتكبوها ضد العرب مستشهدين بهذه النصوص التى تدعو الى المحبة ، وقع التقريع على آذان صماء اذ انهم يفهمون من النص خلاف مايوحى به ظاهره .

ب ــ التلمود :

يمثل التلمود حجر الزاوية فى البنيان العقائدى لليهودية الأرثوذكسية والتلمود مصنفان احدهما هو التلمود البابلى Babylonianوالآخر هو الفلسطينى Palestinianكما يطلق عليه اسم تلمود اورشليم Jerusalem Talmudويتكون من جزءين اولهما الميشنا Mishnahوهو عبارة عن مدونة قانونية جامعة مصنفة فى ستة مجلدات اورسالات بالعبرية وهو

---

(٣٣) الملوك الثانى ٢٢ : ٨ ــ١٣

(٣٤) محمود نعناعة مرجعه السابق ص ١١ .

(٣٥) سفر الخروج ١٥:٢٠

(٣٦) سفر الخروج ٢٤:٢١

(٣٧) سفر اللاويين ١٨:١٩

٨٥٦ التشريعية التى

خلاصة لعملية تنقيح تناولت المصنفات التشريعية التى ... على مدى قرنين سابقين على تاريخ اجرائها ٢٠٠ ميلادية . والجزء الثانى هو « الجيماراه Gemarah » ويمثل سجلا حافلا للمناقشات التى دارت حول الميشنا والتعليقات التى وردت عليها . والجيماراة نسختان كذلك احدهما وضعت فى بلاد الرافدين فى الحقبة ما بين عامى ٢٠٠ ـ ٥٠٠ ميلادية والأخرى بدأ وضعها فى نفس الوقت تقريبا وانتهى منه قبل الأخرى بوقت طويل . ويتكون التلمود البابلى ومن ميشنا وجيمارا الرافدين وهى ادق من الناحية التنظيمية واوفى تفصيلا من التلمود الفلسطينى وهو صاحب الحجية المطلقة فى المسائل التشريعية بينما يعتبر التلمود الفلسطينى فى مرتبة ادنى منه ومن المصادر الثانوية له ، والى جانب التلمود توجد عدة وثائق تتناول احكاما لم ترد فى اى من التلمودين ويطلق عليها فى مجموعها اسم « أدب التلمود » .

والذى يعنينا فى التلمود هنا هو ما تعلق فيه بالأحكام التشريعية (٣٨) ويشتمل التلمود على نظام قانونى شامل يغطى أدق تفاصيل حياة اليهود الفردية والاجتماعية . وقد وضعت احكامه بطريقة دوجماتية وعلى نحو يجعلها غير قابلة للمناقشة ، مع التمسك بحرفية الصياغة دون اهتمام بروحها واذا كانت احكام التلمود الاساسية غير قابلة للنقاش او التطور مع تغير الظروف فان التوسع فى تفسيرها والمبالغة فى التخريج امران لاحدود لهما ولنورد بعض الامثلة على ذلك .

ـ فالقاعدة التى تقضى بالامتناع عن العمل يوم السبت يندرج تحتها ٣٩ نوعا من الأعمال المحرمة . فلماذا حددت الأعمال المحرمة بـ ٣٩ فقط لا اكثر من ذلك ولا اقل ؟ ان المسألة كلها قد تمت بطريقة تحكمية . اكثر من هذا نجد ان الكتابة تندرج تحت الأعمال المحرمة يوم السبت ، وهنا لايقف الجدل عند حد اذ لابد من التساؤل : كم عدد من الاحرف يمثل كتابتها انتهاكا لحرمة السبت ؟ والاجابة : اثنان ولابد ايضا من التساؤل هل تكون درجة الجرم واحدة فى حالة استخدام اى من اليدين والاجابة : لا ، وللوقاية من الوقوع فى خطيئة الكتابة يوم السبت تقرر حظر لمس اى من ادوات الكتابة فى هذا اليوم .

ـ مثال آخر من بين الأعمال المحرمة يوم السبت يتعلق بطحن الحبوب وقياسا على ذلك حرم طحن اى شىء آخر وللوقاية من هذه الخطيئة حرمت ممارسة الطب يوم السبت (اللهم الا فى حالة انقاذ حياة يهودى) لأن الطبيب قد يصف لمريضه دواء وهذا الدواء قد يحتاج لصحن بعض المواد !

ـ مثال ثالث للدلالة على مدى التطرف فى التخريج وفى تقرير حظر بعد حظر للوقاية من الوقوع فى خطيئة القيام باحد الأعمال المحرمة وهو « تحريم الحصاد يوم السبت » ويترتب على تحريم الحصاد تحريم كسر غصن شجرة ، ولما كان راكب الجواد قد يلجأ اثناء سيره الى كسر هذا الغصن ليحث جواده على السير فقد حرم ركب كافة الدواب يوم السبت ولايجوز للمرء ان يحتج بانه بعد اختراع السوط لاحاجة به للغصن كما لايجوز له ان يركب دابة حتى لو سار فى طريق خال من الاشجار ، ولما كانت الدراجة قريبة الشبه من الدواب فقد حرم ركب الدراجات يوم السبت قياسا على ذلك

ـ أما اكثر الامثلة تطرفا فهو هذا المثال الذى لايخرج عن التجريد النظرى ويكاد يكون من المستحيل ان يجد تطبيقا له فى الحياة العملية . ويرجع هذا المثال الى ايام قيام الهيكل والحبر الاعظم الذى لم يكن يرخص له الا بالزواج من عذراء ، وعلى الرغم من انه طوال فترة الشتات لم يكن الهيكل قائما ولا الحبر الأعظم موجودا فقد دارت مناقشات مطولة حول هذه القضية . قضية العذراء الملائمة وهل لازالت المرأة التى فقدت بكارتها بسبب حادث ما تعتبر عذراء ؟ وهل كان هذا الحادث قبل بلوغ الفتاة سن الثالثة ام بعدها ؟ وهل كانت اداة الحادث معدنية أم خشبية ؟ وهل كانت الفتاة تتسلق شجرة عندما فقدت بكارتها ؟ ومتى حدث لها ذلك اثناء صعودها للشجرة ام اثناء هبوطها منها !!

ج ـ فى الباطنية اليهودية :

على خلاف مايعتقد الكثيرون من ان اليهودية هى ديانة قائمة على التوحيد فان الوحدانية التى جاءت بها التوراة قد تعرضت للتصدع بعد نشأة الباطنية فى اليهودية الكلاسيكية والتى حملت القبلانية Cabbala لواءها منذ القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ولم يكد يحل القرن السادس عشر حتى سادت القبلانية كافة المراكز اليهودية .

ويقوم هذا المذهب على ان علة الخلق الأولى لم يكن

---

(٣٨) يحتوى التلمود الى جانب الاحكام الشرعية فيه ما يطلق عليه اسم Aggada أى « مقتطفات » وهى عبارة عن مجموعة اقاصيص ونوادر تدور حول الاحبار والأشخاص العابدين والملائكة والشياطين . وتحتل مرتبة ثانوية باعتراف التلمود ذاته .

منشؤها وجود اله واحد بل خضع العالم لحكم عدة الهه وعلى راسها الاله الاب (الحكمة) وزوجتـه الاله الام (المعـرفة) واللذان انجبـا الابـن ويطلق عليه اسـم الصغير المبارك المقدس » او « الوجه الصـغير » ، والابنة أو الملكة Shekhinah وان ازدهـــار مجـــد اسرائيل يتوقف على اقتران الشقيقين ، بينمـا تحـل عليها اللعنات وتنزل بها الكوارث فى حالة انفصالهما ، وفى تلك الحالة التى ينجح فيها الشيطان فى التسـلل الى مخدع الملكة السماوى والتحايل عليها حتى يتمـكن من اغتصابها ، وما من حادثة هامة فى تاريخ اليهـودية الا وتفسر على ضوء حـدوث اقتـران او انفصـــال بين الابن المقدس ومليكته ، اى بين عنصرى الكيان الربانى ويتمثل هذا الاقتران فى انتصار اليهود على الكنعـانيين ودخولهم فلسطين ، وبنائهم الهيكلين الأول والثـانى ، بينما يتخذ من هدم الهيكل الأول والثانى وطرد اليهـود من الاراضى المقدسة وارتكاب خطيئة العجـل الذهبـى علامة على حـدوث الانفصـال ونجـاح الشـيطان فى اغتصاب الملكة ، وهنا تقـع اليهـوديات فى الغـواية ، ويأخذ الرجال الى مخادعهم بنات الشيطان المتنكرات فى صورة بشرية بدلا مـن زوجـاتهم الحقيقيات ، وهنا يتعين على اليهـودى المخلص ان يسـعى مـن خـلال صلواته وقرابينه الى استعادة اقتـران عنصرى الكيان الربانى مرددا قبل كل صلاة « من اجل ان يتم اقتـران المبارك المقدس ومليكته » بل ان صلاة الصباح تمثل كل مرحلة من مراحلها خطوة نحو الاقتراب من حدوث هذا الاقتران فاحداها تمثل اقتراب الملكة نحو الابن والثانية معانقته لها وهكذا حتى يتـم الاقتـران كمـا ان هناك صلاة اخرى لخـداع الملائكة التـى تحـرس ابـــواب السماوات فتسمح لما يروق لهـا مـن الدعاء بـالصعود وترد مالايروق لها الى الارض ، وهنا تحتال القبـلانية على ذلك بالدعاء بالآرامية ـ المفترض جهـل الملائكة بها ـ فلا تكاد تفتح ابـواب السـموات حتـى تتـدفق الدعوات الى الاقداس العلى بالارامية والعبرية ايضا ومـــــن عـــــادات القبلانيـــــة ان يغســـــل اليهودى يده قبل الطعام وبعده مـرددا فى كل مـرة دعاء خاصا جـزءا منه يتعبـد بـه الى الله راجيا حـدوث الاتصـــال بين عنصرى الكيان الربـانى ، وفى الجـزء الآخر منه يتعبد الى الشيطان ليشغله ويلهيه عن اغواء الابنة المقدسة ، ومن قبيل هذه المعتقدات ايضـا تـرى القبلانية ان السبعين ثورا مخصيا التى تنحـر خـلال اسبوع القرابين انما هـى قـربانا للشيان او حـاكم الاميين Gentiles لشغله بها عن القرابين التى تقدم فى اليوم الثامن لله وهنا يقتضى المقام ان نذكر ان المظهر الوحدانى للديانة اليهـودية قـد يضـلل الكثيرون الذين يقارنون بينه وبين تشيع كل من الاسلام والمسيحية الى مذاهب وفرق ، ويرجع هذا اللبس الى وحدة الطقـوس رغم اختلاف المذاهب ومن ثم فاننا نرى كافـة اليهـود يؤدون صلاة واحدة وبطقوس واحدة بل وايضا بكلمات واحدة بينما يكون البعض منهم يتوجه بهذه الصلاة الى الله بينمـا يتـوجه البعض الاخـر بنفس الصـلاة الى الشيطان ، والجملة المقدسة التى تقول « اياك فلتعرنى سمعك يااسرائيل ان الرب الهنا هـو اله واحـد » قـد تحمل معنى التوحيد كمـا قـد تحمـل معنى الاتحـــاد الجنسى .

٢ ـ موقف الشريعة اليهودية من الاميين (غير اليهود) Gentiles

عرضنا فيما سبق لتعريف موجز ـ فى حـدود غرض هذه الدراسة لبعض جوانب الشريعة اليهودية من توراة وتلمود وباطنية ، وكان الهدف مـن وراء ذلك تعـريف لبعض خصـائص العقيدة اليهـودية مـن خـلال امثلة سقناها للتدليل على ان ظاهر النص الذى قد يتفق مـع القيم والمبادىء العالمية فانه يختلف معهـا على ضـوء تفسير تحكمى يقدمه التلمود لنصـوص التـوراة ، وان التفسير الحرفى للتلمود ذاته لايملك اليهودى منه فـكاكا لمسـايرة روح العصر والتـطور والعيش بسـلام بين الامم . تلك العقيدة التى تعبد الشيطان الى جـانب الله فى الوقت الذى يجمع فيه العالم كله على لعن الشيطان .

فالشريعة اليهودية تعتبر القتل احدى كبـائر ثـلاثة الى جانب الشرك والزنى عقوبتها الاعدام اذا ارتـكبها يهودى عمدا ضد يهودى آخر اما اذا ارتكبها ضد اممى فانها تعد انتهاكا لقوانين السماء يعاقبه عليهـا الله فى

---

(٣٩) إقتصرت دراسة « القبلانية » على علماء اليهودية فقط ، وقد قـامت السـلطات الدينية اليهـودية فى أوربـا وبخاصة فى الفترة التالية لعام ١٧٥٠ باتخاذ احتياطات شديدة للمحافظة على سريتها ، وكان تدريسها للعلمـاء يتـم تحت رقابة صارمة . اما عامة اليهود فى شرق اوربا فلم تتح لهم فرصة الوقوف على اسرارها وإنما قـدمت لهـم على شكل طقوس سحرية .

(٤٠) إقتبـاس شـاهاك مـن Maimonides Mishnah Torah Laws on murderer 2,11 Talmudic Encyclopedia (Goy) فى العدد التاسع من Khamsin صفحة ٢٦

(٤١) المرجع السابق ص ٢٩ .

الآخرة ولا يحق لمحاكم دينوية ان تعاقبه عليها . اما اذا قتل اليهودى اميا بطريق غير مباشر كان يرفع سلما وضعه الامى داخل حفرة ليستخدمه فى الخروج منها فلا يعد مرتكبا لجريمة ما(٤٠) .

وبينما تحث اليهودى على انقاذ حياة اخيه فى الدين فانها تعتبر حياة الأممى غير واجبه الانقاذ « فالاميين لا يجب دفعهم فى البئر ولا اخراجهم منه » . « اماالأمميين الذين لا توجد بيننا وبينهم حرب فلا يجب ان نتسبب فى موتهم ، ولا يجب انقاذهم اذا كانوا على وشك الهلاك ، فلا تعرض احدهم للغرق فلا تنقذه لانه هكذا كتب عليك »(٤١) الا ان هناك استثناءا على هذه القاعدة حيث توجب الشريعة على الطبيب اليهودى انقاذ حياة الاممى اذا كان الاخير ذا سطوة ونفوذ .

وزنى المراة اليهودية يستوجب عقوبة الاعدام لكلا الطرفين ، اما زنى اليهودى المراة بالاممية فلا عقاب على اليهودى فيه ولأن الاميين لا يتعدون مرتبة الحيوانات بينما تعاقب المراة الاممية بالاعدام حتى لو اغتصبها اليهودى عنوة . هذه أمثله بالنسبة لموقف العقيدة اليهودية من القيم الاخلاقية والامثلة تطول وتتعدد والمقام لا يتسع لمزيد من السرد والاستطراد .

فما هو موقف اليهودية من القيم العالمية كالحرية والآخاء والمساواة والعدل .. الخ .

موقف الشريعة اليهودية من الأمميين :

وبعد أن ألمحنا فيما تقدم إلى بعض المبادىء الدينية التى تسيطر على العقلية اليهودية ، وماتفرع عنها من مذاهب باطنية كالقبلانية فإن ثمة إعتراض قد يثور بدعوى أن عصرنا الحالى يتميز بفتور الاخلاص للدين تحت طغيان الماديات ، وإن الدولة الصوفية الملتزمة فى كل صغيرة وكبيرة من أمورها بأحكام الدين لاتعدو أن تكون فى عصرنا الحالى .. إلا فكرة طوبية شأنها فى ذلك شأن فكرة العالم الشيوعى الذى تسوده العدالة المطلقة وتختفى فيه كافة الفوارق بين الطبقات . ومتى كان الأمر كذلك فلماذا نبالغ فى تقدير دور الدين وتأثيره على السلوك الاسرائيلي ؟ .

ونرد على هذا الاعتراض المحتمل بقولنا إن مثل هذا الاعتراض إن كان يصدق فى حق ديانتين حازتا صفة العالمية مثل المسيحية والاسلام فانه مردود بالنسبة لليهودية التى سيطرت عليها فكرتى الخصوصية والتمايز وما أوجدتاه من طبقية بين البشر وإستندتا عليه من إستعلاء عنصرى مما جعل من اليهودية أسلوب حياة ليس من السهل تغييره أكثر منها نواميس مبادىء – كما هو الحال بالنسبة للمسيحية والأسلام – من الممكن على المرء الا يبالغ فى التقيد والالتزام بها . وليس هناك أصدق فى تصوير هذه العنصرية من موقف الشريعة اليهودية (٤٢) من الاميين .. فعلى سبيل المثال تحرم الشريعة اليهودية ان يقتل يهودى يهوديا اخر عمدا وتعتبر هذه الجريمة إحدى كبائر ثلاث إلى جانب الزنا والشرك تستوجب عقوبة الاعدام . أما إذا كان الضحية أمميا (غير يهودى) فان القاتل اليهودى لايعد مرتكبا إلا لما يسمى بانتهاك قوانين السماء Violatien of lawes of heavens وهو مالايحق للمحاكم الدنيوية أن تعاقبه عليه ، وإنما يترك أمر عقابة فى هذه الحالة لله – سبحانه وتعالى – فى الآخرة . ولاجناح على اليهودى إن هو قتل أمميا خطأ ، ومن أهم التعليقات التى وردت فى هذا الصدد تلك التى تضمنتها مدونة « شولهان آروخ » حيث تقول أنه « بالنسبة له (غير اليهودى) يجب على المرء ألا يرفع يده ليلحق به الأذى ، ولكنه يجوز للمرء أن يضر به بطريق غير مباشر ، ومثال ذلك الايدفعه إلى الوقوع فى حفرة ، ولكنه يجوز له أن يرفع السلم الذى قد يخرج به من الحفرة » إلا أن هذا الحكم يرد عليه إستثناء هام وهو تحريم إلحاق الضرر بالأممى إذا إستتبع ذلك إستثارة عداء الأمميين ذوى السطوة على اليهود . أما الأممى الذى يقتل يهوديا أو أمميا آخر فإنه يجب إعدامه فورا إلا إذا تحول القاتل إلى اليهودية وكان ضحيته أمميا وليس يهوديا . وقد يقال أن القانون الجنائى الاسرائيلى لايفرق بين اليهودى وغير اليهودى ولكن يرد على هذا القول بأن تطبيق القانون الجنائى يخول للقاضى سلطة تقديرية واسعة ومتى كان هذا الأخير يهوديا أرثوذكسيا فإن لخلفيته الدينية دور هام ومؤثر فى تطبيق أحكام القانون ، كما أن هذه الخلفية الدينية قد سيطرت على

(٤٢) يسمى النظام القانونى « الشريعة » المستمد من التلمود البابلى بالحلاقاة Halakha وهو الذى يدين له اليهود الارثونكس بالولاء ، ونظرا لطول وتعقد القضايا والمسائل الواردة بالتلمود فقد سعت اجيال متعاقبة من فقهاء اليهودية الى اختصار وتبسيط تلك الاحكام ، وجاءت ثمار تلك الجهود فى اول مدونة وضعت حول هذه الاحكام كتبها موسى بن ميمون فى القرن الثانى عشر تحت اسم Mishneh Torah وفى اواخر القرن السادس عشر وضع الحاخام يوسف كارو Yosef karo مدونته المعروفة باسم Shulhan, Arukh وتعتبر من اشهر هذه المدونات واقواها حجية ، واوسعها انتشارا حيث لازالت تستخدم حتى اليوم مرجعا لاحكام التلمود ، وهناك اخيرا دائرة معارف التلمود Talmudic Encyclopedia وهى احدث المؤلفات التى وضعت حول احكام التلمود وقد نشرت فى اسرائيل فى الخمسينات .

سلوك الجنود الاسرائيليين الأرثوذكس أثناء حرب ١٩٧٣ حيث صدر عن قيادة المنطقة الوسطى للجيش الاسرائيلي كتيب جاء فيه « .. لما كانت أحكام التلمود تقرر بأنه لايجوز قتل الأممى الذى لاندخل معه فى حرب فان مفهوم المخالفة يؤدى بنا إلى القول بجواز قتل جميع الأمميين فى حالة الحرب ومن ثم يجوز لقواتنا ــ طبقا للحلاقاه ــ أن تقتل جميع المدنيين حتى المسالمين منهم » .(٤٣)

ومن ناحية أخرى تؤكد الحلاقاه على الأهمية القصوى للمبادرة بإنقاذ حياة اليهودى الذى يتعرض للخطر باعتبار أن هذا العمل يمثل واجبا يسمو على كافة الواجبات الدينية الأخرى ، ويبيح جب كافة المحرمات فيما عدا الكبائر الثلاث (القتل والشرك والزنى) . أما بالنسبة للأمميين فإنه يجب عدم إنقاذ حياتهم إلا أنه يجب فى الوقت ذاته عدم تعمد قتلهم أو كما يعبر النص فى هذا الخصوص بقوله « لاينبغى أن تدفعهم (أى الأمميين) إلى البئر أو تخرجهم منه » كما جاء فيه « أما الأمميين الذين ليس بيننا وبينهم حرب فلا تقتلهم ولكن لاتنقذ حياة أحدهم إن أوشك على الهلاك لأنه بهذا أمرك الرب » ، كما يجب على الطبيب اليهودى ألا ينقذ حياة أمميا ، وقد كتب موسى بن ميمون يقول « .. وهكذا فلتعلم أنه محرم عليك إنقاذ حياة الأممى ولو بمقابل ، ولكن إذا تسبب إمتناع الطبيب اليهودى عن إنقاذ حياة أممى ذا سطوة فى جلب غضبه على اليهود وتعريض حياتهم للخطر فلا جناح على الطبيب اليهودى إن هو أنقذ حياة الأممى ولو بدون مقابل ، وحتى لو إنتهك حرمة السبت (وقد كان موسى إبن ميمون نفسه طبيبا خاصا لصلاح الدين الأيوبى) . وكما سبق القول ، تعتبر الشريعة اليهودية الزنى إحدى كبائر ثلاث عقوبتها الاعدام أما إذا كانت الزانية إمرأة أممية فإن الأمر يختلف إذ تعتبر هذه الشريعة كل الأمميين فى مرتبة الحيوانات « .. أولئك الذين تشبه جلودهم جلود الحمير .. »(٤٤) ، وسواء أكانت المرأة الأممية متزوجة أم غير متزوجة فإن الأمر لايختلف لأن إتصال اليهودى بها لايعدو أن يكون إتصالا بحيوان ومن ثم فلا وجود لجريمة الزنى فى هذه الحالة . وتفصل لنا دائرة معارف التلمود هذه الحالة على النحو التالى « .. إن اليهودى الذى يتصل جنسيا بزوجة أممى لايستحق عقوبة الموت لأنه بذلك جاء الحكم » . ولكن هذا لايعنى إباحة الزنى بزوجة أممى بل العكس هو الصحيح وتكون عقوبة اليهودى هى الجلد أما العقاب الجسيم فيوقع على المرأة التى يجب قتلها حتى ولو كان اليهودى قد إغتصبها وفى هذا يأتى النص « .. إذا باشر اليهودى الاتصال الجنسى بأممية سواء أكانت طفلة فى الثالثة من عمرها أم بالغة ، وسواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة وحتى لو كان اليهودى غضا لم يتجاوز التاسعة إلا بيوم واحد فيجب قتلها كما تقتل الحيوانات لانها كانت السبب فى إثارة الرغبة المحرمة فى نفسه مما أوقعه فى المعصية »(٤٥) .

ولاتكتفى الحلاقاة بإستباحة حياة الأمميين وأعراضهم وخصهم بالعقوبة الاقسى حتى ولو كانوا ضحايا بل إنها تشكك أيضا فى نزاهتهم وتعتبرهم دائما كاذبين ولذلك لايؤخذ بشهادتهم المباشرة أمام المحاكم اليهودية ، وتعن المشكلة عندما لاتجد المحاكم اليهودية أمامها إلا شاهدا أمميا وبخاصة فى حالة الحكم بفقد الزوج اليهودى(٤٦) وفى هذه الحالة أباحت المحاكم الأخذ بشهادة الأممى بشرط ألا يتوجه بها مباشرة إلى هيئة المحكمة وإنما بطريقة عرضية ومثال ذلك أن يستدرجه أحد القضاة إلى الحديث فى موضوع لايتصل مباشرة بموضوع الوفاة وفى سياق الحديث يأتى ذكر هذه الواقعة عرضا .

وإذا كانت الشريعة اليهودية تحمل كل هذا القدر من العداء والاحتقار للأمميين فإن الباطنية اليهودية تتطرف فى هذا العداء والاحتقار . نجد هذا فى كتاب Hatanya وهو المقدس لدى الحباد أهم فروع الحركة الحسيدية Hassidism والذى يشير إلى أن كل الأمميين ــ بما فيهم الجنين منهم فى بطن أمه ــ ليسوا سوى مخلوقات شيطانية لم تكن هناك ضرورة لخلقهم حيث لم يخلق العالم كله إلا من أجل بنى إسرائيل . وينتمى إلى هذه الحركة مئات الألوف من الاسرائيليين

---

(٤٣) **Colonel Rabbi Avidan (Zemel« Purity of Weapons in the light of Halakhah » Central - regien command 1973..**

والمقتبسة فى هاعولام هازة عدد ٥ يناير ١٩٧٤ .

(٤٤) حزقيال ٢٣ : ٢٠

(٤٥) الخروج : ٢٠ :١٧

(٤٦) حيث تتطلب المحاكم لاعلان ان الزوجة قد اصبحت ارملة ومن ثم تقرير السماح لها بالزواج مرة اخرى ان يشهد بذلك شاهد عيان يؤكد حضوره لواقعة الوفاة او تعرفه على جثة الزوج الفقيد .

من بينهم من يشغل مراكز هامة في الدولة وقيادات الجيش ، وكان من أشد أنصارها رئيسا دولة إسرائيل السابقان شازار وكاتسير وكذلك رئيس وزراء إسرائيل الحالي مناحيم بيجن(٤٧) . وفي شهادة Shulamit Alohi عضو الكنيست الاسرائيلي ذكر أن تعاليم هذه الحركة قد إنتشرت بصورة مذهلة قبل غزو إسرائيل للبنان في مارس عام ١٩٧٨ وذلك لحث الأطباء والممرضات في الجيش الاسرائيلي على الامتناع عن تقديم المساعدة الطبية لجرحى الحرب من الأمميين (والمقصود بهم هنا اللبنانيين والفلسطينيين)(٤٨) .

وإذا كانت الأديان الأخرى والشعوب الأخرى في نظر اليهودية لاتحظى إلا بكل عداء وتهوين فكيف إستطاع اليهود في حالة ضعفهم التعايش بمثل هذه المفاهيم في ظل حكام مسيحيين ومسلمين عرفوا بتدينهم الشديد ، بل وإتاحوا لليهود الوصول إلى أهم مناصب الدولة ؟ .

والحقيقة أن اليهود لم يعدموا مطلقا سبيلا للمناورة ففي الوقت الذي كانت فيه الرشوة هي المفتاح الوحيد لكل الأمور المستعصية نجح اليهود في عهد البابا سيكستوس الرابع عام ١٤٨٠ في نشر المدونة الكاملة لتوارة بن ميمون ، وهي تلك التي لاتكتفي بالهجوم على الأمميين فحسب بل كالت الاتهامات البذيئة على شخص المسيح — عليه السلام — والذي كان كلما ذكر إسمه أعقبته هذه العبارة « أهلك الله الاسم الشرير » . وبعد حملة الانتقادات القاسية التي تعرض لها هذا الجانب من التلمود إبتداءا من القرن السادس عشر قام اليهود بإنتزاع كافة الأجزاء التي تتضمن هجوما على المسيحية في نسخ التلمود المتداولة بينما وزعوا سرا بيانا على المراكز الدينية يحتوى على مواضع الحذف وأرقام صفحاتها ، وتم إستبدال الكلمات التي تعني « أممي » أو « غريب » بكلمة « كافر » ومن ثم يمكن الرد على أي إحتجاج من قبل المسيحيين أو غيرهم بأن المقصود بالهجوم هم الكفار عبدة الأوثان الذين عاشوا في العصور القديمة والكنعانيين الذين إندثروا لأصحاب الديانات الأخرى ، أكثر من هذا بلغ الأمر بالسلطات الدينية اليهودية إلى الادعاء — بعد إحتلال إنجلترا للهند ، أن المقصودين بانتقادات التلمود هم الهنود لا غيرهم . إلا أنه بعد قيام دولة إسرائيل كشف اليهود القناع عن حقيقة هذا العداء فعادت كل الصفحات المنزوعة والكلمات المحذوفة إلى أماكنها الأصلية وقامت منظمة LeAKhin الدينية التي تدعمها وزارة الأديان الاسرائيلية بتنفيذ ذلك النص من التلمود الذي يقضي بإحراق نسخ العهد الجديد فأحرقت مئات من النسخ منه في إحتفال كبير اقيم في القدس يوم ٢٣ مارس عام ١٩٨٠ .

هذا هو موقف اليهودية من باقي الأديان ومن باقي الشعوب كما صوره ورثة كهنتها الذين إحتكروا لانفسهم حق تناول أقدم الشرائع السماوية بالحذف والتبديل والزيادة والنقصان ، والتقول على الله — عز وعلا — وعلى أنبيائه — عليهم جميعا السلام — بما يتنزه عنه الحق سبحانه وتعالى وبما يتسامى عليه كافة المرسلين . ولسنا هنا في معرض تبرئة اليهودية كديانة سماوية من التشويه الذي الحقه بها سدنتها تحقيقا لاغراض أنانية وسياسية في المقام الأول إذ أن هذا يدخل في مجال علم اللاهوت ، وإنما الذي يعنينا هو إبراز حقيقة إستغلال الدين لبسط نفوذ طبقة الكهنة على عامة اليهود داخل أسوار الجيتو ، ثم إستغلاله مرة أخرى بعد تقوض هذه الأسوار — بعد هبوب رياح التغيير وماحملته من تأكيد لكرامة الفرد وحقوقه بتأثير مبادىء الثورة الفرنسية — لإستعادة هذا النفوذ وذلك عن طريق خلق جو من الشك الدائم وعدم الثقة بين اليهودي وغيره من الشعوب والأجناس مما يجعل الفرد اليهودي يسلم قياده في النهاية لتلك الطبقة الحاكمة المسيطرة على مقدراته .

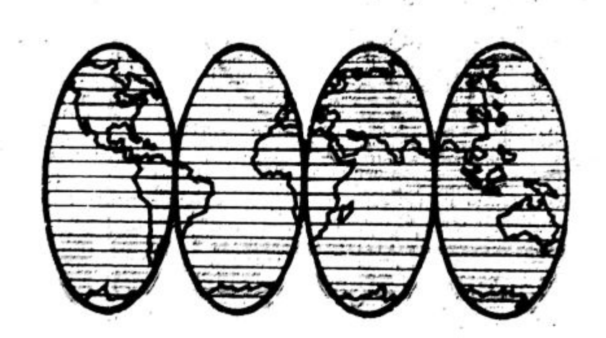
وعندما قامت دولة إسرائيل وإحتلت مقعدها في الأمم المتحدة كان من المتصور أن تحرير اليهود من عقلية الجيتو ومفاهيمه بإتاحة الفرصة لها لتكون دولة من دول العالم تسهم بدورها في صنع حركة التاريخ ، وتشارك مع غيرها في تحقيق الرفاهية وتوطيد السلام دونما رواسب من تاريخ مشوه عن إضطهاد اليهود أو موجهات دينية مغرضة تحث على العدوان على الآخرين وتبرر له ، جاء السلوك الاسرائيلي الممعن في عدوانيته مخيبا لهذا الأمل ، وأن الواجهة الديمقراطية البراقة التي يمثلها تعدد الأحزاب في إسرائيل من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ليست إلا أقنعة متعددة فوق وجه واحد يحمل عقلية لازالت تحمل ذكرى مذابح تشملينكي ضد اليهود ومذابح النازية ضدهم ورغبة في تقاضي دين اليهود من العالم وتناسي دين الشعوب على اليهود ،

---

(٤٧) انظر مقال I. Shahak في العدد الثامن من مجلة Khamsin والمشار اليه انفا .

(٤٨) المرجع السابق ص ٣٨ .

وشعبا يهوديا مخدرا لفكرة الاختيار الالهـى ومضـللا بعقيدة النقاء العنصرى . أما الذين يعقدون الأمال على اليسار فى إسرائيل فلعلهم لاينسون التـاريخ القـريب لوسى هيس الذى كان يعد صديق كارل مـارس الحميم والاشـتراكى الأول فى المانيا وكيف كشـف فى كتـاباته التى نشرت عام ١٨٥٨ حول ارائه عن « نقـاء الجنس اليهودي » على غرار نظـرية نقـاء الجنس الآرى عن حقيقته كأكثر المتطرفين اليهود عنصرية ولعلهم يقفـون قليلا امام مؤسسية الكيبوتز ذات المظهـر الاشـتراكى ليدركوا حقيقتها العنصرية وهى تستبعد غير اليهود من عضويتها ، وأخيرا فلعهم لايعجبون كثيرا عندما يرون تلك الدولة الديمقراطية ذات الآراء المتعددة وقد أجمعت فى رضى اثم على عمليات الذبح المنظـم الذى يقـوم بـه الجيش الاسرائيلى فى لبنان . افـلا نصـدق بعـد ذلك شـاهاك عندمـا يقتبس لنا تحليل A..J.P. Taylor قائلا « إن المانيا لم تعرف مبدأى الحرية والمساواة إلا عندما حملتهما إليها جيوش بـونابرت الغـازية الامـر الذي جعل المانيا تصم هذين المبـدأين بـانهما دخيلان عليهـا ، وكذلك إسرائيل لم تعـرف المبـادىء والمثـل الانسانية إلا عندما إقتحمت هذه المبـادىء وتلك المثـل اسوار الجيتو عنوة مما يجعلنا نعتقد بأن إسرائيل ترى ان هذه المبادىء دخيلة عليها .



[قسم خاص]

حركة عدم الانحياز فى الثمانينات



تقديم :

ربما لم يؤثر مبدأ من مبادىء السياسة الخارجية فى النصف الثانى للقرن العشرين على السياسة الخارجية والعلاقات بين الدول الصغرى والدول الكبرى ، كما اثر مبدأ عدم الانحياز . فمنذ ان نشأ مفهوم عدم الانحياز فى الخمسينيات ، تغير مضمونه وتعددت ابعاده ، ولكنه مازال يلعب دورا اساسيا فى تحديد التوجه السياسى الاساسى لغالبية دول العالم الثالث .

بيد انه مع بداية السبعينيات بدأت حركة عدم الانحياز تواجه مجموعة من التحديات ، وتمثلت تلك التحديات فى تغير النظام العالمى نحو الانفراج وتخفيف حده الحرب الباردة ، وتدهور المركز الاقتصادى العالمى للدول غير المنحازة ، وغياب بعض القيادات التاريخية للحركة ، وتفجر الصراعات بين الدول غير المنحازة . وقد بلغ من عمق هذه التحديات ان البعض بدأ يتساءل عن جدوى سياسة عدم الانحياز فى ضوء تلك المتغيرات ، كما ثار التساؤل عن مستقبل الحركة فى بداية العقد الثالث لتطورها .

استجابة لكل هذه المتغيرات ، فقد شرع مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى تنظيم سلسلة من الندوات الدولية تتناول بشكل علمى تحديد مفهوم عدم الانحياز فى الثمانينات ، خاصة مع اقتراب انعقاد مؤتمر القمة السابع لعدم الانحياز فى بغداد .

وقد عقدت الندوة الأولى فى ٢ ــ ٤ ابريل سنة ١٩٨٢ فى القاهرة وشارك فيها فريق من المتخصصين اليوجوسلاف ومن الخبراء المصريين ، وتلتها ندوة مصرية افريقية موسعة فى ١٠ ــ ١٢ يونيو سنة ١٩٨٢ شارك فيها نخبة جامعية ودبلوماسية ممثلة للدول الافريقية لمناقشة نفس القضية ، ثم ندوة مصرية هندية انعقدت فى ٨ ــ ١٠ يوليو ١٩٨٢ .

والابحاث المقدمة فى هذا الملف تمثل الدراسات التى تقدم بها اعضاء الندوة المصرية اليوجوسلافية .

وقد شارك فى هذه الندوة من الجانب اليوجوسلافى الاساتذة : ــ

بوزيدار فرانجية ، مدير معهد الاقتصاد والسياسة والدولية .

ــ ليوماتيس ، عضو المعهد .

ــ ميلان ساهوفيتش ، المستشار العلمى للمعهد .

ــ بوياناتاديتش ، مديرة مركز عدم الانحياز التابع للمعهد .

ــ ميودراك كابريتش ، المستشار الخاص بوزارة الخارجية اليوجوسلافية .

ومن الجانب المصرى اشترك فى الندوة الاساتذة :

ــ السيد ياسين ، مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية .

ــ الدكتور سمير احمد وكيل عامة الخارجية .

ــ الدكتور عصام جلال سكرتير عام جماعة الباجواش .

ــ السفير عبد الحليم بدوى ، مدير ادارة الهيئات الدولية بوزارة الخارجية .

ــ الدكتور عادل بشاى ، الاستاذ بالجامعة الامريكية فى القاهرة .

ــ الدكتور سمعان بطرس فرج الله . الاستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

ــ الدكتور محمد السيد سليم ، المدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

تناولت الندوة ثلاثة موضوعات اساسية هى : التحديات الاساسية امام الحركة ، حركة عدم الانحياز والقضايا الاقتصادية ، مستقبل حركة عدم الانحياز فى الثمانينات . وقد نوقش كل موضوع على مدار يوم عمل كامل انطلاقا من البحوث والدراسات التى قدمها اعضاء الندوة .

اولا : ازمة عدم الانحياز :

كان هناك شبه اجماع على ان حركة عدم الانحياز تواجه مجموعة من الازمات التى تنبع من خصائص النظام العالمى ومن الحركة ذاتها . فالانفراج الدولى ادى الى فقدان الحركة لتوجهها الرئيسى والى خلق صراعات داخل الحركة ، كما ان الحركة لم تستطع بعد ، صياغة اهداف جديدة بعد ان حققت معظم اهدافها الأولى (كتصفية الاستعمار) . هذا بالاضافة الى ان قيادات الحركة الجديدة ينقصها الولاء الكامل للحركة ، والى ان عضوية الحركة قد اتسعت بحيث اصبحت مرادفة للعالم الثالث مما زاد من صعوبة التوصل الى اتفاق عام حول الاهداف الاساسية ، وبحيث تولد لدى الحركة احساس زائف بالقوة . وكما قال الاستاذ / ليوماتس فان الحركة قد خلطت بين القوة التصويتية والقوة الحقيقية ، مما دفعها الى التدخل لحل صراعات اقليمية ليست مؤهلة لحلها . وقد اعتبر الجانب اليوجوسلافى مثل هذا التدخل خروجا عن الخط الاصلى للحركة . كذلك هناك مجموعة من التحديات التنظيمية . فالاباء المؤسسين للحركة ارادوها حركة ديمقراطية واسعة ليس لها اى طابع مؤسسى . بيد انه مع تقادم الحركة تولد احساس بضرورة خلق اجهزة دائمة تتولى عملية التنسيق بين الدول غير المنحازة .

وقد اشار الدكتور سمعان بطرس فى بحثه الى الصراعات الداخلية بين الدول غير المنحازة سواء انقسامها الى دول محافظة ودول ثورية ، بما فى ذلك مشاكل الحدود واختلاف التوجهات الايديولوجية نحو الشرق والغرب .

واخيرا اشار د . عصام جلال الى ازمة الأمن التى تواجهها الدول غير المنحازة ، متمثلة فى تحول المواجهة المباشر بين القوتين الاعظم الى مواجهة غير مباشرة عن طريق دول وسيطة فى العالم الثالث ، بالاضافة الى حظر انتشار الاسلحة الذرية فى العالم الثالث .

ثانيا : عدم الانحياز والقضايا الاقتصادية :

اهتمت الندوة المصرية - اليوجوسلافية بالجانب الاقتصادى لحركة عدم الانحياز ، اذ قدمت فيها ثلاث دراسات عن هذا الموضوع . والواقع ان هذا الاهتمام يعكس التحول الذى شهدته الحركة نحو الاهتمام بالقضايا الاقتصادية للعالم الثالث ، وبالذات قضية انشاء نظام اقتصادى عالمى جديد ،وتحول الحركة نحو تبنى مفهوم راديكالى لهذه القضية تتعلق بتغيير أسس النظام الاقتصادى العالمى ذاته . وقد اتفق اعضاء الندوة على ان دور الحركة الاقتصادى يجب ان يظل دورا ارشاديا بحيث تتجنب الحركة خطر الانماج الكامل مع مجموعة السبعة والسبعين وتقتصر دورها على تقديم الدعم السياسى والمعنوى للمجموعة فى مفاوضات الشمال والجنوب . كذلك حذر جانب من الفريق المصرى من اتجاه

الحركة الى تكوين مؤسسات اقتصادية للعالم الثالث ، كما حذر جانب من الفريق اليوجوسلافى من انغماس الحركة فى القضايا الاقتصادية وطالب بأن تعود الحركة الى مبادئها السياسية الأولى كمجموعة ضغط « سياسية » للعالم الثالث .

ثالثا : مستقبل حركة عدم الانحياز فى الثمانينات :

كان هناك شبه اتفاق عام بين اعضاء الندوة على ان حركة عدم الانحياز فى الثمانينات عليها ان تبحث عن قضية محورية جديدة ، وان تلك القضية قد تكون قضية انشاء نظام اقتصادى عالمى جديد . وفى هذا الصدد يجب ان تحرص الحركة على ان تظل بمثابة العقل السياسى المفكر للعالم الثالث ، وان تركز على القضايا العالمية المشتركة بين الدول غير المنحازة . وان تتجنب الدخول فى المشاكل الاقليمية ، وان كان الجانب المصرى قد اشار الى صعوبة التحلل من المشاكل الاقليمية ، كذلك يجب ان تكثف الحركة من التنسيق بين المنظمات الاقليمية للعالم الثالث بحيث تصب انشطة تلك المنظمات فى حركة عدم الانحياز وبحيث تسوى صراعات العالم الثالث على مستوى تلك المنظمات اساسا . وقد اشار د . سمير احمد الى ضرورة تكوين لجنة حكماء Wisemen Committee تكون بمثابة محكمة استئناف للحركة تقوم بالتوسط بين الدول غير المنحازة فى صراعاتها . كما اشار الجانب اليوجوسلافى الى ضرورة التنسيق مع الدول المتعاطفة مع حركة عدم الانحياز كالدول الاسكندنافية .

اما بخصوص مستقبل العضوية فى الحركة ، فقد اختلفت وجهات النظر . فالجانب اليوجوسلافى دافع عن توسيع العضوية فى الحركة بحيث تصبح حركة عدم الانحياز حركة ديمقراطية . بينما طالب فريق من الجانب المصرى بتطبيق معايير العضوية تطبيقا حازما بحيث لا تنضم الدول التى لا تنطبق عليها تلك المعايير ، مع وضع ميثاق يوضح المشاكل والقضايا الاساسية فى الثمانينات والخطوط العامة للعمل . وقد رأى هذا الفريق أن ضعف الحركة نابع من طبيعتها الجماهيرية وضعف منظماتها . ورأى فريق أخر ان توسيع العضوية امر مرغوب لأن العضوية فى الحركة له وظيفة تعليمية لدول العالم الثالث ، بحيث ان الدول تتعلم مفهوم عدم الانحياز من داخل الحركة ذاتها . لذلك طالب اعضاء الندوة على ضرورة ضمان ديمقراطية العمل فى مكتب التنسيق ، بحيث يضمن التمثيل الجغرافى مع دورية العضوية وتناوبها ، وضرورة وضع ضوابط وقواعد للعمل داخل المكتب .

بيد ان اعضاء الندوة لم يختلفوا قط على ان حركة عدم الانحياز لم تفقد اصالتها وأهميتها فى ضوء الظروف العالمية فى الثمانينات ، وان الحركة قد استطاعت ان تتكيف مع الظروف الجديدة ، وان تتبنى قضايا جديدة وتنشىء آليات جديدة للعمل اثبتت بها انها مازالت هى الاطار السياسى الرئيسى للعلاقات الدولية للعالم الثالث .

د . محمد السيد سليم

قسم خاص [١]



الاطار التنظيمي لحركة عدم الانحياز

بقلم : د . سمير احمد
ترجمة : احمد الرشيدى

ليس هناك ما يثير ادنى شك لدى الباحثين في حقيقة أن حركة عدم الانحياز قد شهدت خلال فترة الثمانية عشر عاما التي تلت انعقاد أول مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز في بلجراد عام ١٩٦١ وحتى انعقاد القمة السادسة في هافانا بكوبا عام ١٩٧٩ شهدت تطورا ملحوظا سواء من حيث عدد الدول المنضمة الى الحركة أو من حيث المكانة او الهيبة أو من حيث قوة وجاذبية الفكرة اللا انحيازية بالنسبة لدول العالم الثالث بعد أن رأت فيها الدول حديثة العهد بالاستقلال بصفة خاصة برهانا ودليلا على نضجها واستقلالها ومما يوضح النمو الكمي الملحوظ لحركة عدم الانحياز ان نذكر أن أول مؤتمر قمة (قمة بلجراد ١٩٦١) لم يحضره سوى ٢٥ من رؤساء الدول في حين حضر مؤتمر القمة الأخير في هافانا ٩٢ دولة .

غير انه على الرغم من قوة وتعاظم دور حركة عدم الانحياز في المجال الدولي فإنه مما لا يخفى على احد أن هذه تعاني منذ فترة ليست بالقصيرة من مشاكل عديدة ومختلفة ولعل احداث قمة هافانا تعد دليلا صادقا على الكم الهائل من الضغوط الخارجية التي أضحت الحركة موضوعا لها الى جانب الخلافات التي تهددها من داخلها ومن الثابت أن التطورات التي حدثت في النظام الدولي من تغير في طبيعة علاقات القوى المسيطرة وقواعد ادارة الصراع فيما بينها واختفاء الظاهرة الاستعمارية بمفهومها التقليدي كل ذلك ترك بصمات واضحة على وضع حركة عدم الانحياز وتوجهها الاساسي فعلى سبيل المثال نجد أن مصالح الدول غير المنحازة لم يعد يشغل بالها التفكير في تصفية الاستعمار وهو هدف لم يعد قائما اليوم بل اتسعت هذه المصالح لتشمل في الوقت الحاضر هدفا آخر اصيلا هو اعادة صياغة النظام الدولي وإقامة نظام دولي اقتصادي وسياسي جديد على انه من جهة أخرى يلاحظ أن الكثير من الدول غير المنحازة قد هوت في شراك التبعية للدول الكبرى بسبب ضعفها الاقتصادي واعتمادها الكلي على هذه الدول في مجال المساعدة الاقتصادية والعسكرية وايضا في مجال التأييد السياسي مما اخضعها في النهاية لنفوذ هذه الدول سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ووصل الأمر الى حد ان بعض الدول غير المنحازة قد نأت بنفسها عن مشاركة دول أخرى شقيقة لها نفس في الحركة في صراعها مع القوى الكبرى من أجل الاستقلال .

ولا ندعى أننا بهذه الكلمة الوجيزة نتعرض تفصيلا لماهية الضغوط التي تواجهها حركة عدم الانحياز في صراعها مع القوى الكبرى ولكننا نحاول أن نكشف عن المشاكل والصعوبات المرتبطة بالاطار أو البناء الأساسي للحركة واوضاعها التنظيمية وهي التي تهدد باضعاف تضامن دول عدم الانحياز .

١ـ الوضع الراهن لحركة عدم الانحياز :

ونعرض له من خلال نقطتين :
أولا : العضوية .

أسلفنا القول بأن العضوية في الحركة قد شهدت تطورا وتزايدا مطردين والى حد يثير الدهشة وهو ما انعكس على قوة الحركة وهيبتها في المجال الدولي .

اولا : تطور العضوية في حركة عدم الانحياز :

وعلى الرغم من أن مؤتمر بلجراد لم تحضره إلا خمسة وعشرون دولة فان هذه الدول كانت تمثل نحو ثلثي اجمالي سكان العالم وكان سكان أقل دولة فيها

حوالى خمسة ملايين نسمة أما الدول التى انضمت الى الحركة بعد مؤتمر قمة بلجراد فهى بصفة عامة دول صغيرة وفقيرة مما أثر على وضع الحركة وثقلها النسبى على أن مسألة العضوية وإن كانت قد طرحت بعد قمة بلجراد إلا أنها كانت مطروحة قبل انعقاده وكان السؤال المثار وقتئذ يدور حول المعايير التى على ضوئها تقبل عضوية الدول فى الحركة وقد كانت ثمة رؤيتان متعارضتان سادتا المؤتمر الوزارى التحضيرى الذى عقد فى القاهرة قبل انعقاد قمة بلجراد فى شأن موضوع العضوية ومعاييرها وعدد الدول التى يسمح لها بالانضمام الى حركة عدم الانحياز . الرؤية الأولى ومفادها أن مبادىء عدم الانحياز يجب أن تكون واضحة تماما ومحددة بدقة حتى لا تستغل كستار من جانب بعض الدول التى قد لا تكون حقيقة دولا غير منحازة . أما الرؤية الثانية فقد رفض أصحابها المنهج الأول الذى يحبذ فكرة التحديد الدقيق للمفاهيم وذلك خشية أن يؤدى هذا التحديد الدقيق الى شل الحركة والحيلولة دون توسيع نطاقها ونشاطاتها ويبدو أن هذه الرؤية الثانية هى التى كانت لها الغلبة اذ ساد الاقتناع بأن مسألة التحديد الدقيق للمفاهيم والوضوح الكامل للمبادىء ــ وان كانت مسألة ضرورية إلا أنها قد تؤدى الى الانقسام فى صفوف الحركة وهكذا جاءت المبادىء الخمسة لعدم الانحياز التى اتفق عليها فى مؤتمر القاهرة التحضيرى بمثابة حل وسط بين الاتجاهين سالفى الذكر نظرا لأنه لم يكن ممكنا عملا ارضاء جميع الأطراف بشكل تام وقد نصت هذه المبادىء على اتباع الدول الأعضاء فى حركة عدم الانحياز سياسة مستقلة تقوم على التعايش السلمى مع كافة الدول الأخرى ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة التى لا تنتهج سياسة مناهضة لسياسة عدم الانحياز تأييد حركات التحرير الوطنية امتناع الدول الأعضاء عن الدخول فى أية تحالفات عسكرية جماعية فى اطار صراعات القوى الكبرى يمكن لأية دولة غير منحازة أن تدخل فى تحالف عسكرى ثنائى مع دولة كبرى أو أن تكون عضوا فى تحالف اقليمى ولكن بشرط ألا تكون هذه التحالفات الثنائية أو الاقليمية ضمن اطار صراعات القوى الكبرى والامتناع عن منح اية قواعد عسكرية لأية دولة كبرى اجنبية اذا كان ذلك ضمن اطار الصراعات الدولية الكبرى .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ما ذهب اليه بعض المحللين من أن اعلان باندونج للسلام عام ١٩٥٥ ومبادىء النقاط العشر التى تضمنها هو الذى وضع تعريفا دقيقا وواضحا لمفهوم عدم الانحياز وعلى نحو افضل مما اتفقت عليه الدول فى مؤتمر القاهرة التحضيرى والراجح أن مسألة الدقة فى المفاهيم لم تكن واردة بوضوح فى أذهان مؤسسى حركة عدم الانحياز فمن بين الدول التى دعيت لحضور مؤتمر بلجراد ١٩٦١ كانت هناك دول منحازة حقيقة الى بعض الدول الغربية كما دعيت دول كانت توجد على أراضيها قواعد اجنبية ويذكر بعض الكتاب فى هذا الشأن أنه من بين ٥٣ دولة غير منحازة حضرت مؤتمر قمة لوزاكا عام ١٩٧٣ ، كانت هناك ١٧ دوله منحازة أو على الأقل كانت لها بعض الارتباطات العسكرية مع احدى الدول الكبرى على الأقل كانت لها بعض الارتباطات العسكرية مع احدى الدول الكبرى وفى المؤتمر الوزارى التحضيرى لقمة لوزاكا المذكور طعنت بعض الدول فى احقية كوبا فى الاستمرار فى عضوية الحركة على اساس التطورات التى طرأت على موقفها والتى لا تجعلها اهلا للانتماء لحركة عدم الانحياز والواقع أنه برغم الجدل الكبير الذى اثارته هذه المسألة انتهى الأمر بقبول الأغلبية لحق كوبا فى الاحتفاظ بعضويتها فى الحركة وقد طرحت فى تفسير موقف الأغلبية المؤيد لكوبا عدة اجتهادات فمن ناحية قيل بأن نظام الحكم فى أية دولة عضو هو مسألة داخلية تخرج عن نطاق اهتمام الحركة التى تدافع عن مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة والأيديولوجيات المختلفة . ومن ناحية اخرى طالما أن دولة ما قد قبلت فى الحركة فليس ثمة جهاز يستطيع أن يقيد سياسة اعضائها واذا حدث ووجد مثل هذا الجهاز فإنه ولا شك يشكل انتهاكا لسيادة الدول الأعضاء وثالثا أن الابقاء على عضوية بعض الأعضاء فى الحركة من شأنه أن يشجعهم على تصحيح مواقفهم واستعادة عدم انحيازهم الحقيقى ورابعا : ظلت هذه القضية مطروحة باستمرار على المسرح السياسى لدول عدم الانحياز وفى فترة من الفترات تساءل البعض عما اذا كانت العضوية هى من قبيل العضوية الدائمة وغير المشروطة وذلك بغض النظر عن التطورات التى قد تحدث فى الخط السياسى لهذه الدولة أو تلك من بين الدول الأعضاء كما تساءل البعض عما اذا كانت العضوية فى الحركة هى عضوية للدول أم عضوية للحكومات او بعبارة أخرى هل العضوية تتوقف اولا واخيرا على مدى تمسك حكومة دولة معينة

المؤتمر	السنة	عدد الأعضاء
بلجراد	١٩٦١	٢٥
القاهرة	١٩٦٤	٤٧
لوزاكا	١٩٧٠	٥٤
الجزائر	١٩٧٣	٧٥
كولومبو	١٩٧٦	٨٧
هافانا	١٩٧٩	٩٢

بسياسة عدم الانحياز وفى هذه الحالة تكون العضوية فى الحركة مرتبطة أساسا باستمرار هذا التمسك من جانب تلك الحكومة بالسياسة المذكور وايضا باستمرار بقاء تلك الحكومة فى الحكم وبحيث اذا سقطت حكومة دولة غير منحازة أو أن هذه الحكومة لم تعد تلتزم بصدق بسياسة عدم الانحياز فهل تسقط عضويتها فى الحركة أم أنها على الأقل تعلق بصورة مؤقتة .

ثانيا ـ حاجة الحركة إلى جهاز دائم :

مما هو جدير بالملاحظة أن أحد الموضوعات الرئيسية التى استغرقت قدرا كبيرا من المناقشات فى مؤتمر قمة بلجراد عام ١٩٦١ الموضوع الخاص بضرورة انشاء جهاز دائم أو أمانة عامة أو حتى ادارة دبلوماسية من نوع معين لحركة عدم الانحياز . فمثل هذا الجهاز الدائم فى نظر مؤيديه ضرورى للغاية لأنه يستجيب لتنسيق النشاطات المشتركة للأعضاء خاصة فى الفترات الواقعة بين انعقاد كل مؤتمر قمة والمؤتمر الذى يليه . غير أن وفود الدول التى اجتمعت فى بلجراد ـ بما فى ذلك المؤسسون الثلاثة للحركة : عبد الناصر ونهرو وتيتو ـ قد عارضوا بشدة فكرة الجهاز الدائم من منطلق أن الحركة ليست كتلة أو مجموعة بالمعنى المتفق عليه للكتل والمجموعات الدولية ومن ثم فان تأسيسها ـ قد يضفى عليها مظهرا أو بعدا لم يقصده المؤسسون ، يضاف إلى ذلك أن الحركة لا تعدو أن تكون بمثابة تحالف ديمقراطى واسع لدول تسعى إلى دعم سياسات معينة وعليه فإن القول بانشاء جهاز دائم أو أمانة عامة قد يعرض الحركة لخطر الانقسام أو لخطر الخضوع للنفوذ الأجنبى ، وهكذا اقتنع الأباء المؤسسون لحركة عدم الانحياز بأن على مؤتمر بلجراد أن يسقط هذه الفكره تماما .

ولكن الفكرة طرحت من جديد فى مؤتمر قمة لوزاكا عام ١٩٧٠ (٥٤ دولة) فقد رؤى أنه من المفيد اقامة جهاز دائم يكفل ضمان استمرار الصلة بين الدول الأعضاء بما يضمن عملية الاستمرار والتطوير للحركة وتطبيق قراراتها . وقد تزعم الرئيس كينيث كاوندا هذه الدعوة . ولهذا الغرض طلب المؤتمر بالحاح من جميع ممثلى الدول الاعضاء فى حركة عدم الانحياز فى الأمم المتحدة وفى وكالاتها المتخصصة وفى كافة الأجهزة الدولية بضرورة تنسيق جهودهم واتخاذ كافة الخطوات اللازمة لضمان التنفيذ المناسب لقرارات وتوصيات مؤتمر لوزاكا . كما اتخذت خطوة أخرى لانشاء جهاز دائم فى مؤتمر وزراء الخارجية للدول غير المنحازة الذى انعقد بمدينة جورج تاون عام ١٩٧٢ ، اذ تقرر توسيع اختصاص اللجنة التحضيرية الدائمة (التى تشكلت قبل انعقاد المؤتمر التحضيرى لقمة لوزاكا) وتحويلها ـ بالتعاون مع حكومة زامبيا باعتبارها القائمة بدور المنسق الدائم للحركة وقتئذ ـ سلطة تنسيق كافة النشاطات للتحضير لقمة الجزائر القادمة . ولقد تقرر أيضا فى مؤتمر جورج تاون عقد اجتماع لوزراء خارجية الدول غير المنحازة فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك بعد أيام قليلة من بدء دورة الجمعية العامة لتنسيق وجهات نظرهم بشأن المسائل المعروضة ذات الاهتمام المشترك . غير ان الاقتراح الهام الذى طرح فى مؤتمر جورج تاون سالف الذكر هو الذى كان يتمثل فى الرغبة فى انشاء لجنة دائمة تتكون من ٧ من الدول غير المنحازة تنتخب سنويا بواسطة المؤتمر الوزارى وعلى أساس مبدأ التوزيع الجغرافى بالتناوب ، وتكون مهمة هذه اللجنة مراجعة كافة الأعمال التحضيرية للاجتماع الوزارى السنوى وغير ذلك من المسائل التى ترى اللجنة ضرورة عرضها على وزراء الخارجية .

ولقد شهد مؤتمر قمة الجزائر للدول غير المنحازة عام ١٩٧٣ تضخما ملحوظا فى عدد الدول الأعضاء مما جعل الحاجة ماسة إلى مزيد من التنسيق بينها . ويلاحظ أن مؤتمر الجزائر هو الذى تحدد فيه ـ لأول مرة ـ مقدما مكان وزمان انعقاد مؤتمر القمة التالى . وفيما يتعلق بلجنة السبعة الدائمة فقد رؤى ضرورة تعديلها على نحو يسمح باتاحة الفرصة لتكوين « مكتب تنسيق » أكبر لحركة عدم الانحياز يتكون ـ فى هذه المرحلة ـ من ١٧ عضوا بما فى ذلك رئيسا مؤتمرى القمة السابق واللاحق ويمارس عمله خلال فترة الثلاث سنوات الواقعة بين مؤتمرى القمة . وكما حدث فى قمة لوزاكا ، دعا مؤتمر الجزائر كافة مندوبى الدول غير المنحازة فى الأمم المتحدة لعقد اجتماعات تسبق انعقاد دورة الجمعية العامة تنسيقا لمواقفهم . وقد عقد الاجتماع التالى لمكتب التنسيق فى مارس ١٩٧٤ ، ومنذ ذلك التاريخ تحول المكتب ليصير بمثابة الجهاز الدائم للحركة .

وعندما انعقدت قمة كولومبو للدول غير المنحازة ـ تطبيقا لقرار قمة الجزائر ١٩٧٣ ـ كان على هذا المؤتمر أن يحدد موقفه بالنسبة للتطورات الراهنة التى كانت تمر بها الحركة فى تلك الوقت . وقد أكد المؤتمر على أن النشاطات المشتركة لدول عدم الانحياز هى مطلب اساسى لنجاحهم فى الشئون الدولية وفى تطوير التعاون المتبادل فيما بينهم . كما لم يتردد المؤتمر فى الاعتراف بأن تطبيق مبادىء عدم الانحياز وتنفيذ البرامج التى تبنتها الدول غير المنحازة يحتاج ـ ولاشك ـ إلى إدخال مزيد من التحسينات بهدف تطوير نظام التنسيق بين الأعضاء وبما لا يتعارض مع الشكل الديمقراطى لحركة عدم الانحياز . وبالنسبة لتكوين واختصاصات « مكتب التنسيق » أتخذ المؤتمر عدة توصيات منها : أن هذا المكتب هو الجهاز الذى يختص

بسلطة تنسيق نشاطات الاعضاء فيما بين انعقاد مؤتمرات القمة تحقيقا لهدف وضع قرارات وبرامج مؤتمرات القمة والمؤتمرات الوزارية أو اية اجتماعات اخرى تعقدها الدول غير المنحازة موضع التنفيذ . الاتفاق على أن يتكون المكتب من ممثلين عن ٢٥ دولة يختارون بواسطة رؤساء الدول أو الحكومات مع الأخذ بعين الاعتبار مبادىء التوزيع الجغرافي العادل والاستمرار والتناوب ، تقرير اجتماع المكتب مرة في السنة سواء على مستوى وزراء الخارجية أو على مستوى ممثلين أخرين تعينهم حكوماتهم لذلك وله أن يجتمع في أي وقت في حالة اذا دعت الضرورة لذلك هذا بالاضافة الى اجتماعاته المستمرة على مستوى الممثلين الدائمين للدول غير المنحازة في نيويورك ، النص على أن يتولى رئاسة مكتب التنسيق رئيس مؤتمر القمة السابق الذي هو في ذات الوقت رئيس الدولة المضيفة ويخول رئيس المكتب سلطة عقد اجتماعات للمكتب وكذا للجنة عدم الانحياز في الأمم المتحدة من أجل التشاور في الموضوعات المختلفة ، وأخيرا النص على أن قرارات المكتب تصدر بالاجماع وتكون اجتماعاته مفتوحه لجميع الأعضاء ويكون لهم الحق في الاشتراك في الاجراءات دون الاشتراك في عملية التصويت . وتتوزع مقاعد المكتب الـ ٢٥ على النحو الآتي : افريقيا ١٢ ، أسيا ٨ امريكا اللاتينية ٤ ، أوربا ١ . وكل أقليم من هذه الاقاليم الأربعة عليه أن يختار بالاجماع الدول التي تشغل المقاعد المخصصة له .

٢ ـ حركة عدم الانحياز من خلال الممارسة :

من المعلوم أن التطورات المختلفة الكمية والكيفية التي شهدتها حركة عدم الانحياز منذ أول مؤتمر قمة لها عام ١٩٦١ قد أتاحت للمراقبين والمحللين فرصة كبيرة لتقييم هذه الحركة ونشاطاتها المختلفة من خلال الممارسة وهو ما يمكن ابرازه في النقاط التالية :

ا ـ أن الحركة أضحت مرادفا لمفهوم العالم الثالث خاصة بعد اتساع عضوية الدول فيها (٩٢ دولة كما ذكرنا) .

ب ـ أن الكثير في الدول الأعضاء في الحركة وبصفة خاصة منذ انعقاد قمة لوزاكا لم تكن في الواقع مستقلة تماما في مجال سياستها الخارجية .

ج ـ اختفاء القادة العظام للحركة فهم إما ماتوا (نهرو ، ناصر ، تيتو) أو سقطوا (سوكارنو ، نكروما ، بن بيللا ....) . كما سقطت العديد من الحكومات في الدول غير المنحازة أمام الانقلابات العسكرية وتحولت بعدها الى انتاج سياسة منحازة وهو ما أثار الكثير من الجدل .

د ـ أن الحركة ضمت في عضويتها دول تنتمي الى قارات افريقيا وأسيا وامريكا اللاتينية وأوربا . وهذا

طرح تساؤلا عما اذا كانت الحركة قد تراجعت عن فكرة التضامن الافرو اسيوي التي ارسيت في باندونج عام ١٩٥٥ .

هـ ـ شهدت الحركة ظاهرة اثارت الدهشة والحيرة تمثلت في سقوط حكومات دول غير منحازة على يد دول اخرى غير منحازة . وقد وقفت الحركة في اغلب الحالات مكتوفة الايدي ولم تفعل سوى ان تسجل بعض الاعتراضات الرسمية .

و ـ جمود الاطار او البناء الاساسي للحركة وعجزه عن وضع معايير ثابتة وواضحة يقيم على أساسها التزام الدول بمبادىء وأهداف هذه الحركة حتى لا يصير الأمر موضع تنازع بين الأعضاء كما حدث في حالتي كوبا ومصر (مسألة عضوية كل منهما) .

ز ـ أن عملية الاجماع في اتخاذ القرارات عملية غير منطقية فضلا عن كونها تنطوي على قدر من الخداع أن من الممكن اصدار قرار معين تعترض عليه اقلية من الدول الاعضاء ولاتملك هذه الاقلية سوى اصدار تحفظات عليه

ح ـ ترتب على اختفاء القيادات الأولى العملاقة التي أعطت للحركة الكثير من الهيبة والمكانة في المجال الدولي ، الأخذ بفكرة القيادة الجماعية لجيل القادة الجدد الذين لم تتوافر لديهم لا رؤية ولا امكانة القادة العظام الأوائل . والواقع أن خسارة الحركة من جراء اختفاء القيادات الجسورة والعملاقة هي خسارة كبيرة ولم يعد لأحلام الأباء المؤسسين وجود يذكر .

ط ـ منذ انعقاد مؤتمر كولومبو ١٩٧٦ أخذت الحركة تشهد نوعين من التوترات : توترات خارجية اساسها ما ذكرناه من تغير قواعد ادارة الصراعات الدولية وتعديل انماط توزيع القوة في المجتمع الدولي مما أدى إلى سحب أحد الأبسطة الهامة من تحت أقدام الدول غير المنحازة وتوترات داخلية أساسها الخلافات المستمرة والعداوات الظاهرة بل والحروب السافرة والساخنة بين الدول غير المنحازة . ولقد أضحت مؤتمرات القمة احدى ساحات الصراع بين الدول غير المنحازة ولعل ما حدث في مؤتمر قمة هافانا ١٩٧٩ أكبر دليل على ذلك (كان هناك طلب بتعليق عضوية احدى الدول المؤسسة ـ مصر ـ كما كان هناك خلاف على الصيغة التي قدمتها كوبا بشأن ما سمي بالتحالف الطبيعي بين الكتلة السوفيتية وحركة عدم الانحياز) وهو ما دفع بنحو ٢٨ من وزراء الخارجية لتقديم شكوى رسمية الى رئيس المؤتمر الذي هو في نفس الوقت رئيس كوبا فيدل كاسترو .

من كل ما سبق يتضح لنا ان حركة عدم الانحياز تشهد في الاونة الاخيرة تطورات في غاية الأهمية والخطورة على نحو لم تشهده من قبل زاد من حدتها

المنازعات الثنائية والايديولوجية المستمرة بين دولهـا وانقسام هذه الدول الى معتدلين ومتـطرفين بـالنسبة لاهداف ومبادىء الحـركة وعلاقـة دولهـا بـالدولتين العظميين .

٣ ـ دور مكتب التنسيق :

ادت الصعوبات الداخلية والخارجية التى تـواجهها الحركة الى جعل دور مكتب التنسيق لدول عدم الانحياز دورا اساسيا وفعالا وقد رأينا ان مؤتمر قمة كولومبـو ١٩٧٦ هو الذى اعطى اول اشارة رسمية اكيدة بشـأن دور مكتب التنسيق واختصـاصاته التـى يمـارسها فى ضوء روح وممـارسات الحـركة خـاصة طـابعها الديمقراطى كما تعرض المؤتمـر الوزارى التحضـيرى الذى سبق انعقاد قمة كولومبـو لنفس هـذا الموضـوع وبالذات اختصـاصات مـكتب التنسـيق فى مـواجهة الهيئات الاخرى التى يتكون منها البناء المؤسسى لحركة عدم الانحياز ومن بين النقاط الاساسية التى اوصى بها الاجتماع الوزارى تقرير دور هـام للمـكتب فى مجـال التسـوية السـلمية للمنازعات التـى تثـور بين الدول الاعضاء اذا طلبت منه الاطراف المتنازعة ذلك . غير ان الاجتماع الوزارى ابقى على قاعدة الاجماع فيما يتعلق باتخاذ القرارات فى المكتـب وابقـى ايضـا على مبـدأ التحفظات بأعتبار انها ضرورية للحفـاظ على المظهـر الديمقـراطى للحـركة وعلى سـيادة الدول الأعضـاء وبشرط الا تحول هذه التحفظات دون صدور القرارات مع التأكيد على بعض الخطوات التى يجب اتبـاعها فى حالة عدم الاتفاق وتعذر الاجماع كحـث الدول المتنازعة والتى تتعارض وجهات نظرها على طرح الموضـوعات الخلافية للحـوار والمناقشـة ودعوة القيادات العليا فى الحركة لتقديم كافة المساعدات اللازمة من اجـل حـل الخلاف .

ومن جهة اخرى ومع تزايد الاحساس بالخطر الذى يتهدد الحركة مـن داخلهـا وافتقـاد اعضـائها الى التضامن وجه الاجتمـاع الوزارى لمكتـب التنسـيق فى ١٩٧٩ نداءات للاعضاء عموما ولاعضـاء المكتـب على وجه خاص ركز فيها على مجموعة مـن المعـانى فبـدأ بالاشارة الى القول بـان المبـادىء الاسـاسية لعـدم الانحياز هى التى كان لها الفضل على مدى عقدين مـن الزمان فى تجميع وتوسيع نطاق الحركة على الرغم مـن اختلاف اعضـائها ايديولوجيا وسـياسيا واقتصـاديا واجتماعيا وثقافيا وقد استطاعت هـذه الدول رغم مـا بينها من اختلافات ـ دعم وحدتها مـن خـلال اعمـال الحوار الديمقراطى وايجاد قاسم مشترك يجمع بينهـا بالاضافة الى تنمية التعاون المتبـادل بينهـا والتـركيز اساسا على الاهـداف والمصـالح المشـتركة .. فهـذه الاسس التـى قـوت دعائم عدم الانحياز فى الماضى تستطيع ان تقوم بنفس الدور فى الحـاضر ولكن بشرط عدم استغلالها لتحقيق مصالح قومية ضيقة على حساب المصالح المشتركة وبشرط عدم المبالغة فى طرح القضايا الخلافية المعقـدة ولم يفـت المؤتمـر الوزارى ضرورة التركيز ايضا على الموضوع الخاص بالتسوية السلمية للمنازعات بين الاعضـاء وفقـا لمبـادىء عدم الانحياز ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ..

وهكذا اضفى المؤتمـر على مـكتب التنسـيق اهمية كبيرة فى مجال تسوية المنازعات سـلميا ونتيجـة لذلك صار المكتب بمثابة الجهـاز الدائم للحـركة ولكن على الرغم من ذلك فانه لا يتعين على المكتـب ان ينظـر الى ذاته بـاعتباره جهـازا حـاكما او امـرا حيث ان ذلك يتعارض والطبيعة الديمقراطية للحركة مع ما تزعمه من انها تسـعى الى طبـع العـلاقات الدولية بـالطابع الديمقراطى ولقد سبق ان ذكرنا ان مؤتمر قمة بلجـراد عام ١٩٦١ قد اعترض على الاقتراح الخاص بـانشاء اداة او جهاز دبلوماسى دائم خشية ان يتحول فى النهاية الى جهاز حاكم ذى سـلطات واختصـاصات واسـعة وتتحكم فيه دول معينة قليلة والواقع ان الكثير من هذه المخاوف التى عبر عنها مؤتمر بلجراد قد تحققت فيمـا بعد ففى قمة هافانا ١٩٧٩ نجد انه على الرغم مـن ان اللجنة السياسية الوزارية للمـؤتمر كانت قـد نظـرت الموضـوع الخـاص بتعليق عضـوية مصر فى الحـركة وقررت انه ليس ثمة اتفاق حوله سـارع رئيس المكتـب ودعا الى اعادة بحث الموضوع من جـديد مـن غير ان يخوله الرؤسـاء ذلك ودون اية تـوجيهات مـن اللجنة السياسية مخالفا بـذلك جميع التقـاليد والممـارسات المتعارف عليها فى هذا الشأن .

وقد نبه وزير الدولة المصرى للشئون الخـارجية د . بـطرس غالى رئيس المؤتمـر فيدل كاسـترو بشـأن التصرفات غير المرضية لبعض الدول الاعضاء خوفا من ان تؤدى مثل هـذه التصرفـات الى ان يصـبح مـكتب التنسيق جهازا حاكما تسيطر عليه دول بعينها وحتى لا يصير هذا المكتب مشكلة اخـرى تضـاف الى مشـاكل الحركة .. واكد الوزير المصرى على ضرورة ان يتحول مكتب التنسيق الى ناد لنخبة معينة مـن بين الدول غير المنحازة التى تقوم فلسفتها على معارضة الكتل ورفض سيطرة الاقلية ايا كانت .. كما اشار الوزير المصرى فى حديثه الى انه برغم التسليم بعدالة الاخذ بمبدأ التوزيع الجغرافى نظريا الا انه ليس بخاف على احـد ان هـذا المبدأ لا يضـمن دائمـا وجـود دور داخله لبعض الدول النشطة والاكثر ولاء والتزاما بمبادىء واهـداف عدم الانحياز .

والى جانب مسألة التمثيل هذه والمعيار الذى يقـوم عليه هذا التمثيل يمكن مسألة العـدد الذى يتـكون منه

المكتب ايضا فنحن كما رأينا نعلم ان عدد اعضاء المكتب الان ٣٦ عضوا يمثلون نفس هذا العدد من بين الدول غير المنحازة فى مؤتمر بلجراد كان العدد ٢٥ ولكن لم يكن هناك مكتب بالمعنى القائم حاليا وهذا العدد ٣٦ يزيد عن ثلث اعضاء الحركة وعليه يثور التساؤل حول تقدير هذا العدد وعما اذا كان مناسبا لاتخاذ القرارات فى الوقت المناسب ام انه اكبر من العدد اللازم ولكن يبرره او يبرزه التخوف من ان تستحوذ اقلية محدودة جدا على سلطات خاصة ؟

وعلى اية حالة فان ايا من التوصيات التى صدرت عن الاجتماع الوزارى لمكتب التنسيق فى دور انعقاده فى كولومبو فى يونيو ١٩٧٩ والخاصة بصيغة الاجماع عند اتخاذ القرارات لم تتبع من جانب رئيس المكتب فى هافانا وبصفة خاصة تلك التى كانت تتعلق بموضوع العضوية وشروطها وهذا هو كما سبق القول الذى دفع ببعض وزراء الخارجية الى الاحتجاج رسميا على المسلك الكوبى

٤ ـ تقدير الاثار المترتبة على ضعف كفاءة حركة عدم الانحياز وادائها :

ثمة تساؤلات رئيسية تطرح نفسها على الباحثين والراصدين لتطورات حركة عدم الانحياز وظروفها الراهنة والمقبلة وما لديها من امكان فالى اى مدى مثلا استطاعت الحركة فى ظل حجمها الراهن « ٩٢ دولة » وبنائها الحالى ان تحقق اهدافها وغاياتها ؟ والى اى مدى استطاعت فرض احترام مبادئها على الدول الاعضاء ؟ وكيف واجهت الاعتداءات الخارجية التى كانت احداها موضوعا لها وهل وجدت سندا فى هذه الحالات من جانب اعضائها دعما للمعتدى عليها ؟ والى اى مدى كان لبعض مظاهر التناقض فى النصوص او الغموض بالنسبة لبعض المبادىء مثل مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء اثر سلبى يتخذ ذريعة لمنع الحركة من التدخل لانقاذ ودعم العضو المعتدى عليه سواء من جانب احدى الدول الاخرى غير المنحازة او من جانب دولة كبرى وبعد تحقق هدف تصفية الاستعمار وبعد انتهاء عهد الحرب الباردة وبدء عهد الانفراج بفعل التوازنات الاستراتيجية الجديدة فى مجال القوة النووية .. بعد كل هذا ما هى الرسالة او المهمة التى تناط بحركة عدم الانحياز القيام بها لتمارس دورها مستقلة عن باقى التجمعات الدولية الاخرى بما فى ذلك تلك التى تتداخل معها وعن مفاهيم العالم الثالث والعالم النامى ومؤتمرات الاونكتاد ودول الجنوب المتخلفة . وهل تستطيع الحركة ان تقدم ما عجزت التجمعات والهيئات الدولية الاخرى عن تحقيقه ؟ وهل تستطيع الحركة ان توجد لنفسها مبررا لوجودها المستقل ؟ والاهم من ذلك كله الى اى مدى تستطيع الحركة مستقبلا ان تعمل كجماعة واحدة متميزة ؟

والواقع ان هذه التساؤلات وغيرها لم تخف على احد من زعمائها فالرئيس تيتو اكد على كل تلك المعانى التى تضمنتها هذه التساؤلات فى مؤتمر هافانا ١٩٧٩ : يقول تيتو فى هذا الصدد ان من اكثر ما يثير القلق فى نفوسنا هو تلك الصراعات المستمرة بين الدول غير المنحازة ويجب ان ناخذ فى الاعتبار حقيقة هامة هى ان اى نزاع بين الدول غير المنحازة يفتح الباب امام التدخلات الاجنبية وهو ما يجب التصدى له .. ان دفاعنا عن ديمقراطية العلاقات الدولية يحتاج منا ان نبدأ اولا بانفسنا اذ ان تحقيق الديمقراطية فى اطار علاقات دولنا خاصة فى ضوء التزايد المستمر لاعدادها وتعاظم مسئولياتها فنحن مطالبون بان نقدم المثل العملى على كيف تكون العلاقات ديمقراطية وهو ما يقتضى بدوره ايجاد اشكال وصياغات جديدة للعمل المشترك بيننا .. وفى هذا المجال نولى اهمية خاصة لطريقة عمل مكتب التنسيق الذى يجب ان يكون اكثر فعالية كجهاز لتنسيق وللمبادرة يعكس اختيارات مواقف الحركة ككل .

وقد عبر عن نفس هذا المعنى تقريبا وزير خارجية الهند السيد/شيام ناندان ميشرا Shyam Nandar Mishra الذى ذهب الى حد الاعتراف بان الخطر الحقيقى الذى تواجهه الحركة لا يأتى الا من داخلها وبسبب المنازعات التى تثور بين دولها .

٥ ـ امكان التغلب على جوانب القصور فى البناء الاساسى للحركة :

ابتداء يجب التسليم بداهة بانه لا يمكن تصور حدوث تغييرات جوهرية او راديكالية فى هذا البناء طالما بقيت صيغة اتخاذ القرارات عن طريق الاجماع دون مساس او تطوير ولكن هذا لا يمنع فى الواقع من القول بان الكثير ان لم يكن معظم اسباب الاخفاق والفشل فى نظام عدم الانحياز يمكن ازالتها او التغلب عليها اذا ما التزمت الدول الاعضاء بمبادىء واخلاقيات هذا النظام فالولاء لهذه المبادىء والاخلاقيات واخضاع المصالح القومية الضيقة للمصالح العامة للحركة من شأنه ان يعيد لها تضامنها وتماسكها المفتقدين ويجعل منها الايديولوجية التى تسمو على ماعداها من ايديولوجيات فى العالم المعاصر .

ومن جهة اخرى فلا يشك احد ولو للحظة واحدة فى حقيقة ان الكثير من المشاكل والمنازعات التى تثور بين الحين والاخر بين الدول الاعضاء يمكن تجاوزها اذا ما قدر للحركة ان تكتشف او ان توجد لنفسها ـ مرة اخرى ـ قضية او حربا مقدسة جديدة كتلك التى شنتها

ضد الاستعمار وضد سياسات العزل العنصرى فهذه القضية المقدسة الجديدة يمكن ان تكون مثلا تلك الخاصة باقامة نظام اقتصادى وسياسى عالمى جديد وهنا يتعين على الحركة ان تحدد لنفسها دورا فيما يتصل بعلاقتها بالمنظمات الدولية الاخرى التى تتعاون معها . وقد ذهب بعض المحللين الى القول بان التماسك والتنسيق بين الدول غير المنحازة يكسب كثيرا بدوره اذا قدر لهذه الدول ان تنجح فى اقامة نظام كفء للتشاور والتنسيق والتعبير عن الارادة الجماعية وهى تستطيع ان تفيد كثيرا من التنظيمات الاقليمية القائمة فى اطار حركة عدم الانحياز وهى اساسا جامعة الدول العربية ومنظمة الدول الامريكية ومنظمة الوحدة الافريقية فهذه التنظيمات تستطيع بما يجمع بين اعضائها من روابط وثيقة ان تحقق درجة اكبر من التنسيق والتفاهم بين اعضائها الامر الذى يساعد على التوصل الى اجماع او اتفاق عام فى اطار الحركة ككل وخاصة على مستوى مكتب التنسيق .

والثابت ان ثمة نوعا من الاتفاق العام ظهر بعد مؤتمر هافانا عام ١٩٧٩ حول ضرورة الاخذ بمنهج اكثر ديمقراطية فيما يتصل بعلاقات مكتب التنسيق بكل من الدول الاعضاء واللجان والتنظيمات الاقليمية بهدف تحديد مهامه وحقوقه والتزاماته تحديدا دقيقا اثناء وبعد انعقاد مؤتمرات القمة .

وامام التزايد الملحوظ فى عدد الدول الاعضاء فى الحركة وجدت ثمة ضرورة لاحداث نوع من التطوير فى نظام عدم الانحياز واستقر فى اذهان الكثيرين — بحق — ان هذا النظام يمكن ان يكون فعالا فى حالة :

— انشاء لجنة للاجراءات او لجنة للاعتمادات تختص بدراسة مدى انطباق الشروط والمعايير المطلوبة على طالبى العضوية الجديدة او حتى بالنسبة للاعضاء الذين يشك فى اخلاصهم وولائهم للحركة ويجب تخويل هذه اللجنة اختصاص تقديم الرأى والمشورة لاى جهاز فى الحركة بشأن كل ما يتصل بقواعد اجراءات العمل والسلوك والمعايير الواجبة الاتباع فى هذا الصدد وهكذا تصير هذه اللجنة بتكوينها المحدود بمثابة محكمة استئناف يلجأ اليها فى حالة الضرورة والواقع ان فكرة هذه اللجنة قريبة من الواقع الذى يجرى عليه العمل فى منظمة الوحدة الافريقية ومنظمة الدول الامريكية .

— يتعين ان يكون هناك جهاز معين يتكون اما من رؤساء الدول او من وزراء الخارجية او من ممثلين يتم اختيارهم خصيصا لذلك « لجنة الحكماء » بواسطة الرؤساء او وزراء الخارجية وتكون مهمة هذا الجهاز تقديم المساعدة لمكتب التنسيق وتوجيه نشاطه لا شك ان ذلك اضحى امرا ضروريا بعد ان تضخم عدد اعضاء المكتب ٣٦ عضوا هذا الى جانب فائدته فى تفادى الاخطاء التى قد تنجم عن الاخذ بمبدأ التوزيع الجغرافى والمتمثلة اساسا فى احتمال استبعاد دول اكثر ولاء للحركة من غيرها .

— كذلك طرحت فى هذا الشأن بعض الاقتراحات الهادفة الى اعطاء نوع من قوة الدفع للحركة فكان ثمة اقتراح ينص على تقسيم العضوية الى نوعين الاول يشمل الـ ٢٥ دولة الاولى التى انضمت الى الحركة قبل او اثناء انعقاد مؤتمر قمة بلجراد ١٩٦١ والثانى يشمل كافة الدول التى انضمت بعد ذلك فى مراحل تالية وبمقتضى هذا الاقتراح تتمتع الدول الاولى بوضع مماثل لذلك الذى تتمتع به الدول الاعضاء فى مكتب التنسيق مثل اشتراط موافقتها على كافة القرارات الرئيسية الصادرة عن الحركة والواقع ان القول بذلك لا يضيف جديدا نظرا لقاعدة الاجماع المعمول بها هذا الى جانب صعوبة التصور بان هيكل الحركة سوف يستجيب لذلك وفى مقابل هذا الاقتراح اقتراح اخر يقول بتقسيم الحركة الى دائرتين الدائرة الداخلية وتكون مهمتها الموافقة على كافة القرارات الرئيسية المتصلة بادارة النشاط على كافة المستويات فى نظام عدم الانحياز والدائرة الموسعة وتضم باقى الدول الاعضاء غير انه يثور هنا ايضا تساؤل عما اذا كان لأخذ بهذا الأقتراح يؤثر على هدف تحقيق الديمقراطية فى العلاقات الدولية .

واضافة الى ما سبق تجدر الاشارة الى ان بعض الكتاب قد اظهر نوعا من التعاطف والتفهم لمواقف بعض الدول الصغرى غير المنحازة التى ترى متحمسة لسياسة عدم الانحياز وراغبة حقيقة فى استمرار انتهاجها كما ترى فى نفس الوقت وبسبب ظروفها الاقتصادية والسياسية واحتياجاتها العسكرية تقرن نفسها بمصالح احدى الدول العظمى فهذه الدول تجد من الصعوبة بمكان — بسبب الاعتبارات السياسية ان تقبل الانسلاخ عن الحركة او ايقاف نشاطها فيها ولمصلحة هذه الدول يوصى هؤلاء الكتاب بضرورة ان تأخذ الحركة بمعايير اكثر مرونة بالنسبة لمسألة العضوية مما يتيح لتلك الدول فرصة الاسهام فى الوقت المناسب فى نشاطات الحرب المختلفة ودون ان تتعرض للتهديد او للطرد او للفصل من العضوية او تعليقها . وهذا يجنب ايضا الحركة نفسها الكثير من المشاكل والخلافات الناجمة عن عدم الاتفاق التام منهجا وسلوكا بين اعضائها وفى مثل هذه الحالة فان لجنة الحكماء يمكنها ان تلعب دورا مهما للغاية سواء بالنسبة للدول المعنية او بالنسبة للحركة ككل .

واخيرا من المفيد ان نشير الى حقيقة ان حركة عدم الانحياز برغم كل الضغوط الداخلية والخارجية التى تواجهها فضلا على المشكلة الخاصة بعملية البحث عن

هوية ذاتية لم تتلاش ولم تختف ولم تندمج فى اطـار اية مجموعة او تجمع دولى اخر ولكى تحافظ الحـركة على ذاتيتها المستقلة فان ثمة بعض الشروط الضرورية التى يجب مراعاتها جيدا .

أ ـ ان الحركة مطالبة بأن تعيد النظـر مـن جـديد فى تكوينها وان تتفق دولها على مجمـوعة مـن الخـطوط الرئيسية وعلى الاهداف التى تبتغى تحقيقها فى ضـوء الظروف والاوضاع الجديدة .

ب ـ ولهذا الغرض نفسه فان اعادة النظـر فى تحـديد وتوصيف مبادىء عدم الانحياز وايجاد صياغات اكثـر قبولا من الناحية العملية وبطريقة ديمقراطية هو مسألة فى غاية الاهمية

ج ـ ان المنازعات الداخلية يجـب ان تفسـح المجـال للمصالح العامة للحركة والمشتركة بين اعضائها .

د ـ لما كانت حركة عدم الانحياز قد قـامت فى الاصـل استنادا الى فكرة او عقيدة معينة قبلتها الدول المؤسسة طواعية وبغض النظر عن الاختلافات القائمة بينها فان الحركة فى وضعها الراهن مطالبة بالالتزام بهذه القاعدة الاساسية وهذا يفرض عليها عدم التدخل فى سـياسات اعضائها طالما انهم ملتزمون بصفة عامة بمبـادىء عدم الانحياز ولم يجعلوا من انفسـهم حصـان طـروادة فى ايدى الدول الكبرى .

وحيث ان مكتب التنسيق لعـدم الانحياز ليس هـو الجهاز الصحيح الذى من خلاله تصدر الحركة احكامها وقراراتها فى شأن الدول الاعضاء لذا فانه مـن المتعين على رؤساء الدول ان يبحثوا فى كيفية ايجـاد الجهـاز المناسب للتعامل مع مثل هذه المسائل السياسية التـى تنطوى على قـدر كبير مـن الخـطورة بـطريقة واعية وباسلوب ديمقراطى . □



قسم خاص [٢]



حركة عدم الانحياز والنظام الاقتصادى العالمى الجديد

بقلم : د . محمد السيد سليم

مع مشارف الثمانينات ، اتمت حركة عدم الانحياز عقدين كاملين من عمرها . وخلال سنين العقدين ، شهدت الحركة تطورات اساسية سواء فى توجهها السياسى إزاء العملاقين والقضايا الأساسية فى العالم ، أو فى تركيبها الهيكلى والعضوى . وتشهد تلك التطورات بقدرة الحركة على التكيف مع الظروف العالمية الجديدة ، وعلى خلق الهياكل القادرة على الوفاء بالوظائف الجديدة التى تواجه الحركة . أحد هذه التطورات الأساسية فى توجهات الحركة هوالاهتمام بقضية صياغة نظام اقتصادى عالمى جديد ، وتحول الحركة الرئيسية لكى تلعب دور جماعة الضغط الاقتصادية الرئيسية للعالم الثالث . وقد بدا هذا التحول مع المؤتمر الثالث لرؤساء دول وحكومات الدول غير المنحازة المنعقد فى لوساكا سنة ١٩٧٠ ، وتكاملت ابعاده فى المؤتمرات الثلاثة اللاحقة التى عقدت فى الجزائر سنة ١٩٧٣ ، وكولومبو سنة ١٩٧٦ ، وهافانا سنة ١٩٧٩ . وباستثناء مؤتمر مشاكل التنمية الاقتصادية الذى عقد فى القاهرة سنة ١٩٦٢ لم تهتم حركة عدم الانحياز بالوضع الاقتصادى لدول العالم الثالث ، واعتادت ان تنظر إلى تلك القضية كمشكلة فنية بحتة لا علاقة لها بجوهر عدم الانحياز . بيد انه مع فشل عقد التنمية الذى دشنته الأمم المتحدة فى الستينات ، اصبح واضحا أن المشكلة الاقتصادية هى بالأساس مشكلة تتعلق « بالاقتصاد السياسى » لدول العالم الثالث ، وانه من الضرورى أن يتم تناول هذه القضية فى إطار سياسى بجانب الاطار الاقتصادى القائم (منظمة الأونكتاد) ، وكان هذا الاطار السياسى هو حركة عدم الانحياز .

رغم أهمية هذا التحول الاقتصادى فى توجهات حركة عدم الانحياز ، فانه لم يلق اهتماما يذكر من دارسى حركة عدم الانحياز ، وبالذات بين دارسى الحركة فى العالم الثالث فباستثناء الدراسة الرائدة التى قدمها چانكو ڤيتش وسوڤان فى مؤتمر جمعية الدراسات الدولية فى تورنتو سنة ١٩٧٦ ودراسة الباحث اليوجوسلافى كازمير ڤيداس اللتين سننشير إليهما فيما بعد ، فلا نكاد نجد دراسة متكاملة توفرت على دراسة هذا التحول . أضف إلى ذلك أن معظم دراسات عدم الانحياز لا يسترعى إنتباهها مثل هذا التحول . فدراسة الباحث الهندى لال عن « الهند والنظام الاقتصادى العالمى الجديد » [1] سنة ١٩٧٨ لا تكاد تشير إلى ظهور حركة عدم الانحياز كحلقة وصل بين دول العالم الثالث ، والنظام الاقتصادى العالمى الجديد . كذلك ، ففى دراسة للباحث اليوجوسلافى جافرو ألتمان عن « يوجوسلافيا وسياسة عدم الانحياز .. » [2] سنة ١٩٨١ يؤكد الباحث أن الهدف الرئيسى للحركة هو ديمقراطية العلاقات الدولية واستقلالية دول الحركة عن الكتل الدولية ، ولا يكاد يذكر شيئا عن الجوهر الاقتصادى للحركة . وفى الأدب العربى ، باستثناء دراسة د . سامى منصور سنة

1 – K. B. Lall, « India and the New International Economic Order » International Studies 17 (3 – 4), July - Dec. 1978 : 435 – 463.

2 – Gavro Altman, « The evolution of Yugoslaviais non - aligned Foreign Policy , » Socialist Thought and Practice , April 1981 : 63 – 78

١٩٨١ (٣) التى تناول فيها التعاون الاقتصادى بين دول عدم الانحياز كأحد قضايا الحركة ، ودراسة د . اسماعيل صبرى عبد الله عن النظام الاقتصادى العالمى الجديد (٤) التى اشار فيها إلى اهتمام حركة عدم الانحياز بقضية النظام الاقتصادى العالمى الجديد ابتداء من مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز فى الجزائر سنة ١٩٧٣ ، فاننا نجد أن التحول الاقتصادى لحركة عدم الانحياز لا يكاد يظهر فى الأدبيات العربية عن عدم الانحياز . ويكفى أن نشير إلى كل دراسات وتقارير مجلة السياسة الدولية عن عدم الانحياز ، بما فى ذلك العدد الخاص عن اللاانحيازية فى يوليو سنة ١٩٧٦ .

وتهدف هذه الدراسة إلى رصد خصائص ودوافع التحول الهيكلى والفكرى فى حركة عدم الانحياز نحو الاهتمام بقضية النظام الاقتصادى العالمى ، وانعكاسات هذا التحول على مستقبل الحركة فى الثمانينات .

التحول الاقتصادى لحركة عدم الانحياز :

يمكن رصد وتوثيق التحول الفكرى فى حركة عدم الانحياز نحو الاهتمام بالقضايا الاقتصادية لدول العالم الثالث باللجوء إلى فكر قادة الحركة ، أو بالرجوع إلى وثائق مؤتمرات عدم الانحياز . فاذا رجعنا إلى فكر قادة حركة عدم الانحياز ، وبالذات عبد الناصر وتيتو ، باعتبار أن الأول قد شهد بداية التحول فى أواخر الستينات وفى سنة ١٩٧٠ ، والثانى قد عاش فترة التحول بالكامل حتى مؤتمر هافانا سنة ١٩٧٩ ، فاننا نجد أن مفهوم عدم الانحياز لديهما قد تغير إلى حد كبير . وقد إتخذ هذا التغير فى فكرهما صورتين اساسيتين : الأولى ، تضمين مفهوم عدم الانحياز بعدا اقتصاديا بشكل متزايد ، والثانى هو تغير المضمون الاقتصادى لعدم الانحياز من المنظور الاصلاحى للنظام الدولى إلى منظور تغيير النظام الاقتصادى العالمى .

فاذا رجعنا إلى الوثائق الناصرية ، فاننا نجد أنه فى حديثه إلى تليفزيون هامبورج فى ١٣ اغسطس سنة ١٩٦١ ، اى قبل انعقاد مؤتمر بلجراد مباشرة ، تحدث عبد الناصر عن عدم الانحياز وحدد مفهومه فى أن « سياستنا ليست مرتبطة بسياسة اى من البلدان الأخرى والكتل الكبرى » (٥) وفى خطابه امام المؤتمر الأول لرؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة فى بلجراد فى سبتمبر سنة ١٩٦١ ، لم يشر عبد الناصر اطلاقا إلى أى مضمون اقتصادى لحركة عدم الانحياز . (٦) وفى حديث صحفى مع مورجان مندوب صحيفة الصنداى تايمز فى يينيو سنة ١٩٦٢ حدد عبد الناصر مفهوم عدم الانحياز بأنه يعنى « الحكم على كل مسألة بحسب حقيقتها والتعبير عن الرأى دون التقييد بقيود الارتباط أو الأحلاف . » (٧) كذلك ، ففى خطابه أمام مجلس الأمة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٦٤ ربط مفهوم عدم الانحياز بقضايا الأحلاف العسكرية ، والتسلح النووى ، والتميز العنصرى فقط . (٨) كما انه فى خطابه إلى التليفزيون الألمانى فى أول أكتوبر سنة ١٩٦٤ ، قبيل انعقاد المؤتمر الثانى لعدم الانحياز ، اكتفى بالاشارة إلى أن المؤتمر القادم « سيهتم بتعزيز العلاقات الاقتصادية بين الدول المشتركة فيه ، لأن الدول التى تنتهج سياسة عدم الانحياز هى الدول حديثة الاستقلال . » (٩)

---

(٣) د . سامى منصور ، عدم الانحياز ، رحلة على طريق بلا معالم القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٨١ : ١١١ ـ ١١٣

(٤) د . اسماعيل صبرى عبد الله ، نحو نظام اقتصادى عالمى جديد القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ : ١٥ ـ ١٦

(٥) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر القسم الثالث ، القاهرة مصلحة الاستعلامات ص ٤٨٦ .

(٦) نص الخطاب فى المرجع السابق ص ٥١٠ ـ ٥٢٠

(٧) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر القسم الرابع ، القاهرة مصلحة الاستعلامات ـ ص ١٣٤ .

(٨) المرجع السابق ص ٥٣٥ .

(٩) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الخامس ، القاهرة مصلحة الاستعلامات ، ص ٤٤ .

اضف إلى ذلك ، أنه حينما أشار عبد الناصر إلى القضية الاقتصادية فى مؤتمرات عدم الانحياز كان مفهوما إصلاحيا بالأساس قوامه مطلب « تغيير العلاقات الاقتصادية الدولية » فى اتجاه تكثيف المساعدات الاقتصادية للدول النامية . ففى خطابه أمام مؤتمر « مشاكل التنمية الاقتصادية » الذى عقد فى القاهرة فى يوليو سنة ١٩٦٢ أشار إلى مطلب « التعاون الدولى الواسع المدى الذى لا يقتصر مداه على دائرة الدول المشتركة فيه ، وإنما يمد يده بعد هذا النطاق إلى العالم كله . » (١٠) وفى خطابه أمام المؤتمر الثانى لرؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة أشار إلى انقسام دول العالم إلى دول متقدمة ودول متخلفة ، وإلى أن « أبسط مقتضيات العدل تحتم أن يلقى الساعون إلى التقدم تعاونا أصيلا من جانب السابقين إلى التقدم . » وأدخل فى نطاق مطلب تغيير العلاقات الاقتصادية الدولية ، ثلاث مطالب فرعية : مراجعة عقود الامتيازات القديمة ، رفع أسعار المواد الخام بحيث تتناسب مع أسعار المواد المصنوعة ، والمساعدة الاقتصادية للدول النامية . (١١)

وأخيرا ، فاننا نجد أنه ابتداء من أواخر الستينات ، بدأ المضمون الاقتصادى لحركة عدم الانحياز يتضح فى فكر عبد الناصر . ففى حديث إلى الأوبزرفر فى ٥ فبراير سنة ١٩٦٧ علق على المؤتمر الثلاثى لدول عدم الانحياز المنعقد فى نيودلهى فى أكتوبر سنة ١٩٦٦ بأنه « بالطبع يجب أن يتطور مفهوم عدم الانحياز ليشمل الاقتصاد . » (١٢) وفى خطابه فى جامعة القاهرة فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٦٨ أكد أن عدم الانحياز يرتبط بقضية السيطرة الاقتصادية بقوله :

« عدم الانحياز يرتبط بمشكلة التنمية . الدول الغنية يتزايد دخلها القومى كل سنة أكثر من زيادة الدول النامية . ففى ذلك أن الثغرة ستتسع . عدم الانحياز معناه إن إحنا نستعين بكل دول العالم لمساعدتنا فى التنمية » (١٣)

وقد استمر هذا التحول نحو توسيع مضمون عدم الانحياز ليشمل البعد الاقتصادى ، على مستوى أكثر وضوحا فى فكر الرئيس السادات ، كما اتضح فى خطابه امام مؤتمر عدم الانحياز المنعقد فى الجزائر سنة ١٩٧٣ ، وأمام مؤتمر عدم الانحياز المنعقد فى كولومبو سنة ١٩٧٦ . ففى مؤتمر الجزائر اكد الرئيس السادات انه « يجب أن يزداد نشاط دول عدم الانحياز فيما بينها فى المجالات الاقتصادية والمالية » وطالب باحداث تغيير فى النظام النقدى الدولى ، ونظام التجارة الدولية ، والتخفيض من عبء الديون ، والتعاون الاقتصادى بين الدول النامية(١٤) .

وفى خطابه امام المؤتمر الخامس فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٧٦ . حدد الرئيس السادات مهمة عدم الانحياز بأنها اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد على أساس من العدالة والمساواة فى السيادة وتكافؤ الفرص ، بما فى ذلك التوزيع العادل لمنافع التجارة الدولية وثمار التقدم التكنولوجى . » ، كذلك طالب السادات بضرورة التغيير الجوهرى لأسس النظام الاقتصادى العالمى .(١٥)

وتكاد تنطبق نفس الملاحظات على تطور فكر الرئيس اليوجسلافى تيتو حول المضمون الاقتصادى لعدم الانحياز . فطوال الستينات ظل المضمون الاقتصادى للحركة هامشيا فى مفهوم تيتو ، كما أنه اقتصر على فكرة تغيير الأطار الراهن للعلاقات الاقتصادية . الدولية» والتركيز على مطلب « المساعدة الاقتصادية »ففى خطابه أمام المؤتمر الأول لعدم الانحياز فى بلجراد ، أشار تيتو الى الهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية كمصدر للعديد من الصراعات الدولية ، وطالب الدول المتقدمة بتقديم المساعدات الاقتصادية الى الدول النامية بدون أى شروط مسبقة ، وبتكثيف التعاون الاقتصادى والفنى مع الدول النامية باعتبارها مصلحة مشتركة للطرفين .(١٦)

وفى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سنة

---

(١٠) مجموعة الخطب القسم الرابع ص ١٨٢ .

(١١) مجموعة الخطب ، القسم الخامس ص ٥٣ ـ ٥٤

(١٢) وثائق عبد الناصر ، القاهرة مركز الدراسات السياسية بالاهرام المجلد الاول ١٩٧٣ ، ص ٤٢

(١٣) المرجع السابق ،ص ٤٢٥ .

(١٤) مجموعة خطب واحاديث الرئيس محمد انور السادات ، (يناير ـ ديسمبر سنة ١٩٧٣) القاهرة الهيئة العامة للاستعلامات ص ٢٩٥ .

(١٥) نص الخطاب فى الاهرام فى ١٧ اغسطس سنة ١٩٧٦ .

16 – **Addresses delivered by President Josip Broz Tito at Confernces of Non - aligned Countries Beograd . Jugoslovenska Stvarnost, 1979 :**

١٩٦٣ ذكر تيتو البعد الاقتصادي كأحد أبعاد مفهوم عدم الانحياز ، اذ أنه يعني البحث عن سبل جديدة لتطوير العلاقات الاقتصادية الدولية بهدف تحقيق التكافؤ الاقتصادي ، وضمان التقدم الحر لجميع البلدان والشعوب ، باعتبار أن ذلك هو الأساس المادي للتعاون السلمي[١٧]

وفي خطابه أمام المؤتمر الثاني المنعقد في القاهرة في أكتوبر ١٩٦٤ اتى تيتو على ذكر المشكلة الاقتصادية لدول العالم الثالث والتزام الدول المتقدمة بتقديم المساعدات الاقتصادية للدول النامية ، وأن هذا « سيمهد الطريق لاحداث تغيير هيكلي عميق وايجاد تقسيم جديد للعمل الدولي[١٨] ..

بيد أن هذه الاشارات الجزئية ، لم تأت كجزء من المفهوم الرئيسي لعدم الانحياز ، فالمضمون الرئيسي لسياسة عدم الانحياز ـ كما قال تيتو في خطابه أمام المؤتمر الثامن لرابطة الشيوعيين اليوجوسلاف في ديسمبر ١٩٦٤ هو .. النضال من أجل السلام وازالة كل أشكال عدم الاستقرار في العلاقات الدولية . وهذا يعني في ظروفنا الراهنة النضال ضد مظاهر الخضوع واللامساواه ، والنضال لازالة بقايا الاستعمار وتحقيق ديمقراطية العلاقات الدولية[١٩] وبذلك لم يدخل تيتو في هذا المضمون الرئيسي أي مفهوم اقتصادي لعدم الانحياز .

يبدو أننا نلاحظ أنه ابتداء من المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز المنعقد في لوساكا في سبتمبر سنة ١٩٧٠ طرح تيتو مفهوم التنمية الاقتصادية كجزء في مفهوم عدم الانحياز .. ففي خطابه الرئيسي امام المؤتمر أكد تيتو أن السجل الاقتصادي للستينات كان مخيبا للآمال ، وأنه قد حان الوقت لحدوث « تحول جاسم في العلاقات الدولية عن طريق قبول الدول المتقدمة سياسة تنموية جديدة » وطالب تيتو حركة عدم الانحياز « بأن تنشغل من الآن فصاعدا بمشاكل التنمية في أوسع معانيها »[٢٠]

أما في مؤتمر الجزائر ، فقد اعترف تيتو بالدور الاقتصادي لحركة عدم الانحياز . فبعد ان استعرض تيتو المشكلة الاقتصادية لدول العالم الثالث ، حدد صراحة دور حركة عدم الانحياز كعامل ايجابي سياسي في التعامل مع تلك المشكلة .

« يمكن لبلدان عدم الانحياز أن تصبح عاملا هاما يحفز على مواصلة توسيع التعاون الاقتصادي بين البلدان النامية بما في ذلك ، وبشكل خاص ، التعاون الصناعي والاستثمارات المشتركة التعاون الأفضل بين المؤسسات المالية .. وانني لعلى يقين بأن البلدان النامية تستطيع ، إذا كانت متحدة ، أن تقوم بدور أفضل في التجارة العالمية والمفاوضات النقدية .. يجب على حكوماتنا أن تتشاور بالنسبة للاجراءات المحددة بهذا الصدد . وهنا فان من الضروري بالنسبة لنا أن نتخذ قرارات سياسية مشتركة »[٢١]

كذلك في خطابه أمام المؤتمر الخامس المنعقد في كولمبو سنة ١٩٧٦ اشار تيتو إلى أن دول عدم الانحياز « قد أرست الأساس السياسي للنضال من أجل حل المشاكل الاقتصادية الدولية . فهي فقد أوضحت المضمون السياسي العميق للمشاكل الاقتصادية الدولية وأهميتها الحاسمة للاستقلال والمساواة بين الشعوب . كذلك ، فقد وضعت الدول غير المنحازة برنامجا شاملا لاقامة علاقات اقتصادية جديدة في العالم » وطالب تيتو حركة عدم الانحياز بالسعي لانشاء « هيكل جديد للعلاقات الاقتصادية لصالح الجماعة الدولية ، ولصالح التنمية السريعة للدول النامية »[٢٢]

وفي مؤتمر هافانا سنة ١٩٧٩ أعيد التأكيد على أهمية إنشاء نظام اقتصادي عالمي جديد ، وعلى أهمية التعاون بين الدول النامية كطريق رئيسي للتنمية ولتحسين الموقف التفاوضي لتلك الدول .[٢٣]

17 – Socialist Thought and Practice , Oct - Dec. 1963 : 15

18 – Addresses delivered by President Josip Broz Tito, op. cit : 45 – 46 .

19 – Practice and Theory of Socialist Development in Yugoslavio . v111 Congress of the League of Commanists of Yugoslavia . Beograd , Medunarodna Politika , 1965 : 16 .

وفي دراسة للكاتب اليوجوسلافي رانكو بيتكو فيتش عن عدم الانحياز في العالم المعاصر اتى على ذكر ثماني مبادىء لعدم الانحياز ليس منها اى مبدأ يتعلق بالمشكلة الاقتصادية لدول العالم الثالث .

Ranko Petkovic Non - alignment in the Contemporary , World . Beograd , Medunarodna Politika , 1968 .

20 – Addresses delivered by President Josip Bioz Tito , op . cit : 60 – 61

21 – Ibid : 77 .

22 – Ibid : 91 – 92 .

23 - Excerpts from the speech in Socialist Thought and Practice , May 1980 : 236 - 242

ومن ثم يبدو واضحا فى فكر عبد الناصر وتيتو ، كزعيمين لحركة عدم الانحياز ، التحول الواضح فى مفهومها للحركة من مجرد حركة تهتم بالقضايا السياسية فقط إلى حركة ذات مضمون اقتصادى اساسى بجانب مضمونها السياسى .

على مستوى مؤتمرات عدم الانحياز الست ، نلاحظ تزايد الأهمية النسبية للقضايا الاقتصادية فى اعلانات المؤتمرات الاربع للحركة فى السبعينات بمقارنتها باعلانى مؤتمرى الحركة فى الستينات ، فابتداء من مؤتمر القمة الثالث فى لوساكا بدأت حركة عدم الانحياز تتولى المشكلة الاقتصادية للدول النامية اهتماما خاصا يعادل اهتمامها بالقضايا السياسية . فلم تكتف الحركة بالتقليد التى سارت عليه فى مؤتمرى القاهرة ، موضع توصياتها الاقتصادية فى ذيل الاعلان أو البرنامج ، ولكنها أصدرت اعلانا مستقلا حول قضايا التنمية الاقتصادية . وفى المؤتمرات الثلاثة اللاحقة فى الجزائر وكولمبو وهافانا لم تكتف بالاعلان الاقتصادى ، ولكنها أصدرت أيضا ، برنامج عمل للتعاون الاقتصادى ، يترجم فى خطوات عملية محدد المطالب العامة الواردة فى الاعلان الاقتصادى ، وقد حاولنا أن نحدد بطريقة كمية تزايد الأهمية النسبية للقضايا الاقتصادية فى اهتمامات حركة عدم الانحياز من واقع الاعلانات والبرامج الصادرة عن المؤتمرات الستة ، كما هو محدد فى الجدول رقم ١ . ويتضح من العمود الأخير فى الجدول أنه بينما مثلث القضايا الاقتصادية ٧,٥٪ ، ١٣,٣٪ من اهتمامات مؤتمرى بلجراد والقاهرة على التوالى ، فان النسبة ترتفع بشدة فى مؤتمر لوساكا إلى ٤٦,٥٪ والى ٤٩,٩٪ فى مؤتمر الجزائر ، والى ٥٠,١٪ فى مؤتمر كولمبو ، ولكنها تنخفض انخفاضا طفيفا الى ٤٢,٩٪ فى مؤتمر هافانا . ومن الناحية المطلقة فبينما لم تتضمن اعلان مؤتمر بلجراد أكثر من ٤٢ سطرا عن القضايا الاقتصادية ، وبرنامج مؤتمر القاهرة ١٤٢ سطرا ، فان اعلان مؤتمر لوساكا تضمن ٣٦٣ سطر ، قفزت الى ٢٤٣١ سطرا فى الاعلان والبرنامج الاقتصاديين الصادرين عن مؤتمر هافانا ، وذلك كما يتضح من العمود الرابع فى الجدول [٢٤]

نسبة الاهتمام بالقضايا الاقتصادية فى مؤتمرات القمة لدول عدم الانحياز

المؤتمر	الاعلانات الصادرة	عدد الاسطر: سياسية	اقتصادية	اخرى	اجمالى	٪ الاسطر المتعلقة بقضاية اقتصادية
– المؤتمر الاول المنعقد فى بلجراد فى سبتمبر سنة ١٩٦١	اعلان رؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة خطر الحرب ونداء السلام	٥١٥	٤٢	–	٥٥٧	٪٧,٥
المؤتمر الثانى المنعقد فى القاهرة فى اكتوبر ١٩٦٤	« برنامج السلام والتعاون الدوليين	٨٦٣	١٤٢	٦٥	١٠٧٠	٪١٣,٣
– المؤتمر الثالث المنعقد فى لوساكا فى سبتمبر سنة ١٩٧٠	« اعلان حول السلام ، الاستقلال ، التنمية ، التعاون ، ومقرطة العلاقات الدولية » « اعلان حول عدم الانحياز والتقدم الاقتصادى	٣١٥	٣٦٣	–	٦٧٨	٪٤٦,٥
– المؤتمر الرابع المنعقد فى الجزائر فى سبتمبر سنة ١٩٧٣	« الاعلان السياسى » « الاعلان الاقتصادى » « برنامج العمل للتعاون الاقتصادى » « اعلان حول النضال من اجل التحرر الوطنى »	١٠٧٣	١٠٧٠	–	٢١٤٣	٪٤٩,٩
– المؤتمر الخامس المنعقد فى كولمبو فى اغسطس سنة ١٩٧٦	« الاعلان السياسى » « الاعلان الاقتصادى » « برنامج العمل للتعاون الاقتصادى »	١٧٤٠	١٧٤٣	–	٣٤٨٣	٪٥٠,١
– المؤتمر السادس المنعقد فى هافانا فى سبتمبر سنة ١٩٧٩	« الاعلان السياسى » « الاعلان الاقتصادى » « برنامج العمل للتعاون الاقتصادى »	٣٢٣١	٢٤٣١	–	٥٦٦٢	٪٤٢,٩

محددات التحول الاقتصادى لحركة عدم الانحياز

يمكن تفسير التحول الهيكلى فى اهتمامات وتوجهات حركة عدم الانحياز فى السبعينات نحو الاهتمام بقضية النظام الاقتصادى العالمى الجديد الى مجموعة من الظروف المتعلقة بالنظام الاقتصادى الدولى ، والنظام السياسى الدولى ، وبطبيعة حركة عدم الانحياز ذاتها :

اولا : على مستوى النظام الاقتصادى الدولى ، فقد شهدت فترة نهاية الستينات تعثر الجهود الدولية فى التغلب على المشكلة الاقتصادية لدول العالم الثالث ، وتزايد الهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، كما تثبته احصاءات سنتى ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ فبين هذين العامين انخفض نصيب الدول النامية من الناتج القومى العالمى من ١٩٪ الى ١٧٪ ، وانخفض نصيبها من الصادرات العالمية من ٢٢,٧٪ الى ١٧,٧٪ ، كما هبط الرقم القياسى لمعدل التبادل الدولى للسلع الأولية من ١٠٥ سنة ١٩٦٠ الى ٨٨ سنة ١٩٧٢ (باعتبار سنة ١٩٦٣ هى سنة الأساس) . كذلك ، فان هدف عقد التنمية الذى حددته الامم المتحدة فى الستينات بتخصيص ١٪ من الناتج القومى للدول الصناعية كتمويلات بالنسبة للدول النامية لم يتحقق ، بل تدهورت النسب التى كانت قائمة فى بداية عقد التنمية . فبينما كانت نسبة التمويلات سنة ١٩٦٠ تصل فى المتوسط الى ٠,٥٢٪ اذا بها تهبط الى ٠,٣٣٪ سنة ١٩٧٢[٢٥]

انطلاقا من هذه الخلفية القائمة ، وجدت حركة عدم الانحياز نفسها مضطرة الى الدخول فى حلبة المشاكل الاقتصادية بشكل كثيف يوفر اطار سياسيا ضاغطا لصالح دول العالم الثالث .

ثانيا : نشأت حركة عدم الانحياز فى اطار الحرب الباردة والاستقطاب الثنائى الدولى شبه الجامد ، وذلك لتحقيق وظيفة اساسية وهى تخفيف حدة التوتر الدولى ، والتوفيق بين القوتين الاعظم ، وتفادى محاولات الاستقطاب الثنائى الجامد . وكان من الطبيعى ، والحركة فى بدايتها ، ان تنشغل الحركة بهذه الوظيفة التى كانت مبرر وجودها ذاته . ومن ثم انشغلت حركة عدم الانحياز بقضايا تصفية الاستعمار ، ونزع السلاح ، معارضة سياسة التكتل الدولى ، وتدعيم الامم المتحدة ، وهى القضايا التى سيطرت على اجندة النظام الدولى فى هذه الفترة

ومع بداية السبعينات ، بدأ يتضح ان كثيرا من الاهداف السياسية لحركة عدم الانحياز قد تحققت او على الاقل فقدت اهميتها . فالحرب الباردة وتنافس العملاقين حل محلهما « الانفراج الدولى » واتفاق العملاقين على قواعد للعمل الدولى قننت فى بيان نيكسون ـ بريجنيف سنة ١٩٧٢ . بعبارة أخرى :

تحول صراع الشرق والغرب الى حوار مباشر بين العملاقين ، مما اضعف الدور الذى يمكن ان تقوم به حركة عدم الانحياز ، ومما سمح للحركة بالتحول نحو قضايا أخرى . كذلك ، فان سياسة التكتل الدولى والاستقطاب الثنائى الدولى فى اطار الكتل الدولية بدأت تنهار تدريجيا مع ظهور الصراع الصينى السوفيتى وتزايد الدور الاستقلالى الأوربى وبالذات بعد خروج فرنسا من التنظيمات العسكرية لحلف الأطلنطى ، كما ان معاهدات حظر انتشار الأسلحة الذرية وحظر التجارب الذرية ، والحد من الأسلحة الاستراتيجية مثلت بعض التقدم فى مطلب دول عدم الانحياز فى نزع السلاح لاستقرار التوازن العالمى . وأخيرا ، فان عملية

---

(٢٤) للوصول الى هذه الارقام والنسب قمنا بتحليل مضمون مبسط للاعلانات والبرامج الصادرة عن المؤتمرات السنة وقد تفاوتت الاعلانات والبرامج من حيث الحجم والشكل فبينما لم يتعد حجم اعلان مؤتمر بلجراد خمس صفحات فان حجم اعلان وبرنامج مؤتمر هافانا يصل الى حوالى ١٦٠ صفحة (دون ان يشمل ذلك القرارات) كما انه بينما ادمج مؤتمرى بلجراد والقاهرة القضايا السياسية والقضايا السياسية فى اعلان او برنامج واحد فان المؤتمرات اللاحقة فصلت بينهما ولذلك فانه لتحليل مضمون الاعلانات والبرامج اتبعنا الخطوات الثلاثة :

ا ـ اقتصر التحليل على الاعلانات والبرامج وبرامج العمل وبذلك تم استبعاد القرارات المحددة او النداءات المرفقة

ب ـ نظرا لاختلاف حجم وشكل الاعلانات والبرامج ثم اتخاذ السطر كوحدة للعد .

ج ـ حيث تدمج القضايا السياسية والاقتصادية فى اعلان او برنامج واحد ثم تحليل مضمون كل سطر وتصنيفه الى سياسى او اقتصادى طبقا لمضمون القضية التى يتناولها .

د ـ حيث تفصل القضايا السياسية والاقتصادية فى اعلان اوبرنامج مستقل تحسب كل اسطر الاعلان او البرنامج على انها سياسية او اقتصادية طبقا لعنوان الاعلان او البرنامج حتى لو تضمن سطورا تتعلق بقضايا لاتندرج موضوعيا تحت اسم الاعلان او البرنامج .

(25) Roger Hansen , The U.s . and world Development , Agenda for Action : 1976. N. Y. , Overseas Development Council , 1976 : Tablles B - S, C -1, V - 1 , E -7 , E - 8.

تصفية الاستعمار السياسى قد حققت معظم اهـدافها . بعبارة آخرى نحن امام ظاهرة جديدة ، وهـى حـدوث استقرار نسبى فى العـلاقات بين الشرق والغـرب ، فى مقابل تدهور تزايد فى المركز النسبى لدول العالم الثالث من الناحية الاقتصادية ، مما دفع بحركة عدم الانحياز للاهتمام بمعالجة هذا التدهور .

ثالثا : ان حجم وتركيب حـركة عدم الانحياز فى بـداية الستينات لم يكن ليسمح للحركة بالتعامل المباشر مـع المشكلة الاقتصادية للعالم الثالث . فالحركة ضـمت فى بدايتها ٢٥ دولة ، وهى الدول التـى انطبقـت عليهـا شروط العضـوية وشـاركت فى المؤتمـر الأول سـنة ١٩٦١ . اما دول العالم الثالث ذاتها فكانت تضم ثلاثة اضـعاف هـذا العـدد ، وبـالتحديد ٧٧ دولة تبلورت لمجموعة واحدة فى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية سنة ١٩٦٤ . ومن ثم فضلت دول العالم الثالث التعامل مع مشكلتها الاقتصـادية فى اطـار مجمـوعة السـبعة والسبعين ، وهو اطار اكثر اتساعا من اطار حركة عدم الانحياز ، وبالتالى فهو اقدر على ضم كل دول العـالم الثالث سواء تلك المنحازة او غير المنحازة .

بيد أن حجم وتركيب حركة عدم الانحياز بـدأ يتغير ابتـداء مـن أوائل السـبعينات . فمـن ناحية زادت العضوية لتصل الى ٤٧ دولة فى المؤتمـر الثـانى ، ٥٤ دولة فى المؤتمر الثالث ، ٧٥ دولة فى المؤتمـر الرابـع فى الجزائر سنة ١٩٧٣ ، ٨٧ دولة فى المؤتمر الخـامس فى كولومبو سنة ١٩٧٦ ، و ٩٢ دولة فى المؤتمر السادس فى هـافانا سـنة ١٩٧٩ . وقـد كان ذلك نتيجـة لتـراخى الحركة فى تطبيق معايير العضوية المعروفة ، مما حولها فى النهاية الى منتدى للعالم الثالث بأسره .

رابعا : يمكن ان نشير ايضا الى تأثير الفكر الثـورى لبعض القيادات الافـريقية على التحـول الاقتصـادى لحركة عدم الانحياز . وعلى سبيل الانحياز ، فقد لعب الرئيس التـانزانى نيريرى دورا اسـاسيا فى مـؤتمر لوساكا سـنة ١٩٧٠ وفى الاجتمـاع التحضـيرى الذى سبقه فى دار السلام ، لادخال مفهوم « الاعتمـاد على الذات » فى الفلسـفة الاقتصـادية لدول عدم الانحياز . ومن المعروف ان هذا المفهوم مـن المعـالم الاسـاسية للتجـربة الاشـتراكية فى تنزانيا . كذلك لعـب الرئيس الجزائرى بومدين دورا هاما فى مؤتمر الجـزائر سـنة ١٩٧٣ لادخال مفهوم المواد الأولية والتأميم فى التـطور الاقتصادى لحركة عدم الانحياز .

خامسا : تراكم الخبرة الفكرية للدول النامية فى التعامل مـع قضـيتى التخلف والتبعية . اذ تـوافر على مـدى الستينيات ادبا اقتصـاديا متـكاملا لدى الدول النامية حول المنظور الصحيح للتعـامل مـع قضـايا النظـام الاقتصادى العالمى . وقد كان هذا الأدب رافدا فـكريا هاما من روافد التحـول نحـو الاهتمـام بـالمشاكل الاقتصـادية . ومـن ذلك ان اعلانات مـؤتمرات عدم الانحياز تستعير كثير من افـكارها الاقتصـادية من اعمال مؤتمرات السـبعة والسـبعين . مـؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية .(٢٦)

وبـاختصار ، فنحـن ازاء نظـام اقتصـادى عالمى يتدهور فيه المركز الاقتصـادى النسـبى لدول العـالم الثـالث ، ولا تسـتطيع حـركة عدم الانحياز ، التـى اصبحت تضم معظم دول العالم الثالث ، ان تقف ساكنة امام هذا التدهور . كذلك ، فنحن ازاء نظـام سـياسى عالمى استقرت فيه التفاعلات السـياسية بين الدولتين الأعظم ، بما سمح للحركة ان تنشغل بتـوجهات اكثـر الحاحا . كما اننا اخيرا ، ازاء حركة تتزايد خبـراتها الاقتصادية ، بما يمكنها مـن التعـامل المبـاشر مـع القضايا الاقتصادية للعالم الثالث .

المنظور الاقتصادى اللاانحيازى فى الستينات

لا يعنى ماذكرناه ان المشـكلة الاقتصـادية للعـالم الثالث فى الستينات قد طرحت اساسا خارج اطار حركة عدم الانحياز ، ان الحـركة لم تهتـم بـالقضايا الاقتصادية . فالواقع انه لم يخل اى مـن مـؤتمرات الدول غير المنحازة فى الستينات من مناقشة للمشـاكل الاقتصادية . بيد ان هذه المناقشة كانت دائمـا ثـانوية بالقياس الى القضايا السياسية . كما انها لم تستوعب حركة دول العالم الثـالث فى التعـامل مـع مشـكلاتها الاقتصادية . اذا كان ذلك كذلك ، فكيف تعاملت حـركة عدم الانحياز مع القضايا الاقتصادية للعالم الثـالث فى الستينات ؟

لم يختلف المنظور الاقتصادى اللا انحيازى المحدود كثيرا عن المنظور العام الذى اقتـربت مـن خـلاله دول العالم الثالث ، فى اطار مجموعة السبعة والسـبعين ، من المشكلة الاقتصادية للعالم الثـالث . هـذا المنظـور يتلخص فى تغيير العلاقات الاقتصادية الدولية عن طريق تحرير التجـارة الخـارجية وعن طـريق المعـونة الاقتصادية . وقد اتضح هذا المنظور من خلال الاعلان والبرنامج الصادرين عن مؤتمرى القمة الأول والثـانى

(26) Odette Jankowitsch and K. Sauvant, « The evolution of the non - aligned movement into a Pressure group For the establishment of aNew Econnomic Order . » Paper Presented at the 1976 Meeting of the I . S. A., Toronto, 1976 : 16 – 37

لدول عدم الانحياز ، ومن خلال « اعلان القاهرة للدول النامية » الذى أصدره « مؤتمر مشكلات التنمية الاقتصادية » الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٦٢ ، وهو المؤتمر الوحيد الذى خصصته الدول غير المنحازة لمناقشة المشكلة الاقتصادية للعالم الثالث .

تتحصل المطالب الاقتصادية الواردة فى اعلان مؤتمر بلجراد سنة ١٩٦١ فى ثلاثة مطالب محددة . (١) ازالة كل أشكال عدم التوازن الاقتصادى الناشئة عن الاستعمار ، وانشاء صندوق رأس المال للتنمية كصندوق تابع للأمم المتحدة ، مع تحسين معدلات التبادل الدولى لصادرات الدول النامية ، الحد من تذبذب أسعار صادرات المواد الأولية ، وازالة القيود التميزية والمالية التى تؤثر فى تجارة ودخول الدول النامية . (٢) مقاومة الضغوط الاقتصادية الناشئة عن التكتلات الاقتصادية للدول الصناعية . (٣) وأخيرا ، حرية الدول المستقبلة للمعونة فى التصرف بتلك المعونة طبقا لأولوياتها[٢٧]

اما البرنامج الصادر عن مؤتمر القاهرة سنة ١٩٦٤ ، فانه تضمن احدى عشر فصلا خصص منها فصل واحد للقضايا الاقتصادية . وقد طالب هذا الفصل بايجاد تقسيم جديد للعمل الدولى للاسراع من عملية التصنيع فى الدول النامية وتحديث الزراعة ، مفرطة عملية اتخاذ القرار الاقتصادى الدولى ، تمكين الدول النامية من تسويق منتجاتها الأولية فى الدول المتقدمة على أساس متكافىء وتسويق منتجاتها الصناعية على أساس تفضيلى ، زيادة التحويلات الرأسمالية للدول النامية فى اطار ظروف أكثر ملائمة ، ازالة القيود التمييزية على التجارة الدولية ، كما أن البرنامج أدخل مفهوم تصفية الاستعمار الاقتصادى كشرط من شروط التحرر الوطنى .[٢٨]

المنظور الاقتصادى لمؤتمر مشاكل التنمية الاقتصادية[٢٨]

فى يولية ١٩٦٢ عقد فى القاهرة مؤتمر « مشاكل التنمية الاقتصادية » بناء على مبادرة من حركة عدم الانحياز وفى اطار الحركة . بيد ان الحركة قررت ان توسع عن اطار المؤتمر فدعت اليه دولا ليست بأعضاء حركة عدم الانحياز ولكنها ليست مرتبطة تماما بالكتل الدولية من ذلك بعض دول امريكا اللاتينية والبرازيل والمكسيك وشيلى وفنزويلا وارجواى وبوليفيا واكوادور بجانب بعض الدول الافريقية والأسيويه وهى باكستان والملايو ونيجريا وتوجو وليبيريا وقبرص وسيراليون وليبيا وتنجانيفا .

وكان الغرض من ذلك هو مناقشة قضية التنمية الاقتصادية فى العالم النامى فى اطار دولى حقيقى ومن منطلق عدم الانحياز ويعتبر هذا المؤتمر هو المؤتمر الوحيد الذى نظمته الحركة لمناقشة القضايا الاقتصادية والمتبع لمناقشات المؤتمر يلاحظ ان الدول المشتركة قد ركزت على مجموعة من القضايا هى قضية المعونة الاقتصادية للدول النامية والأثر السلبى للتكتلات الاقتصادية للدول المتقدمة على الدول النامية وعلى اهمية التعاون الاقتصادى وتبادل الخبرات بين الدول النامية . وقد اصدر المؤتمر « اعلان القاهرة للدول النامية » وقد تناول الاعلان سبع قضايا رئيسية هى :

١ ـ المشكلات الداخلية للتنمية :

وقد استعرض البيان مشاكل التنمية فى الدول النامية كالمشكلة السكانية وكيفية التغلب على تلك المشاكل بوضع خطط للتنمية وتنويع مصادر الاقتصاد القومى والادخار والاستقرار المالى النقدى وغيرها .

٢ ـ التعاون بين الدول النامية :

بمعنى تكثيف التبادل التجارى من الدول النامية وكذلك قنوات الاتصال بينها ، واعطاء الدول غير المطلة على البحر حق الوصول الى الموانى البحرية .

٣ ـ مشكلات التجارة الدولية :

وفى هذا الصدد طالب المؤتمر بزيادة صادرات الدول

---

(٢٧) نص الاعلان فى Documents of the Gatherings of Non - Aligned Countries , 1961 – 1978 . Jugoslovenska Stvarnost - Mediunarodna Politika , Belgrade , 1970 : 7 – 9 .

اكثر من ذلك اذا عدنا الى خطب قيادات حركة عدم الانحياز فى مؤتمر بلجراد نجد ان القضايا الاقتصادية كانت غائبة تقريبا فقد تركز القادة على قضايا نزع السلاح وتصفية الاستعمار ، والمانيا والكونجو ، ولم يذكر احد منهم تقريبا قضية التخلف الاقتصادى فى نص الخطب والوثائق .

Conference of Heads of State of Government of Non - aligned Countries Belgrade Jugoslavia n. d.

(28) The Conference on the Problems of Economic Development Cairo , General Organization For Government . Printing Offices , 1962 .

النامية وتحقيق الاستقرار النسبي لأسعار الموارد الاولية مع انشاء جهاز مالى دولى لتحسين موازين مدفوعات الدول النامية .

٤ ـ التجمعات الاقتصادية الدولية :

وقد طالب المؤتمر بالحد من الآثار الاقتصادية السلبية للتجمعات الاقتصادية للدول الصناعية على اقتصاديات الدول النامية مع تمكين صادرات الدول النامية من الوصول الى اسواق الدول الصناعية بدون تمييز .

٥ ـ المساعدات الاقتصادية :

وقد طالب المؤتمر بزيادة حجم المساعدات الاقتصادية المقدمة للدول النامية مع ضمان استمراريتها وعدالة توزيعها ، وتخصيص ١٪ من الدخول القومية للدول المتقدمة اقتصاديا لمساعدة الدول النامية .

٦ ـ المساعدات الفنية الدولية :

وطالب المؤتمر بزيادة حجم المعونة الفنية والادارية والمهنية التى تقدمها الأمم المتحدة للدول النامية مع تبادل الخبرات الفنية بين الدول النامية .

٧ ـ تاييد جهود الأمم المتحدة للتنمية

من الواضح ان منهج المؤتمر كان يتصف بالطابع الاصلاحى الذى يتحصل فى تحرير التجارة الخارجية والمعونة الاقتصادية اى إحداث تغييرات جزئية فى العلاقات الاقتصادية الدولية . وقد اثبت هذا المنهج عقمه كما ذكرنا انفا بل ان المركز النسبي للدول النامية قد ازداد تدهورا مما حتم على دول العالم الثالث التحول الى منهج جديد كذلك يتضح بقراءة البيانات الختامية لرؤساء الوفود روح التفاؤل المبالغ فيها والاحساس بأن مجرد انعقاد المؤتمر واصدار اعلان القاهرة بذاته هو خطوة هائلة نحو تغيير بخط العلاقات الاقتصادية الدولية بيد ان تلك الآمال الضخمة ما لبثت ان انهارت مع نهاية عقد الستينات موضحة للدول النامية ان القول لا يغنى عن الفعل وان هناك حاجة ماسة الى منهج اقتصادى جديد .

المؤتمر الثلاثى لدول عدم الانحياز ١٩٦٦

واخيرا شهد عقد الستينات انعقاد مؤتمر القمة الثلاثى لدول عدم الانحياز والذى عقد فى نيودلهى فى اكتوبر ١٩٦٦ ، وحضره عبدالناصر وتيتو وانديرا غاندى ، وترجع اهمية هذا المؤتمر الى الاجراءات العملية المحددة التى اتخذها المؤتمر للتنسيق بين الدول الثلاث فى المجال الاقتصادى . وبذلك فهو يعد المحاولة الوحيدة فى الستينات لنقل حل المشكلة الاقتصادية للعالم الثالث من مجال القرارات الى مجال التطبيق فى اطار حركة عدم الانحياز .

من الناحية النظرية اكد البيان الصادر عن المؤتمر ان التقدم الاقتصادى السريع للدول النامية امر ضرورى للحفاظ على استقلالها . كما لاحظ ان الدول المتقدمة لم تصل بمعوناتها الى نسبة الى ١٪ التى قررتها الأمم المتحدة . كذلك البيان الى تنسيق الجهود بين الدول النامية واتخاذ خطوات عملية للتعاون الاقتصادى بين الدول النامية[29] .

بناء على هذا البيان انعقد فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٦٦ مؤتمر لوزراء الاقتصاد للدول الثلاث غير المنحازة . وقد اتخذ وزراء الاقتصاد اجراءات محددة لتكييف التعاون الاقتصادى بين الدول الثلاث فقد انشأوا اجهزة دائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى وتسهيل اتفاقيات التجار ، والدفع وبحث مشروعات الانتاج المشترك والنقل البحرى كذلك قرروا تسهيل اجراءات الائتمان التجارى لتشجيع التجارة المشتركة[30] .

بيد ان الدول الثلاث لم تستمر طويلاً فى التجربة او ما لبث خط التنسيق بينها ان انقطع ولم يتحدد فى السبعينات وربما يرجع ذلك الى انتماء تلك الدول الى مناطق جغرافية متباينة . وبالتالى اختلاف مصالحها الأقليمية . فمحاولة التكامل بين مصر ويوجوسلافيا مثلاً لابد ان ترتطم بقضية التكامل الأقليمى العربى وسنرى فيما بعد ان تلك المشكلة تستتر خلف محدودية المحاولات التنسيقية الاقتصادية بين دول عدم الانحياز .

ارهاصات التحول الاقتصادى لحركة عدم الانحياز

بدأت ارهاصات تحول حركة عدم الانحياز نحو الاهتمام بالقضايا الاقتصادية فى مؤتمر القمة الثالث لدول عدم الانحياز المنعقد فى لوساكا فى سبتمبر ١٩٧٠ . فمع بداية السبعينات بدأ واضحا ان المركز الاقتصادى النسبى للدول النامية قد تدهور الى حد كبير ، وان منهج الاعتماد على المعونة الاقتصادية لن يحل المشكلة الاقتصادية للدول النامية .

والواقع ان قراءة الاعلان الاقتصادى الصادر عن المؤتمر توضح ان الدول النامية قد استوعبت درس الستينات .

فالاعلان يؤكد ان الخطر المباشر لحدوث مواجهة بين الدولتين الاعظم قد تضاءل ، وانه من الضرورى ان

---

(٢٩) الاهرام ، ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٦

(30) Keesing's Contemporary Archives , VI , 15, C 1962 – 1966 : 2/799

يضاف هدف النضال من اجل الاستقلال الاقتصادى الى الاهداف الأولية للحركة كنزع السلاح وتصفية الاستعمار وغيرها .

بناء على ذلك طالب المؤتمر بوضع استراتيجية للتعاون الاقتصادى بين الدول النامية بما فى ذلك تقسيم العمل الدولى من تلك الدول ووضع استراتيجية دولية للتنمية وفى هذا الصدد كرر الاعلان مطالب مؤتمرى القاهرة ومؤتمر بلجراد . والجديد فى الاعلان هو النص على استراتيجية الاعتماد على الذات كجزء من المنهج الاقتصادى لدول عدم الانحياز نتيجة لفشل منهج المساعدات الاقتصادية الخارجية [٣١] وقد لعب الرئيس التانزانى نيريرى دورا حاسما فى ادخال هذا المفهوم فى الأدب الأقتصادى اللا انحيازى منذ المؤتمر التحضيرى الذى انعقد فى دار السلام . ومن المعروف ان استراتيجية الاعتماد على الذات هى جزء اساسى من التجربة الاشتراكية التانزانية .

وقد ادخل الاعلان الاقتصادى لمؤتمر لوساكا فى نطاق الاعتماد على الذات الانتفاع الامثل بالموارد الطبيعية للدول النامية تطوير المقدرةالتكنولوجية والعلمية والتجارة والانتاج الصناعى لهذه الدول ، خلق البنية الاساسية للانتاج . بيد ان الاعلان لم يوضح اساليب تحقيق هذه الخطوات الكبرى التى عجزت كثير من الدول النامية عن تحقيقها فى الستينات .

وقد اعقب المؤتمر انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازة فى جورجتاون فى اغسطس ١٩٨٢ . وقد اصدر المؤتمر اعلانا باسم « اعلان جورجتاون » وبرنامجا اقتصاديا باسم « برنامج العمل للتعاون الاقتصادى » . ولاتخرج البرامج فى خطوطه العريضة عن المطالب التى اتى عليها برنامج مؤتمر لوساكا .

بيد ان التحول سواء فى مستوى الانتباه للقضايا الاقتصادية او فى مستوى المنظور الاقتصادى اللانحيازى جاء فى مؤتمر القمة الرابع المنعقد فى الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ فقد تحولت الحركة نحو اعتبار القضايا الاقتصادية قضايا جديرة بالبحث على مستوى رؤساء الدول والحكومات لانها تمس « السياسة العليا » High Politics لتلك الدول ونمو الربط العضوى بين مشكلتى الامن والاستقلال ومشكلتى التنمية والتحرر من التبعية الاقتصادية .

وقد جاء التحول فى مؤتمر الجزائر لعدة اسباب اهمها ظاهر « التضخم الركودى » فى الاقتصاد الراسمالى العالمى منذ اوائل السبعينات . وهى الظاهرة التى ادت الى تضاعف اسعار صادرات الدول الراسمالية وبالتالى تفاقم العجز فى موازين مدفوعات الدول النامية مما ضاعف من حدة المشكلة الاقتصادية للعالم الثالث .

اضف الى ذلك تأثير التراث الثورى الجزائرى الذى مثله فى المؤتمر الرئيس بومدين باصراره على تقدم متطور جديد للعمل الاقتصادى .

وقد لعب الرئيس بومدين عقب انعقاد المؤتمر دورا حاسما فى توجيه المسار الاقتصادى اللانحيازى فى النظام العالمى .

المنظور الاقتصادى لمؤتمر الجزائر :

أصدر مؤتمر القمة الرابع بالجزائر ثلاثة وثائق رئيسية « الاعلان السياسى » « الاعلان الاقتصادى » وبرنامج العمل للتعاون الاقتصادى . والواقع ان تأمل الاعلان الاقتصادى وبرنامج العمل يوضح التغير المنظورى الواضح لدول عدم الانحياز بالمطالبة بتغيير اسس النظام الاقتصادى العالمى ذاته . وبالتحديد فان الاعلان وبرنامج العمل يدوران حول اربعة مفاهيم اساسية [٣٢]

أولا :نظام التجارة الدولية :

اكد مؤتمر الجزائر ان هناك حالة من اللاتكافؤ الهيكلى فى نظام التجارة الدولية . قوام هذه الحالة هو تناقص نصيب الدول النامية من التجارة الدولية وتدهور معدلات التبادل الدولى فى غير صالحها .

اكثر من ذلك فان النظام العام للتفضيلات يستثنى المنتجات الزراعية للدول النامية . ولذلك طالب المؤتمر بتوسيع اطار النظام العام للتفضيلات واعطاء الدول النامية معاملة تجارية تفضيلية .

ثانيا : النظام النقدى العالمى :

أتى الاعلان الاقتصادى لمؤتمر الجزائر على ان النظام النقدى العالمى الذى صيغ فى مؤتمر بريتون وودز ، يخدم مصالح الدول المتقدمة وحدها . ولهذا فان هناك حاجة ماسة الى انشاء نظام نقدى جديد يضمن المشاركة الفعالة للدول النامية فى عملية اتخاذ القرار على قدم المساواة مع الدول الاخرى ، كما يضمن استمرار التدفقات المالية . ولهذا فان مؤتمر الجزائر لم

---

(٣١) نص الاعلان فى
Documents of the Gatherings of Non - aligned Countries , 1961 – 1978 . Op . cit : 46 – 49

(32) Ibid : 93 – 102 .

يطالب باصلاح النظام النقدى العالمى وانما طالب بتغييره من اساسه . وقد طالب المؤتمر بالربط بين حقوق السحب الخاصة من صندوق النقد الدولى واحتياجات تمويل خطط التنمية فى الدول النامية واعادة جدولة الديون .

ثالثا : التاميم والتكتل العالمى :

لم يكتف مؤتمر الجزائر بتأكيد سيادة الدول النامية على الموارد الطبيعية الواقعة فى نطاق اقليمها ولكنه نص – ولاول مرة فى مؤتمرات عدم الانحياز – على حق الدول النامية فى تاميم ادوات الانتاج المملوكة ملكية اجنبية كوسيلة لحماية مواردها .

اكثر من ذلك نص الاعلان الاقتصادى على حق الدول النامية وحدها فى تقدير حجم التعويض وطريقة دفعه وتسوية اى نزاع ينشأ بسبب التأميم فى اطار التشريع المدنى القومى للدولة التى قامت بالتأميم . كما نص الاعلان على الحاجة الى التوصل الى منهج مشترك للتعامل مع الاستثمارات الاجنبية الخاصة وبالذات الشركات متعددة الجنسية وعلى انشاء مركز لتبادل المعلومات حول نشاط تلك الشركات . وقد اتخذ فعلا قرار انشاء المركز فى مؤتمر وزراء خارجية البلدان غير المنحازة دوليا سنة ١٩٧٥وأنشىء فى هافانا .

واخيرا فقد اكد المؤتمر الجزائر على تكوين اجهزة تضامنية فعلا للدفاع عن مصالح الدول المنتجة للمواد الخام ، وذلك بهدف ضمان زيادة الحصيلة الحقيقية للصادرات وذلك على غرار التكتلات الاقتصادية لمنتجى البترول والتصدير .

رابعا : التعاون مع الدول الاشتراكية :

لأول مرة اتى برنامج العمل للتعاون الاقتصادى الصادر عن مؤتمر الجزائر على تحديد ملامح نظام التعاون بين الدو النامية والدول الاشتراكية . فقد اعتادت المؤتمرات السابقة على مطالبة الدول الرأسمالية الصناعية بتقديم تمازلات دون التعرض لالتزامات الدول الاشتراكية . فطالب المؤتمر الدول الاشتراكية بأن تضع فى خططها الاقتصادية احتياجات الدول غير المنحازة لاستيراد السلع المصنعة ونصف المصنعة على اساس تفصيلى .

رابعا : تطور المنظور الاقتصادى اللا انحيازى منذ مؤتمر الجزائر :

استمرت حركة عدم الانحياز عقب مؤتمر الجزائر فى تطوير منظورها الاقتصادى وتنظير ابعاده الراديكالية التى تهدف الى اعادة هيكلة النظام الاقتصادى الدولى . ففى اغسطس سنة ١٩٧٥ انعقد فى ليما المؤتمر الوزارى لدول عدم الانحياز . وكان الغرض من المؤتمر هو تحديد ملامح استراتيجية اقتصادية مشتركة للدول غير المنحازة ، ومتابعة قرارات مؤتمر الجزائر ، وتنسيق سياسات الدول غير المنحازة قبل انعقاد الدورة الاستثنائية السابقة للجمعية العامة للامم المتحدة التى خصصت لموضوع النظام الاقتصادى العالمى الجديد وقد اصدر المؤتمر « برنامج ليما للمساعدة المتبادلة والتضامن »[33] ويتكون البرنامج من جزئين يتناول اولها القضايا السياسية اما الثانى فانه يتضمن « عناصر استراتيجية لتقوية وحدة وتضامن البلاد غير المنحازة ، ولاقامة نظام اقتصادى دولى جديد » . ومن اهم ماتضمنه البرنامج هو النص على « اعادة هيكلة نظام التعاون الاقتصادى الدولى الذى صيغ فى اطار هيكل السيطرة الامبريالية الدولية ، وذلك فى ضوء النظام الاقتصادى الدولى الجديد » ، على ان يكون الهدف من النظام الجديد هو تقوية السيادة والهوية الاجتماعية والثقافية والقيم القومية للدول النامية مؤكدا حق السيادة للدول فى استعادة مواردها الطبيعية ، بما فى ذلك حق التاميم .... كما تضمن برنامج ليما « خطة عمل لتقوية تعاون تضامن والقدرة السلوكية للدول اللامنحازة والدول النامية الاخرى ولانشاء نظام اقتصادى دولى جديد ، تضمن معظم النقاط التى اتى عليها مؤتمر الجزائر .

فى اغسطس سنة ١٩٧٦ ، انعقد فى كولومبو المؤتمر الخامس لرؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة . وقد أصدر المؤتمر اعلانا اقتصاديا ، وبرنامج عمل للتعاون الاقتصادى[34] وقد تضمن الاعلان الاقتصادى لمؤتمر كولومبو عدة ابعاد رئيسية .

اولا : التغيير الهيكلى الجذرى للنظام الاقتصادى الدولى :

اكد الاعلان انه « لاشىء اقل من اعادة الهيكلة الكاملة العلاقات الاقتصادية الدولية الراهنة يمكن ان يوفر حلا دائما للمشكلات الاقتصادية العالمية وبالذات مشكلات الدول النامية . وطالب المؤتمر بخلق نظام اقتصادى دولى جديد قوامه ابعاد اساسية منها .

أ اعادة هيكلة نظام التجارة الدولية بأسره بربط اسعار صادرات الدول النامية بأسعار صادرات الدول المتقدمة وتحسين معدلات التبادل الدولى ، وضمان

---

(33) Ibid : 142 – 150 , 156 – 166

(34) Ibid : 194 – 210

اسعار حقيقية عادلة للمواد الاولية .... الخ .

ب اعادة هيكلة نظام الانتاج العالمي على اساس تقسيم جديد للعمل الدولي من خلال تمكين الدول النامية من تسويق منتجاتها الصناعية في اسواق الدول المتقدمة ، نقل التكنولوجيا الملائمة بشروط أفضل ، التنسيق بين انتاج المواد الاولية في الدول النامية وصناعات المواد الصناعية في الدول المتقدمة ، وضبط انشطة الشركات متعددة الجنسيات لكي تتلاءم مع مصالح الدول النامية .

ج التغيير الجذري للنظام النقدي العالمي بما يلغي الدور المسيطر للعملات الدولية في تكوين الاحتياجات الدولية ويضمن المساواة في اتخاذ القرار بين الدول النامية والدول المتقدمة .

د ضمانات نقل الموارد والتكنولوجيا الى الدول النامية على اساس مستمر ومحدد وكاف .

ثانيا : الاعتماد الجماعي على الذات هو الطريق لاقامة نظام اقتصادي عالمي جديد

وسع مؤتمر كولومبو من نطاق مبدأ الاعتماد الذاتي الذي أرسى اسسه مؤتمر لوساكا ، لكي يشمل اعتماد الدول النامية على بعضها البعض باعتباره « الطريقة الوحيدة التي تضمن انشاء نظام اقتصادي دولي جديد » وقد عرف الاعلان الاقتصادي ، الاعتماد الجماعي على الذات تعريفا ذي ابعاد ثلاثة فهي يعني اولا تصميم الدول النامية على ضمان حقوقها الاقتصادية المشروعة في معاملاتها الدولية « من خلال استعمال قوتها التفاوضية الجماعية » ، ويعني ثانيا استعداد الدول النامية ان تتبع طريق التنمية الاقتصادية والعدالة ، كما انه يعني اخيرا ، استعداد الدول النامية لان تستكشف بعض امكانات التعاون بين الدول النامية في المجالات المالية والفنية والتجارية والصناعية وغيرها .

من ثم يتضح ان مؤتمر كولومبو قد خطى خطوة اكبر مما ذهب اليه مؤتمر الجزائر في الطريق للمطالبة باحداث تغيير جذري في النظام الاقتصادي العالمي بحيث اصبح المنظور اللا انحيازي منظور راديكالي نظامي في الاساس . والواقع ان المؤتمر السادس لرؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة الذي انعقد في هافانا في سبتمبر ١٩٧٩ ، لم يذهب الى اكثر من تكرار المطالب والمناهج التي اتى عليها مؤتمر كولومبو : وبالذات التغيير الهيكلي للنظام الاقتصادي الدولي . وقد اكد « الاعلان الاقتصادي » ان « اي حل دائم لمشكلات الدول النامية يتطلب اعادة هيكلة جذرية ومتسقة للعلاقات الاقتصادية الدولية من خلال انشاء نظام اقتصادي دولي جديد » [٣٥] والجديد في مؤتمر هافانا هو اتفاق الدول غير المنحازة على سياسة مشتركة تتعلق بقضية الطاقة وذلك بتضامن الدول النامية المنتجة للبترول مع الدول النامية الاخرى لكي تتم بحث قضية الطاقة مع الدول المتقدمة لجزء معلوم « المفاوضات العالمية » حول كل المواد الاولية . بالاضافة الى استثمار الطاقة كاداة لتدعيم التعاون بين الدول النامية [٣٦]

عدم الانحياز الاقتصادي بين النظرية والتطبيق

لم يقتصر تحول حركة عدم الانحياز على مجرد تغيير المنظور الاقتصادي ، ولكنه امتد ليشمل تحول الحركة ذاتها الى لعب دور اقتصادي نشيط قوامه محاولة تعديل اولويات النظام الدولي ذاته بما يتوافق مع الأولويات الاقتصادية للدول النامية . بعبارة اخرى ، فان الحركة لم تتحول بذاتها فقط ، وابتداء ابتداء من ١٩٧٣ ، حولت النظام الدولي ذاته ، ممثلا في الامم المتحدة ومنظماتها ، نحو الاهتمام بقضايا الدول النامية ، كما انه من ناحية اخرى ــ اعطى الدول النامية دفعة راديكالية قوية للعمل المشترك .

على مستوى دول العالم الثالث ، قامت الدول المنتجة للبترول مستفيدة من المناخ الذي خلفته حرب اكتوبر ١٩٧٣ ومتأثرة بالمنظور الذي أرساه مؤتمر الجزائر ــ برفع اسعار البترول الى اربعة اضعاف ما كانت عليه . وقد نجحت دول اوبك في خلق تكتل اقتصادي للدول المنتجة للبترول استطاع الصمود في مواجهة الضغوط التي مارستها الولايات المتحدة لاجبار دول الاوبك على التراجع . وقد ادى الى أن دول الأوبك استطاعت ان تزيد دخولها من البترولية وان تحقق فوائض بترولية صافية بلغت ٢٩,٢ بليون دولار في عام ١٩٧٥ وحده . ، وفي فبراير ١٩٧٥ ، تم توقيع ميثاق ينظم العلاقات الاقتصادية بين ٤٦ دولة من افريقيا والكاريبي والاقليم الهادي ومن الجماعة

---

(٣٥) نص اعلان برنامج مؤتمر هافانا في

Final Declaration , Confernce of Heads of State or Government of Non - aligned Countries , 3 – 7 September , 1979 , Cuba.

(36) V. Zarkovic , « Re - assertion of the authentic principles of non - alignment » Socialist Thought and Practice , December 1979 : 29 – 30 .

الاقتصادية الاوروبية فى لومى . وينص الميثاق على حق الدول النامية الموقعة فى الوصول الى السوق المشتركة بدون اشتراط التبادل ، كما ينص على انشاء صندوق يضمن الثبات النسبى لدخول الدول النامية الموقعة على الميثاق من صادرات اثنى عشر مادة اولية . كذلك تكونت تجمعات دولية عديدة ، لمنتجى المواد الاولية وبالذات منتجى الحديد والبوكسيت على غرار منتجى البترول كما انعقد فى مارس ١٩٧٥ مؤتمر قمة لدول الأوبك . وقد اكد المؤتمر ان قضية الطاقة لا تمكن ان تعالج بعيدا عن المشكلة الاوسع وهى قضايا المواد الخام ، والنظام النقدى العالمى ، والتنمية .

على مستوى النظام الدولى ، قام الرئيس الجزائرى بومدين ، بصفته رئيس مكتب تنسيق مجموعة دول عدم الانحياز ، بالدعوة الى عقد دورة استثنائية للجمعية العامة للامم المتحدة لمناقشة قضية المواد الأولية والتنمية . وقد جاءت تلك الدعوة فى سياق محاولة الدول المستوردة للبترول للتكتل لصياغة استراتيجية مشتركة للرد على رفع اسعار البترول ، وبذلك نجحت دول عدم الانحياز فى وضع قضية رفع اسعار البترول فى الاطار الاوسع لقضية المواد الاولية بصفة عامة . وقد عقدت الدورة الاستثنائية فى ابريل ومايو ١٩٧٤ ، وكانت اول دورة خاصة توجه للقضايا الاقتصادية . وفى نهاية الدورة اصدرت الجمعية العامة وثيقتين : « اعلان حول اقامة نظام اقتصادى دولى جديد » ، وبرنامج حول انشاء نظام اقتصادى دولى جديد ، والواقع ان الاعلان والبرنامج كانا امتدادا للاعلان والبرنامج الصادرين عن مؤتمر الجزائر سواء من حيث المحتوى او حتى الصياغة .

وقد تاكدت مفاهيم الوثيقتين فى ميثاق الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول الذى اصدرته الدورة العادية التاسعة والعشرين للجمعية العامة فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٤ ، وهو فى جوهره ليس الا تقنينا لنظم المطالب الاقتصادية التى جاءت فى اعمال مؤتمر الجزائر .

فى فبراير ١٩٧٥ انعقد فى مدينة داكار بناء على اقتراح دول عدم الانحياز ، مؤتمر لمناقشة مسألة المواد الاولية .

وقد اصدر المؤتمر « اعلان داكار حول المواد الاولية » . وقد اعلن المؤتمر مساندته لمنظمة الاوبك كما قرر تكوين صندوق خاص لدعم صادرات المواد الاولية للدول النامية .

على مستى حركة عدم الانحياز ذاتها استمرت دول الحركة فى تطور سياساتها ومتابعة تنفيذ برامجها الاقتصادية وانعقد فى ليما المؤتمر الوزارى لدول عدم الانحياز فى اغسطس ١٩٧٥ . وكان الغرض من المؤتمر هو تحديد ملامح استراتيجية اقتصادية مشتركة للدول اللامنحازة ، ومتابعة تنفيذ قرارات مؤتمر الجزائر وقرارات مؤتمر داكار ، وتنسيق سياسة الدول اللامنحازة مثل انعقاد الدورة الاستثنائية السابعة للجمعية العامة للامم المتحدة . وقد قرر المؤتمر انشاء صندوق تضامن للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول غير المنحازة ومجلس لجمعيات الدول النامية المنتجة والمصدرة للمواد الأولية وكذلك انشاء الصندوق الخاص لتمويل الارصدة الاحتياطية للمواد الخام والمنتجات الأولية التى تصدرها الدول النامية وقد جاء انعقاد مؤتمر ليما مباشرة قبل انعقاد الدورة الاستثنائية السابعة للجمعية العامة للامم المتحدة . وقد اصدرت الجمعية العامة فى هذه الدورة توصية حول « التنمية والتعاون الاقتصادى الدولى » محددة الخصائص الرئيسية للنظام الاقتصادى العالمى الجديد :

وقد استمرت حركة عدم الانحياز فى لعب دور نشيط على مستوى الحركة النظامية الدولية للتأثير فى اولويات النظام الدولى . فلعبت دورا فى « مؤتمر باريس للتعاون الاقتصادى الدولى » من خلال مجموعة التسعة عشر التى مثلت الدول النامية فى المؤتمر . كما بدأت حركة عدم الانحياز تلعب دورا قياديا فى داخل مجموعة السبعة والسبعين مع تنسيق سياساتها مع المجموعة وذلك كما اتضح من خلال مؤتمر التعاون الاقتصادى بين الدول النامية « الذى انعقد فى المكسيك فى سبتمبر ١٩٧٧ انعقد المؤتمر الوزارى لمكتب تنسيق دول عدم الانحياز فى نيودلهى . وقد اتخذ المؤتمر مجموعة قرارات لتنفيذ ما جاء فى اعلان وبرنامج مؤتمر كولومبو ، فى كل المجالات الاقتصادية . وتلى ذلك انعقاد دورة اخرى للمؤتمر فى هافانا فى مايو ١٩٧٨ ، اصدرت عدة قرارات تنفيذية تضع موضع التطبيق قرارات مؤتمر كولومبو . كذلك بدأت دول عدم الانحياز بتنسيق سياساتها فى المجال الاقتصادى على اساس وظيفى . فانعقد على سبيل المثال فى تونس فى ابريل ١٩٧٨ مؤتمر وزراء عمل الدول الغير منحازة لتنسيق سياسات دول الحركة فى مجال علاقات العمل .

تحديات امام عدم الانحياز الاقتصادى فى الثمانينات :

بعد أن استعرضنا خصائص التحول الاقتصادى لحركة عدم الانحياز ، فأننا يمكن أن نتساءل عن مستقبل هذا التحول فى الثمانينات ، وعن الخدمات التى تواجها الحركة فى مجال العمل الاقتصادى .

لاشك أن طريق عدم الانحياز محفوف بكثير من القيود العالمية والذاتية التى تعرقل من قدرة الحركة على ترجمه مطالبها الى واقع . أهم هذه القيود هى طبيعة النظام الاقتصادى العالمى ذاته ، والذى يعطى

قوة اقتصادية هائلة للدول الرأسمالية . فهذه الدول تستأثر بحوالى ٦٤,٩٪ من الناتج القومى الاجمالى العالمى ، ولديها الكثير من المؤسسات القادرة على بلورة الاستراتيجيات الكفيلة باجهاض الحركة الاقتصادية اللاانحيازية . أضف الى ذلك ان القوة الاقتصادية الهائلة للنظام الرأسمالى تعطى الدول الراسمالية ذات المصلحة فى الابقاء على الخصائص الراهنة للنظام الاقتصادى العالمى ، قوة مقاومة هائلة للمطالب الاقتصادية اللاانحيازية ونريد من هذه المشكلة أن الدول اللامنحازة ذات القوة الاقتصادية وبالذات الدول ذات الفوائض البترولية ـ تتبع استراتجيات اقتصادية لاتخدم المطالب الاقتصادية اللاانحيازية ، ومن أهم تلك الاستراتيجيات هو الايداع النقدى للفوائض البترولية فى البنوك العربية مما يعنى تكريس القوة الاقتصادية للنظام الرأسمالى لذلك ، فالدول الاشتراكية لاشأن المطالب الاقتصادية للدول اللامنحازة فى حوار الشمال والجنوب . فالأتحاد السوفيتى يرفض دخول الحوار أصلا كما انه يتم مساعداته للدول النامية خارج اطار هذا الحوار تشكل مابين ٠,٠٣ ، ٠,٠٥٪ من الناتج القومى الاجمالى السوفيتى .(٣٧)

ولاشك أن كل تلك القيود تشكل تحديات ضخمة أمام الحركة الاقتصادية لعدم الانحياز فى الثمانينات . ومن ثم فان الحركة مطالبه بصياغة استراتيجية اقتصادية واضحة . وفى نظرى فان خبرة السبعينات تثبت أن مجرد المطالبه بتغير النظام الاقتصادى العالمى لايكفى لاحداث هذا التغيير ، وأن هذا التغيير يجب أن يأتى من داخل الحركة وبالاعتماد على الموارد الذاتيه للدول غير المنحازة وهذا مايثير قضية استراتيجية الاعتماد على الذات كاستراتيجية رئيسية لحركة عدم الانحياز .

عدم الانحياز واستراتيجية الاعتماد على الذات

الواقع أن المأزق الحقيقى الذى تواجهه حركة عدم الانحياز فى محال حركتها الاقتصادية هل الميل الى النظر الى التخلف على أنه حالة يمكن التغلب عليها بالمساعدات الاقتصادية أو باحداث تغييرات معينه فى النظام الاقتصادى العالمى .

فالتنمية هى أساسا عملية ذاتيه تحدث بالاعتماد على الموارد الذاتية سواء على مستوى كل من الدول اللامنحازة على حدث أو على مستوى التعاون الجماعى بين تلك الدول . وقد انتهت حركة عدم الانحياز الى تلك النتيجة منذ مؤتمر لوساكا ، ولكنها لم تعطها أولوية واضحة فى حركتها الاقتصادية ومن ثم ، فانه يمكن لحركة عدم الانحياز فى الثمانينات أن نركز على قضية الاعتماد على الذات والاعتماد الجماعى على الذات ، لمرور رئيس لحركتها الاقتصادية .

يقصد بالاعتماد على الذات اتباع استراتيجية قوامها التراكمى توظيف الموارد الذاتية فى اتجاه تحقيق التكامل بين القطاع الزراعى قطاع انتاج السلع الانتهاجية والاستهلاكية ، بحيث يتولد لدى الاقتصاد القومى قوة دفع نابعه من داخله وليس من قوى السوق العالمية ، وبحيث يزداد وزن القطاع الانتاجى فى الاقتصاد القومى على حساب قطاع التجارة الخارجية ولسنا هنا فى مجال الافاضة فى خصائص نموذج التنمية على أساس الاعتماد على الذات ، فهناك العديد من الدراسات التى تتناولت هذا الموضوع بالتفصيل(٣٨) ، ولكننا نكتفى بالاشاره الى بعض التجارب الناجحة فى العالم الثالث وفى دول عدم الانحياز ذاتها ، والتى استطاعت الاقلال من علاقات الشعبية الاقتصادية الدولية عن طريق التنمية الذاتيه ومن أبرز التجارب تجارب الصين الشعبية ، كوريا الشمالية(٣٩) وكينيا ، وتنزانيا . ففى كينيا مثلا رفع النظام شعار الاعتماد على الذات تحت اسم « حارمابى » Harambee كشعار مستمد من الذات الكينى ، وقدر أنه بين سنة ١٩٦٧ ، سنة ١٩٧٣ أسهمت مشروعات الاعتماد على الذات بحوالى ١١,٤٪ من الانفاق التنموى الكينى . وفى بعض القطاعات كقطاع الصحة وقطاع تنمية المجتمع فاقت جهود الاعتماد على الذات الجهود الحكومية .(٤٠) وفى تنزانيا ، فان تجربة الاعتماد على الذات هى أحد المعالم الرئيسية لتجربة التنمية وقد نجحت الى حد كبير فى الاقلال من الاعتماد على المتغيرات الاقتصادية الخارجية وتوليد قوى رفع ذاتية فى الاقتصاد التنزانى .(٤١)

---

(37) Stephen Larrabee, « The Soviet Union and the non - aligned. » World Today, 32 (12) December 1976 : 474.

(٣٨) فى تحليل خصائص مفهوم التنمية الذاتية راجع (سعد جمعة .. التنمية الذاتية واستراتيجيتها) (اشراف) د . محمد الجوهرى ، الكتاب السنوى لعلم الاجتماع العددالاول القاهرة ـ دار المعارف ، ١٩٨٠ : ٩١ ـ ١٠٦

Samir Aamin, « Self - reliance and the new international ecnomic order, » Monthly Review 29 (3), July - August 1977 : 1 - 21

(39) Self - Relaince and Independent National Economic Construction Radong Shinmoon, Organ of the Korean Workers, Party, Pecing, Foreign Languages Press, 1963.

اضف الى ذلك ، مفهوم الاعتماد الجماعى على الذات بمعنى تكثيف حجم المعاملات المالية والاقتصادية والثقافية بين دول عدم الانحياز . فمن الثابت أن حجم المعاملات بين تلك الدول أقل بكثير من حجم معاملاتها مع العالم الراسمالى .[٤٢] ويرجع ذلك الى مجموعة من العوامل الهيكلية الكامنه فى اقتصادات تلك الدول . بيد أنه من الممكن تكثيف حجم التعامل التجارى بين الدول غير المنحازة تدريجيا وفى اطار اقليمى والواقع أن تجربة مصر والهند ويوغوسلافيا سنة ١٩٦٦ تعتبر نموذجا هاما يستحق الدراسة التفصيلية ، وإن لم يقدر لهذا النموذج أن تتكامل أبعاده لأسباب متعددة

والخلاصة فان حركة عدم الانحياز فى الثمانينات تواجه تحديات اقتصادية ضخمة . هذه التحديات تحتم على الحركة التحول من مجال التعبير عن المطالب إلى مجال تنفيذ المطالب من خلال استراتيجية محددة فقد شهدت الحركة فى الستينات نوعا من العزوف عن الاهتمام بالقضايا الاقتصادية ، وفى السبعينات تحولت الى التعبير عن المطالب الاقتصادية فى اطار راد يكالى ، وهى فى الثمانينات مطالبه بصياغة استراتيجية اقتصادية لدول عدم الانحياز وفى نظرنا فان الاعتماد على الذات والاعتماد الجماعى على الذات تمكن أن يكونا محور تلك الاستراتيجية خاصة فى ضوء التطبيقات الناجحة لتلك الاستراتيجية فى بعض دول عدم الانحياز ولانقصد بذلك أن تعزف الحركة عن الاهتمام بقضية النظام الاقتصادى العالمى الجديد . فلا شك أن القيود الهيكلية الناشئه عن هذا النظام ستظل تؤثر سلبيا فى اقتصادات عدم الانحياز

ولكننا نقصد ان تقترب على الذات ذلك أن التركيز الشديد على مطالب حركة عدم الانحياز ازاء العالم الراسمالى قد صحبه قدر من التوقعات الهائلة عن قدرة هذه الدول على احداث تغيير جذرى فى هذا النظام ومن ثم استرخاء جهود التنمية الذاتية فى السبعينات .

(40) Philip Mbithi and R. Rasmussen, Self - reliance in Kenya : The case of Harambee Uppsala, The Scandnavian Institute of AFrican Studies, 1977 : 13 - 28.

(41) OKwudiba Mnoli, Self reliance and Foreign Palicy in Tanzania N. Y., NoK Publishers 1978 : 303 – 306.

(٤٢) يكفى ان نشير مثلا الى انه حسب احصاءات سنة ١٩٨٠ فان ٧٦٪ من التبادل التجارى اليوجوسلاق يتم مع اوربا مقابل ٨٪ ٩٪ مع اسيا وافريقيا على التوالى . كذلك لتبادل التجارى بين مصر ويوجوسلافيا لايشكل اكثر من ١,٥٪ من حجم التجارة الخارجية اليوجوسلافية .

قسم خاص [٣]



عدم الانحياز : الشمال والجنوب والجنوب والجنوب

بقلم : د . عادل بشاى
ترجمة ايناس فريد

ظهرت حركة عدم الانحياز لاول مرة عام ١٩٥٥ فى المؤتمر الافريقى الاسيوى المشترك بباندونج . ومنذ أن وصلت الى ذروتها فى عام ١٩٦١ توالت الاجتماعات كل ثلاثة أعوام (ما عدا عام ١٩٦٧) لمناقشة القضايا العالمية . وبعد مرور ربع قرن على مؤتمر باندونج أصبح عدد الدول المنتمية الى حركة عدم الانحياز حوالى ٩٢ دولة ، وذلك قد يكون وقت كاف لمراجعة الحسابات . وسوف أتجنب الخوض فى آرائى الخاصة فى هذه المرحلة لكى ابدأ بعرض وجهات النظر الشائعة فى الدوائر الاكاديمية والسياسية . وسنتعرض بعد ذلك الى قضايا عصرنا مثل قضية الشمال والجنوب

يزعم البعض أن عدم الانحياز تسمية غير صحيحة لدرجة انها تكتب بين قوسين . كما يؤكد بعض النقاد ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى هما الدولتان الوحيدتان المتبعان لسياسة عدم الانحياز بل ان الحركة ماهى الا انحياز وتضامن من داخل الجنوب .

ويقول أخرون اننا لانحتاج الى حركة عدم الانحياز لنثبت وجود الجنوب ولكن الجنوب ككتلة موجودة بدون عدم الانحياز . ويؤكد قليل من النقاد أن الجنوب قد يتمسك بمثاليات عدم الانحياز ولكنها لعبة مختلفة — انها « الكريكيت » وليست كرة القدم .

وقد نتساءل : ماذا يحدث فى حركة عدم الانحياز ؟ وماتبقى منها ؟ هل الذين أجتمعوا فى باندونج كانوا يحلمون ؟ لكى نجيب عن هذه الاسئلة لابد ان نتذكر ما حدث فى ذلك الحين حيث أن المؤسسين لهذه الحركة كانوا يحاولون ان يحققوا الهدفين التاليين :

١ — تكوين منطقة عازلة من الدول غير المنحازة لمقاومة الضغوط الخارجية التى تحاول ان تدفع تلك الدول الى أخذ موقف فى صراع الحرب الباردة .

٢ — خلق نفوذ سياسى عالمى للتعجيل بعملية تصفية الاستعمار .

ولم تكن آمال زعماء الحركة مجرد آمال قومية ولكنها كانت ايضا آمال تتسم بالواقعية وبرغم من اعتراف هؤلاء الزعماء بوجود عناصر اختلاف بينهم ، فقد اكدوا معا ان قوة الحركة تنبع من وحدتها ، وهذه الوحدة ممكنة برغم الخلاف ، لذلك فهم يعتمدون على الاجماع بدون اتباع نظام للتصويت فى اتخاذ قرارات الحركة . كما أنهم ضد فكرة بناء اطار تنظيمى رسمى أو سكرتارية تنظيمية حتى لا تؤثر سلطة الأفراد على أهداف الحركة الحقيقية

وفى الخمسينات تحولت المباراة العالمية من مجرد مباراة ثنائية اى من مباراة قاصرة على الشرق والغرب الى مباراة يدخل العالم الثالث طرفا فيها

كان عدم الانحياز فى مراحله الأولى يهدف الى وضع العالم الثالث على بعد متساو من الشرق والغرب لكى يمثل « اللا اهتمام الجماعى » بمنازعات وخلافات ، وفى ذلك الحين ادرك العالم الثالث ان باستطاعته طلب المساعدات من دولة عظمى وفى نفس الوقت فانه قادر على الاتجاه الى أخرى لكى يجدها مستعدة اتم الاستعداد لتقديم المساعدة وقد تحقق ذلك عندما أعلن جمال عبدالناصر تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ . فقد وجد كل من الاتحاد السوفيتى والولايات بجانبه ، وهو ماكان مفاجأة لناصر نفسه .

وتختلف فترة الستينات عن غيرها فى اثناء الفترة التى شهدت الازمة الكوبية وهى الفترة التى اختفى

فيها خروشوف وكيندى باتجاهاتهما السياسية المختلفة من المسرح العالمى وحلت محلهما حكومات يسيطر عليها التكنوقراط . ولكن ما موقف دول العالم الثالث فى تلك الفترة ؟ يبدو ان القوى العظمى لم تتفهم سياسة عدم الانحياز لدى العالم الثالث ولكنهم حاولوا تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بيد أن ذلك لم يؤثر على زعماء العالم الثالث الذين قاموا بزيادة العضوية فى حركة عدم الانحياز كما انهم ادركوا كل الادراك مدى أهمية القضايا الاقتصادية . وقد تأسست فى عام ١٩٦٤ جبهة جديدة بداخل نظام الأمم المتحدة وهى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية . ونتج عن اجتماع مجموعة الـ ١٧ عام ١٩٦٧ بالجزائر الدستور الذى أحتوى على ما اعتبر فيما بعد اساسا لنظام اقتصادى عالمى جديد يدعو الى رفع اسعار المواد الخام وزيادة تدفق السلع المصنوعة من الدول النامية الى الدول المتقدمة وهذا بجانب تحويل الثروة خلال المساعدات الرسمية .

شهدت السبعينات عددا هائلا من الحوارات والمؤتمرات ، ذلك بالاضافة الى الاجتماعات العادية لدى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى كما تضخمت ظاهرة الحوار الدولى حول مشكلة التخلف فى العالم الثالث ؟

وتجذب بعض الاحداث الهامة الانتباه فى وسط ذلك الخضم العالمى . فمنذ فجر السبعينات بدأ الغرب يعانى من نوع من التضخم غير المعروف حتى الآن وهو التضخم الركودى أى مزيج من التضخم والكساد . وانتهى عصر ازدهار العمالة الكاملة ، الذى جاء ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث اتسمت البطالة فى الغرب ليصل عدد العاطلين الى ٢٠ مليون فرد ، بالاضافة الى حوالى ٣٠٠ بليون دولار من الموارد غير المستخدمة . ومن الجانب الأخر ، تبدو لنظريات التنمية الاقتصادية التى ظهرت منذ الخمسينات ، عاجزة عن حل المشكلات . ثم لما بدأ الاتحاد السوفيتى يستورد كميات كبيرة من الحبوب . واذا لخصنا كل هذا فى كلمة واحدة نجد ان العالم استيقظ فجأة على حقيقة ان هناك أزمات جديدة لم تكن موجودة فى الحقبة الماضية .

على المستوى العالمى تحولت المباراة العالمية الى مباراة بين الشمال والجنوب اى الى مباراة ثنائية بدلا من المباراة الثلاثية . وأصبحت القضايا الاساسية هى القضايا الاقتصادية .

لقد كانت حركة عدم الانحياز فى أيامها الاولى مشغولة بقضية الاستقلال السياسى ، فاكدت الدول استقلالها فى تلك الايام وتكونت « الاوبيك » فى أواخر الخمسينات . ونجحت مجموعة من الدول النامية فى السبعينات فى استخدام سلطة معينة للتأثير على الاخرين فى المجال الاقتصادى والسياسى . وفى المجال السياسى دافعت تلك المجموعة عن مصالح الدول النامية غير المنتجة للبترول . وقد توافق هذا كله مع العجز الشديد فى انتاج المحاصيل الزراعية الاستوائية مما أدى الى ارتفاع اسعارها . بصفة عامة وبالنسبة للجنوب فان القضية لم تعد مجرد الاعلان عن الاستقلال بل التعبير عنه . لقد حولت القضايا الاقتصادية واختفاء الحرب الباردة الاتجاه نحو قضية المواجهة بين الشمال والجنوب .

قد يكون من الصعب تحليل النقطة المفاجأة للعالم عن السبعينات ليجد العديد من الأزمات . ولكن من الممكن تحليل أسباب تلك الأزمات . وبرغم من أن العالم يتحرك ويعمل كسوق وليس كمجتمع فان حركة السوق العالمية ليست مرضية . وقد خرج العالم من الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ليجد أن الولايات المتحدة واوروبا والاتحاد السوفيتى قد استحوذوا على ٨٠٪ من الثروة العالمية مع انهم يمثلون ٢٠٪ من عدد سكان العالم . كذلك وتزايدت التجارة فى السوق العالمية بمعدل ١٠٪ سنويا ، ورغم ذلك لم يحدث أى تغير فى ميزان القوى الاقتصادى . ففى عام ١٩٧٠ استمر الحال كما كان عليه سنة ١٩٥٠ حيث الاسواق « الغنية » تملك ٨٠٪ من الثروة العالمية لدى ٢٠٪ من عدد سكان العالم . بدأ العالم يدرك فى السبعينات ان المشكلات العالمية لايمكن ان تحل باللجوء الى أسلوب السوق الخالصة وبدون اللجوء ايضا الى أسلوب « المجتمع » . وسوف نعود الى فكرة « المجتمع » بعد حين ولكننى اريد ان أوضح دور عدم الانحياز فى هذه المعادلة تنهض فكرة عدم الانحياز على مفهوم مقاومة ضغوط العملاقين على الدول الصغيرة للانحياز الى أى منهما ، والدخول فى اتون الحروب . بيد أنه فى السبعينات لم تعد الحروب تشكل خطرا قويا ولكن ظهر خطر آخر وهو الخطر الاقتصادى . وأكدت حركة عدم الانحياز أهمية تضامن دول العالم الثالث كأداة لمواجهة الأخطار القادمة من الشمال . وما أريد أن أبرزه هو ان شعارات عدم الانحياز تستمر مع تغير الأحداث واختلاف معدلات العرض والطلب ولكن معنى تلك الشعارات يتغير فنحن لانتوقع ان يستمر معناها الأسبق مع عالم متغير .

واذا اتخذنا التجارة كمثل نجد أن سلطة الشركات العالمية اصبحت مشكلة بجانب المشكلات المعروفة فى التجارة بين الدول النامية والمتحضرة . وتتحكم تلك الشركات فى التجارة العالمية لمعظم السلع ، فهم يقومون بتسويق مابين ٧٠٪ و ٩٥٪ من صادرات الدول النامية . ٧٠٪ من الموز والارز والمطاط وما بين ٩٠٪ و

٩٥٪ من الكاكاو والتبغ والقمح والقطن والجوت والنحاس والحديد الخام والالمونيوم . وتحصل الدول المنتجة على نسبة قليلة من الربح الناتج من بيع السلعة فى الدول المستهلكة لها . وترجع زيادة الصادرات المصنعة من الدول النامية الى التعاقدات الفرعية العالمية مع الشركات الدولية وليس الى التنمية الصناعية فى الدول النامية .

ان القضية الاساسية فى حوار الشمال والجنوب هى سوء أداء النظم الاقتصادى العالمى سواء بالنسبة للشمال أو الجنوب سويا ، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء دينامية التطورات الاقتصادية فى العقود القليلة الأخيرة . وقد أسهم بعض الكتاب ، مثل برجستن وديبرى وغيرهم ، فى الدعوة الى تعديل النظام الاقتصادى العالمى ، وذلك قبل تبلور قضية الشمال والجنوب . الفكرة الاساسية هى ان القضايا الاقتصادية أصبحت تمثل مسئولية مشتركة للمجتمع العالمى ككل . فقد ازداد احتياج الدول المتقدمة لاسواق ومواد خام الدول النامية ، إذ تذهب ثلث صادرات امريكا الشمالية واوروبا الغربية ونصف صادرات اليابان الى العالم الثالث . وذلك يعنى ان ما يحدث فى الدول الفقيرة ينعكس بقدر كبير على الدول المتقدمة . كذلك فانه من المتوقع ان يحدث ٩٠٪ من الزيادة السكانية العالمية المتوقعة فى العقدين القادمين فى العالم الثالث .

وبجانب عدم شيوع الثقة بين الشمال والجنوب ، فالجنوب يرى ان الهدف الاساسى لدى الشمال هو المحافظة على النظام الاقتصادى العالمى الحالى مع بعض التغيرات الطفيفة ويشعر الشمال انه مهما تكن قضايا الدول النامية فهى قضايا ذات طبيعة سياسية بالاساس لذلك ، فان هناك مصالح مشتركة وأخرى مختلفة بين دول الشمال والجنوب . بيد انه هناك ترابطا وثيقا بينهما بحيث انه اذا حاول احداهما حل مشكلاته بمفرده سيكون له أثره المضاد على الآخر . على سبيل المثال ، يؤدى التكيف فى الدول المتحضرة الى زيادة للحماية والاهتمام بالشئون الداخلية ، ولكنه فى الدول النامية يؤدى الى التقشف الشديد واذاتسـ-لنا لماذا لايمارس العالم الثالث التكيف المكثف ؟ نجد ان هناك عوائق كثيرة . وتعتبر تكاليف التكيف باهظة ولا تملك الدول النامية الامكانيات التى تؤهلها لممارسة البدائل المختلفة . وعندما تبدو البدائل مجرد مخاطرة تصبح السياسة المتبعة لا سياسة ومع ذلك لم يكن موقف الشمال أو الجنوب صوابا تجاه حوار الشمال والجنوب . ولكى يكون الموضوع أكثر وضوحا دعنا نبحث فى قضايا الشمال والجنوب ، ونبدأ بالجنوب .

يبدو ان الجنوب لم يتحقق بوضوح من أهداف الحوار . . فهناك وجهتين من النظر : الأولى تدعو الى منح امتيازات على المدى القريب والثانية تدعو الى التغير الهيكلى على المدى البعيد . بينما تكتفى المجموعة الاولى بزيادة المساعدات والامتيازات التجارية وتخفيض الديون ، ترى المجموعة الثانية ان كل هذا يؤدى الى التأخر والاعتماد على الدول الاخرى بدلا من التقدم والاستقلال . لذلك لاتوجد استراتيجية محددة لدى الجنوب بسبب الاختلاف بين الرأيين .

لم تتنبه الدول النامية الى ان الاصلاح الداخلى أهم من تغيير النظام العالمى فى جلب الرخاء لشعوبها . وقد يؤدى الاصلاح الداخلى مع مرور الوقت الى تغير خارجى وذلك سيقوى موقف الجنوب نحو القضية .

لقد أظهر الجنوب « سذاجة » سياسية فى الدعوة الى نظام اقتصادى عالمى جديد ، حيث لايخدم النظام المطلوب مصالح الشمال بالقدر الكاف ان النظام الجديد لابد من البداية ان يقوم على حاجة عالمية ، فيدرك كل طرف منهما ان اتباع السياسات الذاتية تأخذ شكل حلول جزئية مع مكاسب قصيرة المدى . كما ان تكاليف التكيف سوف تزداد وتتأخر ، لذلك سيصبح الحل على المدى البعيد أكثر تعقدا للطرفين . وبالاضافة الى هذا دخل الجنوب الحوار بدون استعداد كاف او تنسيق كامل .

واخيرا ، فقد أخطأ الجنوب فى اعتقاده ان الشمال سيمنحه نظاما جديدا . ولم يتنبه ان ذلك النظام لابد ان ينبع من مجهوداته الخاصة فى زيادة التنمية والاصلاح الداخلى .

كان كل هذا عن موقف الجنوب ولكن ماذا عن الشمال ؟

أولا ، ظن الشمال ان النظام الجديد هو مجرد مطلب للعالم الثالث لذلك لم يعط أى أهمية لهذا المطلب . ثانيا ، انشغل سلسة الشمال بتقديم الحلول العاجلة لمشكلات ومن ذلك مشكلة الركود والتضخم والبطالة ، التى تزايدت على قائمتهم اليومية . نتيجة لهذا ، ارتكب الشمال خطأ عندما اعتقد انه بدون الجنوب سيجد حلولا لمشكلاته الاقتصادية القصيرة الاجل . وأخيرا ، حتى اذا أدرك الشمال ان هناك حاجة الى تغير هيكلى على المدى البعيد ، فمن الطبيعى ان يحاول تأجيل التكيف لان الميزات النسبية تتغير باستمرار ، لذلك يعتبر رد الفعل العاجل هو حماية المصانع والمناطق الكاسدة خوفا من البطالة والاضطراب الشعبى . لقد تم رهن التغيرات طويلة المدى من أجل النفع المباشر وأصبحت النتيجة وقوع الطرفين فى مأزق بدون اى محاولة حقيقية الى الاعتماد المتبادل بينهما .

وفى ضوء الاحداث الجارية فانى واثق ان التقدم يمكن ان يسود اذا بدأ الشمال والجنوب بقائمة سهلة القياد ، لذلك اقدم اقتراحا وليست خطة . انى اعتقد ان القائمة السهلة القياد تفوق بكثير القائمة المعروفة التى تنتهى بالمغالاة والنصائح ، عندما يصبح كل شئ مجال للكلام بينما تتوقف الامال عند هذا الحد .

ان البداية بالقائمة السهلة القياد تعنى البداية بنموذج واحدا على سبيل المثال الغذاء ، انه حاجة عالمية وليست قابلة للنزاع . فلاتحتاج هذه المرحلة الى تفلسف وجمل مبهمة . ان المجتمع العالمى سيبدأ فى تحديد المناطق ذات المسئولية المشتركة وسيقدم الاقتراحات والاستنتاجات لكى يتم تقييمها بمعايير واضحة ومؤهلة لاتخاذ موقف عاجل . سيدرك الشمال أن الامن الغذائى يختلف تماما عن أمن السوق . ولابد على الجنوب ان يواجه حقيقة مشاكلة المحلية التى لاتحل عن طريق النظم الجديدة والعالم الجديد . ولابد ان نبحث فى موقف الزراعة ـ لماذا ينخفض الانتاج الزراعى انخفاضا مستمرا ؟ فالجزائر كانت مصدرة للقمح والان تمثل الحبوب ثلثين من وارداتها ، وانخفضت الزراعة الايرانية انخفاضا ذريعا ، كما أن اندونسيا كانت تزرع الارز بقدر كاف والآن يعتبر من وارداتها الهامة ، وزائير كانت تصدر الغذاء والآن تصرف ثلث عائداتها من الصادرات على استيراد الغذاء .

هذه كانت بعض الأمثلة التى تجبرنا بنا الى ضرورة ملحة هامة وهى الحاجة الى « اقتحام أفقى متبادل » أو الحوار بين الجنوب والجنوب . اذا تضامنت دول الجنوب ستتمكن من حل مشاكلها ولكن لابد ان تزداد معرفتهم ببعض حتى تزدهر التجارة بينهم . ان معظم الاتصالات الثقافية والاقتصادية لدى العالم الثالث تتجه نحو اوروبا وامريكا وروسيا . ان العالم الثالث فى حاجة الى تقوية الصلات بين مجتمعاته حتى تتمكن من مواجهة التحديات فى أوطانهم . وبالرغم من ظهور بعض التجمعات الاقليمية الاقتصادية ، فان أهمية التجارة بين الدول النامية قد انخفضت نسبيا فى الفترة بعد الحرب العالمية الثانية .

فبينما زادت صادرات العالم الاجمالية بمعدل ٨,٦٪ سنويا بين عامى ١٩٥٥ الى عام ١٩٧٦ ، زادت صادرات العالم الثالث فيما بينه بمعدل ٥,٩٪ سنويا فقط . بالاضافة الى ذلك ، لاتوجد دراسات على مدى تعاون الجنوب فيما بينه ، مما يشير انه لاتوجد رغبة كافية لدى الدول النامية لتحقيق التقدم المطلوب فى التجارة بين الجنوب والجنوب .

ونرى من خلال وجه النظر السابقة ، ان حوار الشمال والجنوب سيصبح له اطار واضح ، فنجد ان المصطلح [شمال وجنوب] يرجع الى ان كل طرف يعرف نفسه من خلال الطرف الآخر ، فيطلق الشمال على نفس هذا الاسم لان هناك جنوب ، والعكس صحيح . وقد جاء الوقت لكى يعرف كل طرف نفسه باسمه هو ، ويؤكد عدم الانحياز حتى الآن اهمية الاستقلال والاعتماد على النفس . ان التضامن بين الجنوب والجنوب سيؤدى الى الاستقلال الجماعى ، وهو قريب جدا من عدم الانحياز . ولابد ان تمنح حركة عدم الانحياز المظلة السياسية لذلك التضامن والا تلقى عليها الشكوك بسبب المشاكل المتعددة . وتعتبر جميع التقارير التى كتبت عن سقوط الحركة غير صحيحة لان العالم الثالث مازال يؤيد الحركة ، فوجودها كل هذا الوقت يبرهن على ذلك واليوم يتزايد تأييد العالم الثالث للحركة مع زيادة عملية الاستقطاب ولاشك ان حركة عدم الانحياز ستؤكد نفسها فى عالم جميع قراراته فى القضايا الاقتصادية ما هى الا قرارات سياسية تحتاج الى التوزان السياسى الذى يخلقه وجود الحركة . □

قسم خاص [٤]

نحو استراتيجية اقتصادية لحركة عدم الانحياز

بقلم : بوزيدار فرانجية
ترجمة : جابر سعيد عوض
نبيه الاصفهانى

١ - ليس فى نيتى هنا ان اتناول تاريخ وتطور الكفاح الذى قادته دول عدم الانحياز وغيرها من الدول النامية من اجل تسوية مشاكل التخلف الاقتصادى ومن اجل تغيير العلاقات الاقتصادية والسياسية الدولية غير العادلة وبالتالي لن اتناول تاريخ وتطور مفهوم دول الانحياز عن النظام الاقتصادى الدولى الجديد . ولكنى اود اساسا التوضيح بأن المبادىء التى يرتكز عليها مفهوم النظام الاقتصادى الدولى الجديد وكذا ميكوناته هى النتيجة للتطور المستمر الذى حدث فى تحرك دول عدم الانحياز .

فان حركة عدم الانحياز كانت دائمة التكيف بالظروف وبالمتطلبات التى يطرحها الكفاح من اجل التحرر الاقتصادى ومن اجل اقامة علاقات اقتصادية وسياسية على اسس من المساواة . ولكنه . فى اطار هذا التطور وهذا التكيف بالظروف المتجددة . فان الحركة فى ممارستها العملية لم تكن تقودها اهداف سياسية ذات المدى القصير بل انها فى تحركاتها كانت دائما ترتكز على المبادىء الاصيلة والاهداف البعيدة المدى النابعة عن سياسة عدم الانحياز .

٢ - ان هذا الكفاح من اجل اقرار نظام اقتصادى دولى جديد . قد شرعت فيه دول عدم الانحياز وكذا دول نامية اخرى . ذات انظمة اجتماعية وسياسية متباينة . هذه الدول كانت تتطلع - ومازالت - الى تحقيق اهداف ومصالح مشتركة واضحة للغاية - تغيير النظام الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية ولكن دون التطرق الى طبيعة هذا النظام الجديد او الى طابعه الاجتماعى والاقتصادى . فقد التفت هذه الدول حول هدف : وهو ادخال تعديلات فى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية . وذلك لصالح جميع الدول ولصالح الاقتصاد العالمى . بهذا المعنى فان فكرة النظام الاقتصادى الدولى الجديد كانت مطروحة فى شكل «اطار منظم للمؤسسات الدولية وللسلوك الذى يجب ان يحكم العلاقات الدولية » بالنسبة للمرحلة التى وصلت اليها التنمية الاجتماعية والاقتصادية العالمية . وان تقارب الاهداف والمبادىء التى سيقوم عليها هذا البناء الجديد مع المبادىء التى قامت عليها العلاقات الاشتراكية لايعدل بأى شىء القرار الاساسى . بهذا المعنى . فان فكرة اقامة نظام اقتصادى دولى جديد يثير تطلعا وهو ضرورة الغاء وتصفية الاستغلال الاستعمارى الجديد وكذا السيطرة الامبريالية وفى نهاية الامر اقرار العدل والمساواة على الصعيد العالمى .

٣ - من خلال التعمق المتواصل لمفهوم النظام الاقتصادى الدولى الجديد ، فـانه على دول عدم الانحياز وكذا الدول النامية الاخرى ان تتبنى معالجة اكثر واقعية خاصة فيما يتعلق بمرحلة تحقيق هذا النظام .

فانه من الخطأ اعتبار هذا النظام الجديد المنشود فى شكل نظام متكامل ومنسق ، لامن حيث الاهداف ولامن حيث كيفية تسيير الاقتصاد العالمى . كذلك من الوهم التصور بان هذا النظام الجديد يمكن ان ينشأ من خلال ممارسات عملية دون الارتكاز على فكرة اكثر شمولا للاهداف وللمبادىء ولانماط التسيير .

٤ - من منطلق هذا الكفاح يمكن استخلاص استراتيجيتين اساسيتين : الاولى تتفق مع التطلع الى الاعتماد الجماعى على النفس وهذا يعنى الضرورة فى احداث اشكال وبنيات جديدة للعلاقات الاقتصادية المتبادلة بين الدول النامية . اما الثانية فهى تستوجب

التركيز على تحديد قاعدة مشتركة للتعديلات الجوهرية التى يجب ان تجرى داخل نظام العلاقات الدولية الغير متكافئة القائمة بين الدول المتقدمة والدول النامية . هذه الاستراتيجية تشتمل على عنصرين اساسيين : مزيد من الاعتماد على الامكانيات الذاتية من اجل الاسهام فى دعم مواقف الدول النامية عند التفاوض على الصعيد الدولى . وان تحسين الموقف الدولى للدول النامية يفترض بعض الشروط المسبقة لتنمية صور جديدة للتعاون المتبادل بين الدول النامية .

٥ ـ فيما يتعلق بالجوهر وبالمفاوضات وبصفة خاصة باختيار الاسئلة الاساسية للاستراتيجية الشاملة من اجل التنمية فان دول عدم الانحياز والدول النامية الاخرى تؤيد النظرية الخاصة بوجود تكامل على المدى الطويل بين مصالح الدول المتقدمة ومصالح الدول النامية وهو التكامل الكفيل وحده باحداث تغيير حقيقى فى بنيات العلاقات الاقتصادية الدولية .

٦ ـ على دول عدم الانحياز والدول النامية الاخرى ان يتضمن مفهومها الاستراتيجى مراعاة ضمان التناسق بين الحلول التى تراها ممكنة فى المجالات الآتية : المالى النقدى والتجارة الدولية والطاقة والمواد الاولية والزراعة والتغذية والتصنيع والتنمية . فان الاعتماد والتكيف المتبادل للحلول المعتمدة فى هذه المجالات يشكل الاختيار الرئيسى الذى يجب به معالجة المشكلات العالمية التى تمثل جوهر النظام الاقتصادى الدولى الجديد

لهذا ، ومن منطلق هذا المفهوم الاستراتيجى ، عند تحديد الاستراتيجية والتكتيك التى ستلجأ اليهما دول عدم الانحياز والدول النامية الاخرى ، من اجل التفاوض على الصعيد العالمى ، سنبدأ باقرار ضرورة وهى صياغة نوع من المعالجة الشاملة والمتكاملة . فمن البديهى ان لدى الدول النامية مفهوما يتمثل فى طرح العديد من المسائل الاستراتيجية الاساسية تتعلق بالمجالات الاكثر اهمية عند التفاوض من اجل نظام اقتصادى دولى جديد . ولكنه مثل هذا الامر ليس موضوع هذا العرض .

٧ ـ ان اساس الاستراتيجية التى وضعتها الدول النامية ترتكز على هذه الفكرة وهى ان التحقيق التدريجى لمثل هذا النظام الجديد يستوجب اقامة حوار فعال والشروع فى مفاوضات بين الدول المتقدمة والدول النامية . فان اى معالجة اخرى لن تؤدى الا الى تأجيل التسوية للمشاكل المتراكمة .

٨ ـ فمن وجهة نظر دول عدم الانحياز والدول النامية الاخرى ، إن طريق المفاوضات هو البديل الوحيد المطروح لتفادى تصدع الاقتصادى العالمى والعلاقات الدولية الى حد تشكيل تهديد على المدى الطويل للسلام والاستقرار العالمى . ولكن من جهة اخرى ان الضرورة فى التحرك واحراز تقدم من اجل تفادى الاسوأ لايمكن ان يتسم بالتردد . ذلك لان الدول المتقدمة تحاول تجميد العلاقات القائمة اكبر مدة ممكنة وبالتالى فان التعاون لاينفى المواجهة . وان المطالبة بالتفاوض لايعنى بالنسبة لدول عدم الانحياز والدول النامية البقاء فى ركاب الاستراتيجية والتكتيك التى تضعها الدول المتقدمة .

٩ ـ وقد كثر التساؤل حول امكانية اقامة حوار متكافىء بين اطراف غير متعادلة فان الشمال يأتى الى المفاوضات من منطلق مواقف تشهد بقوته الاقتصادية وهيمنته على الانفتاح والمبادلات التجارية العالمية . وكذلك من منطلق الطرف الذى يملك نظام العلاقات الاقتصادية الدولية باهم مؤسساتها واجهزتها وهو نظام تعمل الدول المتقدمة الغربية على تطويقه وفقا للمفهوم الذى لديها عن « نظام اقتصادى عالمى مجدد »" .

وفى مواجهة هذه القوة الاقتصادية والسياسية الهائلة يقف عالم عدم الانحياز وكذا الدول النامية الاخرى وهو عالم كان يعبر عن وحدته كلما اختص الامر المطروح بمصالحه الاقتصادية المشتركة .

هذه القوى السياسية والاقتصادية التى اصبح يملكها العالم قد بدت خلال العشرين سنة الماضية .

وفى سعيها الدائم من اجل اقامة حوار ايجابى مع الدول المتقدمة ، فان دول عدم الانحياز والدول النامية الاخرى قد خلقت من خلال اعتمادها الجماعى على قدراتها الذاتية ومن خلال وضع قاعدة مشتركة للتعديلات الجوهرية التى يجب ان تجرى داخل نظام العلاقات الدولية الشروط المسبقة والمتكاملة للاطار وللبنيات الجديدة التى يجب ان يقوم عليها التعاون الدولى وبذلك فقد دعمت مركزها التفاوضى على الصعيد الدولى .

١٠ ـ على هذا الاساس ، ومع مراعاة الوضع الحالى الذى يسوده عدم المساواة الاقتصادية فان موضوع ايجاد المنابر والمنتديات اللازمة للتفاوض يكتسب اهمية جوهرية بالنسبة للدول النامية . فان طرح المفاوضات على كافة المستويات وحول كافة المشاكل داخل الامم المتحدة يمنحها الضمان اللازم ويشكل الشرط المسبق والاساسى لكى تتم المفاوضات على اسس اكثر عدالة وتكافؤ .

١١ ـ ولاشك ان الكفاح من اجل نظام اقتصادى دولى جديد يتضمن مفهوما اوسع من تناول مضمون واهداف المفاوضات الشاملة .

المفاوضات الشاملة تحتل دون شك مكانة خاصة كما يمكن ان تمثل مرحلة ذات اهمية خاصة وغير عادية .

قسم خاص [٥]



حركة عدم الانحياز وأزماتها المعاصرة

بقلم : بويانا تابيتش
ترجمة : حسين عبد الغنى

تمر حركة عدم الانحياز بمجموعة من الازمات والتحديات المعقدة والمتناقضة ، باعتبارها جزءا من النمط العام للعلاقات الدولية . اهم هذه التحديات هو ذلك الحجم الهائل من الصراعات الاقليمية بين دول عدم الانحياز . والواقع ان وجود مثل هذه الصراعات ظاهرة طبيعية فى حركة سياسية بمثل هذا الاتساع وعدم التجانس . اضف الى ذلك ان اعتراف بعض الدول بفكرة عدم الانحياز هو اعتراف كاذب حيث ان تلك الدول تحاول تعديل مضمون عدم الانحياز بحيث تؤكد على مبادىء معينة لا تعكس جوهر الحركة ، وتنبذ الأفكار الاصيلة لعدم الانحياز . ومن ذلك اتجاه بعض الدول الى التاكيد على هوية عدم الانحياز المعادية للاستعمار والتفرقة العنصرية ، وتجاهل جوهر عدم الانحياز وهو الا انحياز لاى من الكتلتين . ومن ذلك ايضا ادخال مفهوم الحلفاء الطبيعيين الى مفهوم عدم الانحياز ، او الاصرار على الاحتفاظ الصارم بمسافة متساوية من كل من العملاقين بحيث يحل نوع من الحياد السلبى محل عدم الانحياز . بالاضافة الى ذلك ، تثير مسالة اتساع عضوية حركة عدم الانحياز مشكلة اخرى . فبالرغم من ان اتساع العضوية هو احد المصادر الرئيسية لقوة الحركة الا انه ايضا خلق مشاكل معينة داخلها . فالاعضاء الجدد يزيدون من حجم المشاكل والقضايا الخلافية التى يتعين على الحركة ان تدلى بدلوها فيها ، الى انهم يؤدون الى تعقيد قضية التنسيق والعمل المشترك كذلك ، فهم يطالبون الحركة بمساندتهم فى قضاياهم ، دون ان يلزموا انفسهم بتنفيذ قرارات الحركة اللهم الا القرارات الاجرائية

ولذلك نلاحظ ان تاثير حركة عدم الانحياز فى العالم المعاصر مازال محدودا ذلك ان تركيز انتباه المركز على القضايا الخلافية الثنائية بين الدول الاعضاء قد صرف نظرها عن القضايا الدولية الاساسية ذات الصالح العام للحركة والتى يمكن بلورة اجماع بشانها بطريقة ايسر . وهذا يفسر لنا سر الادراك المتزايد داخل الحركة لمحدودية قوتها الذاتية وكضرورة التعاون مع القوى الديمقراطية والتقدمية فى جميع انحاء العالم ، كطريق لتجسيد رؤيتها للعالم ، بيد ان الحركة لم تستطع بعد ان تخلق اسس هذا التعاون

ووسط هذا الخضم من الازمات ، تظل الازمة الرئيسية داخل الحركة تتمثل فى ذلك الصدام بين مجموعة الدول التى تسعى لفرض موقف اكثر عداء للغرب والصين وربط الحركة بالمعسكر الاشتراكى ، وتلك المجموعة التى تصر على الموقف المستقل وغير المنحاز للحركة

ويرى انصار الاتجاه الأول ان تزايد تدهور الموقف الدولى يرجع الى سلوك الدول الغربية بينما يرى انصار الاتجاه الثانى ان ذلك يرجع الى الصراع بين العملاقين وتزايد اللجوء الى سياسة القوة والتدخل فى الشئون فى الداخلية للدول الاخرى

ولقد افرزت عملية توصيف الوضع الدولى الحالى ، ازمة أخرى داخل حركة عدم الانحياز ، تتعلق بتقييم سياسة الانفراج الدولى على الرغم من ان دول عدم الانحياز قد طالبت بالانفراج منذ مؤتمر بلجراد ١٩٦١ وحثت فى ذروة الحرب الباردة على تخفيف التوتر الدولى وقد ظهرت هذه الازمة فى مؤتمر « هافانا » حيث انقسمت الدول غير المنحازة الى اتجاهين ، الاتجاه الأول يرى ان الانفراج مهدد من الامبرياليين وحلفائهم ، وان عملية الانفراج ليس لديها تاثيرا

ايجابيا فى حل المشاكل خارج اوروبا وامريكا الشمالية والاتجاه الثانى « الأكثر توازنا » والذى يقر الجوانب الايجابية للخبرة الماضية لعملية الانفراج ويضع آمالا على امكانية التغلب على مأزق الطريق المسدود الذى وصل اليه الانفراج ، واحياؤه مرة اخرى .

وبالرغم من ان الاتجاه الثانى الأكثر توازنا يحتوى على فهم صحيح لأزمة الانفراج الا ان الحركة التى تشكل ارائها ومواقفها على اساس الاغلبية ، قد اقرت اغلبيتها وجهة نظر الاتجاه الأول .. ولكن الاخطر من هذا الانقسام فى الراى تجاه الانفراج ان الانفراج بجميع عناصره وخصائصه المحددة ، مازال خارج مجال اهتمام بعض الدول غير المنحازة .

كذلك يثار تساؤل هام داخل الحركة مؤداه ، هل حركة عدم الانحياز حركة عالمية ، ام أنها حركة لمجموعة من الدول تقع فى قارات ثلاث هى آسيا ـ أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية ؟

وهذا التساؤل ليس جديدا فلقد سبق ان طرح فى المراحل الأولى من تطور الحركة ، ولكنه عاد للبروز بقوة مرة اخرى فى المؤتمر السادس بهافانا عندما تمت الاجابة عليه من قبل عدد قليل من الدول الاعضاء على انها حركة الثلاث قارات والتفسير المتطرف لهذا المفهوم ، الذى يرفض الشخصية العالمية لعدم الانحياز ، يستثنى اوربا كمعقل لعدم الانحياز ، ويتجاهل دور هذه المنطقة فى حركة عدم الانحياز سواء فى الماضى أو المستقبل . وفى التفسير الأقل تطرفا لهذا المفهوم ، يعطى هذا المفهوم اسبقية للأقليمية على العالمية ، بتأكيده على مميزات الاقليمية خاصة فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وزعمه ان الاقليمية هى التى تستطيع توفير الوسائل المناسبة لتحقيق اهداف الحركة .

وعلى الرغم من ان وثائق المؤتمر السادس قد تخللتها بوضوح غلبة مفهوم الشخصية العالمية لعدم الانحياز ، الا ان هذه الازمة مازالت قائمة فى فكر عدد محدود من دول عدم الانحياز

وهناك ازمة اخرى تثيرها التقييمات المختلفة للدور الخارجى لحركة عدم الانحياز حيث تتراوح هذه التقييمات مابين تقييمات ايجابية مبالغ فيها ، الى تقييمات نقدية حادة .

فالتقييمات الايجابية ترى ان كثرة من الدول غير المنحازة قد شهدت تطورات تقدمية فى نظامها الداخلى ، وان الحركة تعرضت لتغييرات ثورية كاملة وانها كتجمع ناشىء جديد ، تكتسب وبصورة متزايدة قوة دافعة ضخمة على عكس ما كان متوقعا لها .

أما التقييمات النقدية فترى ان الحركة فى أزمة وان الصراعات الداخلية تمزق اوصال الحركة ، وان الضغوط الخارجية تزداد على الحركة بهدف صرفها عن الطريق الذى اختارته ، وتهدد السمات الجوهرية لها . الراى السائد هو الراى الاكثر توازنا ، الذى يعطى اهتماما بالرؤية النقدية لمشاكل الحركة ، والاتجاهات السلبية المضادة الموجودة داخل صفوف الحركة ، وضغوط الكتل العالمية على الحركة ، وفى الوقت نفسه يشير الى الطرق والوسائل التى يمكن عن طريقها حل هذه المشكلات ولقد عبرت الوثائق التى اقرها المؤتمر السادس عن وجهة النظر تلك وبرغم ذلك فان هذه القضية مازالت محل خلاف واسع داخل اوساط الحركة .

وتعد كيفية ايجاد حلول سلمية للنزاعات . وتنفيذ مبدا اساسى من مباديء الحركة ، من الازمات الخطيرة التى تعانيها الحركة . وتتباين اتجاهات دول عدم الانحياز تجاه هذه الازمة . فهناك اتجاه يطالب بخلق ميكانيزم دائما ومستمرا للحركة يتيح لها ايجاد الحلول السلمية وهناك الاتجاه المحافظ الذى يرفض ايجاد اى نوع من الميكانيزم الدائم ولقد ترتب على هذا الانقسام فى الرأى ، تبلور مطلب مكثف داخل الحركة يطالب بايجاد حل ملائم يمكنه ان يحوز على تاييد الاغلبية ، وفى ذات الوقت يسد الحاجة الى اقامة ضمان لحل النزاعات فى عالم عدم الانحياز بطريقة سلمية .

ويرتبط بذلك ايضا قضية تدخل احدى الدول غير المنحازة فى الشئون الداخلية لدولة اخرى تدخلا عسكريا ماهو الموقف الذى يجب على الحركة ان تتخذه تجاه مثل هذه التدخلات العسكرية ؟ هل يجب ان تتعامل مع كل حالة على حدة ؟ ام عليها ان تقبل التفسير الذى يقول ان مثل هذه التدخلات تعد عملا من اعمال المساندة والتضامن مع الدولة التى تم التدخل فى شئونها ؟ او يجب عليها ان تدين جميع تلك الاعمال داخل عدم الانحياز من حيث المبدأ ؟

وبرغم ان جميع الدول غير المنحازة تعلن انها تعارض التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى ، إلا ان الأجابة على التساؤلات السابقة ، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بحالة محددة ، تختلف من النقيض الى النقيض وهو امر يمكن ان نستنتج منه ان الحركة مازالت غير قادرة على التوصل الى حلول تحوز على رضاء الاغلبية بشان هذه القضية .

وهناك ازمة اخرى يبرزها هذا التساؤل : هل يجب ان يقتصر نشاط حركة عدم الانحياز على مجال العلاقات السياسية او يمتد الى مجال العلاقات الاقتصادية ؟

وبرغم ان هذه الازمة ليست جديدة ، الا ان التساؤل الذى تطرحه مازال مثارا بشكل جدى ، فقد طرحت هذه

الأزمة فى نهاية الستينات وبداية السبعينات بعد ما اصبح من الواضح بعد المؤتمر الثانى للحركة ١٩٦٤ ، ان الدول المتقدمة ليست على استعداد لتقديم التنازلات الهامة والضرورية لتحقيق مطالب الدول النامية ، فى الوقت الذى لا تزال فيه الفجوة بين هذه الدول والدول المتقدمة مازالت قائمة .

ولقد تمت الاجابة على هذا التساؤل فى مؤتمر الحركة الخامسة فى كولومبو ، بالتاكيد على الاعتماد المتبادل وعلاقة التكامل بين السياسة والاقتصاد ، وهو امر ايدته وثائق المؤتمر السادس ، الا ان التساؤل ظل مطروحا فى ذهن بعض الدول غير المنحازة التى تعطى اولوية للانشطة الاقتصادية الدولية بينما يعطى البعض الاخر الاولوية للعلاقات السياسية الدولية .

ولعل هذا يتضح فى انه برغم المطالبة بانشاء نظام اقتصادى عالمى جديد الا انه لايوجد اجماع على مضمون هذا النظام المقترح فبعض الدول غير المنحازة لا تتبنى اراء واضحة فى القضايا التى يثيرها مشروع النظام الاقتصادى العالمى الجديد ، كما توجد خلافات بين البعض الآخر حول تحديد العناصر الاستراتيجية والعناصر التكتيكية فى مطالب النظام الاقتصادى العالمى الجديد ، وهى خلافات لا يتم الاعلان عنها فى بعض الاوقات ، وفى اوقات اخرى يتم الاعلان عنها بحيث تصل الامور الى حد المواجهة ، فهم يختلفون فى الاجابة على اسئلة مثل : هل نقدم مفهوم النظام الاقتصادى على انه نظام عالمى شامل ، يمكنه تحقيق مصالح الجميع بما فيهم الدول المتقدمة ؟

فاذا كانت الاجابة بالنفى فان التحرك الحتمى لخلق هذا النظام ، سيكون بواسطة ولصالح الدول غير المنحازة والمتخلفة عموما ، وتعتمد فى ذلك على قوتها الخاصة اما التساؤل الثانى الذى يثيره مفهوم النظام الاقتصادى العالمى الجديد فهو : هل تعد قضية تنمية الدول المتخلفة مسئولية جميع الدول المتقدمة ام انها مسئولية الدول المختلفة فقط ؟

والتساؤل الثالث : هل التدهور النسبى فى مركز دول عدم الانحياز وباقى الدول النامية يعود فى المقام الاول — الى عدم الاستعداد الذى تبديه جميع الدول المتقدمة تجاه بذل مزيد من الجهد فى القضاء على التخلف ام ان ذلك ينطبق فقط على الدول الغربية الراسمالية ؟

فاذا كانت الدول الغربية فقط فذلك معناه ان من المنطقى ان تسعى الدول غير المنحازة الى التعاون بشكل اوثق مع دول المعسكر الاشتراكى وعلى راسها الاتحاد السوفيتى فى قضية اقامة هذا النظام الجديد .

وهناك التساؤل الرابع حول كيفية حل مشكلة الطاقة بشكل عملى دون انتقاص حق دول الاوبك فى المطالبة باسعار مناسبة لمنتجاتها ، وفى ذات الوقت دون اضعاف مصالح الدول المستوردة للبترول من دول الحركة والدول النامية .

ولقد تمت الاجابة على هذه التساؤلات فى وثائق المؤتمر السادس ، بشكل يتفق مع المواقف السابقة حول قضية النظام الاقتصادى العالمى الجديد على اساس انه نظام عالمى شامل يتعين عليه ان يحقق المصالح المشروعة للجميع ، والذى يمكن تحقيقه عن طريق تجميع قدرات الدول المتقدمة والدول النامية على السواء ، وانجاز تنمية الدول المتخلفة ، ليس فقط كالتزام اساسى على الدول النامية ، بل كالتزام يقع على عاتق جميع دول العالم .

إلا ان هذه الاجابة لم تشفع فى حل هذه التساؤلات ، حيث مازالت محل جدل داخل الحركة وعلى سبيل المثال مشكلة الطاقة .

أزمة اخرى تزداد بروزا داخل الحركة ، وترتبط بهذا التساؤل : هل تعد حركة عدم الانحياز مجرد حركة سياسية دولية ام انها منظمة دولية من نوع خاص .

ففى بعض الاحيان تتم الاشارة رسميا لحركة عدم الانحياز على انها « منظمة » بمفهوم العمليات المؤسسية واجراءات قبول العضوية التى تمارسها الحركة ، والتى تجعلها متشابهه مع المنظمة الدولية ، بل ان بعض دوائر عدم الانحياز تدعوا الى تطبيق بعض الاجراءات الداخلية التى ستؤدى فى الحقيقة ، اذا تمت الى تحويل الحركة الى نوع من المنظمة الدولية .

وتعكس وثائق المؤتمر من الخامس والسادس التى تتعلق باجراءات القبول فى الحركة وتشكيل الاجهزة المعاونة داخلها ، وعملية صنع القرار فيها ، محافظة الحركة على صفاتها كحركة سياسية دولية ، تتصف فيها العلاقة بين الدول الاعضاء بالديمقراطية المستمرة ، وبالرغم من ذلك مازال هذا التسؤل مطروحا لدى بعض الدول الاعضاء .

ويوجد تساؤل اخر تطرحه بعض الدول غير المنحازة ، يعبر عن ازمة اخرى للحركة وهو تساؤل يطرح : هل تصر الحركة على مزيد من الاتساع ، بالمضى فى سياسة قبول اكبر عدد ممكن من الدول الجديدة ؟ أو يجب أن تقتصر الحركة على دائرة محدودة من الدول ذات التقارب الفكرى .

وهنا ايضا تعطى ردود مختلفة فهناك اقلية محدودة فى الحركة تعطى اولوية للكيف على الكم ، اى تعطى اولوية لكفاءة الحركة على اتساعها ، وهم يطالبون ترتيبا على ذلك بقصر الحركة على عدد معين من الدول .

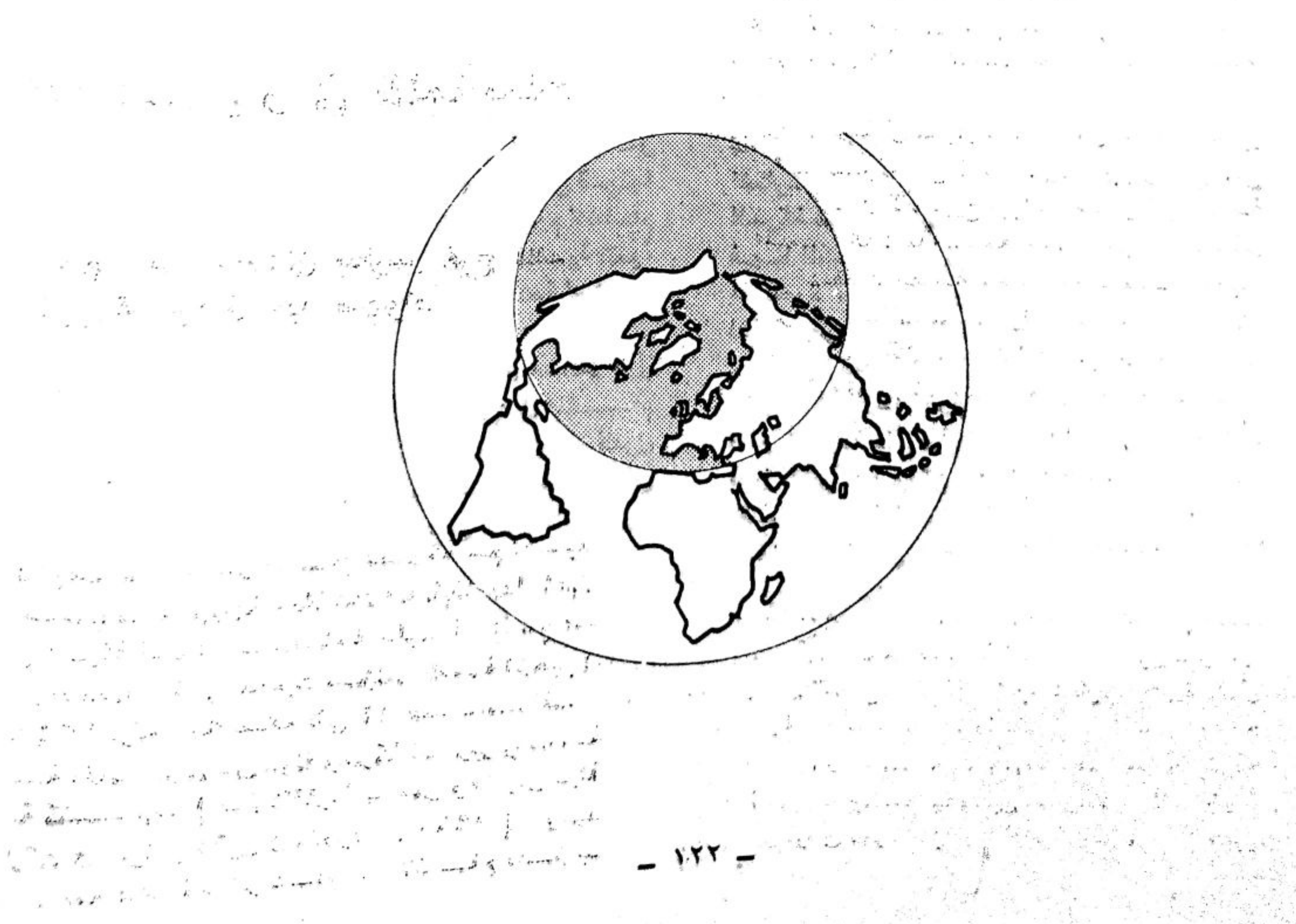
بينما ترى الاغلبية الساحقة (كما يتضح من جميع

اجتماعات اللحركة التى عقدت حتى الان ، وبشكل خاص فى المؤتمر الاخير فى هافانا) ان اتساع الحركة يعد واحدا من اهم مصادر قوة الحركة ، وبالتالى فان سياسة التوسع فى قبول الاعضاء لابد وان تستمر ، وشخصية الحركة المستقلة لابد وان يحافظ عليها .

وفى النهاية فان كل هذه الازمات التى تحيط بحركة عدم الانحياز فى هذه المرحلة من تطورها ، تشير بوضوح الى الظروف المعقدة التى تعمل الحركة فى اطارها اليوم ، وهى تشهد ايضا على حقيقة ان الحركة لم ولن تكون معبرة عن تناغم كلى فى حركتها ، بالنظر الى انها تقوم على تعدد ايدلوجى ، وتحتوى على تعدد بل وتناقض فى بعض المصالح الوطنية المباشرة ، وهى تناقضات لا تنفى حقيقة اخرى وهى امكانية الولاء الجماعى للاهداف العالمية التى تهتم فى المقام الاول بالسلام والاستقلال والتنمية وتشييد العلاقات الدولية على اسس ديمقراطية كذلك لا يوجد شك ، بالرغم من الوضع المعقد الذى تمر به الحركة والازمات الحادة التى تواجهها والتى مازال معظمها بلا اجابة مناسبة ، فى ان هذه الحركة تمثل القوة الدافعة الرئيسية فى النضال من اجل تغيير العالم نحو الاجواء الديمقراطية ، وانشاء نظام سياسى واقتصادى عالمى جديد اكثر عدلا .

ويطرح هذا سؤالا جديدا : هل ستثبت الحركة قدرتها على انجاز هذه المهمة التاريخية بنجاح اكبر فى المستقبل ؟ والى اى مدى سيصل هذا النجاح ؟

والاجابة على هذا السؤال ليست سهلة على الاطلاق ، فنتائج النضال الشاق والطويل من اجل عالم تسوده علاقات اكثر عدلا ، يرتبط بعوامل كثيرة ، بعضها ليس فى متناول او قدرة الحركة ، ولكن هناك .عض القضايا الملحة التى يجب على الحركة انجازها لتتقدم فى اتجاه تحقيق هذه المهمة التاريخية ، وهى أولا ان تحافظ على استقلالها عن الكتلتين المتصارعتين وثانيا وفى ذات الوقت ان تقوم بتوسيع دائرة انصارها من بين جميع الاوساط الديمقراطية والتقدمية فى العالم ، وثالثا ان تواصل السعى من اجل ايجاد الاجابات المثلى للازمات العالمية المعاصرة وعن طريق حوار يقوم على المساواة ، ليس فقط داخل صفوف الحركة ، بل مع شركاء فى الاهداف من خارج الحركة ، رابعا ان تحافظ على توثيق التعاون المتبادل بين دول الحركة وباقى الدول النامية ، وخامسا ان تثبت قدرا اكبر من النجاح فى حل النزاعات التى تنشأ داخل عالم عدم الانحياز بالوسائل السلمية ، وسادسا ان تقوم بخلق وتدعيم الأشكال الديمقراطية التى تستطيع من خلالها الدول الاعضاء بلورة مواقفها وارائها .



قسم خاص [٦]



عدم الانحياز فى الثمانينات

بقلم : د . سمعان بطرس فرج الله
ترجمة جمال عبد الجواد

إذا إعتبرنا أن معيار النجاح لحركة عدم الانحياز هو التوسع فى عضويتها ، فلا شك أنه طبقا لهذا المعيار تكون الحركة قد حققت نجاحا عظيما ، إذ بلغ عدد الدول الأعضاء التى حضرت مؤتمر القمة الأخير فى هافانا ٩٣ دولة ، بالاضافة إلى ١٢ عضوا مراقب ، وثمانية وفود أخرى بين دولة وحركة تحرير ومنظمة دولية كضيوف (بالمقارنة بخمس وعشرين دولة شاركت فى المؤتمر الأول فى بلجراد فى ١٩٦١) . وقد سجلت قمة هافانا بفخر شديد « الاتساع المتزايد لعضوية الحركة ، واعتبرته البديل الذى لاغنى عنه لانقسام العالم إلى تكتلات مغلقة متصارعة » . ولاشك ان توسع حركة عدم الانحياز هو إنعكاس لجاذبيتها ، وهو أيضا أحد الأسباب الرئيسية لتنامى نفوذها واهميتها ، فالدول لاتربط نفسها بحركة تحمل مظاهر التحلل وعدم الفعالية .

ولكن علينا أن نلاحظ أن التوسع فى عضوية حركة عدم الانحياز عادة مايكون مصحوبا بزيادة المشكلات التى تواجهها ، فحركة عدم الانحياز هى واحدة من اكثر الحركات الدولية المعاصرة حساسية وتعقيد ، وهذا يرجع الى تركيبها غير المتجانس ، وبالتالى فانه من غير الواقعى ألا نأخذ فى الاعتبار الاختلافات القائمة بين دول الحركة ، سواء الاختلافات فى النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، أو الاختلافات الجيوسياسية ، وكذلك ما يتصل بمستوى التنمية الاقتصادية المتحقق لكل منهما . وهو مايترتب عليه ظهور اتجاهات ايديولوجية متباينة لدول الحركة . فاذا كان التجانس الايديولوجى هو سمة التكتلات الدولية ، فان حركة عدم الانحياز – على العكس من ذلك – تقوم على التعدد الايديولوجى . وهو مايجر بالضرورة الى ظهور التناقضات بين المصالح الفردية لدول الحركة من جهة أخرى . فالتحدى الرئيسى أمام حركة عدم الانحياز ، اليوم اكثر من أى وقت مضى ، هو تحقيق وحدتها من خلال التعدد كمطلب ضرورى لبقاء ونمو حيويتها .

أما اذا اعتبرنا أن معيار نجاحها هو مدى نجاح لقاءاتها – سواء على المستوى الوزارى أو على مستوى القمة – فى الخروج ببيانات مطولة وشاملة تجسد المبادىء العظيمة للحركة ، وتغطى تقريبا كل القضايا والمشكلات العالمية ، فإنه طبقا لهذا المعيار تكون الحركة قد حققت نجاحا واضحا ، فجدول أعمال لقاءات القمة تضم أكثر مما يشتمل عليه جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة . ولكن طالما كنا نتحدث عن مستقبل حركة عدم الانحياز ، فإنه لايجب علينا أن نبنى تقييمنا على أساس قدرة الحركة على تسويد بيانات مطولة وشاملة ، وإنما على أساس قدرتها على التأثير فى العلاقات الدولية انطلاقا من مبادئها النبيلة .

وعندما ننظر إلى مستقبل هذه الحركة من هذه الزاوية ، فإن مشاعر مختلطة تنتابنا ، فالذين توقعوا لها قدرا من النجاح ، تقلقهم اليوم شكوك خطيرة بشأن مستقبلها ، فبعضهم – متأثرا بوسائل الاعلام الغربية – يتنبأ بانهيارها . وفريق أخر برغم ادراكه لأوجه قصورها ونقائصها ودون افراط فى التفاؤل ، يتمنى أن تؤدى دورا متزايد الأهمية باعتبارها الطريق

الوحيد المتاح لتحقيق سياسة خارجية مستقلة عن التكتلات الدولية ، وكعامل هام يسعى لارساء أسس السلام العالمي والحرية الانسانية والتنمية الاقتصادية .

وطبيعي بالنسبة لحركة عالمية تضم ثلثي دول العالم أن تواجه العديد من التحديات كنتيجة لتعقيدات البيئة القومية والدولية ، وهو ماينعكس عليها صعودا وهبوطا . فلقد واجهت الحركة أزمات جادة سواء في داخلها ، أو مع التكتلات الدولية خارجها . فكثيرا مانشبت النزاعات بين أعضاء الحركة بسبب تكوينها غير المتجانس ، أو بسبب ضغوط القوى الكبرى ، ومع ذلك إستمرت لأكثر من عشرين عاما ، بل وأكثر من ذلك فقد وسعت عضويتها ، واستطاعت أن تلعب دورا قويا على المسرح السياسي العالمي . وعلى الرغم من أن الوضع العالمي لايختلف اليوم عنه قبل عشرين عاما مضت ، فإن المشكلات والأزمات التي يواجهها العالم منذ ثلاث أو أربع سنوات هي من الحدة والخطورة بحيث تثير تساؤلا عن قدرة وفاعلية حركة عدم الانحياز في المستقبل .

لاشك في أنها ترزح الآن تحت ضغوط كثيرة ، ولكن التحديات والأزمات لا يجب أن تدفعها للركود والتحلل ، بل ينبغي عليها أن تحولها لعناصر تمدها بمزيد من الحيوية . ماهي هذه التحديات ؟ وماهي الامكانيات الحقيقية للحركة للتغلب عليها والاستمرار في القيام بدورها كعنصر استقرار في العلاقات الدولية ؟ ولكن ليس من الممكن في حدود هذه الكلمة أن نقدم بيانا مستفيضا لكل التحديات التي تواجه حركة عدم الانحياز ، ولا أن نقدم إجابات محددة للتساؤلات التي تثيرها ، وإنما كل ما نطمح إليه هو تقديم شرح موجز لبعض التحديات التي نراها الأكثر أهمية وتأثيرا على تطور الحركة في المستقبل .

فالتحديات التي تواجه حركة عدم الانحياز لها مصادرها الداخلية والخارجية بالنسبة للحركة ، فهي قد تنشأ من العلاقة بين أعضاء الحركة ، أو كنتيجة لعلاقاتهم بالدول الأخرى وخاصة القوى الكبرى . لكي نرى بعض جوانب هذه المستويات الثلاثة من التحديات ، ونحاول أن نتعرف على الطريقة التي تؤثر بها عليها ، وعلى الطريقة التي يمكن إتباعها للتغلب على هذه التحديات .

يأتي في المستوى الأول التحديات المتعلقة بقضايا الأمن الداخلي في البلاد غير المنحازة ، وهو الذي يعتبر أحد مظاهر المشكلة العامة للأمن التي تواجه هذه الدول ، والتي لاتقبل الحكومات ـ لأسباب مفهومة بما فيه الكفاية ـ أن تناقشها في لقاءات عامة بحجة أن المصادر التي تهدد الأمن هي مصادر داخلية ، تخضع لاختصاص الدولة وسيادتها . ومع أن المناقشة الرسمية لهذه الموضوعات قد تكون غير لائقة سياسيا وبلا أساس قانوني أو شرعي ، فإنه قد يكون من المناسب لغير الرسميين وللاكاديميين وغيرهم من المتخصصين أن يعطوا بعض الاهتمام لهذه الموضوعات ضمن مناقشة التطورات المحتملة للحركة . فمن الملاحظ أن عددا من مظاهر الاضطرابات العنيفة التي يمكن أن نعتبرها عنفا موجها ضد الأنظمة الحاكمة ، تحدق بحركة عدم الانحياز . وبينما بعض هذه الاضطرابات نتائج طبيعية للنمو ، فإن أكثرها هو نتائج مباشرة لسوءالادارة والفساد . فالمراجعة السريعة للنظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لعدد كبير من البلاد غير المنحازة تبين أنها محكومة بنظم فردية تتجاهل ماتطمح إليه شعوبها ، قمعية في بعض الأحيان ، وحالات عيدي أمين وجان بيدل بوكاسا في افريقيا ، وبول بوت في جنوب شرق آسيا ، هي حالات نمونجية في هذا المجال ، فأعضاء النخب الحاكمة لهم في أغلب الأحيان روابط وثيقة مع النخب المماثلة في الغرب أو الشرق ، وأنه لمن الطبيعي أن تجد القوى الكبرى المتنافسة في ذلك الوضع فرصة مناسبة للتدخل المباشر أو غير المباشر في الشئون الداخلية للبلاد غير المنحازة . وتبين بعض الدراسات أنه في كل الصراعات الداخلية في الدول غير المنحازة ، كان التدخل الأجنبي هو القاسم المشترك ، وتشير أيضا إلى وجود روابط سلبية بين التورط الأجنبي ومدى إستمرارية الصراع الداخلي . فكما أشار البروفسير الهندي ك . ب ميسرا بدقة فإن « القاعدة الأساسية للامبريالية قد انتقلت من المستوى الدولي إلى المستوى القومي » . فإذا كان العداء للامبريالية ، ومقرطة العلاقات الدولية هي مبادىء أساسية لحركة عدم الانحياز ، فعلى الدول الأعضاء أن تبدأ بتطبيقها داخل حدودها الخاصة إذا ما كانت جادة فعلا في تقوية حركتها على المستوى العالمي ، وهذه مسئولية محلية في الأساس .

ولسوء الحظ فإن بعض البلاد غير المنحازة تتبع نفس نماذج السلوك التي تتبعها الدول الكبرى في علاقتها بالدول غير المنحازة عندما تتدخل في الشئون الداخلية لبلد آخر لغرض حل معين لصراع داخلي بالانحياز الى هذا الجانب أو ذاك من الاتجاهات المتصارعة ، مستندة إلى الحجة الهزلية [مساعدة الشعوب المقهورة ، أو محاربة الارهاب] أو تصدير الثورة أو الثورة المضادة . ومثل هذا الأسلوب تجب إدانته على نطاق واسع ليس فقط لمخالفته المبادىء الأصيلة لعدم الانحياز ، ولكن أيضا لطبيعته المضللة . وكما أكد البروفسير اليوغسلافي « جافرو ألتمان » فإن

مبدأ « تصدير الثورة » يعني توكيل القوي الأجنبية لاقامة النظم « الثورية » أو « التقدمية » ، بالضبط مثل محاولة الابقاء على النظم الاجتماعية العتيقة بمساعدة القوي الأجنبية التي تهدف أساسا لحماية مصالحها . والتدخل في شئون الآخرين سواء كان « ثوريا » أو « معاديا للثورة » تحت الادعاء بأن التدخل قد تم بناء على طلب بعض الجماعات الصغيرة فاقدة الشرعية الحقيقية ، أو حتى بغير هذا الادعاء ، فانه يعرض السلام العالمي للخطر .

وعندما نقول أن الأمن الداخلي هو في الأساس مسئولية محلية ، وأن على الدول غير المنحازة أن تكف عن التدخل في شئون الدول الأخرى ، فاننا لانعني أن حركة عدم الانحياز ذاتها ، ليس لها دور لتمارسه في مثل هذه المواقف . فهذه التهديدات الداخلية يمكن أن تكون لها إنعكاسات سلبية تتعارض مع المبدأ الأساسي لعدم الانحياز ، وتقوض وحدة الحركة وفاعليتها . فعلي الحركة أن تساعد البلدان المعنية في التغلب على متاعبها الخاصة . وفي هذا المجال يجب أن نناقش أمرين أساسيين : الأول ، هو حساسية الرأى العام والفئة الحاكمة تجاه مبادىء أساسية للعدالة والديمقراطية ، دون الدخول في تقييمات إيديولوجية معينة . والثاني ، وهو الأكثر أهمية هو الاتفاق على مايعرف أحيانا « بنظرية الترابط » ليس بمعنى « سياسة القوة » وإنما بمعنى التضامن بين الدول غير المنحازة بغرض الحد من تدخل القوي الكبري في الشئون الداخلية للبلاد غير المنحازة . وهذه بالطبع مغامرة في غاية الصعوبة والأهمية ، وغير مضمونة النجاح حيث تكمن العديد من العوامل خلف قدرة الحركة علي القيام بهذا الدور ، ولكن بالرغم من الحدود المفروضة على حركة عدم الانحياز في هذا المجال ، والاحباطات التي قد تصادفها فيه ، فإن عليها أن تقوم بهذا الدور لأن القعود عنه في كل هو اختيار مفعم بالمخاطر للحركة ذاتها .

وتزايد الصراعات وتأججها بين الدول أعضاء حركة عدم الانحياز ، هو واحد من أبرز سمات الحركة في الأعوام الأخيرة ، وهذا أمر طبيعي لحركة بمثل هذا الاتساع وعدم التجانس . فالاختلافات السياسية بين الدول غير المنحازة لها عدة مظاهر ، وفي الغالب فإنها تقوم على مفهوم المصلحة القومية التي لايمكن إحداث التوافق بينها وبين فهم الجيران الأخرين لها ، وهم غالبا مايكونون كذلك من الدول غير المنحازة . وبينما يخرج إعداد قائمة بمثل هذه الصراعات عن حدود هذه الكلمة ، فإن علينا أن نذكر من بين المظاهر الحادة للخلافات السياسية بين الدول غير المنحازة ، ذلك السبب التاريخي القديم للصراعات وأيضا للصدامات المسلحة ، والذى يرجع إلى مشاكل الحدود التي يرجع أصلها إلى التخطيط التحكمي للحدود خلال الحكم الاستعماري ، وخلال نضال الشعوب للحصول على حق تقرير المصير . وفي أفريقيا ، وبدرجة أقل في آسيا ، فإن التهديد بالانفصال والمطالبة بضم أو تحرير بعض المناطق ، والعودة للحدود الاستعمارية كان وسيبقى ذا أهمية خاصة لحركة عدم الانحياز . فصراعات الحدود تتزايد نظرا للقيمة الاقتصادية بمناطق معينة . فاكتشاف حقول للبترول أو معادن أخرى يمكن أن يثير المطالبات باسترجاع الأراضي وإعادة رسم الحدود بين الدول المتجاورة . وعلينا كذلك أن نؤكد على أن التباين في مستويات النمو الاقتصادى بين الدول غير المنحازة يمكن أيضا أن يثير الصراعات فيما بينها ، وهي صراعات متوقعة ، ولاتشكل ظاهرة مفاجئة . فالدول غير المنحازة سوف تتعرض في المستقبل لصراعات متزايدة من هذا النوع ، وهذه نتيجة مباشرة للاختلافات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عالم اليوم .

وعلينا في هذا المجال أيضا أن نشير إلى الصدامات بين مايعرف بالأنظمة التقدمية والأنظمة المحافظة كأحد مصادر الصراعات بين الدول غير المنحازة ، الذى كانت وستظل له انعكاسات خطيرة على مستقبل الحركة ككل . فلهذه الصدمات علاقة وثيقة بالسياسات الداخلية المتقلبة في الدول غير المنحازة ، فبعض الأنظمة تسعي للقيام بدور بارز في إقليم محدد ، وفي إطار سعيها لتحقيق هذا الطموح تدخل في صراعات مع الدول غير المنحازة الأخرى في المنطقة ، وهي الصراعات التي تأخذ شكل مواجهة ايديولوجية تكون في الغالب ستارا لمصالح مادية محسوسة أو ستارا للرغبة في الزعامة والسيطرة . وهذا أمر خطير للغاية لأنه يهدم المبدأ الأساسي للتعايش السلمي ، ويتناقض مع تعدد النظم السياسية والايديولوجية للحركة . وبالإضافة الى ذلك فإن هذه المجموعة المتباينة من الصراعات تتيح فرصة أوسع للتدخل أمام القوى الأجنبية في إطار محاولتها لاعادة توجيه الحركة بعيدا عن مبادىء عدم الانحياز . فأحد نتائج تنافس القوى العظمى هو في الواقع إثارة للصراعات الاقليمية بين الدول غير المنحازة ، وبينما لاندعي أن القوى الكبرى هي سبب كل الصراعات الاقليمية ، فإننا نقول أنها دائما تؤثر في هذه الصراعات تبعا لمصالحها في المنطقة المعنية .

أين تقف حركة عدم الانحياز وأى دور تستطيع أن تلعبه في هذه المواقف الصراعية ؟

لاشك أن الصراعات بين أعضاء الحركة تؤثر عليها تأثيرا سلبيا ، فبحلول عام ١٩٨٠ كانت المواقف المتباعدة لدول الحركة عائقا أمامها في كل القضايا التي

عرضت لها . لذلك فإن مناقشة دور الحركة فى إقرار السلام وتسوية الصراعات بين أعضائها أصبحت مناقشة محورية وملحة نظرا لصعوبة مشكلات التوفيق والتسوية بين المواقف المختلفة فى هذا المجال . فنحن نستطيع أن نخير بين ثلاثة إتجاهات تجاه هذه المسألة الأول . هو اتجاه يسعى لتوفير آلية ثابته لتسوية المنازعات سلميا فى إطار الحركة . والثانى . يركز على ان هذه المنازعات يجب تناولها على المستوى الاقليمى أو عن طريق الأمم المتحدة . أما الاتجاه الثالث فإنه يتحفظ تجاه أى نوع من الميكانيزمات الثابتة لتسوية المنازعات ، ويفضل إتباع وسائل براجماتية تتلاءم مع كل حالة على حده .

ولفترة طويلة ، فإن الدول غير منحازة إعتبرت الصراعات فيما بينها عارضة وثانوية بالقياس إلى الصراع ضد الاستعمار والامبريالية ، والحاجة إلى بناء نظام سياسى وإقتصادى عالمى جديد على أساس قواعد الديمقراطية والتنمية والعدالة ، والعمل لنزع السلاح وإقرار السلام العالمى . كذلك فإنه كان من المعتقد أن الدول غير المنحازة وقد الزمت نفسها بأتباع سلوك مبدئى ، قادرة على تسوية الخلافات فيما بينها تبعا للمبادىء الراقية المتفق عليها فى وثائق لقاءاتها الأولى . وفى جو الدعوة للتعاون كان يعتقد أن صراعات المصالح لايجب أن تخلق صعوبات أمام العلاقات الودية بين الدول غير المنحازة . وكل هذا يفسر لماذا لم تمنع مجموعة عدم الانحياز سوى إهتمام محدود لتسوية الصراعات فيما بينها . فعلى أساس الاعتقاد بعدم الحاجة الى الذهاب لأكثر من التأكيد على المبادىء الأساسية للتعايش السلمى وتسوية المنازعات سلميا ، أكد برنامج القاهرة للسلام والتعاون الدولى ١٩٦٤ فى خطوط عريضة على واجب كل الدول فى تسوية المنازعات بينها دون اللجوء للقوة أو التهديد بها تبعا لميثاق الأمم المتحدة . وأعطى البرنامج إهتماما خاصا لمشاكل الحدود التى قد تهدد السلام العالمى أو تضر بالعلاقات بين الدول غير المنحازة ، فأكد على أنه فى حالة مثل هذه المنازعات يجب أن تلجأ الدول لأساليب المفاوضة والوساطة ، والتحكيم ، أو أى طرق سلمية أخرى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة .

ومع تزايد وتصاعد الصراعات من كل نوع بين الدول غير المنحازة ، أثبت هذا الموقف المثالى أنه غير كاف ، فدول الحركة لم تكتف فقط بعدم الاخلاص لمبادئها ، ولكنها أيضا استخدمت اجتماعاتها كأداة لدعم مواقفها ، وتحقيق مصالح قومية ضيقة لاتعبر عن التعاون والتضامن . وهو الذى قاد بالضرورة إلى مجادلات حامية داخل الحركة التى لم يكن من الممكن عزلها عن الصراعات بين أعضائها . لذلك فإن فاعلية الحركة فى تحقيق التسوية السلمية للمنازعات بين الدول الأعضاء هو تحد حقيقى لمستقبل نموها .

ويعتقد بعض المراقبين أن عجز الحركة عن احتواء الصراعات بين أعضائها ، أو ايجاد الحلول لها . مرده لافتقادها إلى آلية ثابتة للتوسط وحل الصراعات التى تنشب داخلها .. ولمواجهة هذا القصور تقدمت سيريلانكا باقتراح تكوين لجنة لتسوية نزاعات الحدود القائمة بين الدول الأعضاء ، وقد إمتدحت قمة هافانا ١٩٧٩ هذا الاقتراح باعتباره « مشروعا جديدا بالاعتبار كمساهمة للتسوية السلمية للمنازعات بين الدول الاعضاء » ومع أن هذا الاقتراح قاصر على النزاعات المتعلقة بالحدود ، فقد أثار الكثير من الجدل حول إمكان تحقيق الاجماع داخل الحركة . وهذه الناحية من نزاعات الحدود تثير قضية اخرى تتعلق « بمؤسسة الحركة » ، فاغلب أعضاء الحركة يظهرون نفورا واضحا تجاه أى شكل من أشكال تقوية مؤسسات الحركة بما فيه إقامة جهاز ثابت لتسوية المنازعات ، متمسكين بحقوق السيادة التى تمنحهم حرية إختيار وسائل تسوية صراعاتهم مع الدول الأخرى ، ورافضين لأى اجراءات إجبارية يمكن أن تفرض عليهم فى هذا المجال . الأكثر من هذا ، أن عجز الحركة عن تسوية النزاعات بين أعضائها لا يرجع فقط إلى إفتقادها لآلية ثابتة لتسوية المنازعات ، ولكنه يرجع أيضا إلى فقدان الدول المتصارعة للرغبة فى هذا الأمر ، كما يرجع الى ضغوط الدول الكبرى . وفى الواقع فان فشل المنظمات الدولية ذات المؤسسات فى هذا الأمر ، لا يجعلنا نتوقع الكثير من حركة سياسية مفككة .

وعلى الجانب الأخر ، توجد وجهة النظر التى ترى أن الحركة عليها أن تركز على المشكلات العالمية ، بدلا من التدخل فى المشكلات الساخنة بين أعضائها . وكنوع من الحذر تجاه الخلافات بين الدول غير المنحازة ، وقلقا على مستقبل الحركة ، ناشد الرئيس الراحل تيتو رؤساء الدول والحكومات الأعضاء لكى يظهروا « تسامحا أكبر وفهما متبادلا » فى علاقاتهم . وينصح بأن يلجأ المتخاصمون الى المفاوضات فى المقام الأول ، ثم إلى المنظمات الاقليمية المختلفة ، وأخيرا الى الأمم المتحدة ، كبدائل مختلفة لتسوية المنازعات بينهم . وقد واجه إقتراح الرئيس تيتو المعارضة على أساس أن مساهمة دول من خارج الحركة فى مناقشة النزاعات بين الدول الأعضاء قد يوسع النزاعات بشكل غير مطلوب ، ويقلل من فرص التوصل لحل لها . فى الوقت الذى يعرض فيه وحدة الحركة للخطر بتأثر من المشكلات العالمية ، وهذا الاتجاه الذى دافع عنه الرئيس تيتو يعكس التصور الأصلى للحركة الذى دام

حوالى خمسة عشر عاما . ولكن منذ منتصف عام ١٩٧٠ ، ومع تزايد النزاعات بين دول الحركة من حيث العدد والمدى والأهمية ، فقد تبين أنه من غير الواقعى عزل الحركة عن الصراعات بين اعضائها ، وبالتالى فقد تأكد أن على الحركة أن تلعب دورا فى تسوية وإحتواء مثل هذه المنازعات ، ولكن هذا الدور يجب الا يكون قائما على المؤسسة من ناحية ، وأن يكون محدودا بقدرات حركة سياسية من ناحية اخرى .

ومن هذا المنطلق تظهر الرؤية الثالثة ، براجماتية الجوهر ، والتى تؤكد حاجة حركة عدم الانحياز للقيام بدور غير رسمى مرن يعتمد على الترتيبات المناسبة لكل حالة على حده ويتطلب المساعدة من دول متنوعة تختلف حسب الظروف . وبالتالى فان الاجراء الأكثر ملاءمة لحركة سياسية مثل حركة عدم الانحياز فى هذا المجال هو تقديم الخدمات المناسبة لهذا الغرض بمساعدة الاطراف المتصارعة على العودة الى المفاوضات المقطوعة مثلا ، وهو ما قد يترتب عليه إمكان التوصل لحل مقبول من كافة الأطراف . فالحركة لا تتدخل فى لب النزاع بنشاط ، ولا تعطى النصائح بشأن طرق تسويته . وهذا هو ما أعتقد أنه قد تم الاتفاق عليه فى مؤتمر وزراء خارجية الحركة فى فبراير ١٩٨١ فى نيودلهى . بناء على ورقة العمل اليوجوسلافية ، وهذه نتيجة واقعية من المنتظر أن تؤثر على مستقبل الحركة ، فبالرغم من أن ما تم التوصل إليه هو مجرد وسيلة محدودة وغير مضمونة النجاح ، إلا أنه فى غاية الأهمية ، ذلك أننا نستطيع القول أن مزيدا من تدهور العلاقات بين اعضاء الحركة وزيادة الصراعات بينها ، سوف يهدد بقاء الحركة ذاتها . فلاشك أن الحركة تفتقر إلى القدرة على التعامل بالحسم الكافى مع هذه القضايا ، ولكنها بالتأكيد تقدم فرصة أكبر للتشاور ، كما أنها قد تكون قادرة على عزل الصراعات المحلية والاقليمية عن التدخلات الأجنبية غير المرغوبة . ولا يجب علينا أن نتوقع أكثر من هذا من حركة عدم الانحياز . ذلك أنه من غير الممكن إيجاد أداه عالمية تستطيع منع الصراعات أو إحتوائها وتسويتها بمجرد نشوبها .

المستوى الثالث من التحديات ، والمتعلق بالقضية الصعبة والحساسة الخاصة بالعلاقة بين الاقطار غير المنحازة من ناحية ، والقوى الكبرى والتكتلات المرتبطة بها من ناحية اخرى . فهذه القضية ترتبط مباشرة بالمبادىء الاساسية للحركة . ذلك أنه لا حاجة لنا أن نذكر أن الانفصال عن التكتلات الدولية المتصارعة هو الملمح التاريخى الأعمق لحركة عدم الانحياز . ونستطيع أن نؤكد أن واحدا من الأهداف التاريخية للحركة قد تحقق بانهيار الاحلاف فى آسيا (الحلف المركزى ، وحلف جنوب شرق آسيا) ، وبالتقليل من قدرة التكتلات تظهر تحت مسميات مختلفة مثل « معاهدات التعاون والدعم المتبادل » أو « الاجماع الاستراتيجى » والتى تضم بعض البلاد غير المنحازة لسياسات القوى الكبرى ، وتدفع حركة عدم الانحياز فى إتجاهات تكتلية متشعبة ، اخذت إسم « الهيمنة الجديدة » من جانب التحالف الغربى ، وتدعى بنظرية « التحالف الطبيعى » على الجانب السوفييتى . وهذه المساعى من قبل الدول الكبرى ليست جديدة ، فمنذ بداية حركة عدم الانحياز ، والدول الكبرى تحاول إختراقها بايجاد مشاركين لها من بين الدول غير المنحازة ، بحيث تستطيع أن تصرف الحركة عن القيام بدور مستقل فى العلاقات الدولية المعاصرة . وقد نجحت الحركة بدرجة ما حتى عام ١٩٧٩ فى مقاومة الضغوط التى استهدفت جرها للدوران فى فلك التكتلات الدولية ، أو لتصبح اداه فى يد إحدى الكتل فى مواجهة الأخرى . وإقتلاعها من موقعها المستقل تجاه التكتلات الدولية . ولكن منذ ذلك الحين ، وتحت قيادة كوبا ، حاولت قلة من الدول أن تعيد توجيه الحركة فى إتجاه التحالف الوثيق مع الكتلة الشرقية ضد « الخطط العدوانية للكتلة الغربية » .

لقد حصلت كثير من الدول غير المنحازة وحركات التحرر الوطنى فى صراعها العنيف ضد الاستعمار والامبريالية على المساعدة المادية والعسكرية والدعم الدبلوماسى من الاتحاد السوفييتى . وقد أدى هذا فيما بعد لبروز الفكرة القائلة بأن حركة عدم الانحياز يجب أن تخضع لعملية « فرز ايديولوجى » وأنه يجب إستبعاد الدول المحافظة من الحركة ، بحيث تدخل الدول الباقية المسماة « بالثورية حقا » فى « تحالف طبيعى » مع المعسكر الاشتراكى (باستثناء الصين) ، باعتبار ذلك هو « عدم الانحياز الحقيقى » . وكرد فعل لهذا الاتجاه ، قامت أقلية من أعضاء الحركة باحياء فكرة المساواة بين التكتلات الدولية فى كل الأحوال ، وبغض النظر عن خصائص كل حالة على حده .

أما أغلب اعضاء الحركة فقد عارضوا هذين الاتجاهين ، ذلك أنه من المعقول التحول من « معارضة التكتلات » و « عدم المساواه بين التكتلات الدولية » إلى القبول بالتحالف مع إحدى الكتل تحت دعوى « التحالف الطبيعى » دون تحطيم الفكرة الأساسية لعدم الانحياز ، فالتحالف رسمى أو غير رسمى – مع أى من التكتلات الدولية يمثل علامة إنهيار لأحد المفاهيم الاساسية التى قامت عليها الحركة . فكما قال الدكتور اليوغوسلاف رانكو بيتكوفيك « فان الدخول فى تحالف مع أحد التكتلات سوف يمحو الهوية الحقيقية

للحركة ، وسوف يحول عدم الانحياز إلى إنحياز حقيقى » .

ومن ناحية اخرى فان مفهوم « المساواة بين التكتلات الدولية » سوف يحول الحركة إلى كيان كسول يكتفى بالمراقبة السلبية لأحداث العالم ، وينهى الدور الفاعل والمستقل للحركة فى العلاقات الدولية المعاصرة . وهو ما أكدته كل لقاءات القمة لدول عدم الانحياز . كذلك فان التطبيق الميكانيكى لهذه الفكرة يعد أمرا غير واقعى حيث يتحدد موقف الدولة غير المنحازة من الكتل الدولية بمتطلبات المصلحة القومية .

لقد سادت وجهة نظر الأغلبية فى قمة هافانا ، وخاصة تحت تأثير المسألة الأفغانية ، كما سادت فى مؤتمر وزراء خارجية الحركة فى نيودلهى فى فبراير ١٩٨١ . ولكن النتيجة النهائية لا يمكن إعتبارها مجرد عدد محدود من الدول يسعى لدفع الحركة فى إتجاه سياسة « التحالف الاستراتيجى » مع الكتلة السوفيتية . لقد دفع هذا الوضع بعض الدول القائدة فى الحركة لمناشدتها بالمحافظة على « المبادىء الاصيلة » لعدم الانحياز (يوجوسلافيا) وضرورة العودة للطريق الصحيح لعدم الانحياز (مصر) . هذه العودة للأرثوذكسية يجب أن تستمر وتتعزز ، ليس فى شكل دوجما إستاتيكية متصلبة ، وإنما على شكل روح واعية مستنيرة تأخذ فى إعتبارها تعقيدات عالم اليوم .

وقد يكون من المناسب إعادة التأكيد على توصيف الدولة غير المنحازة ، فهى دولة غير منتمية لأى إتفاقات عسكرية جماعية أو ثنائية تدخل فى نطاق صراع القوى العظمى ، ولا تمنح القوى الأجنبية قواعد عسكرية على أراضيها ، كما لا تمنحها الا متيازات فى إطار الصراع فيما بينها . وبعبارة اخرى ، فالدولة غير المنحازة عليها أن تقيم علاقاتها بالدول الكبرى تبعا لمصالحها ، على أن تحافظ على إستقلالها عن الصراع بينها فى مجالات التنافس الايديولوجى والصراع من أجل القوة . هذا المعيار يعد صالحا حتى وقتنا هذا ، ولكن يجب توسيعه ليحيط ببعض المظاهر التى لا يمكن إعتبارها تحالفا رسميا مع التكتلات الدولية ، بينما تعكس فى الحقيقة درجة من التورط فى صراع القوى الكبرى . وفى هذا المجال نشير الى الجهود التى تبذلها الدول الكبرى لاحتواء الدول غير المنحازة ضمن شبكات الأمن الخاصة بها ، فى شكل القواعد والتسهيلات البحرية . فقد تمت بعض الاتفاقات فعلا فى هذا الاتجاه ، بينما لا يزال بعضها الآخر قيد الاعداد . وبينما لا تشكل هذه معاهدات رسمية للتحالف ، فانها تعكس إتجاه الدول الكبرى لمد نفوذها العسكرى والسياسى فى العالم غير المنحاز ، مستغلة المشكلات الداخلية المتراكمة فى البلاد غير المنحازة ، والطابع الصراعى لعلاقات الدول غير المنحازة فيما بينهما .

وقد حاول بعض المراقبين أن يحقق التوازن بين حماية المصالح القومية بالبحث عن المساعدة لدى الدول الكبرى ، وبين القواعد الرئيسية لعدم الانحياز . فكما أشار البروفسير « ميسرا » فانه « إذا كانت هناك مع إحدى الدول الكبرى بعض الترتيبات ذات الطابع الدفاعى ، والحيوية من وجهة نظر مصلحة الدولة ، وغير الموجهة ضد قوة عظمى اخرى - كما كان الحال بالنسبة للاتفاقات التى وقعتها مصر والهند مع الاتحاد السوفييتى - فان ذلك لا يعد مشكلة كبيرة . أما إذا كانت التسهيلات الممنوحة تزيد من حدة المنافسة بين القوى الكبرى ، فعلى الدول غير المنحازة أن تدرك أن هذه الترتيبات تتعارض مع الفلسفة الأساسية لعدم الانحياز ، وتضر بالطبيعة غير التكتلية للحركة .. ودون نقض المعايير الأساسية التى تم الاتفاق عليها فى بلجراد عام ١٩٦١ - التحلل من الترتيبات العسكرية التى تعد جزءا من المنافسة بين الدول الكبرى - فانه يجب ترك الحرية للدولة غير المنحازة لصياغة محتوى علاقاتها بالدول الكبرى بما يحافظ على إحتياجاتها ومتطلباتها .

ومعيار التمييز بين الترتيبات العسكرية « الدفاعية » والترتيبات الأخرى التى « تخلق المنافسة بين القوى الكبرى » قد يبدو صحيحا من الوجهة النظرية ، ولكن الحال يختلف عند تعريضه للاختبار العملى . ذلك لأن أى ترتيبات عسكرية سيكون لها بالضرورة إنعكاسات على المصالح الاستراتيجية للكتلتين الكبيرتين المتنافستين . فالسلوك المثالى للدول غير المنحازة هو الامساك نهائيا عن الدخول فى إرتباطات عسكرية مع القوى الكبرى ، ولكن هذا أيضا قد يكون طريقا غير عملى . ومن الآن فصاعدا ، فان حركة عدم الانحياز تواجه معضلة حقيقية معضلة ليست جديدة ، ولكنها هذه المرة أكثر حدة وعنفا من تلك التى تغلبت عليها الحركة فى مطلع حياتها . ولا توجد إجابة سحرية يمكن تقديمها لهذه المشكلة المعقدة ، بل إن الأمر قد يحتاج لعدة سنوات للوصول الى إجماع حولها . وكل ما يمكن قوله فى هذا المجال هو أن الجهود الثابتة والدؤوب لدول عدم الانحياز على المستوى الفردى أو الجماعى للقضاء على أسباب التوتر داخلها وفيما بينها ، سوف يقلل إلى الحد الأدنى من تورطها فى المنافسة بين القوى الكبرى .

وبجانب هذه التحديات الثلاثة التى تواجه حركة عدم الانحياز ، توجد تحديات اخرى تترك آثارا واضحة على الحركة مثلا ، فهناك قضية الأولوية بين القضايا المطروحة أمام الحركة . إذ توجد بعض المحاولات لدفع الحركة لتوجيه إهتمامها للمشكلات الاقتصادية فى إطار

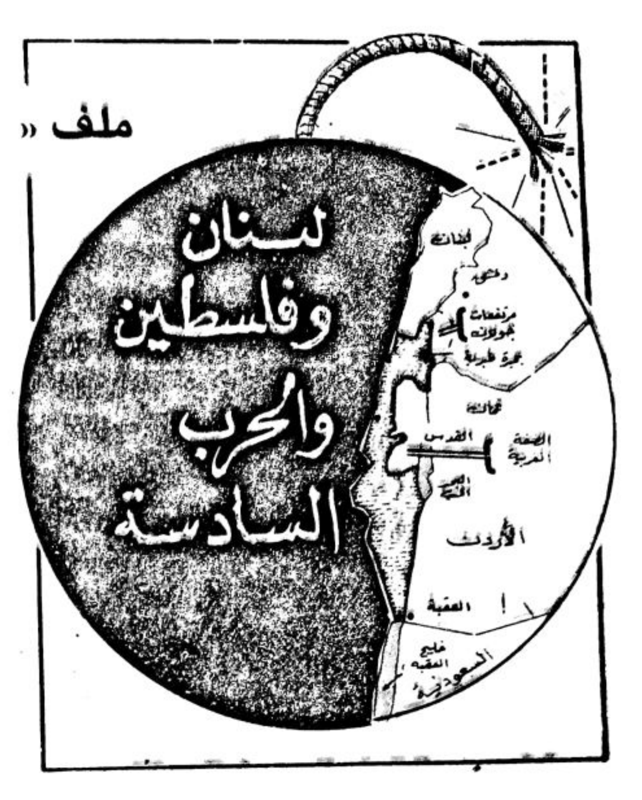
« صراع الشمال والجنوب » وهو الاتجاه الذى يأتى من التخوف المتزايد والمفهوم للطبيعة المتفجرة للتفاوت بين الشمال والجنوب ، وهذا الاتجاه ليس جديدا فقد ظهر منذ أواخر التسينات عندما أصبح واضحا بعد اللقاء الثانى للأونكتاد فى ١٩٦٨ أن البلاد المتقدمة غير راغبة فى منح الامتيازات المطلوبة واللازمة لتلبية المطالب العادلة للعالم النامى ، ولكن القبول بوجهة النظر هذه يقود إلى التخلى عن حل الأزمات السياسية فى العالم ، وتركها لكى تنفرد بها التكتلات الدولية الكبرى . وأكثر من هذا فان النمو الاقتصادى ، والتوزيع العادل للثروة يعتمدان على الاحتفاظ بالصراعات الدبلوماسية عموما فى أقل مستوى ممكن . وبالرغم من التأكيد على الاعتماد المتبادل بين السياسة والاقتصاد ، فان السؤال بشأن الأولوية يظل مطروحا لدى عدد من الدول غير المنحازة . وفى هذا الاطار ، فان علينا أن نتذكر أن المفاهيم تتباعد بشأن النظام الاقتصادى العالمى الجديد ، كما تتباعد التقديرات بشأن عناصره الاستراتيجية والتاكتيكية ، فهل يكون نظاما عالميا ؟ أم خاصا بالدول النامية ؟ وهل تأخذ العلاقة مع الدول المتقدمة شكل التعاون أو المواجهة ؟ وما هو موقع مشكلة الطاقة من كل هذا ؟

وعلينا كذلك أن نتذكر القضايا الخاصة ببناء مؤسسات الحركة (تشكيل الهيئات الادارية ، دور رئاسة الحركة) . وقضايا عملية إتخاذ القرارات (الاجماع ، الاعلانات العامة بشأن مسائل محددة) .

كل هذه التحديات والمعضلات تشير الى الظروف شديدة التعقيد التى تعمل فى ظلها حركة عدم الانحياز اليوم ، وهى الظروف التى إزدادت وطأتها بالنظر الى الاتجاهات الحديثة فى العلاقات الدولية : تصعيد المشكلات بين التكتلات ، سباق التسلح وإنتاج انظمة وانواع جديدة من الاسلحة التدميرية ، إنتشار بؤر التوتر الدولى ... فى نفس الوقت فان الحركة لم تزل تمثل الطريق الرئيسى ، إن لم يكن الوحيد ، المتاح للنضال من أجل عالم أكثر ديمقراطية وإنسانية ، وإقرار نظام سياسى وإقتصادى عالمى أكثر عدلا .

بغير هذا فان العالم سوف يصبح تحت رحمة قوى وحشية ، وتحت رحمة المصالح الأنانية للدول الكبرى .. والأمر الهام هو الحاجة الى حماية وحدة الحركة والاحتفاظ بقدرتها على التصرف بما يتطابق مع مبادئها الاساسية . وهى الحاجة التى سوف تمثل الاهتمام الرئيسى للدول غير المنحازة لأعوام عديدة مقبلة ☐

ملف « السياسة الدولية »



لبنان وفلسطين .. والحرب السادسة

ملف « السياسة الدولية » [١]



حول مستقبل المقاومة الفلسطينية

أسامة الغزالى حرب

ليس هناك من شك فى أن الحرب العربية - الاسرائيلية الخامسة (يونيو - أغسطس ١٩٨٢) سوف تمثل واحدة من أهم نقاط التحول فى الصراع العربى الاسرائيلى بوجه عام ، وفى المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية - على وجه الخصوص . ومن بين الابعاد العديدة التى يمكن من خلالها رصد هذا التحول فى المواجهة الفلسطينية - الاسرائيلية يبرز فى المقدمة وضع المقاومة الفلسطينية والظروف الجديدة التى تواجهها ، والتى تجعل من مسارها المحتمل فى المستقبل ، عاملا حاسما فى تحديد مستقبل الصراع العربى - الاسرائيلى كله .

فبعد مايقرب من ثمانين يوما من المواجهة البطولية للعدو الصهيونى على أرض لبنان ، وفى قلب بيروت ، وبعد الرحيل الدرامى لابطال المقاومة من هناك ، فى أطار ترتيبات انفردت فيها الولايات المتحدة واسرائيل بالمقاومة ، وسط « فراغ » عربى مهين ، خرج هؤلاء تدور فى خواطرهم - كما تدور فى خواطر اصدقائهم واعدائهم على حد سواء - هواجس وتساؤلات عديدة حول المستقبل .

الاسرائيليون ، يتصور الكثيرون منهم ، أو تصور لهم امنياتهم وأحلامهم انه بخروج الفلسطينيين من بيروت ، تكون قد سقطت آخر معاقلهم ، وهزموا الهزيمة النهائية ، التى لايمكنهم بعدها سوى أن يقبلوا بوضعهم المشتت فى البلاد العربية ، أو ان يقبلوا كل ماتعرضه عليهم اسرائيل بلا أى قيد أو شرط . وليس هذا التصور مقصورا بالطبع من الفئة الحاكمة فى اسرائيل ، أو على غالبية الاسرائيليين ، ولكنه يمتد فى الواقع خارج إسرائيل ، ويسيطر على مراكز صنع القرار فى الولايات المتحدة الامريكية - بصرف النظر عن الاختلافات التفصيلية ، وظهرت فى توصيف ذلك التحول الذى طرأ على المقاومة الفلسطينية وعلى طبيعة مواجهتها لعدوها ، عبارات جديدة مثل « القضاء على البنية الأساسية لمنظمة التحرير » و« تحول المنظمة الى حركة سياسية » و« القضاء النهائى على المقاومة » .

على أننا اذا طرحنا جانبا المقولات التى تعبر بالدرجة الأولى عن اوهام وامنيات متحيزة ، بل وتعبر عن توجهات عنصرية واستعمارية ضيقة ، يظل من الضرورى تقديم نظره موضوعية بقدر الامكان للتحولات التى وقعت ، والآثار التى تنجم عنها بالنسبة للمقاومة

الفلسطينية ، الطرف العربى الاكثر أهمية ، فى تلك المرحلة الجديدة من المواجهة مع العدو الاسرائيلى .

ويكن هنا القول ، وبشكل أولى ، ان التحول فى مستقبل المقاومة الفلسطينية سوف يتضمن تحولات فى نمط المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية ، وتحولات فى مقومات المقاومة الفلسطينية ضد اسرائيل ، وتحولات فى اساليب تلك المقاومة .

أولا : التحول فى نمط المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية :

ايا كانت الاهمية الخاصة لوجود المقاومة الفلسطينية المسلحة على الأرض اللبنانية ، فالحقيقة التى لايمكن اغفالها ، هى أن المواجهة الاسرائيلية الفلسطينية التى كانت تترتب على ذلك الوجود ، لم تكن هى المواجهة الوحيدة ، ولا هى المواجهة الاكثر أهمية بين الطرفين :

- فالنمط الأول للمواجهة الفلسطينية الاسرائيلية هو نمط المواجهة بين نظام استيطانى عنصرى ، وبين « اقلية » من ابناء البلد الاصليين ، انها المواجهة داخل نطاق الدوله الاسرائيلية بين النظام الاسرائيلى بكافة ملامحة العنصرية ، وبين الفلسطينيين فى الداخل ، أى « عرب اسرائيل » .
- النمط الثانى من المواجهة الفلسطينية ـ الاسرائيلية هو نمط المواجهة بين الاحتلال ، وبين ابناء الشعب الواقع تحت ذلك الاحتلال ، انها المواجهة (فوق ارض فلسطين المحتلة فى الضفة وقطاع غزة) بين الاستعمار الاسرائيلى ذى الملامح العنصرية الاستيطانية ، وبين الشعب الفلسطين فوقها ، الرافض دوما لذلك الاحتلال .
- النمط الثالث من المواجهة الفلسطينية ـ الاسرائيلية هو نمط المواجهة على ارض « طرف ثالث » سواء تمثل هذا الطرف فى البلاد العربية المحيطة باسرائيل والتى كان يفترض دائما أن تشكل خلفية أو قاعدة للمقاومة (اى مصر وسوريا والاردن ولبنان) أو تمثل فى أى بلد آخر فى العالم العربى أو خارجه وجد فيه فلسطينيون قدموا ـ بأى شكل من الاشكال ـ جهودهم لدعم المقاومة ضد العدو الاسرائيلى .

الذى شهده لبنان فى شهور (يونيو ـ يوليو ـ أغسطس ١٩٨٢) هو إنهاء (أو على الاقل الحد بشدة من فعالية) ساحة أخرى من ساحات ذلك النمط الأخير من المواجهة ـ أى المواجهة على أرض طرف ثالث ـ وهى الساحة اللبنانية . وبذلك اصبح لبنان (بعد مصر ، وسوريا ، والاردن) منطقة محرمة امام العمل الفدائى ، واستكملت حلقات الأمن (العربى !) حول اسرائيل .

والواقع أن تعريفنا لهذا النمط من المواجهة بأنه مواجهة على أرض « طرف ثالث » ينطوى على إقرار ضمنى بانعدام وجود تحرك قومى ـ عربى حقيقى للمواجهة مع اسرائيل على الاطلاق . فطبقا للشعارات العربية ، الرسمية منها وغير الرسمية ، وطبقا للعديد من القرارات والبيانات ، ليست هناك اطراف عربية متعددة فى المواجهة العربية ـ الاسرائيلية ، انها مواجهة بين الأمة العربية كلها ، والكيان الصهيونى ، مواجهة تجمع الفلسطينيين مع غيرهم من ابناء الشعوب العربية (خاصة شعوب دول المواجهة) فى اطار قومى واحد ضد عدوهم المشترك . على أن ذلك لم يوضع موضع التطبيق العملى الا فى لحظات قصيرة طوال مايقرب من اربعين عاما من الصراع العربى ـ الاسرائيلى . ولم يتمثل ذلك فقط فى أن الدول العربية (خاصة دول المواجهة) لم تترك الفلسطينيين وشأنهم ، يوجهون وحدهم ضرباتهم الى عدوهم ، ولكنها ـ بسبب عوامل كثيرة ، يبرز فى مقدمتها الخوف من الانتقام الاسرائيلى ، والاعتبارات الامنية الداخلية ـ عملت ـ كل بقدر قوتها ـ على منعهم من ممارسة ذلك . فعلت ذلك الدولة المصرية كمسألة مبدأ لاتحتمل النقاش ، وفعلت ذلك الدولة السورية وسط شعارات النضال المصيرى المشترك ، وفعلت ذلك الدولة الاردنية فى مجاوز وحشية فى ١٩٧٠ و ١٩٧١ . ولم تقدر الدولة اللبنانية ـ ذات التركيب الطائفى المعقد والمتخلف ـ بمفردها ، على أن تفعل ذلك ، فافسحت الطريق للجيش الاسرائيلى ليقوم بالعملية ، بدعم امريكى فاضح ، وعجز عربى مهين .

ولاشك ان المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية على أرض البلاد العربية المحيطة باسرائيل ، لم تكن لتكسب قيمتها الحقيقية إلا فى ظل وجود تلاحم حقيقى (شعبى ، ورسمى) بين كل من تلك الدول (بل وبين كافة الدول العربية) والمقاومة الفلسطينية ، أما فى ظل واقع العلاقات بين الطرفين الفلسطينى من جهة ، والاطراف العربية ـ من جهة أخرى ، فان تلك العلاقات لم تؤت ثمارها المتصورة منها ، بل إنها على العكس ـ انهكت المقاومة الفلسطينية وشغلتها بقضايا غطت ـ فى احيان كثيرة ـ على قضيتها الاساسية ضد العدو الاسرائيلى .

وفوق ذلك ، فان النظم العربية كلها كانت تتحمس لشعارات « النضال المشترك » و« الواجب القومى فى فتح الحدود امام الفدائيين الفلسطينيين لممارسة مهمتهم المشروعة والمقدسة » طالما أن هذا يتم خارج أرضها ، ولايكلفها سوى بضعة كلمات أو بضعة دولارات واستفحلت مشاكل الوجود الفلسطينى فى الاردن ولبنان ، وفى كلتا الحالتين انفردت القوى المعادية بالمقاومة الفلسطينية ، وفتكت بالآلاف من ابناء

الشعب الفلسطيني الصامد ، وكشفت ـ في نفس اللحظة ـ حدود المساندة العربية الموهومة للفلسطينيين .

ان هذا التغير الجديد في نمط المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية يعني اكثر من حقيقة :

١ ـ ان الوجود الفلسطيني في لبنان أضحى ـ مثله مثل الوجود الفلسطيني في بقية الدول العربية ، سواء المجاور منها لاسرائيل أو البعيد عنها ـ وجودا « مدنيا » بالاساس ، وبعد رحيل مايقرب من ثمانية آلاف فدائي فلسطيني من بيروت ، اصبح الوجود الفلسطيني في لبنان وجودا غير مسلح متمثلا فيما يقرب من ثلاثمائة ألف شخص بنفس وضعيه مايزيد عن مليون فلسطيني في الاردن (الضفة الشرقية) وحوالي مائتي الف فلسطيني في سوريا ، ومائتي ألف في الكويت ، ومائة الف آخرين موزعين على باقي البلاد العربية .

٢ ـ ان جوهر التغير في نمط المواجهة الفلسطينية ـ الاسرائيلية يعني ـ طبقا لهذا ـ انتقال ثقل تلك المواجهة الى ميادينها الطبيعية أي ارض فلسطيني (سواء داخل حدود الكيان الصهيوني من ناحية ، أو الارض الفلسطينية المحتلة في الضفة والقطاع من ناحية اخرى) فعلى هاتين الجبهتين يمثل كل فرد فلسطيني ، بوجوده وهويته ، تحديا للعدو الاسرائيلي واحتمالا للتمرد والمقاومة .

٣ ـ ففي داخل اسرائيل يعيش حوالي نصف مليون فلسطيني يمثلون مايقرب من ١٥ ٪ من سكان اسرائيل ، لم تفلح كافة المحاولات الاسرائيلية في طمس هويتهم القومية ، او اضعاف مشاعر الانتماء العربي لديهم . بل على العكس ، لقد كانت حرب ١٩٦٧ ثم حرب ١٩٧٣ نقطتي تحول بارزتين في بلورة تلك المشاعر لدى عرب اسرائيل . وتجلى كل هذا في المظاهر العديدة التي لاتعكس خوفا من السلطات الاسرائيلية مثل المظاهرات والاضرابات واعلان التأييد الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلة للشعب الفلسطيني ، وتأييد اقامة الدولة الفلسطينية ، ورفض الحل الارني . كما تجسد نمو وتبلور الوعي القومي لعرب اسرائيل في تأييدهم السياسي المتزايد لحرب راكاح وتشكيلهم لكتلته الأساسية .

٤ ـ اما الضفة الغربية وغزة ، ارض المواجهة بين الشعب الفلسطيني وبين الاحتلال الاسرائيلي (الاستيطاني والعنصري) فتضم مايزيد على مليون فلسطيني يمثل مجرد وجودهم العددي مانعا اساسيا من موانع لجوء اسرائيل إلى ضم تلك الاراضي بشكل نهائي إليها . ولقد بذلت سلطات الاحتلال الاسرائيلي جهودا هائلة لمنع واحباط امكانيات تحول ابناء الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع الى قوى فاعلة للمقاومة ، واتبعت في سبيل ذلك ـ منذ اليوم الأول للاحتلال ـ سياسات التهدئة الامنية والانعاش الاقتصادي والاحتواء السياسي وسعت السلطات الاسرائيلية ـ خاصة من خلال الانتخابات البلدية والحكم المحلي ـ الى مواجهة المقاومة الفلسطينية بكافة مصادرها وصورها ، والعمل ـ ليس فقط للقضاء على احتمالات المقاومة في الارض المحتلة ، وانما ايضا لخلق زعامات جديدة معتدلة ومتعاونة مع الاحتلال ، يمكن عن طريقها تطبيق « الحكم الذاتي » بالمفهوم الاسرائيلي المشوه ، ولكن هذا كله قوبل بكافة اشكال المعارضة ولذا ، لم تتوان اسرائيل عن اقصاء العمد المنتخبين عام ١٩٧٦ وتدمير المؤسسات الفلسطينية . واستخدام القمع العنيف عند اقامة « الادارة المدنية » في الضفة والقطاع في نوفمبر ١٩٨١ وخرجت المظاهرات للاحتجاج على طرد العمد الفلسطينيين واحلال ضباط اسرائيليين مكانهم ، وسقط مئات القتلى والجرحى في خلال هذه المظاهرات . وقامت الادارة« المدنية » بانشاء « اتحادات القرى » في مناطق كثيرة من الارض المحتلة ، ووضعوا على رأسها بعض الشخصيات المشبوهة ، ولكن تلك الاتحادات تعرضت للهجوم العنيف من السكان بل ومن جانب الاردن ، واتهم الذين قبلوا بها بخيانة شعبهم .

٥ ـ اما الفلسطينييون المشتتون خارج فلسطين (في الاردن ولبنان وسوريا والكويت وباقي البلاد العربية والاجنبية) والذين يشكلون ربما مايزيد قليلا عن نصف مجموع الشعب الفلسطيني باكمله ، فان قضايا تنظيمهم والربط بينهم ، والتأكيد على هويتهم ، وتحويلهم الى عنصر دعم ومساندة ادبية ومادية لقضيتهم ، تظل كلها تحديات هامة أمام منظمة التحرير الفلسطينية .

ثانيا : التحول في مقومات الكفاح الفلسطيني :

حملت احداث لبنان الدامية تأثيرات لاشك فيها على مايكن تسميته بـ مقومات الكفاح الفلسطيني .. ويقصد بها هنا : المقومات التنظيمية ، والأيديولوجية والدعم الخارجي للمقاومة الفلسطينية . وهي المقومات التي تشكل اي حركة ثورية أو تحررية .

☐ من الناحية التنظيمية ، اتخذ التشتت التنظيمي للمقاومة (وهو التشتت الذى كان موجودا في الواقع قبل لبنان) ابعادا جديدة ، ربما كان ابرزها التشتت « الجغرافي » لعديد من منظمات المقاومة الرئيسية . على أن تقدير عواقب هذا التشتت التنظيمي تبدو حتى الآن سابقة لأوانها :

– فمعركة بيروت – بذاتها – كانت بلاشك عاملا اساسيا فى تحقيق نوع من الأندماج أو التلاحم بين فصائل المقاومة ، حتمته ظروف مواجهة الأخطار المشتركة . وفى هذا الأطار ، تدعم وزن السيد « ياسر عرفات » كزعيم لمنظمة التحرير ، وكرمز للقيادة الفلسطينية ، وللشعب الفلسطينى ككل . لقد كانت تلك الحقيقة احدى التحديات التى واجهتها اسرائيل ، والتى عبرت عن نتائج معاكسة لما كانت اسرائيل تبغيه ، أو تتوقعه .

– ومعركة بيروت كانت – بذاتها – عاملا هاما فى الدمج بين تنظيمات المقاومة ، وبين الجماهير الفلسطينية العريضة ، التى شاركتها معركتها الضارية ، ضد العدو الأسرائيلى . بل ان صمود رجال المقاومة فى بيروت الغربية ماكان يمكن تأمينه لما يقرب من ثلاثة اشهر امام الجيش الأسرائيلى ، إلا فى وجود وسط شعبى متجاوب ، يناصر المقاتلين ، ويعاونهم .

أن هذا معناه ، فى الحقيقة ، أن امكانيات تحقيق مزيد من التلاحم الشعبى بتنظيمات المقاومة ، ومزيد من الترابط بين تلك التنظيمات وبعضها البعض ، لاتقل فى الواقع عن أحتمالات حدوث مزيد من التشتت التنظيمى ، بل وربما تفوقها . وهذا يعنى ايضا ان المجال مفتوح لظهور كيانات تنظيمية جديدة ، سواء فى شكل انشقاقات عن تنظيمات قائمة بالفعل ، أو فى شكل دمج بين بعضها البعض ، وهى كلها تغيرات ، يمكن أن تتم تحت وطأة متطلبات العمل فى المرحلة الجديدة من الكفاح الفلسطينى .

☐ من الناحية الفكرية ، وكما تؤكد خبرة الثورات وحركات التحرير دائما ، فانه لاشىء يسهم فى تنقية الأيديولوجية الكفاحية للثورة أو للمقاومة ، مثل الممارسة العملية للكفاح . ولاشك ان ممارسات شهور بيروت الثلاثة ، لابد وان تحمل تغيرات هامة فى التوجهات الفكرية ، والمقومات الأيديولوجية للمقاومة .

– ويمكن القول ان ابرز تلك التغيرات – وربما كانت اخطرها – هى تلك المتعلقة بضرورة اعتماد الشعب الفلسطينى على ذاته ، وسقوط عديد من الأوهام حول جدوى الأرتباط بالنظم العربية القائمة . أن هذا الاتجاه يمكن ان يتخذ مسارين : اما احياء روح من انكفاء الفلسطينين على ذاوتهم ، ، وتنامى الشعور بالعزلة والغربة عن البلاد العربية ، واما إعطاء دفعة قوية للاتجاهات الراديكالية لعديد من فصائل المقاومة ، والتى ترى ان التلاحم الفلسطينى العربى الحقيقى ، لايمكن ان يتم الا فى ظروف تغير ثورى شامل للعالم العربى ككل ، وليس فى ظروف مهادنة وحلول وسط مع الأنظمة العربية القائمة . ولقد اثبتت معركة لبنان وبيروت هذا كله بما لايقبل النقاش . ومثلما تركت النظم العربية الفدائيين فى الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ ومابعده يواجهون وحدهم المذابح التى شنها ضدهم النظام الأردنى ، والتى انتهت بالقضاء على وجودهم المسلح هناك ، فان المشهد نفسه قد تكرر – وبعد مرور عقد من الزمان – على ارض لبنان ، وان كانت السلبية العربية فى تلك المرة قد فاقت اكثر التوقعات تشاؤما . وترك الفدائيون وحدهم امام مايزيد عن مائة الف جندى اسرائيلى مسلحين بأحدث العتاد الأمريكى . ولم تحجم النظم العربية عن تقديم اى دعم مادى فحسب ، بل انها حجرت – فى كافة البلاد العربية – على امكانية تعبير شعوبها عن احتجاجها ، وتضامنها المعنوى مع الفلسطينيين فى محنتهم ، وبدت مظاهر التأييد العربى – المعنوى – فى كافة انحاء العالم العربى اقل منها فى عديد من بلدان العالم البعيدة الأخرى .

واظهرت تجربة لبنان ايضا عجز اى شكل من اشكال التنسيق ، أو العمل المشترك ، على مستوى جزئى (مثل جبهة الصمود والتصدى) أو كلى (جامعة الدول العربية) عن القيام بأى دور فعال فى اللحظات الحاسمة . وطوال شهور لبنان الثلاثة ، عجز أى تجمع عربى عن مجرد عقد أى مؤتمر ، على أى مستوى ، للنظر فى الأزمة ، والتعبير عن أى شكل للأحتجاج والأدانه . ان هذه الوقائع المرة ، لابد وأن تنعكس على فكر حركة المقاومة ، وعلى صياغتها لأفكارها ومشروعاتها المستقبلة .

والوجه الآخر للتغير على الصعيد الفكرى ، هو تبلور الشعور بالهوية الفلسطينية : القوية ، والموحدة ، سواء أزاء واقع التشتت التنظيمى والفكرى من ناحية ، أو أزاء العالم الخارجى من ناحية اخرى . ولقد استهدفت اسرائيل بكافة أدعاءاتها وسلوكياتها ، والتى وصلت إلى ذروتها بعد معركة لبنان ، القضاء على الشعب الفلسطينى ، والأمعان فى انكار حقه فى تقرير مصيره ، وأنشاء دولته المستقلة . ولكن ماحدث فى الواقع عقب معركة لبنان ، هو أن تلك الادعاءات فقدت مزيدا من عناصرها أمام الرأى العام العالمى . وأدى الموقف البطولى لرجال المقاومة فى بيروت ، وكذلك خروجهم المفعم بعواطف الجماهير من حولهم ، الى تلاشى كثير من دعاوى الأرهاب والتخريب ، التى ظلت الدعاية الأسرائيلية والصهيونية تنعتهم بها بالحاح طوال سنوات عديدة ماضية .

– على ان الطابع الوحشى والعنصرى ، الذى اتسم به السلوك الأسرائيلى أزاء المقاومة الفلسطينية فى لبنان ، لابد وأن ينتج ايضا ردود فعل مضادة قد تصل إلى حد التعصب والعنف ضد الصهيونية ، بل واليهودية . ولنتذكر هنا أن العنصرية الصهيونية تفسر – هى

ذاتها – فى جانب كبير منها ، بالنزعة العنصرية ضد اليهود فى أوربا ، كما الممارسات الاسرائيلية الوحشية ضد الفلسطينيين ، اعادت الى الاذهان – فى العالم كله الممارسات النازية ضد اليهود وغيرهم . وبعبارة اخرى ، فان العنصرية والعنف ، لابد وأن تولد عنصرية مضادة وعنفا مضادا . وبالتالى فليس من الغريب أن تظهر افكار فى الوسط الفلسطينى ، ترفض التفرقة بين اليهودية والصهيونية ، وتنبذ افكار التعايش السلمى بين العرب واليهود فى فلسطين . انها افكار سوف تغذيها معاناة الآلاف من الشعب الفلسطينى الذين شردوا ، وقتل ذويهم ، وعذب وشوه نساؤهم واطفالهم على ايدى أفراد جيش « الدفاع » الاسرائيلى .

☐ وفيما يتعلق بالدعم الخارجى للمقاومة ، كانت المقاومة – مثلها فى ذلك مثل اى حركة مناظرة فى التاريخ المعاصر – تتلقى دعما خارجيا ، يساعدها على الاستمرار فى الكفاح ، وعلى تطوير ذلك الكفاح وتصعيده ، سواء تمثل هذا الدعم فى صورة دعم معنوى وسياسى مثل الاعتراف بالمقاومة ، وافساح المجال لانشطتها الاعلامية ، وتأييدها فى المحافل الدولية أو فى صورة دعم مادى – وهو الأهم – خاصة فى صورة معونات مالية ، أو فى صورة معدات عسكرية وتدريب عسكرى – الخ .

على ان المرحلة الجديدة من الكفاح الفلسطينى لابد وأن تحمل معها ايضا تغيرات فى « نوعية » ذلك الدعم الخارجى ، وكذلك فى مصدر هذا الدعم :

فمع تقلص امكانيات العمل العسكرى شبه النظامى ، تتقلص الى حد بعيد أهمية مصادر الدعم العسكرى ، أى مصادر الأسلحة ، خاصة الأسلحة الأكثر تقدما وتعقيدا ، والتى لم يكن من الممكن استخدامها إلا فى غمار صدام عسكرى مباشر مع اسرائيل . وفى المقابل ، فإن استثمار النجاح السياسى والدعائى الذى حققته المقاومة فى معركة بيروت تستلزم الحفاظ على الصلات مع كافة القوى الدولية ، التى اتخذت مواقف سياسية ومعنوية تتسم بالموضوعية والشجاعة ، وتقوية تلك الصلات . ويدخل فى ذلك على وجه الخصوص ، عديد من البلاد فى اوربا الغربية ، والشرقية ، والعالم الثالث ، وكذلك قطاعات هامة من الرأى العام الأمريكى نفسه .

ولاشك أن هناك احتمالات بأن يكون هذا التحول على حساب مصادر الدعم التقليدى للمقاومة ، وخاصة الاتحاد السوفيتى ليس فقط لتقلص الأحتياج إلى الأسلحة والمعدات العسكرية المختلفة ، وانما ايضا بسبب موقفة كدولة عظمى لها حساباتها وتوازناتها الخاصة ، مما خيب آمال الكثيرين فى الثورة الفلسطينية ، الذين نظروا للاتحاد السوفيتى باعتباره « ثورة » قبل ان يكون دولة .

ومع ذلك ، وفى ظل ظروف اثبتت – اكثر من أى وقت مضى على الاطلاق – عمق التواطؤ الامريكى فى دعم الاهداف العدوانية والتوسعية الاسرائيلية لايمكن تصوير الوعى بابعاد الدعم السوفيتى على انه اضافة للرصيد الأمريكى لدى المقاومة ، ولكنه فى الواقع اضافة الى رصيد الوعى الفلسطينى بذاته ، وبحقيقة ان قوه الجانب العربى وقدرته على الفاعلية ، هى الشرط الأول والاهم ، الذى يدفع أى قوة اخرى الى تقديم دعمها اليه .

ثالثا : التحول فى اساليب الكفاح الفلسطينى :

بانقضاء الحرب الفلسطينية – الاسرائيلية فوق الأرض اللبنانية ، وبخروج النواة الأكثر صلابه للفدائيين الفلسطينيين من لبنان ، توارت الى حد كبير امكانيات المقاومة الفلسطينية فى اتباع اسلوب « حرب العصابات » ضد العدو الصهيونى ، انطلاقا من القاعدة التى ظلت باقية منذ ضرب قواعدها فى الأردن عام ١٩٧٠ و١٩٧١ . ولقد كان جوهر السياسات الأسرائيلية المضادة لحرب العصابات الفلسطينية هو ضرب مؤخرتها أو قواعدها فى البلاد العربية المحيطة ، وهى السياسة التى نجحت دوما بسبب عجز أو عدم رغبة النظم العربية فى حماية تلك القواعد .

وبتطورات أحداث لبنان فسوف تتمثل الأساليب الكفاحية الباقية امام الفدائيين الفلسطينيين فى اسلوبين بالاساس :

☐ الأول ، هو عمليات العنف الفردى والتى يطلق عليها ، اجمالا لفظ ارهاب (أو هو بالأخرى : ارهاب ثورى) والتى تشمل عمليات إغتيال العملاء ، ووضع العبوات الناسفة ، والقبض على الرهائن ، والقاء القنابل ، وبث المتفجرات ، وخطف الطائرات والرسائل الناسفة ..الخ وهى عمليات لاتستهدف تحقيق انتصار عسكرى ما ، بقدرما تستهدف اغراضا اخرى ، مثل رفع الروح المعنوية للمقاومة ، والأعلان عن وجودها وفعاليتها ، واحداث الأرتباك فى صفوف الأسرائيليين والحد من فعالية بعض العناصر العميلة ، واستفزاز السلطات المعادية .

ان الأصالة الثورية للمقاومة ترفض – مبدئيا – الأرهاب ، ولكن هذا لاينفى على الأطلاق احتمالات لجوءعديد من العناصر الفلسطينية ، خاصة تلك غير الخاضعة تماما لسيطرة منظمة التحرير الفلسطينية ، للارهاب ، وهو الأمر الذى توقعته عديد من الدوائر فى العالم كله .

والواقع أن تلك التوقعات صحيحة فى مجملها ، من حيث أن حرب لبنان قد دفعت المقاومة الفلسطينية إلى

حيث يبدو الأرهاب احد المنافذ القليلة المتاحة لحركتها ، فى ظل انعدام الحد الأدنى من القواعد ونقاط الأنطلاق اللازمة لشن حرب العصابات — كما سبق وذكرنا . وايضا فى ظل حالة الأنهاك السياسى والضعف العسكرى للمقاومة ، لأن الأرهاب هو كقاعدة — سلاح الضعيف .

— أما اسلوب الكفاح الثانى فيشمل الكفاح السياسى غير المسلح . ولاشك أن المناطق المحتلة — وبالتحديد الضفة الغربية وقطاع غزة — شهدت دائما اشكالا مستمرة للنضال السياسى ضد الأحتلال الأسرائيلى ، وشهدت ايضا تكثيفا لذلك النضال فى شكل انتقاضات جماهيرية شاملة اكثر من مرة منذ يونيو ١٩٦٧ . مثل انتقاضة أواخر عام ١٩٦٨ و أوائل ١٩٦٩ والأنتقاضة التى وقعت فى نوفمبر عام ١٩٧٤ وبدأت فى اليوم الذى القى فيه ياسر عرفات خطابه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وامتازت برفع شعارات الولاء للمنظمة ، ورفض الأحتلال الأسرائيلى والحكم الأردنى معا . وكذلك انتقاضه « يوم الأرض » الشهيرة فى مارس ١٩٧٦ والتى شملت كل فلسطين المحتلة (سواء داخل اسرائيل أو فى اراضى الضفة والقطاع) وقامت اساسا بشكل عفوى ضد محاولات الأستيطان الصهيونى .

ومع أن تلك المحاولات لم تتحول الى عصيان مدنى حقيقى (مستمر وشامل) لأسباب ذاتية وموضوعية كثيرة مثل ضعف القيادات التقليدية ، وانعدام وجود مراكز حضرية واسعه تصلح لان تكون نوايا لانتقاضات جماهيرية كبرى الا ان ارهاصات اتساع هذا النمط من اعمال المقاومة تظل قائمة دوما . وفى اثناء العدوان الأسرائيلى على لبنان قام العمد فى المناطق المحتلة ، بمن فى ذلك المعتدلين منهم — كما قالت الجيروزاليم بوست فى ٢٢ يونيو — بالتوقيع على اعلان يؤكد تأييدهم لمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطينى ، كما ادانوا الدول العربية التى احجمت عن دعم الفلسطينيين فى هذا الوقت العصيب . والواضح ان السلطات الأسرائيلية تعدت — فى مواجهتها لتلك الأرهاصات — مرحلة الأحترام الشكلى للمجالس البلدية « الشرعية » وبدات فى حل مجالس البلديات التى ترفض التعاون مع الأدارة المدنية الأسرائيلية . ومع ذلك كله ، فلاشك ان الصمود البطولى للمقاومة ، وما يمكن ان تنجزه مع المستوى السياسى ، حتى بعد خروجها من بيروت ، سوف يمثلان معينا لاينضب لرفع الروح المعنوية للشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة ، ورفع ممارساته لكافة اساليب النضال درجات اخرى متصاعدة ضد عدوه الصهيونى .

على ان صعوبة اسلوب معين للكفاح ، وامكانية اساليب اخرى ، فى مرحلة تاريخية معينة ، تظل حقيقة نسبية ومؤقته . ويصبح لدى المقاومة الفلسطينية ، كحركة تحريرية ثورية اصيلة ، القدرة على صياغة وتطويع وابتداع الأساليب الأكثر مواءمة لها ، فذلك هو — دائما — جوهر الثورات وسر عبقريتها . □

ملف « السياسة الدولية » [٢]



الغزو الاسرائيلى للبنان فى الأمم المتحدة

هالة مصطفى

احتلت أزمة الشرق الاوسط مكانا بارزا فى قائمة المنازعات التى عرضت على هيئة الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ حتى الآن .. وقد حاولت المنظمة الدولية أن تلعب دورا فى حل تلك الازمة التى تعد بؤرة للتوتر مما يشكل تهديدا للامن والسلم الدوليين وقد بدأ هذا الدور بقرار الجمعية العامة الشهير رقم ١٨١ الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ والذى نص على تقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى يهودية ، ومنذ ذلك الوقت لم ينقطع دور الامم المتحدة فى محاولة تسوية أزمة الشرق الاوسط .. وكان هذا الدور يتصاعد كلما اتخذت الأزمة شكل النزاع المسلح بين العرب واسرائيل ، ولذلك فقد صدرت أهم قرارات الأمم المتحدة فى هذا المجال فى اعقاب حربى ١٩٦٧ و١٩٧٣ وأهمها قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والقرارين رقمى ٣٣٨ و٣٣٩ الصادرين فى ٢١ ـ ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ . ثم انتقل دور الامم المتحدة فى أزمة الشرق الاوسط الى الساحة اللبنانية مع تصاعد التهديد الاسرائيلى للبنان .. فعلى اثر غزوها السابق لجنوب لبنان فى مارس ١٩٧٨ صدر قرار مجلس الامن رقم ٤٢٥ لينص على الانسحاب الاسرائيلى ودخول قوات الامم المتحدة الى جنوب لبنان ، وبمقتضى هذا القرار تشكلت قوات الطوارىء الدولية هناك والتى ظل المجلس يجدد عملها كل ستة شهور منذ ذلك الوقت ..

لكن دخول قوات الامم المتحدة لم يحل دون اصرار اسرائيل على المضى فى تنفيذ مخططها العدوانى فى لبنان الذى وصل الى ذروته فى اوائل يونيو الماضى . وازاء ذلك عاودت الامم المتحدة محاولتها لايجاد حل للأزمة اللبنانية التى اصبحت من اخطر بؤر التوتر فى الشرق الاوسط .. ومن هنا يتردد التساؤل عن مدى امكانية نجاح الامم المتحدة هذه المرة بعد أن تعثر دورها فى حل أزمة الشرق الاوسط لفترة طويلة ..

الغزو الاسرائيلى فى مجلس الأمن :

جاء موقف مجلس الأمن على اثر الغزو الاسرائيلى الاخير للبنان ليعبر عن قلق المجتمع الدولى من تجدد اعمال العنف هناك فقد سارع المجلس الى الاجتماع فور وقوع الغزو ليصدر قرارين متتاليين خلال الاربع والعشرين ساعة التالية للغزو تحت رقم ٥٠٨ و٥٠٩ وتتضمن القراران نقطتين رئيسيتين :

(١) الانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية الى الحدود الدولية المعترف بها للبنان .

(٢) التزام كافة الاطراف المعنية بوقف نشاطها العسكرى وقفا فوريا ومتزامنا داخل اراضى لبنان وحول الحدود الاسرائيلية اللبنانية المشتركة .

وقد صدر القراران باجماع الاصوات من قبل الاعضاء المشتركة فى اعمال المجلس ، وهو الاجماع الذى تعذر الحصول عليه بعد ذلك .. بل ان المجلس لم

يتمكن من اصدار ايه قرارات أخرى ذات فعالية تتعلق بجوهر الأزمة .

فاصدر قرار فى ١٨ يونيو الماضى يتضمن تجديد عملية قوات الطوارىء فى لبنان لمدة ستين يوما أخرى ريثما يتسنى تقييم الموقف هناك وصدر هذا القرار بموافقة ١٣ دولة مع امتناع الاتحاد السوفيتى وبولندا عن التصويت .

ثم اصدر فى ٣٠ يوليو الماضى قرارا ينص على ضرورة رفع اسرائيل لحصارها العسكرى عن بيروت حتى يتسنى ارسال المواد الغذائية للسكان المحاصرين . وصدر القرار بأغلبية ١٤ صوت مع امتناع الولايات المتحدة عن التصويت .

وتلاحظ هنا أن الامتناع عن التصويت على القرار الاول جاء من جانب الاتحاد السوفيتى وبولندا تأكيدا للموقف السوفيتى المعروف والمتحفظ على دخول الامم المتحدة الى لبنان .. أما امتناع الولايات المتحدة عن التصويت فى القرار الآن فيعود الى ما يوجهه هذا القرار من لوم غير مباشر لاسرائيل ..

وفى اطار تلك الجهود الرامية الى معالجة الجانب الانسانى لمأساه غزو لنبان وافق مجلس الامن . خلال اجتماع طارىء — على قرار يطالب بالوقف الفورى لاطلاق النار فى بيروت ووقف كل الانشطة العسكرية فى العاصمة اللبنانية وحولها وفى لبنان وعبر الحدود اللبنانية — الاسرائيلية ، كما يطالب القرار الذى قدمت مشروعه الاردن واسبانيا بالعمل على انتشار مراقبين تابعين للامم المتحدة لمراقبة الموقف فى بيروت وحولها بصورة فورية .

وازاء التجدد المستمر لاعمال العنف التى تقوم بها اسرائيل وانتهاكاتها المتكررة لقرارات مجلس الامن وعدم التزامها بها فقد وافق مجلس الامن خلال جلسة طارئة عقدها بناء على طلب الاتحاد السوفيتى فى ٥ اغسطس الماضى على قرار أخر يطالب بالانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية من بيروت الغربية الى خطوط وقف اطلاق النار .. وقد صدر القرار الذى قدمته مشروعه الاردن واسبانيا بأغلبية ١٤ صوتا وامتناع الولايات المتحدة عن التصويت .

والملاحظ أن امتناع الأخيرة عن التصويت جاء معبرا عن موقفها المتحفظ من القرار والذى وصفته بأنه غير متوازن . وكانت الولايات المتحدة قد هددت باستخدام الفيتو ضد مشروع القرار الاصلى الذى كان يطالب بفرض عقوبات دولية على اسرائيل مالم تنسحب قواتها من المواقع التى احتلتها .

اما المرة الوحيدة التى انضمت فيها الولايات المتحدة الى جميع اعضاء مجلس الامن — فى الاقتراع لصالح مشروع قرار يطالب برفع الحصار عن بيروت والوقف الكامل للعمليات العسكرية — جاءت بعد تعديل مقدمته وعدم الاشارة فيها الى اسرائيل بالاسم والتى ادانها مشروع القرار .

وكان نص مشروع القرار الاصلى الذى تقدمت به ست من الدول غير المنحازة الاعضاء فى مجلس (وهى جويانا والاردن وبنما وتوجو واوغندا وزائير) قد اورد اسم اسرائيل فى العبارة التى تعرب عن قلق المجلس من استمرار نشاطات اسرائيل العسكرية فى لبنان .

المشروع الاسبانى :

لكن مجلس الامن عجز فى نفس الوقت عن اصدار قرار متكامل يعالج مختلف جوانب الازمة اللبنانية فكل القرارات المشار اليها لاتنطوى الا على معالجة جزئية لبعض جوانب هذه الازمة وبصفة خاصة جوانبها الاجرائية والانسانية اما النواحى الاخرى المتعلقة بجوهر الأزمة فقد فشل المجلس فى اصدار اى قرار بشانها . وتعثرت المشروعات التى قدمت فى هذا المجال بسبب الاعتراض الامريكى عليها . وكان اولها مشروع القرار الاسبانى الذى قدم الى المجلس فى ٨ يونيو الماضى ويتضمن اربع نقاط رئيسية

١ — ادانة عدم تقيد إسرائيل بالقرارين ٥٠٨ و ٥٠٩ .

٢ — المطالبة بالتقيد التام بنصوص معاهدة لاهاى ١٩٠٧ .

٣ — المطالبة بالانسحاب الاسرائيلى الفورى الى الحدود الدولية المعترف بها للبنان .

٤ — المطالبة بوقف كل النشاطات العسكرية فى الاراضى اللبنانية وعبر الحدود اللبنانية — الاسرائيلية .

وفى الوقت الذى دافع فيه الرئيس الامريكى ريجان فى تصريح له اعلنه مع السيدة مارجريت تاتشر يوم ٩ يونيو الماضى عن قرار مجلس الامن رقم ٥٠٨ استخدمت الولايات المتحدة الامريكية فى نفس اليوم حق « الفيتو » ضد المشروع الاسبانى الذى يدين اسرائيل لعدم تقيدها بالقرار المشار اليه ويدعوها لسحب قواتها من الاراضى اللبنانية . وبذلك وقفت الولايات المتحدة حائلا دون صدور المشروع فى صيغة قرار ملزم كما منعت ايضا ادانة اسرائيل .

المشروع الفرنسى :

كما أحبطت مشروع القرار الاسبانى داخل مجلس الامن فقد سارعت الولايات المتحدة الى استخدام حق الفيتو ضد مشروع قرار مقدم الى مجلس الامن الدولى يطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية والفلسطينية من بيروت . وتتضمن هذا المشروع الذى اقترحته فرنسا وقدم فى ٢٦ يونيو الماضى

— دعوة لوقف اطلاق النار .

— الانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية المرابطة حول

بيروت الى مسافة عشرة كيلو مترات من مشارف العاصمة كخطوة اولى نحو انسحاب كامل من لبنان .

ـ ثم الانسحاب المتزامن لقوات المقاومة الفلسطينية الى مواقع يتم تحديدها .

كذلك أيد مشروع القرار حق الحكومة اللبنانية فى استعادة سيطرتها الكاملة على بيروت كذلك دعا الى ارسال مراقبين من الامم المتحدة بالاتفاق مع الحكومة اللبنانية لمراعاة وقف اطلاق النار وفك الاشتباك حول بيروت .

وباستثناء الولايات المتحدة فقد صوتت جميع الدول الاخرى الاعضاء فى مجلس الامن الى جانب مشروع القرار كما رحبت به الدوائر العربية والفلسطينية . واستندت الولايات المتحدة فى رفضها للمشروع الى عدم تحقيقه لشرط أساسى وهو ازالة الوجود الفلسطينى المسلح من بيروت وغيرها .

ومن المعروف أن الولايات المتحدة قد دعت الى خروج الفدائيين من لبنان دون اسلحتهم ودون التفاوض على مستقبلهم أو تقديم بديل للتوصل الى حل . وفى هذا الاطار اعطت الولايات المتحدة باستخدامها « الفيتو » فى مجلس الامن الضوء الاخضر لاسرائيل لاجتياح بيروت الغربية . فرحبت الاخيرة بالفيتو ضد مشروع القرار الفرنسى واعلن متحدث باسم وزارة الخارجية الاسرائيلية ان اسرائيل تلقت بارتياح كبير الموقف الامريكى الذى يتفق مع المبادرة السياسة الاسرائيلية .

عودة الى الجمعية العامة :

وازاء تكرار استخدام الفيتو الامريكى انتقلت الجهود العربية فى الامم المتحدة الى نطاق الجمعية العامة فى محاولة لاصدار قرار يدين الغزو الاسرائيلى بمنأى عن الفيتو الامريكى ونجحت هذه الجهود بالفعل فى عقد اجتماع طارىء للجمعية العامة فى ٢٧ يونيو الماضى صدر عنها قرار جديد بأغلبية ١٢٧ صوتا يدعو الى انسحاب اسرائيل الفورى من لبنان . وتضمن هذا القرار نقاطا لم يكن ممكنا أن يتضمنها قرار صادر عن مجلس الأمن وأهمها :

ـ دعوة مجلس الامن الى فرض عقوبات على اسرائيل فى حالة عدم تقيدها بالقرار .

ـ ادانة اسرائيل بشكل مباشر لعدم التزامها بقرارى مجلس الأمن رقمى ٥٠٨ و ٥٠٩

التأكيد على ان قضية فلسطين هى لب النزاع العربى الاسرائيلى وان السلام غير ممكن ما لم يمارس الشعب الفلسطينى كافة حقوقه الوطنية .

الاشارة الى ضرورة اشتراك منظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطينى فى اى مفاوضات للتسوية على قدم المساواة مع الاطراف الأخرى . وكما كان متوقعا كانت الولايات المتحدة على رأس الدول التى عارضت هذا القرار . وبذلك لم تبد الولايات المتحدة استعدادا لممارسة اى ضغوط على اسرائيل لوقف عدوانها على لبنان او توفير المناخ الملائم للتوصل الى تسوية دائمة للازمة اللبنانية التى لن تتحقق الا باشتراك متوازن لكافة الاطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير .

ولم تصدر الجمعية العامة بعد ذلك سوى قرار فى الخامس من اغسطس الماضى يقضى بتوجيه اللوم لاسرائيل لعدوانها العسكرى على المناطق السكنية التى تقطن بها عائلات لبنانية و فلسطينية واستخدامها للاسلحة المحرمة دوليا مثل القنابل العنقودية وقد صدر القرار بأغلبية ٧٣ صوتا ضد صوتين وامتناع ٢٦ صوتا (يلاحظ ان القرار اكتفى بتوجية اللوم ولم يتضمن ادانة واضحة لاسرائيل)

ولان قرارات الجمعية العامة ليست لها صفة الالزام فقد عادت القضية مرة اخرى الى ادراج مجلس الامن .

الفيتو الامريكى مرة اخرى :

وبتكرار استخدام الفيتو الامريكى فى مجلس الامن ، بدا كما لو كان هناك تنسيق امريكى اسرائيلى داخل المنظمة الدولية .. وتأكد هذا الاعتقاد مع طرح مشروع القرار الذى تقدم به الاتحاد السوفيتى الى المجلس فى اوائل اغسطس الماضى وتتضمن بنودا ثلاثة

ـ يدين مجلس الامن إسرائيل بشدة لعدم امتثالها لقرارى مجلس الامن رقم ٥١٦ و٥١٧

ـ يطالب اسرائيل بالامتثال التام والفورى للقرارين .

ـ يقرر انه يتعين على الدول الاعضاء فى الامم المتحدة من اجل تنفيذ القرارات المشار اليها الصادرة عن مجلس الامن بالامتناع عن تزويد اسرائيل بأى اسلحة من اى نوع او تقديم مساعدة عسكرية اليها كاجراء تمهيدى لامتثال اسرائيل لقرارات المجلس (ويتضح ان القرار موجة بشكل واضح الى الولايات المتحدة المورد الرئيسى للاسلحة الى اسرائيل) .

وكان القرار قد تم التصويت عليه بأغلبية ١١ صوتا مقابل رفض الولايات المتحدة له وامتناع ثلاث دول اخرى عن التصويت هى بريطانية وتوجو وزائير

ولعل سعى الولايات المتحدة الدائم لاحباط مشاريع القرارات التى قدمت الى المجلس كمحاولة لحل الأزمة اللبنانية قد جاء لافساح الطريق امام مهمة مبعوثها الخاص فى الشرق الاوسط « فيليب حبيب » لتحقيق نوع من السلام الامريكى فى لبنان .

المشروع المصرى الفرنسى :

برز المشروع المصرى الفرنسى على ساحة الامم

المتحدة باجتماع مجلس الامن الدولى فى ٧ يوليو الماضى للنظر فى مشروع قرار اعتزمت فرنسا تقديمه حول النزاع فى لبنان ويستند الى وثيقة العمل التى وضعتها مع مصر وتنص وثيقة العمل الفرنسية على اقتراح مشترك لفك الاشتباك بين القوات الفلسطينية الاسرائيلية فى بيروت الغربية والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بما فى ذلك حق فى تقرير مصيره وانشاء دولته ، والاعتراف المتبادل بين الاطراف المتواجهة فى النزاع العربى الاسرائيلى .

ويتضح من ذلك ان المشروع يتعرض للجوانب السياسية للمشكلة كما يوضح العلاقة بين فض الاشتباك بين المتحاربين فورا وتشكيل قوة من مراقبى الامم المتحدة من جهة وبين المبادىء التى يجب ان تقوم عليها محادثات القضية الفلسطينية من جهه اخرى .

واذا كانت كلا من مصر وفرنسا لم تلجا فى طلب طرح المشروع للتصويت فقد رجع ذلك الى رغبتها فى تفادى توقيع فيتو امريكى لذلك فقد اعطيا فرصة ليشارك جميع الاطراف فى قبول الصيغة النهائية لمشروع القرار وفى هذا الاطار قدم مشروع معدل فى نطاق المبادرة المصرية الفرنسية لحل الأزمة اللبنانية ..

وبمقارنة المشروعين يتضح عدم وجود فروق جوهرية بينهما وينحصر التباين فى نقاط ثلاثة :

(١) نص المشروع المعدل ان يكون الانسحاب متزامنا للقوات الفلسطينية والاسرائيلية بينما لم يشترط المشروع الاول هذا التزامن فى الانسحاب ..

(٢) نص المشروع الاول على انسحاب القوات الفلسطينية الى احد المخيمات دون تحديد لمواقعها بينما نص المشروع المعدل على انسحاب القوات الفلسطينية خارج بيروت

(٣) لم يحدد المشروع الاول مصير الاسلحة الفلسطينية الثقيلة اما المشروع المعدل فقد نص على ابرام اتفاق مع الحكومة اللبنانية بشأن مصير الاسلحة الفلسطينية

وهكذا لم ينص المشروع المعدل اى تعديل جوهرى للمشروع الاصلى خاصة فيما يتعلق بالنص على حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى وهو النص الذى طلبت الولايات المتحدة تعديله لقبول المشروع ولذلك لم تنجح الجهود المصرية الفرنسية – حتى كتابة هذا التقرير – فى الحصول على موافقة امريكية على المشروع لتقديمه رسميا الى مجلس الامن

الامم المتحدة : حدود الدور

وهكذا يتضح انه على مدى حوالى ثلاثة شهور من بدء الغزو الاسرائيلى للبنان صدرت عدة قرارات عن مجلس الامن والجمعية العامة بشأن هذا الغزو غير ان القرارات التى صدرت عن المجلس كانت تتعلق بجوانب فرعية ترتبط بالأزمة الناشئة عن الغزو الاسرائيلى ولكنها لم تتعلق بجوهر هذه الأزمة اذ حال الفيتو الامريكى دون اقرار المشروعين الاسبانى والفرنسى اللذين تضمنا حلا للأزمة . كما ان هذا الفيتو هو الذى دفع بكلا من القاهرة وباريس الى تأجيل تقديم المشروع المصرى الفرنسى رسميا الى مجلس الامن ومحاولة تعديلة لتجنب الاعتراض الامريكى عليه ..

ولذلك كانت كل القرارات الصادرة عن مجلس الامن تتعلق بنواح اجرائية مثل تجديد عمل قوات الطوارىء الدولية . او جوانب انسانية خاصة بأوضاع السكان المحاصرين فى بيروت الغربية فيما عدا قرارا واحدا نص على انسحاب القوات الاسرائيلية من حول بيروت الغربية فقط وصدر هذا القرار الاخير فى الوقت الذى مارست فيه واشنطن ضغوطا لأول مرة على اسرائيل لانقاذ مهمة مبعوثها الخاص فى الشرق الاوسط فيليب حبيب من الانهيار . ورغم ذلك فقد اتخذت امريكا موقف الامتناع عن التصويت على هذا القرار .

وبذلك يكون مجلس الامن قد اخفق فى القيام بمهامه الرئيسية التى حددها له ميثاق الامم المتحدة ومنها فض المنازعات بالطرق السلمية ويرجع سبب ذلك الى صراعات الدول الكبرى وارتفاع لغة القوة والاداة العسكرية مما يؤدى الى الاخلال بالامن الدولى .

وبالرغم من ان قرارات مجلس الامن ملزمة للدول الاعضاء الا ان الدول المعتدية تتقاعس عن تنفيذها مما يؤدى الى فقدان ثقة المجتمع الدولى وخاصة الدول الصغرى فى فاعلية اجهزة الامم المتحدة فى التسوية السلمية لحل منازعاتها أضف الى ذلك اعتراف ميثاق الامم المتحدة بحق الاعتراض « الفيتو » للدول الكبرى والذى استخدمته الاخيرة بصورة مبالغ فيها مما ترتب عليه فشل مجلس الامن فى حل كثير من المنازعات الدولية والمثال الاسرائيلى ليس فى حاجة الى توضيح

اما القرارات التى صدرت عن الجمعية العامة وان تضمنت ادانة مباشرة لاسرائيل الا ان قراراتها ليست لها صفة الالزام

وبذلك تاهت قضية غزو اسرائيل للبنان فى اروقة الامم المتحدة بسبب عجز مجلس الامن عن اصدار قرار حاسم من ناحية وغياب صفة الالزام لقرارات الجمعية العامة من ناحية اخرى ولم تسهم الامم المتحدة بأى دور فى الحل الذى تم الوصل اليه للأزمة عن طريق المبعوث الامريكى فيليب حبيب .

وهكذا تجددت مرة اخرى قضية عدم فعالية المنظمة الدولية وفرصة حلول سلمية للمنازعات العالمية وتأكد من جديد ان الآمال التى كانت معلقة على الامم المتحدة كاكبر مؤسسة تنظيمية دولية للسلام لا تعدو أن تكون اوهاما .

ملف « السياسة الدولية » [٣]



تطور الدور الأمريكى وغزو لبنان

حسن أبوطالب

ومنذ الايام الاولى لقيام اسرائيل بغـزو لبنان سارعت الادارة الامريكية الى التـدخل بغـرض التاثير والتوجيه على تـطور عملية الغـزو الاسرائيلي وملحقاته السياسية ، وقد وضح مـع المواقـف الأولية التى عبر عنها كل من الرئيس الأمريكى ريجـان ووزير خارجيته هيج ـ قبيل استقالته ـ ان رده الفعـل الامريكية تسير على مستويين :

الأول : الايحاء بأن الادارة الامريكية قد قررت العمل على تطويق الأزمـة الناتجـة عن العمليات العسكرية الاسرائيلية دبلوماسيا .

الثانى : اعطاء التبرير لعملية الغزو الاسرائيلي وتأكيد احقية اسرائيل فى هـذه العمليات العسكرية فى ضوء الأهداف الاولية التى اعلنتها اسرائيل . وبالرغم من التعارض الشكلى بين هذين المستوين ، الا انهما كانا يؤديان نفس النتيجة ووفقا للمستوى الاول ، اتخذ الرئيس ريجان قراره بايفاد مبعوثه الشخصى فيليب حبيب الى المنطقة لمعالجة الموقف المتفجر ، ووفقا للمستوى الثانى اسرع وزير الخارجية الأمريكية هيج فى توضيح الموقف الامريكى ازاء عملية الغزو عبر مجموعة من التصريحات التى اجمعت على ان ماتقوم به اسرائيل فى لبنان هو من قبيل ممارسة العنف المضاد لمواجهة الارهاب الفلسطينى ووفقا لما قاله هيج فى اليوم التالى لبدء الغزو الاسرائيلى ٨٢/٦/٧ فان الدور الامريكى سوف « يحاول » ـ ولم يقل سوف يقنع ـ ان يقنع اسرائيل بالانسحاب من الأراضى اللبنانية ، وان هناك تشاورات تجرى مع بيجين عبر المبعوث حبيب وانه لا يوجد ادنى تفكير فى الادارة الامريكية لوقف المساعدات الامريكية المقدمة الى اسرائيل او تعليقها .

ج ـ ان الادارة الأمريكية تحاول تقوية الحكومة المركزية فى لبنان وتقليل الوجود السورى هناك .

وهو التصريح الذى عكس فى مجمله تطابق وجهة النظر الامريكية مع الاهداف الاسرائيلية التى اعلنت تبريرا لغزو لبنان ـ وترافق مع تصريحات التبرير الأمريكية شق آخر تعلق بالتأكيد ـ النظرى ـ على سعى الولايات المتحدة الى تطبيق قرار مجلس الأمن الصادر فى يوم بدء الغزو الاسرائيلى تحت رقم [٥٠٩] والداعى الى وقف العمليات العسكرية وانسحاب كافة القوات الاسرائيلية الى الحدود الدولية المعترف بها للبنان .

ومع تطور العمليات الاسرائيلية وتجاوزها الأهداف التى اعلنت مع الساعات الأولى لعملية الغزو ، تطور بالمقابل الموقف الأمريكى فيما يعد تراجعا صريحا عن الالتزام بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٥٠٩ المشار اليه . وقد بدا التراجع الامريكى فى الاعتراض على

مشروع قرار مجلس الأمن الذى اقترحته اسبانيا فى جلسة ١٩٨٢/٦/٩ والذى كان فى جوهره تأكيد على ماجاء فى القرار ٥٠٩ مع توجيه اللوم الى اسرائيل للامتناع عن تنفيذ القرارين السابقين للمجلس . وكانت حجة الجانب الامريكى فى الاعتراض على التصويت لصالح مشروع القرار الاسبانى تتكون من ثلاثة اجزاء هى « عدم توازن القرار » ، « انه غير كفيل باعادة السلام الى لبنان » واخيرا « ان الجانب الامريكى يسعى من خارج المنظمة الدولية الى ايجاد حل يتعلق بوقف العمليات العسكرية » وقد كرر الجانب الامريكى هذه الذرائع الثلاث ازاء المشروعات الاولى التى قدمت الى مجلس الامن حتى تلك التى لم تكن تطالب بأى انسحاب اسرائيلى بل طالبت بتوفير حد ادنى من فض الاشتباك بين القوات المتحاربة مثل مشروع القرار الفرنسى الذى قدم فى ١٩٨٢/٦/٢٦ ـ او ذلك المشروع الذى طالب فقط بمجرد مراعاة بعض الجوانب الانسانية مثل رفع الحصار العسكرى الاسرائيلى عن بيروت مثل مشروع القرار الاسبانى الذى قدم فى ١٩٨٢/٦/٣٠ ، وتطور الموقف الامريكى الى هذا النحو اكد ان الادارة الأمريكية ساعية الى استخدام ثقلها الدولى فى تحقيق هدفين :

الأول : التفرد الأمريكى « بحل » اية تفجرات خاصة بالصراع العربى ـ الاسرائيلى وبالتالى عزل المجتمع الدولى عن ممارسة اى دور ازاء هذه التفجرات .

الثانى : منع المجتمع الدولى من امكانياته السياسية فى فرض اية مطالب او التزامات على اسرائيل من شأنها ان تعيق اسرائيل ـ حتى ولو من الناحية النظرية ـ عن تحقيق اهدافها الاصلية والخاصة بالقضاء التام على البنية السياسية والعسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وعند هذا التطور الذى لحق بالموقف الامريكى بعد ما يقرب من اسبوعين فقط من بدء عملية الغزو الاسرائيلى ، وضح تماما ان ثمة تنسيق بين الجانبين الاسرائيلى والامريكى ، كان معد سلفا لتمكين الجانب الاسرائيلى من تحقيق كافة اهدافه المعلنة وغير المعلنة ، وهذه القناعة حول المشاركة الأمريكية سياسيا وعسكريا فى عملية الغزو الاسرائيلى بدأت فى التأكيد مع تواتر الانباء الخاصة بـ :

١ ـ زيارة وزير الدفاع الاسرائيلى شارون الى الولايات المتحدة قبل البدء فى عملية الغزو ، وهى الزيارة التى تم خلالها بحث تفصيلات عملية الغزو عسكريا وسياسيا ووفقا لما اعلنه شارون فى ٨/١٤ فانه ابلغ كلا من هيج وزير الخارجية الامريكى وكاسبار واينبرجر وزير الدفاع بأن اسرائيل مقبلة على العمل فى لبنان وذلك قبل الغزو بعشرة ايام .

٢ ـ تحرك بعض قطع الاسطول السادس الامريكى فى البحر الأبيض المتوسط فيما قبل البدء الاسرائيلى فى عملية الغزو واتخاذها لمواقع جديدة بالقرب من الشواطىء اللبنانية وقد شملت هذه القطع البحرية الأمريكية حاملة طائرات وعددا من الزوارق السريعة . فيما يعد توفيرا للحماية استعدادا لمنع اية تحركات مضادة للقطع البحرية الاسرائيلية التى قامت بحصار الشواطىء اللبنانية وقصفها .

ومع تزايد درجة الاقتناع العربى والدولى بأن الغزو الاسرائيلى للبنان ماكان له ان يحدث الا بالدعم الأمريكى حتى درجة التواطؤ والمشاركة الكاملة ، اعلن عن استقالة هيج وزير الخارجية الامريكى المعروف بانحيازه الكامل لاسرائيل وتعيين جورج شولتز فى ذات المنصب ، وقد برزت انذاك ثلاث تفسيرات لهذه الاستقالة المفاجئة لهيج فى ٦/٢٦ .

الاول : التفسير الرسمى الامريكى .. يرجع الاستقالة الى مجموعة من الانقسامات الداخلية فى الادارة الامريكية ، ولاسيما بين هيج وزير الخارجية وكاسبار واينبرجر وزير الدفاع ، ووفقا لهذا التفسير فانه لا تأثير لأحداث لبنان على هذه الاستقالة

الثانى : ويرجع الاستقالة الى ان الرئيس الامريكى « اقال » هيج او دفعه الى تقديم استقالته بسبب الموقف الذى اتخذه هيج من احداث لبنان ، فيما اعتبره الرئيس ريجان « ان هيج خدعه » حين اقنعه بالأهداف المحدودة للعمليات العسكرية الاسرائيلية وضرورتها لخدمة عملية السلام فى المنطقة ـ ووفقا لهذا التفسير فان جزءا من دوافع الرئيس الامريكى لقبول استقالة هيج يرجع الى تأثره بقسوة القصف الاسرائيلى على المدنيين فى بيروت الغربية وتجاوز ذلك الاهداف المحدودة التى ابلغت للرئيس ريجان من قبل هيج .

ثالثا : ان الرئيس الامريكى قد تعرض لمجموعة من الضغوط العربية ، وبصفة خاصة الضغوط السعودية التى وصلت الى حد تهديد الملك فهد بسحب الارصدة السعودية من البنوك الأمريكية ، وتقييد ضخ البترول السعودى ، والسماح بفتح سفارة سوفيتية فى السعودية ، وانه ازاء هذه الضغوط السعودية والمصرية ، اضطر الرئيس ريجان الى دفع هيج الى الاستقالة ، وتعيين جورج شولتز المعروف عنه مصالحه الوثيقة مع العربية السعودية ـ ووفقا لهذا التفسير فانه يمكن تصور ان الرئيس ريجان اقدم على هذا التغيير تحقيقا لعدة اهداف

أ ـ هز القناعة التى شكلت فى الوجدان العربى حول التواطؤ الأمريكى مع اسرائيل فى عملية الغزو

ب ـ الايحاء بأن موقف الادارة الأمريكية وموقف

الرئيس ريجان شخصيا يختلف عن موقف هيج المنحاز لاسرائيل .

ج ـ ان الادارة الامريكية مقبلة على مرحلة جديدة سوف تراعى فيها المصالح العربية .

د ـ ان الادارة الامريكية بصدد اعادة تقييمها للموقف فى لبنان .

وترجيحا لأى من هذه التفسيرات فان المتابعة الفعلية للتنافس بين وزيرى الدفاع والخارجية فى الادارة الامريكية فيما قبل غزو لبنان ، وبعلاقة كل منهما بالرئيس ريجان من ناحية وباسرائيل من ناحية اخرى ، ومع الاخذ فى الاعتبار ردة الفعل الغاضبة عربيا على الدور الأمريكى ، والالحاح المصرى والسعودى على الرئيس ريجان ودعوته الى استخدام ثقله ونفوذه لوقف المذبحة الاسرائيلية فى بيروت ، وفى نفس الوقت ضعفه الفعلى لفرض « موقف محدد » على اسرائيل ، فهى كلها عوامل يبدو معها الأمر وكأنه محاولة من الرئيس ريجان لتحسين موقفه ازاء النظم العربية وثيقة الصلة بالولايات المتحدة ، ومن ثم فان التفسير الخاص بجدوى الضغوط العربية وأثرها فى دفع هيج الى الاقالة يبدو اكثر التفسيرات ترجيحا .

ومتابعة لمجمل التحليلات وردود الأفعال العربية ازاء استقالة هيج وتعيين شولتز بدلا منه ، فقد وضح ان هناك تيارا من التفاؤل بدأ يتسرب فى المواقف العربية يمكن تلخيصه فى ان المواقف العربية الرسمية اعتبرت ان مثل هذا التغيير والذى ابعد وزيرا منحازا لاسرائيل واتى بآخر اقل تحيزا ـ هو بمثابة نقطة البداية فى تغير الموقف الامريكى ازاء الغزو الاسرائيلى للبنان وازاء القضية الفلسطينية برمتها ، بما يحمل معه اولا امكانية اداء امريكى اكثر فاعلية وتأثيرا لحمل اسرائيل على الانسحاب من لبنان ، وثانيا امكانية بدء الحوار الأمريكى مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وفى الحقيقة فان محاولة تقييم تعيين شولتز بدلا من هيج فى وزارة الخارجية ـ فى ظل ظروف الأزمة اللبنانية وتصاعد حدة الاستنكار الدولى للعمليات العسكرية الاسرائيلية والتواطؤ الأمريكى معها يجب ان تنطلق من تحليل امرين اساسيين :

أ ـ الجديد الذى حمله شولتز ازاء غزو لبنان والمشكلة الفلسطينية برمتها .

ب ـ مدى تأثير استقالة هيج على تطور مهمة فيليب حبيب وهما الامران اللذان يشكلان معا نقطة البدء فى التعرف على تطور الموقف الامريكى سواء من حيث الاداء او من حيث الفعالية .

وبالنسبة للنقطة الاولى والخاصة بأراء شولتز ازاء غزو لبنان والمشكلة الفلسطينية ، فقد بدا مع البيان الذى القاه شولتز فى ٨٢/٧/١٣ امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى تمهيدا لاقرار تعيينه ، ان ثمة لغة سياسية جديدة يمكن رصدها لدى الجانب الامريكى ، وهى لغة تختلف عن تلك التى عرفت عن الجانب الأمريكى اثناء وجود هيج بالادارة الامريكية . ويظهر هذا الاختلاف فى :

١ ـ ذلك الربط بين الازمة اللبنانية وبين « ضرورة النظر بعين الاعتبار الى الاحتياجات المشروعة للشعب الفلسطينى ومشكلاته وحلها على وجه السرعة وفى كل ابعادها » .

٢ ـ الربط بين امكانية نجاح مفاوضات الحكم الذاتى وبين ضرورة مشاركة ممثلين عن الفلسطينيين انفسهم فى عملية المفاوضات ، وفى نفس الوقت ايجاد الاسس التى من خلالها يمكن مشاركة الدول الاخرى فى المنطقة فى هذه المفاوضات .

الا ان شولتز فى بيانه لم ينس التأكيد على عنصرين آخرين هما بمثابة عناصر تقليدية واساسية فى الاداء الامريكى وهما التأكيد الامريكى على ضمان امن اسرائيل ، والتأكيد على الشروط الثلاثة الخاصة بالتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية وهى الشروط التى وضعها كيسنجر وصارت من تقاليد السياسة الأمريكية وتقضى بعدم الاعتراف بالمنظمة الا بعد اعترافها باسرائيل ، واعترافها بقرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، وتخليها عما اسماه شولتز « بممارسة الأنشطة الارهابية » . وفى الحقيقة فانه يمكن ارجاع اشارة شولتز الى هذين العنصرين التقليديين فى السياسة الأمريكية الى محاولة اظهار موقف حيادى ازاء كل الأطراف ، ومجرد المحاولة باتخاذ موقف حيادى تعد فى حد ذاتها امرا جديدا فى السياسة الأمريكية ازاء المشكلة الفلسطينية والمشكلات الفرعية المرتبطة بها . وفى موضع آخر حاول شولتز ان يعيد التأكيد على انه يولى العنصر الفلسطينى اهمية خاصة ، وفى تصريح له فى ٨/٢٢ اعطى تفسيرا امريكيا جديدا لقرار مجلس الامن ٢٤٢ يقوم على ضرورة انسحاب اسرائيل من اجزاء من الضفة الغربية وغزة ـ وان الفلسطينيين يجب ان يكون لهم دور فى تقدير الظروف التى يعيشون فى ظلها وذلك فى اطار البنود الواردة فى اتفاقات كامب ديفيد واعطائها تفسيرات جديدة ان لزم الامر . وهو اول تصريح يصدر عن مسئول امريكى يشير الى انسحاب اسرائيلى من الضفة وقطاع غزة .

وبالرغم من ان اللغة التى حملها شولتز تعد بمثابة نقطة تحول فى الأداء الأمريكى الا ان حدود الفعالية الأمريكية لم تتطور بنفس درجة التغير الحادث فى الاراء التى حملها شولتز معه ويبدو هذا فى :

١ ـ رد الفعل ازاء مايعرف باسم وثيقة عرفات .

٢ – ومن تطور اهداف مهمة فيليب حبيب وطبيعتها

وبالنسبة لرد الفعل ازاء مايعرف بوثيقة عرفات التى وقعها امام وفد مجلس النواب الأمريكى فى بيروت المحاصرة ٧/٢٥ ، ويعترف فيها بقبول جميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وفيما اعتبر ان ذلك احد الخطوات الايجابية فلسطينيا وتأكيدا على النوايا السلمية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، اعتبرت الادارة الأمريكية ان وثيقة عرفات غير كافية ولاتستجيب لشروط الاعتراف الواضح وانها ليست سوى مناورة سياسية لكسب الوقت بينما بيروت محاصرة بمن فيها من المقاتلين الفلسطينيين ، ولم يكن الرد الأمريكى على وثيقة عرفات يحمل اى خلاف عما قال به الاسرائيليون الذين رفضوا الوثيقة ووصفوها « بالخدعة » و « المناورة » فيما يعد دليلا على ان اللغة السياسية التى حملها شولتز لم يقدر لها ان تترجم الى مواقف عملية .

وبالنسبة لمهمة فيليب حبيب ، فمنذ الأيام الأولى لبدايتها ، تحدد الهدف منها فى حصر الأزمة الناتجة عن العمليات العسكرية الاسرائيلية وتطويقها فى اطار اهدافها المعلنة انذاك [الشريط الأمنى فى مسافة ٤٠ كم فى الجنوب اللبنانى] ومع استمرار التوغل الاسرائيلى فى الأرض اللبنانية وصولا الى بيروت تراجع الهدف من مهمة فيليب حبيب الى ان اصبح محصورا فى نطاق منع اية تفجرات محتملة بين الجيش الاسرائيلى وبين القوات السورية الموجودة فى سهل البقاع اللبنانى ، وهذا التراجع لم يكن مجرد تغييرا فى الهدف من المهمة بتأثير من التطورات بل بمثابة تغيرا فى طبيعتها كلية – ذلك ان العمل على الحؤول ومنع اية تفجرات بين القوات السورية وبين الجيش الاسرائيلى الغازى ، كان يعنى ايضا افساح المجال امام القوات الاسرائيلية الغازية « للاستفراد » بمواجهة القوات الفلسطينية القليلة العدد والخفيفة التسليح ، ومن ثم تحولت طبيعة فيليب حبيب من مهمة وساطة الى مهمة منحازة لأحد الأطراف فى مواجهة طرف آخر هو الطرف الفلسطينى بالأساس ثم بدرجة اقل الطرف اللبنانى .

وفى نفس وقت حدوث هذا التغير فى طبيعة مهمة فيليب حبيب حدثت استقالة هيج ، وتعيين شولتز بدلا منه ، وبالرغم من ان الأخير وكما سبق القول قد حمل معه لغة سياسية جديدة ، فانه لم يستطع ان يعيد التوازن الى مهمة المبعوث الأمريكى فى المنطقة .

ومتابعة التطورات التى لحقت بمهمة فيليب حبيب حتى فيما بعد مجىء شولتز تكشف عن ان مهمة حبيب قد استمرت فى وضعيتها المنحازة لاسرائيل اكثر مما يفترض فيها من حياد بين الأطراف المتصارعة وهذه الوضعية المنحازة تبدو فى :

١ – ممارسة المبعوث الأمريكى عدداً من الضغوط على المفاوض الفلسطينى لاجباره على قبول التصورات والحلول الاسرائيلية ، وقد اشار السيد ياسر عرفات الى ان حبيب قد لعب مع الفلسطينيين دور الخصم والحكم وبدرجة اقل دور الوسيط .

٢ – امتناع حبيب عن الاتصال بالجانب الفلسطينى مباشرة رغم اهمية ذلك لانجاز مهمة « الوساطة » بيسر وسهولة .

٣ – بعد التأكد من احتواء اية تفجرات محتملة بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية الغازية – ركز المبعوث الأمريكى على تحقيق هدف خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت الغربية وتسليم اسلحتهم ،

٤ – عدم جدية حبيب – او ربما عدم رغبته – فى الزام اسرائيل بوقف اطلاق النار على المدنيين اللبنانيين فى بيروت الغربية .

وبعد التوصل الى اتفاقية خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت الغربية والتى انهت الوجود العسكرى لمنظمة التحرير فى بيروت تأكيدا على الطبيعة غير الحيادية لمهمة حبيب – ذلك ان هذه الاتفاقات ليست سوى تحقيق دقيق للهدف الاسرائيلى من غزو لبنان دون ان يقابله حتى ولو من قبيل التوازن الشكلى ، اى مقابل للجانب الفلسطينى الذى اشار شولتز الى حقوقه المشروعة ، دون ان يحاول ان يجسد ذلك عمليا – من خلال المبعوث الأمريكى – فى اتفاقات الخروج .

واقتصار مهمة حبيب على تحقيق الهدف الاسرائيلى الرئيسى من غزو لبنان ساعد على تأكيد القناعة العربية والدولية التى ظهرت منذ الأيام الأولى لعملية الغزو الاسرائيلية بأن ثمة تنسيق امريكى اسرائيلى قد صاحب الاعداد والتنفيذ لهذا الغزو .ولم تجد لغة شولتز الجديدة فى تغيير هذه القناعة

مبادرة الرئيس ريجان :

لم يكد آخر المقاتلين الفلسطينيين يغادر بيروت ، واذا بالرئيس الأمريكى يعلن فى الأول من سبتمبر خطة امريكية خاصة باحلال السلام فى المنطقة ، ويلاحظ على توقيت طرح المبادرة الأمريكية انها جاءت فيما بين الخروج الفلسطينى من بيروت وبين انعقاد قمة فاس الثانية فى السادس من سبتمبر ، الأمر الذى اعتبر انه بمثابة دعوة للقادة العرب الذين سيجتمعون بعد طرح المبادرة بخمسة ايام للنظر فى الدور الأمريكى الساعى الى « احلال السلام » فى المنطقة .

ووفقا للنصوص التى اوردها الرئيس ريجان ، فان دوافعه الى طرح خطته التفصيلية هى :

١ – ان هناك التزاما امريكيا باحلال السلام فى منطقة

الشرق الأوسط وان خطته تلك هى بمثابة متابعة لهذه الجهود التى بداتها الحكومات الأمريكية السابقة .

٢ ــ المأساة اللبنانية والتى اظهرت ان الخسائر العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تقض على تطلع الشعب الفلسطينى الى حل عادل لمطالبه ، وفى نفس الوقت ان القوات الاسرائيلية ، اقوى القوات فى المنطقة ــ لا يمكنها وحدها ان تحقق السلام المنشود .

ومن ثم فان الغرض الرئيسى من خطة الرئيس ريجان هو « كيفية التوفيق بين المطالب الأمنية الشرعية لاسرائيل وبين الحقوق المشروعة للفلسطينيين وهو التوفيق الذى يجب حله عن طريق المفاوضات بين الاطراف المعنية » .

وقبل ان يفصل الرئيس ريجان خطته للسلام اشار الى عدة امور اساسية طالب بوضعها فى الاعتبار وهى :

١ ــ ان يسلم كل طرف بضرورة ان تكون نتائج تلك المفاوضات مقبولة للجميع وان الوصول الى السلام سيتطلب تنازلات من الجميع .

٢ ــ ان اتفاقية كامب ديفيد مازالت تشكل اساسا السياسة الأمريكية فى المنطقة .

٣ ــ دعوة الدول العربية الى قبول اسرائيل كحقيقة واقعة وعلى الشعب الفلسطينى ان يسلم بأن تطلعاته السياسية مرتبطة بالاعتراف باسرائيل .

٤ ــ على اسرائيل توضيح ان الأمن الذى تتطلع اليه لايمكن تحقيقه الا من خلال سلام حقيقى يتطلب « شهامة وشجاعة وبعد نظر » .

وبعد التأكيد على هذه الامور فصل الرئيس ريجان مقترحاته الجديدة على النحو التالى :

اولا : طبقا لاتفاقيات كامب ديفيد يجب ان تكون هناك فترة انتقالية لمدة خمسة اعوام يتمتع خلالها السكان الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة بحكم ذاتى كامل لشئون السلطة على الا يكون هذا الحكم الذاتى مشكلا لأى تهديد لأمن اسرائيل .

ثانيا : ان تقوم اسرائيل بتجميد المستوطنات خلال الفترة الانتقالية كنوع من اجراءات خلق الثقة التى تتطلبها عملية التفاوض .

ثالثا : يجب عدم قيام دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة والقطاع ، وفى نفس الوقت عدم مد اسرائيل لسيطرتها وسيادتها الكاملة على هاتين المنطقتين مع وجوب الاتفاق على الوضع النهائى لهاتين المنطقتين عن طريق التفاوض ، الا ان الرئيس ريجان رجح تأييد الولايات المتحدة لارتباط هاتين المنطقتين بالأردن باعتبار ذلك « افضل فرصة للسلام الدائم والعادل والثابت » .

رابعا : بقاء القدس موحدة على ان يتقرر مصيرها بالتفاوض .

دلالات مبادرة ريجان

ايا تكن المواقف العربية او الاسرائيلية ازاء مقترحات الرئيس الأمريكى ، فان هناك عدة دلالات تجب الاشارة اليها ، فهذه هى المرة الاولى من نوعها التى يقدم فيها الجانب الامريكى تصورا كليا وتفصيليا من المنظور الأمريكى ــ لحل الصراع العربى الاسرائيلى ، وهى المرة الاولى التى يتجاوز فيها الجانب الأمريكى موقف رد الفعل الى موقف المبادأة بالفعل وايضا هى المرة الاولى التى يتجاوز فيها الجانب الامريكى تقديم مقترحات جزئية لدفع مفاوضات متعثرة او لاحتواء ازمة الى مرحلة تقديم مقترحات كلية ، واخيرا فهى المرة الاولى التى يشير فيها رئيس امريكى الى ان القضية الفلسطينية ليست قضية لاجئين . ومجمل القول ان خطة الرئيس ريجان قد عبرت عن تعديل ــ لا يرقى الى درجة التغيير الجذرى ــ فى الادراك الامريكى بحيث لم يعد عامل التغلغل السوفيتى هو مصدر الخطر الرئيسى فى الشرق الأوسط بل ان الصراع العربى ــ الاسرائيلى بكل تطوراته هو مصدر التهديد الرئيسى للسلام فى المنطقة ومن ثم تهديد للمصالح الأمريكية نفسها .

وعلى الرغم من هذه الدلالات الايجابية فان القول بأن الخطة لا تعبر عن حد ادنى من الطموحات العربية المشروعة هو قول صحيح ويعزز من ذلك ان المقترحات تجاهلت تقرير المصير الفلسطينى ، ورفضت قيام دولة فلسطينية مستقلة بمعزل عن الأردن وكذلك فان المقترحات تجاهلت مصير المستوطنات الاسرائيلية القائمة فى الضفة والقطاع تجاهلا متعمدا ، وفى حين اكد الرئيس ريجان التزامه الشخصى بأمن اسرائيل فمثل هذا الالتزام لم يوجه الى الدول العربية الاخرى فى المنطقة وهى التى تعرضت للعدوان الاسرائيلى وليس العكس .

ومع ذلك يتبقى القول انه رغم محاولة التوازن الدقيق التى حاول الرئيس ريجان من خلالها صياغة مقترحاته الأربعة الا ان هذه المحاولة لا تخرج عن كونها تجسيدا لعلاقات القوى فى المنطقة بين اسرائيل والدول العربية المجاورة لها . ولذلك حوت المقترحات ادنى الحقوق العربية مقابل كل المطالب الاسرائيلية فى صياغة نكية موحية بالحياد والموضوعية ، الامر الذى جعل الرئيس ريجان يعلن عن عدم تصديقه لرفض اسرائيل لمقترحاته مشيرا الى ان الرفض الاسرائيلى من قبيل تعزيز المواقف التفاوضية ليس الا . وهو مايعكس دلالة هامة وهى ان المقترحات التى طرحها الرئيس ريجان قد عكست بالفعل التفوق الاسرائيلى مقابل العجز العربى . □



ملف « السياسة الدولية » [٤]

مبـــادرة الرئيس ريجـــان


د . سعد الدين إبراهيم

١ ـ فحوى المبادرة :

تمثـل مبـادرة الرئيس ريجـان للســلام فى الشرق الأوسط أوضح موقف أتخـذته أى إدارة أمـريكية منذ حرب ١٩٦٧ . ونقصد بذلك أنها قدمت تصورا شـاملا لأسس تسوية الصراع العربي الاسرائيلى ، ووضـعت النقط فـوق الحـروف تجــاه كل عناصر المشــكلة الرئيسية . فمن وجهة النظر الأمريكية تشمل العناصر الرئيسية ما يلى :

١ ـ الأمن الاسرائيلى .
٢ ـ المطالب الفلسطينية .
٣ ـ الأراضى المحتلة منذ ١٩٦٧ .
٤ ـ مدينة القدس .
٥ ـ العلاقات بين إسرائيل والدول العربية المجاورة .

بالنسبة للأمن الاسرائيلى :

تطوى مبادرة ريجان على تجديد الالتزام الأمريكى بأمن إسرائيل وذلك من خلال (١) الابقاء عليهـا كقـوة عسكرية قـادرة على الدفـاع والردع (٢) تـأييد حـق إسرائيل فى حدود يسهل الدفاع عنها من وجهـة النظـر الأمريكية (وليس من وجهة النظـر الاسرائيلية التـى تتخذ من مقولة الأمن ذريعة للتوسع) (٣) إستخلاص إعتراف تعاقدى من الدول العـربية المجـاورة بـالحدود الجديدة وبضمانات أمن متبادلة ، بما فى ذلك النص على مناطق منزوعة السلاح وتمـركز قـوات أمـن دولية أو متعددة الجنسية .

بالنسبة للمطالب الفلسطينية :

تحدث المبادرة بوضوح عن « الشعب الفلسطينى » وعن « مـطالبه العـادلة » وعن « منظمـة التحـــرير الفلسطينية » وتعترف أن القوة العسـكرية الاسرائيلية الكاسحة لم تسـتطع أن تقضى على تـطلعات الشـعب الفلسطينى ، ولا تستطيع وحدها أن تحقق الســلام . لذلك تنص المبادرة صراحة على :

١ ـ إشراك الفلسـطينيين فى محـادثات التســـوية والسلام .

٢ ـ عقد إنتخابات حرة يختار الفلسطينيون من خلالها فى الاراضى المحتلة سلطة فلسـطينية تمـارس الحـكم الذاتى لفترة إنتقالية لا تزيد عن خمس سنوات .

٣ ـ خلال الفترة الانتقالية أو فى أعقابها يتم التفاوض على ترتيبات الحاق الضفة والقطاع بالأردن .

٤ ـ وقف كل عمليات الاستيطان الاسرائيلية فى الضفة والقطاع .

فى مقابل ذلك الالتزام الأمريكي تجاه المطالب الفلسطينية ، تنص المبادرة صراحة على :

١ ـ ضرورة إعتراف الفلسطينيين باسرائيل وبحقها فى حدود آمنة معترف بها .

٢ ـ رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة بعد الفترة الانتقالية .

٣ ـ بالنسبة للأراضى المحتلة بعد ١٩٦٧ :

تنص مبادرة ريجان صراحة على مبدأ مقايضة هذه الاراضى باتفاقيات سلام بين إسرائيل وجيرانها . وتستند المبادرة فى ذلك على المبادىء التى نص عليها فى القرار ٢٤٢ وإتفاقيات كامب ديفد . وتشير المبادرة صراحة أن ذلك ينطبق على الضفة والقطاع ، وتشير ضمنا أنه ينطبق على هضبة الجولان . كما تقول المبادرة صراحة أن السلام فى مقابل الأرض ، لا بد أن يكون سلاما حقيقيا كاملا بما يعنيه ذلك من تطبيع للعلاقات بين إسرائيل وأصحاب الأراضى التى ستنسحب منها .

٤ ـ بالنسبة للقدس :

أكدت المبادرة رفضها لاعادة تقسيم القدس مع تأييدها لاجراء ترتيبات تفاوضية تحفظ حقوق كل الأطراف بشكل منصف . ولمح ريجان إلى أن الحكومة الأمريكية لديها خطط مفصلة حول هذه الترتيبات وستقدمها فى المستقبل . ولكن المبادرة لم تعترف بمبدأ السيادة الاسرائيلية على كل مدينة القدس .

٥ ـ بالنسبة للعلاقات العربية الاسرائيلية :

تشير المبادرة نصا وروحا إلى ضرورة توسيع إطار عملية السلام بحيث تشمل كل البلاد العربية المجاورة لاسرئيل ، وخاصة كل من الاردن والفلسطينيين . وربما جاء إغفال لبنان كأحد البلاد التى ينبغى أن تدخل محادثات السلام على الفور هو لادراك الأدارة الأمريكية بأن ذلك من قبيل تحصيل الحاصل .

ب ـ ظروف وأسباب المبادرة :

تأتى مبادرة ريجان فى أعقاب الغزو الاسرائيلى للبنان وتحقيق هذا الغزو لكل أهدافه المعلنة وغير المعلنة تقريبا . وفى مقدمة هذه الأهداف تقليص وتشتيت منظمة التحرير الفلسطينية ، وإقتلاع نفوذها ونفوذ الحركة الوطنية من لبنان ، وتنصيب حكم موالى لاسرائيل وللغرب فى بيروت . ولا شك أن الولايات المتحدة شاركت وتعاطفت مع إسرائيل فى هذه الأهداف ، وان لم توافقها بالضرورة على كل السبل والوسائل التى أتبعتها .

غير أن الصمود البطولى للمقاومة الفلسطينية من ناحية ، ووحشية آلة الحرب الاسرائيلية من ناحية ، وموقف الرأى العام العالمى الحكومى والشعبى من ناحية ثالثة ، والحرج الشديد الذى وقعت فيه الانظمة العربية الصديقة للغرب من ناحية رابعة ، قد خلق ضغوطا سياسية ومعنوية هائلة على الادارة الأمريكية . هذا فضلا عن تعثر تحقيق ما أرادته حكومة ريجان منذ بداية حكمها وهو ما سمى « بالاجماع الاستراتيجى » فى منطقة الشرق الأوسط بسبب فشلها طوال العامين الماضيين فى إيجاد صيغة فعالة لمعالجة القضية الفلسطينية . وقد أشار ريجان فى صدر مبادرته إلى أن المخطط الأمريكى لمقاومة « الخطر السوفييتى » فى المنطقة لن يكتب له النجاح ما لم يسو الصراع العربى الاسرائيلى . كذلك أشار صراحة إلى أن عدم الاستقرار الناتج عن عدم حل القضية الفلسطينية من شأنه تهديد مصالح أمريكا والغرب فى المنطقة .

وفى هذا السياق لا يمكن التقليل من أهمية الضغط المصرى والسعودى على الادارة الأمريكية لكى تقدم التزاما واضحا بما تنوى اتخاذه من سياسات حيال الصراع العربى ـ الاسرائيلى .

كذلك لا يمكن التقليل من أن جانبية أخذ زمام المبادرة فى ترتيب أوضاع المنطقة يكرس من النفوذ الأمريكى ، ويقطع السبل على أى محاولات سوفيتية لاقتناص الفرص التى خلقتها الغزوة الاسرائيلية ، وما نتج عنها من إحباط ومرارة عربية واسعة النطاق .

وأخيرا فان أحد أسباب المبادرة الأمريكية ، وعلى الأخص توقيتها ، هو أن تأتى عشية إنعقاد مؤتمر القمة العربية فى المغرب . وتهدف أمريكا من ذلك أن لايتحول المؤتمر إلى محاكمة تشهيرية بالموقف الأمريكى خلال الغزو الاسرائيلى للبنان ، وأن لا يضغط المتشددون فى القمة على أصدقاء أمريكا من العرب المعتدلين لكى يأخذوا مواقف غير مستحبة من وجهة النظر الأمريكية . وبالعكس تعطى مبادرة ريجان دعما غير مباشر لمبادرة فهد التى كان قد تقدم بها فى العام الماضى لمؤتمر قمة فاس . فهناك أوجه شبه بين المبادرتين وإن كانت مبادرة ريجان أقرب إلى كامب داڤيد فى فلسفتها وتوجهاتها العامة . وتوقيت المبادرة الأمريكية يذكرنا بما درجت عليه السياسة الأمريكية فى الفترة ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ فقبل كل لقاء عربى ، أو عدم انحيازى ، أو أمم متحدة ، كانت أمريكا تقدم أو تشيع أنها بصدد تقديم مشروع لتسوية الصراع فى

الشرق الأوسط . وكان ذلك يهدف فى الأساس إلى امتصاص الغضب أو الالهاء والتسويف .

ج – ردود الفعل المعلنة والمتوقعة :

بالنسبة للأطراف المباشرة فى الصراع العربى الاسرائيلى ، أعلنت كل من إسرائيل وسوريا موقفيهما من مبادرة الرئيس ريجان . وهو موقف رافض فى كلا الحالتين . رفض إسرائيل كان قاطعا وجامحا لان المبادرة بشكلها الحالى تعنى ما يلى :

(١) عرقلة الهدف الأساسى لتحالف الليكود الحاكم فى إسرائيل وهو إبتلاع الاراضى العربية المحتلة سواء بالضم الفعلى أو الرسمى ، أو الفعلى والرسمى معا . وهو الهدف الذى عاش وكافح من أجله بيجين وشامير وشارون منذ رفعوا شعار « ايرتز إسرائيل » – أى أرض إسرائيل من النهر إلى البحر فى أوائل الأربعينات .

(٢) سلب إسرائيل لمعظم ثمرات إنتصارها العسكرى فى لبنان . فقد حاربت إسرائيل فى لبنان – كما أجمع كل المراقبين – من أجل الضفة والقطاع . فاذا كانت المبادرة ستتنكر عليها الضفة والقطاع ، فان ذلك يعنى ان قتلى وجرحى جيش الدفاع الاسرائيلى ، والثلاثة مليار دولار التى تكلفها الغزو ، والثمن الدعائى الفاحش الذى أصاب صورة إسرائيل فى الخارج ذهب كله هباء منثورا .

(٣) أن الدور الطموح الذى رسمته إسرائيل لنفسها كقوة إقليمية عظمى تقوم هى بالهيمنة والسيطرة على مقدرات المشرق لمدة اربعين سنة قادمة (كما الح كل من بيجين وشارون) هذا الدور سيحبط تماما .

كما أن حكومة بيجين تدرك تماما أن نجاح مبادرة ريجان معناه ، فضلا عن كل ما سبق ، نهايتها سياسيا داخل إسرائيل . لذلك نتوقع حربا دعائية ضروس من جانب إسرائيل ضد المبادرة داخل أمريكا من خلال جماعات الضغط الصهيونية ، والجماعات الصديقة ، ومن خلال الموالين لها فى مجلسى الشيوخ والنواب . وسيساعدها فى ذلك قرب حلول الانتخابات النصفية الأمريكية (لمجلس النواب) ومزايدا ، الطامعين فى الترشيح لانتخابات الرئاسة فى عام ١٩٨٤ ، وعلى رأسهم كيندى ومانديل من الحزب الديموقراطى ، والكسندرهيج من الحزب الجمهورى .

وهناك سوابق لمبادرات رؤساء أمريكيين آخرين تم قتلها فى المهد بواسطة إسرائيل ومؤيديها ، آخرها مبادرة كارتر بالاشتراك مع الاتحاد السوفييتى فى اكتوبر ١٩٧٧ . وهى المبادرة التى أرغم على التنازل عنها بعد أسبوع واحد من إعلانها ، والتى كتب فى أعقاب تنازله عنها رسالته الشهيرة للرئيس السادات ، والتى كانت أحد أسباب مبادرة السادات نفسه وإعلان زيارته للقدس .

أما الموقف السورى الرافض لمبادرة ريجان فيمكن أن نعزوه إلى الأسباب التالية :

١ – تجاهل المبادرة لسوريا . فمن الملاحظ انه لم يأت فى خطاب ريجان ذكر سوريا ولا مرة واحدة . كما أن سفير الولايات المتحدة فى سوريا لم يكن أحد الذين أستدعتهم واشنطن للتشاور وهى بصدد اعداد المبادرة (بينما حضر سفراؤها فى القاهرة وتل أبيب والاردن والسعودية) . وعدم وجود مقابل أو عائد ملموس وكبير لسوريا فى أى مبادرة معناه الرفض من جانبها .

٢ – أن قبول المبادرة يعنى إنهيار جبهة الصمود والتصدى أو ما تبقى منها . فالمبادرة واضحة فى انها تطالب الدول العربية المجاورة لاسرائيل بتوقيع معاهدات صلح وسلام على نهج كامب داقيد ومعاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية . وقبول النظام السورى بذلك ينطوى على إهدار أحد ذرائع شرعيته فى البقاء فى لحكم ، وأحد ذرائع ابتزازه للأنظمة العربية المعتدلة وخاصة النفطية منها .

٣ – أن قبول المبادرة بعد أداء النظام السورى المشين على الارض اللبنانية يحمل معنى التسليم بالهزيمة ، أى انه يضيف الخزى والعار إلى الاندحار والانكسار .

٤ – أن الرفض لمبادرة ريجان يمكن أن يكون تكتيكيا وليس رفضا مبدئيا . أى أن النظام السورى يكون فى تقديره أن معظم الدول العربية الفاعلة ستقبل المبادرة على أية حال ، وأنه لا يرفضها فى قرارة نفسه ، ولكنه يريد أن يحصل على أعلى ثمن ممكن من الدول العربية النفطية من ناحية ومن الولايات المتحدة من ناحية أخرى .

٥ – أن النظام السورى يرفض من الناحية المبدئية الشكلية الظاهرة أى مبادرة لا يشترك فيها الاتحاد السوفييتى .

الموقف الفلسطينى ، كما تمثله منظمة التحرير ينتظر ، أن يكون موافقة متحفظة على مبادرة ريجان . وقد الح فاروق قدومى إلى ذلك بالفعل حينما صرح بأن المبادرة تحتوى على بعض العناصر الايجابية ، وأهمها الاعتراف بالمطالب العادلة للشعب الفلسطينى ، ورفض إقامة المستوطنات فى الأراضى المحتلة . أما أهم تحفظات المنظمة فسيكون بالقطع حول رفض أمريكا لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ، والاصرار على ربط الضفة والقطاع بالاردن . وسيعقد من الموقف الرسمى للمنظمة إزاء المبادرة عاملان على الاقل . أولهما إحساس المنظمة بالمرارة والغضب على موقف أمريكا المؤيد لاسرائيل على طول الخط أثناء غزو لبنان ، ودأبها على طرد المقاومة من بيروت . ثانيهما ، أن

المنظمة لا تريد أن تظهر بمظهر المنهزم الذى يتلقف أول قشة ترمى إليه ، وخاصة إذا كانت من أمريكا التى عادتها واشتركت فى انزال الهزيمة العسكرية بها .

غير أن تقديرنا هو أن المنظمة – أيا كان موقفها الرسمى – ستعطى الضوء الأخضر للأنظمة العربية ذات الحظوة لدى أمريكا لكى تمضى بمبادرة ريجان إلى ابعد شوط ممكن . ونحن نؤسس هذا التقدير على إدراك قادة المنظمة لميزان القوة فى المنطقة بين العرب واسرائيل من ناحية ، وبينها هى وبين خصومها من ناحية ثانية . كما أنها تدرك أن المزاج العربى فى الأونة الراهنة ليس مزاج مقاومة ونضال ، وانما هو مزاج استرخاء وتعايش . ولا شئ يؤكد صدق ادراكها هذا اكثر من خبرتها طوال الشهور الثلاث الماضية التى لم يرفع فيها نظام عربى واحد أصبعا واحدا لنجدتها عسكريا وهى فى عمق محنتها

بالنسبة للاردن فان مبادرة ريجان تقدم الكثير فى مقابل اعتراف الاردن باسرائيل . فهى فى مضمونها تعيد الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل ١٩٦٧ تقريبا من حيث عودة السيادة الاردنية لا فقط على الضفة الغربية ، وانما أيضا على قطاع غزة . ولا شك أن النظام الاردنى رغم صمته المؤقت يرحب فى قرارة نفسه بهذه الترتيبات ولكنه سيطلب تغطية عربية قبل أن يجاهر بذلك والتغطية المرجوة هى أساسا من مؤتمر قمة عربى يخوله الصلاحيات التى كانت قد سحبت منه فى قمة الرباط عام ١٩٧٤ بشأن تمثيل الفلسطينيين ، والتى جعلها ذلك المؤتمر وقفا على منظمة التحرير كممثل وحيد للشعب الفلسطينى فاذا لم يتسن للاردن استصدار مثل هذا القرار من قمة عربية أخرى ، بسبب كتلة دول الرفض ، فربما يمضى قدما إذا حصل على موافقة منظمة التحرير والسعودية ، وبعض الدول المعتدلة الأخرى

الموقف المصرى من مبادرة ريجان سيكون عموما موقف ترحيب مبدئى مع التحفظ على الفقرة الخاصة برفض أمريكا لقيام دولة فلسطينية وسيكون هذا لتحفظ مبدئيا وشكليا بمعنى أن مصر ستطالب بأن يترك هذا الأمر لكى يقرره الفلسطينيون أنفسهم

الموقف السعودى لن يختلف عن الموقف المصرى من حيث الجوهر وإن إختلف من حيث صيغة وتوقيت الاخراج فالسعودية لن تجاهر بموقف علنى منفرد ولكنها ستفضل التشاور وإستصدار قرار يعكس نوعا من الاجماع من أحد مؤتمرات القمة العربية وأغلب الظن انها سترحب بالخطوة الأمريكية بلغة تشوبها العمومية ، ثم تقدم مبادرة بديلة تتقاطع مع مبادرة ريجان فى رقعة كبيرة مشتركة ، تاركة نقاط الاختلاف لمزيد من التفاوض .

أما الدول العربية الأخرى فانها ستنحو نحو أحد البدائل التى تمثلها ردود فعل مصر والسعودية وسوريا . السودان وعمان والصومال والمغرب ستكون اقرب إلى النهج المصرى . دول الخليج والاردن والعراق وتونس واليمن الشمالية ستكون اقرب الى النهج السعودى . ليبيا والجزائر واليمن الديموقرايطية تنحوا نهج سوريا . وبما أن الآخذين بالنهج المصرى لايختلفون عن الآخذين بالنهج السعودى الا من حيث صيغة الاخراج ، فيمكن القول أن أغلبية الأنظمة العربية ستوافق بدرجات متفاوته على مبادرة ريجان .

أما قدرة دول الرفض الآخذة بالنهج السورى على عرقلة هذا التيار القابل للمبادرة فانها ستكون قدرة محدودة إلى درجة كبيرة وذلك فى ضوء الأداء المخزى لهذه الدول ابان الحرب اللبنانية . ولذلك ربما يتم تجاهلها بواسطة الأغلبية بعد محاولة اقناعها

د – مستقبل مبادرة ريجان :

مبادرة ريجان رغم كل ما قد يبدو عليها من مثالب من وجهة النظر العربية ، تمثل أقصى ما يمكن أن يحصل عليل عليه العرب والفلسطينيون فى الظروف الراهنة ونعنى بذلك أنه فى أعقاب الهزيمة العربية فى لبنان ، وفى ضوء ضمور تيار المقاومة العربية وإنكسار حركة التحرر الوطنى فى المنطقة ، وبسبب تآكل سلاح الضغط النفطى ، وفى حالة التشرذم العربى الحالية ، ومع اختلال ميزان القوة الاستراتيجى بين العرب وإسرائيل ، فانه لا يوجد أمام العرب والفلسطينيين بدائل أفضل فى الوقت الحاضر

لذلك فالسؤال السياسى الملح ليس هو هل ينبغى للعرب قبول مبادرة ريجان أو رفضها ، ولكنه هو هل تستطيع أمريكا فعلا أن تنفذ ما تنطوى عليه المبادرة ؟

وللاجابة على هذا السؤال نبدأ بافتراضين أساسين كمقدمات

الافتراض الأول :

هو أن أمريكا غير جادة حقيقة ، وأن المبادرة هى أساسا لامتصاص الغضب الشعبى العربى ، أو من قبيل الضربة الوقائية لما يمكن أن يتمخض عنه مؤتمر القمة القادم فى المغرب ، وأنه بعد فترة وجيزة ستتخلى امريكا بالتدريج أو بالصمت أو بالأهمال عما جاء فى المبادرة

الافتراض الثانى :

هو أن أمريكا فى الحقيقة جادة وتنوى المضى قدما فى محاولة تنفيذ ما تنطوى عليه مبادرة ريجان وأنه اذا

تعثرت المبادرة فسيكون ذلك لأسباب موضوعية قوية لاتستطيع أمريكا التحكم فيها .

الافتراض الأول تزكية سوابق أمريكية . كما تزكيه قدرات ريجان المهنية التمثيلية السابقة . خاصة وأنه إلى وقت قريب لم يكن ينظر الى المقاومة الفلسطينية إلا كنشاط إرهابى . وأنه حقيقة معجب بالقوة العسكرية الاسرائيلية ويعتبرها خط دفاع هام ضد الخطر السوفييتى . كما تزكى هذا الافتراض حسابات داخلية امريكية فى صالح إسرائيل من ناحية . ولا تزكى عكسه اى إحساس حقيقى بالخطر على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط بواسطة الأنظمة الحاكمة حاليا .

الافتراض الثانى تزكيه اعتبارات كثيرة ذكرناها فى الفقرة ب أعلاه .

ولكن أيا كانت صحة أحد الافتراضين . فان العرب أو القوى الفاعلة بينهم ان خلصت الى أن المبادرة تخدمهم . ولو تكتيكيا أو مرحليا . فان عليهم أن يعبأوا مواردهم الدبلوماسية والاقتصادية للضغط فى سبيل الزام امريكا بتنفيذ ما تعهدت به المبادرة كحد أدنى . وبتحسين شروطها كلما أمكنهم ذلك . وتحسين الشروط الممكنة فى الظروف الحالية يتأتى من خلال الاصرار على أن يكون موضوع الدولة الفلسطينية جزءا من حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى نفسه .

وسواء بحدها الأدنى أو بحدود أفضل فان الخطوات التالية التى ينبغى على العرب اتخاذها تشمل الآتى :

١ ـ سرعة إستصدار قرار جماعى من دول السوق الأوربية المشتركة بتأييد المبادرة .

٢ ـ سرعة استصدار قرار اجماعى من مجلس الأمن ومن الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى فيه كل ما جاء بالمبادرة من عناصر ايجابية مع ربطها بجزاءات توقع على إسرائيل فى حالة رفضها أو المماطلة فى تنفيذها .

٣ ـ تصعيد إعلامى فى دول المعسكر الغربى يركز على فظائع اسرائيل فى لبنان . وعلى صلفها وتعنتها . وعلى مخططاتها التوسعية .

٤ ـ التنسيق الكامل بين مصر والاردن والسعودية ومنظمة التحرير كحد أدنى وعلى المستوى العربى العام كحد أقصى .

٥ ـ مطالبة أمريكا بجدول زمنى لتنفيذ ما جاء بالمبادرة . على أن تكون أول بنود هذا الجدول الزمنى هو الانسحاب الاسرائيلى من لبنان . حتى لا تستخدم إسرائيل موضوع الانسحاب كورقة ضغط ومساومة لتفريغ المبادرة من محتواها .

٦ ـ أن تعمل مصر جاهدة على تقوية منظمة التحرير الفلسطينية وتكريس مكانتها السياسية والمعنوية على الصعيدين العربى والدولى . واستمرار الضغط على امريكا للاعتراف بمنظمة التحرير والتعامل معها .



ملف « السياسة الدولية » [٥]

الاتحاد السوفيتي والحرب الفلسطينية الاسرائيلية

د.محمد السيد سليم

لا شك أن الموقف السوفييتي من الحرب الفلسطينية الاسرائيلية فى لبنان يمثل منعطفا جديدا وهاما فى السياسة السوفيتية ايزاء الصراع العربى ـ الاسرائيلى . فلأول مرة منذ ١٩٦٧ يترك الاتحاد السوفييتى الساحة العربية ـ الاسرائيلية للولايات المتحدة واسرائيل لكى تسويا الأوضاع فى المنطقة بالشكل المناسب لهما ، ويكتفى باتخاذ موقف الادانة اللفظية ، ومحاولة منع الولايات المتحدة من التدخل العسكرى السافر فى لبنان . ويأتى هذا الموقف فى أعقاب موقف مشابه اتخذه الاتحاد السوفييتى من الحرب العراقية الايرانية . اذ اتخذ الاتحاد السوفييتى موقف الحياد ، وركز على منع الولايات المتحدة من التدخل فى الخليج العربى . فما هى أبعاد الموقف السوفييتى وأسبابه ، وما هى النتائج التى يحتمل أن تترتب عليه ؟

أبعاد الموقف السوفييتى :

يمكن تلخيص الموقف السوفييتى فى مجموعة أساسية من الأبعاد . أولها ، ادانة العدوان الاسرائيلى ، فقد أصدر الاتحاد السوفييتى مجموعة من البيانات أدان فيها العدوان الاسرائيلى ، وطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان ، كما أرسل بريجينيف رسالة شخصية إلى ريجان طالبه فيها بالتدخل السريع لوقف العدوان الإسرائيلى فى لبنان ؛ رغم أنه كان قد اتهم الولايات المتحدة قبل ذلك بالتواطؤ مع اسرائيل . ومن ناحية أخرى ، حاول الاتحاد السوفييتى منع الولايات المتحدة من التدخل العسكرى المباشر فى لبنان عندما ترددت أنباء عن احتمال نزول مشاة البحرية الأمريكية فى لبنان للاشراف على إجلاء المقاومة . ويبدو أن تلك هى النقطة التى كان الاتحاد السوفييتى عندها مستعدا للتخلى عن العمل الدبلوماسى والانتقال الى ميدان التحرك الفعلى . من ناحية ثالثة ركز الاتحاد السوفييتى على العمل الدبلوماسى ومحاولة تقديم صيغة لحل الأزمة فى إطار تسوية أكبر للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، فقد أيد الاتحاد السوفييتى كل مشروعات القرارات التى قدمت الى مجلس الأمن لوقف العدوان الاسرائيلى ، وأيد المبادرة المصرية ـ الفرنسية التى كان من المقرر أن تقدم لمجلس الأمن ، مما يعكس تحولا فى سياسته ازاء النظام الجديد فى مصر : وقد تمسك الاتحاد السوفييتى بالتركيز على العمل الدبلوماسى حتى بعد أن زار فاروق قدومى موسكو وطلب من جروميكو أن يتخذ موقفا أكثر حزما تجاه العدوان الاسرائيلى . وفى هذا الاطار طرح الاتحاد السوفييتى من جديد مشروعه بعقد مؤتمر دولى يشترك فيه كل الأطراف المعنية ـ بما فيها الاتحاد السوفييتى ـ لتسوية الصراع العربى ـ الاسرائيلى من خلال المفاوضات ، على أن يبدأ الفصل بين المقاومة الفلسطينية والقوات الاسرائيلية بواسطة قوة دولية . والواقع أن فكرة المؤتمر الدولى هى احدى الأفكار التى طرحها الاتحاد السوفييتى منذ ١٩٧٥ ، وقبلتها

الولايات المتحدة فى البيان الامريكى السوفيتى فى اكتوبر ١٩٧٧ . بيد أن الاتحاد السوفييتى أضاف هذه المرة بعدا جديدا لتصوره للتسوية وهو اقامة علاقات سلمية بين اسرائيل والدول العربية ، كما اكده جروميكو فى الامم المتحدة .

من ناحية رابعة ، قام الاتحاد السوفييتى بتعويض سوريا عن بعض خسائرها فى العمليات العسكرية فى لبنان . اذ أعلن فاديم زجلادين ، نائب رئيس السوفييت الأعلى ، أن الاتحاد السوفييتى قد عوض سوريا ومنظمة التحرير عن المعدات العسكرية التى فقداها خلال الغزو الاسرائيلى للبنان .

ومن المدهش أنه حينما بدأ الغزو الاسرائيلى للبنان ، بادر الاتحاد السوفييتى بالطلب من اسرائيل الا تقصف السفارة السوفيتية فى بيروت . بيد أن اسرائيل — تعبيرا منها عن ادراكها لحدود الدور السوفييتى — قامت بقصف السفارة السوفيتية مرتين . نتج عنها تلفيات جسيمة واصابة بعض الدبلوماسيين السوفييت . ويبدو أن اسرائيل قد فوجئت بالتزام الاتحاد السوفييتى حدود العمل الدبلوماسى ، وانها لذلك قررت تطوير عملية الغزو لتصل إلى بيروت . ويذكر المحلل الاسرائيلى اجورسكى فى مقالته فى الجوراز اليم بوست فى ٢١ يونيو ١٩٨٢ أن اسرائيل كانت تنوى أن تحتل منطقة عمقها ما بين ٤٠ — ٤٥ كيلو مترا فى جنوب لبنان ، ولكنها بعد أن بدأ الغزو واتضح « اعتدال » رد الفعل السوفييتى قررت أن تمد نطاق الاحتلال حتى بيروت .

تفسير الموقف السوفييتى :

فى البداية ، يجب رفض التحليلات التى تعزو الموقف السوفييتى إلى وجود اتفاق أمريكى — سوفييتى أو وجود عجز فى القيادة السوفييتية . فنحن نشك أن سياق العلاقات الامريكية — السوفيتية الحالية وفداحة النتائج المترتبة على الموقف السوفييتى بالنسبة لمركز الاتحاد السوفييتى فى المنطقة العربية تسمح بذلك كذلك ، فان وجود عجز متصور فى القيادة السوفيتية لم يمنع تلك القيادة من اتخاذ قرارات حاسمة فى قضايا دولية أخرى سواء فى افريقيا (الحرب الصومالية الاثيوبية) أو أوربا (صفقة الغاز الطبيعى مع أوربا) .

الواقع أن الموقف السوفييتى هو نتيجة لمجموعة من العوامل بعضها يكمن فى السياسة السوفيتية العامة وبعضها يرجع الى تطور مركز الاتحاد السوفييتى فى المنطقة العربية عن السنوات العشر الأخيرة .

من المعروف أن السياسة السوفيتية التقليدية ازاء الصراع العربى — الاسرائيلى هو المطالبة بالتسوية السلمية التفاوضية . وهذا ليس موقفا جديدا . ولكنه يمثل جوهر السياسة السوفيتية منذ عام ١٩٥٧ ، وكرره الاتحاد السوفييتى فى العديد من المذكرات الدبلوماسية . فعلى السبيل المثال ، فقد عرض كوسيجين على عبد الناصر ١٩٦٦ عقد اجتماع بين عبد الناصر واشكول للتفاوض حول تسوية الصراع ، كما أن الاتحاد السوفييتى نصح القادة العرب بعد هزيمة ١٩٦٧ بمحاولة التوصل الى تسوية سلمية مع اسرائيل ، حتى ولو اقتضى ذلك بعض التنازلات الاقليمية ، كما انهم حاولوا منع العرب من شن معركة لتحرير الأرض عن طريق الحد من مبيعات السلاح للدول العربية . كذلك فقد شارك الاتحاد السوفييتى فى مؤتمر جنيف الذى عقد فى ديسمبر ١٩٧٣ للتوصل الى تسوية . بيد أن الاتحاد السوفييتى كان دائما يقرن الاصرار على التسوية السلمية بالتدخل العسكرى النشيط لتحسين موقف الدول العربية ، سواء على مستوى مبيعات السلاح أو حتى التهديد بالتدخل العسكرى كما حدث أثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣ . معنى ذلك أن الاتحاد السوفييتى حريص أساسا على التسوية السلمية بالطريق الدبلوماسى .

والجديد فى الموقف السوفييتى هو اسقاطه للجانب الأخر من سياسته ، وهو الدعم النشيط للموقف العربى . وهو ما يمكن أن نفسره فى ضوء عدة اعتبارات . الاعتبار الاول ، هو الموقف المتخاذل الذى وقفته الأنظمة العربية من الغزو الاسرائيلى ، وقد وجهت الصحافة السوفيتية انتقادات للدول العربية لموقفها السلبى ولعجزها عن عقد مؤتمر قمة لصياغة استراتيجية مشتركة .

ويبدو أن الاتحاد السوفييتى قد توصل الى اقتناع بعدم جدية الأنظمة العربية ، وبأن هدف تلك الأنظمة من صداقته هو انذار الولايات المتحدة بالضغط عليها ، لاسيما أن معظمها يؤكد أن الاتحاد السوفييتى هو المصدر الرئيسى للخطر على منطقة الخليج العربى ويتجاهل الخطر الاسرائيلى أو يعتبره خطرا ثانويا . كذلك فان الأداء العسكرى المخزى لتلك الأنظمة فى حروب عديدة مع اسرائيل ينتهى باستيلاء اسرائيل على كثير من الأسلحة السوفيتية المتقدمة وتسليمها للولايات المتحدة ، يبدو أنه قد أقنع الاتحاد السوفييتى بعدم جدوى سياسة تصدير السلاح المتقدم للدول العربية . فقد استولى الاسرائيليون اثناء غزوهم للبنان على دبابات تى ٧٢ وصواريخ سام ٦ المضادة للطائرات وغيرها من الاسلحة المتقدمة .

أضف إلى ذلك أن الاتحاد السوفييتى بدأ يدرك التكاليف الباهظة لتواجده العسكرى والسياسى فى المنطقة العربية فقد وضع الاتحاد السوفييتى خلال الخمسينيات والستينيات استثمارات عسكرية

واقتصادية فى المنطقة ، ولكنها كلها انتهت فى السبعينات – الى خروج الاتحاد السوفييتى من قلب المنطقة ، ولم تفلح فى إيجاد حلفاء عرب يمكن الاعتماد عليهم . ولعل الاتحاد السوفييتى قد تعلم درس اكتوبر ١٩٧٣ ، الذى انتصرت فيه الجيوش العربية بالسلاح السوفييتى ، ثم خرجت بعدها تلك النظم باستراتيجية مشتركة مع الولايات المتحدة بطرد الاتحاد السوفييتى من المنطقة . وقد ضاعف من اهمية هذا التطور ، وجود مناطق بديلة لحماية المصالح السوفيتية وأقل تكلفة من الناحية الاقتصادية . ونقصد بذلك بالتحديد تركيز الاتحاد السوفييتى على الوجود البحرى فى المحيط الهندى والبحر المتوسط .

كذلك فان مسار التسوية العربية الاسرائيلية منذ ١٩٧٣ ربما قد اقنعت الاتحاد السوفييتى بمحاولة التركيز على الدور الدبلوماسى ولعب دور الوسيط . ذلك أن تأييد الاتحاد السوفييتى للموقف العربى قد أدى باسرائيل والولايات المتحدة إلى رفض المشاركة السوفيتية فى التسوية الشاملة كما ان بعض الدول العربية قد قبلت هذا المبدأ بل سعت جاهدة الى تنفيذه . ومن ثم وجد الاتحاد السوفييتى نفسه نتيجة تأييده للموقف العربى خارج جلسة التسوية . وربما تصور السوفييت ان موقفهم الجديد من شأنه أن يفتح الطريق امام مشاركتهم فى التسوية الشاملة ، لعقد اتفاق سورى – اسرائيلى تحت اشراف سوفييتى .

وأخيرا ينبغى أن نتذكر أن العلاقات الأمريكية السوفيتية تمثل مركز الأولوية المطلقة فى اهتمامات السياسة الخارجية السوفيتية ، كما أن الاتحاد السوفييتى حريص على تهدئة الحرب الباردة الجديدة التى بدأت بقدوم ريجان الى السلطة . ومن المعروف أن هناك اتفاقات مبدئية بين موسكو وواشنطن لعقد لقاء قمة وتنشيط مباحثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية . ومن المرجح أن القادة السوفييت أرادوا ألا يحطموا جو التهدئة الذى لاح فى الشهور الأخيرة عن طريق المواجهة السافرة مع الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، خاصة أنهم يعلمون محدودية مردود تلك المواجهة فى ظروف التخاذل العربى .

نتائج الموقف السوفييتى :

من المؤكد أن الموقف السوفييتى قد أضعف من مركز الاتحاد السوفييتى فى المنطقة ، وبالذات مع حلفائه التقليديين كليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية . وقد ظهرت أول بوادر هذا التطور فى الهجوم الذى شنه الرئيس معمر القذافى على الاتحاد السوفييتى حيث اتهمه بأنه لا يقدم للعرب سوى الكلمات . كذلك فقد انتقد نايف حواتمه ، زعيم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين واحد زعماء الاتجاه الماركسى فى منظمة التحرير ، انتقد الموقف السوفييتى ووصفه بأنه غير مفهوم وعديم التأثير كما كرر صلاح خلف (أبو اياد) احد قادة فتح نفس الانتقاد للموقف السوفييتى . بل واتهم أبو أياد الاتحاد السوفييتى بأنه كان يعلم منذ فبراير ١٩٨٢ بالمخطط الاسرائيلى لغزو لبنان ولكنه لم يأخذه مأخذ الجد . أما بالنسبة لسوريا ، فليس من المؤكد بعد الصورة العامة للعلاقات السورية – السوفيتية بعد الغزو . فقد ترددت انباء عن وجود احساس بخيبة الأمل لدى العسكريين السوريين حول الموقف السوفييتى ، فى الوقت الذى قررت فيه سوريا تطوير معاهدة الصداقة والتعاون مع موسكو الى تحالف استراتيجى ، لكن لم يتأكد بعد ما إذا كان الاتحاد السوفييتى قد وافق على ذلك . ومن المعروف ان الاتحاد السوفييتى كان قد رفض سنة ١٩٧٦ موضوع التدخل العسكرى السورى فى لبنان ضد المقاومة الفلسطينية ، مما أحدث نوعا من التوتر فى العلاقات بين الدولتين .

والواقع أن ادراك الأنظمة العربية لحدود الدور السوفييتى – فى ضوء الحرب الفلسطينية الاسرائيلية قد دفع ببعضها الى الاتجاه الى قبول البديل الأمريكى ، ولعل القبول المبدئى لمنظمة التحرير لمشروع ريجان هو بداية الطريق لقبول أطراف أخرى لهذا البديل . وفى هذه الحالة ، فانه من المتوقع ان تحدث تسوية أوسع نطاقا الا يكون الاتحاد السوفييتى طرفا فيها . بيد أنه من المتصور اذا فشلت مبادرة ريجان – وهو احتمال قائم فى ظل الرفض الاسرائيلى – أن تدرك الانظمة العربية مرة أخرى أن الخطر الاسرائيلى هو الخطر الرئيسى الذى يهدد الوطن العربى ، وأن الخطر السوفييتى – طبقا لنظرية ريجان – هو خطر على المصالح الأمريكية ، وليس على المصالح العربية ، وقد يؤدى ذلك الى عودة الاتحاد السوفييتى الى المنطقة من جديد ، بيد أنه من المؤكد أن تلك العودة ستكون فى ظل شروط تختلف عن شروط الخمسينيات □.



ملف « السياسة الدولية » [٦]

السياسة الاوروبية تجاه الغـزو الاسرائيلى للبنان

جمال عبدالجواد

جاء الغزو الأسرائيلى للبنان لينهى مرحلة كانت قد بدأت قبل فترة قليلة لأعادة صياغة السياسة الأوربية فى الشرق الأوسط فمنذ إعلان البندقية وأوربا لم تجر اى تطوير لمواقفها بشأن الصراع فى المنطقة ، وكانت المعارضة الأمريكية لتطوير الموقف الأوربى سببا فى تجميد السياسة الاوربية بالمنطقة عند مستوى إعلان البندقية ، ونذكر فى هذا الصدد تهديد الولايات المتحدة باستخدام الفيتو إذا تقدمت أوربا الى مجلس الأمن بمشروع بتعديل القرار ٢٤٢ ليتمكن من إستيعاب الحقائق الجديدة فى المنطقة وخاصة المتعلق منها بالقضية الفلسطينية .

وكحل وسط فقد قبلت أوربا تأجيل التقدم باى مبادرة جديدة فى الشرق الأوسط حتى تبذل كل المحاولات لأنجاح إتفاقات كامب ديفيد ، وهى المحاولات التى وصلت لنهايتها بتجميد مباحثات الحكم الذاتى الفلسطينى ، وباتمام الانسحاب الأسرائيلى الأخير من سيناء .

وكانت أوربا قد بدأت فى تكثيف جهودها بالمنطقة تمهيدا لبدء مرحلة جديدة من العمل لانجاز تسوية الصراع العربى الأسرائيلى ، فكانت جولات شيسون وليوتند مانز دول المنطقة ، وزيارات ميتران ، كاربجتون ، وديتريس جيشر لاسرائيل . وكانت بعض هذه الجولات ذات طبيعه إستطلاعيه ، كما كان لبعضها الآخر اغراض تتعلق بتحسين العلاقات الأوربية الأسرائيلية لفتح قنوات للاتصال مع اسرائيل بما قد يسمح بالتأثير عليها .

ومن ناحية اوربا ايضا كانت هناك بعض التحركات التى تستهدف تحقيق إنغماس أوربا عمليا فى المنطقة ، بما يمكنها من المشاركة فى رسم مستقبلها المنطقة ، وكان من قبيل تلك التحركات المشاركة الأوربية فى قوة حفظ السلام بسيناء ، وزيادة المشاركة الأوربية ضمن قوة الطوارىء الدولية بجنوب لبنان ، إذا أضافت كل من أيرلندا والنرويج وفرنسا وحدات أضافية لقواتها المشاركة فى مايو الماضى .

باختصار فان أوربا كانت تعد نفسها للأنتقال لمرحلة جديدة فى تعاملها مع المنطقة ، وهى المرحلة التى تحدث عنها رئيس وزراء لوكسمبرج قبل المرحلة الأخيرة لانسحاب اسرائيل من سيناء حين قال : « لانريد ان نضع فى إضطراب ماسبق من تحركات مستقله حتى الأن ، ولكن نريد القول أنه فى حالة عدم توصل هذه الجهود الى نتيجة نهائية يمكن ان نصل الى فراغ . وأوربا ستكون جاهزة لخطوة جديدة » .

وبحكم حدود القدرات الأوربيه فى المنطقة ، فقد ادركت أوربا منذ فترة طويلة أنها لابد وأن تجد لسياستها فى الشرق الأوسط رابطة ما بالسياسة الأمريكية ، وكان اهم تجسيد لذلك الأدراك المشاركة

الأوربية فى قوة حفظ السلام بسيناء والذى وفر شرطا ضروريا لأتمام تنفيذ المرحلة الأولى من إتفاقات كامب دافيد ، كما أشارت الأنباء الى انه كان يوجد إتفاق بين الولايات المتحدة وأطراف أوربية لتنشيط مهمة فيليب حبيب التى بدأت قبل أيام قليلة من الغزو الأسرائيلى للبنان . ولكن يبدو وأن الولايات المتحدة التى كانت على علم بالغزو الأسرائيلى قبل وقوعه ، بل وشاركت فى دعمه بالسلاح وتوفير الحماية الدبلوماسية له فى مجلس الأمن ، كانت قد قررت خداع أوربا وإعادة توظيف الجهود الأوربية فى المنطقة لصالح السياسة الأمريكية . ودون ان يقابل ذلك تقديم أى تنازلات تسمح لأوربا بالمشاركة فى رسم مستقبل المنطقة ، فتحولت مهمة فليب حبيب فى الشرق الأوسط لكى تصبح الجناح الدبلوماسى للغزو الأسرائيلى للبنان ، وعنصرا مكملا للمخطط الأسرائيلى – الأمريكى المشترك .

الموقف الأوربى من الغزو الأسرائيلى للبنان :

ومن المعروف أن أوربا لم تصل حتى اليوم إلى بناء نفسها كقوة سياسية موحدة ، وإنما ظلت السياسات الوطنية لدول الجماعة الأوربية تشكل قاعدة الموقف الأوربى العام ، وبالتالى فانه ليس بمستغرب ذلك لتباين الذى ظهر بين مواقف الدول الأوربية المختلفة من الغزو الأسرائيلى للبنان . ولكن على أى الأحوال فان جميع الدول الأوربية أعلنت عدم رضاءها عن السياسة الأسرائيلية ، وتراوحت المواقف المعلنة للدول الأوربية بين الحد الأدنى الذى تبنته هو لنداء عندما أعلنت على لسان رئيس وزراءها قلقها إزاء الهجوم الأسرائيلى على لبنان ، وبين الحد الأقصى الذى طالبت به اليونان حيث دعت دول المجموعة الأوربية لكى تتخذ من الأجراءات مايكفل إنهاء هذا الغزو .

وقد تمكنت الأسرة الأوربية من التوصل إلى موقف يمثل نقطة إلتقاء بين كل دول المجموعة ، والذى تم إعلانه فى البيانين الصادرين عن اجتماع وزراء خارجية الدول الأوربية ، وعن القمة الأوربية المنعقدة بعد ذلك بأسبوع . ولم يكن هناك مايميز البيانين عن بعضهما وكانا فى معالجتهما للقضية الفلسطينية – إذا صح التعامل معها كقضية مستقلة عن باقى ابعاد الأزمة فى المنطقة – تكرارا لما سبق وروده فى بيان البندقية الصادر عن اجتماع قمة الجماعة الأوربية فى صيف ١٩٨٠ ، فأعاد البيانان التأكيد على المبادىء الآتية :

ا – الدعوه لمفاوضات ترتكز على مبادىء الأمن والعدل لجميع الدول والشعوب .

ب – إشراك الفرقاء فى هذه المفاوضات .

ج – تحقيق الأمانى المشروعة للشعب الفلسطينى الذى يجب أن تتاح له الفرصة لممارسة حقه فى تقرير المصير .

د – ضرورة إشراك منظمة التحرير الفلسطينية فى المفاوضات .

وجدير بالاشارة هنا أن إحجام أوربا عن إدخال أى تطوير على موقفها السابق إعلانه فى بيان البندقية جاء محبطا للآمال التى علقتها بعض الأطراف العربية عليها ، والتى عززتها أوربا بالايحاء بأنها سوف تتقدم بمبادرة جديدة بعد الانتهاء من اتمام الأنسحاب الأسرائيلى من سيناء . وهو ماعبرت عنه مصادر اللجنة السداسية العربية عندما إعتبرت ان الأيجابية الوحيدة فى الموقف الأوربى هو أنه يمنع تحول الصراع العربى الصهيونى الأمريكى الى صراع عربى صهيونى أمريكى أوربى .

أما بشأن الموقف من الغزو الأسرائيلى للبنان فقد تبنت أوربا الدعوة الى :

ا – إدانه الغزو الأسرائيلى للبنان والدعوة لأنسحاب القوات الأسرائيلية منها .

ب – الدعوة لوقف إطلاق النار .

ج – الفصل بين القوات المتحاربه باشراف الجيش اللبنانى ومساعدة مراقبين من الأمم المتحدة .

د – مغادرة جميع القوات الأجنبية باستثناء التى تسمح لها الحكومة الشرعية بالبقاء .

هـ – الدعوة لبسط سلطة الحكومة اللبنانية على جميع أراضى البلاد .

ولكننا نستطيع أن تجد فى الموقف الأوربى المعلن بمناسبة غزو اسرائيل للبنان نقطتين تمثلان تغيرا له اهميته بالنسبة للموقف الأوربى من أزمه المنطقه عموما ، والقضية الفلسطينية خصوصا . النقطة الأولى هى : الدعوة لأنسحاب قوات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت . فالموقف الأوربى من منظمة التحرير الفلسطينيه ودعوتها للأشتراك فى المفاوضات لأجل تسوية الصراع فى المنطقة قد قام على اساس أن المنظمة هى حركة مسلحة تمثل الشعب الفلسطينى ، ومعلوم أن الوجود العسكرى الأساسى لمنظمة التحرير يقع على الأرض اللبنانيه ، وكانت المنظمة بهذا الشكل عنصرا من العناصر التى قبلتها أوربا بمشاركتها فى التسوية وبالتالى فإن الدعوة لأخراج المنظمة من بيروت هو قبول بإضعاف الطرف الفلسطينى بحرمانه من اهم قواعده العسكرية . وقد يقال أن هذه الدعوة الأوربية كانت نوعا من المساومة وضرورة تطلبها إنهاء حصار إسرائيل لبيروت أما النقطة الثانية فهى الفقرة الأخيرة من بيان وزراء خارجية الجماعة الأوربية التى بددت هذا الأحتمال عندما أوضحت أن الدعوة لأخراج المقاومة من بيروت ليست مجرد دعوة مستقلة عن باقى الموقف الأوربى من المسأله الفلسطينية فى مرحلة مابعد الغزو الأسرائيلى للبنان . وهى التى نسجلها

باعتبارها تحولا فى الموقف الأوربى من الأزمـــة . فقـــد نصت الفقرة الأخيرة من البيان على ان « الدول العشر تود أن ترى الشعب الفلسطينى فى موقف لملاحقة مطالبه بالوسائل السـلمية » وبـالتالى فإن إضـعاف القـوة العسكرية للمنظمة عبر إخراجها بيروت يصبح جزءا من دعوه أشمل لتحويل منظمة التحـرير الفلسـطينية الى مجموعة من الدعاه للقضية الفلسطينية ، وتخليهـا عن الكفاح المسلح ليس فقط كطـريق لأسـتعادة الحقـوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وإنما ايضا كأداة ضغط تساند الجهود الدبلوماسية فى هذا الأتجـاه . وعمـوما فقد جاء الموقف الأوربى فى معالجته للمسـأله اللبنانية على حساب منظمة التحرير الفلسطينية مرتين : الأولى عندما دعا لأخـراج المقـاومة الفلسـطينية مـــن غرب بيروت ، والثانية عندما طالب بـاخراج جميع القـوات الأجنبية من لبنان مساويا بين الوجـود الأسرائيلى فى لبنان والوجود الفلسطينى فيه باعتبار كلاهمـا مجـرد وجود أجنبى .

ومن المهم ملاحظة أن الموقف المعلن لدول المجمـوعة الأوربية جاء بمثابة الصياغة التوفيقية بين السياسات المعلنه للدول أعضاء المجموعة . فبـرغم إتفـاق الدول العشر على وجهة النظر التى أعلنها فى أجتمـاع القمـه رئيس وزراء بلجيكا ورئيس الأجتماع والتى تتلخص فى أنه ينبغى على أوربا الغربية أتخاذ خـط واضـح إزاء العزله الواضحة لواشنطن فى مسألة الشرق الأوسط ، فان الخلافات قد ثارت حول عدد من الموضوعات :

- الأجراء الذى ينبغى إتخـاذه فى حـالة عدم إمتثـال اسرائيل لنداءات الأنسحاب من لبنان .
- دور منظمة التحرير الفلسطينية .
- إقامة قوة لحفظ السلام فى لبنان .
- كيفية إدارة العلاقات مـع الولايات المتحـدة فيمـا يتعلق بالموقف إزاء الوضع فى لبنان .

ذلك أن الدول العشر بشأن الأزمة المترتبة على الغزو الأسرائيلى للبنان إنقسمت الى موقفين الأول يعـارض تطوير الموقف الأوربى المستقل عن السياسة الأمريكية وتزعمته ألمانيا الغربية وهـولندا ، والثـانى يدفـع فى إتجاه مزيد من تميز الموقـف الأوربـى عن السـياسة الأمريكية ، والسعى لفرض هذا الموقف وتزعمته فرنسا واليونان . فبينما إقترحت ألمانيا الغربية وهـولندا عدم ذكر منظمـة التحـرير الفلسـطينية بـالأسم فى بيانات الأسرة الأوربية الصادرة بشـأن الأزمـة ، فـان ورود إسم المنظمـة كان نتيجـة للأصرار الفـرنسى على ذلك باعتباره مسأله حيويه . وفى المقابل فان الطريقة التـى عالجـت بهـا المجمـوعة الأوربية الأزمـة اللبنانية فى علاقتها بالمسألة الفلسطينية كانت اسـتجابة للاتجـاه الذى تزعمته ألمانيا الغربية والذى أعلنه وزير خارجيتها ديترعش جيتشر فى بدايه الغزو عندمـا قـال ان إعادة الوضع السـابق الى مـاكان عليه لن يؤدى الى نتـائج إيجابية ، وقرن ذلك بالدعوة الى إقرار سيادة السـلطة اللبنانية ، وهذا هو بالضبط مـا اعلنه البيان كطـريق لحل الأزمة عندما ربـط بين الحـل وإخـراج القـوات الأجنبية من لبنان بما فيها القوات الفلسطينية .

اما بشأن توقيع عقوبات ضد اسرائيل ، فقـد تبنت اليونان وفرنسا الدعوة لتوقيع عقوبات شديدة ضـدها وممارسة الضغوط التى تضـطرها الى الأنسـحاب ، بنما رفض الفريق الآخـر تـوقيع أى عقـوبات ضـد اسرائيل فكان الموقف النهائى ان أصدر وزراء خارجية الأسرة الأوربية قرارا بتعليق توقيع إتفاق معـونة مـع اسرائيل قـدره ٤٠ مليون دولار ، وهـو القـرار الذى إعتبرته اليونان لايساوى شيئا . كمـا اصـدر مـؤتمر القمة الأوربى بعد ذلك قـرارا بـوقف شـحن المعدات الحربية لأسرائيل ، وهو ايضا قـرار محـدود القيمـة بسبب إعتمـاد اسرائيل شـبه الكامـل على السـلاح الأمريكى .

أما بشأن دور قوة حفظ السلام فى لبنان فقـد ثـار الخلاف بين الأتجاه الذى تقـوده فـرنسا والداعى الى إقتصار مهمة القوات الدولية على الفصل بين القـوات المتحاربه ، بينما حبذ الفريق الآخـر أن تتـولى هـذه القوات الأشراف على إخراج القـوات الأجنبية ـ بمـا فيها الفلسطينية ـ من لبنان والحلول محلها .

وأخيرا فإنه بشأن العلاقة مـع الولايات المتحـدة ، فقد كان موقف الفريق الذى قادته ألمانيا كما حدده وزير خارجيتها عندما زار الأردن فى منتصف يوليو بقوله أن التحرك الأوربى لن يتعـارض مـع جهـود الوسـاطة الأمـريكية التـى يقـوم بهـا فيليب حبيب فى لبنان واسرائيل ، بينما تقدمت فرنسا لمجلس الأمن بمشروع قرار تعرض للفيتو الأمريكى وهو الذى دفع الخـارجية الفرنسية لأصدار بيان جـاف عبـرت فيه عن اسـفها لأستخدام أمريكا للفيتو ، ولكونها الدولة الوحيدة التى عارضت المشروع الفرنسى .

وتجـدر الأشـارة الى ان المجمـوعة الأوربية كانت تتحرك فى مناخ فـرضته إسرائيل والولايات المتحـدة ، وينفى أى امكانية لممارسة أوربا لدور فعـال ومسـتقل خلال الأزمة ، فعندما إجتمع وزراء خارجية الجمـاعة الأوربية أرسلوا بمجموعة من الأسئلة لأسرائيل تـدور حـول سـماح اسرائيل بـأعمال الأنقـاذ فى الأراضى المحتلة ، والأعتراف بالسيادة اللبنانية ، وألا يكون لها نوايا عدوانيه ضد الشعب العربى الفلسـطينى أو ضـد سوريا ، ردت إسرائيل بصلف شديد على تلك الأسـئلة موحية للجماعة الأوربية بأن تدخلها لن يكون مجـديا . وذكرت فى ردها أنها لن تسـمح بعـودة الأوضـاع الى

ماكانت عليه قبل الغزو ، وأنه لابد البحث عن حل سياسى ، ومالم يحدث هذا فانها لن تنسحب من لبنان . وكذلك فانها لن تضع فى إعتبارها اى ضغوط تحاول أن تدفعها لذلك وقد التزمت اسرائيل فعلا بنص إجاباتها .

وعموما ، فاننا نستطيع أن نلاحظ أن الغزو الأسرائيلى للبنان قد فجر التناقضات داخل المجموعة الأوربية فيما يتعلق بالصراع فى الشرق الأوسط ، فبينما تمكنت المجموعة الأوربية من التوصل عبر مرحلة زمنية طويلة وبطريقة تدريجية الى موقف موحد يمثل حدا ملائما من وحدة الموقف ، فان عنف الغزو الأسرائيلى وجذريته فى تعديل الخريطة السياسية بالمنطقة تسبب فى نسف هذه القاعدة من الموقف الموحد ، وفقدان الجماعة الأوربية وحدة الأتجاه ، لما سببه من غموض وضبابية ناتجة عن صعوبة التنبؤ بنتائجه .

وقد أدى هذا الوضع الى إصابه جهود المجموعة الأوربية فى المنطقة بالشلل التام ، إذ توقفت عن ممارسة اى جهود جماعية من اى نوع منذ بيان القمة المنعقد فى أواخر يونيو ، وتحولت الجهود الأوربية الى مجرد السياسات المنفرده التى تمارسها بعض دول المجموعة بشكل مستقل عن مجموع الأسرة الأوربية . ونذكر فى هذا الصدد الجهود الأيرلندية فى مجلس الأمن اذ تقدمت أيرلندة بأكثر من مشروع أحبطها الفيتو الأمريكى وأستقبال اليونان لعدد من الجرحى الفلسطينيين لعلاجهم فى مستشفياتها . ومشاركة إيطاليا فى القوة الدولية المشرفة على ترحيل الفلسطينيين من بيروت . اما الموقف الفرنسى فسوف نخصه بحديث خاص نظرا لأهميته .

السياسة الفرنسية تجاه الغزو الأسرائيلى :

تعد فرنسا أكثر الأطراف الأوربية إرتباطا بالمنطقة العربية لأسباب عديدة منها : ١ ـ المصالح الأقتصادية الفرنسية بالمنطقة . إذ يزيد حجم الأرتباطات الأقتصادية الفرنسية بدول المنطقة عن حجم إرتباطات أى دولة أوربية أخرى بها . ٢ ـ العلاقات التاريخية بين فرنسا والعالم العربى . ٣ ـ فرنسا هى أكثر دول الجماعة الأوربية سعيا لتمييز سياستها فى المنطقة عن السياسة الأمريكية بها ، وقد سبقت فرنسا باقى الدول الأوربية فى هذا المجال منذ عهد شارل ديجول . ٤ ـ لفرنسا علاقات ثقافية وتاريخية وإقتصادية مع لبنان . تتميز عن علاقتها بأغلب الدول العربية الأخرى .

وبسبب الخلاف الذى نشب داخل الجماعة الأوربية بشأن الموقف من غزو إسرائيل للبنان ، أصبح الأطار الأوربى أضيق من أن يستوعب السياسة الفرنسية فى المنطقة ، وهو الذى دفع فرنسا للتحرك منفردة ، ونستطيع أن نحدد عاملين رئيسيين باعتبارهما الدافع الاهم وراء هذا النشاط الفرنسى البارز فى الأزمة ، الأول : هو العمل لحماية المصالح الفرنسية بالمنطقة ، والثانى : الأستجابة للتوقعات العربية بدور فرنسى نشط يوازن الدور الأمريكى المنحاز الى إسرائيل . وقد كانت التوقعات المعلقة على فرنسا أكثر من تلك المعلقة على اى دولة اوربية أخرى بحكم الأرتباطات الفرنسية المتعددة بالمنطقة ، ولأن فرنسا قد سبقت الدول الأوربية عموما فى هذا الأتجاه .

ويمكن أن نلخص المفهوم الذى تحددت على أساسه السياسة الفرنسية تجاه الأزمة بان الخوف من إنتصار أمريكى إسرائيلى ساحق قد يؤدى لأنهاء الأمل فى أى مساهمة أوربية مستقلة لتحقيق السلام بالمنطقة ، وبالتالى فرض تسوية لاتراعى المصالح الأوربية .ومن ثم فأنه يجب محاولة الأستفادة من الوضع الشائك الذى نتج عن غزو إسرائيل للبنان لأيجاد حل دائم للأزمة فى المنطقة .

وقد ظهرت المؤشرات لهذا المفهوم الفرنسى فى عدد من المواقف التى تبنتها فرنسا خلال الأزمة ، والتى دارت حول مسألتين أساسيتين : أولا : العمل على الحفاظ على منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها عنصرا هاما من عناصر حل الأزمة . وظهر ذلك فى أكثر من موقف : أ ـ دعا المشروع الفرنسى الذى قدم لمجلس الأمن الى الفصل بين القوات المتحاربة وإنسحاب الأسرائيليين عدة كيلو مترات من حول بيروت ، بينما كان المطلب الإسرائيلى الأمريكى هو إخراج قوات منظمة التحرير الفلسطينية نهائيا من بيروت . ب ـ إقترحت فرنسا أن يقتصر دور القوة الدولية المتجهة لبيروت على الفصل بين القوات المتحاربة هناك وليس الأشراف على ترحيل الفلسطينيين . ج ـ عارض الموقف الفرنسى الرسمى نزع سلاح المقاومة الفلسطينية ، أو القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، لأن ذلك كما عبر شيسون يؤدى الى زوال جهة تمثل الشعب الفلسطينى ، ولأنه يؤدى الى نشوء وضع غامض لايمكن التكهن بنتائجه . د ـ تكثيف الأتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية ، إذ التقى كلود شيسون مع فاروق القدومى ، كما تحدث الرئيس ميتران تليفونيا مع ياسر عرفات وهو أول إتصال من نوعه يتم على هذا المستوى بين مسئول أوربى والزعيم الفلسطينى ، وهو ما يمكن إعتباره دعما دبلوماسيا للمنظمة .

وقد نظرت القيادة الفلسطينية الى ذلك الموقف الفرنسى بعين التقدير فأرسل ياسر عرفات برسالة لكلود شيسون وزير الخارجية الفرنسى شكره فيها على الموقف الفرنسى المؤيد لحقوق الفلسطينيين ، وعلى جهود فرنسا لأنهاء الأزمة عن طريق تسوية تحفظ

للكفاح الفلسطينى ، شرعيته وعدم تخليه عن السلاح .

الثانى ربطت فرنسا فى كل خطواتها وسياساتها المعلنة بين تسوية الأزمة اللبنانية والتسوية الشاملة لأزمة الشرق الأوسط . فقد دعا المشروع الفرنسى فى مجلس الأمن الى البدء فى مفاوضات تكفل الوجود والأمن والحقوق الشرعية لجميع الدول والشعوب المعنية وذلك بعد تسوية الأزمة الناتجة عن غزو إسرائيل للأراضى اللبنانية ، كما دعت فى مبادرتها المشتركة مع مصر للتأكيد على الحقوق الوطنية الشرعية للشعب الفلسطينى بما فيها حقه فى تقرير المصير ، وتمثيل الشعب الفلسطينى فى جميع المفاوضات المتعلقة بالشرق الأوسط وإشتراك منظمة التحرير فى تلك المفاوضات ، وتوجيه الدعوة للطرفين الرئيسيين فى الصراع الى الأعتراف ببعضهما .

وقد أدت هذه المواقف الفرنسية الى دخول العلاقات الفرنسية الأسرائيلية فى أزمة تبادل فيها ممثلو الطرفين الأتهامات ، وقدمت إسرائيل منكرة إحتجاج رسمية للخارجية الفرنسية إحتجاجا على مقترحات الرئيس ميتران ، واعتبرت الرئيس الفرنسى غير صديق لأسرائيل . كما عارضت إسرائيل بسبب المواقف الفرنسية إشتراك فرنسا فى القوة الدولية المشرفة على ترحيل رجال المقاومة من بيروت الغربية ، أو أن تكون القوة الفرنسية طليعة هذه القوات . ولكنها وافقت على ذلك فقط بعد أن تعهدت فرنسا فى رسالة بعثها الرئيس ميتران لبيجين أكد فيها أن قوات بلاده ستعمل ملتزمة بالأتفاق الذى تم على أساسه تشكيل القوة ، وأنها ستنسحب فورا إذا رفضت المقاومة مغادرة بيروت .

حدود ومستقبل الدور الأوربى فى المنطقة بعد الغزو الأسرائيلى للبنان :

معضلة السياسة الأوربية فى الشرق الأوسط هى التفاوت بين حجم المصالح الأوربية فى المنطقة ، وبين القدرات والأمكانيات الأوربية فيها ، ويتجلى مأزق السياسة الأوربية فى الشرق الأوسط بالنظر الى الدور الأوربى فى تسوية الصراع العربى الأسرائيلى باعتباره المسألة المحورية فى السياسات الشرق أوسطية ، إذ تفقد أوربا القدرة على المشاركة فى توجيه محاولات تسوية الصراع بما يتناسب والمصلحة الأوربية فى تحقيق إستقرار يضمن لها مصالحها . فقد تجمدت السياسة الأوربية فى المنطقة منذ إعلان البندقية ، واصبحت السياسة الأوربية مجرد إعلانات للمبادىء ، ودون الخطة العملية المحددة لتجاوز أزمة المنطقة ، وليست المبادرة الأوربية التى لاتأتى أبدا إلا تعبيرا عن حالة الأحتجاز التى تعانيها الجهود الأوربية فى الشرق الأوسط والتى هى ترجمة للتفاوت القائم بين حجم المصالح الأوربية فى المنطقة ، والقدرة الأوربية على التأثير فى الأطراف المعنية بالصراع لدفعها فى إتجاه تسوية تراعى المصالح الأوربية .

فأوربا بسبب موقفها ضمن ميزان القوى على المستوى العالمى تواجه صعوبات فى محاولة ممارسة سياسة مستقلة فى الشرق الأوسط ، وكذلك فان الأرتباطات الرئيسية لأطراف الصراع فى المنطقة تشكل عقبة إضافية ورئيسية أمام السياسة الأوربية ، فالعنصر الهام الذى مكن الولايات المتحدة من أن تكون أكثر الأطراف من خارج المنطقة قدرة على فرض خطتها للتسوية هو واقع ارتباط كل من المصالح الاسرائيلية والعربية بدرجة كبيرة بالولايات المتحدة ، والذى مكنها من ممارسة نفوذها على الأطراف المحلية للصراع بما يتناسب مع حجم ذلك الأرتباط .

كذلك فان طبيعة الصراع العربى الأسرائيلى كصراع مصيرى ، وخاصة فى بعده الفلسطينى ، إذ تعتبر كل من (القومية الصهيونية) ، والوطنية الفلسطينية هويتان متنافيتان جاء صعود إحدهما على حساب الأخرى ، وهما (قوميتان) تنازع كل منهما الأخرى على الأرض التى تعتبرهاتعتبرها كلتاهما إرثا تاريخيا ووطنيا ، وهو بالتالى صراع تصبح فيه التسوية التى ترضى الطرفين تماما أمر صعب المنال . وبهذا المعنى فانه صراع مصيرى ، وهذه الطبيعة للصراع العربى الأسرائيلى لاتتيح إمكانية التأثير فيه إلا للقوى التى تتمكن من التأثير الفعلى بأدوات مادية وخاصة العسكرية ، وبالتالى تتضائل قيمة المساندة الدبلوماسية والسياسية التى لاترتبط بامكانيات مادية . وعلى هذا فان حدود الفعالية الأوربية فى صراع الشرق الأوسط كما ترتبط بالأمكانيات والقدرات الأوربية فى المنطقة ، فانها ترتبط كذلك بطبيعة الصراع نفسه .

ونلاحظ أن تزايد التوقعات لقيام أوربا بدور فعال فى المنطقة كانت قد تزايدت بوضوح فى الفترة منذ حرب ١٩٧٣ ، على عكس الفترات السابقة لذلك . صحيح أن ذلك قد ارتبط بدخول أوربا فى مرحلة عملت فيها على بلورة نفسها كقوة مستقلة فى السياسة ، العالمية ، إلا أنه قد ارتبط كذلك بالتطورات التى شهدها الصراع العربى الأسرائيلى نفسه . إذ يمكننا التمييز بين حالتين تتبادل المنطقة الدخول فيهما ، ويهيمنان على الظروف السياسية بها ، الحالة الأولى هى حالة الصدام العسكرى المباشر أو الأستعداد له . أما الحالة الثانية فتقوم عندما تصل العلافة بين الأطراف الرئيسية فى الصراع أو أغلبها الى نقطة يصبح عندها البحث عن تسوية سلمية للصراع أمرا واردا .

وحالة الصدام المسلح أو الأعداد له لاتسمح بالتأثير إلا للأطراف التى تكون قادرة على الأنغماس فى هذا العمل ، إما بالمشاركة فى الصدام ، أو بالأمداد بالأدوات اللازمة لذلك وعمليا فانه منذ حققت إسرائيل تفوقا عسكريا حاسما على الدول العربية بفضل المساعدة الأمريكية ، فان الولايات المتحدة وإسرائيل تحتكران التأثير فى هذه المرحلة .

وحيث لاتسطيع أوربا أن تسهم فى مرحلة الصدام المسلح ، فان دورها يقتصر على المرحلة الأخرى . وهذا هو تفسير تصاعد التوقعات حول الدور الأوربى فى المرحلة منذ حرب ١٩٧٣ ، وحتى الغزو الأسرائيلى الأخير للبنان . حيث وصل الصراع فى تلك المرحلة الى درجة من التوازن التى سمحت للأطراف المختلفة بقبولها للسعى نحو تحقيق تسوية للصراع ، وذلك على العكس من المرحلة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ التى كانت مرحلة للصدام المسلح والأعداد له ، والتى لم يتوقع فيها أى طرف أن تقوم أوربا بدور متميز فيها .

وبحكم الحدود المفروضة على الدور الأوربى فى الشرق الأوسط ، فان هذا الدور يقتصر على مرحلة البحث عن تسوية سلمية ، والتسوية تكون عادة محصلة لتوازنات القوى القائمة فعلا وتعبيرا عن الخريطة السياسية وخريطة القوى التى تم رسمها فى المرحلة السابقة ، ويقتصر دور أوربا فى هذه المرحلة على المشاركة فى تقديم الضمانات المطلوبة للتأمين والحفاظ على التسوية التى تم التوصل اليها ، وبالتالى فان الدور الأوربى يقتصر على حماية تسوية هى نتاج لوضع لم تسهم فى صناعته . حدث هذا عندما شاركت أوربا فى القوة متعددة الجنسيات لحفظ السلام فى سيناء فكانت مشاركتها ضمانا لأستكمال المرحلة الأولى من كامب دافيد ، والمتعلقة بانسحاب إسرائيل من سيناء ، برغم عدم رضاء أوربا عن هذه الأتفاقات ، وهو ما تكرر مرة ثانية عند تكوين القوة الدولية المشرفة على إنسحاب الفلسطينيين من بيروت ، إذ شاركت فيها دولتان أوربيتان ـ فرنسا وإيطاليا ـ بالأضافة الى الولايات المتحدة ، فبرغم المعارضة الفرنسية لخطط إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية ، وإعلانها فى البداية أنها لن تشارك فى القوة إلا إذا إقتصرت مهمتها على الفصل بين القوات المتحاربة ، فانها عادت وقبلت أن تشارك فى ضمان الأتفاق الذى تم التوصل إليه تحت ضغط الجيش الأسرائيلى المدعوم أمريكيا . وقد كانت المشاركة الأوربية فى هذه القوة أمرا ضروريا لعدة أسباب : ١ ـ توفير غطاء دولى لعملية إخراج الفلسطينيين من بيروت . ٢ ـ تفويت الفرصة على المعارضة السوفيتية لأنفراد الولايات المتحدة بارسال قواتها الى لبنان ، وتجنب أى إحتمال للمواجهة مع السوفيت بسبب ذلك . وكان الأتحاد السوفيتى قد حذر رسميا فى رسالة بعثها بريجنيف الى الرئيس ريجان من هذا العمل . ٣ ـ تخفيف المعارضة الصادرة من داخل الولايات المتحدة ضد التورط الأمريكى فى لبنان ، اذا إعتبر عدد من اعضاء الكونجرس الأمريكى ان هذه المشاركة ستحول امريكا من طرف مفاوض الى شريك ، واشترطوا لارسال قوات أمريكية الى لبنان أن تكون ضمن قوة متعددة الجنسيات وأن يكون لوجودها فى لبنان غرض ووقت محدد .

وأوربا من جانبها تنظر الى التسوية باعتبارها عملية ممتدة ، وأن مشاركتها فى ضمان إحدى مراحلها ايا كان الأساس الذى تتم عليه هذه المشاركة ، قد يؤدى الى أخذ المطالب الأوربية بعين الأعتبار فى المراحل اللاحقة . وهذا هو المفهوم الذى على أساسه شاركت أوربا فى قوة حفظ السلام بسيناء ، باعتبار أن المشاركة فى المرحلة الأولى من التسوية التى تمت على اساس إتفاقات كامب دافيد ، قد يضمن لها المشاركة فى المراحل التالية ، وهو ايضا ما عادت فرنسا وإيطاليا وكررته عندما شاركت فى القوة متعددة الجنسيات المشرفة على ترحيل الفلسطينيين من لبنان .

وحتى الآن فان هذا المنهج الذى اتبعته أوربا فى التعامل مع الأزمة فى المنطقة ، لم يثبت أى فعالية إذ لازالت الولايات المتحدة وإسرائيل تفرض على المنطقة السياسة التى تناسب مصالحهما دون أدنى مراعاة للمطالب الأوربية ، وهو الذى يعنى فى النهاية أنه برغم الفروق بين السياسة الأوربية المعلنة فى الشرق الأوسط والسياسة الأمريكية فيه ، فان السياسة الأوربية عمليا تتراجع الى مستوى تقديم الضمانات وتوفير المظلة الدولية للسياسة الأمريكية فى المنطقة ، أى أن أوربا فى النهاية تكون مضطرة لألحاق سياستها فى المنطقة ، بالسياسة الأمريكية طالما لم تتوفر لها القدرات التى تمكنها من ممارسة سياسة مستقلة فعلا ، وليس مجرد الأعلان

اكثر من هذا فان الغزو الأسرائيلى للبنان أدخل المنطقة فى مرحلة يعاد فيها رسم الخريطة السياسية لها باستخدام القوة المسلحة ، مما خلق وضعا انقلبت فيه موازين القوى بشدة لصالح إسرائيل ، أو بالأصح فان اختلال ميزان القوى لصالح الطرف الأمريكى الأسرائيلى قد عبر عن نفسه فى نتائج الغزو الأسرائيلى للبنان . فقد أسفر عن واقع لايصلح لكى يكون نقطة انطلاق لتسوية ترضى عنها الأطراف العربية المختلفة . وبالتالى فان الفترة القادمة لم تكون فترة للبحث الجاد عن تسوية ـ دون أن يعنى ذلك بالضرورة أنها ستكون مرحلة للصدام المسلح ـ وهو الذى سيؤدى الى تقلص الدور الأوربى فى المنطقة ، وتراجع التوقعات حول قيام أوربا بدور هام لتسوية الصراع العربى الأسرائيلى . □

ملف « السياسة الدولية » [٧]



الموقف المصرى من الغزو الاسرائيلى للبنان

وحيد عبدالمجيد

عندما بدأ الغزو الاسرائيلى للبنان فى أوائل يونيو الماضى ، كان من الطبيعى أن يثير هذا الغزو ردود فعل حادة فى مختلف العواصم العربية . لكن على عكس ما كان متوقعا طغى رد الفعل المصرى على ردود الفعل الصادرة من معظم الدول العربية . فالمعروف أن مصر هى الدولة العربية الوحيدة التى ترتبط بمعاهدة سلام مع اسرائيل منذ ٢٦ مارس ١٩٧٩ . لكن السلام المصرى ـ الاسرائيلى لم يحل دون اتخاذ مصر لموقف متشدد من الغزو الاسرائيلى للبنان . ومع ذلك لم يقتصر الموقف المصرى على إدانة هذا الغزو ، وإنما امتد ليشمل تحركا واسع النطاق يهدف إلى تطويق النتائج السلبية للعدوان الاسرائيلى على مستقبل السلام فى المنطقة . وفى هذا النطاق يمكن تتبع أبعاد الموقف المصرى ازاء العدوان الاسرائيلى على النحو التالى :

موقف حاسم من الغزو :

من المعروف أن السلام المصرى الاسرائيلى تعرض لتحديات عديدة خلال السنوات الثلاث الماضية . لكن هذه التحديات مرت دون أن تصيب العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية بهزة حقيقية . فقد ظلت مصر حريصة ، فى كل مرة ، على حصر ردود فعلها للاستفزاز الاسرائيلى فى أضيق نطاق . لكن يبدو أن الأمر لم يعد كذلك بعد العدوان الاسرائيلى الأخير على لبنان فقد بادرت مصر بإدانة العدوان وتحذير اسرائيل من النتائج الخطيرة التى ستترتب عليه . وبعث الرئيس مبارك برسالة عاجلة إلى رئيس الوزراء الاسرائيلى بيجين يطالبه فيها بالانسحاب الفورى من لبنان . وكانت هذه هى الرسالة الوحيدة التى بعث بها مبارك إلى بيجين منذ ذلك الوقت . ويبدو أن القاهرة أدركت مبكرا عدم جدوى الاتصال مع الاسرائيليين بصدد موضوع الغزو . ولذلك أوقفت اتصالاتها السياسية مع اسرائيل ، وركزت جهودها على الولايات المتحدة . ولأول مرة تعلن الخارجية المصرية فى ٢ يوليو : « إن علاقة مصر باسرائيل تغيرت بعد عدوانها على الشعب الفلسطينى واللبنانى . لقد هاجمت اسرائيل دولة عربية واعتدت على الشعب الفلسطينى مخالفة بذلك روح اتفاقية كامب ديفيد ... ولذلك فقد توقفت العملية التالية للسلام ، وهى التوصل لحل باقى المشكلات القائمة » . لكن مصر أكدت فى نفس الوقت تمسكها بكامب ديفيد وبمعاهدة السلام مع اسرائيل . ومعنى ذلك أن مصر تفصل فى موقفها من اسرائيل بين ما تم التوصل اليه بالفعل ، وبين تطور العلاقات فى المستقبل . ويظهر ذلك وضوح فى الموقف المصرى من عملية التطبيع مع

اسرائيل فقد امتنعت مصر عن اتخاذ أى اجراء يمس الخطوات التى تمت بالفعل على طريق التطبيع . لكنها أحجمت فى نفس الوقت عن اتخاذ أية اجراءات جديدة لدعم التطبيع منذ بداية الغزو الاسرائيلى للبنان .

عودة العلاقات المصرية ـ الفلسطينية :

وفى الوقت الذى توقفت الاتصالات المصرية ـ الاسرائيلية تقريبا ، بدأت اتصالات مصرية فلسطينية رسمية لأول مرة منذ مبادرة السادات فى نوفمبر ١٩٧٧ . فقد ظل خمسة من أعضاء مكتب منظمة التحرير بالقاهرة على اتصال مستمر بالقيادة المصرية منذ بداية الغزو . وشهدت الفترة الماضية تنسيقا بين مصر ومنظمة التحرير ارتبط بتزايد حجم الاتفاق المصرى ـ الفلسطينى . لكن ظل هناك خلاف بين الطرفين حول فكرة اقامة حكومة فلسطينية فى المنفى . فقد عادت مصر إلى اثارة هذه الفكرة التى سبق أن اقترحها السادات منذ عام ١٩٧٢ . فأعلن الرئيس مبارك فى ٢١ يونيو : « إن مصر ترحب بإقامة حكومة فلسطينية مؤقتة فى القاهرة تباشر نشاطا سياسيا خالصا فى الدفاع عن حقوق الفلسطينيين دون أى نشاط عسكرى » . لكن القادة الفلسطينيين ظلوا متحفظين على هذه الفكرة ، وقام بعضهم بمهاجمتها . غير أن هذا الموقف الفلسطينى بدأ يخضع للمراجعة مع إقرار خطة المبعوث الأمريكى فيليب حبيب ، وبدء الرحيل الفلسطينى من لبنان . فصدرت تصريحات فلسطينية تشير لأول مرة إلى امكانية القبول بفكرة اقامة حكومة فلسطينية مؤقتة . هذا التطور فى الموقف الفلسطينى ينسجم مع الدعوة المصرية إلى اقامة هذه الحكومة . واذا أمكن تشكيل هذه الحكومة بالفعل ، سيكون ذلك بداية لمرحلة جديدة فى العلاقات المصرية ـ الفلسطينية .

وثيقة عرفات :

ويرتبط بهذا التطور الترحيب المصرى بالوثيقة التى وقعها ياسر عرفات فى ٢٢ يوليو ، بقبول جميع قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين وهى الوثيقة التى تسلمها وفد الكونجرس الأمريكى برئاسة بول ماكلوسكى .والنص الاساسى لهذه الوثيقة يقول : « ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يقبل جميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية » . فقد نظرت القاهرة إلى هذه الوثيقة من زاوية أنها خطوة فلسطينية جديدة نحو السلام . ومن هنا كان الترحيب المصرى السريع بها . فقد وجدت مصر فيها فرصة جديدة للتأكيد على ضرورة اعتراف أمريكا واسرائيل بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . وطلب مبارك من الرئيس الأمريكى ريجان : « العمل على استغلال هذا الموقف الفلسطينى لصالح الاستمرار فى جهود السلام » . وأصدرت الخارجية المصرية بيانا رسميا فى ٢٨ يوليو يقول : « إن الادارة الأمريكية أمامها الان مبادرة فلسطينية جديدة تتمثل فى تصريح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير بقبول جميع قرارات الأمم المتحدة .. » . ودعا البيان الولايات المتحدة إلى ضرورة البدء فورا فى حوار مع الشعب الفلسطينى .

هذا الموقف المصرى من وثيقة عرفات كشف عن الحجم الحقيقى للخلاف بين مصر واسرائيل . ففى مقابل الترحيب المصرى بالوثيقة ، سارعت اسرائيل إلى مهاجمتها بضراوة باعتبارها (مجرد خدعة ومناورة للدعاية) ! ! والمتوقع أن تضم مصر هذه الوثيقة إلى مجموعة الاوراق التى تحدد موقفها فى مفاوضات الحكم الذاتى . ولذلك ستكون هذه مشكلة جديدة تضاف إلى قائمة المشكلات التى قادت تلك المفاوضات إلى طريق مسدود .

الخلاف المصرى ـ الأمريكى :

عندما أوقفت مصر اتصالاتها السياسية مع اسرائيل ، كانت هناك توقعات فى القاهرة بأن تتخذ واشنطن موقفا ايجابيا لوقف العدوان الاسرائيلى . ولذلك تركز التحرك المصرى على مناشدة واشنطن الاضطلاع بمسئولياتها لوقف العدوان . فعلى مدى اسبوعين فقط بعد بداية الغزو ، بعث مبارك بست رسائل متتالية إلى ريجان فى ٧ و٩ و١٠ و١٥ و٢٤ و٢٥ يونيو . لكن الردود المقتضبة التى تلقاها مبارك على ثلاث فقط من رسائله الست ، كانت كفيلة بإثارة شعور خيبة أمل فى القاهرة . وفى نفس الوقت وقفت أمريكا وحدها تدافع عن الغزو الاسرائيلى للبنان فى مجلس الأمن . وأدى هذا الموقف الأمريكى إلى الحيلولة دون نجاح المجلس فى اصدار قرار حاسم ضد الغزو الاسرائيلى . وعندما التقى ريجان مع بيجين فى ٢١ يونيو بواشنطن ، كان هناك اتفاق كامل بينهما تقريبا على التحرك الاسرائيلى فى لبنان . وازاء ذلك أعلن مبارك ، لأول مرة ، فى ٢٢ يونيو استيائه من الموقف الأمريكى . فقال : (أن الموقف الأمريكى من أحداث لبنان لن يؤثر فقط على العلاقات المصرية الأمريكية ، ولكن ايضا على العلاقات الأمريكية العربية . فقد اهتزت صورة الولايات المتحدة ، وقلت لكل أمريكى قابلته فى مصر أن الوضع فى لبنان سيخلق مزيدا من المتاعب ، وسوف تفقد أمريكا مزيدا من الأرضية ؟ ، بينما سيكسب الاتحاد السوفييتى أكثر) .

وأبلغت الخارجية المصرية السفير الأمريكى بالقاهرة أسف مصر للموقف الأمريكى من غزو لبنان . ومع ذلك كان من المستبعد ترجمة هذا الاستياء المصرى الرسمى من الموقف الأمريكى إلى سلوك فعلى ،

خصوصا وان الادارة الأمريكية ادركت بسرعة ضرورة احتواء هذا الاستياء فأعلن دين فيشر المتحدث السابق باسم الخارجية الأمريكية ان الولايات المتحدة على اتصال وثيق بالرئيس مبارك والحكومة المصرية فيما يتعلق بتطورات الوضع فى لبنان لايجاد تفاهم بين البلدين وفى نفس الوقت أكد كليمنت زيبلوكى رئيس لجنة الشئون الخارجية فى مجلس النواب الأمريكى ضرورة استمرار الاتصالات المصرية - الأمريكية لتفادي أية هزة فى علاقات البلدين وهكذا كان واضحا ان هناك حرصا أمريكيا بأن لايتأثر مستقبل العلاقات مع القاهرة بأحداث لبنان هذا الحرص الأمريكى كان من العوامل الهامة التى حالت دون حدوث فتور فى العلاقات المصرية - الأمريكية لكن العامل الحاسم فى هذا الصدد هو طبيعة الارتباط المصرى الراهن بأمريكا اقتصاديا وعسكريا . فضلا عن قناعة القيادة المصرية بحيوية الدور الأمريكي للتوصل إلى حل شامل لأزمة الشرق الأوسط ولذلك عاد الرئيس مبارك ليؤكد ان الولايات المتحدة تملك جميع أوراق حل الازمة فى الشرق الأوسط لكن هذا الموقف المصرى من الدور الأمريكى فى التسوية مم يحل دون تكثيف الاتصالات المصرية بالدول الأوربية . وبالذات فرنسا

التنسيق المصري - الفرنسي :

منذ بداية الغزو الاسرائيلي للبنان . لم تتوقف الاتصالات المصرية - الفرنسية وبادرت القاهرة بإعلان تأييدها الكامل لمبادرة ميتران التى أخذت شكل مشروع قرار مقدم إلى مجلس الأمن لكن الفيتو الأمريكي على هذا المشروع . فى ٢٧ يونيو الماضى . كان بداية لمرحلة جديدة تميزت بالتنسيق الكامل بين القاهرة وباريس وكانت أهم مؤشرات هذا التنسيق اعداد مصر وفرنسا لمسودة مشروع مشترك لتسوية أزمة الشرق الأوسط وأجرت الدولتان اتصالات مع واشنطن لاقناعها بعدم رفض المشروع لكن التحفظ الأمريكي عليه دفع مصر وفرنسا إلى تأجيل التقدم به رسميا إلى مجلس الأمن وقامتا فى نفس الوقت بإجراء مشاورات جديدة لتعديل المشروع لضمان مروره فى المجلس لكن التحفظ الأمريكى استمر على المشروع المعدل ايضا . ولذلك لم تقدم مصر وفرنسا بتقديمه إلى المجلس ويلاحظ ان هذا التنسيق المصرى الفرنسى ليس بديلا . من وجهة النظر المصرية للدور الأمريكي ومع ذلك فقد أحدث هذا التنسيق تحولا هاما فى طبيعة الدور الفرنسى فى المنطقة فقد احتلت مصر المكان المتقدم الذى كانت تشغله اسرائيل فى نطاق أولويات السياسة الفرنسية بالمنطقة طوال العام الماضى كما بدأت العلاقات الفرنسية - الاسرائيلية تدخل طور الأزمة لأول مرة منذ دخول ميتران قصر الاليزيه كما ارتبط بهذا التنسيق عودة الدور الفرنسى النشط فى تسوية أزمة الشرق الأوسط وكان هذا الدور قد تقلص فى بداية عهد ميتران الذى بدا غير متحمسا لاية مبادرة أوربية فى الشرق الأوسط

موقف مصرى متميز :

لكن الجهود الضخمة التى بذلتها الدبلوماسية المصرية على مدى اكثر من شهرين لم تنجح فى ربط خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان بحل شامل للمشكلة ولذلك اعلنت مصر تحفظها على الخطة التى توصل اليها المبعوث الأمريكى فيليب حبيب . والتى تركز على ترحيل المقاومة من لبنان . واعلن مبارك فى ١٩ اغسطس « ان ترحيل الفلسطينيين من لبنان دون ان يكون هناك وعد بإيجاد تسوية شاملة سيؤدى إلى تعقيد الموقف اكثر ما كان عليه » . لكن اضطرار منظمة التحرير للموافقة على الخروج من لبنان دفع مصر إلى تحديد موقفها بوضوح من مستقبل التسوية فى الشرق الاوسط فوضع الرئيس مبارك ثلاثة شروط رئيسية لاستئناف مفاوضات الحكم الذاتى هى

١ - اعتراف أمريكا بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير

٢ - ضرورة وقف كل الانشطة الاستيطانية التى تقوم بها اسرائيل فى الأراضى المحتلة .

٣ - اتخاذ اجراءات معينة لاعادة الثقة إلى المواطنين الفلسطينيين فى الضفة وغزة .

ثم عادت القاهرة لتضيف شرطا جديدا . وهو الحصول على تفسير أمريكي واضح لاطار كامب ديفيد ينطوى على تحديد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وكانت مصر قد حددت . فى كلمتها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٦ أغسطس . تصورها لهذه الحقوق الفلسطينية وهى الحق فى اقامة دولة . والحق فى العودة والتعويض . والحق فى التفاوض على قدم المساواة . والحق فى الاعتراف . والحق فى القبول والرفض . والحق فى الأمن

ولذلك يمكن القول بأن من النتائج الهامة للغزو الاسرائيلى فى لبنان بلورة موقف مصرى واضح من الحل الشامل « لأزمة الشرق الأوسط . وبالذات المشكلة الفلسطينية وكان بعض المراقبين قد توقعوا اعلان مبادرة مصرية جديدة لحل القضية الفلسطينية . لكن بعد المبادرة الأمريكية التى أعلنها الرئيس ريجان أول سبتمبر فينتظر أن تسعى مصر إلى إيجاد نوع من التفاهم بين الموقفين المصري والأمريكي من أزمة الشرق الأوسط ولذلك فربما يتركز التحرك المصرى على محاولة الوصول إلى خطة مشتركة مصرية - أمريكية تقدم حلا شاملا للقضية الفلسطينية . ولأزمة الشرق الأوسط بصورة عامة □



ملف « السياسة الدولية » [٨]

خسائر اسرائيل الاقتصادية فى غزو لبنان

صفاء جمال الدين

فى اعقاب الغزو الاسرائيلى المجحف للبنان . والذى يهدف الى ابادة المقاومة الفلسطينية ، وتحقيق المطامع الاسرائيلية فى مياه الأنهار اللبنانية بالاضافة الى العديد من الاهداف السياسية والاستراتيجية الاخرى ، وفى ضوء الخسائر المادية والبشرية التى لحقت باسرائيل فانه تتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات حول هذه الخسائر فهل أصيبت اسرائيل بالفعل بخسائر اقتصادية فادحة ؟ وماهو حجم هذه الخسائر ؟ وماهى الآثار المباشرة وغير المباشرة لهذه الخسائر على الأوضاع الاقتصادية هناك ؟ وهل استطاعت أمريكا حقا أن تعوض اسرائيل عما خسرته ومازالت تخسره حتى الآن ؟ وماهو الوضع الاقتصادى المتصور داخل اسرائيل بعد انتهاء الغزو ؟

حجم الخسائر :

فى البداية قامت السلطات العسكرية الاسرائيلية بفرض رقابة عسكرية صارمة على الأخبار التى كانت تبعث بها وكالات الأنباء الغربية عن الغزو الاسرائيلى للبنان . وكذلك فرضت رقابة اعلامية صارمة على تغطية أنباء الغزو داخل اسرائيل وذلك فى محاولة من جانب هذه السلطات لتكتم أخبار الغزو خشية أن تتسرب أخبار عن حجم الخسائر التى كانت تمنى بها القوات الاسرائيلية على يد الفلسطينيين وأيضا لوقف المزيد من تدهور معنويات الاسرائيليين الذين صعقوا لانباء الخسارة التى كانت تلحق بالجيش الاسرائيلى فى الأيام الأولى لغزو لبنان . بحيث ساد اعتقاد بين المواطنين بأن هذه الحرب سوف يكون ثمنها الاقتصادى باهظا

لقد كانت الدعاية الاسرائيلية قبل الغزو تقول أن الحرب سوف تتكلف كثيرا . وكان هناك بعض الاقتصاديين الاسرائيليين الذين تجرأوا وقاموا بعمل تقديرات مسبقة منها ان النفقات المباشرة سوف تصل مابين ٥٠ ـ ١٥٠ مليون دولار يوميا . ولكن بعد مرور اسبوعين على بداية الغزو بدأت التقديرات الاقتصادية ترتفع الى مليار وربع مليار دولار كنفقات . وفقدان ٥٪ من الانتاج القومى وبناء على هذه المعلومات التى أثارت القلق بين الاسرائيليين بدأ رجال الاقتصاد يفكرون فى كيفية تفسير الحرب . وماهو الوضع الاقتصادى المتصور بعد انتهائها وقد توقع الجميع تدابير اقتصادية مشددة . واقترح البعض مثل رئيس اللجنة المالية بالكنيست جاد يعقوبى الاعلان عن حالة طوارىء اقتصادية فى الدولة

وبصرف النظر عن مدى صدق أو كذب هذه الأرقام

المعلن عنها من جانب اسرائيل . الا أن هذه التصريحات ادت الى حصول اسرائيل على مساعدات ومعونات على الصعيد الدولي . وادت الى قيام حملة من التبرعات في الداخل . كما ادت الزيادة في ضريبة القيمة المضافة بنسبة ١٢ إلى ١٥٪ في البداية الى تحقيق عائد مالى يقدر بـ ٦٥٠ مليون دولار كما فرضت رسوم قدرها ٢٪ على بيع السندات في سوق الأوراق المالية في تل أبيب . بالاضافة الى ضريبة توازي قيمتها ٢٥ دولار على المواطنين الاسرائيليين المسافرين الى الخارج

ومع توسع اسرائيل في عملياتها **التوسعية** داخل الأراضي اللبنانية عادت الحكومة الاسرائيلية لتعلن ان الأعباء المالية للحرب تتراوح بين ٢ ـ ٣ مليار دولار . بالاضافة الى فقدان نسبة تتراوح بين عشرة وخمسة عشرة في المائة من اجمالي الناتج القومي خلال عام ١٩٨٢ والبالغ ٢٠ مليار دولار . وذلك بالرغم من ان مائير هيث رئيس هيئة سوق الأوراق المالية في تل أبيب أعلن ان الوقت مازال مبكرا لتقويم التأثير الاجمالي للحرب واوضح قائلا « ان القتال مازال مستمرا » .

ومع تزايد الخسائر المالية للغزو بالاضافة إلى الخسائر البشرية الكبيرة في اسرائيل بدأت الحكومة على الفور عقد اتفاق مع أصحاب العمل . وتنظيم الاتحادات العمالية (الهستدروت) بهدف فرض قرض اجباري من اجل الحرب قيمته ٨٠٠ مليون دولار يؤخذ من الشركات واصحاب الأعمال بالاضافة الى تخفيضات في الانفاق الحكومي . كما اعلنت اللجنة المالية التابعة للكنيست أن الميزانية الخاصة بعام ١٩٨٢ والتى تبلغ ٤٧٥ مليار شيكل لن تكفى لمواجهة اعباء الحرب اللبنانية . ومن ثم لابد من وجود ميزانية اضافية وقالت اللجنة في تقريرها ان التكلفة المباشرة لهذه الحرب تقدر بمليار دولار بالاضافة الى ١.٥ مليار دولار في صورة تكلفة غير مباشرة

الآثار الاقتصادية للغزو :

مما لاشك فيه ان الغزو قد أثر بدرجة او باخرى على الاقتصاد الاسرائيلي . وبالرغم من محاولة بعض رجال الاقتصاد والاعلام في اسرائيل التركيز على الجوانب الايجابية لهذه الآثار . وادعاء الكثير منهم ان هذه الحرب لم تؤثر بدرجة كبيرة على الوضع الاقتصادي ومشكلاته الا انه يمكننا القول أن أهم النتائج الاقتصادية للغزو كما وردت في تصريحات بعض رجال الاقتصاد كانت كالتالى

أولا : بينما تختلف التقديرات في تحديد كلفة الحرب يتفق الاقتصاديون على أن الصراع قوض كل الامال في تخفيض معدل التضخم السنوى بعد الغزو ١٢٥٪ . وهي نسبة تزيد عن نسبة العام الماضي التي كانت ١٠١٪ وتقترب من نسبة ضربت الرقم القياسي في عام ١٩٨٠ وهي ١٣٢٪ كما ارتفعت اسعار السلع الاستهلاكية بدرجة كبيرة ففي شهر يونيو مثلا ارتفعت اسعار السلع الاستهلاكية بنسبة ٦٪ وهي اعلى نسبة ارتفاع تحدث في شهر يونيو منذ انشئت اسرائيل في عام ١٩٤٨

ثانيا : فقدان نسبة بين عشرة وخمسة عشرة في المائة من اجمالي الناتج القومي خلال عام ١٩٨٢ والبالغ ٢٠ مليار دولار ـ طبقا لتصريحات وزير المالية الاسرائيلي ـ وذلك لاستدعاء ٦٠٪ من القوى العاملة للجيش في بعض الصناعات كجنود وضباط احتياط مما يعني في جانب منه الاضرار بالانتاج الصناعي والصادرات الصناعية الى الخارج والتى تمثل ركيزة هامة للدخل القومي الاقتصادي في اسرائيل

ثالثا : كان للغزو ايضا اثرا خطيرا على السياحة التى جلبت لاسرائيل ٩٥٦ مليون دولار في عام ١٩٨١ ويتنبأ مسئولو وزارة السياحة بأن ينخفض دخل السياحة السنوى بمقدار ١٠٠ مليون دولار عن الدخل في العام الماضي . ففي يونيو مثلا حدث انخفاض بنسبة ٢٢٪ في عدد السائحين الذين يزورون اسرائيل . كما بلغت الخسائر منذ بداية الغزو حتى أوائل يوليو الماضي ١٠٠ مليون دولار في باب أجور الفنادق فقط

رابعا : بالاضافة الى النفقات الدفاعية الكبيرة التى تحملها الاقتصاد الاسرائيلي . مثل نفقات الذخيرة والوقود وانخفاض الاحتياطي المخزون من الأسلحة والمعدات . هناك ايضا الخسائر التى نجمت عن إتلاف المعدات الحربية والحاجة إلى إحلال هذه المعدات وان تفاوتت التقديرات عن حجم الخسائر في هذا المجال وحجم الاحلال الذى سوف يتم ومما يذكر أن واردات الدفاع ومعظمها من الولايات المتحدة قد كلفت اسرائيل في السنة الماضية ٤.٢ مليار دولار مما دفع العجز في ميزان المدفوعات الى نحو ٤.٤ مليار دولار

خامسا : انه من المرجح ايضا ان تزيد الحرب ديون اسرائيل الخارجية والتى تقدر حاليا بحوالى ١٨ مليار دولار وان كان من غير المرجح ان تواجه اسرائيل صعوبات في مجال تمويل هذه الديون

سادسا : انه طبقا لتصريح رئيس لجنة المالية التابعة للكنيست سوف تتكلف الحرب خزانة الدولة أكثر من ٦٥ مليار شيكل بالاضافة الى الحاجة الى ميزانية اضافية لتغطية التكاليف العسكرية للحرب

سابعا : أدى الغزو إلى تحمل الاقتصاد الاسرائيلي دفع مبالغة كبيرة كتعويضات لأسر القتلى والجرحى وبالاضافة الى مخاطر الوضع الاقتصادي هناك أيضا المعارضة السياسية للغزو من داخل اسرائيل تلك المعارضة التى بدأت مع تزايد الصمود

الفلسطيني واتساع نطاق الخسائر المادية والبشرية الاسرائيلية في ان واحد – وان كانت هذه المعارضة لم تؤثر على شعبية بيجين حتى الان – بالاضافة الى المعارضة من جانب بعض الجاليات اليهودية في الخارج

الحرب « صفقة طيبة للاقتصاد » :

وبالرغم من وجهة النظر السابقة هناك بعض الاسرائيليين الذين يزعمون ان الغزو الاسرائيلي للبنان يعد بمثابة صفقة طيبة للاقتصاد . وان هذه الحرب افرزت اثارا ايجابية على الاقتصاد تماثل الى حد كبير من وجهة نظرهم الاثار التي احدثتها حرب ١٩٦٧ وان كانت لاتتطابق معها بل وتصل مبالغة بعض خبراء الاقتصاد في هذا المجال الى حد قولهم ان هذه الحرب تم القيام بها بالمجان تقريبا » ويرى اصحاب هذا الرأى ان النفقات الدفاعية الرئيسية التي ظهرت عقب حرب لبنان تشير الى انخفاض الاحتياطي المخزون . وان الامن الاسرائيلي قد ازداد في اعقاب الحرب . ولهذا فلا يوجد مايدعو للتعجل في استكمال النقص في المخزون الاحتياطي . ولا يوجد مايدعو لفرض مزيد من الاعباء على المواطنين

ولكن النظرية الأصلية لنفقات الحرب وردت على لسان مدير عام وزارة المالية عزرا سادان الذي يرى انه لولا الحرب لكانت اسرائيل مضطرة الى بناء خط (ماجينو) في الشمال من أجل الدفاع عن (الجليل) ضد هجمات الفدائيين . وانه بفضل الحرب لم يعد من الضروري صرف هذه النفقات التي كان من شأنها ان تزيد على نفقات الحرب ذاتها ومن هذا المنطلق يرى عزرا سادان ان هذه الحرب كانت احدى الاحتمالات الطيبة للاقتصاد في الفترة الاخيرة خصوصا إنه لم تكن هناك استثمارات كثيرة في اسرائيل في الفترة الاخيرة كما لم يكن هناك اى مشروع قومي فعلى في مرحلة التنفيذ

ومما يذكر في هذا المجال انه طبقا لتصريحات وزير المالية يورام اريدور فان تكاليف عمل طائرة واحدة من طراز (إف – ١٦) ولمدة ساعة واحدة تبلغ ١٤ الف دولار وتشغيل دورق مزود بالصواريخ يتكلف ١٨ الف دولار . وإطلاق قذيفة واحدة من عيار ١٧٥ ملم يتكلف ١١٠٠ دولار مما يشكل استنزافا لايمكن احتماله من وجهة نظر يورام اريدور على المدى البعيد وهو مايعني ايضا ارتفاع النفقات الدفاعية تلك النفقات التي يقلل من وزنها أصحاب هذا الرأى . بما يعنيه ذلك من وجود شكوك موضوعة حول تقارير وتصريحات أولئك الذين يقللون من ثمن الغزو الاسرائيلي المجحف للبنان . ولكن وبالرغم من ذلك ماهي الآثار الايجابية للغزو من وجهة نظر هؤلاء .

– في وجهة نظر هؤلاء فان غزو لبنان فتح امكانيات اضافية للاقتصاد الاسرائيلي من خلال العلاقات الاقتصادية الجديدة مع لبنان في مجال السلع الاستهلاكية وفي مجال السياحة ويأمل الاسرائيليون انه باحلال السلام مع لبنان او فتح الحدود بين البلدين ان تفتح امكانيات ضخمة امام التجارة الاسرائيلية والتعاون الاقتصادي المتنوع ويرى البعض انه في ظروف السلام يمكن للاقتصاد الاسرائيلي والاقتصاد اللبناني ان يكملا بعضهما البعض . ويمكن للبنان ان تكون قاعدة للتجارة في الشرق الاوسط بصورة اوسع واشمل ولوجهة النظر هذه جانب كبير من الصحة ولكن ذلك لايقلل من خسائر اسرائيل اثناء الغزو

– وعلى صعيد اخر يرى بعض الاسرائيليين ان صادرات اسرائيل من الأسلحة حققت أرباحا كبيرة في المدى الطويل وان الاسلحة التي تصنعها اسرائيل نالت شهرة كبيرة في العالم بسبب التفوق الاسرائيلي في حرب لبنان حيث ان هناك دولا كثيرة أبدت رغبتها في شراء أجهزة الكترونية اسرائيلية والدبابة مركافاه » وبالتالي سيصبح حجم الصادرات العسكرية الاسرائيلية في المستقبل مرتبط بالمقدرة الانتاجية وليس المقدرة على التسويق وينسى هؤلاء ماادت اليه الحرب من اساءة لسمعة الجيش الاسرائيلي في الخارج بسبب الأعمال [illegible] التي قام بها ضد الفدائيين الفلسطينيين وضد الأبرياء من ابناء الشعب اللبناني

– كما ان الاسلحة الكثيرة الموجودة في مخازن الفدائيين التي حصلت عليها اسرائيل اثناء الغزو تعتبر ثروة اقتصادية حيث يمكن استخدام جانب منها لجيش الدفاع الاسرائيلي ويمكن بيع الجانب الآخر منها

هذا وتصل قدرة الاسرائيليين الذين يزعمون ان الحرب « صفقة طيبة » للاقتصاد الاسرائيلي في تبسيط الأمور الى حد الادعاء بان تعبئة الجيش الاحتياطي لم تلحق اضرارا كبيرة بالانتاج القومي لهذا العام وان زيادة التسلح يمكن توزيعها على عدد من السنين وليس على سنة مالية واحدة . وان كل مايستلزمه الامر هو التفاهم بين مختلف عناصر الدولة أكثر مما مضى وان تنسى الحكومة وأصحاب العمل والهستدروت رواسب الماضي من نزاعات وخلافات مع ضرورة الاسراع في معالجة المشكلات الاقتصادية

« الدعم الامريكي اثناء الغزو » :

ولا عجب في ان ينظر بعض خبراء الاقتصاد في اسرائيل الى الاعتداء الاسرائيلي على لبنان باعتباره

صعبة جدية للاقتصاد ، فاسرائيل لم تخسر الكثير من هذه الزاوية . وقبل ان تبدأ الحرب فقد حصلت على قدر كبير من الدعم والمساعدات الامريكية التى بلغت حوالى ٢ ٣ مليار دولارا . كما وافقت الادارة الامريكية على تزويدها بـ ٧٥ طائرة من طراز إف ـ ١٦ قيمتها ٣ ٢ مليار دولار .

ولم تنقطع المساعدات الامريكية لاسرائيل اثناء العدوان الاسرائيلى على لبنان ، باستثناء القنابل العنقودية التى قرر البيت الابيض تجميد إرسالها الى اسرائيل لحين انتهاء التحقيق حول ما إذا كانت اسرائيل قد خرقت القوانين الامريكية نتيجة لاستعمالها لتلك القنابل اثناء عدوانها على لبنان وعندما يذكر أن امريكا قدمت لاسرائيل حوالى ٢٢ الف قنبلة عنقودية فى بداية السبعينات وأن كان البيت الأبيض قد نفى هذه الأنباء فيما بعد .

وبالاضافة الى المساعدات الامريكيه العسكرية وغيرها جمع اثرياء اليهود فى الولايات المتحدة مبلغ ٣٥ مليون دولارا كتبرعات من أجل مساعدة اسرائيل فى تغطية نفقات غزو لبنان . كما قامت رابطة جميع المساعدات لاسرائيل (مشروع البوندس) بحملة لجمع مبلغ ١٠٠ مليون دولار وذلك للتخفيف من العبء الذى يتحمله الاقتصاد كنتيجة للحرب .

هذا وقد قامت امريكا باستخدام حق الفيتو ضد مشروع القرار السوفيتى الذى يقضى بفرض حظر على امداد اسرائيل بكافة انواع المعونات العسكرية بسبب رفضها تنفيذ القرارات الدولية الداعية إلى انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط أول أغسطس فى بيروت والسماح للمراقبين الدوليين بمراقبة وقف اطلاق النار . وكانت هذه هى المرة الثانية التى استخدمت فيها امريكا حق الفيتو لصالح اسرائيل أثناء الحرب الحالية .

ولنا هنا بعض الملاحظات حول المساعدات الأمريكية لاسرائيل اثناء الغزو :

أولا : ان هذه المساعدات تاتى فى اطار مذكرة اتفاق التعاون الاستراتيجى بين امريكا واسرائيل وهى المذكرة التى بدئ فى الاعداد لها سرا منذ عام ١٩٧٩ ووضعت موضع التنفيذ فى عملية غزو لبنان . حيث ان الاتفاق الاستراتيجى بينهما يتضمن تعاونا عسكريا بين الطرفين واقامة مناورات عسكرية مشتركة . ومعاونا كاملا للقيام بنشاط عسكرى مشترك بالاضافه الى التعاون فى مبيعات المواد العسكرية .

ثانيا : ان الولايات المتحدة حينما تقوم بتقديم المساعدات العسكرية الهائلة وغيرها من انواع الدعم والمساعدات الى اسرائيل فانها تفعل ذلك من منطلق ادراك الادارة الامريكية ان اسرائيل هى الحليف الوحيد لامريكا فى المنطقة الأوسط .

ثالثا : انه بالرغم من الخداع الذى تقوم به الادارة الامريكية حين تلوح احيانا بانها سوف تفرض عقوبات على اسرائيل تتضمن حرمانها من المساعدات الامريكية مثلما حدث فى الفترة الاخيرة حينما المح بذلك جورج سولتز ، وزير الخارجية الامريكى خلال اجتماع مغلق للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ . فان مايحدث بالفعل هو امداد اسرائيل بالمزيد من المساعدات وبدلا من حرمانها منها بسبب عملياتها العسكرية فى بيروت . هناك اتجاه من جانب بعض رجال الادارة الامريكية للاستجابة للمطالب الاسرائيلية بتحسين شروط المساعدات .

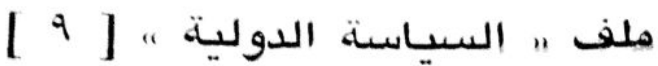
« اقتصاد مابعد الغزو » :

إذا كان الغزو قد بدأ فى ظروف اقتصادية صعبة داخل اسرائيل حيث الازمة التى تعصف بكافة فروع الاقتصاد . وحيث المشكلات الاقتصادية المتازمة وعلى راسها مشكلات التضخم وعجز ميزان المدفوعات بالاضافة الى بعض المشكلات الفرعية الأخرى المرتبطة بها واهمها مشكلات البطالة والضرائب والعجز الحكومى وارتفاع الأسعار وما إلى ذلك ، فان التساؤل الذى يطرح نفسه الآن . ماهو وضع الاقتصاد الاسرائيلى بعد انتهاء الغزو الاسرائيلى للبنان ؟

وبالطبع فان العوامل الاقتصادية ليست هى العامل الذى يحسم موعد انتهاء الغزو . ولكن الذى يحدد ذلك هو الاطماع السياسية والاستراتيجية فى لبنان والأهداف الاسرائيلية الأخرى وأهمها سحق المقاومة الفلسطينية فى لبنان .

فبالرغم من تجاهل بعض الاسرائيليين للخسائر المادية المباشرة وغير المباشرة التى منيت بها اسرائيل الا أنه يتوجب على الحكومة فى الفترة المقبلة ـ وذلك مايتفق عليه الجميع هناك ـ اتخاذ العديد من الخطوات الحاسمة لمواجهة الأعباء الاقتصادية التى نشأت فى الفترة السابقة .

ومن المتوقع ان تتخذ حكومة الليكود العديد من الخطوات الحاسمة لكبح جماح التضخم ومنها تخفيض الدعم على السلع الاستهلاكية . ومن المتوقع ان تلجأ الى الشعب مرة أخرى لتحمله أعباء الغزو . كما سوف تلجأ إلى تخفيض النفقات الحكومية من خلال الضغط على جميع الوزارات لتخفيض نفقاتها خارج نطاق التخفيض الذى قامت به فى اطار تقدير الميزانية منذ بضعة اشهر . وبالطبع سوف تستمر اسرائيل فى طلب المزيد من المساعدات الامريكية لمواجهة الاعباء الامنية المتزايدة وبالتالى مواجهة العجز فى ميزان المدفوعات بسبب زيادة الاستيراد الامنى .





الأطماع الاسرائيلية فى مياه جنوب لبنان

إبراهيم أحمد إبراهيم

تشير الدلائل إلى أن القوات الاسرائيلية ستبقى مدة ليست بالقصيرة فى جنوب لبنان . او كما قال الجنرال شارون وزير الدفاع الاسرائيلى « مدة تقل كثيرا عن ١٥ عاما » . وحتى مع إنسحاب اسرائيل من جنوب لبنان ، فانها بلاشك سوف تعيد التأثير على الأوضاع فى جنوب لبنان وترتيبها بما يضمن مصالحها فى المدى القريب والبعيد . ومن اهم تلك الترتيبات امتناعها عن الانسحاب من الجنوب اللبنانى إلا بعد توقيع معاهدة سلام مع لبنان وتشير الدلائل الى ان من ضمن تلك الترتيبات [وليس شرطا اعلانها ضمن بنود معاهدة السلام] موضوع استفادة اسرائيل من مياه نهر الليطانى بتحويل جزء من مياهه إلى شمال اسرائيل .

وقد يكون على سبيل التكرار ان نذكر الدعاوى القديمة لاسرائيل فى مياه نهر الليطانى ، وإن فعلنا ذلك ، فعلى سبيل الاستفادة من درس كيفية تحويل المشروع الصهيونى إلى واقع حى . ففى عشية حرب يونيو ١٩٦٧ صرح ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل السابق لمندوب جريدة لوموند الفرنسية بأن « هناك نصف مليار متر مكعب من مياه نهر الليطانى تضيع سنويا فى البحر ويجب استغلالها لصالح شعوب المنطقة . ولا يسع اسرائيل الظامئة أن تقف مكتوفة الأيدى وهى ترى مياه الليطانى تتدفق إلى البحر . إن القنوات باتت جاهزة فى اسرائيل (منذ يونيو ١٩٦٧ !) لاستقبال مياه نهر الليطانى المحولة » .

وقبل البحث فى تفصيلات المشروع الاسرائيلى لتحويل مجرى نهر الليطانى إلى شمال إسرائيل ، فسوف نبحث ابعاد أزمة المياه فى اسرائيل والتى أدت إلى البحث عن المياه خارج حدودها . ومن ناحية أخرى علينا أن نذكر أن غزو لبنان قد جرى نتيجة لأسباب بعيدة عن المياه . ولكن من المهم أن نذكر أن الانسحاب الاسرائيلى من جنوب لبنان لن يكون بعيدا عن مياه الليطانى وكيفية استفادة اسرائيل منه .

ولقد بلغت أزمة المياه فى اسرائيل حدا كبيرا . إذ أن اسرائيل قد استغلت نحو ٩٥ ــ ٩٨٪ من المصادر العذبة بها ، والتى تقدر بنحو ١٦١٠ ــ ١٦٥٠ مليون مترا مكعبا تصنف على النحو التالى : ــ

مياه جوفية	٩٥٠	مليون م مكعب
نهر الاردن وبحيرة طبريا	٦٠٠	مليون م مكعب
المياه المتسربة من الفيضانات	٦٠ ــ ١٠٠	مليون م مكعب
المجموع	١٦١٠ ــ ١٦٥٠	مليون م مكعب

وقد بلغ استهلاك المياه فى اسرائيل عام ١٩٧٨ نحو ١٩٥٠ مليون متراً مكعباً موزعة على الأغراض التالية :

الزراعة	١٢٠٠	مليون م مكعب (٨٠٪)
الاستهلاك الحضرى	٣٢٠	مليون م مكعب (١٥٪)
الاستهلاك الصناعى	٧٠	مليون م مكعب (٥ ٪)

هذا ويزيد استهلاك اسرائيل بمقدار ١٥ ـ ٢٠ مليوت مترا مكعبا سنويا ـ أى حوالى ١٪ من استهلاكها السنوى .

وبالتالى فان اسرائيل قد ازداد استهلاكها للمياه جذريا منذ عام ١٩٤٩ : من ١٧٪ من مواردها المائية القابلة للتجدد ، زادت إلى ٩٠٪ عام ١٩٦٨ إلى حوالى ٩٥ ـ ٩٨٪ عام ١٩٧٨ . ولهذا فان النمو الاقتصادى المستقبلى فى اسرائيل يعتمد بصورة أساسية إما على تأمين مصادر جديدة للمياه خارج اسرائيل ، وإما على تطوير تقنيات جديدة . وهكذا فانه « إذا لم يجر عاجلا تطوير سريع للموارد المائية الموجودة ، فسيحدث نقص بمقدار ٤٠٠ ـ ٤٥٠ مليون متر مكعب من المياه خلال العقد التالى ، كنتيجة للزيادة فى عدد سكان المدن ، أو عندئذ ستواجه ضرورة أخذ هذه الكمية من الاستهلاك الزراعى » . ويوضح « إيلى العاد » فى مقالة بعنوان « النزاع على المياه » [أن التقدير هو أن الزيادة المستقبلية ، فى تعداد سكان المدن وفى مستويات المعيشة ، ستحتم تطوير ما يقرب من ٤٠٠ مليون متر مكعب إضافية من المياه نحو عام ١٩٩٠ . فاذا لم تتوفر الكمية اللازمة فسيصبح من الضرورى تحويل كمية مياه من الانتاج إلى الاستهلاك المنزلى تعادل ثلث ما تستهلكه الزراعة اليوم . وسيقضى تحويل المياه ، من الزراعة إلى الاستهلاك المنزلى إلى انحسار اقتصادى واجتماعى ، فضلا عن الاضرار بسياسة توزيع السكان] أى يؤثر على سياسة اسرائيل فى تهويد المناطق الداخلية واستيعاب الهجرة إليها .

ولبيان أبعاد أزمة المياه الحالية والمقبلة ، فى اسرائيل ، يبين الجدول التالى كمية المياه المتوفرة فى اسرائيل والطلب الأقصى والأدنى على المياه بين عام ١٩٧٠ وعام ٢٠٠٠ وذلك بملايين الأمتار المكعبة :

وبالتالى فان اسرائيل اعتبارا من عام ١٩٨٥ ستعانى من العجز فى المياه بحد أدنى ١٥٠ مليون متر مكعب .

على أن اسرائيل تحاول جادة أن تحسن الوضع المائى فيها عن طريق تطبيق تقنيات جديدة ومنها على سبيل المثال :

☐ تطعيم السحب وتنفق عليه اسرائيل نحو نصف مليون دولار سنويا .

☐ تحلية مياه البحر ، ومن المقرر بناء محطة نووية بحلول عام ١٩٨٨ لانتاج ١٢٠ مليون متر مكعب ، ومن المرجح أن تكون تكلفة تكرير المياه عالية ، ومن جانب آخر فان تلك المياه مخصصة للاستهلاك الحضرى .

☐ تكرير مياه المجارى . وتكرر منها اسرائيل حاليا حوالى ٣٠ مليون متر مكعب سنويا تمثل حوالى ٢.٥٪ تقريبا من استهلاك اسرائيل المائى للزراعة . ويقدر الخبراء أن الرى الذى يستخدم المياه المكررة لن يشكل إلا ٣٢٥ مليون متر مكعب سنويا .

☐ تطوير تقنيات توفير المياه . ويحصل الرى الزراعى فى اسرائيل على حوالى ٨٠٪ من الاجمالى السنوى لاستهلاك اسرائيل من المياه . لذا يتجه الاهتمام فى اسرائيل نحو توفير المياه فى الزراعة الاسرائيلية . وتستخدم اسرائيل الرى بالتنقيط فى حوالى ١٠٪ من المساحات المروية ، والرى بالرش فى حوالى ٨٧٪ من المساحة المروية . وللرى بالتنقيط ميزات لتوفير المياه عن الرى بالرش ، وإن كان يستلزم استثمارات عالية ، وهو يستلزم صيانة كبيرة ، كما أنه لا يصلح لجميع أنواع الزراعات .

وتدلنا الخيارات السابقة على أن الاجراء الوحيد الفعال لتوفير المياه داخل اسرائيل هو تحول واسع النطاق من الرى بالرش إلى الرى بالتنقيط . وإن كان يحول دون ذلك صعوبات فنية ومالية . وفى الوقت نفسه يبقى الاقتصاد المائى الاسرائيلى مستغلا بنسبة ٩٥ ـ ٩٨٪ وهو أعلى نسبة فى العالم .

وعلى ذلك فانه من الأسهل لاسرائيل أن تقوم بالبحث عن مصادر مياه خارجية . ويبرز هنا استغلال مياه نهر الليطانى .

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩٥	٢٠٠٠
ـ الكمية المتوفرة	١٦٢٠	١٦٥٠	١٦٦٥	١٧٥٠	١٨٠٠	١٨٥٠	١٨٥٠
ـ الطلب الأقصى	١٤٥٠	١٥٨٧	١٨٢٥	٢١٠٠	٢٣٠٠	٢٥٠٠	٢٧٠٠
ـ الطلب الأدنى	١٤٥٠	١٥١٤	١٦٦٥	١٩٠٠	٢١٠٠	٢٢٠٠	٢٤٠٠
ـ العجز الأدنى	ـ	ـ	ـ	١٥٠	٣٠٠	٣٥٠	٥٥٠

وتطالب اسرائيل بتحويل ٤٠٠ مليون متر مكعب على الأقل من إيراد نهر الليطانى (أى حوالى ٥٥٪ من الايراد الكلى للنهر) ، وذلك عبر نفق يبدأ من نقطة انعطاف النهر نحو الغرب ٩٠ درجة ، بالقرب من قلعة الشقيف بالقرب من الحدود الاسرائيلية ، وذلك عبر ممر عميق ضيق ، ويمكن عنده تركيب أنبوب طوله ٦ أميال ، وسيقوم الأنبوب بتحويل المياه إلى المتولا فى شمال اسرائيل .

ويمكن لكمية المياه أن تزيد إلى أكثر من ٧٠٠ مليون متر مكعب إذا ما أبطل عمل السد اللبنانى فى أعلى نهر الليطانى . وبذلك فان تلك الكميات من نهر الليطانى تزيد فيما بين ٢٥ ــ ٤٥٪ من مصادر المياه فى اسرائيل (قارن بينها وبين وفورات مياه السحب والمجارى والمكررة والتنقيط) .

وقد أرادت لبنان من قبل أن تستخدم حوالى ٣٠٠ مليون متر مكعب من مياه الليطانى تنساب دون استخدام إلى البحر . وقد تم التخطيط لبناء سد لبنانى آخر فى أوائل السبعينات لاستخدام تلك المياه ، لرى وادى البقاع الأدنى . وتؤكد المصادر اللبنانية أن المشروع قد عطل نتيجة للتدخل الاسرائيلى لدى حكومة الولايات المتحدة ولدى منظمات التمويل الدولية .

واخيرا يمكن القول ان أزمة المياه خطيرة فى اسرائيل ، حيث انها من أوائل الدول فى درجة استخدامها لمصادر مياهها (٩٨٪) وتحتفظ اسرائيل بالجولان كنقطة إستراتيجية تضمن لها السيطرة على جميع منابع نهر الأردن والليطانى والحصبانى فان التحكم فيها يعطى اسرائيل ميزة استراتيجية من ناحية الوضع المائى بها . واقدمت مبكرا على اعداد وتجهيز الاجراءات الفنية داخل اسرائيل لتحويل مياه نهر الليطانى ، وكل ما يتبقى هى الأعمال المدنية والهندسية على أراضى جنوب لبنان وهو ما يستغرق سنوات قليلة فى إطار المخطط الاسرائيلى . □



التطبيع الاقتصادى فى ظل العدوان

أحمد ثابت

توازت

وتزامنت المشاريع والخطط الاسرائيلية الخاصة بلبنان . والتى كان قد اعد لها منذ زمن طويل ، مع القصف البربرى السارى على الشعبين الفلسطينى واللبنانى .

فقد دخلت اسرائيل لبنان بمشاريع جاهزة سياسية واقتصادية بل واثرية وسياحية . وكان هناك اولا القضاء المبرم على منظمة التحرير الفلسطينية وليس اخراجها من لبنان او زحزحتها لمسافة ٤٠ كيلو مترا بعيدا عن الحدود اللبنانية مع فلسطين السليبة ، واخرج القوات السورية العاملة ضمن نطاق قوات الردع العربية ، ثم جاءت الحلقة الجديدة فى مسلسل اسرائيل الراكض نحو تدشين حقبتها الجديدة ، وتشمل هذه الحلقة توقيع معاهدة « سلام » مع لبنان ينص فيها على كل ما تشتهى اسرائيل عمله وما تحلم به من فتح للحدود الى تطبيع اقتصادى الى « مشاركة » فى المياه ، الى تطبيق كل ماجاء بالدراسة الخاصة عن الاقتصاد اللبنانى والتى اعدها مجموعة من باحثى معهد « واقيد هوروتيز » التابع لجامعة تل ابيب منذ عام ١٩٧٤ .

وبسرعة الدبابات والمجنزرات وخلف كل قدم وشبر تطأهما انتشرو نشط الاسرائيليون اقتصاديا وسياحيا وماليا فى لبنان .

التخطيط للبقاء : الغزو التجارى للسوق اللبنانية :

منذ الأيام الأولى للغزو تقاطرت تصريحات قادة العدو (بيجين – شارون – شامير) معلنة النية فى البقاء لأطول فترة ممكنة ولشتاء قارس طويل ، وقد امتدت الفترة لتصل عند بيجين الى امكانية البقاء لمدة خمس سنوات .. وكان الانسحاب مشروطا اولا بتوقيع معاهدة سلام مع حكومة لبنانية موالية ، وعلاقات اقتصادية متوسعة ، وقد قرن قادة الغزو هذه الشروط بألوان شتى من التهديد والوعيد والاستمرار فى الاحتلال .

وقد ظهر جليا ان التغلغل الاقتصادى الاسرائيلى فى لبنان قد ضربت له الحسابات ، فما ان اتم الجيش الاسرائيلى اخضاع المناطق التى احتلها من الجنوب وفى البقاع الى الشوف وعالية امتدادا الى جنوب بيروت وتصاعدا نحو بيروت الشرقية بمعاونة وسيرا وراء « المرشد » الكتائبى ، حتى اندفع الاقتصاد الاسرائيلى بكل مؤسساته ضاغطا على عنق الاقتصاد اللبنانى ، بحيث يمكن للأول ان يصوغ اوضاعا وعلاقات جديدة تضمن له فى حال الانسحاب استمرار العلاقات الاقتصادية مع الاخير .

ومنذ الأيام الأولى للغزو واصناف الخضر والفواكه

الاسرائيلية تتدفق على الجنوب ومنه الى المناطق الأخرى . كما كانت هذه الخضر والفواكة ومنذ البداية جزءا من الحصار المفروض حول بيروت الغربية الصامدة . وذلك استهدافا لمصلحة إسرائيلية قائمة على المناورة . فهذه الخضر والفواكهة تدخل الى العاصمة المحاصرة بطرق غير مشروعة وفى مقابل اثمان باهظة . بينما هى تباع فى المناطق المحتلة بأسعار نافست السلع اللبنانية البديلة وجاءت لتضاعف من مشكلات التضخم فى الاقتصاد اللبنانى . ووصلت هذه المنافسة حد طرح التفاح الاسرائيلى قبل موسمه المعتاد فى لبنان استباقا للتفاح اللبنانى . ولم يجد المزارعون اللبنانيون سوى الكساد بل وفرضت عليهم قوات الاحتلال خيار الذهاب الى اسرائيل والعمل فى مزارعها .

ولم يقف الغزو الاقتصادى عند السلع الزراعية . بل تعداها الى منتجات صناعية اخرى كالاجهزة الكهربائية المختلفة ومواد البناء وغيرها . كما تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلى بمصادرة منظمة للمؤسسات الصناعية والتجارية اللبنانية متذرعة فى ذلك بأن اصحابها سوريون او فلسطينيون . وكانت ابرز الأمثلة على ذلك مصادرة المصانع القائمة فى الناعمة وشمالى الدامور حيث صودرت كميات كبيرة من الأخشاب والحديد بالاضافة الى مؤسسات اخرى قرب صيدا وفى المدينة الصناعية جنوب عاصمة الجنوب . وقد مثلت هذه الاعمال تخريبا منظما للاقتصاد اللبنانى وانتهاكا سافرا للملكية الخاصة التى تباهت اسرائيل امام الغرب بأنها حامية حماها وضامنتها وحافظة قدسيتها ..

ثم اقدمت اسرائيل على قصف منشآت النفط فى الزهرانى التى أضرمت فيها النار والتهمت كميات كبيرة من المنتجات المكررة فضلا عن كمية اخرى من النفط الخام . وأتت على عدد من الخزانات واجهزة التعبئة وشبكة خطوط الأنابيب الداخلية . وكان من نتائج ذلك ان ارتفعت اسعار المحروقات بصورة مخيفة . ومع النقص الحاد فى الانتاج اللبنانى منها اضطر اللبنانيون الى استهلاك البنزين الاسرائيلى الذى بلغ سعره هو الآخر ضعف سعر البنزين اللبنانى .

وقد جرت عمليات التطبيع الاقتصادى والتجارى والمالى « القسرى » فى وقت يمر به الاقتصاد اللبنانى بحالة من الشلل الكامل نتيجة الغزوة الهتلرية الاسرائيلية التى مزقت او صاله وفككت هياكله واوقفت الآلات والتجهيزات وافرغت المناطق الصناعية من عمالها وعطلت المرافق واغلقت الموانى لتعيد فتحها تحت اشراف اسرائيلى .

ولم تقف قوات الغزو الاسرائيلية عند ذلك . فلقد اقدمت على اقتلاع واتلاف اشجار الموز والبرتقال والحمضيات على طول الطريق الساحلية فى الجنوب من صور الى صيدا . مما قوبل باحتجاج من المزارعين اللبنانيين . وكانت المبررات الاسرائيلية لهذا التدمير ان هناك اكثر من الف فدائى ماذالوا يقومون بعمليات فى الأراضى المتموجة وخلف الاشجار والاحراش . وقد نصبوا كمائن للدوريات الاسرائيلية فى هذه المناطق . على ان ذلك لم يكن سوى غطاء لادخال محاصيل الموالح الاسرائيلية وبيعها فى لبنان . ويرى المزارعون اللبنانيون المدمرة محاصيلهم ان اعادة زراعة هذه المناطق تحتاج لخمس سنوات على اقل تقدير . ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى تقدم فيها اسرائيل على عمل كهذا . فقد قامت اثناء احتلالها لسيناء فاقتلاع اكثر من مليون شجرة تمر بحجة ان الفدائيين يحتمون وراء هذه الأشجار . وقد احتجت الحكومة المصرية انذاك . بعدما تبين للخبراء الزراعيين ان الاسرائيليين يضعون مادة معينة عند جذع الشجرة المقتلعة تمنع نموها مرة اخرى .

فى حديثه الى مجلة الحوادث اللبنانية (١٩٨٢/٨/٢٠) كشف بول ماكلوسكى . عضو مجلس النواب الأمريكى والذى نسب اليه ومن معه من الوفد البرلمانى الذى زار الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات اثناء الحصار لبيروت الغربية انه حصل على وثيقة من عرفات يعترف فيها بكل قرارات الامم المتحدة المؤيدة للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . كشف عن انه اثناء زيارته فى القدس ـ بعد زيارته عرفات ـ اخرج لهم شامير وزير خارجية العدو كتابا به خرائط مفصلة لاسرائيل التاريخية مما يؤمن بها الاسرائيليون انها اراضيهم التاريخية . وقد وصلت الحدود الشمالية لاسرائيل فى هذه الخريطة الى ما بعد نهر الليطانى نفسه ووصلت الى صيدا عاصمة الجنوب اللبنانى .

كما قامت السلطات الاسرائيلية بمحاولة تشجيع التجار اللبنانيين على الاستيراد من الخارج عن طريق ميناء حيفا . وقد حصلت بالفعل بعض الصفقات . على اساس ان نفقات الشحن من حيفا الى منطقة الجنوب اللبنانى ارخص من نفقات الشحن من ميناء بيروت الى المنطقة ذاتها حسب المزاعم الاسرائيلية . وحرصت اسرائيل تنفيذا للتطبيع الاقتصادى على اغلاق ميناء بيروت اطول مدة ممكنة وكذا مطار بيروت بحجة ان القوات الوطنية التقدمية اللبنانية وبالأخص قوات الناصريين المستقلين (المرابطون) ماتزال متواجدة حوله . كما منعت استخدام مينائى صور وصيدا املا فى زيادة عدد التجار اللبنانيين الذين يتعاملون مع الموانى الاسرائيلية وليكونوا مع التجار الاسرائيليين فى المستقبل نواة اساسية لحركة تجارية نشيطة بين هذه

الموانى والاسواق العربية ، ويأتى ذلك ايضا ضمن المخطط الاسرائيلى فى ضرب وتفكيك الاقتصاد اللبنانى والذي يعتبر ميناء بيروت منفذه الرئيسي . ومن ثم النفاذ للسيطرة على الحركة التجارية فى المنطقة العربية بأسرها

ولم تنس شهية اسرائيل وشهية معاهدها ومراكز بحوثها ان تضع ايضا الدراسات الخاصة بالطرق والنقل والمواصلات ودور اسرائيل المسيطر كمركز اقليمي تحيطه وتدور فى فلكه مجموعة من الاقتصاديات والمجتمعات التابعة . ذلك ان مجمل المقترحات المتعلقة بخدمات النقل فى المنطقة والموضوعة فى نطاق تنفيذ اتفاقات ما يسمى بكامب ديفيد ، تستهدف نقل موانى الطريق البرية التي تخدم التجارة العابرة من مواقعها الحالية ، وهي بيروت واللاذقية وطرطوس ، فضلا عن الموانى القابلة للتطوير والتجديد مثل طرابلس وصيدا وبانياس ، الى الموانى الاسرائيلية ، وتدعيم ذلك بتحسين الربط بين الموانى والداخل بالطرق والسكك الحديدية وبادخال مصر والأردن فى نظام شبكة مواصلات فى المنطقة .

الغزو المصرفى :

بادر المسئولون العسكريون الاسرائيليون الى مطالبة رجال المصارف اللبنانيين باصدار تلك الأوامر الى من يلزم لوضع سجلات الودائع تحت تصرفهم ، اى الاطلاع على كافة المعاملات المصرفية واسماء العملاء والشيكات والودائع ، وتمثل هذه محاولة صارخة لخرق سرية المصارف اللبنانية ، وبرر الاسرائيليون طلبهم المريب هذا برغبتهم فى الاطلاع على حسابات الفلسطينيين المودعة فى المصارف وعلاقاتهم بالمشاريع الاقتصادية والحركة العمرانية ومشاريع شراء الأراضي .

وجاء جواب المسئولين اللبنانيين بالرفض القاطع لأن النظام المصرفى اللبنانى يحكمه قانون سرية المصارف وان جميع المودعين دون استثناء يتمتعون بحق السرية التامة على ودائعهم ، بل لقد بذلت اسرائيل محاولاتها للاطلاع على سجلات الدوائر العقارية اللبنانية لمعرفة مساحات ومواقع العقارات التى يملكها الفلسطينيون

وعندما لم تفلح اسرائيل فى اغتصاب السرية المصرفية سعت عبر مصارفها المتنقلة بمبادلة الشيكل الاسرائيلى ، التى اغتصبت حتى اسمه وقد كان عملة عربية فى بلاد العراق القديمة ، واجبرت المستورد اللبنانى على دفع نصف البضائع المستوردة بالعملة الاسرائيلية ، ومن الطبيعى ان يصب ذلك فى ميزان المدفوعات الاسرائيلى الذى يعانى عجزا مزمنا

التطبيع السياحى القهرى :

وتوالت المستهدفات الاسرائيلية فى الاقتصاد اللبنانى ، حيث عمدت اسرائيل الى تحريك مؤسساتها السياحية وشركات النقل فيها . فكان ان نظمت رحلات متتابعة للأوتوبيسات الاسرائيلية الى الجنوب اللبنانى حتى بيروت المحاصرة ، وهناك افواج من السياح الصهاينة الذين يأتون الى الجنوب ويقابلهم لبنانيون يفدون الى اسرائيل . يضاف الى ذلك الخطط التى اعتمدتها اسرائيل بالنسبة لتنظيم رحلات الطيران ، فضلا عن خدمات البريد التى تمر عبر اسرائيل

وقامت شركة « العال » الاسرائيلية بفتح مكتب لها فى صيدا وصور لتأمين سفر من يريد عبر مطار « بن جوريون » . كما انتشرت فى مدن وقرى الجنوب مظاهر لتنظيم الرحلات السياحية الجماعية للبنانيين الى مدن اسرائيل ، عبر الشريط الحدودى ، وتتلخص اجراءات هذه الزيارات بتنظيم سفر مجموعات من اهل الجنوب الى الشريط الحدودى بسياراتهم حيث يحصلون هناك على ترخيص بالدخول الى اسرائيل ويتركون سياراتهم فى مواقف يحرسها اسرائيليون ، وينتقلون داخل اسرائيل فى اوتوبيسات سياحية جهزت خصيصا لهذا الغرض ، ويدفع السياح الجنوبيون نفقات الفنادق بالدولار ، وثمن مشترياتهم بالدولار او بالشيكل

وضمن مخططاتها لسرقة الدور السياحى للبنان ، اقدمت اسرائيل على تدمير المؤسسات السياحية فى بيروت الغربية وضواحيها المعاصرة ، واحتجت وزارة السياحة اللبنانية على ذلك فى محاولة يائسة وابرقت الى امين عام المنظمة العالمية للسياحة تحذره من العدوان الاسرائيلى السياحى ، كما حذرت وكالات السفر والسياحة الاجنبية فى لبنان من ورطة التعامل مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية تحت طائلة الغاء الرخصة فورا ، لأن ذلك يعتبر خرقا للقوانين اللبنانية

أما ما احدثته قوت الغزو بمتحف بيروت الوطني فحدث ولاحرج ، فمن تدمير متواصل له ، الى سرقة اللوحات الفنية والأثرية الثمينة التى تمثل وتجسد تاريخ وجمال لبنان ووجهها العربى ، الى اتخاذه مقرا عسكريا للهجوم على القوات الفلسطينية والسورية .

وعن خطط اسرائيل فيما يتصل بالمياه اللبنانية ، فبدون دخول فى تفاصيل قيلت وذكرت كثيرا ، نشير الى دراسة للبروفسير توماس ستاوفر بجامعة هارفارد بعنوان « ثمن السلام مغانم الحرب » ، يخلص فيها الى ان اسرائيل تستفيد من مياه الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ما مقداره ٢ ـ ٣ مليار دولار سنويا . وهى ليست على استعداد للتخلي عن السيادة على المياه

فى هذه المناطق ، وهذا ما اوضحة شارون للأمريكيين .
كما حذرت الدراسة من المخططات الاسرائيلية لنهر الليطانى والحاصبانى ، حيث وضعهما الاسرائيليون ضمن خريطة اسرائيل التي لا يعلم سوي الله نهايتها ، ذلك ان الليطانى يستطيع وحده ان يمد اسرائيل بـ ٨٠٠ مليون متر مكعب من الماء اى ما مقداره ٥٠٪ زيادة على القدرة الاستهلاكية الاسرائيلية ، وبما يوازى مليارين من الدولارات ، من هنا يؤكد المراقبون على ان ثمن الانسحاب سيكون « المشاركة » فى المياه اللبنانية .

ولم تنس اسرائيل ان تضع اسماءها العبرية على مجمل مناطق الجنوب من شوارع ومدن وقرى واحياء ! وقد تساوت علامات الطرق العبرية مع العلامات العربية .

الاستعداد للشتاء القادم !!

من اجل الاستعداد لشتاء قارس يوضح احد ضباط الغزو « ان الشتاء هنا يبدأ فى اواخر سبتمبر ، وبحلول نهاية نوفمبر تكون قمم الجبال مغطاة بسماكة مترين من الثلج . وقبل ذلك الحين ، يجب علينا ان نجد ملجاء افضل بكثير وان نجهز جنودنا بثياب خاصة ومعدات اضافية » .

فى خضم الاستعداد تظهر لنا سلسلة من المضحكات المبكيات ، فقد اعلنت اسرائيل انها شكلت لجنة لمعاونة الحكومة اللبنانية فى بناء وتجهيز ملاجىء للمشردين واللاجئين من ابناء الشعبين الفلسطيني واللبناني !!
كما جرى رصف الطرق المحفورة غير المستوية والتى تلتف بين قرى جنوب لبنان المعزولة ، وانشأت الحكومة الاسرائيلية ادارات مدنية فى صور وصيدا محتذية نموذج الادارة المدنية فى الأراضى العربية المحتلة ، ونظمت وتنظم حركة المرور ، حتى مقابر الموتى اقدمت اسرائيل على تدميرها !!
كما صادق الكنيست الاسرائيلى على تخصيص اكثر من ٨٠٠ مليون دولار لدفعها كمرتبات لجنود الاحتلال ولتوسيع الخدمة العسكرية الالزامية لتشمل الكثير من جنود الاحتياط ، ومازال الجنود الغزاة يستحمون عرايا فى الليطاني قريبا من مرابض اسلحتهم !!
وحفرت القوات الغازية الخنادق العميقة ضد الدبابات فى مقيماتها طاقات من الاسلاك الشائكة تمتد على طول الخطوط الاسرائيلية ، ووصلت قيمة التجارة بين لبنان واسرائيل فى يوليو واغسطس الى ١٢ مليار دولار اى اكثر من ضعف قيمة التجارة بين مصر واسرائيل فى خلال ثلاثة اعوام من توقيع ما يسمى بالسلام بينهما ، هكذا يتضح ان الأيام سوف تطول باسرائيل فى لبنان طالما ان الوقت يمر لصالحها .□



ملف « السياسة الدولية » [١١]

المعارضة الاسرائيلية لغزو لبنان

السيد زهرة

مع تصاعد الغزو الأسرائيلي للبنان ، بدات ظاهرة المعارضة للغزو فى داخل اسرائيل ، وفى الأوساط اليهودية فى الخارج ، تشد انتباه وسائل الأعلام العالمية .

والحقيقة ان الأهتمام الذى اثارته ظاهرة المعارضة الأسرائيلية هذه ، مصدره امرآن —

الأول : اتساع قاعدة المعارضة كما لم يحدث من ذى قبل إزاء اى سياسة او سلوك للحكومة الأسرائيلية . فبالاضافة الى ان اسرائيل لم تشهد قبل ذلك مظاهرات احتجاج بالحجم الذى شهدته ابان عملية الغزو ، فقد دخلت دائرة المعارضة لأول مرة قوى وجماعات جديدة ، وشخصيات يهودية كبيرة ذا ثقل كبير فى اوساط الجاليات اليهودية فى الخارج .

الثانى : — انه لأول مرة تبرز معارضة لسياسة الحكومة بمثل هذا القدر من الأتساع فى وقت الحرب على وجه التحديد ، ولمعارضة امور تتعلق بالحر ، ذاتها

وعلى اية حال ، فان ما يهمنا ، من وجهة النظر العربية ، بخصوص قضية المعارضة الأسرائيلية هذه امر محدد ، هو الى اى مدى يمكن ان تمارس مثل هذه المعارضة فى المستقبل تاثيرا على السلوك والسياسة الأسرائيلية إزاء العالم العربى ، او فى اسوا الأحوال ، الى اى مدى يمكن ان تلعب هذه المعارضة دورا فى اعادة تشكيل توجهات الراى العام الأسرائيلى المؤيد لسياسات حكومته العدوانية .

وسوف نحاول ان نلقى الضوء على الأبعاد التى اتخذتها المعارضة الأسرائيلية لغزو لبنان ، فى داخل اسرائيل وفى الأوساط اليهودية فى الخارج ، فى محاولة لتبين مدى فعاليتها

المعارضة فى داخل اسرائيل :

اتخذت معارضة الغزو فى داخل اسرائيل ، مظاهر واشكال متنوعة ، ابرزها مظاهرات الأحتجاج الواسعة النطاق ، وظاهرة تكون بعض المجموعات الصغيرة هدفها الأساسى معارضة الغزو ، بالاضافة الى ظاهرة المعارضة من داخل الجيش الأسرائيلى ذاته .

وقبل ان نشير الى هذه المظاهر ، ينبغى ان نعرض لموقف التكتل المعارض الكبير فى اسرائيل (المعراخ) من سلوك حكومة مناحم بيجين ابان عملية الغزو .

□ الحقيقة انه منذ بداية العام الحالى وقضية ضرورة قيام اسرائيل بعملية عسكرية فى لبنان مطروحة على ساحة السياسة الأسرائيلية .

ومنذ ذلك الوقف وحتى قبيل الغزو ، كانت مثل هده الخطوه موضعا لقدر من الخلاف بين حكومة مناحم

بيجين والمعراخ . وقبيل الغزو ، تمثل موقف المعراخ فى انه يتفق مع الحكومة تماما فى ضرورة العمل بكافة السبل على « تحقيق سلام مستوطنات الشمال » . غير ان قادة المعراخ كانوا يرون امكانية تحقيق ذلك عن طريق الحفاظ على وقف اطلاق النار ، مع العمل على ردع اى محاولة لخرقه . اما فى حالة فشل مثل هذا الردع ، فان المعراخ لم يستبعد ضرورة القيام بعملية عسكرية موسعة .

كان هذا قبل بدء عملية الغزو ، اما وقد بدات ، ورغم شكوى زعماء المعراخ لعدم ابلاغ الحكومة لهم مسبقا بالأقدام على العملية ، فقد اتخذ المعراخ منذ اللحظة الأولى موقف التاييد الكامل لجيش الدفاع الأسرائيلى حتى يؤدى مهمته ، والتعضيد الكامل لحكومة مناحم بيجين فى هذه الخطوة بالتحديد . وفى ٦ يونيو ، اى فى ثانى ايام الغزو ، القى شيمون بيريز زعيم المعارضة خطابا فى الكنيست اعلن فية تاييد المعارضة اللا مشروط للغزو

وبلغ تاييد المعراخ لعملية الغزو ، حد ايفاد زعيمية ، بيريز واسحاق رابين ، الى الولايات المتحدة والدول الأوربية لجمع تبرعات لتمويل الحرب . وهناك ، وفى كافة الأحاديث الصحفية التى ادلى بها بيريز ، اعلن تاييده الكامل لمناحم بيجين فى هذه الخطوة .

اذا كان هذا هو موقف المعراخ فى بداية الغزو ، فان قدرا من الخلاف بدأ يشب بين صفوفه بعد ان تحقق الهدف الذى اعلنته الحكومة من الغزو والمتمثل فى ابعاد الفدائيين لمسافة ٤٥ كيلو مترا من المستوطنات الأسرائيلية وبرز تياران فى داخل المعراخ =

= تيار يرى تاييد موقف الحكومة المتمثل فى استمرار الغزو والى ما بعد ذلك وحتى تتحقق اهداف اخرى غير المعلن عنها .

= اتجاه يرى ، مطالبة الحكومة بايقاف الغزو عند هذا الحد ، وعدم التقدم الى ما بعد ذلك .

ويبدو ان هذا الموقف تبناه بالأساس زعامات حزب « المابام » فى داخل المعراخ ففى اول اجتماع يعقده المعراخ بعد بداية التقدم الأسرائيلى صوب بيروت اقترح زعيم الشعبه اليسارية فى المعراخ ، بانه ينبغى ابلاغ بيجين « بأننا حتى هنا اتفقنا ، اما بعد ذلك فلا » .

غير انه ما ان برز هذا الخلاف فى صفوف المعراخ ، ثارت مشكلة تتمثل فى هل يجب ان يكشف للجمهور الأسرائيلى عن الخلاف القائم بين بعض اوساط المعراخ والحكومه ام لا وتوصل المعراخ الى اتفاق عام بين قياداته بأنه « لا ينبغى إعلان هذة المواقف وقت المعارك » وانه « محظور على المعراخ ان يكون اداه تخدم اعداء من الخارج » بالاضافه الى انه بسبب الزيادة فى عدد الخسائر ، يخشى ان يؤدى مثل هذا الاعلان الى خفض الروح المعنوية » وفى ١٢ يونيو اجتمعت كتلة المعراخ لمناقشة دروس المعارك حتى ذلك اليوم ، ومن بين القرارات التى اتخذتها ، قرارا ينص على « ان نؤجل لوقت مناسب اعلان المواقف التى طرحها المعراخ امام العناصر المسئولة فى الحكومة فى المراحل المختلفة لتطور المعركة »

من هذا العرض ، يتضح أن المعارضة الرئيسية فى اسرائيل والمتمثلة فى المعراخ ، قد اتخذت اجمالا موقف التاييد لسلوك الحكومة الأسرائيلية ازاء الغزو والحقيقة ان هذا الموقف يتسق مع موقف المعراخ من القضايا الرئيسية فى المشكله الفلسطينية وعلى وجه الخصوص موقفه من وضع منظمة التحرير الفلسطينية والمقاومة فى لبنان فمنذ فترة طويلة . والمعراخ ينادى ايضا بضرورة اجلاء المقاومة الفلسطينية والمنظمة من لبنان باى شكل من الأشكال

☐ اذا كان هذا هو موقف المعارضة الكبيرة فى اسرائيل من الغزو . فقد شد الأنتباه ظاهرة المظاهرات الكبيرة التى خرجت فى اسرائيل احتجاجا على الغزو لقد ادى الغزو الى بث الروح فى « حركة السلام الآن » وانعاشها ، والتى تدعو منذ نشأتها الى البحث عن حلول سلمية للصراع العربى ــ الأسرائيلى . والى حل القضية الفلسطينية حلا عادلا . والتى تعارض فى هذا الأطار عديدا من السياسات الأسرائيلية فى الضفة الغربية وغزة وقد استطاعت الحركة ابان الغزو تنظيم عدد من المظاهرات المعارضة لسلوك الحكومة . شارك فى بعضها ما يقرب من مائه الف اسرائيلى وربما تكون هذه الظاهره . اكبر مظاهر الأحتجاجات الأسرائيلية على الغزو سواء فى داخل إسرائيل أو خارجها

☐ من ابرز مظاهر معارضة الغزو فى داخل اسرائيل اثارة للاهتمام . تلك التى برزت فى داخل الجيش الأسرائيلى . وبالذات من جانب بعض الضباط والجنود المحاربين فى لبنان واتخذت هذه المعارضة عدة اشكال . منها تقديم عدد من الضباط لأستقالاتهم ومنها ظاهرة جمع التوقيعات من الجنود والضباط وتقديم العرائض الداعية الى وقف الحرب وعدم اقتحام بيروت . وبعض هذه العرائض . طالب فيها الجنود بعودة الجيش الأسرائيلى الى اسرائيل وباستقالة شارون كما طالب الجنود من خلال مثل هذه العرائض باعفائهم من الخدمة العسكرية . وقام عدد من الجنود الذين عادوا الى اسرائيل من لبنان بتكوين جماعة اطلقت على نفسها « جنود ضد الصمت » هدفها الأساسى إقامة مجموعة احتجاج دائمة امام مكتب رئيس الوزراء للدعوة الى عدم دخول بيروت الغربية والى استقالة شارون

والأمر الهام والمميز لمظاهر الاحتجاج هذه من جانب الجيش انها لم تبدأ مع بداية الغزو ، ولا حتى بعد ان تقدم الجيش صوب بيروت ، وانما بدأت على وجه التحديد مع حصار بيروت الغربية والحديث عن اقتحامها . ولا شك ان بروز هذه الاحتجاجات فى هذا الوقت بالذات ، كان بسبب التوقعات الأكيدة بانه فى حالة اقتحام بيروت الغربية ، فسوف تكون الخسائر الاسرائيلية البشرية خسائر فادحة .

المعارضة اليهودية فى الخارج :

اتخذت معارضة الغزو فى الأوساط اليهودية فى الخارج شكلين محددين ، شكل مظاهرات الاحتجاج على الغزو من جانب الجاليات اليهودية فى بعض الدول الأوروبية ، وشكل المعارضة العلنية للغزو من جانب عدد من كبار الشخصيات اليهودية العالمية وبعض المثقفين اليهود فى الخارج .

☐ فلقد قامت عدد من المظاهرات فى عدد من الدول الأوربية وبصفة خاصة فرنسا ، وفى الولايات المتحدة ايضا . وهذه المظاهرات كانت من احد الجوانب نتاجا للدور الذى لعبه الأعلام العربى طوال فترة الغزو ، والتغطية الأعلامية الواسعة النطاق للمذابح التى ترتكبها اسرائيل ضد المدنيين فى لبنان ، بالاضافة الى الكتابات التى حفلت بها الصحافة الغربية والأمريكية والتى تدين ما تفعله اسرائيل .

☐ اما معارضة بعض كبار الشخصيات اليهودية فى الخارج ، فقد تمثلت فى موقفين : —

— البيان الذى اصدره ثلاثة من كبار الشخصيات اليهودية العالمية وهم منديس فرانس وناحوم جولدمان وفليب كلوتزنيك حول العدوان الأسرائيلى على لبنان ، والذى نشرته صحيفة لو موند الفرنسية . وقد تضمن البيان ان « افكارا مثل الأدارة المحلية لا تكفى اليوم ، وان مثل هذه الأفكار قد تم طرحها لأخفاء الكثير من الحقائق ، وما يفرض نفسه اليوم هو ضرورة ايجاد اتفاق سياسى بين الوطنيه الفلسطينية والوطنية الأسرائيلية . ويجب ان تتوقف حرب لبنان ، وان ترفع اسرائيل الحصار عن بيروت لتسهيل التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، والذى لابد وان يؤدى الى تسوية سلمية فى الأعتراف المتبادل الذى يجب ان يتم البحث عنه دون توقف ، والبدء فى مفاوضات لتحقيق التعايش بين الشعبين الفلسطينى والأسرائيلى على اساس تقرير المصير » وبعد اعلان هذا البيان ذكر ناحوم جولدمان فى احد احاديثه الصحفية ان الهدف من اصداره هو « ان نظهر للعالم اليهودى وغير اليهودى ان بيجين وشارون لا يمثلان وحدهما يهود العالم ، وان هناك شخصيات يهودية معروفة وذات تاثير غير موافقة على خيارات الحكومة الاسرائيلية الحالية » .

والحقيقة ان قيمة هذا البيان واهميته نبعت من المكانه الكبيرة التى يحتلها الثلاثة فى الأوساط اليهودية العالمية ، فمنديس فرانس ، رئيس وزراء فرنسا السابق ويحظى باحترام اليهود الفرنسيين ، وجولدمان هو احد مؤسسى الحركه الصهيونية الحالية ، والرئيس الفخرى للمؤتمر اليهودى العالمى وكلوتزنيك احد وزراء الرئيس كارتر ، ومن المقربين لوزير الخارجية الحالى شولتز ، وذو مكانة يعتد بها فى اوساط اليهود فى امريكا . يضاف الى هذا ان الثلاثه يمثلون الجاليات اليهودية الأساسية فى العالم ،

فجولدمان عن اليهود الألمان وفرانس عن اليهود الفرنسيين ، وكلوتزنيك عن اليهود الأمريكيين .

— المؤتمر الصحفى المشترك الذى عقده عصام سرطاوى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى اوربا ، والجنرال الاسرائيلى السابق ، ماتتياهوبيليد وقد صدر عن المؤتمر بيان مشترك نصه : « ان القول بان منظمة التحرير الفلسطينية تريد تدمير دولة اسرائيل خطا ، فقد اعربت المنظمة فى عدة قرارات منذ ١٩٧٧ ، عن ارادتها بقبول دولة اسرائيل والأعتراف بها على اساس الأعتراف المتبادل بالحق الشرعى لكل امه فى تقرير مصيرها . وان اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية على اساس المبادىء المذكورة اعلاه ، وليس بمحاولات التدمير يشكل الوسيلة الوحيده لتسوية النزاع الأسرائيلى — الفلسطينى ، واقامة سلام عادل فى الشرق الأوسط » .

فعالية المعارضة :

اذا اردنا طرح التساؤل الذى طرحناه فى المقدمة والمتعلق بالى اى مدى يمكن ان تؤثر مثل مظاهر المعارضة هذه مستقبلا سواء على السياسه الأسرائيلية او تشكيل الراى العام الأسرائيلى ،فيهمنا ان نبرز النقاط الثلاثه التالية بداية : —

اولا : ان الجانب الأكبر من القوى والشخصيات التى ابدت معارضة للغزو — داخل اسرائيل على الأقل — لم تختلف فى الحقيقة على الأهداف الرئيسية للغزو ، وبصفة خاصة هدف توجيه ضربة قاضية لمنظمة التحرير الفلسطينية واخلاء منطقة الـ ٤٥ كيلو مترا من اى تواجد فلسطينى . وانما كان جوهر المعارضة متمثلا فى الحقيقة فى استمرار الغزو حتى بعد ان تحققت الأهداف الرئيسية منه وخاصة فى ظل الخسائر الكبيرة التى تكبدتها اسرائيل وثمة عدد محدود من القوى والشخصيات المعارضة اعترض على الغزو بداية كحل للمشكلة وكان يفضل حلا سياسيا .

ثانيا : انه رغم اوجه المعارضة التى اشرنا اليها ، الا

ان الغالبية الساحقة من الاسرائيلين ايدت الغزو فى شتى مراحله . وقد اثبتت استطلاعات الراى التى اجريت اثناء الغزو ذلك وفى احد هذه الأستطلاعات تبين ان ٧٧،٦٪ من الاسرائيلين يؤيدون الغزو . كما اثبتت هذه الاستطلاعات ايضا أن الغزو ادى الى ارتفاع شعبية الليكود والى اخراجة من الأزمة الطاحنة التى كان يعانى منها منذ اواخر العام الماضى وحتى قبيل الغزو مباشرة ، واشار بعض المحللين الأسرائيليين الى انه لو جرت الأنتخابات فى فترة قريبة فسوف يفوز فيها الليكود باغلبية معقولة .

واذا كانت حركة « السلام الأن » قد استطاعت تنظيم مظاهرة ضمت مائه الف احتجاجا على الغزو ، فقد خرجت مظاهرات شارك فيها ما يزيد عن ضعف هذا العدد تاييدا لمناحم بيجين وللغزو . واذا كان بعض الاسرائيليين قد تحدثوا عن دموية شارون ووحشيته ونادوا باستقالته ، فغالبية الأسرائيلين يعتبرونه الآن « ملك لبنان » بل « ملك اسرائيل » .

ثالثا : معنى ما سبق باختصار ان اوجه المعارضة هذه للغزو بالاضافة الى انها لم تغير من السياسة الأسرائيلية بطبيعة الحال ، فانها لم تؤد الى تغير مواقف الراى العام الأسرائيلى ، او فى افضل الأحوال الى تغير محدود للغاية .

☐ ليس معنى ما سبق انه ينبغى التقليل الى اقصى درجة من قيمة المعارضة فى داخل اسرائيل وفى الأوساط اليهودية العالمية للسلوك والسياسة الأسرائيلية ، فلا شك ان لها تاثيرا كبيرا على الأقل على المستوى الأعلامى فى الخارج ، الا انه لا يمكن المراهنه عليها بحال مستقبلا فيما يتعلق بالسلوك الأسرائيلى الدائم ازاء العالم العربى . فسوف تبقى سياسة وسلوك اية حكومة اسرائيلية قادمة ازاءنا قائمه على التوسع والعدوان والأرهاب ، وسوف تظل مثل هذه المبادىء تحظى بتاييد غالبية الأسرائيليين فى كل مرة تقدم فيها إسرائيل على عمل عدوانى جديد ☐

ملف « السياسة الدولية » [١٢]



يوميات العدوان الاسرائيلى على لبنان

نبية الأصفهانى

يونيو ١٩٨٢

٤ قام الطيران الاسرائيلى بقصف عنيف على ضاحية بيروت مركزا على مخيمات الفلسطينيين٥ شن الطيران والمدفعية الاسرائيلية غارات جديدة على جنوب لبنان في مجلس الامن صدر قرار يطالب بوقف اطلاق النار

٦ شرعت فى اسرائيل عملية السلام فى الجليل
تحركت قواتها على ثلاث محاور ١) على الطريق الساحلى حيث وصلت على الساعة الثالثة بعد الظهر الى مدينة صور وحاصرتها ٢) فى الجزء الوسط حيث عبرت قوات جسر تعاقية على نهر الليطانى ٣) فى الجزء الشرقى على جانب جبل الجليل متقدمة فى وادى الليطانى حيث يوجد قصر الشقيف وجسر خردلى والنبطية وكل هذه معقل المقاومة الفلسطينية

اصدر مجلس الوزراء الاسرائيلى بيانا معلنا عن هدف العملية « وضع السكان المدنيين فى الجليل فى مأمن من الهجومات المسلحة التى يقوم بها الارهابيون » وذلك برد القوات الفلسطينية الى الوراء ٤٠ كم عن الحدود الشمالية لاسرائيل

اعتمد مجلس الامن مشروع قرار تقدمت به ايرلنده يطالب اسرائيل بالانسحاب الفورى وغير المشروط حتى الحدود الدولية المعترف بها للبنان ، ويطالب جميع الاطراف المعينة بابلاغ المجلس بقبولها القرار خلال ٥٤ ساعة

٧ وطلبت الحكومة اللبنانية عقد مؤتمر قمة عربى غير عادى
وجه الملك خالد (العربية السعودية) نداء الى رؤساء الدول المجتمعين فى مؤتمر قمة فرساى طالبا « ايقاف المجزرة التى تقوم بها اسرائيل ضد اللبنانيين والفلسطينيين العزل »
فى طهران اعلن رئيس الدولة « حجة الاسلام خامينى » ان ايران قد وضعت قواتها المدرعة والمشاه على الأهبة لكى ترسل الى ساحة الميدان فى لبنان
معركة قلعة « السقيف » حيث استشهد المناضلون الفلسطينيون حتى آخر رجل ونفذت ذخيرتهم جرى قتال عنيف ايضا فى « صور » و « النبطية » كبد الاسرائيليين خسائر فادحة بدأ القتال الجدى بين القوات الاسرائيلية والقوات السورية
شرع المبعوث الامريكى « فيليب حبيب » فى مهمته
ادانت الحكومة السوفيتية فى بيان نشرته وكالة « تاس » العدوان الاسرائيلى وتطالب بوضع حد له بانسحاب اسرائيل من اراضى لبنان وتطالب مجلس الأمن باتخاذ « الاجراءات العاجلة لوقف العدوان واجبار اسرائيل على احترام ميثاق وقرارات الامم المتحدة » وصفت العدوان على لبنان بأنه النتيجة المباشرة لاتفاقيات كامب دافيد وللتعاون الاستراتيجى الامريكى الاسرائيلى
وجهت اللجنة الاسلامية المكلفة بالتوسط فى انهاء النزاع العراقى ـ الايرانى نداءا عاجلا الى اعضاء مجلس الامن

والى جميع دول العالم من اجل التطبيق الفورى للعقوبات التى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة (الباب السابع) على اسرائيل

٧ : اعلنت الحكومة الاردنية انها ستقوم « بكافة التسهيلات لأى اردنى يتطوع للقتال فى جنوب لبنان ضد العدوان الاسرائيلى » .

: وصل الأمين العام للجامعة العربية السيد الشاذلى قليبى الى بيروت للاتفاق مع المسئولين اللبنانيين على الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى يبحث التوصل الى « الرد الجماعى على العدوان الاسرائيلى »

٨ : ادانت وزارة الخارجية الفرنسية « الغزو الاسرائيلى » .

: وجه الاتحاد السوفيتى على صفحات مجلة « لتراتونايا جازيتا » تحذيرا لاسرائيل من شن « حرب كبيرة ضد سوريا » لانه لو حدث ذلك « فان الوضع فى الشرق الأوسط سيصبح خطيرا للغاية » .

: اكدت رئيسة الحكومة البريطانية مساندتها « لوحدة تراب لبنان » وادانت « العدوان والاشتباكات على الحدود الاسرائيلية . اللبنانية من الجانبين » . واضافت « انه من المهم ايضا مساندة مبدأ تقرير المصير . إذا طالبناه لانفسنا فيجب أن نتوقع أن يطبق ايضا على الآخرين »

: فى مجلس الامن ، عارضت الولايات المتحدة قرارا يطالب مرة اخرى اسرائيل « بالانسحاب الفورى وغير المشروط من لبنان . ادان الاتحاد السوفيتى داخل المجلس « المحاولة التى تقوم بها اسرائيل لاغراق المقاومة الفلسطينية فى لبنان » وبررت مندوبة الولايات المتحدة « جين كيركباترك » الفيتو الامريكى بأن القرار المطروح للتصويت « غير متوازن وغير كفيل باعادة السلام الى المنطقة » حصل القرار على ١٤ صوتا ضد صوت واحد (الولايات المتحدة)

: وجهت اللجنة الدولية للصليب الأحمر نداءا لجميع المقاتلين فى لبنان باحترام الجرحى والمرضى والذين تم عزلهم عن ساحة القتال

: هاجمت الطائرات الاسرائيلية القوات السورية فى وادى البقاع وقصفت بلدة « جزين » حيث توجد قوات سورية هامة وتخلو من اى فلسطينى . واحتلتها ثم اتجهت الى « بيت الدين » حيث تعسكر القوات اللبنانية واحتلت قرية « مختاره » معقل « وليد جنبلاط » زعيم الحزب الاشتراكى ، ثم انطلقت القوات الاسرائيلية على طائرات الهلكوبتر الى « باطلون » فى منطقة « باروق » وفى نفس الوقت نزلت قوات اسرائيلية اخرى فى « سعديات » على الساحل . اللبنانى .

: جرت اشتباكات عنيفة بين القوات الجوية الاسرائيلية والسورية فوق وادى البقاع . تمكنت الطائرات ف / ١٥ الاسرائيلية من تدمير مجموعة من صواريخ سام / ٦ كانت سوريا قد وضعتها فى ابريل ١٩٨١ .

: واصلت الطائرات الاسرائيلية غاراتها على الاهداف الفلسطينية فى الشمال واعلنت اذاعة اسرائيل فى المساء عن سقوط « دامور » احد معاقل المقاومة الفلسطينية . اصبحت القوات الاسرائيلية تسيطر على اكثر من ثلث اراضى لبنان (٢,٥٠٠ كم مربع)

: فى بيروت ، اعلنت مجموعة « ابو نضال » المنشقة عن الفتح عن مسئوليتها فى عملية اغتيال السفير الاسرائيلى فى لندن « شلوموا أرجونى » وبررت هذا العمل انه لاحباط مخططات امريكية ـ سعودية ـ فلسطينية استهدفت « فرض شروط استسلامية للسلام على الأمة العربية » .

٩ : لم يلب طلب الحكومة اللبنانية لعقد مؤتمر قمة عربى غير عادى سوى اتحاد الامارات العربية

: قام الطيران الاسرائيلى بقصف الطيران الدولى « بيروت ـ دمشق » . اصبحت القوات الاسرائيلية تقف على بعد ٥ كم من هذا الطريق

: دعا الملك خالد فى الرياض « الامة الاسلامية الى توحيد صفوفها لمواجهة العدو الصهيونى والى الوقوف جانب الشعبين اللبنانى والفلسطينى » .

: استدعى « فؤاد بطرس » وزير الخارجية اللبنانى السفير الامريكى فى بيروت ليبلغه عن « الاحتجاج الشديد للحكومة اللبنانية على الفيتو الامريكى فى مجلس الأمن والذى اوقف القرار الذى يدين اسرائيل » .

: دعا « ياسر عرفات » الملوك والرؤساء العرب الى « تحمل مسئولياتهم التاريخية والقومية فى مواجهة المؤامرة القاتلة التى تقوم بها اسرائيل ضد الشعبين الفلسطينى واللبنانى والتى لايقتصر هدفها العدوانى على القوات المسلحة الفلسطينية بل تستهدف ابادة الشعبين الفلسطينى واللبنانى

: رد الملك خالد على نداء « ياسر عرفات » « أن بلاده تحاول بكل الوسائل الممكنة « ايقاظ الوعى الدولى » « من أجل وقف « التحدى » الاسرائيلى والحصول على انسحاب القوات الاسرائيلية حتى الحدود الدولية للبنان . دعت المدن السعودية الى تنظيم حملة لأغاثة الجرحى وجمع الاموال لصالح المقاتلين الفلسطينيين . قامت منظمة « الفتح » فى العربية السعودية بفتح باب التطوع .

: رأس الرئيس الجزائرى « الشاذلى بن جديد » اجتماعا عاجلا وغير عادى فى الجزائر العاصمة للمكتب السياسى لجبهة التحرير الوطنى تفرغ لدراسة الوضع فى لبنان

: دعت وزارة الخارجية سفراءها فى دول اوروبا الشرقية الى العمل للحصول على « مساندة عسكرية عاجلة للثورة الفلسطينية » .

: سلمت الحكومة المصرية « بلاغا صريحا » للحكومة الامريكية تعبر فيه عن تحفظاتها ازاء الفيتو الامريكى داخل مجلس الأمن . وصفت صحيفة « الأهرام » القاهرية الفيتو الامريكى بأنه « يدعم العدوان الاسرائيلى فى نظر الرأى العام » وداخل مجلس الشعب قامت مناقشات حامية بين المعارضة المصرية وممثلى الحكومة عندما دعت الاولى الى قطع العلاقات مع اسرائيل او على الأقل « تجميدها » . رد ممثلو الحكومة بأن مثل هذا القرار « فى غير مصلحة مصر » .

: فى هافانا ، طلب الرئيس « فيدل كاسترو » من دول عدم الانحياز بذل كافة الجهود الممكنة من أجل المطالبة « بوقف العدوان الاسرائيلى على لبنان » و « بالانسحاب الفورى للمعتدين من الاراضى المحتلة » .

: فى اثينا ، نظمت مسيرة ضمت حوالى ٣٠ الف شخصا احتجاجا على الغزو الاسرائيلى للبنان

: فى بون ، عقد وزراء خارجية دول الجماعة الاوروبية اجتماعا ادى الى اعتماد بيان يدين التدخل الاسرائيلى فى لبنان . اهم نقاط البيان المذكور ١) ادانة الغزو ٢) ذكر قرارات الأمم المتحدة التى تطالب بالانسحاب من لبنان واعادة الظروف الملائمة لأقرار السلام فى المنطقة ٣) فى حالة رفض اسرائيل لقرارات الأمم المتحدة ، ستجتمع الدول « العشر » مرة اخرى لاعادة تحديد موقفها

: اوضح وزير الخارجية الايطالى أن هذا لايعنى بالضرورة أن دول السوق ستدرس كيفية فرض عقوبات على اسرائيل ٤) أن وحدة تراب لبنان من العناصر الاساسية بالنسبة للوضع فى

المنطقة » يمكن الشروع في مبادرة دولية على مستوى أوسع وعلى الصعيد السياسي .

وصف « الكسندر هيج » وزير الخارجية الامريكي التحرك العسكري الاسرائيلي فيما وراء ٤٠ ميلا داخل لبنان بأنه « تحرك تكتيكي » أكثر منه « استراتيجي » . واعترف « هيج » أيضا بأنه لا يعرف هدف اسرائيل قد تحقق الآن . توقيت الانسحاب لقواتها « سوف يكون من الصعب تحديده » .

١٠ : طلب الرئيس « رونالد ريجان » في رسالة موجهة الى « مناحيم بيجين » بوقف اطلاق النار . قبلت الحكومة الاسرائيلية - إذا توقفت القوات السورية عن هجماتها - وطلبت من القوات السورية الرحيل عن بيروت .

القت الطائرات الاسرائيلية منشورات على بيروت تحذر من أن قواتها « سوف تأخذ بيروت مهما كان الثمن » .

لقى الجنرال الاسرائيلي « يكوتيل آدم » والكولونيل « حاييم سيلا » مصرعهما على الجبهة كان الجنرال بعد الخليفة للجنرال « جور » الى ان فضل عليه الجنرال « ايتان » .

في باريس ، طالب ممثل منظمة التحرير الفلسطينية « ابراهيم سوس » الحكومة الفرنسية باتخاذ عقوبات ضد اسرائيل .

١١ : اقترحت اسرائيل وقف اطلاق النار . ووافقت عليه سوريا . وكانت القوات الاسرائيلية قد اسقطت في الصباح ١٨ طائرة سورية من طراز « ميج » . ازداد الضغط الاسرائيلي على بيروت . قام الطيران والبحرية بهجمات مكثفة على المطار الدولي في بيروت . في الجنوب جرت اشتباكات عنيفة بين المقاومة الفلسطينية والقوات الاسرائيلية في « النبطية » . في منطقة الخالدة فشلت البحرية الاسرائيلية مرتين في انزال قواتها . تقع المنطقة على بعد ٤ كم جنوب العاصمة .

١٢ : اقرار وقف اطلاق النار الثاني بين القوات الاسرائيلية والقوات الفلسطينية والتقدمية اللبنانية . ومع ذلك واصلت القوات الاسرائيلية هجوماتها على مواقع المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني خاصة على « صيدا » التي لازالت صامدة .

بعث « ياسر عرفات » رسالة الى الأمين العام للأمم المتحدة مؤكدا بأن « منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة لتطبيق قرار وقف اطلاق النار الذى اعتمده مجلس الأمن والذي نص على الانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الإسرائيلية . ولكنها لم تلتزم بوقف اطلاق النار الذي اعلنه اسرائيل .

١٢ : بارحت ايران مجموعة اولي من المتطوعين الايرانيين للمحاربة في لبنان . تضم المجموعة ٥٠٠ رجل من حراس الثورة وجنود نظاميين . من المتوقع أن ينضم الى هذه المجموعة ٣,٠٠٠ متطوع آخرون سيصلون الى لبنان في مجموعات صغيرة .

انتهكت القوات الاسرائيلية قرار وقف اطلاق النار الثانى وقامت بقصف المواقع التي تحتلها القوات السورية على طول المساحة داخل بيروت وفي وادي البقاع التي تسيطر عليها القوات السورية . نال القصف الاسرائيلي من جميع مداخل العاصمة باستثناء القطاع المسيحي . الهدف الاسرائيلي هو فرض حصار على بيروت استعدادا لغزوها .

١٣ : تلقي الرئيس اللبناني « الياس سركيس » رسالة من الرئيس « حافظ الاسد » تدين الهجوم بالمدفعية الذي قامت به القوات الإسرائيلية على قصر الرئاسية في « بعبدا » .

صرح الامام آية الله الخميني بأن احداث لبنان « كارثة للاسلام والمسلمين » ودعا الى ضرورة الالتجاء الى « السلاح البترولي » .

في تونس حيث اجتمع وزراء الخارجية العرب لمناقشة الوضع في لبنان ، لم يتمكن من الحضور الممثلون اللبنانيون والفلسطينيون مما ادى الى تأجيل الاجتماع .

طلبت الحكومة المصرية من اسرائيل التأجيل الى اجل غير مسمى « للزيارة التي كان من المنتظر أن تقوم بها ٥ لجان اقتصادية وتجارية وسياحية وثقافية وللشباب في اطار تطبيع العلاقات بين البلدين » .

في فيينا وجه فيدل كاسترو نداء الى رؤساء الدول وحكومات حركة عدم الانحياز مطالبا « بإدانة الاعمال العدوانية والتخريبية التي تقوم بها الهمجية الاسرائيلية ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني والتي اسفرت حتى الآن عن اكثر من ١٠ آلاف من الضحايا » .

قبلت المقاومة الفلسطينية قرار وقف اطلاق النار بواسطة مصر . رفضت اسرائيل هذا الطلب .

التقى المبعوث الامريكي « فليب حبيب » بالرئيس اللبناني « الياس سركيس » .

١٤ : اعلن الجنرال رئيس اركان حرب « ايتان » عن قائمة الخسائر التي تكبدتها القوات الاسرائيلية : ١٧٠ قتيلا و ٧٠٠ جرحي و ٢٠ مفقودين . عدد القتلى من الفلسطينيين ٢,٠٠٠ ومن السوريين ١,٠٠٠ وعدد الأسرى من الفلسطينيين و ٦٠ من السوريين .

في نفس الوقت اعلنت المقاومة الفلسطينية أن عدد القتلى والجرحي من الاسرائيليين ١٤,٠٠٠ وعن اكثر من ٦٠٠,٠٠٠ اصبحوا بدون مأوى . اقيلت انه قد تم تجميع الاسرى في معسكرين للغزو في الاسكندرونه جنوب صور داخل منطقة تقع تحت نفوذ الكومندان « سعد حداد » .

تمكنت القوات الاسرائيلية بعد اشتباكات حامية من الاستيلاء على جزء من مطار بيروت على مفترق الطرق التى تؤدي الي الخالدة وهو المدخل الجنوبي للعاصمة . اصبحت المقاومة الفلسطينية محاصرة بداخل الجزء الجنوبي من بيروت .

١٤ : وفاة الملك خالد عاهل المملكة العربية السعودية .

وجه الاتحاد السوفيتي تحذيرا الى اسرائيل من أن تصادمه مع العرب سوف يترجم منذ الآن بالافعال .

في واشنطن ، اجرى وزير الخارجية المصري السيد « كمال حسن على » عدة لقاءات مع وزراء الخارجية الامريكية والبنتاجون على اثر لقاء تم مع « الكسندر هيج » صرح الوزير المصري بأنه « لايرى تناقضا بين موقفنا وموقف الحكومة الامريكية » حول ضرورة دعم سلطات الحكومة اللبنانية .

في الأمم المتحدة قدم الأمين العام التقرير الربع سنوي عن نشاط القوة التابع للأمم المتحدة لحفظ السلام في لبنان . وقد امتنع عن ابداء اي توصيه لـ تعويض هذه القوة . رفضت سوريا طلب اسرائيل باجلاء قوات الردع العربية عن بيروت وضواحيها .

في بيروت التقى السفير السوفيتي « بجورج حبش » الأمين العام « للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » . ابلغه السفير بأن وحدات من الاسطول السوفيتي متجهة الى الشرق الأوسط . وصفت وزارة الدفاع الامريكية « البنتاجون » هذا التحرك السوفيتي بانه ذو طابع عادي . وقد قامت من جانبها بتعزيز قواتها البحرية من اجل اجلاء ٤,٢٥٠ من رعاياها الموجودين في لبنان

١٥ عقد مجلس الوزراء الإسرائيلي اجتماعا لدراسة التحذير السوفيتي الموجه لأسرائيل وصف مسئول بانه يجب ان ينظر إلى هذا التحذير بانه « إستعراض للقوة بهدف إستعادة الأتحاد السوفيتي مكانته بين حلفاءه العرب »

وفقا لمصادر إسرائيلية يجرى نقل معدات سوفيتية إلى دمشق على طائرات اليوشين ٧٦

تتوقع المخابرات الأمريكية بدخول ٥ بواخر حربية سوفيتية إلى البحر المتوسط قادمه من البحر الأسود توجد في مياه البحر المتوسط ٣٠ وحدة بحرية سوفيتية

في تونس طلب الأمين العام للجامعه العربيه « الشاذلي القليبي » من الرئيس برجنيف « اتخاذ اجراءات سريعه ومناسبه « لوضع حد » للعدوان الاسرائيلي على لبنان »

١٦ اكد وزير الدفاع الاسرائيلي الجنرال « اريل شارون » بان القوات الاسرائيلية ستبقى في مواقعها الحاليه إلى أن يتم التوصل إلى إتفاق سياسي لمشكلة لبنان « صرح شارون » بان الوزارة الأسرائيلية لاتتفق معه في هذه الاراء .

الوضع في لبنان بعد ١٢ يوما من الحرب ٪ مساحه البلد محتل ولكن مازالت مناطق تحتلها المقاومة الفلسطينية في الجنوب كما ان الوحدات الاسرائيلية تقف أمام مدخل العاصمة المحاصرة وفقا لتصريح من الجنرال « يلد » حجم القوات الاسرائيلية في لبنان يزيد عن ٨٠ الف جندي وعدة مئات من الدبابات من الطراز ماركافا

١٦ بعث « ياسر عرفات » رسالة إلى الأمين العام للامم المتحده يصف فيها الدمار الذي احدثه العدوان الإسرائيلي على بيروت ويقدر الخسائر في الأرواح بحوالي ٣٠ الف قتيلا وجريحا و ١٠ آلاف من المفقودين وأكثر من ٨٠٠ الف بدون مأوى

إستقبل الرئيس اللبناني « شفيق الوزان » « ياسر عرفات » الذي صرح أحد مستشاريه « هاني الحسن » ان مسالة إستسلام منظمة التحرير الفلسطينية أمر غير وارد ولكن المنظمه مستعده لفتح حوار مع الولايات المتحده ولكن المتحدث الرسمي عن المنظمه « السيد العبادي » قد نفى هذه التصريحات مؤكدا رفض المنظمه اي تفاوض أو اتصال مع الولايات المتحده في ظل الأحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية بمسانده امريكيه

في وشنطن أكد متحدث عن وزاره الخارجية موقف حكومته القائم على عدم اجراء حوار مع منظمه التحرير الفلسطينيه طالما لم تعترف هذه المنظمة بحق اسرائيل في الوجود ولم تقبل القرارات ٢٤٢ و٣٣٥ المعتمده من قبل مجلس الأمن حول السلام في المنطقة

وفقا للاعلام اللبناني ، أسفر اللقاء بين عرفات والوزان عن تاكيد الأول بأن « قيادة المنظمه الفلسطينيه قد تعهدت بالتعاون الايجابي مع الحكومة اللبنانية »

في تونس عقد اجتماع لمجلس وزراء منظمة الدول العربية المصدرة للبترول . طلب الممثل الليبي من المجلس بالالتجاء إلى « سلاح البترول » وقد رأى المجلس ان مثل هذا القرار يرجع إلى السلطة السياسية وبالتالى سيطرح على وزراء خارجية الدول المعنية

في تونس أيضا طلب الأمين العام للجامعة العربية من الرئيسين « رونالد ريجان وليونيد بريجنيف » وكذا الأمين العام للأمم المتحده « بوضع حد للمجزره التي تقوم بها اسرائيل ضد اللبنانيين والفلسطينيين » مؤكدا بان الولايات المتحده هي الدولة الوحيدة القادرة على الضغط على اسرائيل »

في الرياض ، إلتقى المسئولون السعوديون بعدد من المسئولين الأمريكيين وقد حذر الامير سعود الفيصل وزير الخارجية من انه « إذا اعطت الادارة الامريكية الانطباع بانها غير قادرة على صد العدوان الذى تقوم به الدولة اليهودية « فان المملكة العربية السعودية ستضطر إلى إتخاذ الاجراءات اللازمة لاجبار إسرائيل على تطبيق قرارات الأمم المتحدة »

في القاهرة صرح وزير الدولة للشئون الخارجية « بطرس بطرس غالي ردا على المعارضة بان مصر لن تقطع علاقتها مع اسرائيل

في نفس الوقت التقى وزير الخارجية السيد جمال حسن على بوزير الخارجية الامريكي الكسندر هيج

في نيويورك قامت الوفود العربية داخل الأمم المتحدة بحملة استهدفت امتناع اكبر عدد ممكن من الوفود من حضور جلسة الجمعيه العامة التى سيلقى فيها مناحم بيجين خطابا يوم ١٨ يونيو

١٦ اعلنت وكالة الانباء الايرانيه في طهران على اثر مقابلة جرت مع وفد ليبي برئاسه « عبد السلام جلود » بان ليبيا وايران ستكونان « جيش للتحرير الاسلامى »

صرح الجنرال شارون في القدس بان « العاصمه اللبنانيه ليست محاصرة » وأن حكومته قد اعطت الأمر للقوات الأسرائيلية بعدم التحرك في بيروت الغربية » وأعرب « شارون » عن أمله في أن « يقوم اللبنانيون بانفسهم بالقضاء على أخر مربع تحتله المقاومة الفلسطينيه » « ويعنى بذلك معاونة حزب الكتائب »

١٧ بالرغم من قرار وقف اطلاق النار أعلنته اسرائيل عند منتصف الليل ولمده ٤٨ ساعة من أجل إتاحه الفرصه أمام المبعوث الأمريكي « فيليب حبيب » لمواصلة جهوده اشتبكتالقوات الأسرائيلية بالقوات الفلسطينية في قطاع المطار الدولى في بيروت اتهم كل من الطرفين الأخر بخرق وقف اطلاق النار اشتعلت النيران في مخيم فلسطيني في « برج البراجنة » بالقرب من المطار

اذان « ياسر عرفات » ماوصفه « جبن » بعض الحكومات العربية أمام العدوان الاسرائيلي وتعهد « بانه إذا إقتضى الامر فإننا سنجعل من بيروت ستالنجراد عربية »

اخذت مجموعة أولى من المتطوعين الايرانيين وعددهم ٥٠٠ مراكزها على جبهه « سوق الغرب »

توالت الطائرات الليبية والسوفيتية على مطار دمشق منذ بدايه الاسبوع لتسليم معدات عسكريه تعويضا عن قواعد صواريخ سام ٦ التى دمرها العدو الاسرائيلي

منعت الحكومة المصرية مجموعات تابعه للمعارضه من القيام بمظاهرات جماهيرية إحتجاجا على السياسه الاسرائيلية والأمريكيه . إقتصرت على الموافقه على القيام بعمل إحتجاجي محدود وقد صرح « سعيد كمال » عضو في المجلس الوطني الفلسطيني « اننا اليوم نحتاج إلى مصر وإلى شعبها وإلى قواتها السياسية وثقلها الاستراتيجيى وإلى إلتزامها إزاءنا في عمليه السلام »

في تونس ، تطوع مئات من العمال والطلبه للقتال في لبنان تحرك ثلاثة افواج منهم الى دمشق . في مجلس النواب التونسى طالب ببعض النواب بقطع العلاقات الدبلوماسيه على الولايات المتحده والدول الغربية التى تساند اسرائيل

في الجزائر ، صرح الرئيس « الشاذلي بين جديد » بان حكومته قد اتخذت الاجراءات العمليه لبذل المساعده لضحاياالعدوان في لبنان »

في بروكسل ، رد رئيس مجلس الجماعه الأوربية على نداء الأمين العام لمنظمه التحرير الفلسطينية بإن المجلس قد اجل إلى اجل غير مسمى « التوقيع على بروتوكول مالى مع اسرائيل » واكد ان المجلس سيدرس في ٢١ يونيو الأمكانيات من اجل إتخاذ إجراءات أخرى إذا بقت اسرائيل متجاهلة لقرارات مجلس الأمن الخاصة بالانسحاب الفورى من لبنان . واتهم رئيس المجلس اسرائيل « بخرقها السافر للقانون الدولى وللمبادىء الأنسانية » .

١٧ في ستراسبورج ، أدان البرلمان الأوربى بأغلبيه ٩٠٠ صوت ضد ٩٠ صوتا « العمل المسلح الذى قامت به اسرائيل وأى عمل ارهابى ضد اسرائيل » .

في باريس ، أدانت الجمعيه التابعه لمنظمة الوحدة الأوربية بأغلبيه ٣٤ صوتا ضد ٤ « بدون أى تحفظ ، العدوان الأسرائيلى الحالى » وطالبت الجمعية « بإنسحاب جميع القوات الاسرائيلية بإستثناء قوات الأمم المتحده » كما أكدت مره أخرى « حق الفلسطينيين في تقرير المصير ، على أرض وطنيه » وكذا « حق اسرائيل في الوجود » .

١٨ إمتدت الأشتباكات بين القوات الاسرائيلية والقوات الفلسطينيه إلى « جبل الشوخا » جنوب شرقى العاصمه اللبنانيه .

في الأمم المتحده أمام الجمعيه العامة دافع « مناحم بيجن » عن « حق الدفاع » . امتنعت ثلثى الوفود عن حضور الجلسة .

طلب الجنرال شارون مره أخرى إنسحاب المقاتلين الفلسطينيين والقوات السوريه من لبنان .

١٩ إعتمد مجلس الأمن ، بالأجماع ، قرارا قدمته فرنسا يطالب « جميع أطراف النزاع اللبنانى » بإحترام حقوق السكان المدنيين وبالامتناع عن القيام بأى عمل يتسم بالعنف ضد السكان وبإتخاذ الأجراءات اللازمة لتخفيف ألام هؤلاء وذلك بتسهيل وعدم عرقلة الجهود التى تستهدف ارسال إغاثات تقوم بتوزيعها وكالات الأمم المتحدة » .

جرى تبادل بالنيران في الجزء الغربى من بيروت . اكدت مصادر لبنانيه بان قوات إسرائيليه قد انزلت بالهليكوبتر على بعد ٦٠ كم من شمال شرقى بيروت نفت اسرائيل ذلك .

صرح وزير الخارجيه الفرنسى بان « الهجوم على مدينه بيروت لن يسهل التسويه السلميه وكما أن محاوله القضاء على شعب لن يمكن القضاء على الأرهاب » كان بير موردا قد إلتقى بفاروق قادومى .

: اعلنت الحكومة الاسرائيلية انها ستحترم وقف إطلاق النار الذى تقرر في ١٧ يونيو .

: عقدت لجنه الانقاذ الوطنى برئاسه « الرئيس الياس ساركيس » إجتماعا في قصر الرئاسه في بيروت وذلك بعد أن وافق وليد جنبلاط رئيس الحركه الوطنيه اللبنانيه وزعيم الجماعه الدرزيه المشاركه . تضم اللجنه المذكوره : « بير جميل » زعيم حركه الكتائب ورئيس القوات اللبنانيه و « نبيه برى » الأمين العام للحركه الشعبيه وأمل و« شفيق الوزان » رئيس الوزاره والممثل للجماعه السنية ، وفؤاد بطرس » وزير الشئون الخارجيه وممثل « الاورثوذوكس الروم » و « نصر معلوط » نائبا عن الكاثوليك الروم .

أعلنت سوريا أنها لن تعارض إقامة قوة متعدده الجنسيه في لبنان مكونه من وحدات امريكيه وسوفييتيه .

١٩ تدرس المقاومة الفلسطينية خطة سلام تقدم بها الوسطاء اللبنانيون ويؤيدها المبعوث الامريكى « فيليب حبيب » تنص على ان تسلم المقاومة السلاح الى الجيش اللبنانى ثم ترحل الى القاهرة . وفي القاهرة ، أعلن الرئيس مبارك عن موافقته على إقامة حكومة فلسطينية في المنفى في مصر كاحدى الوسائل لوضع حد للقتال في لبنان .

٢٠ : انتقد وزير الدفاع الامريكى « جاسبار واينبرجر » بشدة الغزو الاسرائيلى للبنان واعلن ان الرئيس « ريجان » يعد العدة لاتخاذ موقف امريكى من اسرائيل : وقال « واينبرجر » : ليس لدينا اى سيطرة على تصرفات اسرائيل . لم تبلغ لنا هذه التصرفات ولكن علينا ان تكون لدينا الامكانية على ردع اى كان من الالتجاء الى العنف ، ولكنه في الوقت نفسه ابدى « وايبرجر » تحفظات حول فكرة ارسال قوات امريكية الى لبنان للمشاركة في قوة دولية مكلفة بحفظ السلام .

: لم تسفر الدورة التى عقدها وزراء خارجية الجماعة الاقتصادية الأوروبية في لوكسمبرج والتى دامت ٣ أيام لبحث احداث لبنان عن اتخاذ أى قرار جديد .

: قامت القوات الاسرائيلية بقطع المياه والكهرباء عن بيروت الغربية .

٢١ : قابل مناحيم بيجين الرئيس ريجان . دامت المقابلة ساعتين صرح الرئيسان على اثرها انهما متوافقان في معظم النقاط .. صرح الجانب الامريكى بان الرئيس « ريجان » قد الح على ضرورة الانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية من لبنان وعلى اداء الاجراءات الانسانية اللازمة لاغاثة ضحايا العدوان .

: طاف الجنرال شارون باعضاء حكومته على مواقع الجبهة الاسرائيلية حول بيروت في محاولة لاقناعهم باحتمال قيام الجانب الاسرائيلى بغزو بيروت .

: بالرغم من قرار وقف اطلاق النار قامت المدفعية الاسرائيلية بقصف مخيمات الفلسطينيين وبعض الاحياء التجارية والسكانية في وسط بيروت الغربية . وقد تجمعت ما يقرب من ٥٠٠ دبابة اسرائيلية على ابواب العاصمة . اسقطت قنبلة على مبنى في حى شارع الحمراء اسفرت عن عشرات الجرحى .

٢٢ : اشتباكات عنيفة سورية ـ اسرائيلية للسيطرة على طريق بيروت ـ دمشق الدولى . وغارات جوية على المواقع الفلسطينية والاسرائيلية . قتال في غرب بيروت بين الفلسطينيين وقوات حزب الكتائب في محاولة الاستيلاء على جزء من غرب بيروت .

: وافقت اسرائيل على اقتراح المبعوث الامريكى « فيليب حبيب » باقرار وقف اطلاق النار الثانى مع القوات السورية ، بعد ان احتلت مراكز هامة في عالية وبحمدون على بعد ١٦ كم من بيروت .

٢٣ : رفض كل من الولايات المتحدة واسرائيل المقترحات الفلسطينية من اجل تسوية النزاع .

: اعلن متحدث عسكرى سورى أن القوات الاسرائيلية قد انتهكت قرار وقف اطلاق النار عندما شنت هجوما بالقنابل على القوات السورية في منطقة الجبل شرق بيروت . وفي منطقة « منصورة » و « قماطية » و « اللوزة » و « الجمهور » و « سوق الغرب » و « بحمدون » و « ورويات » و « شتورة » وغيرها :

. في وشنطن اعلن متحدث عن وزارة الخارجية الامريكية بان الولايات المتحدة تجدد نداءها لجميع الاطراف المتورطة في النزاع اللبنانى بوضع حد للقتال من اجل الشروع في مفاوضات سلام . وقد نصحت الحكومة الامريكية جميع رعاياها في لبنان بالرحيل نظرا لسوء الظروف الأمنية . سيتم ترحيل الرعايا في ميناء جونية على باخرة حربية امريكية .

حول استعمال الجيش الاسرائيلي في هجومه على لبنان بالقنابل العنقودية الامريكية صرح المتحدث بان السلطات الامريكية تقوم بالتحري في هذا الامر واكد بان هذه القنابل قد سلمت لاسرائيل لتستعمل في حالة الدفاع فقط

: اعلن « وليد جنبلاط » ان على منظمة التحرير الفلسطينية ان ترحل عن بيروت وان تواجه الحقائق

: رفضت اسرائيل مطلب الفلسطينيين ووليد جنبلاط بالتراجع الى ٦ اميال مقابل عودة الفلسطينيين الى مخيماتهم

: عاد بيجين من رحلة الى الولايات المتحدة

: وفقا لبعض المصادر تضمنت خطة فيليب حبيب النقاط التالية : (١) ان الهجوم الاسرائيلي يطرح إعادة النظر في وجود لجنة الانقاذ الوطني التي طالبت بالاجماع ايقاف القتال تماما قبل التطرق الى اي مشكلة جوهرية . (٢) في حالة الفشل فان البعثة الامريكية لم يعد لها اي معنى طالما ان حكومة « الياس ساركيس » لا يمكنها اتخاذ اي قرار دون ضمان من قبل لجنة الانقاذ الوطني .

: دعت منظمة التحرير الفلسطينية الاتحاد السوفييتي الى « التقاط الفرصة التاريخية التي يشكلها الغزو الاسرائيلي للبنان للوقوف في صف المقاتلين الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين » .

٢٤ : عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعا غير عادي للاستماع الى تقرير الرئيس بيجين عن رحلته الى الولايات المتحدة واتخاذ القرارات الخاصة باحتمال القيام بهجوم على بيروت .

حذر زعيم المعارضة « شيمون بيريز » من « المخاطرات الهائلة » التي يشكلها الهجوم العسكري على بيروت .

: تصاعدت الاشتباكات بين القوات الاسرائيلية والقوات السورية على طول خط الطريق الدولي بيروت – دمشق .

: عين حزب « الكتائب » بشير جميل مرشحا له في انتخابات الرئاسة . يمثل الحزب ٣٠ مقعدا داخل البرلمان .

٢٤ : في الطائف ، جدد الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية نداءه الى الولايات المتحدة والى الجماعة الاقتصادية الأوروبية من اجل التوصل الى « انسحاب مباشر وغير مشروط » للقوات الاسرائيلية من لبنان .

: في واشنطن اكد السفير الاسرائيلي ان بلاده لن تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى « إذا اعترفت الأخيرة بحق اسرائيل في الوجود » . وفي الكونجرس طالب السيناتور الجمهوري ورئيس اللجنة المالية بان « تتخذ الأمم المتحدة عقوبات ضد اسرائيل وإعادة النظر في المعونة العسكرية التي ستمنحها الولايات المتحدة في المستقبل الى اسرائيل .

: في بيروت ، حذر « ياسر عرفات » في رسالة موجه الى « بول مندلي » عضو مجلس الشيوخ « من عواقب الحرب الاسرائيلية في لبنان على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط » .

: في باريس ، بعث ممثل منظمة التحرير الفلسطيني « عصام سرطاوي رسالة الى ويلي براندت طالبا عقد دورة غير عادية للدولية الاشتراكية من اجل البحث في المسئوليات التي تقع على الحزب الاشتراكي الاسرائيلي فيما يتعلق بالغزو الاسرائيلي للبنان .

٢٥ : انسحب وليد جنبلاط زعيم الحركة الوطنية اللبنانية من لجنة الانقاذ الوطني .

: قامت القوات الاسرائيلية بعمليات قصف مكثفة على بيروت الغربية برا وبحرا وجوا .

: استقالة وزير الخارجية الامريكي الكسندر هيج من منصبه .

: اقرار وقف اطلاق النار من جديد

: في تونس اعلن الأمين العام للجامعة العربية بان الدول العربية قد توصلت الى اتفاق حول مبدأ عقد مؤتمر للقمة غير عادي وعاجل .

صرح الرئيس الياس ساركيس انه لا يرى معنى لعقد مؤتمر قمة عربي قبل التوصل الى تحديد اسس اتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وجه الرئيس حسني مبارك نداءا الى الولايات المتحدة طالبا من هذه الأخيرة منع اسرائيل من القيام بغزو بيروت الغربية

: في بون ، صرح الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، بانما ننتظر عند عقد مؤتمر قمة للجماعة الاقتصادية الاوروبية في بروكسل ان تتخذ الجماعة عقوبات اقتصادية واضحة ضد اسرائيل مثلما فعلت بالنسبة للارجنتين

بروكسل ان تتخذ الجماعة عقوبات اقتصادية واضحة ضد اسرائيل مثلما فعلت بالنسبة للارجنتين

صرح وزير الخارجية الدانمركي على المواقع الفلسطينية غير معقولة كلية وتنم عن سياسة قصيرة النظر » .

٢٦ : تولى « جورج شولتز » خليفة « الكسندر هيج » مهامه كوزير خارجية

: اعربت الاذاعة الاسرائيلية عن اسفها لرحيل « هيج » الذي وصفته بانه « صديق كبير لاسرائيل » كما ابدت تخوفها من ان يكون لدى « شولتز » علاقات مميزة مع احدى الدول العربية » .

٢٦ : في القاهرة اعرب وزير الدولة للشئون الخارجية د . بطرس غالي عن امله في أن يتبع وزير الخارجية الامريكي الجديد « خطا اكثر توازنا » بين اسرائيل والدول العربية

: في مجلس الأمن ، عارضت الولايات المتحدة مشروع قرار يطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من مواقعها حول بيروت (١٤٠ صوت ضد واحد) . وفي الجمعية العامة كانت اسرائيل والولايات المتحدة الدولتين اللتين عارضتا قرارا غير ملزم يطالب بالانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية من لبنان وبدراسة العقوبات التي يجب فرضها في حالة رفض اسرائيل الانسحاب . حصل القرار على اغلبية ١٢٧ صوتا .

٢٧ : طلبت اسرائيل خروج القوات الفلسطينية من لبنان بعد نزع سلاحها .

: اعترفت اسرائيل لأول مرة بان قواتها استعملت القنابل العنقودية الامريكية عند غزوها للبنان .

٢٨ : قام الطيران الاسرائيلي بالقاء منشورات فوق القطاع الغربي من بيروت تدعو السكان « إلى الرحيل قبل فوات الأوان » .

: في القاهرة . اعرب السيد اسامه الباز ان المستشارين الدبلوماسيين للرئيس حسني مبارك في مؤتمر صحفي عن « القلق العميق » لبلاده وعن ضرورة « احتواء الخطر الناجم عن تدهور الأوضاع في لبنان » .

: هاجم الرئيس حسني مبارك سوريا متهما هذا البلد بابرام « اتفاق ودي مع اسرائيل لكي تصبح الأردن وطن الفلسطينيين مقابل حصول سوريا على وادي البقاع تعويضا لها عن فقدانها مرتفعات الجولان » .

: فشل مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في تونس .

: في طهران ادان الامام الخميني « السكوت المميت » الذي التزمت به الدول العربية « والذي ادى اليوم الى التدمير التام للبنان على يد النظام الصهيوني والولايات المتحدة » ونادى « بالوحدة للدفاع عن الشرف والكرامة والاسلام والعرب » .

في الجزائر ، طالب المكتب السياسى لجبهة التحرير الوطنى « باسكات جميع الخلافات الجانبية » وباتخاذ عقوبات اقتصادية ضد الدول التى تساند اسرائيل .

٣٠ : قررت المجموعة الاشتراكية داخل البرلمان الأوروبى فى بروكسل وتمثل ١١٣ عضوا مقاطعة الاجتماع الذى سيعقد لمناقشة علاقات البرلمان الأوروبى بالكنيست ، وذلك احتجاجا منها على الغزو الاسرائيلى للبنان .

يوليو ١٩٨٢

: أظهرت نتائج استفتاء للرأى العام الاسرائيلى بان ٥٠٪ يؤيدون الغزو الاسرائيلى للبنان و ٢٠٪ فقط يوافقون على اقتحام بيروت الغربية .

: رفض « وليد جنبلاط » الاقتراح المقدم من « فيليب حبيب » الخاص بنزع السلاح من الميليشيا فى بيروت الغربية واقترح بدلا من ذلك نزع السلاح من « بيروت الكبرى » وتدويل المشكلة اللبنانية .

٢ : احكمت القوات الاسرائيلية حصارها على بيروت الغربية .

: فى تل ابيب قامت مظاهرة سلمية ضمت حوالى ٨٠ الف شخص تطالب بوقف الحرب .

: اجرى « يورى أفنيرى » النائب الاسرائيلى السابق والصحفى حديثا صحفيا مع ياسر عرفات .

: قامت القوات الاسرائيلية بقصف بيروت الغربية .

: دعت وكالة « تاس » السوفيتية الدول العربية الى توحيد الصفوف والى الالتجاء الفعال الى المعونة التى يبذلها لهم الاتحاد السوفيتى والى « سلاح البترول » .

: ارسلت الحكومة الجزائرية باخرة الى لبنان محملة بالمواد الغذائية والملابس والخيام .

: وصل بشير الجميل الى الطائف لدراسة امكانيات التوصل الى اتفاق ينظم الوجودالفلسطينى فى لبنان مع المسئولين السعوديين واعضاء اللجنة الوزارية التابعة للجامعة العربية .

: وقعت شخصيات يهودية ثلاثة نداءات يدعو الى التفاوض بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية . الشخصيات هى : بيير مندس فرانس وناحوم جولدمان وفيليب كلوسترنك .

: اصبحت الكتائب تشرف على مدينة « داحور » .

٣ : داخل الامم المتحدة ، قدمت كل من فرنسا ومصر مبادرة جديدة تستهدف فى أن واحد تسوية المشكلة اللبنانية وعبور مرحلة اساسية للنزاع العربى الاسرائيلى وذلك بالاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير . طرحت المبادرة لورقة عمل وتضم النقاط الخمس التالية :

(١) تطالب جميع الاطراف المقاتلة بالالتزام الفورى وبشكل دائم بقرار وقف اطلاق النار والانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية على مسافة متفق عليها من بيروت وكخطوة اولى للانسحاب التام من لبنان وتطالب ايضا برحيل القوات الفلسطينية عن بيروت الغربية ومعها سلاح خفيف والتوجه الى مخيم لم يحدد بعد وخارج بيروت وفقا لشروط يقبلها الاطراف .

(٢) يطالب بانسحاب جميع القوات الاجنبية من لبنان باستثناء تلك التى يصرح لها بذلك الحكومة اللبنانية .

(٣) يطلب الأمين العام بايفاد فورا مراقبين مع موافقة الحكومة اللبنانية احترام وقف اطلاق النار وفك الاشتباك بين القوات فى بيروت وضواحيها .

(٤) على مجلس الأمن الاعلان بان تسوية المشكلة اللبنانية يجب ان تساعد على مبادرة عملية اعادة سلام دائم وأمن فى المنطقة على اسس الأمن بالنسبة لجميع الدول والعدل لجميع شعوبها .

(٥) على الامين العام للمنظمة ان يقدم مقترحات بالتشاور مع جميع الاطراف المعنية بما فى ذلك ممثلى الشعب الفلسطينى وبابلاغ المجلس بطريقة منتظمة .

٤ : جرى تبادل النيران بين القوات الفلسطينية والقوات الاسرائيلية داخل احياء فى جنوب بيروت ادى الى مقتل ٢ من الجنود الاسرائيليين .

: اعلنت الاذاعة الاسرائيلية ان قوات العدو قد قطعت المياه والكهرباء عن بيروت الغربية كما منعت خروج ودخول السكان المدنيين .

: فى غزه والضفة الغربية قام السكان العرب باضراب عام تضامنا مع منظمة التحرير الفلسطينية . اكد الرئيس « شفيق الوزان » بان المفاوضات اللبنانية ، الفلسطينية قد توصلت الى قواعد للتسوية تعد مباديء عامة من اجل ايجاد تسوية وتستوجب وضع توقيت زمنى للتنفيذ . تعد هذه الوثيقة رد على المقترحات التى قدمها « فيليب حبيب » . وانتقد الرئيس شفيق الوزان اللجنة الوزارية العربية المجتمع فى طائف لعدم تفويضها مبعوث الى لبنان ، بناء على طلبه بذلك .

: رفضت الحكومة الاسرائيلية اى اقتراح يتضمن الوجود الفلسطينى فى اى صورة كانت فى لبنان وطالبت برحيل « جميع الفلسطينيين الارهابيين من لبنان » .

: وفقا للاذاعة الاسرائيلية تضمنت المقترحات الفلسطينية التى سلمت للحكومة اللبنانية النقاط : ١) المنظمة مستعدة لاجلاء بيروت الغربية ٢) المنظمة ستحافظ على وجود عسكرى فى لبنان : كتيبة فى البقاع واخرى فى الشمال ٣) مسئولية بيروت الغربية لن يكلف بها الجيش اللبنانى بل قوة دولية قد يشترك فيها الجيش اللبنانى ٤) تنقل المنظمة قيادتها من بيروت الى دمشق مع الاحتفاظ بقيادة لها فى لبنان ٥) تجلو المنظمة عن لبنان عندما يتم الجلاء السورى من هذا البلد ٦) تواصل المنظمة نشاطها الاعلامى من لبنان .

: اعلن « الجنرال شارون » انه يفضل تسوية سياسية لاجلاء القوات الفلسطينية عن بيروت .

: نصح الكولونيل معمر القذافى فى رسالة موجه الى قادة منظمة التحرير الفلسطينية « بالانتحار على انه افضل من قبول الاذلال . لأن انتحاركم سيمجد القضية الفلسطينية للاجيال القادمة ودماءكم ستكون الوقود للثورة التى اصبحت حتمية من المحيط الاطلنطى الى الخليج » .

: وافقت الولايات المتحدة على قرار اعتمده مجلس الأمن باعادة جميع الوسائل التموينية التى قطعها الاسرائيليون عن سكان بيروت الغربية .

٥ : اكد « اندرية جروميكو » وزير الخارجية السوفيتى لمبعوثى المجلس الوزارى التابع للجامعة العربية بان « الاتحاد السوفيتى سيمارس كل نفوذه وثقله من اجل الحصول على انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان » .

: قامت القوات الاسرائيلية المتمركزة على قمة « تل الزعتر » بقصف منقطع للضاحية الجنوبية من بيروت وخاصة المطار وحى « السلوم » .

: قامت القوات الفلسطينية والتقدمية المتمركزة فى بيروت الغربية بضرب منطقة بعبده وقد اصابت قصر الرئاسة .

٥ : عززت القوات الاسرائيلية مراكزها على نقاط المرور بين بيروت الشرقية وبيروت الغربية .

: رد ياسر عرفات على « نصيحة » الرئيس القذافى بان الفلسطينيين لم يبلغهم اى نبأ عن اى مظاهرة « من المحيط الاطلنطى الى الخليج » تساندهم منذ قيام الغزو الاسرائيلى على لبنان .

جرى تبادل اطلاق النار بالمدفعية بين القوات الاسرائيلية والقوات الفلسطينية فى الضاحية الجنوبية من بيروت وخاصة حول المطار الذى يحاول اقتحامه الاسرائيليون والاستيلاء عليه .

: وصف وزير الخارجية المصرى السيد كمال حسن على المشروع المصرى – الفرنسى بانه مكمل لبعثة « فيليب حبيب » وانه متوافق مع اتفاقيات كامب دافيد التى تنص على ايجاد تسوية شاملة للصراع فى الشرق الاوسط .

: اكد السيد مصطفى خليل نائب رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم للشئون الخارجية فى حديث صحفى مع صحيفة « مايو » بان مصر ستسعى الى الحصول على اعتراف الولايات المتحدة بحكومة فلسطينية فى المنفى قد يكون مقرها القاهرة وتكون وظيفتها سياسية بحتة .

: قدم السفير الاسرائيلى فى القاهرة احتجاجا لدى وزارة الخارجية المصرية على المقالات التى تنشرها الصحافة المصرية منذ بدأ التدخل الاسرائيلى فى لبنان . ردت وزارة الخارجية بان الصحافة المصرية حره وتعبر عن شعور الشعب المصرى ازاء فداحة العدوان الذى جرى على لبنان .

٦: جرى اتصال غير رسمى بين الحكومة اللبنانية والادارة الامريكية طلبت فيه مشاركة امريكية فى القوى المتعددة الجنسية لحفظ السلام فى بيروت .

: جرى تراشق بالنيران والاسلحة الثقيلة بين القوات الاسرائيلية والقوات الفلسطينية فى الجزء الجنوبى الشرقى من بيروت . وقد اتهمت الحكومة الاسرائيلية الفلسطينية بخرق قرار وقف اطلاق النار . اتهمت وكالة « وفا » من جانبها القوات الاسرائيلية بخرق وقف اطلاق النار .

: فى ستراسبورج ، وجهت الحركة الوطنية اللبنانية نداءا الى اعضاء البرلمان الاوربى يدعو حكومات الدول العشر الى بذل ضغوط على اسرائيل لرفع الحصار عن بيروت فورا وتطبيق قرارات الأمم المتحدة واحترام حقوق الشعب الفلسطينى فى دولة مستقلة والحفاظ على وحدة تراب لبنان واخيرا التزام اسرائيل باتفاقيات جنيف الخاصة بمعاملة الأسرى .

: حول بيروت اغلقت القوات الاسرائيلية فى الفجر المنفذ الوحيد بين القطاعين الشرقى والغربى من العاصمة وهو الممر الذى يؤدى الى الميناء .

: فى فيينا ، صرح المستشار برونو كرايسكى ان حكومته ستدخل لدى الولايات المتحدة من اجل منع طرد ٢٠٠ الف فلسطينى من لبنان . واضاف ان الاضطرار الى التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية قد اعطى هذه الاخيرة الاعتراف الذى كان يجب ان تحصل عليه قبل الحرب .

٦: طلب ياسر عرفات عقد اجتماع غير عادى لوزراء خارجية دول عدم الانحياز لمناقشة الغزو الاسرائيلى ضد لبنان والوضع فى بيروت .

: منعت القوات الاسرائيلية قافلة تابعة للجنة الدولية للصليب الاحمر تحمل مواد طبية ومعدات طبية من الدخول الى بيروت . توصلت قافلة اخرى مماثلة الى بيروت الغربية عن طريق أخر .

: سلم « فيليب حبيب » الرئيس الياس ساركيس المقترحات الامريكية حول تسوية الازمة اللبنانية وتتضمن النقاط التالية لفك الاشتباك بين القوات :

(١) انسحاب القوات الاسرائيلية عدة كيلو مترات حول بيروت .
(٢) اجلاء القوات الفلسطينية حاملة اسلحتها الفردية وتاركة الاسلحة الثقيلة .
(٣) وجود وحدات بحرية امريكية لضمان تنفيذ العملية وذلك عن طريق البحر .
(٤) اجلاء القوات الفلسطينية فى مرحلة اولى متجهة الى ميناء الاطاقية السورى ومن هناك الى عدة دول عربية .
(٥) قوة دولية فرنسية – امريكية تأخذ مراكزها فى بيروت بالاتفاق مع جميع الاطراف .
(٦) فى نفس الوقت وحدات من الجيش اللبنانى تدخل العاصمة (الجزء الغربى) .
(٧) اقامة حكومة لبنانية مستقرة وذات سيادة .
(٨) منظمة التحرير الفلسطينية تحتفظ بوجود سياسى فى لبنان .
(٩) ادماج وحدتين فلسطينيتين داخل الجيش اللبنانى الى ان يتم اجلاء جميع القوات الاجنبية .

: عارضت الحكومة الاسرائيلية المقترحات الامريكية خاصة النقطتين الاخيرتين .

٧: اعلن متحدث فلسطينى بان المفاوضات الجارية بين الجانبين اللبنانى والفلسطينى لا تتناول الاجراءات الخاصة باجلاء الفلسطينيين بل عمليات التنسيق بين الجانب على الصعيد العسكرى والسياسى والاجتماعى وكذا الوجود الفلسطينى فى لبنان .

: اعلن متحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية ان المنظمة لن ترحل من لبنان على بواخر امريكية .

: قرر البرلمان الاوروبى تأجيل مناقشة الازمة اللبنانية الى اجل غير مسمى . وذلك باغلبية ١١٢ صوتا ضد ٨٨ و٤ امتنعت عن التصويت .

: خرق القرار الخامس لوقف اطلاق النار فى بيروت الغربية وجرى تراشق نيران المدفعية فى الضاحية جنوب شرقى العاصمة .

: وافقت حكومتى بريطانيا وايطاليا على الخطة الامريكية الخاصة باجلاء الفلسطينيين من بيروت .

٧ : صرح جاسبار واينبرج وزير الدفاع الامريكى بأن المخاطر التى تنجم عن وجود جنود « المارينز » فى بيروت الغربية يمكن تفاديها بضمانات مناسبة ومن هذا التحديد الزمنى لمهمتهم .

: صرح السيد شفيق الوزان على أثر مقابلة لياسر عرفات بأن دور القوة المتعددة الجنسية فى لبنان يجب أن يكون « الوقوف بين المتحاربين » ، ومعاونة الجيش اللبنانى على القيام بدوره الوطنى . وأضاف أنه يجب أن تحل هذه القوة قبل أجلاء الفلسطينيين عن بيروت .

: أعلن ياسر عرفات فى لقاء صحفى مع صحيفة نيويورك تايمز « أن منظمة التحرير الفلسطينية قد رفضت كلية المقترحات الخاصة بأجلاء الفلسطينيين على يد القوات الامريكية . ولكنه أضاف أنه يؤيد مجهودا دوليا من أجل فك الاشتباك بين القوات الفلسطينية والقوات الاسرائيلية فى بيروت . وأن المنظمة ترفض أيضا وكلية الأقتراح الامريكى الخاص بأرسال قوات أمريكية الى لبنان .

: أعتقلت السلطات الاسرائيلية عشرات من الطلبة من جامع ب بيروت وحاصرت حرم الجامعة .

: أبدى العراق موافقته فى المشاركة فى أعمال اللجنة التابعة للجامعة العربية المكلفة بمراقبة تطبيق القرارين رقم ٥٠٨ و ٥٠٩ المعتمدين من مجلس الأمن والخاصتين بأنسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان .

: فى القاهرة التقى نائب رئيس الوزارة الهولندى « فان أخت » بالمسئولين المصريين أبدى فان أخت موافقته على وجهة النظر المصرية الخاصة بأن مفتاح الحل لأزمة لبنان تملكه الولايات المتحدة وانه « بدون مساندة ما من الولايات المتحدة فأن اسرائيل لم تكن تغزو لبنان وإن كانت الحكومة الامريكية تبذل

حاليا ضغوطا على اسرائيل لكي تمنعها من اقتحام بيروت . انتقد الوزير السياسة الامريكية التي وصفها بعدم التناسق وعدم الوضوح » .

: في غزة رفض المجلس البلدي لطلب السلطات الاسرائيلية بقصر نشاطه على الشئون الادارية .

: حذر الاتحاد السوفيتي الولايات المتحدة من ارسال هذه الأخيرة قوات لها في لبنان .

: أعتمد المجلس الفدرالي لاتحاد الإمارات العربية قرارا يطلب الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربي من اجل وضع خطة عسكرية عربية موحدة وفرض عدد من العقوبات الاقتصادية . منها سحب الأموال العربية ووقف تصدير البترول الى الولايات المتحدة والى الدول التي تساند العدوان الصهيوني على لبنان

: في مدينة الفاتيكان وجه البابا يوحنا بولس الثاني نداءا من اجل ايجاد تسوية سلمية لأزمة لبنان تتضمن « أستقلال لبنان وأمن المدنيين والمقاتلين ومطالب الفلسطينيين من اجل العدالة والسلام بالنسبة لجميع الاطراف المعنية . »

٨ : في حديث تليفزيوني حذر بشير جميل الحكومة الأمريكية من التدخل في لبنان وابدى أعتراض تام للخطة ا الفرنسية التي تضمنت ابقاء المنظمة لتحرير الفلسطينيين في لبنان .

يوليو ٨ : رد متحدث عن البيت الابيض على التحذير السوفيتي بأن « هدفنا الوحيد في الشرق الاوسط هو كما كان دائما : تحقيق السلام !!

: في اسرائيل اعلن الجنرال موشى ليفى «بأنه قد تم تسريح ٪ الاحتياطى المعبأ في العمليات العسكرية الاسرائيلية في لبنان وقدر تكاليف الجيش منذ بداية الحرب بحوالي ٢٠ الي ٣٠ مليار شيكل (بليون دولار) .

: اغلقت جامعة « بيرزيت » بأمر من سلطات الاحتلال الاسرائيلية . قامت في رامله مظاهرات أحتجاجا على اغلاق الجامعة .

: وجه رئيس المؤتمر اليهودى العالمى نداءا من « اجل الاعتراف المتبادل بين اسرائيل والفلسطينيين »

٩ : في القاهرة صرح الوزير السابق البرتغالى « ماريو شوارش أن السلطات الأسرائيلية قد منعته من دخول بيروت ومقابلة ياسر عرفات بناء على طلب هذا الأخير . وأضاف شوارش أنه سيقدم في ١٠ يوليو تقريرا مفصلا حول نتائج مهمته الاستطلاعية الى ويلى براندت رئيس « الدولية الاشتراكية »

: عارضت صحيفة الأهرام القاهرية رحيل المقاتلين الفلسطينيين من لبنان دون التوصل قبل ذلك الى اتفاق مبدئى حول تسوية للمشكلة الفلسطينية . وأن مصر ترفض تسوية مفروضة على المقاتلين الفلسطينيون في بيروت الغربية ولابد ان تحصل هذه التسوية على موافقة جميع الدولة العربية وجميع الاطراف المعنية .

: صرح زعيم المعارضة في اسرائيل « شيمون بيريز » ان الوقت قد حان للقيام بمبادرة دبلوماسية في اتجاه الاردن ودعوة هذه الأخيرة الى الانضمام الى عملية السلام . اكد « بيريز » أن الدولية الاشتراكية قد اقتنعت اخيرا بالتفسيرات التى قدمها لها الحزب العمالى الأسرائيلى .

: جرى تراشق بنيران المدفعية بين القوات الاسرائيلية والقوات الفلسطينية في ضواحى بيروت .

: صرح متحدث رسمي في دمشق أن الحكومة السورية ترى في الظروف الحالية أن المقاتلين الفلسطينيين لايجب ان يرحلوا من بيروت ويأتوا الى سوريا ذلك لأن مكانهم الطبيعى في انتظار استقلالهم وحقوقهم المشروعة هو المكان الذى يوجدون فيه !!

٩ : عقد المؤتمر العالمى اليهودى الذى يضم ممثلى ٦٠ دولة وبرأسه السيد ادجار برونغمان جلسة عمل في باريس اسفرت عن بيان جاء فيه اقرار المؤتمر لأول مرة من أجل « تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى » ولم يدن المؤتمر الغزو الاسرائيلى ولكنه كرر ثقته في حركة كامب دايفيد كما برر عملية « السلام في الخليل » مؤكدا بأنها تهدف الغزو والاستيلاء على ارضه .

: القى مدير عمليات الصليب الاحمر الدولى نداءا الى القوات الموجودة في لبنان طالبا منها السماح للصليب الأحمر بالقيام بالتفويض المناط له . وصرح بأن الصليب الأحمر لم يصرح له زيارة ١٨ فلسطينى و ٥٠ سورى من الأسرى في حين أن الاسرائيليين يحتفظون بما لا يقل عن ٩ الاف أسير .

وقد رد على ذلك ضابط اسرائيلى : بأن الارهابيين التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية يعدون من المجرمين العاديين وأنهم سيحاكموا .

٩ : قرر مكتب التنسيق لحركة عدم الانحياز في هافانا عقد مؤتمر غير عادى لوزراء خارجية دول عدم الانحياز في نيقوسيا (قبرص) وذلك من ١٥ الى ١٧ يوليو .

صرح وزير الدفاع الاسرائيلي ابريل شارون في حديث تليفزيون النمسا بأن « الدولة الفلسطينية يمكن أن تقام في الاردن وأن هذه الدولة موجودة بالفعل وأغلبية سكانها من الفلطسينيين . وبعد أقامة هذه الدولة يمكن أقامة كونفيدرالية . وأعرب الوزير عن امله في قيام حكومة ائتلافية في لبنان . « مثل هذه الحكومة يمكنها عندئذ توقيع عقد صلح مع أسرائيل مما قد يقلب راس على عقب الوضع في الشرق الأوسط » .

: اعلن الجنرال موشى ليفى نائب رئيس أركان حرب الجيش بأن القوات الاسرائيلية في لبنان قد أتخذت كافة الاجراءات اللوجيتسيكية لقضاء فصل الشتاء اذا اقتضى الأمر ذلك .

: في لندن أحتجت السفارة الاسرائيلية لدى الحكومة البريطانية على المقابلة التى جرت بين نائب وزير الخارجية مستر دوجلاس هيرو والسيد فاروق قدومى رئيس اللجنة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وكانت وزارة الخارجية قد أشارت بأن السيد قدومى ضمن وفد منتدب من قبل الجامعة العربية .

: اعلن سفير فرنسا في بيروت الحكومة اللبنانية بموافقة فرنسا المبدئية على المشاركة في قوة دولية للتدخل فيما يتعلق بفك الاشتباك في بيروت « كان هذا طلب الحكومة اللبنانية . وقد حددت الحكومة الفرنسية شروط هذه المشاركة : على اللجنة المختلفة اللبنانية ـ الفلسطينية أن تحدد « طبيعة » تشكيل وتفويض ومدة التدخل لهذه القوى . وأن قراراتها يجب أن « توافق عليها جميع الاطراف المعنية كما يجب أن تحظى على « الموافقة الضمنية من قبل منظمة التحرير الفلسطينية وتأييد الأمم المتحدة .

: قامت المدفعية الاسرائيلية بشن هجوم عنيف على بيروت الغربية أسفر عن العديد من الضحايا من المدنيين وقد ردت المقاومة على هذا الهجوم .

: اعلن السيد حبيب شطى الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى بأنه سسيعقد أجتماع غير عادى لوزراء خارجية الدول الاسلامية في تونس من ١٧ الى ١٩ يوليو لبحث مشكلة لبنان .

يوليو

١٠ : عقد اجتماع للجمعية العامة الاشتراكية الأفريقية في مدينة « موناستى » بتونس ادى الى قرار ابلاغ الدولية الاشتراكية والأمم المتحدة بخطورة الوضع الذى أدى اليه العدوان الصهيونى » والى اعلان تضامنه مع المقاومة الفلسطينية والشعب اللبنانى » .

١١ : استأنفت القوات الاسرائيلية قصف بيروت الغربية بالمدفعية والصواريخ والقنابل العنقودية والفسفورية المحرمة دوليا . ثم اعلن وقف اطلاق النار السادس .

: صرح مصدر فلسطيني بأن منظمة التحرير قد سلمت الحكومات اللبنانية والفرنسية والسعودية وثيقة تضمنت ١١ نقطة حول اقرار السلام في بيروت الغربية تطالب : باقرار وقف اطلاق النار الفعال وبفك الاشتباك بين القوات وبانسحاب القوات الاسرائيلية من منطقة بيروت وعودة القوات الفلسطينية الى مخيمات اللاجئين وانتشار قوة دولية عازلة بين الجيش اللبناني والأطراف المقاتلة واجلاء بيروت من المقاتلين الفلسطينيين ورحيل القادة الفلسطينيين والحفاظ على وجود سياسي فلسطيني ووجود عسكري في لبنان وضمانات لسكان مخيمات اللاجئين .

: ادانت اثيوبيا الغزو الاسرائيلي للبنان ووصفته « بعدوان غاشم » و « بحرب ابادة » وطلبت من الحكومة الاسرائيلية بسحب قواتها فورا في بيان تلاه في اديس ابابا وزير الخارجية .

: دعا ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس « عصام سرطاوي » الى الاعتراف المتبادل بين اسرائيل والشعب الفلسطيني . وقال ان الطريقة الوحيدة للتوصل الى تسوية للمشكلة الفلسطينية هو الحوار الذي يؤدي الى تحقيق الحقوق القومية للشعب الفلسطيني على أساس التعايش والاعتراف المتبادل .

: احتج بشدة السفير الاسرائيلي في باريس مائير روزن باسم وزير الخارجية الاسرائيلي لدى السلطات الفرنسية على تصريح الرئيس ميتران حول « مجزرة اورادو » .

: صرح الكولونيل شمول زاكاي أن لدى اسرائيل حاليا ٩ آلاف من الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين وان اسرائيل لاتعتبر هؤلاء اسرى حرب بل اعضاء مسلحين لمنظمة ارهابية .

: طالب ٣٠٠ من الجنود الاحتياطيين الاسرائيليين تم تسريحهم بوضع حد للقتال وبعدم غزو بيروت ودعا هؤلاء الرجال الرأى العام الاسرائيلي بوضع حد لحائط السكوت الذي يمنع الرأى العام من أن يكون ملما بالظروف الحقيقية لهذه الحرب .. وبأنه لايوجد حل عسكري للمشكلة الفلسطينية
جرح ثلاثة جنود اسرائيليين اثناء تراشق نيران المدفعية في بيروت .

١١ : أسفرت استطلاعات الرأى العام التي أجراها معهد « داهاف » والتي نشرتها صحيفة « يديعوت أحرانوت » أن ٦٨ ٪ من الاسرائيليين يعارضون القيام بغزو بيروت و ٢٩ ٪ يوافقون على ذلك اذا كان ضروريا و ٣ ٪ لا رأى لهم و ١٤ ٪ يعارضون عملية غزو لبنان و ٣ ٪ لا رأى لهم .
تؤكد هذه النتائج ارتفاع شعبية بيجين بعد حرب لبنان (٦٢ ٪ لصالحه ضد ٤٣ ٪ في شهر مايو ١٩٨٢)

: قامت السلطات الاسرائيلية بالقبض على ١٢ شخصا في الناصرة معظمهم من اعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي خلال ثلاث مظاهرات ضد الحرب في لبنان لأول مرة يسمع عرب اسرائيل صوتهم ضد الغزو الاسرائيلي .

: نجحت القوات الفلسطينية والتقدمية في صد محاولتين للتقدم على طريق اوزاى المخرج الجنوبي لبيروت وفي المطار الدولي تم تدمير دبابتين للعدو ومدفع ١٢٠ ملليمتر في منطقة بعبدا وقطاعات المطار وتسويفات وكفار شيما .

● قام اسامة الباز المستشار السياسي لدى رئيس الجمهورية بزيارة الى عمان حاملا رسالة من الرئيس مبارك الى الملك حسين خاصة بتدهور الأوضاع في لبنان بعد الغزو الاسرائيلي .

: وافقت الحكومة الفرنسية على المشاركة في قوة دولية تختص بفك الاشتباك في بيروت على ان تحدد اللجنة المشتركة اللبنانية — الفلسطينية طبيعة وتشكيل وتفويض ومدة تدخل هذه القوة .

: رفضت الحكومة الاسرائيلية « فكرة قوة عازلة واقترحت تسميتها قوة اشراف على انسحاب منظمة التحرير من لبنان » .

: في باريس اتهم فؤاد مالك ممثل قوات الكتائب فرنسا بانها قد اختارت قضية الفلسطينيين على حساب قضية لبنان . واتهم الصحافة الفرنسية بالتحيز واضاف « ان مصالح اسرائيل تتمثل في القضاء على الفلسطينيين وهي تتفق مع مصالحنا التي هي التخلص منهم . لهذا فان المقترحات الأمريكية التي تتوافق مع مطالبنا من المبادرات الفرنسية . وعلى الاسرائيليين ان يذهبوا ايضا مثل القوات السورية والفلسطينية والا فاننا سنشن عليهم حربا دون شك . وحول احتمال ابرام سلام مع اسرائيل صرح : « انه أمر يرجع الى الشعب اللبناني ان يكرره من خلال التصويت داخل البرلمان ومن خلال حكومته . وعلى اى حال ان اكبر دولة عربية وهي مصر قد وقعت معاهدة سلام . ولماذا لايكون لبنان في يوم ما دولة حيادية ؟ لتنسحب القوات الاجنبية من بلدنا ونحن سوف نتفق فيما بيننا . وحول مستقبل لبنان قال : عليكم تصور قيام حكومة دستورية بالنيابة inkriw كما ان على لبنان اعادة النظر في مؤسساته مع مراعاة التطور الرقمي للجماعات المختلفة » .

١٢ : في اسرائيل دعا حزب « ليكود » الحاكم الى تنظيم مظاهرة لمساندة سياسة الحكومة في لبنان .

١٣ : اشتباك بالأسلحة الخفيفة بين جنود سوريين وجنود اسرائيليين أسفر عن قتل ٣ اسرائيليين .

: في مدينة الطائف حيث انعقد مجلس التعاون للخليج طالب كل من السعودية وحلفاءها الخمسة من الولايات المتحدة ومن الدول الاربع العضوية الدائمة في مجلس الأمن « بفرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل » .

: سلم فيليب حبيب الى المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية دافيد كيمش الخطة الأمريكية التي تضمنت ١١ نقطة . وعلى الفور أعلنت الاذاعة الاسرائيلية رفض اسرائيل قبول هذه الخطة .

: في بيروت أعلن وليد جنبلاط برفضه للمقترحات الأمريكية التي سلمت الى شفيق الوزان لأنها تفترض انسحاب فلسطين قبل اى شيء ثم انتشار قوة سلام عازلة لضمان فك الاشتباك واضاف ان المنظمة لايمكن أن تنسحب بدون ضمانات حول مصير السكان في مخيمات اللاجئين في بيروت ولبنان .

: أعلن عدد من الاحتياطيين الاسرائيليين انهم سيقومون بحملة وطنية للمطالبة « بعودة الجنود الى ديارهم

١٤ :في واشنطن اعرب عدد كبير من أعضاء الكونجرس عن تشككهم في احتمال ارسال قوات امريكية الى لبنان . أعرب رئيس المجموعة الجمهورية مستر هوارد بيكر عن أمله في أن لايتخذ ريجان مثل هذا القرار . واعلن جون ملكر (ديمقراطي مثل ولاية مونتانا) بأنه يرى أن « الهجوم الاسرائيلي قد دام اكثر من اللازم » وان على « الولايات المتحدة أن تتكلم الاسرائيليين بلغة مباشرة وعنيفة للغاية : انسحبوا فورا واتركوا المنقذين يؤدون عملهم » . وقال شارك بيرس رئيس لجنة الشئون الخارجية بانه يؤيد خفض المعونة الأمريكية لاسرائيل « اننا لايمكننا الحفاظ على مستوى معونتنا لاسرائيل خاصة عندما يؤدي ذلك الى تهديد توقف الولايات المتحدة كوسيط وصانع للسلام في الشرق الأوسط . واضاف

١١ : استأنفت القوات الاسرائيلية قصف بيروت الغربية بالمدفعية والصواريخ والقنابل العنقودية والفسفورية المحرمة دوليا . ثم اعلن وقف اطلاق النار السادس .

: صرح مصدر فلسطيني بأن منظمة التحرير قد سلمت الحكومات اللبنانية والفرنسية والسعودية وثيقة تضمنت ١١ نقطة حول اقرار السلام في بيروت الغربية تطالب : باقرار وقف اطلاق النار الفعال وبفك الاشتباك بين القوات وبانسحاب القوات الاسرائيلية من منطقة بيروت وعودة القوات الفلسطينية الى مخيمات اللاجئين وانتشار قوة دولية عازلة بين الجيش اللبناني والأطراف المقاتلة واجلاء بيروت من المقاتلين الفلسطينيين ورحيل القادة الفلسطينيين والحفاظ على وجود سياسي فلسطيني ووجود عسكري في لبنان وضمانات لسكان مخيمات اللاجئين .

: ادانت اثيوبيا الغزو الاسرائيلي للبنان ووصفته « بعدوان غاشم » و « بحرب ابادة » وطلبت من الحكومة الاسرائيلية بسحب قواتها فورا في بيان تلاه في أديس أبابا وزير الخارجية .

، دعا ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس « عصام سرطاوي » الى الاعتراف المتبادل بين اسرائيل والشعب الفلسطيني . وقال أن الطريقة الوحيدة للتوصل الى تسوية للمشكلة الفلسطينية هو الحوار الذي يؤدي الى تحقيق الحقوق القومية للشعب الفلسطيني على أساس التعايش والاعتراف المتبادل .

: احتج بشدة السفير الاسرائيلي في باريس مائير روزن باسم وزير الخارجية الاسرائيلي لدى السلطات الفرنسية على تصريح الرئيس ميتران حول « مجزرة اورادو »

: صرح الكولونيل شمول زاكاي أن لدى اسرائيل حاليا ٩ آلاف من الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين وان اسرائيل لاتعتبر هؤلاء اسرى حرب بل اعضاء مسلحين لمنظمة ارهابية .

: طالب ٣٠٠ من الجنود الاحتياطيين الاسرائيليين تم تسريحهم بوضع حد للقتال وبعدم غزو بيروت ودعا هؤلاء الرجال الرأى العام الاسرائيلي بوضع حد لحائط السكوت الذي يمنع الرأى العام من أن يكون ملما بالظروف الحقيقية لهذه الحرب .. وبأنه لايوجد حل عسكري للمشكلة الفلسطينية

جرح ثلاثة جنود اسرائيليين أثناء تراشق نيران المدفعية في بيروت .

١١ : أسفرت استطلاعات الرأى العام التي أجراها معهد « داهاف » والتي نشرتها صحيفة « يديعوت أحرانوت » أن ٦٨ ٪ من الاسرائيليين يعارضون القيام بغزو بيروت و ٢٩ ٪ يوافقون على ذلك اذا كان ضروريا و ٣ ٪ لا رأى لهم و ١٤ ٪ يعارضون عملية غزو لبنان و ٣ ٪ لا رأى لهم .

تؤكد هذه النتائج ارتفاع شعبية بيجين بعد حرب لبنان (٦٢ ٪ لصالحه ضد ٤٣ ٪ في شهر مايو ١٩٨٢)

: قامت السلطات الاسرائيلية بالقبض على ١٢ شخصا في الناصرة معظمهم من أعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي خلال ثلاث مظاهرات ضد الحرب في لبنان لأول مرة يسمع عرب اسرائيل صوتهم ضد الغزو الاسرائيلي .

: نجحت القوات الفلسطينية والتقدمية في صد محاولتين للتقدم على طريق اوزاى المخرج الجنوبي لبيروت وفي المطار الدولي تم تدمير دبابتين للعدو ومدفع ١٢٠ ملليمتر في منطقة بعبدا وقطاعات المطار وتسويفات وكفار شيما .

● قام اسامة الباز المستشار السياسي لدى رئيس الجمهورية بزيارة الى عمان حاملا رسالة من الرئيس مبارك الى الملك حسين خاصة بتدهور الأوضاع في لبنان بعد الغزو الاسرائيلي .

: وافقت الحكومة الفرنسية على المشاركة في قوة دولية تختص بفك الاشتباك في بيروت على أن تحدد اللجنة المشتركة اللبنانية — الفلسطينية طبيعة وتشكيل وتفويض ومدة تدخل هذه القوة .

: رفضت الحكومة الاسرائيلية « فكرة قوة عازلة واقترحت تسميتها قوة اشراف على انسحاب منظمة التحرير من لبنان » .

: في باريس اتهم فؤاد مالك ممثل قوات الكتائب فرنسا بانها قد اختارت قضية الفلسطينيين على حساب قضية لبنان . واتهم الصحافة الفرنسية بالتحيز واضاف « ان مصالح اسرائيل تتمثل في القضاء على الفلسطينيين وهي تتفق مع مصالحنا التي هي التخلص منهم . لهذا فان المقترحات الأمريكية التي تتوافق مع مطالبنا من المبادرات الفرنسية . وعلى الاسرائيليين ان يذهبوا ايضا مثل القوات السورية والفلسطينية والا فاننا سنشن عليهم حربا دون شك . وحول احتمال ابرام سلام مع اسرائيل صرح : « انه أمر يرجع الى الشعب اللبناني ان يكرره من خلال التصويت داخل البرلمان ومن خلال حكومته . وعلى أي حال ان اكبر دولة عربية وهي مصر قد وقعت معاهدة سلام . ولماذا لايكون لبنان في يوم ما دولة حيادية ؟ لتنسحب القوات الاجنبية من بلدنا ونحن سوف نتفق فيما بيننا . وحول مستقبل لبنان قال : عليكم تصور قيام حكومة دستورية بالنيابة inkriw كما ان على لبنان اعادة النظر في مؤسساته مع مراعاة التطور الرقمي للجماعات المختلفة » .

١٢ : في اسرائيل دعا حزب « ليكود » الحاكم الى تنظيم مظاهرة لمساندة سياسة الحكومة في لبنان .

١٣ : اشتباك بالأسلحة الخفيفة بين جنود سوريين وجنود اسرائيليين أسفر عن قتل ٣ اسرائيليين .

: في مدينة الطائف حيث انعقد مجلس التعاون للخليج طالب كل من السعودية وحلفاءها الخمسة من الولايات المتحدة ومن الدول الأربع العضوية الدائمة في مجلس الأمن « بفرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل »

: سلم فيليب حبيب الى المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية دافيد كيمش الخطة الأمريكية التي تضمنت ١١ نقطة . وعلى الفور أعلنت الاذاعة الاسرائيلية رفض اسرائيل قبول هذه الخطة .

: في بيروت أعلن وليد جنبلاط برفضه للمقترحات الأمريكية التي سلمت الى شفيق الوزان لأنها تفترض انسحاب فلسطين قبل أي شيء ثم انتشار قوة سلام عازلة لضمان فك الاشتباك وأضاف ان المنظمة لايمكن أن تنسحب بدون ضمانات حول مصير السكان في مخيمات اللاجئين في بيروت ولبنان .

: اعلن عدد من الاحتياطيين الاسرائيليين انهم سيقومون بحملة وطنية للمطالبة « بعودة الجنود الى ديارهم »

١٤ :في واشنطن أعرب عدد كبير من أعضاء الكونجرس عن تشككهم في احتمال ارسال قوات امريكية الى لبنان . أعرب رئيس المجموعة الجمهورية مستر هوارد بيكر عن أمله في أن لايتخذ ريجان مثل هذا القرار . وأعلن جون ملكر (ديمقراطي مثل ولاية مونتانا) بأنه يرى أن « الهجوم الاسرائيلي قد دام اكثر من اللازم » وان على « الولايات المتحدة أن تكلم الاسرائيليين بلغة مباشرة وعنيفة للغاية : انسحبوا فورا واتركوا المنقنين يؤدون عملهم » . وقال شارك بيرس رئيس لجنة الشئون الخارجية بانه يؤيد خفض المعونة الأمريكية لاسرائيل « اننا لايمكننا الحفاظ على مستوى معونتنا لاسرائيل خاصة عندما يؤدى ذلك الى تهديد توقف الولايات المتحدة كوسيط وصانع للسلام في الشرق الأوسط . وأضاف

ان العديد من زملائه يؤيدون اراءه وان « على اسرائيل ان تكون واقعية الآن . ان موقف العالم والموقف الامريكي في حالة تغيير الآن » .

: صرح وزير الخارجية الالماني الغربي « هانز ديتريتش جنشر » ان اسرائيل لن تستطيع تحقيق أمنها الا عندما تضع في اعتبارها الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ويعني ذلك بصفة خاصة حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم » جاء هذا التصريح على اثر اجتماع عقده جنشر مع رئيس الوزراء الأردني « مضر بدران » .

: قامت القوات الاسرائيلية بتعزيزات عسكرية جديدة حول بيروت الغربية : ٤٠ الف جندي و ٣٠٠ دبابة ، ٥٠٠ عربة مدرعة .

: أبلغ المبعوث الأمريكي « فيليب حبيب » الرئيس اللبناني عن تشاؤمه تجاه احتمالات انهاء الحصار الاسرائيلي حول بيروت .

: رفضت الحكومة الاسرائيلية المشروع الفلسطيني .

: صرح وزير الخارجية الأمريكي « جورج شولتز » بان المشكلة الفلسطينية تمثل « حقيقة رئيسية » في الشرق الأوسط ولابد من تسويتها « على وجه السرعة » .

: أعلن الملك فهد بان الرئيس الأمريكي ريجان قد أبدى تجاوبا بشأن الموقف في لبنان الى درجة تدعو الى التفاؤل .

: طلبت تونس رسميا تأجيل موعد انعقاد مؤتمر القمة العربي . رفعت الحكومة منكرة بهذا الشأن الى الأمانة العامة للجامعة العربية وزعت على المندوبين الدائمين للدول الاعضاء في الجامعة .

: في القاهرة اكد سعيد كمال عضو المجلس الوطني الفلسطيني أن الفلسطينيين « مستعدون لقبول المقترحات المصرية الخاصة باقامة حكومة في المنفى في القاهرة على شرط أن يحصلوا على ضمانات تؤكد اعتراف الولايات المتحدة بمثل هذه الحكومة » أما من حيث نقل قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت فقد صرح بان تونس قد تكون « المكان الاكثر ملاءمة » حيث أن هذا البلد هو مقر الجامعة العربية كما انه لم يتدخل في الشئون الداخلية الفلسطينية .

: في بيروت أعرب هاني الحسن المستشار لدى ياسر عرفات الى صحيفة النهار عن ارتياحه لموقف فرنسا التي « بادانتها للعدوان الاسرائيلي قد أصبحت مؤهلة لتولي مهمة فك الاشتباك للقوات في بيروت » . أعرب كذلك عن أمله في ان يعضد الاتحاد السوفيتي المبادرة الفرنسية الخاصة بارسال قوات الى لبنان في اطار قوة دولية . وأخيرا أعلن هاني الحسن بأن منظمة التحرير الفلسطينية قد اتفقت مع الحكومة اللبنانية حول حل لمدينة بيروت يتضمن الانسحاب الاسرائيلي عن العاصمة وعن الطريق الدولي بيروت ـ دمشق وانتشار القوة الدولية لضمان فك الاشتباك بين القوات والأمن داخل معسكرات اللاجئين . ومعاونة القوات اللبنانية في ذلك . وأضاف : « اننا اتفقنا أيضا حول تنظيم الوجود السياسي للمنظمة في لبنان مع ضمانات انسانية ونقابية بالنسبة للفلسطينيين الذين أقاموا في هذا البلد منذ ١٩٤٨ . كما تناقشنا أيضا حول وجود عسكري رمزي لنا خارج بيروت » .

١٥ : بدأ مؤتمر دول عدم الانحياز أعماله في نيوقسيا حول « مشكلة فلسطين » على مستوى الوزراء .

: قارن وزير الخارجية اليوغوسلافي موقف اسرائيل بالأعمال العنيفة المماثلة التي قامت بها الجيوش النازية في الحرب العالمية الثانية وطالب الوزير « بالانسحاب غير المشروط للقوات الاسرائيلية من لبنان » .

: في شمال بيروت (بكركرة) طالب رؤساء جميع الكنائس المسيحية في لبنان « رفع الحصار عن بيروت الغربية وانسحاب جميع القوات الأجنبية من البلاد » وطالب الرؤساء الدول العربية « بتحمل مسئولياتها ازاء القضية الفلسطينية » .

١٦ : جرت اشتباكات جديدة بين القوات الاسرائيلية والقوات السورية في شرق لبنان .

: طالبت الجماعات الاسلامية اللبنانية رفع الحصار عن بيروت ونظمت مظاهرة اتجهت الى قصر الرئاسة في بيروت الغربية حيث قدمت عريضة الى الرئيس شفيق الوزان .

: في القدس قام حوالي ٣٠ الف فلسطيني بمظاهرة سلمية بالقرب من المسجد الاقصى في القطاع الشرقي للمدينة احتجاجا على الغزو الاسرائيلي للبنان .

: جرت مقابلة بين ياسر عرفات وشفيق الوزان الذي أبدى تفاؤله في « مقترحات ايجابية » فلسطينية تتضمن اعادة تجميع المقاتلين الفلسطينيين مؤقتا في شمال وشرق لبنان .

: في واشنطن . أعلن مراسل البنتاجون أن الولايات المتحدة قد اوقفت شحناتها من القنابل العنقودية والفوسفورية الى اسرائيل . وقد قدمت الحكومة تقريرا الى الكونجرس حول مسألة استعمال اسرائيل للاسلحة الأمريكية في غزوها على لبنان يفيد التقرير المذكور بأن الدولة العبرية قد تكون قد انتهكت الاتفاق الأمريكي ـ الاسرائيلي المبرم في ١٩٥٢ الذي يحرم على اسرائيل استعمال السلاح الأمريكي في عمليات « هجومية » خارج أراضيها . التقرير لا يتناول مسألة القنابل العنقودية التي ينظم استعمالها اتفاقيات منفصلة .

١٨ : وفي الدار البيضاء (المغرب) قامت مظاهرة سلمية للتضامن مع فلسطين جمعت حوالي ٢,٠٠٠ شخص . قامت قوات الأمن بفض المظاهرة وسط هتافات « فلسطين عربية و « لا للمستسلمين » .

١٩ : في بيروت ابلغ السفير اليوناني وزير الخارجية اللبناني فؤاد بطرس ان بلاده مستعدة للمشاركة في « قوة حفظ السلام في لبنان » بكتيبة تضم حوالي ٣٠٠ جندي وذلك وفقا للشروط التي توافق عليها الأطراف المعنية .

: في نيقوسيا أعلنت اللجنة الوزارية الخاصة الممثلة لحركة عدم الانحياز انها لم تحصل على تصريح بدخول لبنان . وقد أشار وزير الخارجية اللبناني فؤاد بطرس أن « حكومة لبنان توافق على هذه الزيارة ولكنها مع ذلك توجد في وضع لايسمح لها بضمان الاجراءات الأمنية اللازمة » .

: أعلنت الحكومة الاردنية التعبئة العامة .

: في بروكسل اجتمع وزراء خارجية دول السوق الأوروبية . لم يؤد الاجتماع الى اصدار اعلان جديد حول أزمة الشرق الأوسط .

: بعث الرئيس حسني مبارك رسالة الى الرئيس ريجان يدعو فيها الولايات المتحدة الى تولي تسوية الأزمة اللبنانية في أقرب فرصة ممكنة والى حماية حقوق الفلسطينيين .

: في موسكو وصف الرئيس السوفيتي « ليونيد بريجنيف » الغزو الاسرائيلي للبنان بانه حرب ابادة وطالب اسرائيل والولايات المتحدة باحترام قبل كل شيء قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة . الخاصة بوقف العدوان على دولة ذات سيادة هي لبنان وبالانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الاسرائيلية .

: في تونس . أعرب الأمين العام للجامعة العربية عن أمله في أن « يقوم بين الجامعة العربية وبين الولايات المتحدة تعاون أفضل وكفيل بتنمية التفاهم واقامة علاقات جيدة بين الطرفين » .

٢١ : نشرت صحيفة « هآرتز » أن اسرائيل تقوم بنفسها بصنع القنابل العنقودية .

٢٢ : استأنف الطيران الاسرائيلى قصفه بالقنابل بيروت . شرع « فيليب حبيب » فى مهمته الجديدة .

: فى نيويورك عقد مجلس الأمن اجتماعا مغلقا تناول الوضع فى لبنان ودراسة المقترحات المصرية ـ الفرنسية . لم يدم الاجتماع سوى ربع ساعة نتيجة لرفض لبنان المناقشة .

: ابلغت الحكومة اللبنانية الولايات المتحدة رفضها نقل المقاتلين الفلسطينيين الى طرابلس والى شمال لبنان حتى بصفة مؤقتة اذا تم رحيل هؤلاء المقاتلين من بيروت الغربية وذلك فى اطار تسوية تقوم بها الحكومة الأمريكية .

: اعلن وزير الخارجية الاسرائيلى « اسحق شامير » أن عملية « السلام فى الجليل » قد بدأت « بموافقة تامة » من واشنطن .

: جرى لقاء فى دمشق بين المبعوث الأمريكى « فيليب حبيب والرئيس السورى حافظ الأسد .

: فى الرياض أعلن الملك فهد عن أمله فى « عودة مصر الى الحظيرة العربية » .

: سلم ياسر عرفات الى لجنة برلمانية امريكية وثيقة موقعة منه تضمنت موافقته لجميع القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة حول القضية الفلسطينية . اكد عضو اللجنة ماك كلويسكى أن عرفات لن يوافق على القرار رقم ٢٤٢ الا مع مجموع القرارات الأخرى . وصفت الحكومة الاسرائيلية مبادرة ياسر عرفات بأنها « مناورة للدعاية » « ومحاولة ذر الرماد فى العيون » .

: قامت القوات الاسرائيلية بعمليات عسكرية ضد القوات السورية فى وادى البقاع حيث دمرت قواعد صواريخ سام ٨ التى وضعت حديثا . أسقطت طائرة « فانتوم » اسرائيلية .

: منعت القوات الاسرائيلية الكهرباء والمياه عن بيروت . صرح ياسر عرفات بأن انسحاب قواته من بيروت « مسألة غير واردة » وان هذه القوات مستعدة للقتال حتى الموت .

: رفضت واشنطن الاخذ بوثيقة ياسر عرفات وطالبت منظمة التحرير الفلسطينية بالاعتراف صراحة بحق اسرائيل فى الوجود .

: حيا الرئيس حسنى مبارك مبادرة ياسر عرفات ووصفها بأنها خطوة فى الطريق السليم من أجل تسوية سلمية للنزاع فى الشرق الأوسط واعلن الرئيس المصرى عن قراره بايفاد وزير خارجيته الى واشنطن لحث الحكومة الأمريكية على الاعتراف بحق الفلسطينيين فى تقرير المصير وفتح حوار مع منظمة التحرير .

: اعلنت الحكومة الاسرائيلية فرض زيادة بنسبة ٢٤ ٪ على أسعار الوقود تحول الى المجهود الحربى فى لبنان .

: قامت القوات الاسرائيلية بقصف الأحياء السكنية فى بيروت .

: استقبل الرئيس ريجان فى واشنطن وفدا عربيا .

: جاء فى مقال نشرته صحيفة « نيويورك تايمز » لجورج بول أن على الأمريكيين أن يتفاوضوا مع الفلسطينيين وأيضا على اعادة النظر فى علاقاتهم مع الاسرائيليين لكى تكون هذه العلاقات على أسس « الاحترام المتبادل » وكتب بول : « اما أن تستشيرنا اسرائيل منذ الآن قبل أن تندفع فى مغامرات عسكرية وتتخلى عن أطماعها التوسعية وتشرع فى مفاوضات سلام جديد من أجل منح الفلسطينيين حق تقرير المصير أو نضع حدا للعلاقات الحالية القائمة على « الأخ الكبير المتفهم » ونعامل اسرائيل مثل أى دولة صديقة أخرى » .

٢٨ : أعلن قرار وقف اطلاق النار السابع .

٢٩ : فى جدة اجتمعت اللجنة المحدودة للجامعة العربية وقد أبدت منظمة التحرير الفلسطينية عن موافقتها على مبدأ خروج مقاتليها من بيروت فى حالة توافر الضمانات اللازمة لحماية السكان المدنيين وبشرط توزيع القوات الفلسطينية داخل لبنان وليس خارجه

: فى مجلس الأمن عقد اجتماع للنظر فى المشروع المصرى ـ الفرنسى الذى نص على : فك الاشتباك بين القوات المتحاربة فى بيروت والاعتراف بحق الفلسطينيين فى تقرير المصير وانسحاب جميع القوات الأجنبية من لبنان باستثناء تلك التى توافق عليها الحكومة اللبنانية ووضع فورا قوة دولية واخيرا الشروع فى المفاوضات من أجل تسوية للنزاع الفلسطينى ـ الاسرائيلى .

٣٠ : اعتمد مجلس الأمن قرارا يدعو الى رفع الحصار عن بيروت .

: انتهكت القوات الاسرائيلية قرار وقف اطلاق النار السابع وشنت غارات جوية عنيفة على بيروت الغربية .

: أعلن وقف اطلاق النار الثامن .

: وصف الرئيس ريجان الخطة التى وضعتها بالأمس الحكومة العربية السعودية تحت اشراف الجامعة العربية وبموافقة منظمة التحرير الفلسطينية بأنها « خطوة ايجابية » . الخطة تستهدف رحيل الفلسطينيين المسلحين من بيروت الغربية .

: أعلنت الحكومة الكندية اعترافها بحق الفلسطينيين فى وطن وانها مستعدة للمشاركة فى أى قوة متعددة الجنسية فى لبنان .

اول اغسطس

: اقرار وقف اطلاق النار التاسع . فى نفس اليوم قامت القوات الاسرائيلية بقصف بيروت الغربية على التوالى ولمدة ١٢ ساعة .

: قرر مجلس الأمن ايفاد مراقبين الى لبنان . أعلنت الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية عن استعدادهما للتعاون مع ممثلى الأمم المتحدة . طلبت اسرائيل مهلة للتفكير .

: فى الكويت دعت صحيفة « الوطن » الدول العربية الى الالتجاء الى « السلاح البترولى » ضد الولايات المتحدة .

: اعلنت الحكومة الجزائرية انها تعارض تشتيت الفلسطينيين المتواجدين فى لبنان .

: اعلنت الحكومة المصرية انها لن تقبل أى فلسطينى الا فى اطار تسوية شاملة تقبلها جميع الأطراف المعنية وأولها الولايات المتحدة الشريك بالكامل فى القضية . وكان المبعوث الأمريكى « فيليب حبيب » قد اقترح توزيع الفدائيين الفلسطينيين على اربع دول عربية : مصر وسوريا والعراق والأردن .

: اعلن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى أوتاوا أن المنظمة توافق على العرض الكندى بالاشتراك فى قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام فى لبنان اذا تم تشكيل هذه القوات .

٢ : أعلن متحدث عن وزارة الخارجية الفرنسية « ان الانتهاك المتوالى لقرارات وقف اطلاق النار لن يؤدى سوى الى عرقلة اى ترتيب ثم التفاوض عليه وبالتالى الحفاظ على بيروت وعلى لبنان »

أعلنت اذاعة « الكتائب » ان الاسرائيليين قد استولوا على محطة المطار وان دباباتهم المصفحة قد تقدمت فى اتجاه نقطة « كوكودى » على بعد ٢٠ كم شمالا دون مقاومة من الفلسطينيين الذين يتواجدون على بعد ٤ كم أكثر شمالا فى ميدان المطار نفسه .

: أعلن ناحوم جولدمان الرئيس المؤسس للمؤتمر اليهودى العالمى فى مقابلة أجراها مع مجلة « المجلة » الناطقة بالعربية انه « مستعد للقاء ياسر عرفات فى أى وقت وفى أى مكان » . ودعا جولدمان العرب الى بذل مزيد من الحزم تجاه الولايات المتحدة لحث هذه الدولة على « الضغط على اسرائيل » ونصح الفلسطينيين بالتخلى عن أى نشاط عسكرى وبتشكيل حكومة فى المنفى

: التقى وزير الخارجية الاسرائيلى اسحاق شامير بالرئيس ريجان فى واشنطن أعلن الرئيس الامريكى على اثره بان العالم لايمكنه ان يقبل وضعا يتصاعد فيه العنف على نحو مستمر فى لبنان . كان اللقاء لم يدم سوى ٢٠ دقيقة .

٣ : فى حديث اجرته الاذاعة الاسرائيلية حدد وزير الدفاع ارئيل شارون الاهداف الاساسية لحكومته فى حرب لبنان

١ ـ طرد الارهابيين من بيروت بأى وسيلة سياسية او عسكريه

٢ ـ ابعاد جميع القوات الارضية من لبنان فلسطينية سوريه وفى نهايه الأمر اسرائيليه

٣ ـ توقيع معاهده سلام بين اسرائيل ولبنان تنص على ضمانات لأمن اسرائيل فى جنوب لبنان . وقد كرر شارون معارضته لوصول قوه عزل فى بيروت قبل رحيل المقاتلين الفلسطينيين .

: طلبت منظمه التحرير اقامة قوه عزل فنيه بحتـه للبدء فى عمليه رحيل المقاتلين الفلسطينيين ٣٦ ساعه بعد وصول هذه القوه . يتم رحيل المقاتلين عن طريق البر بيروت دمشق تطالب المنظمه ايضا بالسماح لاعضاء المنظمه الذين تعاديهم دمشق باللجوء المؤقت الى لبنان الى ان يتم ترحيلهم الى دول عربية اخرى . على قوه العزل ضمان امن السكان المدنيين فى مخيمات اللاجئين .

: جرت اشتباكات بين القوات الفلسطينية المتمركزة وراء الخطوط السوريه فى غرب لبنان وبين دوريه من القوات اللبنانية التابعه للكتائب .

: شكلت « مجموعة لمراقبة بيروت » من مراقبى الأمم المتحده الملحقين باللجنة المشتركه للهدنه فى بيروت .

: قامت القوات الاسرائيلية بمحاولة للتقدم داخل قطاع اوزاى على شاطىء البحر اصبحت هذه القوات قادرة على الضغط العسكرى على محورين الاول جنوبى ـ شرقى فى اتجاه معسكر برج البراجنه والاخر جنوبى غربى فى اتجاه منطقة اوزاى

: اعلن متحدث وزارة الخارجية الامريكية ان حكومته تعارض اى هجوم على بيروت

: اقترح الأمين العام للأمم المتحده ان تكون المنظمه « المنتدى للمفاوضات » من اجل تسويه ازمه الشرق الاوسط .

: وجهت الحكومة المصريه تحذيرا الى اسرائيل من ان تقوم الأخيرة بغزو بيروت الغربية مؤكده بان مثل هذا العمل سوف يؤثر على العلاقات بين القاهرة وتل ابيب .

فى باريس قابل وزير الخارجية المصرى السيد كمال حسن على الرئيس الفرنسى فرانسو ميتران وسلمه رسالة من الرئيس حسنى مبارك تتعلق بالازمة اللبنانية .

: وصف الامين العام للأمم المتحدة رفض اسرائيل للمراقبين بانه « امر يؤسف له » وان هذا يعنى ان اسرائيل ترفض قرارا اعتمده مجلس الأمن .

٤ ـ طلب الرئيس ريجان فى رسالة موجهه الى مناحم بيجن ان تتراجع القوات الاسرائيلية الى المواقع التى كانت عليه فى اول اغسطس .

: اصدر الرئيس الامريكى ريجان بيانا حول الوضع فى لبنان يطلب فيه من منظمة التحرير الفلسطينية بعدم تأجيل دور إنسحابها من لبنان حتى يواصل « فيليب حبيب » مهمتـه . كما طالب من الحكومه الاسرائيلية مره اخرى باحترام قرار وقف اطلاق النار .

: بعث الأمين العام للأمم المتحدة برساله الى مناحم بيجين جاء فيها انه مستعد للقدوم فورا الى اسرائيل والى لبنان من اجل الاسهام فى تسويه سياسية بين جميع الاطراف المعنيه بالصراع . رد مناحم بيجين انه يرحب بمثل هذه الزيارة على شرط ان يمتنع الأمين العام عن مقابلة ياسر عرفات . اعلن متحدث عن الأمين العام بان « الموقف الاسرائيلى لم يقبل من الأمين العام الذى يرى من واجبه مقابلة ممثلى جميع الأطراف المعنيه بالصراع اللبنانى .

٥ ـ ٦ : عقد مجلس الامن اجتماعا بناء على طلب الاتحاد السوفيتي لدراسة بيان رفض اسرائيل الامتثال لقرارات المجلس . ادى الفيتو الامريكى الى تأجيل الاجتماع

٥ : اعلن وزير الخارجية المصرى : ان مصر ستحترم جميع التزاماتها التى نصت عليها اتفاقات السلام مع اسرائيل وان كانت « الصدمة » الناجمة عن الغزو الاسرائيلى للبنان سوف تؤدى الى تأجيل مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى الى اجل غير مسمى .

٦ : اعلنت نيكاراجوا قطع علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل بسبب العدوان الاسرائيلى على لبنان واتهمت اسرائيل بالقيام بحرب إبادة .

: بعث رئيس المجلس الاوروبى مارتينز ارجلو برقيه الى الكنيست يطلب فيها وضع حد لاراقه الدماء فى لبنان فورا .

٨ : قامت فى الكويت ولاول مرة مظاهرة ضمت ٣٠ الف شخصا احتجاجا على غزو لبنان وتطالب الولايات المتحدة باتخاذ عقوبات ضد اسرائيل .

: فى واشنطن قامت مئات من الفلسطينيين وغيرهم بمسيرة على تل الكابيتول احتجاجا على الغزو الاسرائيلى للبنان .

فى عمان صرح الملك حسين امام وفد برلمانى سوفيتى بان « جهود دولية يجب ان يشرع فيها على كافة المستويات لوضع حد للعدوان الاسرائيلى » .

: فى بون وصف رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى « جوهانس راو » سياسه بيجن بانها « غير مفهومه . . وغير مقبوله » .

٩ : تقدمت الدبابات الاسرائيلية على ثلاثه محاور ونزلت شمال خليج جونية .

١٠ : فشلت القوات الاسرائيلية بقياده الجنرال شارون فى التقدم نحو العاصمة بعد ان صدمتها القوات الفلسطينية وحلفاءها اللبنانيين . واصلت القوات الاسرائيلية عمليات قصف بيروت الغربية

: قبلت منظمة التحرير والحكومة اللبنانية والولايات المتحدة « خطه فيليب حبيب » الخاصه بـاجلاء القادة والمقاتلين الفلسطينيين من بيروت الغربية .

: اعلنت اليمن الجنوبيه واليمن الشماليه استعدادها لقبول عدد من المقاتلين الفلسطينيين .

وافقت اسرائيل على خطه ترحيل منظمه التحرير من بيروت

: اعلن متحدث عن المنظمة فى القاهره احمد صادق الدجانى ان الفلسطينيين « لن يرحلوا ابدا بالقوة من لبنان » .

: تتضمن خطة المبعوث الامريكى .

١ ـ يرحل الفلسطينيون حاملون اسلحه خفيفة ونصف ثقيلة من لبنان عن طريق البحر او الارض وخلال ١٥ يوما

٢ ـ تأتى أولى عناصر القوة المتعددة الجنسية فى المواقع بمجرد بدء عمليه الاجلاء

٣ ـ يرحل المقاتلون الفلسطينيون عن لبنان فى نفس الوقت الذى يرحل فيه الجنود السوريون المحاصرون فى بيروت الغربية

٤ ـ ينتشر الجيش اللبنانى فى بيروت الغربية فى اليوم التالى لرحيل الفدائيين .

: ابلغ الرئيس السودانى جعفر النميرى رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمه التحرير ان السودان مستعد لقبول ٦٠٠ مقاتل فلسطينى

: اعلنت العراق انها تعارض رحيل المقاومة من بيروت ولكنها لاترفض ايوائها على ارضها اذا طلبت ذلك .

: افصحت اسرائيل عن التعديلات التى تأمل فى ادخالها على خطه المبعوث الامريكى .

١ ـ ان يطلق سراح الاسير الاسرائيلى الذى تحتجزه المقاومه فى

بيروت وتسليم جثث ٩ جنود قتلوا على الخطوط الفلسطينيه
٢ ـ ان لايقر تفويض القوة متعددة الجنسيه اكثر من ٣٠ يوما
٣ ـ ان تكون وحدة لبنانية وليس وحده فرنسيه هى التى تنتشر فى بيروت فى اليوم الاول من رحيل الفلسطينيين

قامت القوات الاسرائيلية بقصف مخيم برج البراجنه حيث تقيم القوات الفلسطينية

: جاء فى صحيفه « هارتز » الاسرائيلية ان الحكومه الاسرائيليه قد رفضت ابلاغ الحكومة الامريكية عن « النتائج العسكريه لحرب لبنان » وذلك نتيجه للموقف المعادى الذى اتخذته الولايات المتحدة ازاء الدولة العبرية .

. تم الاتفاق الشامل بين اسرائيل وفيليب حبيب حول خطة السلام المقترح لبيروت .

: ازدادت الاشتبكات بالمدفعيه فى بيروت فى قطاع المتحف . تقدمت القوات الاسرائيلية على طريق « مزرعة » احدى الشرايين الرئيسية فى بيروت الغربية .

: عاد الرئيس مبارك من رحلته الى سلطنه عمان والسودان دامت ٣ ايام

: اتهمت الاذاعة المصرية المخابرات الاسرائيلية بانها قامت بحادث المطعم اليهودى فى باريس شارع دى روزييه وذلك بهدف التأثير على الرأى العام الفرنسى والحكومة الفرنسية بعد الادانات العنيفة للعدوان الاسرائيلى على لبنان .

١٣ : اعرب الرئيس ريجان عن « تفاءله المعقول » فى التوصل الى تسويه للمشكلة اللبنانية .

: طلب ياسر عرفات من الأمين العام للامم المتحدة بارسال مراقبين فورا الى بيروت وباتخاذ كافة الاجراءات من اجل تطبيق القرار رقم ٥٠٧ لمجلس الامن الخاص بانسحاب اسرائيل حتى مواقع اول اغسطس ١٩٨٢ .

: قامت فى القاهرة مظاهره تضامن مع الفلسطينيين اشترك فيها العديد من الطلبه والشباب بمناسبه « صلاه الغائب » فى مسجد الازهر الشريف .

١٥ : صرح ياسر عرفات ان تشتيت الفلسطينيين ليس بالشىء الجديد وان معركه بيروت كان نصرا « اننا اصغر قوة عربية ولكننا قاتلنا وصمدنا امام اكبر قوة اسرائيلية ـ امريكية قوة اطول من جميع الحروب العربية الاسرئيلية الماضية .

· اتجهت قوة بحرية امريكية حاملة ٨٠٠ جنديا الى السواحل اللبنانية قادمة من نابولى .

١٦ : واصلت جمعية الامم المتحدة اعمال دورتها الخاصة بفلسطين وطلبت اسرائيل من القوات السوريه المتواجده فى بيروت بان لاتتوقف فى وادى البقاع بعد رحيلها من العاصمة مع قوا « منظمة التحرير الفلسطينية وان تلحق سوريا مباشرة .

: توجهت لجنه من المكتب السياسى لحزب الكتائب الى دمشق للتحادث مع المسئولين السوريين حول الوضع فى بيروت والانتخابات الرئاسية المقبلة فى لبنان التى ستجرى فى يوم ١٩ اغسطس ومسألة انسحاب الجنود السوريين من بيروت الغربية . وقد طلب رئيس البرلمان اللبنانى من فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية بارسال مراقبين الى بيروت لحضور انتخاب الرئيس الجديد .

١٧ صرح ممثل اسرائيل فى الأمم المتحدة جهودا بهودا بلوم اسرائيل لاتريد البقاء فى لبنان ولكن من حقها المطالبة باتخاذ اجراءات مناسبة لمنع الارض اللبنانية ان تصبح من جديد المعبر لانشطه الارهابين » ترك العديد من الممثلين العرب ودول عدم الانحياز القاعه عندما تكلم المندوب الاسرائيلى . الذى رفض مسبقا اى قرار يمكن ان تسفر عنه الدوره غير العادية والعاجلة للجمعية العامة بصفة دائمة مما يشكل انتهاكا صريحا للقواعد الاجرائية للامم المتحدة . واكد « بلوم » ايضا ان اسرائيل « ترغب فى التعايش مع العرب الفلسطينيين فى سلام واحترام متبادل وكرامة وبادى بتعاونهم فى تطبيق اتفاقية كامب دافيد وحذر من اجراء اى تعديل فى القرار رقم ٢٤٢ الذى يحدد المبادىء التى تقوم عليها تسويه لمشكله الشرق الاوسط

: اعتمد مجلس الامن بـ ١٣ صوت ضد ٢ امتنعت عن التصويت (الاتحاد السوفيتى وبولنده) قرارا بمد تفويض قوات الامم المتحدة لمده شهرين . ينتهى التفويض فى ١٩ اغسطس ١٩٨٢ تضم هذه القوه ٦,٩٧٥ ضابطا وجنديا . من فرنسا وهولنده ونيجيريا وفيدجى وارلنده والنرويج .

١٨ : عقدت الحكومة اللبنانية اجتماعا .

● فى نيقوسيا انتهت لجنه التقصى الدولية حول جرائم الاسرائيليين ضد الشعبين اللبنانى والفلسطينى من اجتماعها بنداء موجه الى اسرائيل يطلب بسحب قواتها دون شروط من لبنان . واتهمت اللجنة اسرائيل بشن حرب اباده ضد اللبنانيين والفلسطينيين وطالبت بوقف هذه الحرب الوطنية .

: سلم عبد الحليم خدام نائب الرئيس السورى رساله الى الملك فهد فى طائف حول « الوضع العربى الراهن والجهود العربية من اجل عقد مؤتمر قمه عربى واعتماد خطة عمل عربية مشتركة لمواجهه التحديات التى تواجهها حاليا الامة العربية وخاصة الخطر الناجم عن الغزو الاسرائيلى للبنان »

فرنسا ترسل مراقبا الى لبنان . بريطانيا ترسل ثلاث برلمانيين ليحضروا انتخابات الرئاسه فى لبنان

: اعترضت سوريا رسميا على المرشح اللبنانى الوحيد لانتخابات الرئاسه بشير جميل ووصفته بانه « مرشح الاحتلال الاسرائيلى » .

قرر رئيس مجلس النواب اللبنانى تأجيل الانتخابات الى يوم الاثنين ٢٣ اغسطس نظرا لافتقاد الأمن فى لبنان سيجرى الاقتراع داخل المدرسة العسكرية على بعد ٧ كم شرق بيروت .

١٩ : وافقت الحكومه الاسرائيليه على خطه رحيل الفلسطينيين من بيروت الغربية

● طلبت الحكومة اللبنانية رسميا من الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا ارسال وحدات لها لتشكل القوة المتعددة الجنسية . عملية اجلاء المقاتلين الفلسطينيين ستدوم ١٥ يوما وفقا لجدول توقيت دقيق . مهمه القوه ستدوم ٣٠ يوما ويمكن تجديدها بناء على طلب الحكومة اللبنانية .

٢٠ : سلمت المقاومة الفلسطينية الاسرى الاسرائيليين المحتجزين وكذا جثث الجنود التسعه .

وتلقت الحكومة الاردنية كشفا باسماء ٢٠٠ مقاتل المجموعة الاولى التى ستتوجه الى الاردن وهم ينتمون الى جيش تحرير فلسطين المتمركز فى عمان .

· انتشرت القوات اللبنانية فى منطقة ميناء بيروت بعد انسحاب القوات الفلسطينية .

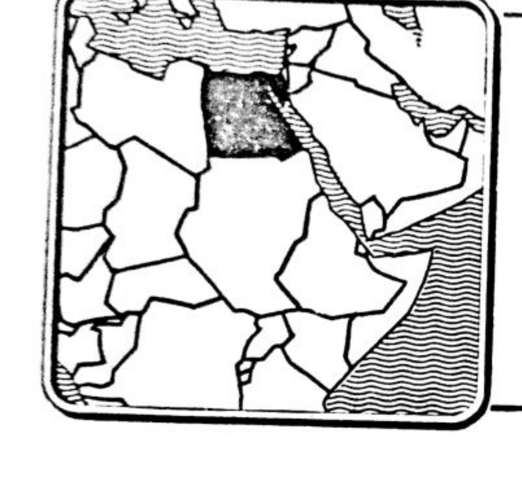
٢١ : اخذت اولى العناصر الفرنسية التابعة للقوة المتعددة الجنسية مواقعها فى مطار بيروت فى وجود القوات الاسرائيلية التى لم تكن تنسحب كما تقرر . حلت القوات الفرنسية محل القوات الاسرائيلية

٢٢ رحيل جميع الافواج الفلسطينية المتوجهه الى الاردن والى العراق على الميناء . وتجميع الراحلين الى تونس

٢٣ : تم انتخاب بشير جميل رئيسا للبنان باغلبية ٥٧ من مجموع ٦٢ من النواب الحاضرين . القى الرئيس الجديد كلمة جاء انه « يمد يده لكل لبنانى وعربى صادق . ويجب طوى الصفحة وتعدى الحساسيات الماضية والعمل معا ونتحد ونضمد جراحنا . ان بلادنا قد تعذبت كثيرا وعلينا الآن الارتكاز على الشرعية »

. رحل الف مقاتل فلسطيني من بيروت متجهين الى تونس على سفينه قبرصيه حاملين معهم ٢١ سياره
: هاجمت ليبيا الانظمة العربية ودعت الجماهير العربية الى الثوره لقلب هذه الانظمة والى التعهد بمواصلة النضال ضد العدو الصهيوني .
: كتبت وكاله « تاس » السوفيتية بان اسرائيل لم تحقق اى من اهدافها فى لبنان .
٢٤ : استقبلت تونس المقاتلين الفلسطينيين .
: اعلن متحدث عن القوات الاسرائيلية ان جلاء القوات الفلسطينية الذى كان قد تقرر فى الفجر عن طريق البحر متجهين الى سوريا قد الغى من قبل الحكومة السوريه .
: عادت الاشتبكات بالمدفعية الثقيلة بين القوات الاسرائيليه والقوات السوريه فى منطقه الجبل .
: عرض المبعوث الامريكى فيليب حبيب على الرئيس اللبنانى الياس ساركيس نتائج اتصالاته الخاصة بانسحاب القوات الاسرائيلية من طريق بيروت دمشق .
: تم اطلاق سراح عدد من الاسرى الفلسطينيين المحتجزين منذ نهايه يونيو فى معسكر انصار جنوب لبنان)
: وصل الى بيروت ١٦ ضابطا امريكيا على متن ٤ هليكوبترات الى ميناء بيروت تفيد مصادر اسرائيلية عن وجود ٦,٠٠٠ مقاتل وراء الخطوط السوريه فى جرادى البقاع وفى شمال لبنان .
: التقى فيليب حبيب بالجنرال شارون . اعلن ان عمليه الاجلاء قد تتم فى ٢ سبتمبر بدلا من ٤كما اعرب عن امله فى ان تنتشر قوات القوة المتعددة الجنسية على طريق بيروت دمشق ابدى الجنرال شارون عن قلقه ازاء انتهاكات وقف اطلاق النار المتوالية فى وادى البقاع
: وجه الرئيس ريجان رساله الى الكونجرس الامريكى مؤكدا ان المشاركه الامريكية فى القوة المتعددة الجنسية يجب ان تعزز اهداف الولايات المتحدة فى لبنان . وان التقدم الذى حدث فى المشكلة اللبنانية يجب ان يؤدى الى خلق مناخ كفيل باقرار سلام شامل فى المنطقه وفقا لقرارات ٢٤٢ و ٣٣٨ لمجلس الامن
٢٥ : فى مقال نشر بالواشنطن بوست صرح اسحق شامير ان الوقت قد حان لمواصلة التفاوض حول الحكم الذاتى للفلسطينيين فى المناطق المحتلة والتوصل الى نتيجة سريعة وايجابية
٢٦ : رحل الف مقاتل فلسطينى على سيارات سوريه . يشمل الفوج جنود من جيش التحرير لفلسطين التابع للقيادة العسكرية السوريه وجنود سوريين تابعين لقوة الردع العربية .
: وجه المبعوث الامريكى فيليب حبيب رسالة الى ياسر عرفات تضمنت الجهود المبذولة من اجل تحقيق خطه سلام لبيروت . وهذه اول رسالة يوجهها مسئول امريكى الى زعيم منظمة التحرير الفلسطينيه .
: فى القدس ذكر الجنرال شارون امكانية اقامة محور للسلام بين القدس ـ القاهرة ـ بيروت
: اكدت مصر على الصعيد الدبلوماسى ان الانسحاب الاسرائيلى من لبنان هو احد الشروط التى تطرحها مصر لمواصلة المفاوضات حول الحكم الذاتى الفلسطينى .
: « فى نيامى » حيث عقد اجتماع لوزراء خارجية المؤتمر الاسلامى ادان الاجتماع الولايات المتحده لموقفها العدوانى ضد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى » .
: فى القدس اعطت الحكومة الاسرائيلية النور الاخضر لتسليم ثمانية آلاف خيمه الى اللاجئين الفلسطينيين عن طريق وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين وذلك فى جنوب لبنان .
٢٧ : مواصله عمليه اجلاء بيروت الغربيه . رحل فوج من الجيش السورى التابع لقوه الردع العربية للانتشار فى وادى البقاع .
: استقبل الرئيس بشير جميل ماريو شوارش .
٢٨ : استعرض ياسر عرفات المقاتلين الراحلين الى سوريا وصرح لهم ان « اعاده انتشار القوات الفلسطينية فى العالم العربى سيكون عاملا منشطا جديدا لمواصلة الكفاح من اجل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى » .
: فى وثيقه نشرتها صحيفة « فرنس سوار » دافع مناحم بيجن عن « مبدأ الحرب الوقائية » .
: اصبح فى هذا اليوم عدد المقاتلين الفلسطينيين الذين رحلوا عن بيروت ٦,٥٠٠ مقاتل .
٢٩ : توفى ناحوم جولدمان فى منزله بمقاطعة « بافييز » بالمانيا الغربية .
٣٠ : يواصل مؤتمر وزارة الخارجية العرب فى مدينه « المحمديه » بالمغرب اعمالهم للاعداد لعقد مؤتمر قمه عربية فى فاس وذلك فى ٦ سبتمبر .
: رحل الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات من بيروت بعد ان ودع زعماء الحركة الوطنية اللبنانية .





مصر والتعاون الفنى بين الدول النامية

أحمد طه محمد

كان من المعروف أن المعونة الفنية مقصورة على نقل المهارات والخبرات الفنية من الشمال إلى الجنوب أى من الدول المتقدمة إلى الدول النامية . ولكن تطور هذا المفهوم اليوم ، بحيث أصبحت هذه المعونة تشمل كذلك نقل المهارات والخبرات الفنية بين الدول النامية ذاتها فى أطار ما يمكن تسميته بالتعاون الفنى بين الدول النامية أو بين الجنوب والجنوب South–South Technical Cooperation .

والواقع أن التعاون بين الجنوب والجنوب قد أضحى من الأهمية بمكان فى إطار العالم الثالث . حتى لقد ذهب البعض إلى أن تدعيم هذا التعاون يعتبر بديلا ضروريا لفشل حوار الشمال والجنوب ، ولكن الاتجاه السائد هو أن تعاون الجنوب والجنوب ليس بديلا للتعاون بين الشمال والجنوب ، وإنما يعتبر النوعان من التعاون متكاملين وأن كان من الضرورى التوسع فى زيادة وتكثيف التعاون بين الجنوب والجنوب تحقيقا لصالح العالم الثالث .

وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا فى دورتها الخامسة والثلاثين (٥ ديسمبر عام ١٩٨٠) أعتبر التعاون الفنى بين الدول النامية عنصرا هاما فى تحقيق الأستراتيجية للتنمية للحقبة الثالثة التى قررتها الأمم المتحدة للتنمية ، وعنصرا هاما فى الوقت نفسه فى تحقيق النظام الأقتصادى الدولى الجديد .

ولا شك أن الدور الذى يقوم به التعاون الفنى والاقتصادى بين البلدان النامية من أجل تحقيق النظام الاقتصادى الدولى الجديد قد جاء نتيجة لأنشطة عالميه متعددة من أهمهاأنعقاد مؤتمر الأمم المتحدة حول التعاون الفنى بين البلدان النامية وخطة عمل بيونس أيرس التى أقرها هذا المؤتمر .

غير أن الملاحظ أن ثمه عدم توازن فى الموقف العالمى الخاص بتوافر الموارد الأنسانية لتطبيق العلم والتكنولوجيا ، فدول العالم الثالث ، رغم ما أحرزته من تقدم سريع ، إلا أنها متخلفة عن الدول الصناعية من حيث توافر عدد العلماء والمهندسين والفنيين وعدد الخريجين فى هذه المهن ، ومن الناحية الأحصائية نجد انه فى الدول الصناعية يتوافر عدد من ١٠٠ إلى ٣٠٠ من العلماء والمهندسين والمهنيين من كل عشرة آلاف من

السكان . على حين أنه فى البلدان النامية فإن هناك أقل من عشرة كذلك يتوافر فى الدول الصناعية عشرون أو أكثر من الخريجين من المستوى الجامعى فى مجال العلم والتكنولوجيا فى كل مائة ألف من السكان . على حين أنه يتوافر فقط واحد أو أثنين فى العالم الثالث بل أن الموقف يزداد تعقيدا فى مجال العلم والتكنولوجيا إذا عرفنا أن البلدان النامية تعانى من نقص القوى العاملة الماهرة كالمهندسين والفنيين ومن هجرة الأيدى العاملة المؤهلة .

ورغم ذلك ، فإن الدول النامية فى أية منطقة من مناطق العالم ، وبصرف النظر عن أحتياجها هى نفسها إلى الأفادة من برامج التعاون الفنى مع الدول المتقدمة ، إلا أن بعضها هى ذاتها قد حقق ميزات فى قطاعات معينة ، كما أن بعضها تتوافر لديه أمكانيات خاصة تهىء لديه الفرصة لتصدير أنسب الخبرات الفنية لمجموعة البلدان النامية الأخرى ، خاصة فى إطار المنطقة الجغرافية التى تتواجد فيها الدولة المصدرة للخبرات الفنية .

تنقل وهجرة الخبرات الفنية :

ويمكن القول بأن انتقال القوى العاملة الماهرة بين الدول النامية لم يكن ذا أهمية فى الماضى وكان يقترن بصفة أساسية ببرامج الأمم المتحدة للمعونة الفنية التى تنقل خبراء تابعين لدول نامية إلى دول نامية أخرى ، ولكن الأمر أختلف فى السنوات الأخيرة ، حيث أضحى هذا الأنتقال ذا مدلول جديد سواء من حيث الكم أم من حيث ما أسفر عنه من أشكال جديدة تميزه عن نمط الهجرة المعتاد الذى يفد فيه الخبراء من دولة نامية إلى دولة متقدمة إلى النمط الجديد - فيما بين الدول النامية بعضها البعض .

و الأشكال الجديدة يمكن توضيحها فيما يلى : -

١ - أن التنقل بين الدول النامية يميل بطريقة أو بأخرى لأن يكون لمدد محددة مع توقعات أكبر لعودة المهاجرين المحتملة لبلادهم الأصلية وذلك فى حين أن الهجرة للدول المتقدمة هى هجرة دائمة .

٢ - أن تكوين الخبرات فى الحالتين يبدو مختلفا أختلافا كبيرا ، مع وضوح التركز بالنسبة للمهاجرين للدول المتقدمة على المهنيين من ذوى الخبرات العالية ، فى حين أن المهاجرين إلى الدول النامية يتراوحون بين ذوى الخبرات العالية أو أنصاف الخبرات أو حتى القوى العاملة العادية .

٣ - أن المناصب والأدوار التى يقوم بها المهنيون الذين ينتقلون من دولة نامية إلى أخرى نامية تختلف أختلافا كبيرا عن تلك المناصب والأدوار التى يتولاها المهنيون من ذوى الخبرات العالية فى الدول المتقدمة .

... أن ثمة حركة كبيرة فى أنتقال الخبراء من دولة نامية إلى أخرى نامية ، تزيد عن تلك التى تلاحظ فى ... الخبراء من الدول النامية إلى الدول المتقدمة ... فهم يفتحون المجال نحو أمكانيات أكبر لتحقيق ... شامل منتظم بين الدول النامية فيما بينها .

والواقع أن هناك عددا كبيرا من مواطنى الدول النامية الذين تتوافر لديهم المهارات والخبرات فى جميع الميادين ، لا يمكنون فى العمل فى بلادهم لأسباب سياسية ، كاللاجئين وغيرهم ، أو لأسباب تتعلق بميادين ومجالات أعمالهم ، كعدم توافر هذه المجالات أو عدم كفاية الهياكل الأساسية ، ومع ذلك إذا أتيحت لهم الفرص للمشاركة فى جهود التنمية فى البلاد النامية ، فإن كثيرا منهم يمكنهم الأهتمام بتحقيق التعاون الفنى ، كما أن أشتراكهم وتشجيعهم لأنشطة هذا التعاون فيما بين البلاد النامية من شأنه أن يؤدى إلى التخفيف من ظاهرة (نزوح أو هجرة الأدمغة) من العالم الثالث .

وقد أبرزت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارها رقم ٣٣٦٢ (الدوره ٧) أنه لما كان تسرب القوى العاملة الماهرة من الدول المتقدمة إلى الدول النامية يعرقل تنمية الدول المتقدمة ، فأن هناك حاجة ماسة لرسم السياسات الوطنية والدولية لمنع « هجرة الأدمغة » وتجنب آثارها ، وقد حدث تقدم كبير فى التعرف على طبيعة هذه المشكلة ووضع الأساس للاجراءات اللازم أتخاذها فى هذا الشأن فى ضوء القرار رقم ١٠٢ الذى أصدره الأنكتاد حول شئون التنمية الخاصة بنقل التكنولوجيا ، وفى هذا القرار أبرز أنه لكى يتم التوصل إلى فهم متوازن لذلك فإن هناك حاجة لدراسة خبرات البلدان من مختلف المناطق الجغرافية ولوضع تصور شامل لأعادة نقل التكنولوجيا ، وأن خطوة العمل التالية ينبغى أن تتجه نحو صياغة خطة عمل وأستراتيجية شاملة لتنفيذها ، بما فى ذلك على وجه الخصوص تبادل الخبرات والمهارات التعاونى بين الدول النامية .

أتفاقات وعمليات التعاون الفنى

ويتخلص الهدف الرئيسى للتعاون الفنى بين الدول النامية فى أعتماد هذه الدول على نفسها فى تنفيذ مشروعات التنمية بها ، بحيث تقدم الدولة النامية التى تتوافر فيها الخبرات الفنية المساعدة إلى الدول النامية الأخرى ، وأصطلاح التعاون الفنى Technical Cooperation أوقع وأصلح من تعبير المعونة الفنية Technical Assistance حيث أن التعبير الأخير يتضمن حساسية مؤداها ما ينطوى عليه من معنى المن

والعطاء للمحتاج ، فى الوقت الذى يعبر فيه الاصطلاح الأول عن علاقة دولية تنطوى على التقدير والاحترام المتبادل ، كما أن الدولة المستفيدة توافق فى إطاره على استقبال الخبرات الفنية المقدمة وتقدم لها التسهيلات اللازمة التى يتم الأتفاق عليها بين الطرفين .

لذلك تعقد فى هذا الصدد اتفاقات تعاون فنى تحدد اطار هذا التعاون والاتزامات التى ترتبط بها الأطراف المتعاقدة ، ويشمل التعاون الفنى واتفاقاته مختلف مجالات مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وقد تتضمن تمويل دراسات الجدوى للمشروعات أو تقديم المعدات والأجهزة اللازمة للمشروعات أو إيفاد الخبراء المتخصصين أو تنظيم التدريب اللازم للقوى العاملة الفنية للدول المستفيدة . وقد يكون التعاون الفنى تعاونا شاملا وقد يكون محددا بإحدى الوسائل المتاحة أو بعضها ، مما يسهم فى تحقيق نقل الخبرات الفنية والتكنولوجيا من دولة إلى أخرى

على ان نقل التكنولوجيا الشاملة انما يتضمن أمداد المعدات التى تتراوح من الآلات البسيطة إلى جميع الآلات والمعدات اللازمة للمشروع ، ويتم امداد المعدات مع الخبرة التى يمكن أن تتخذ أشكالا متعددة كالبيانات الفنية وإيفاد الخبراء واستقبال المتدربين ، ويتوقف عدد ومستوى الخبرة على نوعية التكنولوجيا المطلوبة وحجم السوق المتوافر ومصلحة الدولة المانحة فى الدولة أو المنطقة المستفيدة ، ويعتبر هذا هو الشكل السائد بالنسبة لنقل التكنولوجيا فى العالم بصرف النظر عما إذا كانت الدولة متقدمة كانت أم نامية .

والملاحظ أن الخبراء الفنيين الذين يتضمنهم هذا النظام الشامل للمعدات يستطيعون فى كثير من الحالات أن يحلوا فى الدول المستفيدة المشكلات التى يسببها نقص العمالة الماهرة المحلية ، كما أن هؤلاء الخبراء يقدمون الخبرة الازمة للدولة المستفيدة ما دامت لاتشملها براءات أختراع أو أسرار مهنية

والواقع أن التعاون الفنى الذى يعتمد على القوى البشرية الخبيرة يعتبر من أهم صور هذا التعاون خاصة بالنسبة لايفاد الخبراء المتخصصين من دولة لأخرى ، وتتضمن أتفاقات التعاون الفنى فى العادة إيفاد الخبراء فى مجالات معينة ولفترة معينة ، وفى هذه الحالة فان على الدولة النامية أن تحدد أو أن تشترك فى تحديد وصف العمل الخاص بالخبير الموفد ، بدون أن تتمكن فى بعض الأحيان من الأختيار بين عدة مرشحين ، وفى حالة المعونة الفنية الجماعية فإن الدولة النامية المعنية تستطيع أن تحدد أو أن تشترك فى وضع وصف عمل الخبير كما انها تستطيع أن تختار من بين مجموعة من المرشحين

ويمكن تلخيص الخطوط الرئيسية لعملية التعاون الفنى بين الدول النامية فيما يلى -

- ان تتضمن انشطة او مشروعات التعاون الفنى المشاركة او التبادل الاختيارى للموارد والمهارات والخبرات والقدرات بين دولتين او اكثر من الدول النامية وذلك لصالح التنمية الفردية او المتبادلة

- ان يكون التعاون الفنى بين البلدان النامية مبنيا على المبادرة ومنظما ومعقودا اساسا بمعرفة هذه الدول ذاتها ، ومؤدى ذلك أن تقوم حكومات البلدان النامية بالمبادرة والمسئولية اللازمة لهذه العملية ، كذلك يتطلب التعاون الفنى بين هذه البلدان مساهمة المؤسسات الوطنية العامة فى إطار السياسات الموضوعة بمعرفة حكومات هذه البلدان او بمعرفة الأفراد والمؤسسات الخاصة فيها

- أنه يجب أن يكون تمويل مشروعات التعاون بالخبرات والخدمات الأستشارية وتقديم التسهيلات التدريبية والمعدات الخاصة بأنشطة التعاون الفنى نابعا أساسا من مسئولية البلدان النامية نفسها وأن تكون المساعدات التى تقدمها الدول الأخرى مجرد مساهمة تكميلية

- أن يشمل التعاون الفنى بين البلدان النامية جميع قطاعات وأنواع أنشطة التعاون الفنى للبلدان النامية ، ويمكن أن يكون هذا التعاون ثنائيا كما يمكن أن يكون مختلطا ، وينبغى أن يتضمن المبادرات والوسائل والطرق الفنية التى تناسب على وجه الخصوص الاحتياجات المحلية والأشكال القائمة للتعاون الفنى التى تجعل منه تعاونا مفيدا ومثمرا

كما يمكن من الناحية الأخرى تحديد الأدوار والعناصر الرئيسية للتعاون الفنى بين البلدان النامية فيما يلى -

الدور التشجيعى ، الذى يتركز حول تعيين أمكانيات التعاون الفنى فيما بين البلدان النامية من حيث الجمع بين الأطراف ، وتنظيم التدريب فى ميدان هذا التعاون ، وجمع المعلومات وإعدادها ونشرها ، ودعم المشروعات التى تؤدى إلى التعاون الفنى فيما بين البلدان النامية

الدور التنفيذى ، الذى يعنى بتصميم مشروعات التعاون الفنى بين البلدان النامية والمساعدة فى تنفيذ هذه المشروعات والمشاركة فيها ، وتقوية المؤسسات الأقليمية التى تستخدم لأغراض التعاون الفنى بين البلدان النامية

الدور التمويلى ، الذى يختص بالتمويل الجزئى من الموارد المتاحة ، وكذلك تعبئة الموارد الخارجية واتخاذ الترتيبات المالية الأخرى لمشروعات وأنشطة التعاون الفنى فيما بين البلدان النامية

مشكلات نقل الخبرات الفنية :

ويحقق التعاون الفنى بين البلدان النامية ميزات لاتتوافر بنفس الدرجة فى المعونات الفنية التى تقدم من الدول المتقدمة الى الدول النامية ، خاصة بالنسبة لنقل الخبرات حيث يهيىء امكانية حصول الدول النامية على الخبراء المناسبين لنوعيات مجتمعاتها القادرين على تفهم مشكلاتها مما ييسر تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيها

وأساس ذلك هو تشابه ظروف ومشكلات التنمية فى البلدان النامية ، كما أن هذه البلدان ترتبط فيما بينها بمصالح وأهداف مشتركة ، لا تشوبها الحساسيات ، فضلا عن أن نقل الخبرات الفنية والتكنولوجيا من الدول المتقدمة الى البلدان النامية تعترضه الصعوبات الخاصة باختلاف متطلبات التنمية فى هذه البلدان عنها فى الدول المتقدمة .

والملاحظ أن من أبرز مشكلات نقل الخبرات الفنية والتكنولوجيا من دولة لأخرى على وجه العموم مشكلة ارتباط الخبرة الفنية بالثقافة والظروف الاجتماعية السائدة فى الدولة المستقبلة للخبراء ، ونادرا ما يوجد من الخبراء الفنيين من يكون فى الوقت نفسه من رجال الاجتماع ، فالمتوافر هو الخبير الفنى أو الخبير الاجتماعى كل على حده ، وقليل من استطاع الجمع بين الناحيتين الفنية والاجتماعية ، وهذه المشكلة تظهر حتى فى الولايات المتحدة واوربا الغربية حيث تشترك الثقافات فيهما من حيث الأصل .

ويذهب البعض الى هذه المشكلة تظهر بوضوح فى حالة الدول النامية . فالخبير الذى اكتسب خبرته فى ألمانيا أو فى هولندا قد يجد من الصعب عليه العمل فى ظروف التعيين يتم فيها عن طريق الصداقة والمتعلمون لايرغبون فى استخدام أراضيهم ، ولن يسهل عليه هذا الأمر أن بلاده هو ذاته كانت تسودها مثل هذه الظروف منذ قريب من الزمان .

ويقولون إن الخبير القادم من الدول المتقدمة يحضر للعمل فى الدول النامية بالكفاءة اللازمة التى تعنى بالنسبة له استخدام أقل الموارد للحصول على أقصى الفوائد وقد يجد من الصعب عليه تحقيق ذلك بل ومن الصعب عليه التأقلم فى ظروف العمل فى الدول النامية . وقد يقرر أن يتمشى مع المثل القائل بانه مادام فى روما فعليه أن يعمل كما يعمل الرومان . ونتيجة ذلك أن يصبح أداء مكلفة يقوم بعمل يستطيع واحد من أهالى هذه البلدان القيام به بطريقة أفضل وبتكلفة أقل

وقد ترتب على ذلك البحث عن الوسائل التى يمكن بها نقل التكنولوجيا والخبرات دون استخدام الخبراء من الأفراد . ومن الوسائل المبتكرة فى هذا الصدد الطريقة اليابانية التى من مقتضاها توجيه الدول النامية لتعليم كل شىء من الآخرين ومحاولة التقليد بكل جهد مستطاع . كذلك اتبعت الدول المستعمرة وسائل ليس لنقل التكنولوجيا وحدها بل الثقافة كلها للدول التى استعمرتها ومواءمة هذه الثقافة مع ظروف مجتمعاتها . كما تسير الآن على هذا المنوال الشركات والمؤسسات المختلطة الكبيرة

كذلك يثير بعض الباحثين أن أية دولة من الدول النامية اذا ما أدخلت فيها صناعة لأول مرة أو أقيم فيها مصنع جديد ، فلابد أن يكون هناك من يختار النواحى الفنية الخاصة بهذه الصناعة أو هذا المصنع . كتصميم الانتاج أو درجة الآلية أو نظام الادارة أو غير ذلك . وهذا الاختيار يقوم به فى العادة المهندسون والاقتصاديون

ويقولون انه حتى لو كان المهندس أو الاقتصادى من احدى الدول النامية ، فان من المحتمل أن يكون قد تلقى تدريبه فى الخارج أو على أيدى أساتذة تدربوا فى الخارج ، ومن هنا يكون اختياره سواء عن ادراك أو عدم ادراك ـ متأثرا بالأسس والعناصر التى قد تكون مناسبة لدولة متقدمة صناعيا أكثر من مناسبتها لدولة نامية ، وقد يكون الشك فى هذا الاحتمال قائما على أى حال

ولكن الواقع أن الخبير من الدول النامية الذى تلقى تدريبه على هذا الوضع يستطيع أن يكيف ما حصل عليه من مهارات وخبرات حسب ظروف ومتطلبات التنمية فى بلاده أو فى البلاد النامية الأخرى المشابهة لها ، وهو فى ذلك يختلف عن الخبير المنتمى أصلا الى الدول المتقدمة والذى اكتسب ثقافتها منذ الصغر وتعود على ظروف وأساليب الحياة الراقية فيها .

حركة التعاون الفنى فى العالم الثالث :

والملاحظ أن نشاط حركة التعاون الفنى فيما بين البلدان النامية فى العالم الثالث يتزايد فى السنوات الأخيرة ، سواء فى الاطار الاقليمى على مستوى القارات ، فى أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية أم فى اطار المناطق الجغرافية المتقاربة داخل كل قارة . أم فيما بين القارات بعضها البعض

وفى دراسة لمنظمة الصحة العالمية عن انتقال

الأطباء . أوضحت أن ٣٤١٨ طبيبا من الدول النامية يعملون فى الدول النامية الأخرى . منهم ٩٤٪ من اسيا و٣٧٪ من افريقيا و٩٪ من امريكا اللاتينية كما اوضحت هذه الدراسة أن هذا النوع من الانتقال تحقق أغلبه داخل نفس المنطقة . على انه بالنسبة لهجرة الأطباء فى أمريكا اللاتينيه فان حوالى ٩٦٪ تمركزوا فى نفس القارة . اما فيما يتعلق بقارة أسيا فان نسبة ٩٠٪ كانت هجرة عبر المناطق وليست مركزة فى نفس القارة . والباقى كانت هجرة اقليميه موجهة الى افريقيا (٣٩٪) مع نسبة ١٪ فقط موجهة نحو أمريكا اللاتينيه . أما عن القارة الافريقية فالوضع فيها مختلف تماما حيث لوحظ انه من العدد الكلى للأطباء الذين هاجروا الى دول نامية أخرى . فان أكثر من ٩٠٪ توجهوا الى أسيا . وأن أغلب الهجرة كانت من الدول العربية فى أفريقيا الى الدول العربية الأخرى فى المنطقة الأسيوية .

كما تعرضت دراسة منظمة الصحة العالمية لمدى اعتماد بعض المناطق على مجموعة معينة من الخبراء من الدول النامية الأخرى . وعلى سبيل المثال ففى حالة غرب اسيا بلغت نسبة هجرة الأطباء ٩٥٪ من مجموع الأطباء فى المنطقة . ومن هذا المجموع فان ٧١٪ كانو أطباء من دول أخرى . هذا فى حين أنه فى حالة القارة الافريقية فان نسبة الأطباء الأجانب بلغت ٨٥٪ من مجموع الأطباء فى المنطقة ومن هذه النسبة أكثر من ٤٧٪ كانوا أصلا من أبناء الدول النامية .

ويمكن القول بأن الطلب على المهنيين والخبراء قد زاد بسرعه فيما بين الدول النامية . وبينما حركة الخبراء والمهنيين القادمين من امريكا اللاتينيه كانت نحو فنزويلا . فان حركة الخبراء والمهنين العراقيين والباكستانيين تتجه الى ايران . كذلك فان الملاحظ بالنسبة لامريكا اللاتينيه مثلا ان تنقل الخبراء من دول القارة يتزايد بنسب كبيرة .

ومن امثلة نشاط حركة التعاون الفنى بين قارات العالم الثالث . أن الهند تقوم بتنفيذ أكثر من ٤٠ مشروعا مشتركا مع ثمانية بلاد افريقية هى كينيا ونيجيريا وموريشيوس وبتسوانا وليبيريا وليبيا وأوغندا وزامبيا . وتتضمن هذه المشروعات اقامة مسابك الحديد ومعامل الدلفنه ومصانع الأسلاك فضلا عن صناعة شفرات الحلاقه ومصانع الحبر والتامين . وفى سبتمبر ١٩٨١ وقعت الهند اتفاقا مع زامبيا بمقتضاه تقوم الهند بمساعدة بتسوانا فى مشروع شامل لتنمية الصناعات الصغيرة وفى اختيار وتدريب موظفى التنمية الصناعية . كما تقوم الهند عن طريق منظمة تنمية الصناعات الصغيرة الهندية باعداد دراسات جدوى مفصلة لبعض الصناعات التى تنفذ فى بتسوانا كصناعة الصابون والاحذية والغاز الحيوى وادوات الزراعة البسيطة وقطع غيار الدراجات ولوازم المسابك لصناعات التعدين . وعقدت الهند اتفاقا مماثلا مع زامبيا . بمقتضاه تقوم الهند بتدريب الزامبيين على مختلف جوانب الصناعات الصغيرة فى الهند وعلى اقامة منطقة صناعية ومعهد للتدريب الصناعى لتدريب الصناع والحرفيين فى زامبيا

وتقوم جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بايفاد ١٠٥ خبيرا الى تنزانيا لتطوير الرى فى ١٤٤٠٠ هكتارا فى مختلف أنحاء البلاد . فضلا عن تصميم محطات طاقة كهربائية صغيرة والعمل فى مشروعات انتاج الذرة وزراعة بساتين الخضروات . وتقوم تنزانيا بتحمل نفقات الغذاء والسكن والنقل للخبراء الكوريين

وقد لوحظ بالنسبة لسريلانكا . أن أكثر من ٣٥ من الأطباء والمهندسين والمدرسين والمحاسبين الذين هاجروا منها للخارج فى الفترة من ١٩٧١ الى ١٩٧٤ قد ذهبوا الى بلدان نامية أخرى . ومع ذلك ففى اطار نسبه ال ٣٥٪ فانه يلاحظ أن التغير واضح بالنسبة لكل تخصص . ففى الفتره من مايو ١٩٧١ الى مايو ١٩٧٤ . فان ٩١٪ من الأطباء الذين عملوا بالخارج عملوا فى دول متقدمة . هذا على حين أن ٧٣٪ من المحاسبين الذين هاجروا من سريلانكا عملوا فى دول نامية أخرى وأقل من ٣٠٪ منهم عملوا فى الدول المتقدمة . كذلك فان حوالى ٩٠٪ من أساتذة الجامعة والمحامين ذهبوا الى دول متقدمة . فى حين أن المهندسين هاجروا بنسب متساوية تقريبا للدول المتقدمة والدول النامية معا

كذلك بالنسبة للباكستان . فانه من بين العدد الكلى لمواطنيها = سواء منهم ذوو الخبرة أم غيرهم = الذين عملوا بالخارج فى نهايه عام ١٩٧٧ . فان حوالى ٤٥٪ كانوا يعملون فى بلدان نامية أخرى . وظهر أن التحويلات الاجمالية التى تلقتها الباكستان من الخارج فى العام ٧٦/ ١٩٧٧ كان حوالى ٩٠٪ منها واردا من الدول التى تضمها منظمة الدول المصدرة للبترول .

وبالنسبة للفيليبين . فان دراسات الانكتاد تشير الى ان عددا كبيرا من القوى العاملة الماهرة هاجرت الى الشرق الاوسط . وطبقا لتقدير اخير لوحظ أن ٦٠٠ الف من الفيليبيين كانوا يعملون بعقود مؤقتة قابلة للتجديد فى الدول العربية المنتجة للبترول

وفى حالة الأردن . فان وزارة العمل هناك قد قدرت اجمالى عدد الأردنيين العاملين فى الخارج سواء منهم

ذوو الخبرة أم غيرهم بحوالى ٣٠٥ ألف فى عام ١٩٨٠ ، وأن ٨٥٪ من هذا العدد كانوا يعملون فى الدول العربية الأخرى ، كما ظهر من البيانات أن نسبة الخبراء والمهنيين كانت عالية على وجه الخصوص بالنسبه لمجوع الهجرة الأردنية الى الكويت حيث قدرت هذه الهجره بنسبة ٢٥٪ أثناء الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٥ والى المملكة العربية السعودية وليبيا التى قدرت بنسبة ١١٪ بين عامى ١٩٧٨ و١٩٨٠ .

ومن الأمثلة بالنسبة لدول أمريكا اللاتينية ، ان هناك حركة انتقال للخبراء المهنيين من كولومبيا على الرغم من أن البيانات تشير الى انتقال هؤلاء الخبراء فى المنطقة ، خاصة الى فنزويلايعتبر قليلا ومتقطعا ، وقد أبرزت هذه البيانات أن عدد التأشيرات التى منحت للمهنيين والخبراء بمعرفة قنصليات فنزويلا فى كولومبيا قد زاد من ٧٤ فى ١٩٧٥ الى أكثر من ألف عام ١٩٧٩ .

التعاون الفنى ومنظمة الوحدة الأفريقية ..

وفى المجال الأفريقى ، اهتمت منظمة الوحدة الأفريقية ببحث موضوع التعاون الفنى بين الدول الدول الأفريقية ، وفى الدورة الرابعة والعشرين لمجلس وزراء المنظمة (اديس ابابا من ١٣ الى ٢١ فبراير ١٩٧٥) وافق المجلس على اعداد برنامج التعاون الفنى فيما بين الدول الأفريقية ، كما وافق مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الأفريقية فى دورته العاديه فى كمبالا (من ٢٨ يوليو الى اول اغسطس ١٩٧٥) على اتفاقية بين الدول الأفريقية فى مجال التعاون الفنى .

وفى الدورة الرابعة والثلاثين لمجلس الوزراء الأفريقى ، وافق المجلس على انشاء صندوق التعاون الفنى لمنظمة الوحدة الأفريقية ، وقد اعتبر ذلك من اهم وسائل تنفيذ برنامج التعاون الفنى للمنظمة فى اطار الأتفاقية المشار اليها ، وقد تم فى الدورة العادية الحادية والثلاثين لمجلس الوزراء من ٧ الى ١٨ يوليو عام ١٩٧٨) اعتماد قرار المجلس بشان صندوق التعاون الفنى فيما بين البلدان الأفريقية ، وأكد هذا القرار ان التعاون الفنى فيما بين البلدان النامية يجب ان يكون عملية منظمة وواعية وتنطوى على بواعث سياسية تستهدف تدعيم اطار الروابط المتعددة للبلدان النامية .

وفى الدورة السادسة والثلاثين للمجلس (اديس ابابا من ٢٣ فبراير الى اول مارس عام ١٩٨١) ابرز المجلس ان التعاون الفنى بين الدول الأفريقية يمثل عنصرا فعالا فى الاعتماد الذاتى والفردى والجماعى بما يتفق واتجاهات واهداف خطة العمل والاعلان الختامى للاجوس ، وطلب المجلس تحديد السياسة والأساليب العملية للصندوق المقترح بالتشاور مع اللجنة الأستشارية لمنظمة الوحده الافريقية للميزانية والشئون المالية والأدارية ، كما طلب المجلس من الأمانة العامة للمنظمة بالتعاون مع اللجنة الأقتصادية لأفريقيا وبمعاونة برنامج الأمم المتحدة للتنمية والوكالات المتخصصة الأخرى حصر اجمالى الأحتياجات والأمكانيات فى مجال الخبراء الأفريقيين واعداد توصيات كفيلة بالمساهمة بصورة فعالة فى تنفيذ برنامج التعاون الفنى فيما بين الدول الأفريقية ، كذلك حث المجلس الدول الأعضاء على ان تضمن فى خططها القومية برامج للتعاون الفنى وخاصة فى الخطط الأقليمية والاقليمية الفرعية .

وواضح أن خطة عمل لاجوس قد حذرت من إنشاء مؤسسات جديدة متعددة الأقطار الا بعد البحث الدقيق لضرورتها وأهدافها وأنشطتها وبعد أن يتضح أنها ستلقى الدعم السياسى والمالى من جانب البلدان الأفريقية ، كما أبرزت الخطة فى الوقت نفسه عدم وجود متابعة حقيقة للمؤسسات التى سبق انشاؤها ، وان المانحين الذين تعهدوا بتقديم المساعدة لمؤسسات مختلفة عند انشائها لايبدون الان الرغبة فى تقديم هذه المساعدة الا اذا زاد أعضاء هذه المراكز بحيث يكون لها بالفعل الطابع الأقليمى أو دون الاقليمى ، وقد تنتظر هذه الدول فى العادة لترى مدى تطور المؤسسة التى تزمع الانضمام اليها الى غير ذلك من المحاذير

وهناك مجموعة من المؤسسات القائمة فى هذا الشأن ، كالمجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا ومراكز البرمجة والعمليات المتعددة القوميات التى تشرف عليها اللجنة الاقتصادية لأفريقيا ، ومؤتمر تنسيق التنمية فى أفريقيا الجنوبية ، والمجلس الافريقى والملجاشى للتعليم العالى ، ومنظمة تجهيز وتنمية حوض نهر كاجيرا والمجموعة الاقتصادية لبلدان البحيرات الكبرى ، ورابطة التنمية وزراعة الأرز فى غرب أفريقيا ، واتحاد نهر مانو ، ومجلس الوفاق والمنظمة المشتركة لأفريقيا وموريشيوس وغيرها .

كما أن هناك بعض الهيئات الوطنية ذات رسالة خاصة فى مجال التعاون الفنى بين الدول الأفريقية ومن أمثلة ذلك معهد موريشيوس للبحوث الصناعية عن السكر ، والمركز القومى للنهوض بالمنشآت الصغيرة والمتوسطة فى التوجو ، ومركز التشييد والاسكان فى كانا فيلى فى التوجو ، هذا فضلا عن « الصندوق المصرى للتعاون الفنى لأفريقيا » الذى أنشأته جمهورية مصر العربية خصيصا للقارة الافريقية ولصالح تنمية دولها النامية حسبما سيرد .

جمهورية مصر العربية :

أما عن دور جمهورية مصر العربية فى مجال التعاون الفنى بين البلدان النامية فهو دور رائد ومتقدم حيث تولى مصر هذا التعاون اهتماما كبيرا فى اطار تدعيم العلاقات مع دول العالم الثالث ، سواء عن طريق تصدير الخبرات الفنية فى شكل ايفاد الخبراء المصريين الاكفاء الى هذه الدول فى مختلف التخصصات أم عن طريق استقبال أبنائها للدراسة والتدريب فى مصر فى مختلف المجالات .

وتتيح مصر مختلف الأنظمة والتسهيلات من أجل تنشيط حركة التعاون الفنى مع البلدان النامية ، وذلك من خلال ثلاثة اطارات ، الأول اطار التنظيمات القائمة لخدمة هذه الحركة ، سواء منها نظام الاعارات للخبراء واستقبال الدارسين على منح تنفيذا للبرامج التنفيذية للأتفاقات الثقافية التى تعقدها مصر مع الدول النامية ، أم عن طريق المؤسسات المنشأة لهذا الغرض . والاطار الثانى هو إطار التعاقدات الشخصية للخبراء وإستقبال الدارسين خارج نطاق المنح الدراسية ، والاطار الثالث يتم فيه إختيار الخبرة المصرية بمعرفة المنظمات والهيئات الدولية والأقليمية .

ومن صور حركة التعاون الفنى المصرى مع الدول الأفريقية النامية الأنشطة التى يقوم بها الصندوق العربى للمعونة الفنية للدول الأفريقية والعربية الذى انشىء منذ عام ١٩٧٦ ، حيث بلغ عدد الخبراء المصريين الذين أوفدهم هذا الصندوق للدول الأفريقية ١١٧ خبيرا خلال العام ١٩٨١ ، فضلا عن ١٠٨ منحة قدمها لأبناء هذه الدول للدراسة بالجامعات المصرية وللتدريب فى مراكز التدريب المصرية والاكاديمية العربية للنقل البحرى .

وقد أنشأت مصر (الصندوق المصرى للتعاون الفنى لأفريقيا) بوزارة الخارجية بهدف تقديم المعونات الفنية للدول الأفريقية ، سواء فى صورة خبراء من مختلف التخصصات أو فى صورة منح دراسية وتدريبية لأبناء هذه الدول للدراسة والتدريب فى جمهورية مصر العربية ، فضلا عن المساهمة فى دراسات الجدوى للمشروعات ، والمساهمة فى مشروعات التنمية للدول والشعوب الافريقية إقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

وقد بدأ الصندوق نشاطه حيث عقد فى العام الأول لانشائه ١٩٨٢/٨١ اتفاقات للتعاون الفنى مع أربعة عشر دولة أفريقية ، وأوفد ٨٥ خبيرا من مختلف التخصصات فضلا عن تمويل ٩٥ منحة تدريبية كما قام الصندوق فى الوقت نفسه بتنفيذ تعهد مصر فى المؤتمر الدولى لمساعدة اللاجئين فى أفريقيا (جنيف - ابريل ١٩٨١) بالمساهمة بمبلغ مليون دولار فى شكل ايفاد أطباء لمناطق رعاية اللاجئين فى القارة الأفريقية .

ومنذ سنوات طويلة تقوم مصر بتهيئة الأمكانيات الدراسية والتدريب لأبناء الدول النامية ، خاصة الدول العربية والافريقية والأسيوية ، وذلك فى مختلف الجامعات والمعاهد التعليمية والفنية والمراكز الفنية والمراكز التدريبية وقد بلغ عدد الطلاب الوافدين من مختلف الدول النامية بالجامعات والمعاهد الفنية التابعة لوزارة التعليم العالى ٣٢٦٠٨ طالبا للعام ١٩٧٨/٧٧ و٣١٦٧٨ طالبا للعام ١٩٧٩/٧٨ و٢٨١٠٦ للعام ١٩٨٠/٧٩ و٢٦٥٤١ للعام ١٩٨١/٨٠ ، هذا بالاضافه الى الطلاب الوافدين من الدول النامية للدراسة فى الأزهر الشريف ، وقد بلغ عدد الطلبة الأفريقيين منهم ٢٤١٥ طالبا منهم ٩٥٨ طالبا على منح دراسية ، فضلا عن المتدربين الوافدين للتدريب فى مختلف المراكز والاكاديميات المصرية ، والذين بلغ عدد الأفارقة منهم ٣٣٨ للعام ١٩٨١/٨٠ .

تقييم التعاون الفنى المصرى

ويمكن لتقييم دور مصر فى مجال التعاون الفنى بين البلدان الناميه إبراز مجموعة من الأعتبارات :

أولها : أن مصر بالذات لديها خبرات فنية متقدمة فى مختلف النواحى والتخصصات ، خاصة بالنسبة للقطاعات التى تتوافر فيها ميزة نسبية كقطاعات الطب والتعليم والرى واستصلاح الأراضى وزراعة القطن والمحاصيل الزراعية المختلفة وقطاعات صناعة السكر والغزل والنسيج وانشاء الطرق والمصارف والسدود والمقاولات وغيرها ، وتعتبر هذه القطاعات من أهم القطاعات التى تحتاج فيها الدول الأفريقية الى الخبراء الاكفاء فيها لتحقيق تنميتها الاقتصادية والأجتماعية .

وثانيها : أن مصر قد إستطاعت أن تحقق للدول النامية ميزات الحصول على الخبرات الفنية اللازمة لها والمناسبة فى الوقت نفسه لنوعيات التنمية وظروف وأساليب المعيشة السائده فيها وذلك بالمقارنة بالوضع الخاص باستقبال هذه الدول للخبراء من الدول المتقدمة ، حيث أن خبراء الدول المتقدمه يتكلفون نفقات باهظة من جهة ، ومن الجهة الأخرى فان من الصعب عليهم التمشى مع ظروف الحياة المعيشية فى الدول النامية .

وقد أثبتت الخبرة العملية صلاحية الخبراء المصريين للعمل والحياة فى الدول الأفريقية والدول النامية بصفة عامة ، بل وسرعة التأقلم بالنسبة لهم مع أساليب ومستويات المعيشة فى هذه الدول ، بحيث يسهل عليهم

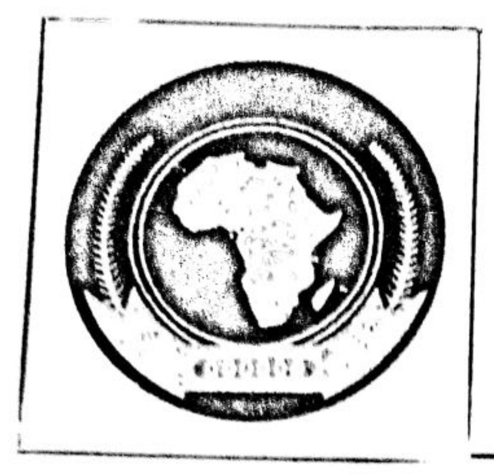
التعامل والتفاهم مع شعوبها ، كما يسهل عليهم تفهم أوضاعها ومشكلاتها والتعايش مع عاداتها وتقاليدها ، سواء منهم الخبراء المصريون الذين أوفدهم الصندوق المصرى للتعاون الفنى لأفريقيا أم الذين أوفدتهم المنظمات الدولية أو الأقليمية ، أم الذين حصلوا على تعاقدات شخصية للعمل فى الدول النامية . وتزايد عدد هؤلاء الخبراء المصريين الذين يعملون اليوم فى أفريقيا وحدها الى مايزيد على خمسة آلاف خبير . ولعل ذلك يرجع إلى الأساس الحضارى والثقافى الذى تستند اليه الخبرة الفنية المصرية المصدرة الى الدول النامية والى طبيعة الشعب المصرى ذاته من الناحية السيكولوجية بل والى طبيعة مصر ذاتها من مختلف النواحى الاجتماعية والثقافية التى يعتبر الخبير المصرى محصلة لها . وبذلك تكون الخبرة المصرية هى المناسبة للعمل فى هذه الدول ، وكذلك تكون قد استطاعت حل مشكلة من أهم مشكلات نقل الخبرات والتكنولوجيا فى إطار العالم الثالث .

وثالثها : أن مصر قد استخدمت أنشطة التعاون الفنى فى دعم استقلال الدول النامية ومساعدتها على البناء وإعادة البناء والتنمية ، ومن ذلك اشتراك مصر فى مؤتمرات الدول المانحة لمساعدة البلدان التى تحتاج لمثل هذه المساعدات ، وكمثل على ذلك اشتراك مصر فى الدول المانحة الذى انعقد فى سالزبورى فى مارس عام ١٩٨١ لتقديم المساعدات لجمهورية زيمبابوى بعد أن تحقق لها الاستقلال ، حيث قامت مصر بتقديم معونات فنية لها فى شكل ايفاد الخبراء المصريين لها واستقبال ابنائها للتدريب فى مختلف التخصصات .

كما دأبت مصر على المبادرة بتقديم المعونات الطبية والعلاجية العاجلة الى الدول النامية ، فى حالات وقوع الكوارث ، ومن امثلتها ماقدمته خلال العام ١٩٨٢/٨١ من المعونات الى الصومال واوغندا وجزر القمر ومدغشقر وموريشيوس وليبيريا وتشاد وغيرها

ورابعها : أن مصر تتوافر فيها كل أنواع ومستويات التعليم والتدريب سواء فى الجامعات أم المعاهد الفنية وغيرها ، كما تتوافر فيها فى الوقت نفسه مختلف أنواع المراكز والاكاديميات التدريبية ، كالمعاهد الصناعية ومعاهد الكفاية الانتاجية والمركز الدولى المصرى للزراعة ومعهد التدريب اللاسلكى ومعهد الاذاعة والتليفزيون والاكاديمية العربية للنقل البحرى (بالأسكندرية) . وتتيح هذه المؤسسات الامكانيات اللازمة لتدعيم أنشطة التعاون الفنى المصرى مع البلدان النامية ولتأكيد مكانة مصر باعتبارها مركزا رئيسيا للتعليم والثقافة للعالم النامى .

وخامسا : أن مصر تسهم عن طريق التعاون الفنى بدور فعال فى حركة التعاون بين الدول النامية فى مفهوم التعاون بين الجنوب والجنوب ، مما يساعد على تحقيق أهداف العالم الثالث فى الاعتماد على النفس والافادة من الامكانيات المتاحة لديه وتدعيم المصالح والأهداف المشتركة للعالم النامى ، كما يساعد على تحقيق النظام الاقتصادى الدولى الجديد . □



افريقيا .. بعد فشل انعقاد مؤتمر قمة طرابلس

محمد عيسى الشرقاوى

تقف القارة الأفريقية فى مفترق طريق حاسم منذ فشل انعقاد مؤتمر قمة دول منظمة الوحدة الأفريقية بالعاصمة الليبية طرابلس فى ٥ أغسطس الماضى ١٩٨٢ .

وينطوى هذا الفشل ، بداهة ، على مؤشر خطر بالنسبة لمسار المنظمة الأفريقية ومصيرها . فهذه هى المرة الأولى منذ إنشاء المنظمة عام ١٩٦٣ التى تفشل فيها فى عقد مؤتمر قمتها السنوى ، وسط بوادر إنقسام دولها إلى محورين أو مجموعتين سياسيتين متصارعتين .

وإذا كان فشل إنعقاد المؤتمر يعزى أساسا إلى مقاطعة دولة أفريقية لقمة طرابلس إحتجاجا على إنضمام الجمهورية الصحراوية بزعامة جبهة البوليساريو إلى عضوية المنظمة الأفريقية فى فبراير الماضى ، إلا أن هذا السبب يبطن فى حد ذاته مواقف سياسية وأيديولوجية متعارضة ومتباينة بين دول المنظمة .

وإذا ما لجأنا إلى إستخدام المصطلحات السياسية الشائعة والمتداولة فانه قد يمكن القول أن مشكلة عضوية البوليساريو قد كشفت بوضوح أن المنظمة تضم تحت مظلتها دولا متشددة أو ثورية أو يسارية الاتجاه ، ودولا أخرى معتدلة أو محافظة . وهذه حقيقة لا يجب التغاضى عنها أو تجاهلها عند معالجة المشاكل التى تحدق بمستقبل المنظمة .

ومما لا شك فيه أن هذه الحقيقة قد تكون نتاجا طبيعيا للتطورات والتفاعلات السياسية والاجتماعية التى شهدتها القارة الأفريقية خلال العقدين الماضيين ، أى منذ إنشاء المنظمة عام ١٩٦٣ وحتى الآن . وليس أدل على ذلك من أن المنظمة قد نشأت وسط تصاعد حركات التحرر الوطنى الأفريقية واحتدام الصراع المسلح والسياسى على السواء ضد الاستعمار القديم والجديد . وكانت « رؤية » تحرير افريقيا وصولا إلى إستقلالها هى الرؤية الغالبة التى كان من السهل أن توحد أفريقيا تحت مظلة منظمة الوحدة الأفريقية . ذلك أن المنظمة قد تشكلت أساسا فى البداية من انصهار مجموعتين أو منظمتين فى بوتقتها . وكانت المجموعة الأولى « ثورية » وهى منظمة الدار البيضاء التى تكونت فى يناير ١٩٦١ من مصر وغانا وغينيا ومالى والمغرب والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قبل إستقلال الجزائر ، أما المجموعة الأخرى فكانت « معتدلة » ، وهى مجموعة منروفيا التى تكونت فى مايو ١٩٦١ . وكانت تضم بين دولها نيجيريا وأثيوبيا وليبريا وسيراليون والصومال وتونس وتوجو .

وإذا كان بعض الكتاب والمحللين السياسيين الغربيين المعنيين بالشئون الأفريقية قد توقعوا آنذاك أنه من العسير إنصهار هاتين المجموعتين فى منظمة واحدة ، إلا أنه قد أمكن ذلك بالفعل . ويعزى هذا ، بالدرجة الأولى ، إلى إتفاق المجموعتين على عدد من المبادىء الأساسية أبرزها : تصفية الاستعمار فى أفريقيا والالتزام بمبدأ عدم الانحياز . [أنظر كتاب منظمة الوحدة الأفريقية للدكتور بطرس بطرس غالى]

ولقد تمكنت أفريقيا بالفعل أن تحقق تصفية الاستعمار من أرجائها باستثناء أقليم ناميبيا وجنوب أفريقيا حيث يسودهما حكم الاستعمار العنصرى الاستيطانى للأقلية « الأفريكانية » البيضاء .

ومعنى هذا أن القضية الأساسية التى كانت تجمع من حولها الدول الثورية والمعتدلة قد تحققت تقريبا ، بينما طغت القضية الاجتماعية والاقتصادية لتصبح المحور الجديد الذى تتحرك حوله معظم الدول الأفريقية . ومن هنا ، لاينبغى أن يثير دهشة أحد أن العديد من الدول التى كانت توصف خلال الستينات بالثورية أو الاعتدال قد تبادلت مواقعها مع بعضها البعض نظرا للتغييرات السياسية والاجتماعية التى

إجتاحت القارة خلال السنوات الأخيرة .

وفي إطار هذا التطور ، فان التباين الأيديولوجي بين أفريقيا ذات النظم الرأسمالية والتوجه أو الميل نحو الغرب ، وبين أفريقيا ذات النظم الاشتراكية أو الماركسية والتوجه أو الميل نحو الشرق ، بدأت تشكل منذ منتصف السبعينات ملمحا أساسيا من الملامح البارزة للقارة .

ومن هنا قد يمكن القول أن العديد من الصراعات الأقليمية في أفريقيا تنطوي على خلافات أيديولوجية ، مما يزيد من حدتها ويجعل من الصعب التوصل إلى حل وسط بشأنها . ولعل مشكلة أقليم الصحراء المتفجرة بين دول شمال أفريقيا وخاصة بين المغرب والجزائر منذ ١٩٧٥ مثالا على ذلك .

وفي ضوء هذه التطورات الأفريقية يجب النظر إلى الأزمة الراهنة التي تصيب منظمة الوحدة الأفريقية علنا تستطيع التوصل إلى مجموعة من المبادىء العامة التي يمكن الاتفاق عليها والالتزام بها حتى تتجاوز المنظمة خطر الانقسام والانهيار الذي يهددها .

ومن ثم ، فان الأمر يقتضي أن نرصد بداية الأزمة وما إنتهت إليه من مضاعفات تمثلت حتى الآن في فشل إنعقاد مؤتمر قمة طرابلس .

بداية الأزمة :

بدأت الأزمة الراهنة للمنظمة باعلان إنضمام الجمهورية الصحراوية لعضوية المنظمة خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوزاري العادي الذي إنعقد في العاصمة الأثيوبية اديس أبابا في ٢٢ فبراير الماضي ١٩٨٢ .

فقد فوجيء أعضاء المؤتمر بأن وفد البوليساريو يشترك في الجلسة باعتباره العضو رقم ٥١ في المنظمة . وعلل ادم كودجو السكرتير العام الاداري للمنظمة هذا الاجراء بأنه إتخذ قرارا بضم البوليساريو بعد أن توافرت لديه إعترافات ٢٦ دولة أفريقية بها .

وكان من الطبيعي أن يثير هذا الاجراء ثائرة الوفد المغربي الذي بادر بالانسحاب من المؤتمر . وأيد المغرب في موقفها ١٨ دولة أخرى . أكدوا جميعا رفضهم إنضمام البوليساريو لعضوية المنظمة . في الوقت الذي تسعى فيه المنظمة للاتفاق بشأن ترتيبات إجراء إستفتاء تقرير المصير في أقليم الصحراء طبقا للمبادرة التي كان الملك الحسن ملك المغرب قد طرحها في مؤتمر قمة نيروبي ١٩٨١

وهنا .. يتعين ملاحظة أن العديد من الدول الأفريقية التي تؤيد موقف المغرب هذا ، لا تقرها أساسا على وجهة نظرها تجاه منظمة البوليساريو . ذلك أن المغرب ترفض أصلا الاعتراف بالبوليساريو وتصف الجمهورية الصحراوية بأنها جمهورية وهمية لا وجود لها ، في حين أن عددا من هذه الدول ينصب إحتجاجها اساسا على إجراء أدم كودجو الذي إعتبرته تجاوزا لجهود المنظمة الخاصة بحل مشكلة الصحراء الغربية ويكفي لتوضيح موقف هذه الدول أن نشير إلى وجهة نظر كل من الكاميرون ونيجيريا .

– ذكرت صحيفة « الكاميرون تربيون » في ٢٨ فبراير ١٩٨٢ أن الكاميرون تعترف بحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره . وأن مؤتمر قمة نيروبي قد أقر مبدأ إجراء إستفتاء لتقرير مصير الصحراء . ولذلك فان موقف أدم كودجو لا يمكن إعتباره سوى مناورة تستهدف الاخلال بهذا الاستفتاء .

– أعلن الرئيس النيجيري شيهو شاجاري في ٢ أغسطس ١٩٨٢ أن قبول إنضمام الجمهورية الصحراوية عضوا بالمنظمة ، بينما لم تنته بعد أزمة الصحراء الغربية أمر لا يفيد قضية الشعب الصحراوي الذي تعترف بكفاحه على قدم المساواة مع كفاح منظمة شعب جنوب غرب أفريقيا [سوابو] التي تناضل لتحرير أقليم ناميبيا من سيطرة جنوب أفريقيا .

ورغم ذلك ، فان الدول التي اعربت عن أحتجاجها على اعلان انضمام البوليسايو للمنظمة قد حذرت من أنها لن تشترك في أي مؤتمر أفريقي تشترك فيه البوليساريو ، بينما أكدت مجموعة الدول المؤيدة للبوليساريو أنها ستقاطع أي مؤتمر لاتشترك فيه . وقالت أن قرار إنضمام البوليساريو نهائي ولا رجعة فيه [أنظر « السياسة الدولية » عدد ٦٩ ، يوليو ١٩٨٢] .

وهنا .. بدأ إنقسام المنظمة حول هذه القضية وبدأت الاتهامات الأيديولوجية المتبادلة بين المؤيدين والمعارضين للبوليساريو فالمجموعة المؤيدة تتهم المجموعة الأخرى بالانصياع السياسي والاقتصادي للسياسة الأمريكية ، بينما تتهم المجموعة المعارضة جبهة البوليساريو ومؤيديها بالميول الماركسية والاتجاه نحو الشرق .

فشل إنعقاد قمة طرابلس :

وقد أصابت هذه الأزمة نشاط المنظمة الأفريقية بالشلل . فتحت وطأتها فشل مؤتمر وزراء الاعلام في مارس الماضي ، ومؤتمر لجنة العمل الأفريقية في أبريل . ثم بلغت الأزمة ذروتها في طرابلس حيث لم ينعقد مؤتمر وزراء الخارجية الذي كان مكلفا باعداد

جدول أعمال القمة ، بسبب عدم إكتمال النصاب القانونى اللازم لانعقاده ، لمقاطعة عدد من الدول له ، احتجاجا على إشتراك البوليساريو .

وكان هذا مؤشرا واضحا لفشل إنعقاد قمة طرابلس بسبب عدم إكتمال النصاب القانونى كذلك . فلم يحضر لطرابلس سوى ممثلو ٣٢ دولة بينما قاطعته ١٩ ، فى حين يقتضى إكتمال النصاب إشتراك ٣٤ دولة ، أى ثلثى اعضاء المنظمة الأفريقية .

ومن الأهمية بمكان تحديد ورصد مواقف الدول الأفريقية تجاه قضية البوليساريو ومؤتمر طرابلس ، إذ أن هذه المواقف قد تشير إلى الخريطة الجديدة للنزاعات الايديولوچية والأقليمية فى المستقبل فى القارة

ـ الدول التى حضرت طرابلس للاشتراك فى القمة : هى

الجزائر ـ أنجولا ـ بنين ـ بوتسوانا ـ بورندى ـ الرأس الأخضر ـ جمهورية أفريقيا الوسطى ـ الكونغو ـ أثيوبيا ـ غانا ـ نيجيريا ـ غينيا بيساو ـ كينيا ـ ليسوتو ـ مدغشقر ـ ملاوى ـ مالى ـ موريتانيا ـ موريشيوس ـ موزامبيق ـ رواندا ـ ساوتومى وبرتسيب ـ سيشيل ـ سوزيلاند ـ تنزانيا ـ توجو ـ أوغندا ـ زامبيا ـ زيمبابوى ـ تشاد ـ الجمهورية الصحراوية ـ إلى جانب ليبيا .

وفيما يتعلق بهذه الدول من المهم أن نسجل الملاحظات التالية :

ـ أعلنت كل من كينيا ونيجيريا أنهما لن تشتركا فى القمة الأفريقية إلا إذا إكتمل النصاب القانونى ـ كما أنهما رفضتا الاشتراك فى أى إجتماع غير رسمى .

ـ إمتنعت توجو عن الاشتراك فى المؤتمر إحتجاجا على وجود وفد من حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية فى تشاد

● **الدول التى قاطعت المؤتمر : هى** : الكاميرون ـ جزر القمر ـ ساحل العاج ـ جيبوتى ـ مصر ـ الجابون ـ جامبيا ـ غينيا ـ غينيا الاستوائية ـ فولتا العاليا ـ ليبريا ـ المغرب ـ النيجر ـ السنغال ـ سيراليون ـ الصومال ـ السودان ـ تونس ـ زائير .

وهنا أيضا نلاحظ الآتى :

ـ أن وفود كل من تونس وجيبوتى وفولتا حضرت إلى طرابلس ، ولكنها رفضت الاشتراك فى المؤتمر إحتجاجا على إشتراك البوليساريو فيه .

ـ إشتركت النيجر فى المشاورات الأولية التى شهدها المؤتمر ثم إنسحبت بعد ذلك .

ـ لم يتوجه ممثل سيراليون إلى طرابلس ، رغم تأييد سيراليون للبوليساريو .

ـ أن مصر كانت قد أعلنت أنها لن تشترك فى المؤتمر بسبب قطع العلاقات بينها وبين ليبيا ، وبسبب دور القذافى التخريبى فى أفريقيا .

ـ لم تشترك زائير فى المؤتمر بدعوى أن ليبيا لم توجه إليها الدعوة للحضور ، وبسبب قطع ليبيا العلاقات مع زائير فى أعقاب إعتراف زائير باسرائيل .

ومن ثم ، يتبين أن مقاطعة الدول الأفريقية لقمة طرابلس مما أدى إلى فشل إنعقاده ترجع إلى عدة أسباب منها :

ـ الاحتجاج على قرار إنضمام البوليساريو لعضوية المنظمة ، وهو السبب الأساسى فى فشل الانعقاد .

ـ الاحتجاج على دور القذافى وسياساته تجاه أفريقيا التى تصفها بعض الدول بأنها تخريبية . ولذلك ترى أن القذافى لا يصلح لتولى رئاسة المنظمة الأفريقية لمدة عام يمثل خلاله أفريقيا .

وفى هذا الصدد ، وحتى يتسنى الاحاطة بجانب آخر يمثل وجهة نظر مطروحة فى أفريقيا الآن ويفسر من خلالها البعض فشل إنعقاد قمة طرابلس ، لابد من الاشارة إلى أن مصادر أفريقية منها زيمبابوى وسيشيل ومصادر صحفية غربية كصحيفة « الموند » الفرنسية « والاوبزرفر » البريطانية ترى أن الولايات المتحدة قد مارست ضغوطا على بعض الأطراف الأفريقية حتى تقاطع القمة بحيث لا تنعقد بسبب عدم إكتمال النصاب القانونى ، وبذلك لا يتمكن القذافى من تولى رئاسة المنظمة .

وأيا كان الأمر ، فقد حاول القذافى إلى أن يعقد مؤتمر القمة رسميا ، بالرغم من عدم إكتمال النصاب القانونى ، غير أن المصادر المطلعة ذكرت أن الرئيس التنزانى جوليوس نيريرى والرئيس كنيث كاوندا رئيس زامبيا قد نجحا فى إقناعه بالعدول عن هذا الأمر حتى لاتنقسم دول المنظمة بالفعل

ولذلك ، فان رؤساء وممثلى دول وحكومات ٢٩ دولة ممن حضروا إلى طرابلس عقدوا مؤتمرا بصفتهم رؤساء وممثلى هذه الدول أصدروا فى ختامه إعلان طرابلس فى ٩ أغسطس الماضى . قرروا فيه « تكوين لجنة إتصال من رؤساء كل من ليبيا والكونغو ومالى وتنزانيا وموزامبيق وزامبيا لبدء إجراء مشاورات مع زملائنا من الدول الأعضاء التى لم تحضر الاجتماع . حتى يتسنى عقد مؤتمر القمة الأفريقى فى طرابلس

وفيما يتعلق بالمشكلة مثار الخلاف وهى الصحراء الغربية فقد جاء فى إعلان طرابلس حولها ما يلى :

– لقد أظهرت روح التفاهم والتعاون التى أبدتها الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية وجهودها لضمان نجاح الدورة التاسعة والثلاثين لمجلس وزراء الوحدة الأفريقية والدورة العادية التاسعة عشرة لمؤتمر رؤساء الدول والحكومات مما يدل على أنها قد وصلت إلى مرحلة النضج السياسى وتقاليها من أجل القضية الأفريقية

– ويؤكد رؤساء الدول والحكومات المشاركون فى هذا الاجتماع تأكيد دعمهم للجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية وتضامنهم معها فى كفاحها ويشيدون بالكفاح البطولى الذى يقوده الشعب الصحراوى لصون سيادته وسلامة أراضيه

– ونحن على إقتناع بأن قبول الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية فى منظمة الوحدة الأفريقية يشكل خطوة هامة نحو إقامة السلم من جديد فى الصحراء الغربية وفى المنطقة وفى أفريقيا بأسرها

– ويناشد رؤساء الدول والحكومات كلا من الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية والمملكة المغربية البحث عن السبل والوسائل الكفيلة بوضع حد للصراع بينهما

ومعنى هذا أن الدول التى تؤيد إنضمام الجمهورية الصحراوية بزعامة البوليساريو للمنظمة قد تزايد عددها من ٢٦ دولة خلال المؤتمر الوزارى فى فبراير الماضى إلى ٢٩ دولة فى إجتماعات طرابلس فى أغسطس الماضى . وفى الوقت نفسه فإن الدول المعارضة لانضمام البوليساريو مصممة على موقفها فى إطار ما سلف تناوله . ولم تبد حتى إعداد هذا التقرير أية بوادر تشير إلى إمكانية التوصل إلى حل وسط للتوفيق بين الدول الأفريقية المنقسمة حول هذه القضية .

مخاطر فشل إنعقاد قمة طرابلس :

وفى ضوء ما سلف ، فإن ثمة مخاطر جسيمة تهدد الآن بالفعل المنظمة الأفريقية . وأن هذه المخاطر إذا ما إستمرت مبررات وجودها سوف تشكل فى مجموعها إنتكاسة أفريقية لم تشهد لها القارة مثيلا منذ موجة الاستقلال الكبرى الأولى فى مستهل الستينات . ولعل أبرز هذه المخاطر :

– إنقسام الدول الأفريقية إلى مجموعتين أو محورين سياسيين وأيديولوجيين متصارعين مثلما كان الأمر قائما بين مجموعتى الدار البيضاء ومنروفيا

٢ – إتساع عملية الاستقطاب الدولى فى أفريقيا . بل وقد تعتبر فيه القارة إحدى الساحات الساخنة للصراع الاستراتيجى بين القوتين العظميين .

٣ – تزايد حدة الصراعات الاقليمية الأفريقية . فمما لاشك فيه أن الدول الكبرى التى ترنو إلى تحقيق مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية فى القارة سوف تسعى إلى إذكاء هذه الصراعات حتى تنفذ من خلالها إلى محاولة إعادة بسط نفوذها فى أفريقيا وصولا إلى مواقعها الاستراتيجية وثرواتها ومواردها الخام

وإزاء هذه المخاطر المحتملة ، فإن الأمر يقتضى أن يبادر ساسة أفريقيا إلى

– محاولة رأب الصدع الذى أصاب المنظمة الأفريقية ويكون ذلك بتأكيد الالتزام بميثاق المنظمة أو الاتفاق على تعديله إذا إقتضى الأمر بطريقة شرعية من خلال إجتماعات المنظمة .

وينبغى أن يكون واضحا فى الوعى الأفريقى العام أن تصفية الحسابات الشخصية بين الأنظمة الأفريقية لا ينبغى أن يكون على حساب مستقبل المنظمة .

– أن تسعى الدول الأفريقية إلى التأكيد على مبادىء عامة جديدة توحد حركتها ولعل أبرز مبدأ يمكن الاتفاق عليه هو : تكتيل الجهود من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية فى بلدان القارة التى تهدد نسبة كبيرة من سكانها المجاعة . أليس هذا الهدف فى أفريقيا المستقلة يعادل الهدف الذى وحد أفريقيا خلال العقدين الماضيين وهو تحرير القارة من الاستعمار .. ؟ .. إن المطلوب الآن أن نحرر القارة من الجوع والمجاعة . وأن تتضافر الجهود الأفريقية كذلك من أجل وضع ميثاق حقوق الانسان الأفريقى وصولا إلى إقرار الديمقراطية الحقيقية فى القارة .. بحيث يمكن لأفريقيا أن تعصم ابناءها من جنوح حكام مثل عيدى أمين " وإمبراطور " أفريقيا الوسطى السابق بوكاسا

– أن تبادر الدول الأفريقية إلى بذل الجهود لمحاولة الخروج بالمنظمة من المأزق الذى يهدد مستقبلها حول قضية البوليساريو . ولعل ذلك قد يكون بالاتفاق على تعليق عضوية البوليساريو إلى حين إجراء إستفتاء تقرير المصير فى الصحراء الغربية تحت إشراف المنظمة والأمم المتحدة ☐



التوافق الأوروبى الامريكى تجاه حل أزمة الشرق الاوسط

عبد العاطى محمد احمد

سيظل دور اوربا الغربية فى تسوية ازمة الشرق الاوسط دون القيام بمبادرة مستقلة عن التحرك الامريكى وسيظل ضمن اطار بذل المساعى والجهود لاستكشاف وجهات نظر اطراف الصراع المباشرين والقوى العربية الاخرى الفاعلة والمؤثرة فى مجرى الصراع ولا يبدو فى الافق القريب ان هذه المساعى ستتعدى دور الاستكشاف الى دور التنسيق والتحرك بسياسة محددة تملك مقومات التنفيذ ★

إلا ان اوربا الغربية الحائرة بين اعتبارات التعاطف التقليدية مع اسرائيل واعتبارات المصالح الحيوية مع العرب صدر منها حتى الآن بعض المواقف الايجابية من القضية الفلسطينية والحل العادل والشامل لازمة الشرق الاوسط اثارت انتقادات حادة من الجانب الاسرائيلى وتحفظات لا تخلو من اللوم من الجانب الامريكى بل ان بعض الدول الغربية مثل النمسا واليونان واخيرا فرنسا دفعت ثمن ميولها الايجابية من منظمة التحرير الفلسطينية فى شكل سلسلة من اعمال التفجير والعنف والاغتيالات السياسية وابرز الامثلة على ذلك ما حدث فى لبنان من اغتيال للسفير الفرنسى لوس دى لامار فى بيروت وحادث الانفجار الضخم الذى وقع وقع فى حى الشانزليزيه بباريس وكان لهما صلة بعلاقة فرنسا بمنظمة التحرير الفلسطينية فقد التقى كلود شيسون وزير العلاقات الخارجية الفرنسى بياسر عرفات فى بيروت ١٩٨١/٨/٢٨ وكان لوس دى لامار هو الذى رتب اللقاء وفهمت الاوساط المقربة من الحكومة الفرنسية من اللقاء ان لدى فرنسا مشروعا محددا بالنسبة للوضع فى لبنان ومنظمة التحرير الفرنسية وقد قتل السفير بعد اسبوع واحد من اللقاء واما الحادث الثانى فقد وقع بعد زيارة ميتران لاسرائيل باكثر من شهر وقيل ايضا ان الزيارة سيكون من نتائجها الاعتراف الفرنسى بمنظمة التحرير الفلسطينية وتبنى مشروع الامير فهد وان ميتران كان قد اعلن ذلك للملك المغربى الحسن الثانى عند زيارته لفرنسا واذا كان المتهم الاول فى حادث اغتيال السفير الفرنسى هو سوريا فى تقديرات السلطات الفرنسية فان اصابع الاتهام فى الحادث الثانى تشير الى سوريا واسرائيل معا لان كلتيهما لا تقبلان بهذه الخطوة .

اوربا وامريكا اختلاف فى التصور واتفاق فى السياسات :

ورغم ما تتعرض له دول اوربا الغربية من ضغوط اسرائيلية لابعادها عن العرب فانها عازمة على مواصلة مساعيها لاحلال السلام فى الشرق الاوسط سواء عن طريق تكتل السوق الاوربية المشتركة او عبر اتصالات ثنائية بين الدول الاوربية الغربية والدول العربية استنادا الى مبدأين كررتهما دول السوق العشر اكثر من مرة وهما

- حق جميع دول المنطقة فى العيش فى سلام وفى امان
- حق الشعوب فى العدالة مما يتطلب الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى بما فى ذلك حقه فى تقرير مصيره .

ومن خلال هذين المبدأين اتخذت اوربا الغربية عدة مواقف وسياسات من ازمة الشرق الاوسط اتسم رد الفعل العربى تجاهها بالتأييد والمعارضة فى آن واحد كما كانت هناك نقاط للاتفاق واخرى للاختلاف مع السياسة الامريكية لحل الازمة وما يجب توضيحه من

★ كتب هذا التقرير قبل اعلان مبادرة الرئيس الامريكى ريجان للسلام .والمبادرة تؤكد فحوى التقرير ومحوريةالدور الامريكى لحل الأزمة .

البداية ان مساحة الاتفاق بين اوربا الغربية والولايات المتحدة حول الاهداف الجزئية او وسائل تحقيق السلام كبيرة ولكن هناك خلافات تتعلق بجوهر النزاع والذى يعوق تفجر التحالف بين اوربا الغربية والولايات المتحدة فيما يتعلق بالعلاقات مع العالم العربى واقرار السلام الدائم فى المنطقة هو الروابط التقليدية بين اسرائيل واوربا الغربية من جهة وموقع اوربا الغربية من الصراع بين واشنطن وموسكو على المستوى العالمى ككل

اوربا الغربية تتحرك وفق استراتيجية شاملة بالنسبة للمنطقة العربية تأخذ فى اعتبارها جميع المصالح الاوربية اقتصادية وعسكرية وسياسية ومن ثم تهدف الى سلام متوازن لكل دول المنطقة يحقق الاستقرار الدائم ولا تبدو مقتنعة بالنظرية الامريكية الداعية الى قيام اجماع استراتيجى يضم الدول العربية واسرائيل معا ضد الاتحاد السوفيتى او على الاقل لا تريد ان تتورط فى هذه الاستراتيجية

واما الولايات المتحدة فانها لا تتعامل مع مشكلات المنطقة وفق منظور شامل بل وفق سياسات جزئية هى فى النهاية تصطدم بالحقوق العربية بل ان بعض الاصوات الامريكية المؤثرة سواء داخل الحكومات الامريكية او معاهد الابحاث المتخصصة ترى ان السياسة الامريكية غير المتوازنة والجزئية والمنحازة لاسرائيل لا تحقق المصالح الحيوية للولايات المتحدة ذاتها وقد دعا وكيل الخارجية الامريكية السابق لشئون الشرق الادنى هارولد سوندرز الى وضع استراتيجية دبلوماسية عسكرية اقتصادية شاملة للتعامل مع التهديدات للمصالح الامريكية الناجمة عن الازمات والتغيرات فى الشرق الاوسط وعن اعتداءات سوفيتية محتملة وقال ان سياسته القائمة على العسكرية والدبلوماسية او الاقتصاد كل على حدة ليست مناسبة وذلك يتساوى فى الاهمية مع استحالة الاستمرار فى تجنب الربط بين السياسات المنفصلة فى منطقة المواجهة العربية الاسرائيلية فى الشرق الاوسط وفى منطقة الخليج

وتطبيقا للاختلاف بين النظرة الشاملة لاوربا الغربية والنظرة الجزئية للولايات المتحدة لا يزال الاوربيون على قناعة تامة بان التقارب بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وتسوية الخلاف بين هذين العنصرين يشكل المفتاح الرئيسى لاحلال الاستقرار فى الشرق الاوسط فى الوقت الذى تبدى فيه واشنطن الاهتمامات المكثفة حول ضرورة تعزيز الحماية العسكرية الغربية لخطوط امدادات البترول

ولا نقول ان الادارة الامريكية غير واعية باهمية حل القضية الفلسطينية ولكنها ظلت والى حد طويل لا تعير اهتماما بهذه القضية ولا للحقوق الفلسطينية وعندما بدأت تتعامل معها وضعتها اساسا ضمن اقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة

ومن الاختلافات الجوهرية الاخرى انه بينما تبدى واشنطن قلقها الشديد من عودة العلاقات المصرية العربية فان اوربا الغربية وبوجه خاص فرنسا تعتقد ان ارضية قوية من التضامن العربى تعد ضرورية لاية تحركات عربية جديدة على درب التسوية السلمية للصراع العربى الاسرائيلى وقد نشرت صحيفة الواشنطن بوست مؤخرا شيئا من محاضر الكسندر هيج السرية بعد جولة فى المنطقة قبل الانسحاب الاسرائيلى من سيناء جاء فيها « رغم تفاؤل هيج باستمرارية كامب ديفيد بعد انسحاب اسرائيل من باقى سيناء الا انه مقتنع ان الخيوط الدقيقة بين مصر وامريكا ستفكك بعد ذلك وان امريكا ستكون هى الخاسرة .. ان من المقلق ان مصر تنزلق من جديد الى العالم العربى ولا تريد ان تناقش موضوع الحكم الذاتى ..

وبرغم هذين الاختلافين الجوهريين فان نقاط الالتقاء بين التحرك الاوربى والتحرك الامريكى كثيرة ومنحنى الموقف الاوربى من ازمة الشرق الاوسط منذ صدور بيان البندقية عن دول السوق فى يونيو ١٩٨٠ وحتى الان يشير الى هبوط الحماس الاوربى تجاه حل المشكلة الفلسطينية بصورة اكثر ايجابية من الموقف الامريكى والى اقترابه من هذا الموقف الى حد كبير

فبالاضافة الى ان اوربا الغربية لا زالت مقتنعة بان دورها لا يتعدى مرحلة الاستكشاف والمساعدة فى حل الازمة وترك باب المبادرات العملية للولايات المتحدة فان المواقف الرسمية تجاه القضية الفلسطينية والتى كانت تختلف فيها مع المواقف الرسمية الامريكية جرى تنقيحها شيئا فشيئا الى حد تبدو فيه الان وكأنها تردد نفس الكلمات الامريكية

فى اخر جولة لوزير الخارجية البلجيكى ليوتنديمانز فى بعض دول الخليج العربية فى مايو الماضى وهو الرئيس الحالى للمجلس الوزارى للسوق الاوربية المشتركة قال ان الدول الاوربية تسعى لايجاد موقف ورؤيا موحدة فى المسائل السياسية وانه ليس بالضرورة ان يكون هذا الموقف مخالف او مضادا للموقف الامريكى هكذا دور اوربا منحصر فى اصدار بيان او مشروع او القيام بجولة استكشافية لمسئول كبير فى السوق الاوربية ولكن ليس هناك نية للقيام بتحرك او

مبادرة كما يحلو للبعض ان يصف اى تحرك اوربى جديد وفى نفس الفترة اجرت مجلة تايم مع مقابلة مع الكسندر هيج وزير الخارجية الامريكى عقب استكمال الانسحاب الاسرائيلى من سيناء اكد فيها هيج « ان نهج التسوية الوحيد لمشكلة الشرق الاوسط ما يزال وسيبقى هو نهج كامب ديفيد واضاف هيج ان اى خروج على هذا النهج يعنى ان الاطراف سوف تفقد مساحة الوقت المقررة لكى تسهم فى اعداد الحل لمشكلة الشرق الاوسط » .

والمعروف ان اوربا الغربية ورغم بياناتها المتميزة عن السياسة الامريكية فيما يتعلق بحل الازمة لم تنتقد التحرك الامريكى وايدت اتفاقيات كامب ديفيد وساندت تحقيقها وقد اشتركت دول رئيسية فى السوق هى بريطانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا فى القوة المتعددة الجنسيات التى تساهم فيها امريكا باكثر من النصف وهى القوة التى تباشر الان عمليات المراقبة فى سيناء بعد انسحاب القوات الاسرائيلية كاملا منها .

فرنسا والتراجع عن بيان البندقية :

على ان الاهم من ذلك هو التطور الذى لحق بالتصور الاوربى ذاته للقضية الفلسطينية وخاصة منذ وصول الحزب الاشتراكى الفرنسى الى الحكم بزعامة ميتران المعروف بصداقته لاسرائيل منذ ذلك الوقت بدا وان اوربا الغربية تركت باب الحديث عن ازمة الشرق الاوسط لفرنسا ميتران ومنذ ذلك الوقت ايضا بدت مواقف فرنسا وكأنها التعبير الرئيسى عن اخر موقف للسوق الاوربية من الازمة . وقد حظيت فرنسا بدور قيادة التحرك الاوربى بفضل عدة اعتبارات فقد لقى وصول ميتران الى الحكم ارتياحا فى اسرائيل ثم فى امريكا ذاتها ثم ان الدبلوماسية الفرنسية نشطت فى الساحة العربية الى حد بارز منذ وصول ميتران الى الحكم ويقول المراقبون ان فرنسا هى التى دعمت طلب لبنان فى مجلس الامن الدولى بزيادة عدد القوات الدولية الف رجل « من ٦ الاف الى ٧ الاف » وانها ارسلت اكثر من ٦٠٠ رجل من قواتها المسلحة فى هذه الزيادة الجديدة وان فرنسا من جهة اخرى هى التى قادت المجموعة الاوربية الى الاشتراك فى القوة المتعددة الجنسيات فى سيناء والمطلب الاول يساعد على تثبيت وقف اطلاق النار فى جنوب لبنان الذى تم التوصل اليه فى يوليو ١٩٨١ » خرقت اسرائيل هذا الوقف بعد ذلك « والمطلب الثانى يساعد على تنفيذ الاتفاق المصرى الاسرائيلى فى سيناء وكلا المطلبين يحقق هدفا للدبلوماسية الفرنسية بصدد الازمة مؤداه فتح الطريق امام تحرك سياسى لمعالجة قضية التسوية السياسية فى الشرق الاوسط على نطاق عربى – اسرائيلى .

فرنسا ميتران تضاربت تصريحات المسئولين فيها بصدد منظمة التحرير الفلسطينية والدولة الفلسطينية ففى ختام زيارة قام بها وزير العلاقات الخارجية لمصر كلود شيسون اعلن فى مؤتمر صحفى فى ٣ يناير الماضى « ان فرنسا واوربا تريدان سلاما شاملا فى الشرق الاوسط يعطى للفلسطينيين دولة ويضمن حق اسرائيل فى الوجود واضاف ان فرنسا لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية » منظمة التحرير ليست دولة وفرنسا تعترف بالدول فقط ولكننا قلنا ان منظمة التحرير « تمثل المحاربين » الفلسطينيين وبالتالى يجب ان تشارك فى عملية السلام .

نلاحظ هنا ان شيسون يعتبر منظمة التحرير تمثل المحاربين وليست الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى ككل ولكن شيسون وتحت ضغط عربى معين اضطر خلال جولة قام بها الى الامارات العربية المتحدة والعراق ان يقول « اننى لا اعرف احدا من الفلسطينيين غير منظمة التحرير الفلسطينية القوة المقاتلة للشعب الفلسطينى – قادرة على تمثيل هذا الشعب .

الى هنا يبدو الموقف الفرنسى منسجما مع بيان البندقية الصادر عن السوق الاوربية فى يونيو ١٩٨٠ والذى دعا الى ضرورة تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فى مفاوضات السلام ولكن سرعان ما بدد الرئيس ميتران هذا التوافق وحدد موقفا جديدا يمثل تراجعا عن روح البيان حيث طالب المنظمة بتغيير المادة الاولى من ميثاقها بما يعنى الاعتراف المسبق من المنظمة باسرائيل كخطوة اساسية للمفاوضات ! وقد اعلن ميتران ذلك قبل ان يتوجه الى اسرائيل فى حديث مع صحيفة ارتس اليهودية التى تصدر فى فرنسا ثم اعلنه بشكل اكثر وضوحا امام البرلمان الاسرائيلى خلال الزيارة لقد ذكر ميتران امام الكنيست « كيف يمكن لمنظمة التحرير الفلسطينية التى تتكلم باسم المقاتلين ان تجلس الى مائدة المفاوضات وهى تنكر على اسرائيل شيئا اساسيا هو حقها فى الوجود ووسيلتها الى الامن ؟ ان الحوار يتطلب الاعتراف المسبق بحق الطرف الأخر بالوجود من هذا يتضح ان ميتران لا يعتبر المنظمة الممثل الشرعى الوحيد للفلسطينيين فهناك فلسطينيون اخرون غير محاربين يمكن ان يكون لهم دور ربما فى تصور الرئيس ميتران هذا من ناحية ومن ناحية ثانية على المنظمة ان تعترف اولا باسرائيل وفى

ظل هذا الموقف الفرنسى الجديد فان مواقف باريس وواشنطن من منظمة التحرير تبدو متفقة تماما على كل ما هنالك ان الموقف الفرنسى يقول صراحة بضرورة اشتراكها فى المفاوضات والموقف الامريكى الرسمى لم يعلن هذا صراحة حتى الآن .

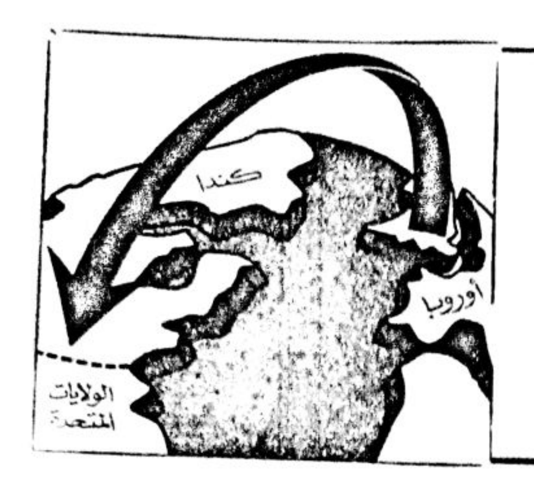
وقد تركت تصريحات ميتران وحديثه فى الكنيست حالة من الاحباط فى الكثير من الاوساط العربية حاول بعض المحللين الفرنسيين المؤيدين لسياسة ميتران ان يذيله بالقول ان دور فرنسا فى ازمة الشرق الاوسط يقتصر فقط على الجانب السياسى والادبى وعليها ان تقنع الاسرائيليين بضرورة التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بان يكون لها خط سياسى واضح يفترض قبول اسرائيل وانطلاقا من هذا الاعتراف المتبادل يمكن ان تسير الامور فى اطارها الصحيح بين الاطراف المتنازعة .

ولا نجد اختلافا حول بقية عناصر السلام كما تطرحه اوربا الغربية وبوجه خاص فرنسا والتصور الامريكى فكلا الطرفان مقتنع بان يتم السلام عن طريق المفاوضات مما يتطلب قبول قرارى مجلس الامن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ والاعتراف بحق كل دول المنطقة فى الوجود ضمن حدود امنة ومعترف بها وان على الدول العربية ان تعلن قبولها لاسرائيل . ومع تصاعد بعض الاصوات داخل الكونجرس والادارة الامريكية حول ضرورة اقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى « الاتجاه الذى يحمله السيناتور تشارلز بيرس رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس وبعض تصريحات وزير الدفاع كاسبر واينبرجر » اصبحت هناك قناعة داخل الولايات المتحدة بان هذه الحقوق تشكل اساس السلام فى المنطقة ولكن لا يزال الموقف الامريكى من الدولة الفلسطينية غامضا ومن منظمة التحرير سلبيا وفى هذا البعد يتميز الموقف الاوربى والفرنسى تمايزا محدودا عن الموقف الامريكى فبينما يوافق على قيام الدولة الفلسطينية الا انه لا يطرح تصورا محددا لهيكلها وحدودها بل ان ميتران اعلن فى احد احاديثه التليفزيونية انه من الممكن ان يكون الاردن او الضفة الغربية وطنا للفلسطينيين والمفاوضات هى التى ستقرر ذلك ولعله فى هذا يقترب من موقف شارون وزير الدفاع الاسرائيلى !

وبينما انتظر العالم العربى من اوربا الغربية مواقف حاسمة مع اسرائيل بسبب انتهاكاتها المستمرة للحقوق العربية سواء فى الارض المحتلة او خارجها لم يتلقى منها سوى عبارات الاسف والاستنكار الشكلى لهذه الانتهاكات فقد ضربت اسرائيل المفاعل النووى العراقى وانتهكت مرارا المجال الجوى السعودى وقامت بضم الجولان وفى كل ذلك كان موقف الدول الاوربية فى مجلس الامن يتراوح بين الامتناع عن التصويت او رفض اى قرار يدين اسرائيل ! وفرنسا مثلا رغم انها اعتبرت قرار ضم الجولان مناقضا للقانون الدولى ولقرارات الامم المتحدة الخاصة بازمة الشرق الاوسط امتنعت عن التصويت فى مجلس الامن حول مطالبة الدول العربية بفرض عقوبات على اسرائيل كما صوتت الى جانب معارضة المشروع العربى فى الجمعية العامة للامم المتحدة .

وحتى بالنسبة للمشروع الذى طرحه الامير فهد ولى عهد السعودية لاحلال السلام فى الشرق الاوسط اقتصر موقف اوربا الغربية على التأييد الشكلى والديبلوماسى والذى حرص كل مسئول اوربى يزور السعودية على اعلانه ارضاء للسعودية ! ولم ندع اى دولة اوربية الى اعتباره بديلا لمنهج كامب ديفيد والمعروف ان الولايات المتحدة ابدت ترحيبها بالبند السابع فى المشروع الذى يشير الى تأكيد حق دول المنطقة فى العيش بسلام اى الى الاعتراف باسرائيل ولكن واشنطن اكدت مرارا ان نهج كامب ديفيد هو الاطار الامثل .

لا شك ان اوربا الغربية حريصة على انماء مصالحها الاقتصادية فى العالم العربى ولكنها فى نفس الوقت تريد تأمين هذه المصالح دون ان تدفع ثمنا سياسيا للعرب يحرجها مع الولايات المتحدة ويضر بعلاقاتها التقليدية مع اسرائيل او بتحديد ادق دون ان تصطدم بالولايات المتحدة واسرائيل وهى مبادلة غير منصفة ولكن يبدو ان التقديرات الاوربية مؤمنة بهذه المبادلة وواقع العلاقات الاوربية العربية يشهد باستمرارها فقد باعت فرنسا للدول العربية سلاحا قيمته ٢٥ مليار فرنك فرنسى من مجموع قيمة مبيعاتها من الاسلحة البالغة ٣٢ مليار فرنك فى عام ١٩٨١ كما وانها باعت للدول العربية خلال الشهرين الاولين من عام ١٩٨٢ سلاحا قيمته ٢١ مليار فرنك من مجموع قيمة صادراتها البالغة للشهرين نفسيهما ٢٢ مليارا وتتأهب شركة الف اكتيين وهى احدى شركات النفط الكبرى للدخول فى صدام مع الحكومة السعودية حول اسلوب التعاقد لانها تشعر بخسارة من التفاوت الحالى بين اسعار السوق والاسعار الاساسية للاوبك التى التزمت بها السعودية اى ان المصالح الفرنسية فى المنطقة العربية تتدعم يوما بعد يوم فى الوقت الذى يقترب فيه التصور الفرنسى من التصور الامريكى لحل ازمة الشرق الاوسط .



الدوافع الأساسية للخلافات الأمريكية الأوروبية

محمد السعيد إدريس

تعرضت العلاقات الأمريكية ـ الأوروبية منذ تأسيس حلف الأطلنطى فى عام ١٩٤٩ لعدد من محاولات اعادة التقييم بسبب بروز وتنامى العديد من الخلافات والصراعات ، الحرجة أحيانا ، بين الدول أعضاء الحلف . وكانت آخر هذه المحاولات لقاء القمة الأخير فى بون يوم العاشر من يونية الماضى وحضره زعماء الدول الستة عشر أعضاء حلف الاطلنطى بما فيهم أسبانيا التى حضرت مثل هذه اللقاءات للمرة الأولى بعد انضمامها رسميا الى الحلف .

قبل انعقاد هذا اللقاء الأخير لزعماء الأطلنطى أجريت العديد من الترتيبات والاستعدادات والتجهيزات لجعل هذا اللقاء على مستوى خطورة الموقف بين الحلفاء . فقد أجريت لقاءات ثنائية وجماعية بين زعماء الاطلنطى كان أبرزها لقاء ميتران وريجان فى واشنطن ، ولقاء شميت وريجان فى واشنطن أيضا ، ثم جولة الرئيس الأمريكى فى أوروبا التى استغرقت اثنى عشر يوما زار خلالها باريس وروما ولندن ، كما عقد أيضا لقاء قمة آخر لزعماء الدول الصناعية السبع فى فرساى .

ورغم هذا كله فقد جاء لقاء بون أشبه بالمظاهرة السياسية منه الى التقييم الموضوعى للعلاقات داخل الحلف . فبعد اجتماع ليوم واحد انتهى لقاء القمة بالاتفاق على ستة مبادىء أعلنوها فى وثيقة شميت .. « اعلان بون » وجاء فيها أن مهمتهم هى « منع الحرب وحماية الديمقراطية وبناء قاعدة لسلام دائم » .

وبدلا من مناقشة الأزمات الخطيرة التى تواجه الحلف ومواجهة أسبابها الحقيقية بحلول علمية وموضوعية صرح الكسندر هيج وزير الخارجية الأمريكى السابق بأن إعلان بون ألقى المسئولية على موسكو لكى تستجيب لفرص الوفاق ، وان كان هيج قد أشار الى كلمة « الوفاق » فان هذه الاشارة جاءت ، كما يقول المراقبون ، بضغط من الدول الأوروبية لأن واشنطن كانت تفضل استخدام كلمة « حوار » الأمر الذى يكشف مدى عمق التباين فى وجهات النظر بين الولايات المتحدة والحلفاء الأوروبيين حول قضية من أخطر القضايا التى تواجه حلف الأطلنطى ، ولذلك صرح « بيير ترودو » رئيس وزراء كندا بعد انتهاء اللقاء بأن اجتماع القمة لم ينه الخلافات داخل حلف شمال الأطلنطى .

واشنطن ومنطق تجاهل الخلافات :

إذا كانت هناك ثمة ملاحظة أولية على مسار العلاقات داخل تحالف الأطلنطى فانها تتمحور فى تلك النظرة الفوقية التى تتعامل بها واشنطن مع الحلفاء الأوروبيين ، على أساس أن الدور الأمريكى والقوة الأمريكية هما الدعامتان الرئيسيتان لهذا التحالف ، ومن ثم كان تجاهل واشنطن لوجهات النظر الخلافية للدول الأوروبية أعضاء الأطلنطى والتى كثيرا ماوصلت الى درجة الانتقاد العنيف للسياسة الأمريكية .

الحقيقة أن هذه الملاحظة تتركز بصفة أساسية على الادارة الأمريكية الحالية برئاسة رونالد ريجان وطاقمه من الجمهوريين وعلى رأسهم الكسندر هيج الذى استطاع طوال وجوده كوزير للخارجية أن يكسب السياسة الخارجية الأمريكية الكثير من صفاته وآرائه الشخصية ، التى وصلت فى بعض الأحيان الى درجة الاستهانة بمواقف الحلفاء الأوروبيين ووجهات نظرهم فى العديد من القضايا .

وهذا التجاهل الأمريكى للخلافات القائمة داخل الاطلنطى ليس قاصرا على الادارة الأمريكية الحالية ، كل ما هنا لك أن هذه الادارة قد عبرت عن حقيقة الموقف الأمريكى بصورة واضحة وصريحة وبعيدة عن

اى مداورة او اخفاء . فالحكومات الأمريكية السابقه تعتبر مسئولة مسئولية مباشرة عن تنامى الخلافات داخل الاطلنطي لأنها تجاهلت هذه الخلافات ، ولم تأخذ إلا بما تراه متوافقا مع المصلحة الأمريكية دون اى اعتبار لمصالح باقى الحلفاء الأمر الذى أدى فيما بعد إلى تراكم الخلافات وتفجرها فى الوقت الراهن بالصورة التى هى عليه الآن .

وبدراسة معظم هذه الخلافات وتحليلها تؤكد أنه قد اصبح من الصعب على اعضاء الاطلنطى تجاوزها دون اجراء تعديل فعلى فى نمط العلاقات داخل الحلف يتمشى مع مجموعة المتغيرات التى تراكمت الواحد يلو الآخر على مدى العقود الثلاثة الماضية دون أية محاولة من الدول الغربية اعضاء هذا التحالف بالاستجابة لمتطلبات هذه المتغيرات

ومن بين هذه المتغيرات يمكن الحديث عن خمسة متغيرات اساسية كانت وراء ظهور كثير من الخلافات بين الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية الأعضاء فى حلف شمال الأطلنطى وهذه المتغيرات تتلخص فيما يلى :

أولا : الميل نحو الاسترخاء فى العلاقات الدولية وشيوع مناخ الوفاق بدلا من الحرب الباردة :

كانت ظروف الحرب الباردة طوال عقدى الخمسينات والستينات تمثل المناخ الطبيعى للكتل والأحلاف الدولية ، وكان احتدام هذه الحرب بين الكتلة الغربية ممثلة فى حلف شمال الأطلنطى والكتلة الشرقية ممثلة فى حلف وارسو يعنى مزيدا من التماسك والترابط داخل هاتين الكتلتين وشيوع روح التآزر والتضحية .

وعلى العكس عندما هدأت الحرب الباردة بفعل العديد من المؤثرات بدأت الكتل والأحلاف الدولية تعاني من التصدع وتوالى الأزمات والانقسامات الداخلية ، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر في خلخلة العلاقات داخل هذه الأحلاف سواء كان حلف وارسو أو حلف الأطلنطي .

وإذا كان مصطلح التعايش السلمي بين العملاقين قد ساد عقد الستينات تعبيرا عن قناعة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى باستراتيجية الردع النووى واستحالة حدوث أية مجابهة نووية بينهما نتيجة للتطورات المذهلة فى صناعة الأسلحة النووية ، فان تنامى هذا الشعور كان دافعا لحدوث تطور أكثر أهمية فى مسيرة العلاقات بين العملاقين ابتداء من عام ١٩٧٢ وهو الاتفاق على حدوث « انفراج » فى العلاقات المشتركة على امل أن يكون هذا الانفراج مقدمة لسيادة روح الوفاق فى العلاقات الدولية بدلا من الحرب الباردة .

وكان توقيع معاهدة موسكو فى ٢٩ مايو ١٩٧٢ - بين نيكسون وبريجنيف بهدف تنظيم العلاقات بين الدولتين هو الاعلان الرسمى عن السياسة الجديدة بين العملاقين وهى سياسة الانفراج

ومع الانفراج الذى حدث فى جو العلاقات الدولية أخذت الدعوة تشتد فى كل من الكتلتين الغربية والسوفيتية نحو عقد مؤتمر عام للأمن والتعاون الأوربى ، وذلك فى محاولة للتوصل إلى تسويات عامة ومقبولة لمشكلات الأمن المعلقة بين الطرفين . وقد قامت دول حلف وارسو بدور بارز فى الدعوة لهذا المؤتمر الذى إنعقدت المرحلة الأولى منه بالفعل فى ٣ يوليو عام ١٩٧٣ فى هلسنكى ، ثم إستؤنفت المرحلة الثانية منه فى جنيف فى ١٥ يناير ١٩٧٤ بحضور مندوبين عن ثلاثة وثلاثين دولة أوربية بالاضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، وإنتهت أعمال المؤتمر بالتوفيق على وثيقة مبادىء فى أغسطس ١٩٧٥ عرفت باسم « وثيقة هلسنكي » .

مجمل هذه التطورات كانت فى صالح الدول الأعضاء داخل تحالفي الأطلنطي ووارسو ، فقد رأت هذه الدول أن مناخ الانفراج فى العلاقات الدولية هو المناخ الكفيل بحدوث تنمية حقيقية فى قدراتها وممارسة دورها ونشاطها بعيدا عن قيود وهيمنة الدولة الكبرى فى التحالف سواء كانت الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي .

ولقد كانت الدول الأوربية الغربية حريصة على عدم التراجع عن سياسة الوفاق بين العملاقين ، فقد كانت دائما وراء ضرورة إستئناف مباحثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية بعد أن توقفت هذه المباحثات إثر رفض الادارة الأمريكية الجديدة التصديق على معاهدة سولت - ٢ ، كما كانت وراء مطلب عقد لقاء قمة أمريكي - سوفيتي لدعم الوفاق ، وهذا كله إنطلاقا من مصلحة أوربية تتلخص فى أن إستمرار مناخ الوفاق أو الانفراج - بشكل أكثر تحديدا - فى العلاقات بين الدولتين العملاقتين هو الضمان الوحيد امام الدول الأوربية للتخلص من سياج التحكم الأمريكى ،

من هنا كان خوف دول أوربا الغربية بمجيء الادارة الأمريكية الجديدة التي أعلنت عن تشددها فى معاملة الاتحاد السوفيتى ، وإمتنعت عن التصديق على معاهدة

سولت ـ ٢ . وبدأت فى إنتهاج سياسة أقرب ما تكون إلى الحرب الباردة منها إلى روح الانفراج

ولقد كان هذا التشدد الأمريكى مبعث شديد من جانب الدول الأوربية الغربية ، وكانت المشكلة البولندية أبرز مجالات هذا الخلاف

والتشدد الأمريكى الذى حرصت إدارة الرئيس ريجان على تأكيده حتى قبل إستلام الحكم يرجع إلى إقتناع العديد من المسئولين فى الادارة الأمريكية بأن السمة الأساسية لسياسة الانفراج الدولى وهى قبول العملاقين للتوازن أو التعادل بينهما ليست فى صالح الولايات المتحدة ، ومن هنا كان مطلب الانتقال إلى مرحلة السلام الساخن بدلا من أن تنتقل من الانفراج إلى الوفاق

ودول أوربا الغربية تدرك بلا شك خطورة مرحلة السلام الساخن هذه التى تحاول الادارة الأمريكية فرضها على مناخ العلاقات بين الكتلتين ، فعلاوة على آثارها السلبية وإنتكاساتها الخطيرة على العلاقات الدولية بصفة عامة فانها تتضمن أيضا أن تكون للولايات المتحدة القدرة على الانفراد بالقرار ، وهو تغير يمثل خطرا حقيقيا على إستقلالية القرار السياسى فى الدول الأوربية

من هنا كانت المحاولات العديدة من جانب الدول الأوربية الغربية لانقاذ الانفراج الدولى من السقوط ، ومن ثم كان تعمد النص فى إعلان بون السابق الاشارة إليه على مسألة الوفاق الحقيقى « كمطلب لابد منه من جانب كافة الأطراف بما فيها الاتحاد السوفيتى

ثانيا : السيولة فى مناخ العلاقات الأوربية :

المتغير الثانى الذى أضحى له تأثيرا فعالا على العلاقات بين الدول الأوربية الغربية الأعضاء فى حلف الأطلنطى والولايات المتحدة هو ذلك التغير الذى حدث فى نمط العلاقات الأوربية بشكل يكاد يكون جذريا عن الوضع الذى كان سائدا فى الفترة التى أعقبت إنتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة وتوقيع معاهدة حلف شمال الأطلنطى

فقد حرجت الدول الأوربية من الحرب ممزقة الأوصال يسيطر عليها الخراب والدمار ويسيطر على علاقاتها الشك والريبة فى نفس الوقت الذى قطعت فيه كافة الاتصالات مع الدول الأوربية الأخرى أعضاء الكتلة الشيوعية

هذا الوضع تغير تماما الآن حيث بدأ يشمل أوربا ويسيطر على طابع من السيولة فى العلاقات يتناقض بوضوح مع الأوضاع التى كانت قائمة عند بداية الستينات . ومن مظاهر هذه السيولة الزيادة الواضحة فى عضوية الجماعة الأوربية ، وتزايد المشاورات الأوربية حول مواضيع السياسة الخارجية والدفاع من خلال بعض الأجهزة مثل لجنة دافينون والمجموعة الأوربية داخل الناتو . والجهود التى تبذل لاقامة علاقات أمن جديدة بين حلفى الاطلنطى ووارسو .

وهناك الكثير والكثير من مظاهر هذا التغير الايجابى فى مناخ العلاقات الأوربية . وهناك أيضا الكثير والكثير من العوامل والأحداث الدافعة التى كانت لها قوة مؤثرة فى احداث هذه التغيرات التى إنعكست فيما بعد على نمط التعامل الاوربى مع الولايات المتحدة

يمكن أن نشير بايجاز إلى ثلاثة مؤثرات رئيسية من مجموعة هذه المؤثرات وهى

١ ـ تنامى جهود الوحدة الأوربية :

كان التفكير فى موضوع الوحدة الأوربية فى ظل مناخ مابعد الحرب العالمية الثانية أمرا مستحيلا فى وقت كان اليأس سائدا لدى الكثيرين من إمكانية إعادة بناء أوربا من جديد بعد الدمار والخراب الذى شهدته أثناء الحرب . ومع ذلك فقد قامت عدة جماعات ومؤسسات غير رسمية كانت وجهتها جميعا بذل جهود دعائية وتعليمية مكثفة فى خدمة الوحدة الأوربية

وقد نجح بعض هذه الجماعات فى المؤتمر الذى عقد فى لاهاى فى مايو ١٩٤٨ . وسمى بـ « مؤتمر أوربا » وقد أمكن لهذا المؤتمر أن يولد ضغوطا عنيفة فى إتجاه تأييد الاقتراح الذى كان مطروحا وقتئذ لانشاء جمعية برلمانية أوربية

وكان قد سبق التوقيع على القانون الخاص بمجلس أوربا قيام مجموعة من الدول الأوربية هى بريطانيا وفرنسا وبلچيكا وهولندا ولكسمبورج بتكوين رابطة تجمع وثيق بينها . وتمثل ذلك فى التوقيع على معاهدة بروكسل المعروفة فى مارس ١٩٤٨ ، وهى المعاهدة التى نصت على مبدأ الأمن الجماعى والدفاع المشترك ضد أى عدوان يقع فى أوربا ، وعلى التعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى . وعلى إقامة جهاز إستشارى دائم للبحث فى تنفيذ أهداف هذه المعاهدة ، وقد حاولت المعاهدة أن تنشىء منظمة عسكرية دفاعية فى غرب أوربا كانت النواة فيما بعد لحلف شمال الأطلنطى

(١٩٤٩) وإتحاد غرب أوربا (١٩٥٤)

ثم أتت مرحلة المشاريع المشتركة الخاصة بالتعاون الاقتصادى الأوربى ، حيث أخذت فرنسا على عاتقها زمام المبادرة . فتم التوقيع على معاهدة إنشاء مجمع الفحم والصلب (ابريل ١٩٥١) التى وقعت عليها كل من فرنسا والمانيا الغربية وإيطاليا وبلجيكا ولكسمبورج وهولندا . ثم وقعت الدول الست المذكورة فيما بعد فى ٢٥ مارس ١٩٥٧ فى روما على معاهدة إنشاء السوق الأوربية المشتركة أو « الجماعة الاقتصادية الأوربية » وفى نفس الوقت تم التوقيع على معاهدة إنشاء منظمة الطاقة الذرية الأوربية (البوراتوم)

وقد إتسعت عضوية السوق فيما بعد بانضمام بريطانيا رسميا بعد مفاوضات وجهود مضنية كان لفرنسا فيها دور ملحوظ بسبب تحفظها على عضوية بريطانيا فى السوق . وفى يناير ١٩٧٢ كانت الموافقة على ضم كل من بريطانيا والدنمارك وأيرلندا للسوق التى جعلت من الوحدة السياسية الأوربية هدفا منشودا حيث نصت الوثيقة الصادرة عن مؤتمر باريس (أكتوبر ١٩٧٢) على أن الدول الأعضاء فى الجماعة ، وهى تعد عنصرا محركا للبناء الأوربى ، لتؤكد عزمها على تحويل مجموعة العلاقات التى تربط بينها إلى وحدة أوربية قبل نهاية العقد الحالى

ومن هنا كان تأثير النجاحات الاوربية على مستوى هيئات الجماعة الاقتصادية الأوربية سواء كان فى البرلمان الأوربى او المجلس الوزارى فى إعطاء الدول الأوربية قوة كبيرة فى العمل وتوثيق علاقاتها المشتركة ، الامر الذى عكس نفسه مباشرة على نمط العلاقات داخل تحالف الأطلنطى وكان له تأثيره على نوعية المشاكل والخلافات التى أثيرت فى السنوات الأخيرة الماضية .

٢ ـ نمو الروح الاستقلالية داخل أوربا :

الحديث عن ظاهرة الاستقلالية الأوربية فى الفترة اللاحقه للحرب العالمية الثانية ترتبط بشكل مباشر بشخص الريس الفرنسى الأسبق « شارل ديجول » بل أن هذا الاتجاه بدأ يعرف كمذهب سياسى أوربى باسم « الديجولية » .

وفى داخل الاطلنطى اختلفت اتجاهات ديجول عن الإتجاهات الأمريكية اختلافا كبيرا . وقد بدأ هذا الخلاف بدعوة ديجول الى انشاء قيادة ثلاثية لحلف الإطلنطى تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، ثم تطور الخلاف من ذلك الى انه فى العصر النووى لايمكن لدولة ان تعتمد على دولة اخرى فى موضوع الدفاع عن امنها القومى

وعلى الطرف الاخر عمل ديجول على خلق علاقة مشتركة مع موسكو وتطبيع العلاقات معها وتم ذلك بزيارة ديجول لموسكو ثم زيارة بريجينيف لفرنسا حيث تم الاتفاق على تدعيم الامن الاوربى عن طريق اقامة نظام من التعهدات التى تحظر استخدام القوة المسلحة فى علاقات الدول الأوربية . وتحقق احترام مبدأ السيادة الاقليمية لكل دولة اوربية . والامتناع عن التدخل فى الشئون الداخلية

وقد استطاع ديجول من خلال هذه السياسة ان يدخل مفاهيم جديدة فى السياسة الخارجية للدول الأوربية الغربية ظهرت واضحة فى العلاقات داخل حلف الأطلنطى . وأثارت الولايات المتحدة . ومازالت تمثل عاملا مؤثرا على نمط العلاقات الأوربية الامريكية وسببا رئيسيا فى الخلافات المثارة بين الطرفين

٣ ـ الانفتاح على الشرق :

انتهج ديجول سياسة الانفتاح على الشرق كأول زعيم اوروبى ، ولكن عند ما أعلن فيلى برانت وقت أن كان وزيرا لخارجية المانيا الغربية ثم مستشارا عن تبنى هذه السياسة كانت الآثار أكثر أهمية وايجابية وذلك للدور الهام الذى تحتله المانيا الغربية على وجه الخصوص فى العلاقات بين الشرق والغرب

فبعد مبدا هالشتين الذى كان ينص على قطع المانيا الاتحادية لعلاقاتها الدبلوماسية مع أى دولة تعترف بحكومة المانيا الديمقراطية ، كما يرفض اقامة علاقات دبلوماسية مع اى دولة شيوعية باستثناء الاتحاد السوفيتى جاء فيلى برانت لينتهج سياسة جديدة عرفت بسياسة الانفتاح على الشرق (الأوستبوليتيك) وتستهدف مد جسور التقارب مع الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا بوسائل التسويه السياسيه والتفاوض الدبلوماسى وتنمية المصالح المشتركة واتخذ ذلك كنقطة انطلاقه نحو اعادة العلاقات الأوربية الى ظروفها الطبيعية ، واعطاء المانيا الغربية مقدرة أكبر على التأثير فى الشئون الأوربية بوجه عام

ولقد ظلت هذه السياسة محورا رئيسيا فى سياسة المانيا الغربية منذ عام ١٩٦٩ وحتى الآن أى طوال حكم الحزب الديمقراطى الاشتراكى . وقد التزم بها فيلى برانت ومن بعده المستشار هيلموت شميث الذى استطاع أن يخطو بالعلاقات مع الكتلة الاشتراكية وبالذات مع المانيا الديقراطية خطوات متقدمة وأن يقيم قاعدة قوية من التعاون المشترك مع موسكو كانت لها اثارها السلبية على العلاقات الألمانية ـ الأمريكية

وهكذا استطاعت هذه المؤتمرات الثلاثة ان تخلق المناخ الطبيعي فى العلاقات الأوربية وان تمد جسور المصالح والعلاقات مع أوربا الشرقية الأمر الذى حرر دول أوربا الغربية كثيرا من تأثير السياسة الامريكية بل ودفع بتناقض المصالح مع واشنطن الى الظهور .

ثالثا : التشكك الأوربى فى السياسة الدفاعية الأمريكية بسبب تزايد دور التيار الانعزالى فى الولايات المتحدة :

إذا كانت أوربا قد بدأت تعانى من عودة اليمين الأمريكى الى الحكم من خلال ادارة الرئيس الأمريكى رونالد ريجان الذى يحلم باستعادة مرحلة « السلام الأمريكى » حيث الكلمة النهائية فى المجتمع الدولى للارادة الأمريكية المنفردة ، وهو مايعرف بـ « الباكس أمريكانا » فإن تنامى دور التيار الانعزالى فى السياسة الأمريكية من ناحية أخرى بدأ يثير العديد من المشاكل أمام أوربا ويدفعها الى التشكك فى السياسة الدفاعية الأمريكية وفى جدوى الالتزام بالسياسة الدفاعية لحلف الأطلنطى ومشاركتها فى هذه السياسة وتحمل اعبائها وتبعاتها .

والتيار الانعزالى هذا ليس جديدا على السياسة الأمريكية فهو الذى كان يقف دائما وراء العزلة الأمريكية . والانكفاء على الذات والبعد عن المشاركة فى السياسة الدولية . ولكن اقترانه وارتباطه بالتيار الرجعى المهتم بالسيطرة المنفردة للولايات المتحدة على مقاليد السياسة فى العالم دون اعتبار لمشاركة الحلفاء أدى الى تخوف الدول الأوربية الغربية وطرحها لفكرة التزام الحياد فى السياسة العالمية والتخلى عن الارتباط بالسياسة الدفاعية لحلف الاطلنطى .

ويمكن رصد رد الفعل الأوربى الرسمى والشعبى إزاء تلك الأفكار الأمريكية على النحو التالى :

١ ــ بالنسبة لرد الفعل الرسمى تركز على المطالبة بالاسراع فى عقد مباحثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حتى يمكن تحاشى تنفيذ قرار الأطلنطى بوضع الصواريخ النووية الأمريكية متوسطة المدى فى أوربا خوفا من رد الفعل الشعبى الرافض لذلك .

٢ ــ أما بالنسبة لرد الفعل الشعبى فقد طالب الحكومات الأوربية برفض استقبال الصواريخ الأمريكية والتزام الحياد فى الصراع القائم بين الدولتين العملاقتين . لأن أوربا ستكون وحدها مسرح أية عمليات حربية بين العملاقين .

ودعوة الحياد الأوربية والألمانية بالذات كانت ردا على تنامى دور الجماعات الانعزالية واليمينية فى السياسة الامريكية . وكان التقارب مع الاتحاد السوفيتى امرا ضروريا للحد من التيار المتشدد فى السياسة الأمريكية الذى لم يوافق على هذا التقارب الأوربى رغم أن الولايات المتحدة نفسها قد اقدمت على مثل هذه السياسة الأمر الذى أثار تساؤلات عديدة لدى الأوربيين حول مفهوم الولايات المتحدة لسياسة الانفراج ومدى استفادة أوربا من هذه السياسة وتعاملها وفقا لمعطياتها .

رابعا : عدم التطابق فى المصالح الأمريكية ــ والأوربية :

الأفتراض البديهى الذى طالما ارتكزت عليه السياسة الأمريكية فى مواجهة أوربا الغربية من حيث تصور وجود تطابق كلى فى المصالح الأمريكية ــ الاوربية ثبت خطأه . فتدهور المركز التجارى للولايات المتحدة مع تفاقم أزمة الدولار فى النظام النقدى العالمى منذ منتصف السبعينات جعل واشنطن تنظر بحساسية الى المجموعة الأوربية التى ترى فيها أكبر كيان تجارى عالمى منافس لها . وقد أثار ذلك عداء الولايات المتحدة ضد اتجاهات الوحدة الأوربية .

وقد اتضح هذا التعارض فى المصالح بين الولايات المتحدة والدول الأوربية بتفاقم الأزمة الاقتصادية العالمية . فقد اتخذت الادارة الأمريكية على سبيل المثال قرارا برفع أسعار الفائدة على الودائع كوسيلة للحد من تفاقم التضخم . وكان المسئولون الأمريكيون يعرفون أن الدول الأوربية هى التى ستدفع الثمن اذ ستنتقل الودائع منها الى البنوك الأمريكية الأمر الذى سيضاعف من حدة التضخم بها ويرفع من نسبة البطالة . ومع ذلك لم تهتم الادارة الأمريكية ولم تعط لاعتبارات التحالف والمصالح المشتركة أهمية أكبر من المصالح الأمركية الخاصة وفقا لما تمليه الاعتبارات البراجماتية التى بدأت تسيطر على العلاقات بين أعضاء التحالف الغربى .

وأكثر من ذلك . فبعد انتهاء مؤتمرى قمة الدول الصناعية السبع فى فرساى وقمة الأطلنطى فى بون عاد الرئيس الأمريكى الى واشنطن ليتخذ قرارا أكثر خطورة على اقتصاديات أوربا الغربية . وهو قرار منع الشركات الأوربية من استخدام التكنولوجيا الأمريكية فى مشروع خط انابيب الغاز الطبيعى الذى سيربط بين سيبيريا والدول الغربية . كما اتخذ قرارا بمنع تصدير الصلب الأمريكى الى الشركات التى ستعمل فى هذا المشروع .

ولقد ادى اتخاذ هذه القرارات ذات الطابع الاستفزازى الى اثارة رد فعل غاضب لدى زعماء الدول الأوربية الذين وجهوا من بروكسل أثناء اجتماع القمة الأوربية انتقادات شديدة اللهجة للحكومة الأمريكية بسبب سياستها التجارية واتهموها بأنها تعرض النظام التجارى الدولى للخطر ، كما حذروها من أن تؤدى اجراءاتها التجارية هذه الى تدهور العلاقات السياسية والاقتصادية بصورة خطيرة بين أوربا والولايات المتحدة ، والى بدء حرب تجارية للرد على هذه الاجراءات .

خامسا : التطورات السياسية الأوربية :

اضافة الى كل العوامل والمتغيرات السابقة هناك متغير أخر له أهمية كبيرة فى العلاقة بين الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية ويتلخص فى مجموعة التطورات السياسية الأخيرة التى شهدتها دول أوربا الغربية .

ولعل أبرز هذه التطورات وصول الكثير من أحزاب الديمقراطية الاشتراكية الى الحكم فهم يحكمون فى المانيا الغربية منذ عام ١٩٦٩ ، وهم أيضا فى النمسا ، ووصلوا الى الحكم فى السويد والنرويج فى دورات انتخابية سابقة . ولهم الآن دور فعال فى كثير من الدول الأخرى وبالذات فى أسبانيا . أما فى فرنسا فان وصول الحزب الديمقراطى الاشتراكى بزعامة الرئيس ميتران الى الحكم بمشاركة الحزب الشيوعى الفرنسى يعتبر فى حد ذاته تطورا له اهميته ومغزاه على الحركة السياسية الاوربية بشكل عام .

واذا ما قارنا هذا التطور السياسى والايديولوجى فى أوربا بتحكم اليمين الأمريكى فى السلطة داخل الولايات المتحدة لأدركنا مدى التباين فى وجهات النظر المحتملة بين الفريقين على الرغم من عدم وجود دراسات علمية لقياس مدى تأثير هذا العامل الايديولوجى على العلاقات داخل التحالف الغربى .

كل هذه المتغيرات مجتمعة كان لها دور رئيسى فى تفجير العديد من الخلافات بين أعضاء التحالف الأطلنطى ، ومن ثم فإن أية محاولة لاعادة تقييم العلاقات الأمريكية ـ الأوربية بهدف وضع اطار جديد لهذه العلاقات يجب أن تأخذ فى اعتبارها كل هذه المتغيرات اذا ما أرادت وضع اطار مقبول للعلاقات داخل الأطلنطى يضمن له الاستمرارية فى تأدية دوره فى السياسة الدولية □



أزمة ثقة ومصالح متعارضة فى العلاقات الاقتصادية للتحالف الغربى

ابراهيم نوار

ماذا يجرى داخل التحالف الغربى على الصعيد الاقتصادى ؟ مناورات وكر وفر . رحلات مفاجئة وخاطفة . محاور تنشأ . حروب خفية وحروب معلنة خصوصا فى التجارة الدولية . سياسات تتجه إلى النزعة الاقليمية أو القومية الضيقة . محاولات للتقارب ومشكلات تتفجر بسبب الخلافات ...

صور متلاحقة تعكس مايمكن تسميته « أزمة ثقة » فى العلاقات داخل التحالف الغربى . وأزمة الثقة هذه ظاهرة إقتصادية بقدر ماهى ظاهرة سياسية . وهناك خطوط ومواقع متعددة للرؤية . ولكننا سنحاول التركيز على محاولة للرؤية من خلال الخلافات الكبرى نفسها . وربما يسمح ذلك بالوصول إلى رسم « لوحة عامة » لأزمة العلاقات الاقتصادية حاليا داخل التحالف الغربى .

الخلافات الاوربية / الأمريكية :

نقصد بالتحالف الغربى بشكل عام مجموعة الدول الصناعية الغربية الاعضاء فى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية . وهذه المجموعة يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات رئيسية ، الأولى هى أوروبا الغربية او المجموعة الاقتصادية الأوروبية والثانية الولايات المتحدة وكندا أما الثالثة فانها تتمثل فى الجناح الاسيوى الرئيسى لتلك المنظمة وهو اليابان .

وقد برزت فى الاونة الاخيرة ، مع اوائل السبعينيات عدة مظاهر دعمت فى التحليل الاخير تناميا متزايدا للاجراءات الاقتصادية القومية او الاقليمية الضيقة . كان بداية ذلك ظهور فائض كبير فى الميزان التجارى اليابانى ، ثم خروج أمريكا منفردة عن الالتزام بقواعد بريتون وودز ، والتخلى عن الالتزام بغطاء ذهبى للدولار . وقد أدى قرار الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون بوقف قابلية تحويل الدولار إلى ذهب إلى إضطرابات نقدية فى الاسواق العالمية . وأصبحت معظم العملات الاوروبية بأضرار متفاوته وكانت النتيجة لذلك أن كل دولة راحت تحاول منفردة الحفاظ على قيمة عملتها ، ولم تستطع أوروبا ان تفلت من مخاطر الحروب النقدية إلا بعد الاتفاق على قواعد لاقامة النظام النقدي الأوروبى . بحيث تكون هناك سياسة نقدية أوروبية مشتركة تمكن عملات واقتصاديات دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية من تحقيق الاستقرار المطلوب فى ظل غياب قواعد ملائمة للنظام النقدى الدولى .

لكن هذه الاجراءات لم تمنع من إستمرار سريان قاعدة جديدة فى النظام النقدى الدولى ، وهى عدم وجود سياسة نقدية موحدة على صعيد التحالف الغربى ككل . إذ أن قواعد النظام النقدى الأوروبى ظلت قاصرة على عملات دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية ، واستمرت كل من اليابان والولايات المتحدة فى إنتهاج سياسة نقدية خاصة بها . اليابان مستندة إلى الفائض الضخم فى ميزانها التجاري ، والولايات المتحدة مستندة إلى القوة الفعلية للدولار كعملة رئيسية فى الاحتياطى النقدي الدولى ، وقد دعم من هذه القوة إستخدام الدولار كعملة رئيسية لمدفوعات التجارة البترولية التى تمثل واحدا من أهم مكونات التجارة الدولية .

السياسة الاقتصادية الامريكية :

بلغة المسرح فان الرئيس الأمريكى رونالد ريجان قد خرج عن النص ! إن سياسته الاقتصادية التى كان يعتقد أنها الدواء الصحيح لاعادة الحيوية والشباب إلى الاقتصاد الرأسمالى قد أثبتت العكس . وعلى الرغم من أن الرئيس الأمريكى جاء على اساس من شعارات التضامن الغربى ضد الاتحاد السوفيتى ، والعمل على إحراز تفوق كاسح فى مواجهة السوفيت وتحقيق مزيد من الاستقرار الاقتصادى والنمو للعالم الغربى ، إلا

أن فترة رئاسته حتى الان أثبتت أن الأمور تسير ف عكس الشعارات أو الأهداف التى يعلنها كأساس لسياساته ويبدو أن نهاية فترة الرئيس ريجان ستشهد الاما عميقة للاقتصاد الغربى والاقتصاد الامريكى على السواء .

متناقضات فى السياسة الاقتصادية :

وتنطوى السياسة الاقتصادية الأمريكية حاليا على عدد من المتناقضات من أهمها على المستوى النظرى ، أن واضعى السياسة الاقتصادية وعلى رأسهم العالم الاقتصادى (آرثر لافر) يفترضون أنه لن تكون هناك أية آثار إنكماشية صافية بسبب تخفيضات حادة فى الضرائب وزيادة بنسبة مرتفعة لمعدلات الفائدة . بل إن (لافر) يعتقد بأن ذلك سوف يؤدى إلى زيادة الاستثمار بدرجة كافية .

إن هذه الفلسفة التى انطلق منها آرثر لافر تحاول أن تبعث من جديد (قانون ساى) التقليدى الشهير الذى يقول بأن كل مستوى من العرض يخلق الطلب المساوى له . وقد اعتبر واضعو السياسة الاقتصادية للرئيس ريجان أن الخصم العنيد الذى يتحتم عليهم أن يهزموه هو « التضخم » . فكانت الأداة الرئيسية التى لجأوا إليها هى محاولة التأثير فى الانفاق الحكومى ، وفى الكتلة النقدية . فانخفض الانفاق الفيدرالى بدرجة كبيرة خصوصا فى بنود الخدمات والرفاهية الاجتماعية والضرائب ، لكنه ازداد زيادة كبيرة فى مجال الاتفاق العسكرى . وقد أدت سياسة السيطرة على التضخم عن طريق تخفيض الكتلة النقدية إلى مضاعفة أسعار الفائدة مما أدى إلى تأثيرات دائرية سلبية فى عرقلة الاستثمار وتقييد الانتاج وتخفيض الدخل المتاح للاستهلاك نتيجة تقييد شروط الحصول على القروض والائتمان لتمويل حاجات الاستهلاك الشخصى .

وعلى جبهة معارضى سياسة ريجان الاقتصاديين التى يقف فيها العديد من الاقتصاديين اللامعين نجد أن جون كنيث جالبريث أستاذ هارفارد الشهير يشكك فى سياسة ريجان الاقتصادية ويرى أنها تنطوى على إحلال معدل مرتفع للفائدة مكان معدل مرتفع للتضخم . الأول يدفع ثمنه رجال الأعمال والثانى يدفع ثمنه المستهلكون . ويرى جالبريث أن مقدمة فريد مان التى تتلخص فى أن عرضا محدودا للنقود هو الشىء الوحيد المطلوب للتحكم فى التضخم هى فرضية لاتجد مايؤيدها من البحوث الاقتصادية الكمية .

وعلى الرغم من أن حكومة ، ريجان قد بدأت فى بداية الربع الثانى من العام الحالى فى تنظيم حملة إعلامية قوية ، يقف على رأسها الرئيس نفسه عن طريق لقاءاته المنتظمة وأحاديثه إلى أجهزة الاعلام ، معتمدين فى تلك الحملة بالأساس على مؤشرات إنخفاض التضخم فى الولايات المتحدة ، وعلى مجموعة من الوعود بتحقيق إنتعاش إقتصادى فى الصيف . إلا أن إنخفاض معدل التضخم حيث حققت الأسعار لأول مرة إنخفاضا بنسبة ـ ٣,٣ ٪ فى شهر مارس الماضى لايعكس بأية حال نتائج السياسة الاقتصادية للرئيس ريجان . ذلك أن مراجعة بنيان هذه النسبة يوضح أنها جاءت بشكل رئيسى نتيجة إنخفاض أسعار وقود السيارات ووقود التدفئة والمشتقات البترولية الأخرى وكذلك الانخفاض فى أسعار السيارات الجديدة ، وهذه المكونات لاتعود إلى إنجازات إيجابية لسياسة الرئيس ريجان بقدر ماتعود أساسا إلى إنخفاض أسعار النفط على المستوى العالمى ، بينما يعود إنخفاض أسعار السيارات الجديدة إلى الأزمة التى تواجهها صناعة السيارات فى الولايات المتحدة وارتفاع أرقام المخزون لديها . وهذه الأزمة التى تعانيها صناعة السيارات هى أحدى النتائج السلبية لسياسة ريجان الاقتصادية ، التى أدت إلى ركود فى صناعات السيارات ، والبناء ، والالكترونيات ، بل وإلى زيادة الأعباء على القطاع الزراعى بسبب أسعار الفائدة المرتفعة التى يتحملها المزارعون .

مؤشرات اقتصادية كئيبة :

وحتى يمكن أن نرى مدى ما وصلت إليه الأحوال الاقتصادية فى الولايات المتحدة سوف نستند إلى نتائج دراسة نشرت مؤخرا بواسطة مؤسسة بروكينجز ، قام باعدادها الاقتصادى الأمريكى (أندرو كارون) .

ـ تحقق الولايات المتحدة معدلات نمو حقيقى صغرى منذ النصف الثانى من عام ١٩٧٩ وطبقا لمؤشرات (فايننشيال تايمز) فان معدل نمو الناتج الصناعى للولايات المتحدة خلال العام الذى يبدأ من فبراير ١٩٨١ إلى فبراير ١٩٨٢ قد حقق إنخفاضا بنسبة ٦,٦ ٪ عن العام السابق .

ـ معدل البطالة قفز من ٥,٨ ٪ فى ديسمبر ١٩٨١ إلى ٨,٨ ٪ فى بداية الربع الثانى من العالم الحالى ، ومن المتوقع أن يصل إلى ٩ ٪ ، وهو أعلى معدل يتم تسجيله بعد الحرب العالمية الثانية .

ـ مؤشرات إفلاس المؤسسات الاقتصادية فى تزايد مستمر وقد أشار كارون إلى أن عدد مؤسسات الأعمال التى أفلست فى الاسبوع الثانى من فبراير ١٩٨٢ بلغ حوالى ٥٢٩ مؤسسة بزيادة نحو ٢٠٠ مؤسسة بالمقارنة مع نفس الاسبوع من العام الماضى . وهو

أعلى المعدلات خلال الـ ٤٠ سنة الماضية .
ـ ومع ذلك فان المخاطر الكامنة الأكثر تأثيرا تتمثل فى الافلاس المالى غير المتوقع لشركات كبرى ويرى كارون أن هناك شركات بالفعل بدأت تعانى من بوادر هذا الوضع من بينها كرايزلر ، إنترناشيونال هارفيستر ، برانيف وبان أميركان

وتحذر دراسة بروكنجز من الاتجاهات الحالية فى أسواق النقد الأمريكية وعلى الرغم من إرتفاع معدل الادخار ، فان هذه المدخرات لاتذهب إلى تمويل النمو والاستثمار ، وإنما تذهل إلى تمويل العجز الكبير فى ميزانية الحكومة بسبب الانفاق العسكرى ، وتمويل العجز فى ميزانيات الشركات بسبب أسعار الفائدة المرتفعة .

أوروبا تخسر كثيرا :

ولكن ما علاقة كل ذلك بالعلاقات الاقتصادية داخل التحالف الغربى ؟

الحقيقة أن السياسة الاقتصادية الأمريكية التى أدت إلى الاضرار بالاقتصاد الأمريكى نفسه ، قد أدت إلى الاضرار بالاقتصاديات الأوروبية هى الأخرى إلى حد كبير . وإذا كانت السياسة الاقتصادية الأمريكية قد جسدت نزعة ضيقة فى صياغة السياسة الاقتصادية ذات التأثير الدولى الكبير بعيدا عن التشاور مع الحلفاء وأصحاب المصلحة فى إبداء رأيهم فى هذه السياسة ، فانها قد أدت إلى مرارة متزايدة لدى أوساط أوروبية كثيرة . خصوصا تلك التى كانت تحاول أن تتبنى سياسات إنفاقية واسعة بغرض زيادة الاستثمارات .

ومن ناحية ثانية فقد أدت سياسة أسعار الفائدة الأمريكية شديدة الارتفاع إلى هروب الأموال من أوروبا إلى الولايات المتحدة . وبالتالى فقد تضررت أوروبا من هذه السياسة بشكل مزدوج .
ـ أولا لأنها فقدت أموالا كانت متاحة لتمويل مشروعات التوسع والنمو الاقتصادى فيها .
ـ ثانيا لأنها واجهت تيارا قويا فى الأسواق النقدية للتخلص من نقودها فى مقابل الحصول على الدولار الأمريكى .

وفى أن واحد كانت النتيجة كالآتى :ـ

انخفضت أموال الاستثمار إنخفضت أسعار العملات المحلية نتيجة للتخلص منها فى مقابل الدولار تزايدت تكلفة الاستثمار بالدولار تزايدت تكلفة الاستيراد بالدولار خصوصا فيما يتعلق بالواردات النفطية . حيث أصبحت المعادلة على حد صياغة بعض الاقتصاديين الأوروبيين « طاقة رخيصة ونقود غالية » .

فلم تستطع أوروبا أن تستفيد فعليا من إنخفاض أسعار النفط حيث تولى الدولار قضم الوفورات التى أتاحها إنخفاض أسعار النفط .

وهكذا أصبحت أوروبا الغربية مهددة هى الأخرى بحالة من الركود والانكماش الاقتصادى الاجبارى نتيجة لسياسة أسعار الفائدة الأمريكية

وقد أظهرت معدلات النمو فى معظمها نسبا سالبة بالقياس إلى العام السابق ولم تنج من تلك الظاهرة من بين الدول الصناعية الكبرى سوى اليابان وبريطانيا وألمانيا الغربية فى حين حققت فرنسا وهولندا وإيطاليا نسب نمو سالبة بالمقارنة مع العام السابق .

ومع إستمرار المؤشرات السلبية فى اداء الاقتصاد الأمريكى ، راحت إقتصاديات أوروبا الغربية . تتعرض لأضرار متزايدة . وربما كنا سنرى صورة مختلفة فى حالة ما إذا كان هروب الأموال إلى الولايات المتحدة يساعد فى تحقيق نهوض صناعى فى أمريكا . وتدوير الانعاش الاقتصادى بين الدول الصناعية الغربية . لكن الذى حدث هو العكس . حصلت أمريكا على الأموال بقوة أسعار الفائدة المرتفعة ، وفشلت فى تحقيق الانعاش الاقتصادى المطلوب أو تدوير فوائد إقتصادية إيجابية بين دول الغرب الصناعى . الدول الأوروبية التى كانت تضع برامجها الاقتصادية على أساس مكافحة التضخم مثل بريطانيا وجدت نفسها قد وقعت فى مصيدة البطالة تلك التى قامت سياستها الاقتصادية على أساس تخفيض معدل البطالة فانها وجدت نفسها وقد وقعت فى مصيدة التضخم مثل فرنسا

وحاول المسئولون عن الاقتصاد فى الدول الغربية إجراء حوار أوروبى / أمريكى لتعديل السياسة الاقتصادية الأمريكية بما يحافظ على مصالح الجميع ، ولكن النتيجة كانت فشلا ذريعا . كانما كانت السياسة الاقتصادية الأمريكية بمثابة عقوبة إقتصادية غير معلنة ضد أوروبا الغربية التى راحت تقترب مع الشرق على غير رغبة الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما دعا ميتران فى نهاية الأمر إلى أن يطلب من حلفائه الأوربيين ضرورة تشكيل جبهة موحدة ضد الولايات المتحدة الأمريكية فى المؤتمر الاقتصادى فى فرساى .

النافذة الضيقة التى ينظر منها ريجان إلى العالم :

ريجان ينظر إلى العالم كله من خلال نافذة ضيقة جدا هى العداء للشرق أو الاتحاد السوفيتى على وجه

الخصوص . ومع ذلك فان اول قرارات ريجان الاقتصادية كانت وقف الحظر المفروض على صادرات الحبوب الأمريكية إلى الاتحاد السوفيتي . وكانت وجهة نظر ريجان فى ذلك الوقت ان ذلك الحظر ليس سوى عقوبة ضد المزارعين الأمريكيين وليس ضد الاتحاد السوفيتي .

إن سياسات ريجان على حد تعبير الاقتصادي الأمريكي جيمس توبان الحاصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد ليست أبدا سياسة واحدة مترابطة . وإنما أجزاء متناثرة ومفككة . ويؤدى هذا إلى مزيد من التضارب على المستوى الداخلي والخارجي ، بل والاضرار بحلفاء الولايات المتحدة .

وتتمثل إحدى القضايا الرئيسية للخلاف بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية فى طبيعة العلاقات الاقتصادية مع الشرق . وهناك عدة موضوعات تشابكت مع بعضها فى الشهور الأخيرة ، أدت نتيجة إختلاف المواقف إلى تصاعد حدة الخلاف وإنفجار حرب تصريحات علنية متبادلة بين الجانبين وهذه الموضوعات هى بالأساس الخلاف حول مشروع الغاز السوفيتي إلى أوروبا ، ثم الخلاف حول مدى العقوبات الاقتصادية التى ينبغى توقيعها على الاتحاد السوفيتي بسبب موقفه من بولندا . والخلاف حول طبيعة التجارة والتسهيلات الائتمانية إلى الدول الاشتراكية عموما .

الولايات المتحدة : هجوم على أساس سياسى :

كان أخطر هذه الموضوعات وأكثرها إثارة فى الشهور الأخيرة موضوع خط الغاز السوفيتي الى أوروبا الغربية . وكانت الولايات المتحدة لا تتحفظ فقط على هذا المشروع ، بل إنها كانت تهاجمه بعنف . وكانت تبنى هجومها على أساس سياسى مؤداه أن هذا المشروع سيؤدى الى إخضاع أوروبا الغربية للتأثير السوفيتي الأقتصادى ، وأن خط الأنابيب يمكن أن يستخدم بعد ذلك فى مجال الضغوط السياسية ضد الغرب من جانب السوفييت . وأنه يجب على أوروبا الغربية التخلى عن المشروع بالكامل وفى مقابل ذلك يتم إمدادها بالغاز من حقول آلاسكا . غير أن الهجوم الأمريكي لم يكن له ما يؤيده من وجهة نظر المسئولين فى أوروبا الغربية الذين مضوا تباعا على طريق الاستمرار فى مفاوضات الحصول على غاز سيبريا من الاتحاد السوفيتي ، وتمويل المشروع ، وإنتاج مستلزماته من المعدات والآلات والأجهزة الأليكترونية البالغة التعقيد .

دفاع إقتصادى :

وكان الدفاع الذى تقدمت به أوربا الغربية ضد الولايات المتحدة دفاع يقوم على أسس إقتصادية ، وإن كانت تعكس فى مضمونها إختيارا سياسيا جوهريا بضرورة تخفيف حدة التوتر الدولى ، وخلق مجال للمصالح المتبادلة يقلل من إمكانية التعرض لضغوط أو تهديدات سوفيتية .

وقال الأوروبيون بوضوح إنهم سيحصلون على غاز مضمون لمدة ربع قرن . بأسعار منخفضة للغاية بالقياس الى أسعار الغاز المستخرج من صحراء الاسكا الجليدية

وعلى الرغم أن الولايات المتحدة راحت تكثف عمليات الهجوم بشدة على مشروع انابيب الغاز من سيبريا الى أوروبا الغربية الى أن كل المؤشرات أدت الى إقناع ريجان فى نهاية الأمر بأنه لايستطيع أن « يمنع جريان الماء من تحت الجسر » .. لقد كان المشروع يتقدم بوضوح برغم كل الضغوط الأمريكية . فلم يعد أمام الادارة الأمريكية الا أن تسلم بالأمر الواقع ، وأقصى ما يستطيع أن تفعله هو محاولة التأثير على المشروع بتأخير إتمامه أو إقامة العراقيل أمامه .

وعلى ذلك فإن تعارض الارادتين الأمريكية والأوربية فيما يتعلق بمشروع خط أنابيب غاز سيبريا قد أثبت فى نهاية الأمر قدرة الارادة الأوروبية على الاستقلال والتصرف المنفرد بصرف النظر عن وجهة النظر الأمريكية ، وما أرتبط بها من تهديدات

فى ضوء ماسبق فإن الولايات المتحدة سوف تكون مضطرة الى التراجع أمام الرياح الأوربية ، ولن يكون لهذا التراجع تأثير فى السياسة الامريكية ذاتها بقدر ما سوف ترتد أثاره الى مزيد من تحرر القرار الاوروبى فى العلاقات مع الخارج ، خصوصا فى مجال العلاقات مع الشرق والعلاقات مع الجنوب .

واليابان سوف تكون مضطرة الى التراجع أمام الرياح الأوروبية الأمريكية ، باتجاه إقتسام أثار الازدهار التجارى وتوزيع الانتعاش الاقتصادى ، أو تدويره داخل العالم الصناعى الغربى بأكمله .

وأوروبا الغربية سوف ينفتح أمامها الطريق لممارسة دور جديد فى حفظ التوازن العالمى إقتصاديا وعسكريا وسياسيا .

لكن هذه النتائج لن تحدث بطريقة دراماتيكية ، وإنما سوف تأخذ طريقها عبر طريق بطىء ولكنه متقدم باستمرار من وجهة النظر التاريخية .

وسوف نرى ماذا يكون الحصاد فى نهاية العام الحالى ؟ .

في الإستراتيجية العسكرية

مسألة أمن الخليج الأبعـاد الاســـتراتيجية والســـياسية

د . اسماعيل صبرى مقلد

اصبح الأمن الخليجى فى السنتين الاخيرتين قضـية محورية بارزة من قضايا الاستراتيجية الدولية حتى لقد غطت اهمية الخليج على مناطق اخـرى كان يعتقـد فى الماضى انها تتقدم عليها بمقاييس الاستراتيجية والأمن والمصالح العليا لكل من الكتلتين الغربية والسوفيتية . كما اصبح لتصورات القوتين العظميين وحلفائهما مـن مشكلات الأمـن الخليجـى ومـا يجـب ان يكون عليه مـوقفهم حيال تحـدياتها انعـكاساتها المبـاشرة على قضايا دولية اخرى ابعد مـن منطقـة الخليج ، وهـى القضايا التى تتسع لتشمل مستقبل المواجهة بين هـذه القوى الكبرى وكيفية الاحتفاظ بسياسات مستقرة من الردع المتبادل التى تحول دون الاخلال بمعالم الوضـع الدولى القائم ، واسلوب تأمين المصالح الاسـتراتيجية لتلك القوى بعيدا عن التهديد ، الخ ..

فاذا اضفنا الى ذلك الاتجاهات التى عبـرت عنهـا الدول الخليجية نفسها ازاء مـا يجـب ان تتمثـل عليه السياسات التى يمكنها ان تكفل لهـذه المنطقـة امنهـا وتبقى على استقرارها ، وتحول دون اسـتدراجها الى فخ الاستقطاب الذى تنصبه القوى الكبرى لها بتحـريك مخاوف لا اساس لها او بتضخيم حساسيات لا تقـدم ظروف الواقع القائم دليلا اكيدا عليها او بافتعال عقـد امنية تبنى على احتمـالات بعيدة او على تـكهنات غير مبررة بصورة كافية ، لأدركنا على الفور اى مسـتوى من الخطورة باتت تمثله مشكلة الامـن الخليجـى على مستقبل السلم العالمى كله ..

ولكى نقف على صورة اكثر تفصيلا عن واقع الامـن الخليجى بكل حقائقه ومتغيراته على الاقل كما تبدو من وجهة نظـر كل القـوى المعنية مـن دولية واقليمية على السواء ، فاننا سنحاول ان نتعرف على :

أ ـ الامن الخليجى من المنظور الامريكى .
ب ـ التصور السوفييتى لأوضـاع الامـن فى منطقـة الخليج .
ج ـ الرؤية الخليجية لقضية الامن فى المنطقة .
د ـ الامن فى الخليج واحتمالات المستقبل .

(أولا) الامن الخليجى من المنظور الامريكى :

ربمـا يتسـاءل مـع غيرنا مـن المحللين والمراقبين الدوليين : ما هى طبيعة المؤشرات التى تسـتند اليهـا الولايات المتحدة فى تبرير تركيزها المتنامى الاخير على قضية الامن الخليجى وبما يجعلها تسعى جـاهدة الى تكثيف تواجدها العسكرى المبـاشر فى المنطقـة بقصـد تعزيز فاعلية نظم وسياسات الردع الغربى الموجهة ضد السوفييت على نحو ما تـروج له اجهـزتها السـياسية المسئولة بمختلف الوسائل .

يدافع الامريكيون عن تصورهم لمضمون واسـاليب استراتيجيتهم الخليجية الجديدة استنادا الى جملة من العوامل والاسباب التى يذكرونها على النحو التالى :

١ ـ الاحتلال العسكرى السوفييتى لأفغـانستان الذى يصرون على انه مؤشر واقعـى على تصـاعد اخـطار التهديد السـوفييتى واقتـرابه الحثيث مـن منطقـة الخليج . وانه مجرد البداية نحو زحف ابعـد الى ايران

والى غيرها من الدول النفطية الرئيسية هناك طالما تسنح الفرصة بذلك مستقبلا . وهم يؤكدون على ان الاتحاد السوفييتى اخذ يطبق استراتيجية هجومية تعتمد القوة العسكرية المباشرة كأداة لتحقيق اهدافها البعيدة المدى ، وان ما حدث فى افغانستان ليس الا حلقة فى مخطط استراتيجى سوفييتى ستترابط حلقاته وتتكامل على المدى البعيد .

٢ - التدهور الحاد الذى اصاب قوة ايران التى كانت ركيزة اساسية من ركائز القوى الامريكية فى المنطقة وذلك بفعل تفكك اوضاعها الداخلية وضعف استقرارها وتصدع اجهزة السلطة المركزية فيها . وايضا بسبب حربها مع العراق والتى تتركها مفتوحة امام التهديد العسكرى السوفييتى دون ان تستطيع مقاومته .

وهم يقولون ان الحرب العراقية الايرانية الاخيرة ادت الى تدمير جانب ضخم من المنشآت النفطية للدولتين مما سيؤثر فى كميات النفط التى اعتاد الغرب ان يحصل عليها منهما ، وذلك فضلا عن المضاعفات السياسية والعسكرية لهذه الحرب الاقليمية من حروب الاستنزاف البطىء التى ستؤثر فى مستقبل هاتين القوتين الرئيسيتين فى الخليج وبالتالى فى مستقبل المنطقة كلها .

٣ - التزايد المطرد فى القوى البحرية السوفييتية فى المحيط الهندى مما يعنى التهديد المباشر للطرق التى تسلكها امدادات النفط الخليجى الى اليابان ، الحليف الآسيوى القوى للغرب . هذا فى الوقت الذى تجد الولايات المتحدة نفسها محرومة من قواعد عسكرية جاهزة لا ستخدامها فى مواجهة تهديدات القوى السوفييتية الزاحفة الى منطقة الخليج .

ومن هذا التصور العام يخلصون الى النتائج المحددة التالية :

أولا : ان منطقة الخليج بالذات اصبحت دون منازع بمثابة مركز الجذب الرئيسى فى حركة الصراع الدولى بين القوتين العظميين ، بل ان الخليج قد تفوق على اوروبا نفسها فى درجة الحساسية والتأثير التى تتركها اوضاعه على موازين القوى الدولية . وهم يقولون ان توفر امكانات هائلة للردع النووى الفورى فى اوروبا . وايضا فانه بسبب التواجد المباشر والمؤثر لحلفى الناتو ووارسو والاتجاه نحو حل مشكلات الامن الاوروبى فى مناخ عام من الاستقرار السياسى والاقتصادى ، انخفض التأثير الاوروبى وبدرجة كبيرة فى استراتيجيات المجابهة الامريكية السوفييتية .

ثانيا : ان فراغ القوى الكبير الذى تعانى منه منطقة الخليج بسبب تقلص قوة الغرب فيها ، يجعل هذه المنطقة هدفا بارزا فى استراتيجية السوفييت الرامية الى السيطرة عليها وضمها الى مناطق نفوذهم ان لم يكن بهدف الافادة المباشرة من نفطها ، فعلى الاقل لحرمان الغرب منه .

ومما يزيد الوضع سوءا - على حد ادعائهم - ان دول منطقة الخليج لا يمكنها بامكاناتها العسكرية المحدودة ان تدافع عن نفسها او ان تحمى ثرواتها النفطية ، كما انها بحكم خلافاتها السياسية المستحكمة اصبحت غير قادرة على وضع استراتيجية امن خليجى ضمن اطار عام محدد وبوسائل ولأهداف متفق عليها . وان كل ماتستطيع دول الخليج ان تفعله هو ان تهدد بحرق آبار النفط ، ولكن هذا لن يكون له تأثيره على الاتحاد السوفييتى الذى لا يعتمد على نفط الخليج . وانما سيقع الضرر كله على الدول الغربية واليابان .

ثالثا : ان معظم دول الخليج تريد ان تبقى على حيادها فى صراع القوى العالمى ، وهو ما يعنى تجميد اوضاع فراغ القوى بل وتدهورها بسبب الاستهلاك التدريجى لقوة هذه الدول فى صراعاتها المحلية ، الامر الذى يهيىء للسوفييت فرصا اوسع لتحريك الامور فى الاتجاه الذى يلائم اهداف مخططهم الاستراتيجى فى هذه المنطقة ، وسواء تم ذلك بوسيلة التدخل العسكرى المباشر (كما حدث فى افغانستان) او بالاسلوب غير المباشر (بالاستناد الى القوى اليسارية المحلية) .

رابعا : انه اذا امكن للسوفييت ان يسيطروا على منطقة الخليج او على منافذ نقل النفط منها الى اوروبا الغربية واليابان ، فان معادلات القوة الدولية ستتغير بصورة دراماتيكية حادة ، بل سينجم عنها على ارجح الاحتمالات ، انهيار محالفات الامن الغربى تماما .

فاوروبا الغربية ستجد نفسها مضطرة وقتها - كثمن لوصول نفط الخليج اليها - للدخول فى علاقات من المهادنة مع السوفييت ، وستذعن لضغوطهم ، وستفسخ روابطها التحالفية مع الولايات المتحدة التى ستجد نفسها حينئذ مرغمة على تصفية تواجدها العسكرى فى اوروبا والذى يأخذ اليوم طابع تخزين الاسلحة النووية ونشر الصواريخ والاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية ، الخ .

ولن يقتصر الضرر على التحالف الاوروبى الامريكى ، بل ان الضغط السوفييتى سيتسبب كذلك فى فصم عرى التحالف الامريكى اليابانى ، فاليابان تعتمد ربما وبدرجة اكبر من دول اوروبا الغربية على النفط الذى يأتيها من منطقة الخليج .

خامسا : ان الصين نفسها قد تدخل فى مرحلة جديدة من التقارب مع الاتحاد السوفييتى كنتيجة مباشرة لمثل هذا التغيير الجذرى فى الخريطة السياسية وفى علاقات التوازن الاستراتيجى الشامل على المستوى العالمى ، وهذا يعنى فى المحصلة الاخيرة ان السوفييت

يستنبوأون مركز الهيمنة العالمية شبه المطلقة وسمكون ..موارد القوة الامريكية اقل لهم بكثير مما اعتادت ان تكون عليه في السابق

مبدأ كارتر وأمن الخليج :

من العوامل السابقة نستطيع ان نتبين جانبا هاما من الاسباب التي دفعت بالادارة الامريكية السابقة لان تصدر في ديسمبر من عام ٧٩ ما سمى بمبدأ كارتر الذي عبر وبصورة رسمية عن القلق الامريكي الشديد ازاء الخطر الذي يواجهه الولايات المتحدة ومصالح حلفائها في الخليج ، والذي عبرت فيه كذلك عن تصميمها على ان تقاوم وبكل الوسائل الممكنة ، بما فيها استخدام القوى المسلحة ، اي محاولة من جانب اي دولة خارجية (الاتحاد السوفييتي) للسيطرة على هذه المنطقة ..

ومن واقع الصورة التي اعلن بها ، يتضح ان هذا المبدأ موجه اساسا ضد الاتحاد السوفييتي اذ انه القوة الخارجية الوحيدة التي في مقدورها ان تسيطر على منطقة الخليج وان تصيب المصالح الغربية فيها بالضرر البالغ ، ومن ثم فان مبدأ كارتر لايتعرض للتهديدات الأخرى المحلية الطابع اي التي تأتي من داخل منطقة الخليج والتي قد يكون لها تأثيرها السيء على تدفق امدادات النفط الخليجي بشكل منتظم الى الدول الغربية واليابان ..

مشروع قوات الانتشار السريع :

لقد اعتمد مبدأ كارتر الذي تبنته ادارة الرئيس الحالي رونالد ريجان ، على اقامة قوة خاصة للتدخل او الانتشار السريع التي يمكنها ان تستخدم كرادع للتهديد السوفييتي للخليج او احباطه ومقاومته في حالة وقوعه فعلا . وقد اثار التكوين المقترح لهذه القوات الامريكية اساسا في اعدادها وتجهيزها وعناصرها البشرية ، مجادلات واسعة النطاق داخل امريكا وخارجها ، وكلها تشكك على نحو او اخر في قدرة هذه القوة على ملاقاة السوفييت في الشرق الاوسط بتفوقهم البري الكاسح وبقدرتهم على الوصول الى عمق هذه المنطقة في وقت محدود .

لقد اوضحت هذه المناقشات والتحليلات ان هناك العديد من اوجه القصور والضعف التي يعاني منها مشروع قوات الانتشار السريع وكذا الظروف الاقليمية المحيطة به والتي تجعل من الاعتماد على الكثير من دول المنطقة لتنفيذه بصورة فعالة امرا مشكوكا فيه ، وهذا ما سيوضح لنا بعضا من الدوافع الكامنة وراء اتفاق التعاون الاستراتيجي المعقود اخيرا بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وتتمثل ابرز نقاط الضعف في هذا المشروع في الآتي

١ - ان قوات الانتشار السريع تتكون من وحدات موجودة حاليا وليس من وحدات جديدة اقيمت خصيصا لاغراض هذه المجابهة ضد السوفييت في الخليج ، وان نقل تلك القوات عبر البحار يعتمد على نفس الوسائل المخصصة للمهمات والعمليات الطارئة لحلف الناتو ، وعلى ذلك فانه ما لم تتوفر لقوة الانتشار الدعم والمساندة الضرورية من الدول الحليفة او الصديقة الاخرى ، فان الولايات المتحدة ستتعرض لضغوط شديدة عند قيامها بالاستجابة للتحديات التي ستنشأ في منطقة الخليج وتقتضي الرد عليها ، بأسلوب القوة المسلحة

٢ - ان الحجم المحدود نسبيا لقوات الانتشار بشكلها الذي يخطط له الآن سيترك الاتحاد السوفييتي في الموقف الذي يستطيع منه القيام بأعمال تمويهية في مناطق اخرى غير تلك التي تعتبر مسرحا للعمليات ، كما سيكون بمقدوره استعمال وسائل التغطية السياسية والتركيز على عنصر المفاجأة العسكرية ليحرم خصومه من فترة الانذار التي يتطلبها الاعداد للرد وذلك على غرار ما حدث في كل من تشيكوسلوفاكيا وافغانستان .

٣ - ان الحجم الضخم من امكانات القوة التقليدية التي يستطيع الاتحاد السوفييتي ان يحركها الى منطقة الخليج يستخدمها في تهديدها ، يوضح عدم جدوى اعتماد امريكا على عامل القوة التقليدية وحدها في ردع تهديدات سوفييتية على هذا المستوى من الكثافة .

ولتصوير الموقف على حقيقته ، فانه بينما لن تستطيع الولايات المتحدة ان تبعث بأكثر من قوة رمزية من بضعة آلاف خلال المراحل الاولى من اي صراع ينشب في الخليج ، فان بامكان الاتحاد السوفييتي ان يرسل سبعة فرق محمولة جوا . ويضيف الى فجوة عدم التكافؤ في امكانيات الرد هذه ان السوفييت يمتلكون حاليا اكثر من عشرين فرقة منتشرة على الحدود الشمالية لا يران وهي تستطيع ان تتحرك جنوبا في اية لحظة .

٤ - ثم هناك مشكلة السرعة التي يمكن ان يتم بها وصول القوات الامريكية الى مسرح الاحداث ، وواضح ان هذه المشكلة ترتبط في اساسها بعامل الحجم فالحجم الكبير قد يقف عائقا في طريق استخدامها بصورة سريعة كما ان الحجم المحدود قد يلبي الاشتراط الا ان الاستجابة في تلك الحالة لن تكون فعالة ، ومن هنا فان التوصل الى الحجم المناسب الذي يضمن الفاعلية والسرعة معا يصبح جوهر المشكلة كلها .

ويرتبط بهذه المشكلة ، ويتداخل معها ، العامل

الاخر المتصل بمدى كفاية فترة الانذار المتاحة لقوات الانتشار السريع ، ومن ذلك انه كلما طالت فترة التحذير او الانذار ، تضاءل احتمال الرد باجراءات مضادة عنيفة من قبل قوات الانتشار ، لأن عنصر السرعة فى تلك الحالة يكون قد انتهى ولم تعد له قيمة .

وبالمقابل ، فان قصر فترة التحذير ، قد تكون لها هى الاخرى مشاكل وذلك اذا لم تتوفر قوات جاهزة بامكانات ملائمة تستطيع ان تستجيب على الفور للتهديد المعادى ، اذ يصبح من غير المجدى تحريك هذه القوات للتدخل بسرعة دون وجود ضمان معقول لنجاح عملياتها ، والا تحول الامر الى كارثة .

من ناحية ثانية : فانه اذا احتاج الامر الى نقل قوات اضافية من قواعدها فى امريكا ، فان عنصر الوقت قد يكون قاتلا ، وذلك انه يغدو من الصعب نقل قوة ضخمة بكل عتادها وتجهيزاتها الثقيلة عن طريق جسر جوى منتظم بين الولايات المتحدة ومنطقة الخليج فى غضون فترة زمنية قصيرة .

٥ - ان اتفاقيات التسهيلات الثلاث التى تم توقيعها مع كينيا والصومال وعمان وان كانت مفيدة الى حد ما ، الا انها لن تعطى الولايات المتحدة القدرة الكافية لمواجهة اى هجوم سوفييتى شامل على الخليج .

فالصومال معرض للهجوم الجوى من جارتيه اللتين تحصلان على امدادات سوفييتية وهما اثيوبيا واليمن ، كما انه بعيد عن القسم الاعلى من الخليج .

وكينيا مع انها اقل عرضة للتهديد ، الا انها تبعد نحو ستمائة ميل عن مضيق هرمز ، واخيرا فان التحسينات المقرر اجراؤها فى الدول الثلاث هدفها دعم الاساطيل الامريكية وليس القيام بعمليات عسكرية منها .

يضيف الى هذا ، ان استعمال التسهيلات العسكرية سيكون قاصرا فقط على ظروف الطوارىء والازمات كما تنص على ذلك الاتفاقات والترتيبات المعمول بها ، ولهذا التقييد عيوبه ومشاكله من وجهة نظر التخطيط البعيد المدى لمختلف احتمالات المواجهة ضد السوفييت فى الخليج

ويتمثل الجانب الاكبر لهذه المشكلة فى عدم استقرار الاتجاهات السياسية للدول التى تتوافق على منح تلك التسهيلات فى الوقت الحاضر مما يجعلها غير مضمونة ، وعلى ذلك فان ما تحتاجه امريكا - على حد زعم البعض - هو قواعد دائمة وليس تسهيلات تمنح على اساس عارض ومؤقت

وتخلص الانتقادات السابقة وغيرها الى حقيقة اساسية مؤداها ان التحسينات المقررة لقوات الانتشار السريع لا يتوقع لها ان تتم - بافتراض الاحتفاظ بالفكرة نفسها وعدم التراجع عنها - قبل خمس

اوثمان سنوات ، وهى لهذا السبب لن تستطيع ان توقف اى هجوم سوفييتى على نطاق واسع على مناطق انتاج النفط فى الخليج .

البدائل المقترحة :

الى ماقبل الاعلان عن اتفاق التعاون الاستراتيجى الاخر مع اسرائيل ، تركز البدائل المقترحة لتعزيز فاعلية قوات الانتشار السريع فى الآتى :

اولا :الاصرار على ان يتحمل حلفاء امريكا الغربيين واليابان وبشكل جماعى مسئوليات جديدة فى اوروبا وآسيا ، حتى يسهل على الولايات المتحدة ان تدفع بقوات الانتشار الى المناطق القريبة من شرايين النفط العربى .

كما يمكن ان يشمل هذا التخطيط مطالبة هؤلاء الحلفاء بان يعملوا مع امريكا فى كنطقة الخليج نفسها عن طريق قيامهم بنشر بعض قواتهم وذلك بهدف ايجاد صيغة متعددة الجوانب لجهود الردع الغربية الموجهة ضد السوفييت ، وايضا لضمان وجود امدادات كافية من القوات الغربية لمسارح العمليات العسكرية المقبلة فى الخليج .

ثانيا : انه ومع التسليم بأن دول الخليج لن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها فى وجه الهجمات السوفييتية دون مساعدة امريكية عاجلة وكبيرة ، الا انه يمكن تشجيع تلك الدول على تطوير نوع من القدرة العسكرية يكون باستطاعتها تأخير الموجة الاولى للهجوم السوفييتى . وايجاد مثل هذه القدرة سيجعل من الصعب على القوات السوفييتية المحمولة جوا ان تصل الى الخليج قبل وصول الوحدات الارضية وذلك للسيطرة على المطارات والمنشآت التى تعتمد عليها القوات الامريكية فى دخولها

ثالثا : انه يمكن للولايات المتحدة ان تبحث فى امكانية تخزين اسلحة ومعدات ثقيلة قريبة من منطقة الخليج ، وهذه المعدات ستكون ضرورية لوقف تقدم السوفييت الى الكويت والسعودية ، وايضا فانها ستكون ضرورية لصد القوات السوفييتية المقبلة من جبال ايران الشمالية ، فالا سلحة لا يمكن نقلها عن طريق البحر اذ ان ذلك سيستغرق وقتا طويلا

ويمضى هذا الاقتراح الى القول بأنه ولأسباب تتعلق بالتعرض للهجوم ، فقد لا يحسن بالولايات المتحدة ان تركز كميات كبيرة من الاسلحة فى مكان واحد وخاصة فى اماكن عدم الاستقرار ، وعلى ذلك يكون البديل الافضل هو تخزين بعض المعدات العسكرية مسبقا بين الخليج والجناح الجنوبى لحلف الناتو .

ويقول اصحاب الاقتراح ، ان عمليات تخزين بعض المعدات فى المنطقة قد تكلف الكثير ، الا ان النقل البحرى والجوى يكلف الكثير كذلك ، وفوق هذا فان

التدخل عن طريق الجو قد يتم بناءا على اشارات تحذير غير موثوق فيها ومبكرة جدا ، بينما ان القوات المتمركزة سلفا تستطيع ان تبقى ثابتة ولكن على حذر ريثما تتضح ابعاد الازمة .

رابعا : ان على امريكا ان تدرس امكانية اقامة وجود دائم فى الخليج او قريبة على اعتبار انه لم يعد فى مقدور الغرب ان يخسر نفط الخليج ، وانه بدون نفط الخليج ستقاسى اوروبا اقتصاديا بقدر ما تقاسى من هجوم عسكرى سوفييتى مباشر عليها . واصحاب اتجاه الوجود الدائم فى المنطقة يقولون انه ضرورى لتمكين الغرب من مواجهة المراحل الاولى الحرجة للهجوم المفاجىء ، غير ان هناك الاتجاه الآخر الذى يعارض تلك الدعوة بقوله ان هذا التواجد الدائم قد يعرض استقلال دول الخليج للخطر ويدفع الاتحاد السوفييتى الى القيام بأعمال انتقامية معادية ضد الغرب ومصالحه النفطية فى الخليج .

خامسا : ان هناك العديد من الدول المهمة التى تحيط بمنطقة الخليج مثل مصر واسرائيل والسودان والتى اظهرت تجاوبا كبيرا مع المصالح الغربية ، ولهذه الدول اهمية جغرافية واستراتيجية كبرى ، وهى يمكنها بالاضافة الى تركيا ان تعوض الولايات المتحدة عن المزايا الجغرافية التى يتمتع بها الاتحاد السوفييتى وتتضح اهمية تركيا بالذات من واقع انها تضم قواعد جوية كاملة الانشاء تتمشى مع مستويات الناتو ، كما ان الطائرات التى تنطلق من هذه القواعد تستطيع ان تصل إلى مناطق الازمات فى الخليج أو إلى القواعد التى يمكن ان ينطلق منها اى هجوم سوفييتى على الخليج .

ردود فعل دول الناتو الاوروبية واليابان :

لقد اظهرت اكثرية دول الناتو الاوروبية واليابان

لقد اظهرت اكثرية دول الناتو الاوروبية خليج بحجة ان هذا التوسيع يجلب عليها مخاطر امنية فوق طاقتها على الاحتمال .

كذلك فان دول اوروبا الغربية لا توافق على دفع دول منطقة الخليج الى نقطة الاختيار القاطع بين الشرق والغرب ، وهى تعتمد ان عدم انحياز دول الخليج يشكل ضمانا افضل لمنع الاتحاد السوفييتى من التدخل النشط فى اوضاعها كنوع من رد الفعل الدفاعى من جانبه وربما كانت بريطانيا هى الاستثناء الوحيد من هذا الاتجاه الاوروبى العام .

وتنتقد الولايات المتحدة هذه النزعة غير المتجاوبة من جانب حلفائها وتقول ان عدم انحياز دول الخليج بهذه الصورة الجماعية لا يمكن ان يوفر رادعا يعتد به ضد التهديد السوفييتى ..

ويذهب هذا النقد الامريكي الى القول بأنه اذا كانت لاوروبا الغربية لا تستطيع أن تدافع عن نفسها الا مع وجود قواعد امريكية فى اراضيها ، فكيف يمكنها معارضتها لمد مظلة دفاع الناتو الى منطقة الخليج بحجة حماية نفسها من الخطر السوفييتى بدون وقوف قوة امريكا العسكرية الى جانبها ؟

وبشكل عام ، فان سبب انزعاج حلفاء امريكا الاوروبيين من خطط المواجهة العسكرية التى تصر الادارة الامريكية على تنفيذها فى منطقة الخليج ، يدور حول الاتى :

١ ـ ان نطاق التزام الناتو الراهن لا يسرى الا فى اوروبا والمنطقة المشمولة بدفاعات الحلف ، واى تعديل فى هذا النطاق يجب ان يتم بموافقة دول الحلف وليس بقرار امريكى منفرد

٢ ـ ان المهمات المنوطة بقوات التدخل السريع لا بد اذا وضعت تحت قيادة الناتو ان تخلق صداما مباشرا مع دول الحلف سواء من اقطار الخليج نفسها او من الاتحاد السوفييتى .

ويشير المراقبون الدوليون الى ان اى محاولة امريكية لتوسيع نطاق التزام الحلف ليشمل اماكن اخرى سيواجه معارضة شديدة فى بعض الدول الاوروبية كما ستفجر مشكلات دستورية عويصة فى بعضها البعض . ويقولون : لقد كان المطلوب دائما بالنسبة لهؤلاء الحلفاء هو التوفيق بين تأمين الغطاء الامريكى لضمان التوازن الاستراتيجى مع السوفييت ، وبين الاستقلالية الاوروبية . وقد ظهرت هذه المسألة بوضوح فى عهد ادارة كارتر السابقة ، ولكن الحال اختلف تماما مع ادارة ريجان التى تسعى الى اهدار هذه الاستقلالية الاوروبية والضغط على اوروباالتى تنساق وراءها تحت ذريعة الحاجة الى تكثيف الاداوار والمشاركات على وجه السرعة ودون ان تمنح حلفاءها المهلة الكافية لتدبير عواقبها والتفكير فى احتمالاتها على مستقبل امنهم واستقرارهم ، وخاصة عندما يتعلق الامر بامكانية استخدام الرادع النووى لاعاقة الزحف السوفييتى باتجاه الخليج ..

اتفاق التعاون الاستراتيجى مع إسرائيل للدفاع عن الخليج :

ان عدم اقتناع دول الناتو الاوروبية بادخال منطقة الخليج ضمن مسئولياتها الدفاعية المباشرة رغم حاجتها القصوى الى النفط الذى يأتيها منه ، وكذلك فأن الاستجابات المحلية والاقليمية الرافضة لمبدأ الانحياز العسكرى الصريح الى جانب امريكا بوسيلة تقديم القواعد والتسهيلات ولأغراض التدخل والانتشار السريع وبالكيفية التى يخطط لها دعاة الاستراتيجية الامريكية النشطة الجديدة ، هى التى حفزت الولايات المتحدة الى عقد اتفاق التعاون الاستراتيجى الاخير

بينها وبين اسرائيل ، بعد أن تأكدت انه لن يثير ضدها في المنطقة العربية أكثر من عبارات الشجب والادانة الكلامية المعتادة .

ان هذا الاتفاق — في رأينا — هو بداية مرحلة جديدة تماما من اعادة ترتيب الاوضاع والاولويات في الشرق الاوسط على نحو يتيح للولايات المتحدة ادارة علاقات هذه المنطقة من مركز القوة والتفوق الساحق ، وهو يحاول ان يستثمر كل فعاليات القوة الاسرائيلية في خدمة الاستراتيجية الامركية كما يضع قوة امريكا وامكاناتها وكافة التسهيلات التي تحوزها في المنطقة تحت تصرف اسرائيل ودعما لأهدافها الاستراتيجية البعيدة ، وهو يتستر على هذا كله بذريعة التهديد السوفييتي للخليج والشرق الاوسط .

ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذا اتفق الطرفان على رفض تسمية هذا التعاون الاستراتيجي بالتحالف العسكري ، فقد ارادا من ذلك ان يخففا من وقعه على الدول العربية وبخاصة الدول المعتدلة والصديقة لأمريكا والتي كان لابد وأن يعرضها هذا التحالف لحرج بالغ ويضعها تحت ضغوط سياسية ونفسية عنيفة .

ان هذا التعاون الاستراتيجي يهدف طبقا لما اعلنه اصحابه الى تعزيز فاعلية قوات الانتشار السريع عن طريق :

أ — اقامة مخازن للأسلحة والمعدات الامريكية في اسرائيل وصيانتها بواسطة فنيين اسرائيليين .

ب — تخويل الولايات المتحدة حق استعمال القاعدتين الجويتين الجديدتين في صحراء النقب ، وهما القاعدتان اللتان تبنيهما امريكا حاليا كتعويض عن القاعدتين اللتين اعيدتا الى مصر في سيناء .

ج — قيام الطائرات العسكرية الاسرائيلية بعمليات النقل الجوي للقوات الامريكية .

د — تقديم مينائي حيفا واسدود كمركزي صيانة للسفن الامريكية .

هـ — الاشتراك الاسرائيلي مع الاسطول السادس الامريكي ، ويتمثل ذلك في ربط شبكة الانذار المبكر للأسطول السادس مع شبكة الانذار المبكر في اسرائيل .

و — القيام بمناورات بحرية وبرية مشتركة .

واذا كانت هناك بعض الاراء في اسرائيل التي تنظر الى هذا التعاون بقلق وتقول أنه اذا اصبحت اسرائيل حلقة رئيسية في استراتيجية امريكا العسكرية في الشرق الاوسط ، فانها سوف تصبح هدفا منطقيا لأي هجوم يشنه الاتحاد السوفييتي على المنطقة ، فان الاراء التي تقف في الجانب المضاد تحاول ان تقلل من تلك المخاوف وان تركز على مزايا هذا التعاون المشترك بأن نسبت اليه

اولا : انه سيساعد على توفير كميات كبيرة من الاسلحة في الاراضي الاسرائيلية عند نشوب حرب فعلية مع العرب ، وهو الامر الذي سيخفف من حدة الامدادات العاجلة والجسور الجوية كما حدث في حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ثانيا : ان هذا التعاون المشترك سيوفر فعاليات اكبر لردع التهديد السوفييتي للشرق الاوسط ، واحتواء هذا التهديد يخدم المصالح الاستراتيجية العليا بأسرائيل لانه يقلل من امكانية التدخل السوفييتي بالوسائل العسكرية المباشرة الى جانب الانظمة العربية المتحالفة معه .

ثالثا : ان مثل هذه العلاقات ستجعل الولايات المتحدة تهتم اكثر واكثر بأمن اسرائيل وبقائها ، وهذه اهم ميزة ستحصل عليها اسرائيل من وراء الاتفاق الاخير .

وكل هذا يكشف كيف أن اسرائيل عندما وقعت على اتفاق التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة ، فانما فعلت ذلك من منطلق مصالحها والفعاليات العسكرية الجديدة التي سيمنحها لها والتي يمكن ان تستخدمها في ضمان تفوقها العسكري الدائم على الدول العربية وتثبيته ، وليس من منطلق العمل على تعزيز المقدرة القتالية الضاربة لقوات الانتشار السريع للدفاع عن منطقة الخليج ضد التهديد الخارجي على نحو مايذاع ويروج له .

اما عن التصور الامريكي لاهمية هذا التعاون الاستراتيجي مع اسرائيل ، فيتمثل طبقا لما تم الاعلان عنه حتى الأن في اسرائيل تعتبر موقعا هاما بالنسبة للولايات المتحدة في عمليات تخزين الاسلحة ، وأن وجود الاسلحة في اسرائيل يجعلها اسهل للنقل الى الخليج واوروبا الغربية ، وهذا يعني أن مايجري تخزينه في اسرائيل سيمكن استخدامه من جانب قوات حلف الناتو .

يضاف الى ذلك ان تقدم اسرائيل التكنولوجي على الدول العربية يجعلها اقدر على القيام بتبعات هذا الدور المساند ، وذلك من حيث القدرة على صيانة المعدات العسكرية المخزونة في اسرائيل بتكلفة اقل مما تتكبده هذه الصيانة في الولايات المتحدة نفسها .

ثانيا : التصور السوفييتي لمسألة الأمن الخليجي

يختلف منظور الاتحاد السوفيتي في تصوره لمشكلات الامن في الخليج ، بشكل جذري عنه بالنسبة للولايات المتحدة على نحوما اسلفنا القول حيث ابرزنا المعالم الاساسية لهذا التصور الامريكي من تلك القضية الحساسة والشائكة .

عناصر الرؤية السوفييتية للموقف الامنى فى الخليج :

ان نقطة الانطلاق الرئيسية التى يحرص السوفييت على تأكيدها والضغط عليها عند تناولهم لقضية الامن الخليجى فى أبعادها وملابساتها الراهنة ، هى أنه لايوجد للاتحاد السوفييتى مصالح خاصة فى منطقة الخليج يخطط على اساسها او يعمل بوحى منها ، وانما تأتى متابعته لتطورات الاحداث فيها وملاحقته لمجرياتها من واقع الصلة المكانية الوثيقة بينه وبينها ، مما يجعلها تؤثر فى امنه بشكل لايستطيع ان يتجاهل احتمالاته الخاصة مع الاندفاع الامريكى الاخير الى هذه المنطقة بكل ذلك الحشد من وسائل القوة العسكرية تحت ذريعة التهديد السوفييتى المتزايد للأمن الخليجى بعد احداث افغانستان . ويقول السوفييت :

١ ـ ان الدعايات الامريكية المكثفة حول اخطار التواجد العسكرى السوفييتى على مشارف الخليج تنطوى على محاولة مقصودة للتضليل وتحويل الانظار عن الاخطار الحقيقية التى تواجه الامن الخليجى وتهدده فى صميمه .

٢ ـ ان التخطيط ضمن اطار استراتيجى يهدف الى تكثيف التواجد العسكرى الامريكى فى منطقة الخليج بدأ قبل احداث افغانستان بعدة سنوات ، وبالأخص بعد حرب اكتوبر ٧٣ . فمنذ ذلك الوقت اثيرت وبصورة متكررة وعلى أعلى المستويات المسئولة فى الادارات الامريكية المتعاقبة فكرة وضع غطاء من القوة العسكرية فوق الخليج . وليست تصريحات هنرى كيسنجر وجيمس شليزنجر وزبجنيو بريزينسكى وهارولد براون وغيرهم من مستشارى الامن كروبرت تاكر الا تأكيدا على هذا الاتجاه .

لقد اتفقت كل هذه الاراء فى النهاية على ضرورة توفير امكانية مناسبة تسمح للولايات المتحدة مستقبلا بالاستيلاء على أبار النفط الخليجى وتأمين وصوله الى الغرب فى مواجهة أى شكل من اشكال التهديد حتى ولو كان هذا التهديد يأتى من داخل المنطقة نفسها ، ولاعلاقة له بهجوم سوفييتى عسكرى محتمل ضدها . ولذا يمكن القول بأن فكرة قوة التدخل السريع المدربة على القتال فى مثل الظروف والخصائص الجيبوليتكية لمنطقة الخليج ، قد طرحت فى وقت سابق على الاعلان الرسمى عن مبدأ كارتر فى نهاية عام ٧٩ وليس بعده كما تحاول الدعاية الامريكية ان ترسخ فى اذهان دول المنطقة .

٣ ـ ان سعى الولايات المتحدة الى تكديس السلاح وتخزينه والمضى من ذلك الى الحصول على القواعد والتسهيلات فى هذه المنطقة تحت مبرر الحاجة الى حماية الطرق والمضايق البحرية التى يمر عبرها نفط الخليج الى الدول الغربية المستهلكة له ، يساعد على توتير الاجواء فى المنطقة ومضاعفة الاخطار المحدقة بأمنها ، ويخلق تعقيدات من شأنها ان تجعل من احتمال اندلاع حروب ومواجهات دولية واسعة النطاق حول الخليج او بسببه اقوى واقرب منه فى أى وقت مضى .

مبادرة بريجينيف لتحييد منطقة الخليج عن الصراعات الدولية :

على ضوء الاعتقاد السابق ، اعلن الرئيس السوفييتى ليونيد بريجينيف عن مبادرته التى دعت الى تحييد منطقة الخليج فى صراعات القوى الدولية . وهى المبادرة التى جاء ذكرها للمرة الاولى اثناء الخطاب الذى القاه بريجينيف امام البرلمان الهندى فى شهر فبراير الماضى ، ثم تأكدت فى التقرير الذى تقدمت به اللجنة المركزية الى المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى بعد ذلك التاريخ مباشرة .

لقد طرحت المبادرة السوفييتية جملة من المبادىء والافكار تمثلت فى الاتى :

أولا : الدعوة الى عدم اقامة قواعد عسكرية اجنبية فى منطقة الخليج والجزر القريبة وكذلك التعهد بعدم وضع السلاح النووى أو غيره من اسلحة الدمار الشامل فوق اراضيها .

والهدف من هذه التعهدات المقترحة ، كما يقول السوفييت فى توضيحاتهم اللاحقة لبنود هذه المبادرة ، هو الحيلولة دون انفجار سباق خطر للتسلح بين القوى الكبرى فى منطقة الخليج والذى يمكن ان يكلف هذه المنطقة امنها واستقرارها وتكون ضحيته الرئيسية . ويقولون ان هدف امريكا من انشاء قوات التدخل السريع وغيرها ليس حماية الأمن الخليجى كما يتردد الزعم ، وانما حماية المصالح القومية الامريكية حتى ولو كان الثمن هو تصعيد المخاطر العسكرية فى الخليج والاقتراب بها من نقطة الحرب النووية .

ثانيا : الدعوة الى عدم استعمال القوة العسكرية او التهديد بها ضد دول المنطقة ، والا متناع عن التدخل فى شئونها الداخلية . وما قاله السوفييت هنا لا يعدوان يكون اعادة تأكيد على مبدأ اساسى تضمنه ميثاق الامم المتحدة ، كما انه ترديد لقاعدة اساسية من قواعد القانون الدولى التقليدى .

ثالثا : الدعوة الى احترام الصفة الحيادية وغير المنحازة لدول منطقة الخليج بكل ما يترتب على ذلك من الامتناع عن تورطها فى صراعات القوى الكبرى ، سواء اتخذ ذلك طابع اشراكها فى عضوية بعض الاحلاف العسكرى بصورة صريحة ومباشرة او بالوقوف وراء بعض المشاريع التى تروج لها الولايات المتحدة مثل

الحاجة الى اقامة « حلف امنى خليجى » بدعم ومشاركة امريكية مما سينتهى بدول المنطقة عمليا وفى النهاية الى فقدانها لصفتها غير المنحازة وانضوائها تحت لواء الاحلاف العسكرية الغربية .

رابعا : الدعوة الى احترام حق السيادة الذى يكفله القانون الدولى لدول هذه المنطقة على مواردها الطبيعية .

وفى هذا يقول بعض المسئولين السوفييت ان الاتحاد السوفييتى يؤيد السيادة الوطنية لجميع الدول على مواردها الطبيعية ، ويستنكر بقوة السياسة الامريكية التى تنظر الى الارض الخليجية وكأنها « مستودع نفطى » يحق لها ان تتصرف فيه على النحو الذى يروق مصالحها غير عابئة بردود فعل اصحاب هذه الموارد الطبيعية الحقيقيين ، بل وهى تذهب الى حد تهديدهم احيانا باستعمال القوة العسكرية ضدهم من أجل تأمين وصول هذه الموارد النفطية اليها بلا توقف أو انقطاع .

خامسا : الدعوة الى عدم اقامة اية عراقيل أو افتعال اية تهديدات لعمليات التبادل التجارى الطبيعى بين دول المنطقة الخليجية والخارج ، أو لطرق النقل البحرية التى يعتمد عليها هذا التبادل .

ويدافع السوفييت عن هذا الجانب من مبادرتهم بقولهم انه اذا كانت الولايات المتحدة تحاول ان تبرر وجودها العسكرى فى الخليج بالحاجة الى حماية مصالحها الحيوية على نحو مافعل مبدأ كارتر ودون مواربة ، فانه وبالمثل ، لايمكن انكار ان حرية الملاحة البحرية فى هذه المنطقة وتأمينها تصبح ذات أهمية أكبر بالنسبة لدول أوروبا الغربية ولكثير من الدول الاسيوية والافريقية وكذلك بالنسبة للاتحاد السوفييتى نفسه . كما ان النفط الذى ينقل من منطقة الخليج لا يهم الولايات المتحدة وحدها ، وانما يهم كذلك وربما بدرجة اكبر العديد من الدول الأخرى التى تعتمد عليه اعتمادا اساسيا .

ويخلص المسئولون السوفييت من عرضهم لعناصر تصورهم هذا حول طبيعية التحديات الامنية فى منطقة الخليج ، وما يجب ان تكون عليه اسلوب مواجهتها الى القول بأنه مالم تتضافر الجهود الدولية من أجل العمل على احلال سلام راسخ فى هذه المنطقة فى اطار تعهدات مقبولة ومتفق عليها ، فأنه يصبح من الصعب توقع قيام ظروف تساعد على توفير أى نوع من الاستقرار الحقيقى فيها ، بل وستظل أمام احتمال حدوث ازمات دولية عنيفة ومتلاحقة فيها ـ طالما بقيت جذورها واسبابها على حالها دون أن تمس ـ وقد تؤدى التراكمات المستمرة لهذه الاوضاع الاستفزازية الى نسف السلام فى هذه المنطقة برمتها .

ومن هنا يقول السوفييت ان المسئولية الاساسية لتعزيز أمن منطقة الخليج يجب أن تظل بأيدى دولها ، فهى أقدر بوسيلة المناقشة البناءة لظروفها ، وواقعها على ان تستخلص انسب السياسات المدعمة لأمنها واستقرارها . واذا كان ثمة حاجة الى اقامة شكل ما من اشكال الحوار الأمريكى السوفييتى حول مسألة الامن الخليجى ، فأن ذلك يجب أن يتم فى اطار دولى تقبله دول المنطقة وبما يأخذ رغباتها فى الاعتبار ، شريطة ان يتوفر الدافع على احترام اى التزام او مجموعة من الالتزامات يتوصل اليها فى هذا الشأن .

الأمن الخليجى والقضية الافغانية :

ليس ثمة شك فى ان التدخل العسكرى السوفييتى فى نهاية عام ٧٩ والذى مايزال قائما حتى الان ، قد اساء الى الثقة فى الدور الذى يمكن ان ينهض به السوفييت فى تنفيذ أى التزام دولى يحث على احترام أمن دول منطقة الخليج ويشجع استقرارها ، حتى على نحو ما دعت اليه المبادرة السوفييتية التى وقفنا على خطوطها العريضة . فالانطباع الذى تركه هذا التدخل هو ان القوى الكبرى ، بصرف النظر عن هويتها العقائدية ، مستعدة لأن تستخدم قوتها العسكرية فى أعمال تدخل علنى ومباشر دفاعا عن مصالحها حتى وان ترتب على ذلك اهدار استقلال الدول التى يحدث ذلك التدخل ضدها . ولهذا السبب فقد كانت مشكلة الاتحاد السوفييتى وهو يطرح مبادرته تتجسم فى : كيف يمكنه التوفيق بين مايقترحه من اطار عام لضمان أمن الخليج وبين بقائه بكل هذه القوة العسكرية فى افغانستان ولأمد يبدو غير محدود ؟

بداءة يرفض السوفييت الربط بين حل مشكلة الأمن الخليجى وانسحابهم من افغانستان لأنهم ينفون عن هذا التواجد العسكرى أن تكون له أية صفة تهديدية أو استفزازية لأمن الخليج ، وهم يحاولون أن يقنعوا الاخرين ان مافعلوه جاء ضمن اطار من تعهدات يتحملونها ازاء افغانستان بموجب معاهدة صداقة وأمن متبادل موقعة بين الطرفين ، أى أن ذلك التدخل لم يحدث قسرا ضد ارادة السلطة الحاكمة وانما بناء على دعوة صريحة منها ، الخ .

ولست اعتقد اننا هنا فى الموقف الذى يسمح لنا بتفنيد هذه الادعاءات أو التحفظ عليها أو التسليم بها ، ولكن كل ما يمكن قوله هو أن الدور السوفييتى فى افغانستان خلق انطباعات سياسية ونفسية اضرت مالا ذلك شك ، بالثقة فى سياسات الاتحاد السوفييتى ، ولايهم فى ذلك ان يكون هذا التدخل قد حدث فى سياق تطورات دولية أوسع فى الشرق الأوسط وبخاصة منذ ٧٧ عندما زار السادات القدس واحتكرت أمريكا عملية صنع السلام فى المنطقة ، أو جاء بناء على طلب من

حكومة نصبت نفسها فى السلطة فى ظروف غير طبيعية وحظيت حتى من قبل ان تعلن عن نفسها بمساندة سوفييتية غير مشروطة لها .

ومع ذلك يقول المسئولون السوفييت انه حتى وان كانت سياستهم تقوم على التعامل مع مسألة الأمن الخليجى كقضية مستقلة فى حد ذاتها عن القضية الافغانية ، الا انهم لايمانعون فى تسوية الوقف فى افغانستان بصورة منفردة بعد أن يكون قد تم الاتفاق على ايقاف كل اشكال التدخل فى الشئون الداخلية لأفغانستان وبعد الحصول على تعهد من الولايات المتحدة بعدم القيام بأى نشاط تخريبى ضد افغانستان بما فى ذلك النشاط الذى ينطلق من اراضى دول ثالثة بتشجيع من امريكا ودعمها . فاذا تحقق ذلك ، كما يؤكدون ، كجزء من تسوية سياسية عامة للوضع القائم فى المنطقة المحيطة بأفغانستان ، فانه سيكون من السهل على السوفييت وقتها الانسحاب عسكريا منها .

ويبدو أن الشروط التى يضعها الاتحاد السوفييتى لانسحابه من افغانستان ، صعبة التنفيذ وبدرجة تسمح لنا بالقول بأن هذا التواجد العسكرى فى تلك الدولة الاسيوية سيستمر لفترة طويلة قادمة .

السوفييت والحرب العراقية ـ الايرانية :

لاخلاف فى ان الحرب العراقية الايرانية تؤثر بصورة مباشرة وقوية فى أمن دول الخليج ، واذا كان هذا يبدو غير محسوس الان ، الا أن مدى هذا التأثير سيتضح كاملا بعد أن تضع هذه الحرب الخليجية اوزارها أو بالأحرى عندما ينجلى ميزان القوى فى المنطقة بين هاتين الدولتين الخليجيتين الرئيسيتين ، وبالتالى فاننا قد نكون وقتها أمام جملة من المتغيرات الاقليمية التى ستختلف فى طبيعتها عما هو قائم الان . ومن هنا نستطيع أن نقف على مبعث اهتمام القوتين العظميين بالاحتمالات القريبة والبعيدة التى تعززها مجريات هذه الحرب التى دخلت عامها الثانى دون توقف .

والتفسير السوفييتى للحرب العراقية الايرانية يتمثل فى أنها تعمل على اضعاف الدولتين كما أنها تخلق الظروف التى تشجع على التدخل العسكرى الامريكى فى هذه المنطقة لاسترجاع المواقع التى خسرتها الولايات المتحدة فيما مضى .

واذا كان هذا صحيحا ، أى أن الحرب ليست فى صالح الدولتين ، فماذا عن المعاهدة السوفييتية العراقية ؟ وهل تلزم السوفييت بالتدخل الى جانب العراق فى هذه الحرب ؟

ويجيب السوفييت على هذا التساؤل بقولهم ان المعاهدة هى معاهدة سلام وليست معاهدة حرب ، وبالتالى فان احتمال التدخل فيها غير مثار بالمرة ، وهم يؤكدون على أن الطريق السليم الوحيد المؤدى الى وقف النزاع المسلح يكمن فى التسوية السياسية للمسائل التى تفرق البلدين بما فى ذلك مسألة الاراضى . ولهذا السبب فان الاتحاد السوفييتى لم يتوانى عن تأييد مساعى الوساطة السلمية التى بذلتها حركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامى .

السبب فان الاتحاد السوفييتى لم يتوانى عن تأييد مساعى الوساطة السلمية التى بذلتها حركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامى .

ويدافع السوفييت عن وحدة الاراضى الايرانية وسلامتها ويعربون عن معارضتهم لأى محاولة تستهدف المساس بكيان ايران (وهو مايشكل تحذيرا غير مباشر للعراق) عندما يقولون ان الاتحاد السوفييتى الذى أفلح فى أن يقيم مع ايران علاقات حسن جوار تقليدية يقف بحزم ضد التدخل الخارجى فى شئون ايران الداخلية من اى جانب كان ، وأيا كان شكل هذا التدخل وبأية ذريعة كانت ، بل وسيعتبر أى تدخل عسكرى فى شئون ايران تدخلا يمس مصالحه الامنية وهو مالن يسمح به .

وهذا يبين كيف أن السوفييت يرغبون فى انتاج موقف وسط ومتوازن فى هذه الحرب الخليجية حتى لايخسروا صداقة أى من طرفيها ولكن باعتقادنا أن المحك الحقيقى لهذه السياسة السوفييتية ليس فى تحديات الظروف القائمة الان ، وانما وكما سبق القول فيما يحتمل ان تتمخض عنه من نتائج سياسية واستراتيجية مستقبلة .

أمن الخليج ونزاع الشرق الأوسط

يتأكد من التصريحات التى صدرت عن كبار المسئولين السياسيين السوفييت الارتباط الذى يعقدونه بين أمن الخليج وتسوية نزاع الشرق الاوسط ، فبدون هذه التسوية السلمية ستظل منطقة الخليج كما هو الحال بالنسبة لاقليم الشرق الاوسط كله ، تدور فى تلك الحلقة المفرغة من القلق والتوتر وعدم الاستقرار الذى لابد وان يزيد مع اتجاه الولايات المتحدة الى تكثيف تدخلها العسكرى فى الخليج بحجة مقاومة التهديد السوفييتى تاركة النزاع العربى الاسرائيلى يتدهور مرة أخرى الى نقطة الغليان فالانفجار .

ومن هذا المنطلق يقول السوفييت ان مايحتاجه النزاع فى الشرق الاوسط ، هو اجراء تسوية سلمية شاملة على اساس عادل وواقعى وليس تطبيق سياسات الخطوات الصغيرة على نحو ما فعل كيسنجر ، وهى السياسات التى هدفت الى دفع الدول العربية الواحدة اثر الاخرى نحو عقد صفقات منفردة مع اسرائيل مما كان يحقق وللولايات المتحدة عدة مزايا

في نفس الوقت . فمن جهة ساعدت تلك السياسة على زرع الانقسام في العالم العربي ، كما ادت الى استبعاد الاتحاد السوفييتي من عملية التسوية في الشرق الاوسط ، واخيرا ، وهذا هو الأهم ، فانها كانت تهيىء المجال امام فرصة سيطرة أمريكية غير مشروطة على الموارد النفطية الهائلة التي تزخر بها هذه المنطقة .

ثالثا : رؤية الدول الخليجية لقضايا الأمن في الخليج :

باستثناء سلطنة عمان التي تقدم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة بموجب ترتيبات محددة لتسهيل مهمة قوات التدخل السريع في منطقة الخليج ، فان بقية دول هذه المنطقة ترى ، كما عبرت في بيانات مشتركة واعلانات رسمية متكررة أن أمن الخليج لن يكفله ولن يدعمه الا ابعاد المنطقة الخليجية عن صراعات القوى الكبرى ، وبحيث يصبح هذا الأمن مسئولية دول فقط . والتصريحات التي صدرت عن الشيخ صباح الاحمد نائب رئيس وزراء الكويت ووزير خارجيتها أثناء زيارته لموسكو في شهر ابريل الماضي توضح هذا الاتجاه بجلاء ، ففي هذه التصريحات قال : « أن الكويت بادرت فور الاعلان عن مقترحات بريجينيف الخاصة بمنطقة الخليج الى إعلان تأييدها لها لأن هذه المقترحات تلتقي مع اهداف وطموحات دول المنطقة ، ومضى من ذلك الى القول بأن الكويت لم تكتف باعلان موافقتها على هذه المقترحات بل صرحت أكثر من مرة قبل اعلان هذه المقترحات وبعدها ، ان منطقة الخليج ليست مهددة من قبل الاتحاد السوفييتي ، بل مهددة من قبل الولايات المتحدة الامريكية . وقد رفضت الكويت علنا وكذلك الاتصالات التي تمت مع الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الأوربية الأخرى فكرة تشكيل قوات التدخل السريع في منطقة الخليج العربي ، وأكدت على أن الحفاظ على أمن الخليج العربي مسئولية دوله فقط ، الخ .

الحيثيات التي ينبني عليها الموقف العماني :

في ضوء التوضيح السابق لما يمكن أن يحفظ أمن منطقة الخليج قد نتساءل : ما الذي يحدو سلطنة عمان الى أن تنتهج طريقا أمنيا مغايرا لما تقترحه وتحبذه أكثرية دول المنطقة ؟ والجواب عن ذلك يأتي على لسان المسئولين العمانيين انفسهم عندما يذكرون الاسباب الاتية كحيثيات يبنون عليها موقفهم :

أ ــ ان الخطر الرئيسي والواقعي الذي تراه عمان هو خطر الاتحاد السوفييتي على المنطقة ، سواء كان بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الدول التي تقع تحت نفوذه .

ب ــ انه اذا استطاعت دول المنطقة ان تبني قوة دفاعية ذاتية خاصة بها ، فان ذلك سيمكنها من أن تقف ضد هذا التهديد السوفييتي ، أو على الأقل في وجه تلك الدول التي يدعمها الاتحاد السوفييتي ، وهو ماسيؤدي الى تقليص النفوذ الغربي بالتبعية ، ومن ثم فلن يكون هناك داع لوجود عسكري أمريكي أو غربي في المنطقة التي ستعتمد أنئذ على قوتها التي تستطيع بها أن تدافع عن نفسها .

ويبدو أن العمانيين غير مقتنعين بأنه سيتسنى الوصول الى هذه النتيجة في ظروف المستقبل المنظور ، اذ نجدهم يقولون ان الخطر السوفييتي ماثل وباق ، ولن ينسحب الوجود السوفييتي سواء انسحب الغرب او سواء زادت الدول الخليجية من قدرتها الدفاعية واعتمدت على نفسها في الدفاع عن المنطقة ..

ج ــ ان الوجود السوفييتي في المنطقة وبالذات في اليمن الجنوبية هو احد عناصر الاستراتيجية السوفييتية البعيدة المدى والتي تنفذ على مراحل وليس بمقدور اليمن الجنوبي او غيره ان يغير من هذا الوضع في شيء . وتلك حقيقة اساسية يجب ان تأخذها دول المنطقة في حسبانها وهي تناقش مشكلة الامن الخليجي وما يتعرض له هذا الامن حاليا ومستقبلا من تحديات او تهديدات .

مجلس التعاون لدول الخليج العربية :

في المؤتمر الذي عقده وزراء خارجية دول الخليج العربية في فبراير ٨١ بالرياض تقرر انشاء مجلس للتعاون بين هذه الدول . ويجمع هذا المجلس في عضويته كلا من المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات العربية وقطر والبحرين وسلطنة عمان . وقد تقرر ان تكون الرياض مقرا للمجلس .

وقد حددت الوثيقة التأسيسية الصادرة عن المؤتمر من اقامة هذا المجلس بأنه العمل على تنفيذ رغبة الدول الاعضاء في تعميق وتطوير التعاون والتنسيق بينها في مختلف المجالات بما يعود على شعوبها بالخير والنمو والاستقرار .

وبشكل عام فقد حظي هذا المجلس بتأييد عربي عام باستثناء بعض الانتقادات والتحفظات التي وجهت اليه من قبل دولتي اليمن والعراق وثلاثتها دول خليجية لم تدخل في عضوية المجلس .

فمثلا نجد ان هذه الخطوة انتقدت في اليمن الشمالي على اساس انها تعمل على خلق كيانات ومحاور اقليمية تهدد التضامن العربي ، فضلا عن ان استبعاد اليمن من عضويته كان يحمل معنى الاساءة له بموقعة الاستراتيجي الهام كما انه كان يعني من الناحية العملية تجزئة امن المنطقة وابعاد بعض دولها ، على

الرغم من حيوية موقعها واتساع امكاناتها البشرية عن المشاركة في تحمل مسئولياته .

واما العراق فقد تحفظ على المحاولة بقولة انها كانت تتخطى الجامعة العربية وتؤدى الى اضعافها ، وقد جاء على لسان بعض كبار المسئولين العراقيين ان العراق كان دائما مع اى تقارب عربى او وحدة عربية بشرط ان لا يكون وسيلة لخلق تكتل داخل المجموعة العربية او معاكس لاهداف الجامعة العربية او ادخال النفوذ الاجنبي الى المنطقة العربية .

ونحن لا نتصور من جانبنا ان هذا المجلس قد قام من اجل تكريس نزعة تكتل اقليمى معينة او على اساس انه مجرد محور من دول الخليج النفطية التى تبحث به عن مصالحها الذاتية دون اكتراث بما يدور حولها او القرب منها ، وانما قام كجهاز للتشاور والتنسيق ولتحقيق الاتفاق حول مجموعة واسعة من المبادىء والسياسات التى يمكنها ان تخدم الامن الخليجي وذلك عن طريق توفير قاعدة مناسبة من الامكانات التى كان يفتقدها في السابق .

صحيح ان هذا المجلس الذى مايزال حديث العهد ، لن يستطيع بمفرده ان يحل مشكلات الامن الخليجي من جذورها لأن هذه كثيرة ومعقدة والعديد منها يتجاوز منطقة الخليج نفسها ليتصل بظروف واقع اقليمى ودولى اكبر منها ، الا ان المجلس يمكنه ان يلعب وبالوقت دورا متزايد الاهمية في تحديد الوسائل والخيارات التى يمكن ان تخدم هذا الامن وتفى ببعض احتياجاته ومتطلباته .

مسألة الامن الخليجي في مؤتمرات مجلس التعاون :

كانت مسألة الامن الخليجي من بين الشواغل الرئيسية للمؤتمرات التى عقدتها دول مجلس التعاون ، رغم ان بعض الموضوعات الامنية التى تناولتها المناقشة لم يمط اللثام كلية عنها بعد ربما بسبب الحساسية الشديدة التى يتميز بها مثل هذا المجال في العادة .

ففى مؤتمر الطائف على سبيل المثال ، كانت قد اثيرت مسألة الحلف الثلاثي الذى عقد بين اليمن الجنوبى واثيوبيا وليبيا وما يمكن ان يكون له من انعكاسات على أمن الخليج ، وقد طرحت بعض دول المجلس شكوكها ومخاوفها من قيام هذا التحالف .

ولتقصى الحقائق والملابسات التى احاطت بهذا الموضوع اوفد المجلس امينه العام الى عدن الذى قال بعد زيارته انه حصل في عدن على تطمينات بأن ما حدث لايهدد دول الخليج ولا أمنها ولا استقرارها ، واعرب عن اعتقاده بانه يمكن « احتواء » عدن مشيرا الى ان ذلك يتوقف على مجلس التعاون بالذات وعلى دوله .وقد اوضح ما يعنية من ذلك بقوله « ان اقامة القوة الذاتية الضاربة ، وبناء القوة المسلحة برا وبحرا وتأمين القوة البشرية اللازمة وكذلك الاسلحة المتطورة ، كل ذلك يجعل عدن وغير عدن تعود الى اصولها ولا تشعر بالحيرة او الفراغ .

وأما في مؤتمر قمة الرياض الذى انعقد اخيرا ، فقد نوقشت ورقة العمل العمانية التى تضمنت استعراضا للأمن في الخليج بما في ذلك الموقف العسكرى لدول المنطقة . ومن ذلك انطلقت الورقة الى عرض خطة عمل امنية - عسكرية وهى ارخطة التى اشتملت على اقتراح يدعو الى الاستعانة بخبرات محددة في المجالين العسكرى والامنى وتشكيل هيئة عسكرية وقيادة موحدة في المنطقة تشرف على الأمن الداخلى والدفاع عن المنطقة ضد اى عدوان ، كما اقترحت الورقة برنامجا زمنيا لتنفيذ هذه المقترحات .

وقد تزامنت هذه المقترحات الامنية التى تقدمت بها عمان ، مع تصريحات صدرت عن بعض كبار المسئولين فيها وكلها تؤكد على نفس المعنى . فوزير الاعلام العمانى عبدالعزيز الرواس وجه نداء الى مؤتمر قمة الرياض يدعوها فيه الى تشكيل قوة خاصة لدول الخليج للتصدى لمحاولات الاتحاد السوفييتى لتطويق منطقة الخليج الاستراتيجية .

وحول مناورات (النجم الساطع) الامريكية التى شاركت فيها سلطنة عمان ، قال وزير الاعلام العمانى انها تظهر للآخرين ان عمان لها اصدقاء مستعدون للدفاع عنها . وأضاف ان هذه المناورات التى تدخل في اطار التسهيلات التى تمنحها بلاده للولايات المتحدة ستتيح للسلطنة امكانية تنسيق عملها المشترك مع امريكا في حالة وقوع خطر يهدد المنطقة . واوضح ان هذه المناورات ليست اكثر خطورة من المناورات السوفييتية السورية التى جرت مؤخرا ولا مناورات الاسطول السوفييتى في اليمن الجنوبية .

على ان وجهة النظر التى امكن لقمة الرياض ان تستخلصها في اجتماعها الاخير بشأن مسألة الامن الخليجي ، تتمثل في معاودة التأكيد على ان امن الخليج هو مسئولية دوله وذلك عن طريق الابتعاد عن الصراعات الدولية والتزام الحياد التام وعدم السماح باقامة القواعد او مرابطة قوات اجنبية في أية بقعة داخل المنطقة .

ولكن هل سيكتفى مجلس التعاون باصدار مثل هذه الاعلانات أم سيشفعها بالتطبيق العلمى للمبادىء والافكار التى تضمنتها ؟

لقد اجاب امين عام المجلس السيد عبد الله يعقوب بشارة عن ذلك بقولة : « ان هذه اتفاقات نظرية بطبيعة الحال ، ستترجمها عملية التطبيق التى ستتولاها الاجهزة المختصة وهو ماسيتم بحثه مستقبلا من حيث

التنسيق بين الجيوش وبحث امور التسليح والتدريب والمناورات المشتركة » .

وكشف النقاب عن ان وزراء خارجية دول المجلس وضعوا عند اجتماعهم بالطائف تصورا واضحا لهذه القضايا ، ثم قام رؤساء الاركان بتبادل الرأى حولها وتدارسوا الاوراق المقدمة من الدول المعنية وتفاهموا حول ما يجب اعتماده لحفظ استقرار الخليج وامنه بقوته الذاتية .

رابعا : احتمالات وتوقعات :

اذا كنا قد طرحنا فيما سبق التصورات المختلفة من امريكية وسوفييتية وخليجية لقضية الامن فى الخليج ، وبالتالى ما يفرضه كل واحد من تلك التصورات على اصحابه من تفضيل لخيارات سياسية او عسكرية معينة على غيرها ، فان السؤال الذى يظل عالقا فى النهاية هو : ماذا عن الاحتمالات والتوقعات ؟ الحديث عن الاحتمالات والتوقعات صعب بطبيعة خاصة عندما يتعلق الامر بمتغيرات دولية لاتستقر على حال ، وحيث تؤدى تذبذباتها المستمرة الى التبديل فى علاقات التحالف ، ومعادلات القوة ، وفى اسس التوازن والاستقرار بل وفى التوجهات السياسية لبعض الا طراف الفاعلة فى هذه المواقف ، وهى كلها عوامل قد تقلب مثل تلك التوقعات رأسا على عقب . وعلى أية حال فان بامكاننا فى النهاية ان نقول الاتى :

١ ــ ان منطقة الخليج قد تحولت فعلا الى منطقة جذب رئيسية فى حركة الصراع الدائر بين القوى الدولية المختلفة ، ولا يبدو انها بصدد فقدان هذه الخاصية المميزة لها والتى استقرت كحقيقةفى مرحلة ما بعد حرب اكتوبر ٧٣ ، وبمعنى آخر ، فان هذا الوضع اصبح يواجه دول المنطقة غير المنحازة او تلك التى تريد ان تحافظ على توجهاتها الحيادية بتحديات اعنف بكثير مما صادفته او تعرضت له فى أيه مرحلة سابقة .

٢ ــ انه برغم الدعاوى التى يطلقها السوفييت لتحييد الخليج وتطبيع اوضاعه بعيدا عن التدخلات الخارجية ، فانه لا يبدو ان الولايات المتحدة ستنصاع لتلك النداءات . بل ان كل المؤشرات تجزم بأنها ستستمر فى بناء مراكز لقوتها فى الخليج بحيث تصبح استراتيجية تدخلها العسكرى من عناصر استراتيجيتها الامنية العالمية .

وبالتالى ، فان الضغط على دول المنطقة لكى تضع نفسها تحت مظلة الحماية العسكرية الامريكية بموجب تدابير محددة وفى اطار اتفاقات والتزامات ثابتة تضع حكومات دول المنطقة موافقتها الرسمية عليها ، سيكون هدفا رئيسيا للدبلوماسية الامريكية من الآن فصاعدا ..

٣ ــ ان اتفاق التعاون الاستراتيجى الموقع مؤخرا بين الولايات المتحدة واسرائيل يكشف عن طبيعة المأزق الذى تجد السياسة الامريكية نفسها واقعة فيه .

فهى تريد ان تستخدم تسهيلاتها فى اسرائيل لتعزيز مقدرتها على التدخل العسكرى فى الخليج ضد ما تسميه بالتهديد السوفييتى فى الوقت الذى مايزال النزاع العربى الاسرائيلى متحدما ، وحيث يقف السوفييت فيه الى جانب الطرف العربى ويعترفون بالحقوق الفلسطينية وبمنظمة التحرير الفلسطينية التى خلعوا عليها اعترافا دبلوماسيا كاملا .

فكيف والحال هذه يتوقع ان تقبل دول الخليج بوضع تسهيلاتها تحت تصرف امريكا الحليف الرسمى الآن لاسرائيل ، ضد السوفييت الذين لم يبدر منهم حتى الآن ما يبرهن على وجود ايه نوايا عدوانية من جانبهم تجاه دول المنطقة او تجاه ثرواتها النفطية ؟

الاقرب الى الواقع ان الدول الخليجية ستقاوم هذا الاتجاه الامريكى بكل حزم ، ولن تسمح لنفسها بأن تنجر ضد مصالحها وعلى حساب مواقفها القومية ، الى الوضع الذى سيهدر استقلالها ويحولها الى ادوات فى صراعات دولية خطرة لا ناقة لها فيه ولا جمل .

ان الخطر الاكبر على أمن الخليج واستقراره ، هو الخطر الذى تمثله مثل هذه الدعوات المحمومة الى احياء سياسات الحرب الباردة فى منطقة لها من همومها ومشاكلها الذاتية ما يكفيها وزيادة ..

التوازن الاستراتيجى فى العصر النووى بيـــن الاستقـــرار والاختــــلال

اللواء اركان حرب خضر الدهراوى

منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية مرت فترات سادت فيها أوضـاع الأسـتقرار الأسـتراتيجى بين الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتى ، وفترات أخرى حدث فيها إختـلال فى أوضـاع التـوازن والأسـتقرار الأستراتيجى .

ويظهر ذلك بوضوح من دراسـة المتغيرات فى أبعـاد إسـتراتيجية الدولتين العـظميين فى الفتـرات التـى صاحبت ظهور العصر النووى .

ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية وحتـى منتصـف الخمسينات كانت الولايات المتحـدة الأمـريكية تتمتـع بـالتفوق المطلق الذى لانزاع فيه لأنهـا كانت تحتـكر الأسلحة النووية . وكانت سياستها فى هذه الفترة تقوم على إنتهاج إستراتيجية عنيفـة عرفـت بـاستراتيجية الحصار أو الأحتواء ، والتى تدرجت منها فيما بعد إلى إعتناق إستراتيجية الأنتقام الشـامل نتيجـة تصـميم الولايات المتحدة الأمـريكية على إسـتخدام أسـلحتها النووية بصورة فورية وشاملة . ويقترن هـذا المفهـوم بسياسه حافة الهاوية التى حاول وزير خارجية أمريكا الأسبق جون فوستر دالاس أن يطبقها ضد السوفيت . وكانت نظريته مبنية على أسـاس التمسك بـالانتقام الرادع فى أى حرب شاملة كوسـيلة فعـالة فى سـياسة الولايات المتحدة الأمريكية .

وباستمرار تفوق الولايات المتحدة فى القـوة النووية حتـى عام ١٩٥٧ وكذلك فى الطـائرات الأسـتراتيجية البعيدة المدى المنتشرة بأعداد كبيرة فى القواعد الجـوية التى تحيط بمناطق الأتحـاد السـوفييتى كان خبـراء الأستراتيجية يعتبرون هذه الفترة بمثابة فترة إستقرار وثبات ، إستطاعت فيها الولايات المتحـدة الأمـريكية بتفوقها النووى الأسـتراتيجى أن تحمـى السـلام فى العالم . ففى عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ إسـتطاعت وقـف التدخل السوفييتى فى أزمة بـرلين ، وفى أزمـة الشرق الأوسط عام ١٩٥٦ إستطاعت أن تأخذ موقفا إيجـابيا فى هذا التدخل .

وشهدت هذه الفترة قيام القـوى والتـكتلات الدولية وإنبثاق الحرب الباردة وأصبح المجتمع الدولى مقسـما فى نطاق كتلتين وإنتهى الأحتكار الأمـريكى للأسـلحة النووية .

ثـم جـاء سـباق التسـلح الرهيب بين الدولتين العظميين وظهور تـأثيره على الأسـتقرار . فقـد كان إطلاق السوفييت لأول قمر صناعى « سـبوتنيك ـ١ » فى ٤ إكتوبر عام ١٩٥٧ ـ بـداية ظهـور الثغـره بين الدولتين فى مجال الصواريخ . وبدأ لأول مـرة التهـديد بالهجوم النووى على الولايات المتحدة الأمريكية يصبح حقيقة ملموسة . وأندفعت الدولتان بأقصى طاقة لهمـا نحو تدعيم ترسانتهما من الأسـلحة الذرية بإسـتخدام الصواريخ البـالستيكية العـابرة للقـارات الحـاملة للرؤوس النووية لتدعيم قدرات الحرب النووية ومحاولة كل دولة الوصول إلى التفوق الأستراتيجى .

وإستمر هذا السباق الرهيب فى التسلح النووى بكل مخاطره حتى منتصف الستينات ، ولكن لم يحدث تفوق لاي منهما . وبذلك كان للتعادل النووى التقـريبى بين الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتى ـ كما يسميه خبـراء الأسـتراتيجية ـ تـأثير على أبعـاد الأستراتيجية فى الدولتين على النحو الأتى : ـ

١ ـ بالنسبة للأستراتيجية الأمريكية :

أخـذت إسـتراتيجية الولايات المتحـدة الأمـريكية تتحول من إعتناقها لمبـدأ الأنتقـام الشـامل إلى تبنى نظرية الحرب المحدودة التى يمـكن أن تسـتخدم فيهـا الأسلحة النووية التكتيكية بغرض تضييق رقعة الحرب النووية والحيلوله دون تصاعدها إلى حرب نووية شاملة تتميز بقوتها التـدميرية الهـائلة ممـا يحتـم ضرورة التواصل إلى ضوابط فعالة على إسـتخدام الأسـلحة النووية .

كما هبط الدافع نحـو التـوسع فى إقـامة القـواعد

العسكرية نتيجة للتطورات التكنولوجية في الصـواريخ العابرة الحاملة للرؤوس النووية ذات الطاقة التـدميرية الهائلة والتي قللت من فعالية تلك القواعد مما أدى إلى تصفية العديد منها إقتناعا بأن ما ينفق على الأحتفـاظ بها لايوازى القيمـة الأسـتراتيجية الفعلية . واقتصر الأحتفاظ بـالقواعد على التـى يمـكن إسـتخدامها في المراقبة والأستطلاع .

٢ ـ بالنسبة للاستراتيجية السوفيتية :

أخذت إستراتيجية الأتحاد السـوفيتي تتحـول عن مبـدأ حتمية الصراع بين النظـامين الشـيوعى والرأسمالي إلى المبدأ الذى دعا له نيكيتـا خـروشوف وهو مبدأ إمـكانية التعـايش السـلمي بين الدول ذات الأنظمة السياسية والأجتماعية المختلفة .

وجاء هذا التحول إستجابة لحقـائق العصر النووى بكل ضغوطه وتوتراته لأن الحـرب النووية إذا وقعـت ستكون حرب تدمير متبادل لجميع أطـرافها دون تمييز بين نظم شيوعية وأخرى رأسـمالية . ولذلك كان هـذا التحول أقـرب إلى مسـايرة ضـغوط القـوة النووية المتصاعدة .

ويمكن القول أن سباق التسلح النووى بين الأتحـاد السوفييتى والولايات المتحـدة الأمـريكية في منتصـف الستينات قد وصل إلى مستوى التـوازن والأسـتقرار الذى كان يبرر تمسك الطرفين بضرورة المحـافظة عليه لأن أى إحتلال فيه ربما كان من المستحيل تداركه فيما بعد بأية إجراءات فعالة .

إلا أن هذا الوضع لم يستمر نتيجة لظهـور عوامـل أخرى كان لها تأثير على الأستقرار وأوضاع التـوازن الأسـتراتيجى في العصر النووى . ومـن هـذه العوامل : ـ

١ ـ التـطورات التـكنولوجية في نظـم التسـلح الأستراتيجى :

ظهرت عدة تـطورات تـكنولوجية خـطيرة في نظـم التسلح الأستراتيجى وأصبحت تنذر بإختلال هـائل في أوضاع التـوازن الأسـتراتيجى القـائم بين الأتحـاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية ومن أهم هـذه التطورات : ـ

أ ـ تطور الصواريخ ونظم تـوجيهها أدى إلى أحـداث تحسينات نوعية هامة في كفاءة هذه الأسـلحة ودرجـة دقتها العالية . وهذا التطور يثير تخوفات حول إمكانية الحصول على القـدرة على التـدمير بـالضربة الأولى بواسطة الطرفين وهو مـا يؤثـر على مقـومات الردع المتبادل بين الدولتين العظميين .

ب ـ قيام الأتحاد السـوفييتى في أواخـر السـتينات بإختبار نظام القصف المدارى الجزئى « فوبز »

FRACTIONAL ORBITAL BOMBARD-MENT SYSTEM (FOBS)

الذى لفت أنظـار العـالم في نوفمبـر ١٩٦٧ لأن فتـرة الأنذار المتيسرة للدولة التى سيوجه إليها الهجوم تكون غير كافية مما يحقق المفاجأة ويتضـمن بـرنامج هـذا النظام وضع قمر صناعى مزود برأس نووية مـدمرة في مدار حول الأرض في إنتظار إشارة بدء الهجـوم التـى تصل إليه الكترونيا مـن محـطات المتـابعة الأرضـية بواسطة أجهزة التحكم من بعد . وبمجرد وصول هـذه الأشارة يترك القمر الصناعى مـداره قبـل اسـتكمال دورته حول الأرض ليباشر العودة للدخـول في الغـلاف الجوى للأرض متجها بسرعة هائلة نحو الهدف المخطط لتدميره حيث تنفجر الرأس النووية دون أن يجد الخصم الوقت الذى يسمح له بصد مثل هذا الهجوم .

وقد صرح روبرت مكنمارا وزير الدفـاع الأمـريكى الأسبق أنه بإستخدام هذا النظام سوف لا يتـوفر لدى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ثلاثة دقائق فقط . وهو وقت قصير للغاية مما يؤثر على حـالة إسـتعداد وسائل الدفاع المضادة ويحرمها فرصة القيام بصد هذا الهجوم .

ويرى خبراء الأستراتيجية أن إمتلاك المهاجم لهـذا النظام يعتبر حافزا له قـد يدفعـه لاسـتباق الهجـوم وتوجيه الضربة الأولى ممـا يؤدى إلى نشـوب حـرب بهجوم مفاجىء .

ج ـ ظهور الصـواريخ ذات الرؤوس النووية المتعـددة « ميرف » .

MULTI INDEPENDANT TARGET-ABLE RE- ENTRY VEHICLEX (MIRV)

وفيها يحمـل الصـاروخ الواحـد عدة رؤوس نووية يتجه كل منها إلى هدف مستقل . ويسـتخدم مـع هـذه الرؤوس نظام (PBV)

POST- BOOST VEHICLE الذى يشـمل معـدات التوجيه والوقود وأجهزة الدفـع اللازمـه لتغيير خـط المرور والسرعات والتوجيه في الغلاف الجـوى . ومـن أمثلة هذه الصواريخ :

(١) الصواريخ الأمريكية :

صاروخ مينوتان ـ ٣ ويحمل ٣ رؤوس نووية

صاروخ بوسيدون سى ـ ٣ ويحمل ١٠ رؤوس نووية يطلق من الغواصات .

صاروخ تـرايدنت سى ـ ٤ ويحمـل ٨ رؤوس نووية يطلق من الغواصات

(٢) الصواريخ السوفييتية :

صاروخ أس أس – ١٧ ويحمل ٤ رؤوس نووية .
صاروخ أس أس – ١٨ ويحمل ٨ رؤوس نووية .
صاروخ أس أس – ١٩ ويحمل ٦ رؤوس نووية .
صاروخ أس أس أن – ١٨ ويحمل ٣ رؤوس نووية .

وهذه الصواريخ تزيد من القدرات التدميرية بشكل هائل مما يضاعف من الأخطار التى يتعرض لها التوازن الأستراتيجى بين الدولتين العظميين .

ومن المعروف أن إنتاج هذا النوع من الصواريخ يشجع على المبادأة بالضربة الأولى فى الحرب النووية وذلك لأن تعدد الرؤوس النووية يعطى الأنطباع بأن إستخدامها فى أى هجوم نووى سيحقق نتائج تدميرية باهره ضد القدرات الأستراتيجية للطرف الآخر .

ولذا برزت نظرية إمكانيات توجية الضربة الأولى المبنية على أساس أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتى بمجرد حصولهما على قدرات وإمكانيات الضربة الأولى سيختلان على التوازن والتعادل فى دوافع الفزع ، ولذلك سيحاول كل منهما أن يكف عن التهور ويحجم عن القيام بتوجيه الضربة النووية الأولى .

د – إزدياد القوة التدميرية للأسلحة النووية والخسائر التى تنجم عنها تتطلب دفاعا منيعا . ويعتبر هذا النوع من الدفاع فى غاية التعقيد . ولهذا فكر رواد الأستراتيجية فى إتباع نظرية الردع الشامل التى تدعو إلى ضرورة الأهتمام بقدرة الضربة الثانية وذلك بتدعيم المخزون من الصواريخ البالستيكية العابرة للقارات . وقد إقترن ذلك قيام كل من الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتى بتنويع وسائل الردع المتاحة لهما وتوزيعها بما يضمن تقليل إحتمالات الدمار الذى يمكن أن تتعرضان له فى حالة وقوع حرب نووية . وهذا الاجراء يزيد من فعاليه الردع ويرفع من درجة المخاطرة فى حالة تفكير أحد الطرفين فى القيام بشن حرب نووية هجومية ضد الطرف الآخر .

٢ – الأحداث الدولية :

أ – إنضمام الصين إلى النادى الذرى

كان دخول الصين الشعبية حلبة التسلح النووى مهددا بحدوث إختلال فى أوضاع التوازن الأستراتيجى بين الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتى ، كما كان يشكل تحديا خطيرا لأمنهما القومى ومصالحهما الأستراتيجية فى فترة السبعينات .

وقد أدى ذلك إلى قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتنفيذ مشروع الدفاع بالصواريخ المضادة للصواريخ المعروف بإسم شبكة سنتينيل SENTINEL فى عهد الرئيس الأمريكى ليندون جونسون ، ثم تلا ذلك التوسع فى هذه الشبكة فى عهد الرئيس الأمريكى نيكسون لكى تصبح شبكة من الدفاع الصواريخ المضادة للصواريخ عن الدولة والمعروفة بإسم شبكة « سيف جارد » الدفاعية SAFEGUARD ومهمتها حماية صوامع الصواريخ الأستراتيجية الأمريكية ضد خطر الهجوم بالأسلحة الأستراتيجية السوفيتية والأسلحة النووية الصينية .

وبالنسبة للأتحاد السوفييتى فقد أدى تصاعد التهديد النووى الصينى إلى تنفيذ نظام وقائى للدفاع ويعرفق بإسم شبكة « تالين » للدفاع الجوى ضد خطر الصواريخ الهجومية .

ومنذ منتصف الستينات أدى إنشاء شبكات الدفاع بالصواريخ المضادة للصواريخ إلى الأندفاع نحو سباق التسلح فى الأسلحة الأستراتيجية الدفاعية والهجومية بين الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتى مهددا بذلك أوضاع الأستقرار الأستراتيجى التى سادت بينهما تهديدا هائلا كما أصبحت هذه الشبكات تشكل تحديا خطيرا ومباشرا لنظم الردع النووى المتبادل بينهما الأمر الذى تطلب منهما إجراء مشتركا لاحباط هذه التأثيرات الأختلالية .

وكان ذلك من أهم دوافع التقارب الأمريكى السوفييتى حول ضرورة التوصل إلى ضوابط محددة وفعالة على عمليات التسلح الأستراتيجى لكى يمكن إتقاء خطر الأختلال المحتمل على أوضاع التوازن بينهما .

وقد ظهرت نتائج هذا التقارب بين الدولتين العظميين بالصور الأتية : –

– عقد معاهدة حظر إنتشار الأسلحة النووية فى ١٢ يونية ١٩٦٨ فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومن مزاياها أنها تقلل من إحتمالات وقوع الحرب النووية عن طريق حصر نطاق التملك النووى فى إطار محدود .

– حرص الدولتين العظميين على تجنب المواجهات النووية بينهما من خلال الأتصال والتنسيق والتشاور كما حدث فى الجولة الثالثة من الصراع العربى الأسرائيلى فى يونية ١٩٦٧ عندما عقد الرئيس الأمريكى ليندون جونسون واليكسى كوسيجين رئيس وزراء الأتحاد السوفييتى مؤتمرا للتفاهم حول كيفية إحتواء هذه الأزمة الدولية والحيلولة دون تصاعدها إلى حرب نووية والابقاء عليها فى إطارها المحدود .

ب – ظهور حركة عدم الأنحياز وجهودها فى الحفاظ على السلام العالمى :

أخذت دول عدم الأنحياز تعمل على تخفيف التوتر بين الكتل المتصارعه فى الشرق والغرب ، بما يحول دون نشوب حرب نووية . وقد عبرت هذه الدول عن مداومة

عزمها على الحفاظ على السلام العالمى ومجابهة مختلف المخططات والأعمال العدوانية ، ودعوة العالم إلى التعاون فى ظروف التعايش السلمى الذى يعتبر بديلا لاى كارثة نووية محتملة . إلا أنه فى أواخر السبعينات ظهرت إنقسامات فكرية وايدولوجية وخلافات حادة وتناقضات بين أعضاء دول عدم الانحياز حول مفاهيم عدم الأنحياز فى ظل الظروف السائدة اليوم والتى تشير إلى إنتقال الحركة من الحياد السياسى إلى التنمية الأقتصادية حيث تتزايد وتتفاقم الخلافات السياسية والثقافية والأقتصادية بين الدول غير المنحازة .

ج – الانفراج فى العلاقات الدولية والوفاق :

لقد تحقق هذا الانفراج بفعل التأثيرات الايجابية لعوامل كثيرة من ضمنها النفقات المالية الهائلة التى تتكبدها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى فى انتاج اسلحة استراتيجية لاتعطى اى قيمة عسكرية توازى هذا الانفاق وانما تستخدم لاغراض معنوية . وهذه التكاليف تثقل كاهل الدولتين وخاصة وان بعض نظم التسلح الاستراتيجى ان لم يكن معظمها تفقد قيمتها بعد فترة وجيزة مما يجعل مأنفق عليها أمرا خاسرا تماما . ومن هنا يتضح ان الحل لمشكلات الامن لم يعد يتم بالاسترسال فى عملية تطوير تكنولوجى للاسلحة الاستراتيجية بالشكل الذى يستنزف ذلك القدر الهائل من موارد الدولتين ونما يكون الحل بالاتفاق والتفاهم المشترك بينهما . ولهذا بدأت محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية بينهما . فى نوفمبر ١٩٦٩ ، كما توثقت أواصر التقارب الامريكى السوفييتى بدرجة كبيرة منذ لقاء القمة الذى جرى فى موسكو فى مايو١٩٧٢ بين الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون وبين الزعماء السوفييت برجينيف ، وكوسيجين ، وبودجورنى الذى اتاح فيما بعد لعقد عدة مؤتمرات قمة بين الزعماء السوفييت والامريكيين لتنفيذ العديد من الاجراءات التى تعطى لهذا الانفراج مضمونا حقيقيا .

وصدر عن مؤتمر القمة فى موسكو اعلان المبادىء التى تضمنت اثنى عشر بندا أكدت فيها على الاتى : -

(١) أن الدولتين ستنطلقان من تصميم مشترك على أنه فى العصر النووى يجب ادارة علاقاتهما المشتركة على أساس التعايش السلمى .

(٢) تجنب المجابهات العسكرية ومنع نشوب الحرب النووية .

(٣) مواصلة الجهود لتحديد التسلح .

(٤) تعميق التعاون بين الدولتين .

ثم وقعت فى موسكو معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية سولت – ١ فى مايو ١٩٧٢ وكذا المعاهدة الثانية سولت – ٢ فى فيينا عام ١٩٧٩ والتى لم يتم التصديق عليها .

وعن الوفاق فقد عبر عنه الرئيس الامريكى نيكسون فى كتابه الحرب الحقيقية the rear war بانه التفاهم الذى يتم بين دول ذات مصالح مختلفة لتجنب الحرب النووية . ولكن الوفاق وحده لايكفى لتجنب الحرب بل يجب أن تتوفر القوة اللازمة للمحافظة على التوازن النووى والقدرة والاصرار على ردع العدو . كما ان الوفاق لايجرى دون الاحتواء بمعنى مقاومة التوسع السوفييتى . والاحتواء غير المصحوب بالوفاق خطر وذلك بسبب الترسانات النووية المخيفة لكل من الدولتين العظميين . فالوفاق هو اسلوب تتعلم به الدول كيف تعيش معا رغم خلافاتهما بدلا من أن تموت من اجل هذه الخلافات . والتوترات قد تؤدى حتما الى المواجهة ، ولهذا فإن أمل الولايات المتحدة الامريكية ان يخفف الوفاق من الاخطار ويعمل على أن تحل المفاوضات محل المواجهة .

وفى الواقع أن كلا من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية قد أجهدا طويلا فى سبيل الوصول الى مستوى متعادل من اتسلح النووى الاستراتيجى حتى لاتقع الحرب بينهما .

٤ – علاقة الرهائن المتبادلة بين سكان الدولتين العظميين :

ظلت الاسلحة الاستراتيجية النووية لدى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى من الضخامة بحيث تتيح لكل منهما أن تجعل من السكان المدنيين لدى كل دولة رهائن تكفل عدم قيام هجوم نووى مدمر . ويعتقد بعض الخبراء أن لهذه العلاقة الفضل فى منع شن حرب عالمية . ولقد تعرضت هذه العلاقة خلال السنوات الاخيرة لمناقشات عديدة على نطاق واسع واهتمام كبير من الرأى العام لانها ظلت واقعا ماديا ذا اهمية رئيسية ، وإذا هذا الواقع الذى لا مناص منه نجد ان سكان الدولتين معرضون لخطر فادح فى حالة قيام حرب نووية . ولهذا اتجه الاهتمام الى ترسيخ وتوازن العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين الدولتين . فمن الناحية العسكرية نجد انه نظرا للطاقة التدميرية الهائلة لكل رأس نووى وانخفاض اداء الاجراءات الدفاعية المناسبة التى تحقق دفاعا منيعا ضد الوسائل الهجومية وفداحة تكاليفها يبدوا انه لاسبيل لبلوغ حالة استقرار تسيطر عليها هذه الاجراءات .

٥ ـ حساسية الرأى العام العالمي ازاء القضايا المتعلقة بالحرب النووية :

أصبح للرأى العام العالمي تأثيرا متزايدا فى قضايا التسلح النووى . ففى قضية الامن الاوربى خرجت مسيرات السلام التى تضم مئات الالوف من الجماهير الاوربية فى السويد والمانيا الاتحادية وايطاليا وبلجيكا وفرنسا وبريطانى فى عام ١٩٨١ احتجاجا على نشر الصواريخ الامريكية المتوسطة المدى من طراز بيرشنج ـ ٢ وكروز فى اوربا الغربية للرد على الصواريخ السوفيتية اس اس ـ ٢٠ تعبيرا عن مشاعر الادانة الكاملة من جانب الدول الاوربية لمشروعات التسلح النووى التى تقوم بها الدول الكبرى والتى تهدد سلام وبقاء اوروبا اذا ما وقع أى صدام نووى بين كل من موسكو وواشنطن يكون مسرحه الاساسى الاراضى الاوربية . وفى الولايات المتحدة الامريكية واجهت ايضا داخلها حركة احتجاج ومعارضة كبيرة للتسلح النووى فى الجامعات والاوساط العمالية التى أضيرت من جراء تخفيض اعتمادات الانفاق الاجتماعى .

ولذا فإن إعتبارات التوازن واعادة التوازن التى يتذرع بها القادة السياسيون فى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى لتكديس الاسلحة النووية والتهديد باستخدامه لم تعد حجة مقبولة لدى الشعوب وذلك بعد ان اصبح فى وسع الاسلحة النووية الموجودة لدى الطرفين أن تدمر كافة صور الحضارة والحياة على كوكب الارض .

كان هذا إستعراضا للفترات التى ساد فيها الاستقرار والفترات التى حدث فيها اختلال فى اوضاع التوازن الاستراتيجى بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى منذ بدء ظهور الاسلحة النووية . ويتضح من ذلك الاتى : ـ

١ ـ ان ميزان الرعب النووى لازال يلقى بضغوطه وتأثيراته نتيجة استمرار تصاعد سباق التسلح الإستراتيجى الدفاعى والهجومى بكل مخاطرة وتكاليفه الباهظة مما يؤثر بشكل حاد على الامن الدولى لانه يعمل على زيادة احتمالات الحرب النووية وتهديد أسس التوازن الاستراتيجى هذا بالاضافة الى وجود الصعوبة فى امتلاك القدرة على التدمير بالضربة الاولى لاى طرف من الاطراف .

ولهذا تظهر أهمية تقييد انتاج الاسلحة الاستراتيجية بدلا من ترك سباق التسلح يتصاعد ويؤدى الى تفاقم الصراع .

ومما هو جدير بالذكر انه بالرغم من الادراك العام من جانب القادة السياسيين فى كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى للمخاطر الانتحارية للحرب النووية ، وحرصها الاكيد على ضرورة تجنبها الا انهم يجدون انفسهم مدفوعين الى اقرار نظم التسلح الاستراتيجى .

٢ ـ ان أى دولة لن تكسب الحرب فى العصر النووى ، واذا ماحصلت دولة على النصر فان هذا النصر يعتبر نصرا انتحاريا ، لان ازالة الاثار الجانبية للاسلحة النووية (كالحرائق والضرر الذى يصيب المؤن الغذائية والرعاية الطبية والطاقة الانتاجية والاوبئة ... الخ) سيستغرق وقتا طويلا لاستعادة موقف الدولة فى كافة النواحى الاقتصادية والصناعية والعسكرية والاجتماعية .

٣ ـ ان استراتيجية الردع التى خلقتها الاسلحة النووية تعمل على منع شن اى هجوم نووى بطريقة استعراض التفوق للقوة الرادعة . ولهذا يجب الحفاظ على قوة الردع التى تحول دون نشوب حرب نووية وكذا الاهتمام باختيار طبيعة الردع . ويجب أن تكون القوات النووية معدة لغرض واحد هو الردع فهى تمثل حجر الزاوية فى الاستقرار فى هذا العصر .

٤ ـ ان الخوف من انتشار التدمير على نطاق واسع بحيث يشمل المناطق الآهلة بالسكان المدنيين أدى الى ظهور قوة الرأى العام العالمي وقيام الاعتراض ومظاهر الاحتجاج على الاسلحة النووية .

وختاما ... ان الامل معقود على تخفيف التوترات السياسية مقترنا بخطوات جريئة للحد من التسلح من الناحيتين النوعية والكمية .

العالم الثالث ونظرية السلم المستحيل

د . محمد فريد حجاب

مقدمة :

لقد شاع في الاستعمال اليومي استخدام مصطلح « العالم الثالث » مرتبطا بمعايير متداخلة وغير متطابقة . فهناك المعيار التاريخي الذي يربط هذا المصطلح بالبلاد المستقلة حديثا . وهناك المعيار الأقتصادي الذي يربط العالم الثالث بالدول المتخلفة اقتصاديا . والمعيار السياسي الذي يربط العالم الثالث بالدول غير المنحازة . وهناك أيضا المعيار الجغرافي الذي يقصر هذا المصطلح على الدول الافرو آسيوية ودول أمريكا اللاتينية . وقد يجمع البعض بين المعيارين السياسي والجغرافي للدلالة على الدول التي لاتنتمي جغرافيا وسياسيا لأي من الكتلتين المتصارعتين في المرحلة المعاصرة من مراحل العلاقات الدولية

والواقع ، أن كل هذه المعايير منفردة أو مجتمعة لاتستطيع أن تحدد لنا المدلول الحقيقي لمصطلح « العالم الثالث » . فنجد مثلا أن التخلف الاقتصادي ظاهرة نسبية ، بمعنى أنه من الممكن ترتيب دول الجماعة الدولية ترتيبا تنازليا بالنسبة لأكثر الدول تقدما ، ومن ثم يصعب الاتفاق بين الباحثين على مقياس علمي دقيق يمكن على أساسه أن نميز بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة . بل اننا لنجد دولا لم تستعمر على وجه الاطلاق متخلفة الى أقصى حد ، وهو الأمر الذي ينتفى معه الأعتماد على المعيار التارخي ، وبالنسبة للمعيار الجغرافي ، فمن الجلي أن في دائرة فلك الكتلتين المتصارعتين — خارج أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية — دول متخلفة بكل مقاييس التخلف . أما المعيار السياسي الذي يستند الى مفهوم الحياد أو عدم الانحياز ، فاننا نلاحظ أن هذا المعيار قد ظهر مرتبطا بالدول التي أعلنت في أعقاب مؤتمر « باندونج » عام ١٩٥٥ عن تجنبها للارتباط بالاحلاف التي تتبع أيا من الكتلتين من جهة ، ومحاولة الاستفادة من إحدى الكتلتين أو من كلتيهما لتحقيق أكبر نفع ممكن الحصول عليه من جهة أخرى . وقد ترتب على هذا المفهوم للحياد وعدم الانحياز تمييع مضمون هذا المعيار في الواقع الفعلي ، حيث تحركت كثير من دول عدم الانحياز عن مواقعها الحيادية الصارمة الى مواقع قربتها من حدود أحدى الكتلتين ومن ثم لم يعد المعيار السياسي قادرا على تحديد مضمون مصطلح « العالم الثالث » تحديدا يتفق مع ماوصل اليه في الواقع . ورغم ذلك فإن مصطلح العالم الثالث يفرض نفسه باعتباره ظاهرة هامة من ظواهر السياسة الدولية المعاصرة التي تقسم المعمورة إلى ثلاثة عوالم .

مفاهيم الحرب والسلم

أ — المعنى التقليدي لكلمة « حرب » يتعلق بعمل عنف جماعي تقوم به أحدى الجماعات البشرية ضد جماعة أخرى لاخضاعها لارادتها لتحقيق أهداف معينة .

ويري البعض أن الحرب ظاهرة حتمية لايمكن التخلص منها . ويستدلون على ذلك بأقوال بعض الفلاسفة والمفكرين عبر مختلف العصور . وعلى سبيل المثال نجد القديس أوجستين يقرر أن « الحرب قدر الهي ، شأنها في ذلك شأن الكوارث الانسانية المرتبطة بارادة الله ، ولذا فمن الواجب قبولها لانه من المستحيل الوقوف ضد ارادة الله » . وفي العصور الحديثة ذهب « ليبنتز » الى القول بأن الحرب « رد فعل طبيعي من قبل الشعوب » . وفي القرن الماضي راجت الفكرة القائلة بأن « الحرب أمر حتمي » بتأثير أفكار « هيجل » الذي ذهب الى القول بأن الفرد ليس الا عدما حقيقيا ، وأن الجماعات وحدها هي التي يجب أن تؤخذ في الأعتبار ، وأن الأهم بين هذه الجماعات هو

« الدولة » ، وأنه من أجل حل المنازعات بين الدول لاتوجد سوى وسيلة واحدة هى « الحرب » . ويضيف أيضا قوله بأن الحرب لاتقرر أن الحق فى جانب هذه الدولة أو تلك ، وانما تقرر أن على هذه الدولة أو تلك أن تتنازل للأخرى ، ولهذا يجب أن تنشب الحرب حتى ينتهى الأمر بأن يلغى التعادل بين الحقين . ومن المؤكد أن هذا لا يمكن أن يتم الا اذا غلب أحد الحقين الأخر وقد حافظ الألمان القوميون على النظرية الهيجيلية حول الحرب بحذافيرها ، حيث أعلن الجنرال « فون بيرنهاردى » مثلا أن الحرب هى قانون الدول مثلما هى قانون الكائنات الحية ، حيث تقوم الحرب بعملية انتقاء بين الدول طبقا لقوانين الصراع فى الحياة . ويستند « ترايتشكة » الى أفكار هيجل ليؤكد أن الواجب الأول للدولة هو تأمين وجودها الخاص وحماية نفسها من الأعداء فى الداخل والخارج .

أما فى النصف الثاني من القرن العشرين ، وبفضل التقدم التكنولوجي الهائل ، فان الحرب أصبحت أشد فتكا وأكثر تدميرا من الأمراض والأوبئة . بل يمكن القول بأنه فى حالة ما اذا نشبت حرب عالمية ثالثة ، فان ملايين القتلى الذين أبادتهم الأمراض والكوارث والأوبئة وحتي كافة الحروب الماضية لن يقارن بملايين القتلي الذين ستخلفهم هذه الحرب العالمية الثالثة فى فترة وجيزة .

ان القول بأنه « كانت هناك دائما حروب ، وستكون هناك دائما حروب » هو قول كان يمكن قبوله حتي الحرب العالمية الثانية ، أما الآن وفى ظل التهديد النووى فالأمر يصعب قبوله ، ويدفعنا الى محاولة احلال السلام محل الحرب .

بأن السلام من الناحية المثالية ، أو « السلام الايجابى » هو الحالة التى لايكون فيها أي عنف ولاتهديد بالعنف الجسماني أو النفساني تمارسه جماعة أنسانية على جماعة أخرى ، وينطوى هذا السلام علي حالة فكرية جماعية تجعل اللجوء الى أى لون من الوان العنف أمرا لايمكن التفكير فيه . أما « السلام السلبى » فهو الذي لايعني أكثر من عدم نشوب القتال وما ينطوى عليه نلك من ترتيبات قانونية ومعاهدات لتسوية المنازعات سلميا .

واذا كان « السلام الأيجابى » لايعدو كونه أضغاث احلام ، فان « السلام السلبى » هو الآخر أبعد مايكون عن الدقة . فهل يعني عدم نشوب القتال منع المجابهة الدموية بين جيشين يدافع كل منهما عن مصالح دولته ؟ واذا كان الجواب بالايجاب فبماذا نستطيع ان نعبر عن مختلف أشكال الحرب الأقتصادية والحرب النفسية والمعارك الأعلامية بين الدول المتخاصمة ؟ وهكذا لايمكن الأدعاء بأن السلام مستتب عندما نرى المتخاصمين يشحذون أسلحتهم كما أنه لايمكن موافقة جاك بريفيير على قوله « السلام هو عندما تكون الحرب فى مكان آخر وعلى الرغم من أن هذا القول يعنى أن السلام لايمكن أن يستتب فى كل ارجاء العالم فى وقت واحد ، الا أنه لا يأخذ فى اعتباره ان العالم قد أصبح بفضل التقدم التكنولوجي بمثابة قرية كونية صغيرة ، حيث يحاط سكان مختلف مناطق العالم من ساعة لأخرى بأصغر حدث سياسى أى عسكرى يقع فى أى مكان فوق سطح الكرة الأرضية ، حتى ان ملايين الأميين فى الدول المتخلفة الذين لاترتبط همومهم المباشرة بالسياسة الدولية يستمعون الى المعارك التى تدور فى أى مكان فى العالم ، بل ويتخذون مواقف ازاء أطرافها ، بمعنى أن كلا منهم يسهم دون وعى منه فى هذه المعارك بتأييد بعض الأطراف ومعارضة البعض الآخر »[1] . ولكى نستطيع أن ندرك أبعاد التفاعل بين مصطلحات « العالم الثالث » و « الحرب » و « السلم » لابد أن نحدد أولا مكان العالم الثالث فى الوضع الدولى الراهن ، أو بمعنى آخر أن نحدد موضع العالم الثالث فى علاقات القوى فى اطار النظام الدولى المعاصر .

يطلق البعض مصطلح « العصر الذرى » على المرحلة الراهنة للعلاقات الدولية حيث يبدأ هذا العصر من عام ١٩٤٥ وعلى وجه التحديد منذ القيت أول قنبلة ذرية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على « هيروشيما » فى اليابان معلنة بذلك انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتهاء مرحلة من مراحل العلاقات الدولية وبدء مرحلة جديدة . وقد تميزت العلاقات الدولية منذ ذلك التاريخ بعدة ملامح لعل أهمها .

أ ـ انتهاء عصر التفوق الأوروبى الذى كان يتسم بتعدد قواه القطبية ، وأنتقال عوامل القوة والتأثير الى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي ، ومولد توازن دولى جديد « ثنائى القطبية » .

ب ـ ظهور عدد كبير من الدول الجديدة أو المستقلة حديثا من الاستعمار كوحدات مستقلة تتمتع بكيان

---

١ ـ انظر : الجنرال فيكتور فرنر ، الحرب العالمية الثالثة ، ترجمة هيثم الكيلانى المؤسسة العربية للدراسات . الطبعة الاولى . بيروت ١٩٨٠ . ص ٢٣ ومابعدها .

قانونى وعلى قدم المساواة مع الدول الكبرى . وهذه الدول التى تشكل الغالبية العظمى للجماعة الدولية التى يطلق عليها « دول العالم الثالث » تمثل ظاهرة جديدة للنظام الدولى فى عصر الذرة[٢] .

وعلى مسرح السياسة الدولية تتحدد ملامح العالم الثالث بخاصتين رئيسيتين : أولاهما أن العالم الثالث هو ميدان الصراع والتنافس بين القطبين . وثانيتهما ان العالم الثالث هو مصدر « السلم المستحيل » .

أولا – العالم الثالث والتنافس والصراع بين القطبين :

لقد أصبحت دول العالم الثالث مسرحا للتنافس والتصارع بين القطبين ، ويرجع سبب ذلك الى عدد من الأعتبارات لعل أهمها : –

١ – أن كلا من القطبين يسعى الى التواجد العالمى لتحقيق امبراطوريتين عالميتين هما : « امبراطورية البر » السوفيتية حيث يسعى الاتحاد السوفييتى الى الامتداد فى قلب الأرض القديمة (اوراسيا) ، وامبراطورية « البحر » الأمريكية حيث تسعى الولايات المتحدة الى تكوين امبراطورية تمتد عبر البحار . ومن الطبيعى أن تمثل دول العالم الثالث مجال الأمتداد الذى يتصارع عليه القطبان ولاسيما أن دول هذا العالم لايتوافر لها – مجتمعة – عوامل القوة العسكرية التى تمكنها من أن تفرض ارادتها فى ميدان السياسة الدولية .

٢ – أن توازن الرعب النووى – الذى تكون المواجهة العسكرية المباشرة بين القطبين فيه غير محتملة وأن كانت غير مستحيلة – يجعل كلا من الطرفين يتجنب المساس بمحيط دائرة القطب الآخر مباشرة . ولكن هذا لايثنية عن – بل يدفعه إلى – خوض الصراع على أرض العالم الثالث بمختلف الوسائل من دعاية وتنافس وأعلام بل يمكن أيضا اللجوء الى أعمال عنف بالأسلحة التقليدية عن طريق الأعوان ، وهى ما تسمى « الحرب بالوكالة »[٣] .

٣ – يستند كل قطب من القطبين الى « ايديولوجية » متميزة للامتداد فى العالم الثالث . فالولايات المتحدة تنطلق من مفهوم « العالم الحر » ، بينما يركز الاتحاد السوفييتى على مفهوم « دائرة السلام »[٤] . والعالم الحر فى تصوير الولايات المتحدة هو العالم غير الشيوعى الذى يشكل من القطب الأمريكى والعالم الثالث جبهة مشتركة ضد القطب السوفييتى حتى لو ظلت دول العالم الثالث غير منحازة سياسيا . وبالمثل تتكون دائرة السلام من الاتحاد السوفييتى ودول الديمقراطيات الشعبية ودول العالم الثالث – حتى ولو كانت هذه الدول غير منحازة سياسيا – لتكون جبهة مشتركة فى مواجهة الأمبريالية الغربية وعلى رأسها القطب الأمريكى . ويستخدم كل قطب المعونات الاقتصادية والفنية والعسكرية كأداة رئيسية لمد نفوذه داخل العالم الثالث .

العالم الثالث ونظرية السلم ٢

ثانيا – العالم الثالث مصدر السلم المستحيل :

هناك عدد من الاعتبارات تجعل العالم الثالث هو ساحة الصراع الرئيسية ومصدر التوتر والقلق فى المجتمع الدولى المعاصر ، ولعل أهم هذه الاعتبارات :

١ – أن الصراعات تكاد تغطى مختلف المناطق الاقليمية للعالم الثالث . وهذه الصراعات حول المصالح القومية والقضايا المحلية تشكل فى مجموعها مايمكن أن نطلق عليه « النظم التحتية للصراع الدولى » .

٢ – تعتمد دول العالم الثالث فى صراع بعضها مع البعض على الاساليب الاستراتيجية بصورة رئيسية .

٣ – أن توازن الرعب النووى بين القطبين وما نتج عنه من نقل للصراع الى ميدان العالم الثالث قد هيأ لدول العالم الثالث قدرا من حرية التحرك بين القطبين بالوسائل الدبلوماسية من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الدعم الاقتصادى والعسكرى . كما أن هذه الدول أصبح فى أستطاعتها أستخدام أسلوب تهديد أحد القطبين بامكان **اللجوء** الى القطب الاخر أو السقوط فى براثن القطب الاخر اذا لم تقدم له المعونات والمساعدات بالقدر الذى يطلبه .[٥]

٢ – انظر : د . بطرس بطرس غالى ، د . محمود خيرى عيسى ، المدخل فى علم السياسة ، مكتبة الانجلو المصرية . الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .

٣ – جوزيف فرانكل ، العلاقات الدولية ، ترجمة غازى عبد الرحمن القصيبى ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٣٥ ، فرنز ، الحرب العالمية الثالثة ، ص ٢٥ – ٢٦ .

٤ – حول مفهوم العالم الحر ودائرة السلام يمكن الرجوع الى : د . محمد طه بدوى ، مدخل الى علم العلاقات الدولية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ – ٢٩٤ .

٥ – يستخدم هذا الاسلوب من التهديد ايضا من جانب الحلفاء فى احدى الكتلتين انظر حول هذه الظاهرة : دافيد ادوارز ، رقابة الاسلحة والسياسة الدولية ، ترجمة لجنة من المتخصصين ، مكتبة الوعى العربى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٧٢ ومابعدها .

٤ ـ من الملاحظ أن « النظم التحتية للصراع الدولى » غير مستقرة بعكس الحال فى الصراع والتنافس بين القطبين العالميين : فالتناقض الدائم بين القطبين أدى الى ظهور كتلتين لهما طابع الدوام ، والى ظهور تنظيمات تعمل فى خدمة كل كتلة دون التمييز بين أوقات السلم وأوقات الحرب . أما دول العالم الثالث فعلاقاتها فى تغير مستمر ، بل قد تتغير العلاقات بين بعضها فجأة من النقيض الى النقيض مما ينعكس فى صورة عدم وجود تنظيمات أو تحالفات تحمل طابع الاستمرار والديمومة ، بل هى تحالفات مؤقتة يتوقف مدى قوتها على مدى توافق المصالح الآنية لهذه الدول . ويترتب على ذلك ان تحالفات دول العالم الثالث لاتتجه نحو التكامل بأبعاده المختلفة الاقتصادية والسياسية والعسكرية . يضاف الى كل هذا عدم ميل دول العالم الثالث الى العمل تحت زعامة أحدى هذه الدول ، مما يزيد فى ضعف أى تحالفات بينها .

٥ ـ أن معظم الصراع الذى يدور على ميدان دول العالم الثالث ، .. يرجع الى عديد من العوامل التى تنطلق من واقع دول العالم الثالث ذاتها ، ولعل أهم هذه العوامل : ـ

١ ـ الأرض والعدوانية :

أن الحاجة الحتمية للارض تدفع كل جماعة بشرية تعيش فوق أرض معينة الى حمايتها والدفاع عنها ضد اى أنتهاك . ولهذا فقد أصبحت حدود الدول من الامور الهامة والحيوية بالنسبة لشعوب وحكومات هذه الدول . حيث تلتزم الحكومات عادة أمام شعوبها بضرورة توفير الامن والسلام والاستقلال فى مواجهة الدول الأخرى . كما أن الدولة لكى تؤدى مهامها ، يجب أن تكون الارض التى تمارس عليها هذه المهام محددة تحديدا دقيقا .

ومن الملاحظ بالنسبة للغالبية العظمى لدول العالم الثالث ، تمثل أنتهاكات الحدود السبب الرئيسى فى الخلافات بين الدول المتجاورة ، بل عادة ماتسبب مشاكل الحدود تصاعدا مستمرا لروح العداء الى حد الالتجاء الى السلاح فى كثير من الاحيان . [٦]

ب ـ النزعة الوطنية والعدوانية :

تمثل النزعة الوطنية عاملا عدوانيا بين الدول . اذ تعتبر هذه النزعة شكلا من اشكال الكبرياء الجماعية التى تدفع أمة من الامم الى المطالبة بحق ممارسة سياسة تمليها أعتبارات التفوق والتمايز ، والاعتراض بالتالى على كل ما يحد من حريتها فى العمل .

وكما أن كبرياء الفرد هى سبب أختلال العلاقات الانسانية ، فان الكبرياء الجماعية أيضا هى سبب اختلال العلاقات الدولية وكما تدفع الكبرياء فردا الى الظهور بمظهر المستبد غير المتسامح ، تتصرف الدول تجاه بعضها بشكل متعجرف وبعناد مثير ، فتؤدى هذه النزعة الى أقلاق وتوتر العلاقات الدولية وأفساد جوها . ويترتب على هذه الكبرياء فعل ورد فعل حينما تسعى بعض الدول الى دفع دول أخرى الى مرتبة أدنى فى المراتب الاجتماعية ، فتسعى هذه الى محاولة تاكيد ذاتها بالتمرد والمقاومة عادة أو بالاستسلام والرضوخ أحيانا . [٧]

وبالنسبة لدول العالم الثالث المستقلة حديثا تكون الكرامة الجماعية فى حالة تألق وتقوى فيها النزعة الوطنية بحيث لاتسمح الدولة بالمساس بكرامتها ولو بصورة سطحية وهذه الحساسية المفرطة تجاه الكرامة والسيادة تلعب دورا كبيرا فى أشعال نيران الصراع والنزاع بين كثير من دول العالم الثالث حتى ولو لم تكن بينها حدود مشتركة أو مصالح حيوية متعارضة .

ج ـ عدم التجانس الداخلى والعدوانية :

مما لاشك فيه أن الشعب المتوحد المتجانس أقوى بكثير من الشعب غير المتجانس سواء من الناحية العرقية أو الدينية أو الايديولوجية . [٨] ولعل من أهم أسباب عدم التجانس الداخلى وأنعكاساته بصورة سيئة على ميدان العلاقات الدولية لدول العالم الثالث هو أن شعوب هذه الدول كونت دولا قبل أن تكون أمما ، على عكس الدول المتقدمة التى أنصهرت جماعاتها مع بعضها فظهرت كأمم قبل أن تكون دولا لكل أمة منها دولة . وبمعنى آخر فان دول العالم الثالث تعانى من نتائج التكوين غير الكامل للامة [٩] وعليه ، فانه كثيرا ماتسبب الخلافات الداخلية الحادة بين عناصر الشعب الواحد الى دفع النظام السياسى فى هذه الدول الى اللجوء الى أثارة مشاكل فى العلاقات الدولية لتحقيق التلاحم والاستقرار الداخلى وتقوية السلطة .

---

٦ ـ فرنز ، الحرب العالمية الثالثة ، مرجع سابق ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٦ .

٧ ـ فرنز ، الحرب العالمية الثالثة ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

٨ ـ جوزيف فرانكل ، العلاقات الدولية ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

٩ ـ اندريه هوريو ، القانون الدستورى والمؤسسات السياسية ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ ـ ١٣٩ .

د ـ الصفوة والعدوان :

من أهم القضايا المثارة فى أطار مشكلات دول العالم الثالث قضية النخبة أو الصفوة ، لاسيما وأن شعوب هذه الدول تشعر بحاجتها أكثر فأكثر لقادة من الصفوة لتحقيق أهدافها وهى تمر بمرحلة تغير أجتماعى معقدة .

فمعدل التصنيع السريع الذى ترغب دول العالم الثالث فى تحقيقه وهى تتطلع الى ماوصلته المجتمعات الصناعية المتقدمة فعلا ، والنمو السريع فى معدلات السكان والاوضاع الاجتماعية السياسية التى تحدث فى أطارها عملية التنمية ، كل هذا يجعل ظروف العالم الثالث أسوأ بكثير من الظروف التى تمكنت فيها الدول الكبرى من الانطلاق ، حيث أن تصنيع وتنمية الدول المتقدمة تم بصورة تدريجية غير متعجلة فى غيبة منافسة فى ميدان التجارة والاستثمار .

فى مثل هذه الظروف تزداد أهمية الصفوة والقيادات القادرة على توجيه السلوك والسيطرة على الاحداث ومراقبتهما . ومما يزيد من هذه الاهمية نقص الخبرة فى التنظيم الاجتماعى والسياسى لدى جماهير السكان الذين ظلوا يعانون من الركود والخضوع سواء للحكام الاوتوقراطيين المحليين أو للحكام الاستعماريين الاجانب .

ودون الدخول فى تفاصيل تركيب وطريقة ظهور هذه الصفوة فى دول العالم الثالث ، يمكن القول فيما يتعلق بانعكاس ظاهرة الصفوة على الطبيعة التى تجنح للعدوان فى العلاقات بين دول العالم الثالث ، أن الصفوة تلعب فى كل بلد دورا رئيسيا فى تحديد مجرى النمو فيه ، ولابد أن يختلف هذا المجرى قليلا أو كثيرا ـ بل وقد يتناقض أحيانا ـ عن مجرى النمو فى دول أخرى . ويتوقف مدى هذا الاختلاف أو التناقض على تصور الصفوة والقيادات والزعامات فى بلدان العالم الثالث . ومن ثم تتبنى بعض القيادات أتجاهات ماركسية أو شبه ماركسية أو ليبرالية أو خليطا من كل هذه الاتجاهات .

ونظرا لان دول العالم الثالث مازالت نظمها السياسية فى طور التشكيل ، والسلطة السياسية فيها لازالت غير مستقرة ، فان الذين يسيطرون على قوة القهر العليا فيها تكون لهم فرصة كبيرة للقيام بدور هام فى تحديد مستقبل الدولة وتحديد علاقاتها مع الدول الاخرى . وتتوقف هذه العلاقات حينئذ على قدر كبير من الاعتبارات الشخصية المرتبطة بشخص الزعيم أو القائد[١٠] فقد أثبتت الدراسات أن الخصائص والسمات الشخصية ومميزات القادة ذات أهمية حيوية فى مجال السياسة الدولية وكمثال على ذلك يمكن القول بأن سياسة عدم الانحياز التى تقررت فى منتصف الخمسينات أرتبطت بأشخاص الزعماء الذين تصادف وجودهم فى هذه الآونة مثل عبد الناصر وتيتو ونهرو . وفى هذا الصدد يؤكد البعض أن مجريات الاحداث فى الحرب العالمية الثانية مثلا كان من الصعب أن تكون هى نفسها تماما « لو كان المستشار أديناور فى محل هتلر ، أو كان دى غاسبرى فى محل موسولينى » . وهذا يؤكد لنا أن الزعماء السياسيين لايمكن أن يتبادلوا الأدوار كآلة ميكانيكية ، لان الشخصية الذاتية لكل منهم تلعب دورا فى قرارات أعلان الحرب أو اقامة السلام . وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن الزعماء السياسيين باعتبارهم بشرا ، فانهم يقومون بأفعال وردود أفعال بتأثير من أمزجتهم وطباعهم وهمومهم وعقليتهم وشعورهم بالخيبة ورغبتهم فى أثبات الذات وعواطفهم وبطبيعة الحال تبرز هذه التأثيرات الشخصية للزعماء بشكل حاد فى دول العالم الثالث .

أستراتيجية القوة بين دول العالم الثالث :

نظرا لان القوة العسكرية هى المرتكز الرئيسى للاستراتيجية فقد أنتشرت التوترات والمصادمات والحروب أنتشارا واسع النطاق فوق رقعة العالم الثالث . وتؤكد الاحصاءات أن العالم الثالث كان هو ميدان كافة الحروب التى نشبت بعد الحرب العالمية الثانية باستثناء حرب تحرير أيرلندا التى يعتبرها البعض أيضا ضمن حروب العالم الثالث . وتؤكد هذه الاحصاءات أن معدل الحروب ومعدل الدول التى تشترك فيها فى تزايد مستمر . بل يمكن القول أنه لم يمر يوم واحد على العالم منذ الحرب العالمية الثانية دون نشوب عدد من الحروب فوق رقعة العالم الثالث حيث تحتل أفريقيا رأس القائمة تليها أسيا ثم الشرق الاوسط فأمريكا اللاتينية .

وبطبيعة الحال فالانفاق الحربى فى العالم الثالث هو الآخر فى تزايد مستمر فمعدل زيادة الانفاق الحربى لدول العالم الثالث يتراوح بين ٧٪ حسب تقديرات الامم

---

١٠ ـ لتفاصيل حول اهمية الصفوة ودورها فى المجتمع لاسيما فى الدول النامية يمكن الرجوع الى : بوتومور ، الصفوة والمجتمع ، ترجمة د . محمد الجوهرى وأخرين ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٨ . ص ١٠٧ ـ ١٢١ .

المتحدة و١٠٪ حسب تقديرات بعض الخبراء ، بينما لم يتجاوز معدل زيادة الناتج القومى حسب نفس المصادر ٥٪ [١١] ويحتل الشرق الأوسط رأس القائمة حيث انفقت دولة حوالى ٢٩٪ من جملة الانفاق الحربى للعالم الثالث . كما أن أربع دول فقط هى إيران ومصر والسعودية والهند انفقت فى عام ١٩٧٥ مايزيد على نصف إجمالى الانفاق الحربى للعالم الثالث .

وقد انعكس نظام القطبية الثنائية على ميدان تصدير الأسلحة ، حيث أصبحت دول العالم الثالث هى ميدان التنافس بين دول الكتلتين لاسيما الولايات المتحدة والأتحاد السوفييتى . وتشير الأحصاءات إلى أن ٩٠٪ من تجارة السلاح فى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٦ إلى العالم الثالث كانت من أربع دول فقط هى الولايات المتحدة ٣٩٪ ، بريطانيا ٩٪ ، فرنسا ٩٪ ، والأتحاد السوفييتى ٣٠٪ ومن الملاحظ أن ٧٥٪ من تجارة السلاح العالمية تذهب إلى دول العالم الثالث .[١٢]

ونظرا لأرتفاع تكاليف إنتاج الأسلحة الحديثة وتطويرهافأنه من المستحيل عمليا على أية دولة من دول العالم الثالث أن تقدم بمفردها على أنتاج الأسلحة الحديثة المتطورة وهذا مما يجعل من المحتم على دول العالم الثالث أن تعتمد فى تزويدها بالأسلحة على الدول الكبرى وبالأخص الدولتين القطبيتين .وبطبيعة الحال فإن الأسلحة لاتأتى إلى العالم الثالث دون أن تجر معها النفوذ السياسى . ويمكن أن نستعير عبارة ماوتسى تونج لتأكيد العلاقة بين السلاح والنفوذ السياسى ، حيث يقول : « إن القوة السياسية تنمو من خلال فوهة مدفع » . فقبول الدول الكبرى تزويد دول العالم الثالث بالسلاح لاينطلق من هدف إنسانى ولا من إعتبارات الصداقة ، ولكن ينطلق من مصلحة سياسية وأقتصادية بحتة تهدف إلى ربط هذه الدول بالدولة المصدرة . وبالطبع يرتبط بالسلاح التسهيلات العسكرية والتدريب والبعثات الفنية وما ينطوى على ذلك كله من السيطرة على أجهزة صنع القرار فى السياسة الخارجية لدول العالم الثالث .

وللأنصاف يمكن القول بإن الدول الكبرى إذا كانت تشجع تزويد دول العالم الثالث بالسلاح لتحقيق مصالحها السياسية والأقتصادية والايديولوجية ، فان الظروف السياسية السائدة فى العالم الثالث ، التى تخلق الطبيعة المعتدية أو تساعد على إبرازها ، هى المسئولة إلى حد كبير عن الحروب التى تنشب فوق رقعة العالم الثالث ، وهى التى زادت من حدة التنافس بين دول العالم الثالث للحصول على الأسلحة .

احتمالات المستقبل

إن مظاهر معارضة الحرب فى العلاقات الدولية تزداد يوما بعد يوم . ولانعنى بالسعى نحو إزالة الحروب العمل على استبدالها بحالة من السلام الدائم أوشبه الدائم ، بمعنى إقرار حالة خالية من كل تطبيق إو إحتمال تطبيق العنف الأجتماعى أو أى شكل من أشكاله أو التهديد به ، أو أى مظهر من المظاهر التى تندرج بصورة عامة تحت إسم الحرب . فمثل هذا السلام أنما هو سلام جامد يمنح المجتمعات الانسانية استقرارا أشبه باستقرار الجماد ، بمعنى أنه سلام مجرد من كل حياة ، ومن ثم لايمكن تصور سلام كهذا .

إن السلام المنشود لايعنى زوال الصراع . فالصراع هو أساس التطور والتقدم . ولكن الهدف هو ترشيد الصراع فى المجتمع الدولى ، وتحويله إلى مستوى حضارى وفكرى يسمح بتغيير طبيعة وشكل الصراع من صراع مدمر إلى صراع من النوع الذى يحدث داخل الانسان الذى يهدف إلى المحافظة على حياته فى أكمل صورة ممكنة دون تدمير أحد الأعضاء أو بعضها . معنى هذا هو حدوث الصراع فى إطار علاقات التكافل والترابط والمعونة المتبادلة بما يسهم فى الحفاظ على الأبنية الأجتماعية الدولية وتقدمها وتطورها . أى أنه يجب أن تكمن وظيفة البناء الاجتماعى ـ ومنها الدولة بطبيعة الحال ـ فى الأسهام الذى يؤديه للحياة الأجتماعية الكلية ، أو الذى يسهم به فى سير عمل النظام الأجتماعى ككل للمحافظة على كيان هذا النظام .

---

١١ ـ ان معدل الانفاق الحربى فى تزايد مستمر فى العالم كله ، ولكن معدل التزايد فى دول العالم الثالث أكبر منه فى الدول المتقدمة . يمكن الرجوع لتفاصيل فى هذا الصدد الى :

Daniel Colarid, Le Desarmment, Armand Colin Collection, Paris 1972, PP. 18 et suiv., Noel Baber, Philip, The Arms Race - A Programme for World Disarmament, London 1958, PP. 12 - 28

١٢ ـ لتفاصيل حول هذه النقطة يرجع الى :

Frank Barnaby and Donald Huiskien, Arms Uncontrolled, Stockholm International Peace Research Institute, Harvard University Press, 1975, PP. 38 - 59.

ومما يؤكد أن الاهتمام بالسلام والدعوة اليه ليست ظواهر منفردة تعبر عن نزعة سلمية خيالية ، ذلك الأهتمام الكبير بالبحوث التى تهدف إلى الكشف عن الدوافع العميقة التى تدفع المجتمعات الأنسانية إلى أن يهدم بعضها بعضا من آن لأخر . وخلال السنوات الأخيرة تم إنشاء مايزيد عن مائة معهد ومركز للبحوث فى مجال الحرب والسلم فى العالم ، ويعكف الباحثون فيها بمختلف عقائدهم على بذل الجهود للتوصل إلى القضاء على جنون تخريب الذات الذى يهدد النوع الأنسانى . وكل هذا يؤدى بنا إلى الأقتناع بأن نظرية السلام المستحيل ماهى إلا نظرية مرحلية مرتبطة بالكوارث التى تسببها الحروب المعاصرة .

ونظرا لأن مبدأ منع الحرب وأعتبارها جريمة دولية الذى تقرر فى بعض الأتفاقيات والمواثيق الدولية كميثاق بريان كيلوج عام ١٩٢٨ مثلا ، لم يحترم من جانب الدول المختلفة ، لذا فقد توجهت الأنظار نحو محاولة التخفيف من ويلات الحرب عن طريق التحكم فى الأسلحة التى تستخدم فى هذه الحروب . ومن هنا ظهرت الأفكار الداعية لأزالة الأسلحة من الوجود كلية أو منع انتشار بعض أنواعها أو الحد منها أو مراقبتها على الأقل . وقد عقدت لهذا الغرض مؤتمرات دولية كثيرة خلال القرن الحالى .[١٣] غير أن أكثر المحاولات أهمية ظهرت بعد الحربين العالميتين . ولكن هذه المحاولات - رغم أهميتها - قوضها التنافس الرهيب على تصدير الأسلحة إلى دول العالم الثالث .

وبالنسبة لدول العالم الثالث فهناك نتائج عديدة ترتبت على التسابق على الأسلحة أهمها :[١٤]

١ - إن طبيعة المؤسسات العسكرية والحربية ، والأدراك للتهديد من جراء أهتمام الأعداء والحلفاء بالتسلح الكمى والنوعى ، يؤدى إلى خلق حالة من عدم الأستقرار .

٢ -إن تحول كثير من النزاع الاقليمى إلى نزاع دولى ، يزيد من التوتر فى منطقة النزاع ، ويترتب على ذلك تعجيل التدخل من جانب الدول الكبرى ، وغالبا مايأخذ هذا التدخل شكل مساعدات من جانب واحد فى الأسلحة والتدريب بل وفى القتال أحيانا . ومن الامثلة الحديثة لهذا النوع من التدخل السوفييتى فى أفغانستان فى عام ١٩٧٩ ، والمساعدة الفورية التى اعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن تقديمها لليمن الشمالى فى حربه مع اليمن الجنوبى فى عام ١٩٧٩ .[١٥] وأن مثل هذه التدخلات والمساعدات المكشوفة تزيد من حدة المواجهة بين الدول الصغرى من جانب وتزيد من حدة عدم الأستقرار من جانب آخر ، وتزيد من توتر العلاقات بين الدول العظمى من جانب ثالث .

٣ - لم يقتصر تسابق دول العالم الثالث على الأسلحة التقليدية الحديثة والمتطورة فحسب ، بل أعلن عن محاولات تقوم بها بعض الدول فى العالم الثالث مثل اسرائيل والهند وباكستان لتطوير أو الحصول على أسلحة نووية .وإذا ماقدر لهذه المحاولات أن تنجح بصورة ملموسة ، فربما يتغير شكل توازن القوى الدولى بصورته الراهنة .

ومما لاشك فيه أن التسابق على السلاح بهذا الشكل يجعل المرء لايتوقع إمكان الحد من تجارة السلاح أو وضع حد لهذا التنافس حول تزويد دول العالم الثالث بالسلاح بكميات متزايدة وكيفيات متطورة . إلا أن هناك رغم ذلك بعض الأعتبارات التى يمكن أن تؤدى إلى تحقيق هذا الأمل لعل أهمها :

١ - الأهتمام المتزايد بموضوع رقابة الأسلحة . والمحلل للأمور لايسعه إلا أن يتصور إمكانية إستمرار هذه النزعة التى تؤكدها الرغبة المتزايدة فى التعاون مع الأعداء . سواء بين الأعداء الكبار كالأتحاد السوفييتى والولايات المتحدة نحو الوفاق الدولى لاسيما بعد حرب فيتنام التى لم تستطع فيها أى الدولتين من تحقيق كسب ملموس ، والتى كان يمكن تجنبها أو الحد منها جوهريا على الأقل لو أن الدولتين

---

١٣ - يمكن الرجوع لتفاصيل حول مؤتمرات ومحاولات نزع السلاح فى :

Daniel Colard, Le Dèsarmement, op.cit., Raymond Aron, Paix et Guerre entre Nations, Calmann-Lévy 1975, Etudes de Defense, Centra d'Etuds Générales et Documentation, Algerie, 1976.

١٤ - انظر : دافيد ادواردز ، الرقابة على الاسلحة ، مرجع سابق ، ص ٨١ ، ٢١٣ ، ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٢٥٤ .

١٥ - كما يتجلى هذا ايضا فى تقديم الدول العظمى احدث انواع الاسلحة للدول الصغرى فقد قامت الولايات المتحدة مثلا بتزويد ايران بطائرات ف - ١٤ قبل نشوب الثورة الايرانية ، كما قام الاتحاد السوفييتى بتزويد سوريا بطائرات ميج - ٢٥ - ولم يكن قد مضى على دخول هاتين الطائرتين الى الخدمة فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى سوى عامين فقط .

كانتا قد تعاونتا من قبل ، أو بين الأعداء الصغار كما هو الحال بين مصر وإسرائيل بعد أربع حروب وعليه قد يمكن القول بأن سياسة الأنفراج أو الوفاق الدولى العالمى بين الدول العظمى قد ينعكس فى صورة « نظم فرعية » للوفاق والأنفراج فى العلاقات الدولية لدول العالم الثالث .

٢ ـ إن الأنفاق الداخلى على الرفاهية الأجتماعية والتنمية الأقتصادية ، أخذ فى التطور مما سينعكس لامحالة فى صورة إنخفاض نسبى فى الأنفاق على الأغراض الحربية .

٣ ـ إن الشعور المتزايد بخطورة تدخل الدول الكبرى فى شئون الدول الصغرى عن طريق السلاح ، بالأضافة إلى قلة مالديها من إمكانات ، ستزيد بلا شك من اهتمام دول العالم الثالث بالأجراءات الخاصة برقابة الأسلحة التى من شأنها تقليل مخاطر التهديد العسكرى للنظم الحاكمة .

٤ ـ إذا كانت المشاكل السياسية فى مناطق العالم الثالث هى التى أدت إلى زيادة الأنفاق العسكرى والتنافس على السلاح وتطوير المقدرة الحربية ، فإن السعى الجاد لمحاولة حل هذه المشاكل السياسية دون الألتجاء إلى السلاح قد يؤدى فى نهاية الأمر إلى الشعور بعدم الحاجة إلى الأسلحة أو على الأقل إلى الحد منها .

٦ ـ إن نجاح أى محاولات لرقابة الأسلحة سيؤدى إلى تقليل التوترات الدولية ، وقد يشجع هذا على سرعة تحقيق تسوية سياسية للنزاع بين دول العالم الثالث ، لأن زيادة الأسلحة فى مناطق النزاع تضيف بعدا جديدا للمشاكل المتنازع عليها ، ومن ثم فإن الحالة التى يصل إليها النزاع لايمكن تغييرها إلا بعد إزالة الأسلحة أو تخفيضها .

٧ ـ العمل على معاونة الهيئات والمنظمات الدولية فى القيام بوظيفتها فى حفظ السلم والأمن الدوليين ، قد يسهم إسهاما كبيرا فى تحقيق أهداف رقابة الأسلحة .

ويمكن القول بأن كل هذه الأعتبارات وأن كانت تعبر عن الرغبة فى إحلال السلام محل الحرب ، إلا أنها لم تستطع حتى الأن أن تتجاوز مرحلة الرغبة إلى مرحلة القدرة . فالرغبة قد تكون متوافرة مثلا لدى طرف الحرب العراقية ـ الايرانية التى إشتعلت منذ سبتمبر ١٩٨٠ وحتى الآن ، وقد تكون هذه الرغبة متوافرة أيضا لدى كثير من أعضاء الجماعة الدولية لوضع حد لهذه الحرب ، ولكن الرغبة وحدها أثبتت أنها غير قادرة على إنهاء أو إيقاف هذه الحرب . وحتى إذا مالامكن وضع حد للحرب فى منطقة ما لاعتبارات توازن القوى ، فإن توازن القوى نفسه قد يفرض إشعال الحرب فى مناطق أخرى .

ومن ثم . فمن الضرورى ألا نعول كثيرا على محاولات إقرار السلام كنزع السلاح والمعاهدات والاتفاقيات الدولية فهذه المحاولات قد تخفف من حدة الحرب او قد تؤجل نشوبها بعض الوقت ، ولكنها لاتحل معضلة الحرب بصورة نهائية أو بصورة جذرية .

ومن هنا فأنه لابد من العمل على إكتشاف الأسباب العميقة للحرب عن طريق دراسة ظاهرة الحرب دراسة علمية لفهمها وإمكان السيطرة عليها فى نهاية الأمر فالواجب إذن هو العمل على إيجاد حلول لعدد من القضايا التى تعتبر الجذور الحقيقية للحرب مثل :

١ ـ مشكلة التكاثر السكانى فى العالم الثالث ، حيث يتزايد السكان بنسب تفوق معدلات زيادة الأنتاج ، مما يعنى زيادة مستوى الفقر وبالتالى زيادة البطالة التى يكون منفذها الوحيد لتفريغ النزعة العدوانية هو الأضطرابات الداخلية التى تجر فى حالات كثيرة إلى تدخلات دولية ومن ثم تؤدى إلى إثارة القلق والتوتر فى العلاقات الدولية . وإذا مااستمر التكاثر السكانى بنفس المعدلات ، فان عدد سكان العالم يتوقع أن يصل إلى خمسة مليارات نسمة فى عام ٢٠٠٠

ب ـ مشكلة المركزية المفرطة فى السلطة لاسيما فى دول العالم الثالث .

جـ مشكلة قدسية السيادة الوطنية والحساسية المفرطة فى المشاعر الوطنية لاسيما بين شعوب ونظم الحكم فى دول العالم الثالث

د ـ مشكلة القومية وما يترتب عليها من بروز نزعة الأستعلاء بين الشعوب .

هـ مشكلة وسائل الأتصال الجماهيرية وسوء إستخدامها فى نشر أخبار الحروب وشن الحروب النفسية بين الدول .

و ـ مشكلة الزعامة السياسية وما يترتب عليها من ظواهر الديماجوجية .

وإلى أن تتم دراسة هذه القضايا وإقتراح الحلول المناسبة لها ، فإنه من الضرورى أن يركز الأهتمام على قضايا التربية ، لأن التربية الملائمة تلعب دورا هاما فى تحويل السلوك البشرى بشكل عميق . ولابد أن توضع إستراتيجية عالمية لنمط التربية الذى يمكن أن يحقق النتيجة المطلوبة وهى إبراز المشاعر النبيلة وتنمية روح التعاون والايثار وإنكار الذات عند النشىء فى كل مكان .

المؤتمر العالمى للسياسات الثقافية

د . عبد الخبير محمود عطا

يهتم هذا التقرير بتحليل جوانب المناقشات التى استمرت اكثر من اسبوعين بين رجال الثقافة والفكر من كل دول العالم فى « المؤتمر العالمى للسياسات الثقافية » الذى عقد مؤخرا فى مكسيكو سيتى . وترجع اهمية هذا التحليل الى اكثر من اعتبار :

اولا : لان هذا المؤتمر الثقافى العالمى يأتى فى اطار سلسلة الاجتماعات الدولية لبلورة الملامح النهائية لنظام اتصالى / اعلامى جديد ، وهو الامر الذى يتضمن فى جوهره نوعا من الصراع الدولى بين دول اوربا الغربية والولايات المتحده الامريكية من ناحية ودول الكتله الاشتراكية والدول النامية من ناحية ثانية فى نظر البعض ، او صراعا بين الدول المتقدمة — الاشتراكية والغربية — والدول النامية فى نظر البعض الآخر . فى الواقع ان عملية الصراع او التعاون فى سبيل تشكيل ملامح نهائية للنظام الاعلامى العالمى الجديد تعكس جوهر وحقيقة الصراع او التعاون الدولى ذلك ان الصراع او التعاون الاتصالى ليس الا صورة من صور التعاون او الصراع السياسى والاقتصادى التى يشهدها نظام المجتمع الدولى ، وسواء اتخذ هذا الصراع او التعاون شكلا صريحا او شكلا ضمنيا ..

ثانيا : ان النظر الى حقيقة الامور تفرض علينا ادراكا واعيا للصراع الاتصالى — الذى يشمل الجوانب الاعلامية والجوانب الثقافية معا — بين الدول المتقدمة والدول النامية . لقد تحول بالفعل الصراع الدولى من صراع بين الشرق والغرب الى صراع بين الشمال والجنوب ، ولا نستطيع كأبناء للدول النامية ان نخدع انفسنا وننظر الى دولنا ومجتمعاتنا « كموضوع » للتعامل بين الدول المتقدمة — الاشتراكية والرأسمالية — دون ان نحاول ان نكون « طرفا » فى العلاقات الدولية له مصالحه وله تطلعاته التى يجب ان يعمل على تحقيقها سواء من خلال المسالك الاتصالية او المسالك السياسية او المسالك الاقتصادية او حتى المسالك العسكرية اذا اضطرتنا الظروف الدولية والاقليمية الى ذلك ولكن بشرط الاستفادة من تناقضات ومعطيات البيئة الدولية والبيئة الاقليمية فى آن واحد ..

ثالثا : ان الاجتماعات التى سبقت وعقدت لمناقشة القضايا التى تتصل بالنظام الاعلامى العالمى الجديد كانت تتناول الموضوعات الخاصة « بمضمون الرسالة الاعلامية » مع القضايا الخاصة بوسائل الاعلام الجماهيرى ، ولكن هذا المؤتمر نجده يعقد ليناقش القضايا الخاصة « بالمضمون » الاعلامى / الاتصالى ذاتها وذلك لان المضمون الذى تقدمة الادوار الاتصالية فى الدول النامية لا يناسب الظروف المجتمعية التى تمر

بها تلك الدول وحاجاتها التنموية ومتطلباتها الحضارية . بعبارة اخرى ، اننا نرى ان هذا المؤتمر اهتم اساسا بمعالجة « المضمون الاتصالي » الذى تقدمة وسائل الاعلام في اطار البحث عن « سياسات ثقافية جديدة » ملائمة لحاجات ومتطلبات المجتمعات التى يقدم فيها ذلك المضمون .

رابعا : ان اهمية ذلك المؤتمر ترجع ايضا الى العلاقة التبادلية بين السياسات الداخلية والسياسات الخارجية للدولة من ناحية ، والسياسات الثقافية ، والسياسات الاقتصادية والسياسات السياسية – بالمعنى الضيق – من ناحية اخرى ، اذ انه لا يمكن اغفال العلاقة التشابكية بين السياسات المختلفة في اطار هذين المحورين . فمما لا شك فيه ، تؤثر السياسة الخارجية للدولة النامية – خصوصا – على السياسة الداخلية لها . وبالتالى فان السياسات التى تتبعها الحكومة في المجال السياسى من ناحية وفى المجال الاقتصادى لابد وان تنعكس على السياسات التى تتبعها في المجالات الاتصالية – الاعلامية والثقافية – ومن هنا فاننا ننظر الى النظام القطرى كنظام فرعى في اطار النظام الاقليمى كنظام كلى ، وننظر الى الى الاخير كنظام فرعي في اطار النظام العالمى كنظام كلى . وكذلك فاننا ننظر الي النظام السياسى والنظام الاقتصادى والنظام الاتصالى كنظم متشابكة ومتفاعلة في اطار النظام القطري والنظام الاقليمى والنظام العالمى ، مع ما يعنيه ذلك من علاقات تنساب في اطارها تيارات التفاعل على المستوى الراسي من ناحية وعلى المستوى الافقى من ناحية اخرى .

القضايا المثارة والمناقشات :

تعددت القضايا التى اثيرت في مؤتمر الميسياسيا الثقافية الذى عقد في الدولة المكسيكية ، كما تعددت وجهات النظر بخصوص كل منها بما يعكس الرؤى المختلفة للقوى والكتل الدولية ، ويهمنا في هذا الصدد التعرف على بعض تلك القضايا وجانب من هذه المناقشات ، مع التركيز على جوانب التوازنات والاختلالات في النظام الثقافي والاعلامى – الاتصالى – الدولى – من ناحية وعلى وجهة نظر الدول النامية من ناحية اخرى . من هذه القضايا : (١) المشكلات الاساسية للثقافة في العالم المعاصر ، (٢) التطور الحديث للافكار الذاتية الثقافية والعلاقات بين الثقافات ، (٣) البعد الثقافي للتنمية ، (٤) الثقافة والديموقراطية ، (٥) الحقوق الثقافية وصيانة التراث الثقافي والفكرى ، (٦) والصناعات الثقافية والتعاون الثقافي الدولى ، (٧) اثر المتغيرات الاقتصادية على الثقافة بالدول النامية ..

اولا : بالنسبة للمشكلات الاساسية للثقافة في العالم المعاصر : فقد تناول المؤتمر من خلال كلمتين هامتين القيتا في حفل الافتتاح – من قبل كل من وزير التربية المكسيكي السيد فرناندو سولانا ، والسيد احمد مختار امبو مدير اليونسكو – بعض من جوانب هذه المشكلات . فقد وجه الدعوة الوزير المكسيكي للمشتركين الى ضرورة اكتشاف افكار حافزه جديدة لتنمية السياسات الثقافية وتجديدها بغية الارتفاع بمستوى التفاهم بين الشعوب وبمستوى التعاون الدولى . وقدم عرضا جيدا للحالة الاقتصادية والثقافية الراهنة في العالم وابرز عددا من اهم المفارقات في العصر الحديث قائلا ان تنمية الاتصال بين الشعوب تقترن بازدياد عدم التفاهم !! ، وان الاف العلماء يعملون من اجل صناعة الحرب بدلا من تسخير مواهبهم الابداعية لخدمة الانسانية !! والقيم الاخلاقية قد تخلفت تخلفا ينذر بالخطر مواكبة تقدم عن العلوم والتكنولوجيا . ومما لاشك فيه أن حديث الوزير المكسيكي يثير قضية مدى العلاقة بين التقدم المادى او التكنولوجي والتقدم المعنوى او الاخلاقي . ذلك ان الاول اسرع من الثانى وهو ما يكون له بعض الآثار السلبية على النظام الاجتماعى الامر الذى يشكل ضغوطا على النظام السياسى في الدول النامية وذلك لعدم قدرة النظام الاقتصادى على الوفاء بالتطلعات والجامعات التى يخلقها التقدم التكنولوجي . ولذلك فانه تثار بالتالى قضية « لا وظيفية » النظام الاتصالي – الاعلامي والثقافي – في الدول النامية او كونه يعمل في اتجاه « مضاد » للاهداف المجتمعية في تلك الدول . وفى الواقع ان هذه القضية الرئيسية تثير قضايا فرعية تحتاج لنوع من البحث و الدراسة المتأنية لكى لا تقع في مغالطات واستنتاجات خاطئة . وهنا لا نغفل « الوظيفة السياسية للعلم » ، واختلاف ابعاد تلك الوظيفة في الدول المتقدمة عنها في الدول النامية ..

ثانيا : اما بالنسبة لمفهوم « الذاتية الثقافية » الذى اكدت عليه مناقشات المؤتمر وتناوله الوزير المكسيكى من خلال اشارته الى ان الانسان هو الغايه الاساسية ، ولابد من الحفاظ على التراث الثقافي والذاتية الخاصة لكل شعب من الشعوب و حرية الابتكار والخلق ، واحترام التفكير ولابد من اختيار طرق افضل لتعميق قدرات الشعوب الذاتية على الابتكار والابداع والخلق . وفى الواقع انه اذا كانت القضية السابقة تثير ما يتصل بالوظيفة الاعلامية لوسائل الاعلام ، فان هذه القضية الهامة التى اثارها المؤتمر تتصل بالوظيفة الحضارية للنظام الاتصالى الدولى والنظام الاتصالى الاقليمى والنظام الاتصالى

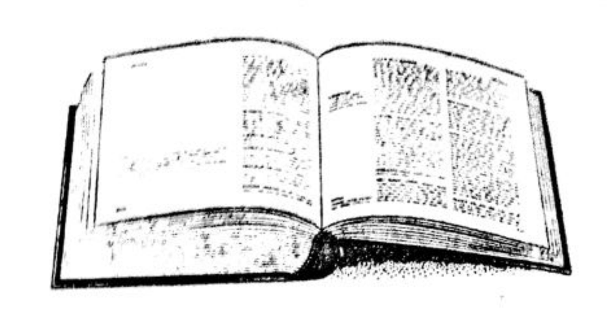
القومى او الوطنى . وفى هذا الصدد نجد ان السيد احمد مختار امبو مدير عام اليونسكو نوه فى كلمته باهمية مفهوم « الذاتية الثقافية » الذى يتاكد باضطراد بوصفه سلاحا من اسلحة الشعوب المعاصرة فى انتفاضتها ونضالها من اجل الكرامة . كما اكد فى كلمته الافتتاحية للمؤتمر على الاهمية المتزايده للثقافة فى حياة كل شعب وفى العلاقات بين الشعوب . وقال انه ازاء ما تشهده كل المجتمعات من تغيرات سريعة ومن انتشار لاكتساب « الصفة العالمية » ، يبرز حرص جميع الشعوب على الحفاظ على كل ما يشكل كيانها الاصيل ، الا وهو « ذاتيتها » الثقافية . وفى الواقع ، الاسباب الحقيقية لاثارة هذه القضية هى « الغزو » الاعلامى الاجنبى الذى شهدته وسائل الاعلام فى الدول النامية » والاختلال » الشديد الذى حدث بين الثقافة الوطنية والثقافة الاجنبية ، وهو ما اثار رد فعل عنيف من قبل المواطنين فى تلك الدول بحثا عن هويتهم واصولهم ورغبة منهم فى احداث « توازن » بين قيمهم الاصولية او التقليدية والقيم الحديثة الوافدة اليهم من العالم الخارجى المحيط بهم . وهذه القضية تشغل اهتمام الكثير من المهتمين بالجوانب السياسية والاتصالية فى الدول النامية ، وحسمها يتوقف على اختيارات النخبة الحاكمة التى تستطيع « تنويع مصادر » الثقافة العالمية والعمل على اقلمة تلك الثقافة مع الواقع المجتمعى ، ، وقد كان للنظام المجتمعى اليابانى نموذجا فى هذا الخصوص يمكن الوقوف على جوانبه وابعاده من قبل المهتمين بحل هذه المعضلة .

ثالثا : البعد الثقافى للتنمية ، او « التنمية الثقافية » كجانب من جوانب العملية التنموية : مما لاشك فيه ان العملية التنموية – كما تعودنا نحن ابناء الدول النامية على دراستها وتدريسها لطلابنا – لايمكن ان تقتصر على الجوانب المادية فقط ، بل يجب ان تمتد أيضا الى الجوانب المعنوية أو الثقافية . بل ان العملية التنموية فى ذاتها هى اختبار ثقافى أو ايديولوجى أو قيمى يغلف الجوانب الاخرى فى عملية التنمية ويجدد ابعادها .

ولقد كان الخطأ غير المقصود احيانا والمقصود احيانا اخرى من قبل النخب الحاكمة فى الدول النامية التى تولت الاشراف على عملية التنمية هو « اغفال » الجانب الثقافى فى التنمية . بعبارة اخرى ، كان هناك اهتمام فقط بالجانب الاقتصادى فى العملية التنموية . ولكن كشفت الخبرة التى عاشتها هذه الدول عن اهمية بلورة الجوانب الثقافية واختيار النموذج القيمى والايدولوجى الذى منه تنطلق واليه تهدف العملية التنموية . وقد تناول المؤتمر هذه القضية [illegible] الاسهاب . وهو ما يعكس وجهة نظر الدول النامية بصدد النظام الاتصالى الدولى الجديد . ولكننا نود التاكيد على ان هذه المشكلة هى مشكلة وطنية او داخلية كما انها مشكلة عالمية او خارجية . اى يجب ان ينطلق حلها من قبل الاراده الوطنية الى جانب المتغيرات الدولية المواتية .

رابعا : الثقافة والديموقراطية : ان هذه القضية تتصل بمدى الحرية المتاحة فى انتاج المواد الاعلامية من ناحية ، وفى توزيعها من ناحية وذلك سواء على المستوى المحلى والمستوى الوطنى فى اطار النظام الاتصالى القطرى . او على المستوى القومى او الاقليمى وعلى المستوى الدولى فى اطار النظام الاتصالى العالمى . ذلك ان هناك امكانيات « تهدر » ويمكن الاستفادة منها فى العملية التنموية فى داخل الدول النامية ويرجع ذلك الى عدم توافر مناخ سياسى حر يسمح للادوار الاتصالية المعارضة (الحزبية والنقابية والطلابية ... الخ) بالتعبير عن وجهات نظرها . نفس الامر يحدث على المستوى الخارجى . حيث عدم التوازن بين الادوار الاتصالية يمكن ملاحظته . بعبارة اخرى ، اننا ازاء « عدم توازن مركب » فى صدد العملية الاعلامية : فهو فى اطار النظام الاعلامى العالمى حيث التوازن لصالح الدول المتقدمة وفى غير صالح الدول النامية مما يجعلنا نتحدث عن « الاختلال » او عدم التوازن . نفس الامر فى اطار النظام الاعلامى الداخلى حيث التوازن لصالح الحكومة وفى غير صالح القوى المعارضة . ولذلك فان « ديمقراطية النظام الاتصالى » تتصل بسهولة ويسر تعبيرا للادوار والقوى الاتصالية المختلفة عن وجهاتها مما يجعل هناك انسيابا للثقافات المختلفة ووجهات النظر المتعدده . وهذه القضية استحوذت على جانب ليس قليل من مناقشات المؤتمر ، وكانت تركز عليها الدول الغربية ولكن تركيزها فى هذا الصدد ينطلق من رؤيتها لمصالحها الخاصة – سواء فى داخل الدول النامية او فى اطار النظام العالمى – وليس من منظورها لقيمها الليبراليه .

هذه هى بعض القضايا التى تمت مناقشتها فى هذا المؤتمر ، وهو مايسمح به المجال فى هذا الموضع ، ويهمنا الاشارة الى بروز وجهة نظر الدولة النامية التى تتفق مع واقعها واحتياجاتها .





قضايا السياسة العالمية

- Issues in Global Politics .
- Edited by: Gavin Boyd & Charles Pentland .
- The Free Press , New York , 1981 .

يعالج كتاب « قضايا السياسة العالمية » الذى نقدم له هذا العرض مشاكل السياسة الخارجية بالنسبة للقوى العالمية الرئيسية ، وأبعاد التفاعل الدولى إزاء القضايا الأمنية والاقتصادية والسياسية ، وذلك فى عشرة مقالات إشترك فى تحريرها فريق من أساتذة العلوم السياسية فى جامعات الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا ، تحت إشراف جافن بويد وتشارلز بنتلاند .

وتتميز الدراسات التى يضمها هذا الكتاب – رغم تعدد المؤلفين – بوحدة المنهج وتماثل أدوات التحليل وتجانس أسلوب العرض والمعالجة ، الأمر الذى تفتقر إليه كثير من الكتب التى تصدر على شاكلته . ففى كل مقالة من المقالات يعرض كاتبها لدور القوة موضوع الدراسة فى النظام العالمى ، ومصادر المشاكل التى تواجهها سياستها الخارجية ، وكيفية معالجتها للقضايا العالمية ، وأداء هذه السياسة بما يكشف عن مواطن القوة والضعف فيها وعوامل النجاح والاخفاق .

والكتاب بصفحاته البالغ عددها ثلاثمائة وإثنتين وتسعين صفحة يستهدف – كما جاء فى مقدمته – تقديم إطار منهجى للدراسة المقارنة لقضايا السياسة الخارجية ، وإبراز الظروف التى تؤدى فيها هذه القضايا إلى تفجر المنازعات بين الدول ، والمشاكل التى تؤثر على تطور المؤسسات العالمية بما يحول دون معالجتها لهذه القضايا بصورة فعالة . وقد إختصت الدراسة الأولى بمعالجة شكل وأبعاد النظام العالمى . بينما تناولت الدراسات الأربع التالية القضايا العالمية فى مواجهة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والجماعة الأوربية والصين ، ثم عالجت الفصول من السادس إلى الثامن التفاعلات العالمية حول القضايا الأمنية والاقتصادية والسياسية . وتناول الفصل التاسع دراسة المؤسسات العالمية . وأخيرا إختص الفصل العاشر بالاطار النظرى للقضايا العالمية

وفيما يلى عرض لابرز القضايا التى تناولها الكتاب .

الشكل العام للنظام العالمى

فى الفصل الأول بعنوان « الشكل العام للنظام العالمى » عنى مؤلفه جيمس دورتى بالقاء الضوء على المفاهيم والعمليات والقوى والقضايا المتصلة بالسياسة الخارجية . وفى تصويره للنظام العالمى المعاصر يقول إن بروز العديد من العوامل السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية بعد الحرب العالمية الثانية ، أفرز نظاما عالميا بمعنى الكلمة ، فى حين انه منذ حوالى مائة عام لم يكن ثمة مايمكن أن نطلق عليه « النظام العالمى » بالمعنى المعاصر ، كما انه لم يكن ثمة مجال للحديث عن القضايا العالمية ، فبالرغم من ظهور بعض القضايا الدولية ذات الطابع الدبلوماسى أو العسكرى أو الاقتصادى مثل منازعات الحدود ، أو التدخل للقضاء على الثورات أو تأييدها ، أو لتنفيذ حق المرور البحرى ، إلا أن هذه المسائل لم تكن لتؤثر على السلام

والاستقرار الدوليين . ويضيف إلى ذلك قوله إنه فى الربع الأخير من القرن الحالى ، أصبح النظام الدولى أشد تعقيدا بسبب الزيادة الكبيرة فى عدد وأنواع القوى الدولية ، ونتيجة لتوثيق الصلة بين السياسات الداخلية والخارجية داخل الدول ، فقد قضت الديمقراطية على إتجاه الشعوب إلى ترك السياسة الخارجية فى أيدى الحكام والخبراء ، وخاصة منذ ظهور تكنولوجيا الأسلحة المتطورة ، وإنتشار الوعى الجماهيرى الكثيف بالأحداث العالمية ، كما أن جماعات المصالح الخاصة فى جميع أنحاء العالم ـ سواء كانت ذات طابع أيديولوجى أو دينى أو إقتصادى أو عسكرى أو ثقافى ـ بدأت تعرف كيف يمكنها تدويل القضايا والصراعات التى تكون أحد أطرافها .

وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى تحديد مفهوم القضايا العالمية ، فيذكر أنها تلك المشاكل والأزمات والتحديات التى تتصل بالمقتضيات الأساسية للسلم الدولى والأمن والنظام والعدالة والحرية والتطور فى العالم . وهذه القضايا تتميز بصفة خاصة بحدة الخلاف والصراع دون الاتفاق والتعاون ، ومن أبرز المؤثرات التى تضفى عليها صفة العالمية إستحواذها على إهتمام صانعى السياسة فى عدد كبير من الحكومات ، وظهورها فى جداول أعمال المنظمات الدولية .

وفى تحليله لخصائص النظام العالمى ، يبرز الكاتب أولا السمة التدرجية التى يتميز بها هذا النظام والتى تعنى أن القوة غير موزعة فى المجتمع العالمى توزيعا متكافئا وأن أهمية كل فاعل تتحدد بموقعه على متدرج توزيع القوة . وفى هذه السياق يقول إن الكتاب التقليديين عمدوا فى تحليلهم لعنصر القوة إلى إبراز طائفة من العناصر كالسكان ، والجغرافيا ، والموارد الطبيعية ، ونوع وحجم القوات المسلحة ... فى حين أخذ المحدثون بالنظر إلى القوة باعتبارها عملية تأثير بين الفاعلين إذ لم تعد القوة العسكرية أو الاقتصادية خلال فترة مابعد الحرب متاحة دائما للاستخدام الفعال .

والسمة الأخرى الغالبة على النظام العالمى هى خاصية الاعتماد المتبادل التى لا تشير فحسب إلى التفاعل بين القوى المختلفة ، ولكن أيضا إلى ماينجم عن هذه التفاعلات من آثار ، وخاصة مايتصل منها بتقييد حرية التصرف والاستقلالية ، فالمنافع لايمكن دائما وبالضرورة أن تفوق التكاليف . ويدلل الكاتب على ذلك بأنه فى غضون الحرب الفيتنامية ، كانت الولايات المتحدة تمتلك تحت تصرفها إمكانيات عسكرية أشد فتكا مما كان فى حوزة العدو الأسيوى ، ومع ذلك فانه لأسباب متعددة منها الخوف من إثارة ردود فعل معادية ، وإحتمال توسيع نطاق الحرب لتشمل الاتحاد السوفيتى أو الصين ، لم تلجأ إلى إستخدام طاقتها العسكرية الكاملة ضد فيتنام .

وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى تحديد مفهوم الفاعلين أو القوى المتفاعلة فى النظام العالمى ، فيقول إنها تشمل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى باعتبارهما أكثر الدول إستقلالا من النواحى السياسية والاقتصادية والعسكرية نظرا لما يتمتع به كل منهما من القدرة على التحرك الاستراتيجى العالمى . والجماعة الأوروبية الاقتصادية التى أحرز أعضاؤها نجاحا فى بعض الأحايين فى تشكيل سياسة خارجية مشتركة . ثم اليابان وألمانيا الاتحادية والمنظمات الدولية الرئيسية كالأمم المتحدة ، فدول الأوبيك بسبب المركز الذى حققته كقوى عالمية منذ السبعينات ، وأخيرا مايطلق عليه مجموعة الدول المتوسطة والدول الصغرى . ثم يضيف إلى هذه القائمة المنظمات الدولية التى كان كثير من المحللين للعلاقات الدولية يترددون فى أن ينسبوا إليها دور الفاعلين السياسيين مثل البنك الدولى للتعمير والتنمية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، والوكالة الدولية للطاقة الذرية ، والاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) ، وكذلك المنظمات الاقليمية ثم المنظمات الدولية غير الحكومية والشركات متعددة الجنسية ...

وفيما يتعلق بطبيعة العلاقات العالمية ، يبرز الكاتب قضية التفكك والانقسام وتزايد احتمالات الصراع واشتداد وحدة المنافسة ـ مما يدل على أن عملية التكامل العالمى مازالت غير متوازنة . فبالرغم من تدفق التجارة بين الدول ، وسهولة انتقال السائحين والمدرسين والعلماء والمهندسين ورجال الأعمال ، إلا أن التكامل أو التماسك ـ كما يقول ـ يعتمد إلى حد كبير على العوامل غير الاقتصادية مثل الثقافة واللغة والدين والقيم السياسية والأيديولوجية ، بدليل أن التراث الحضارى المشترك هو الذى ساعد على تقارب دول المجتمع الأطلنطى ، ودول أمريكا اللاتينية ، والعالم العربى ، كما برز الدين الاسلامى كرابطة للعالم الاسلامى ، فعلى الرغم من الخلافات بين السنة والشيعة ، إلا أن الزعماء المسلمين تقاربوا فى العقود الأخيرة فى المؤتمرات الدولية لتنسيق المواقف السياسية بالنسبة للقضايا ذات الاهتمام المشترك . وفى جانب إحتمالات الصراع يشير المؤلف إلى أفريقيا السوداء حيث تتكاثر الانقلابات وصراعات الحدود ، كما يعرض لتطور العلاقات الأمريكية السوفيتية والحرب الباردة بين الشرق والغرب وإنتهائها بظهور ذلك « التوافق الغامض » الذى إنعكس فى توقيع معاهدة سولت(١) .

القضايا العالمية بالنسبة للولايات المتحدة .

ويختص الفصل الثانى الذى كتبه دونالد لامبرت بموضوع القضايا العالمية بالنسبة للولايات المتحدة ، ويستهله بابراز تأثير كل من الصدمتين القوميتين ، وهما فيتنام ووترجيت على السياسة الخارجية الأمريكية . فقد برهنت الحرب الفيتنامية على خطأ الافتراض الأمريكى منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية بأن الأمريكيين قادرون على أن يحددوا منفردين قضايا السياسة العالمية ، إذ بات من الواضح أن هذه القضايا لم يعد من الممكن السيطرة عليها أو إحتوائها من جانب دولة واحدة . كذلك فان قضية ووترجيت – وهى مسألة داخلية – ألقت بظلال كثيفة من الشكوك على عملية صنع القرار بصفة عامة ، وبالتالى فان تركيز القيادة فى صنع السياسة الخارجية لم يعد من الأمور المقبولة .

وفى هذا السياق يؤكد الكاتب أنه مع التحديث المتقدم تكاثر عدد الفاعلين غير الرسميين فى المجتمع الأمريكى إبتداء من جماعات الضغط ثم المؤسسات متعددة الجنسية ووسائل الاعلام وهكذا .... الأمر الذى يعنى أن قضايا السياسة العالمية تستحوذ على إهتمام كثير من القوى المختلفة فى المجتمع الأمريكى .

وفى هذا الاطار ، يكشف الكاتب عن الطبيعة المعقدة للسياسة الخارجية الأمريكية ، وخاصة ماتواجهه الدبلوماسية الأمريكية من صعوبة التمييز بين الأصدقاء والأعداء ، بل وتحديد الحلفاء الذين يمكن الاعتماد عليهم . ففى وقت ما ، كان الاتحاد السوفيتى هو العدو الأول ثم الصين ، ولكن منذ أزمة الصواريخ الكوبية لم يعد ثمة إحتمال نشوب حرب نووية بينهما ، كما أن إقامة علاقات دبلوماسية مع الصين أدت إلى تقويض دعائم بيئة الحرب الباردة . ولاريب أن ثمة علاقات وروابط هامة بين الولايات المتحدة والديمقراطيات الأوروبية الغربية واليابان ، ولكن ذلك لايعنى أن هذه العلاقات ذات طابع تعاونى خالص . كذلك فان علاقاتها مع الدول المعزولة Pariah States مثل إسرائيل وجنوب أفريقيا وكوريا الجنوبية وتايوان تشير إلى إحتمالات التورط الأمريكى فى إجراءات أمنية بالنسبة لهذه الدول .

وتواجه الولايات المتحدة صعوبة أكثر تعقيدا من ذلك بكثير ، وتتمثل فى التكيف مع الظروف المتغيرة فى الاقتصاد العالمى ، وخاصة فيما يتعلق بالمفاوضات حول النظام الاقتصادى الدولى الجديد NIEO . ففى حين أنها تعبر عن قلقها إزاء الوضع الاقتصادى العالمى بسبب الارتفاع المفاجىء فى أسعار النفط والمواد الأولية وما ترتب عليه من الركود الاقتصادى فى العالم وتعرض الولايات المتحدة ذاتها إلى ضغوط تضخمية ، فانها فى نفس الوقت غير راغبة فى تغيير النظام الحالى القائم على سياسة الباب المفتوح وعلى إتفاقية بريتون وودز التى كانت تجعل لها دورا قياديا فى النظام الاقتصادى العالمى .

وكذلك فان من أسباب تعقيد السياسة الخارجية ، تصاعد دور الجمهور فى القضايا العالمية وخاصة إذا كانت ذات طابع إقتصادى ، وتزايد دور كل من الكونجرس والبيروقراطية (وزارة الخارجية والدفاع والخزانة ومجلس الأمن القومى) بحيث أن الرئيس يتعين عليه فى بعض الأحايين أن يجد الوسائل لاقناع البيروقراطيين بقبول وجهات نظره .

وفى تقييمه لادارة السياسة الأمريكية يقول الكاتب انها مزيج من النجاح والاخفاق . ويسوق دليلا على ذلك أن إتفاقية سولت (١) عام ١٩٧٢ كان لها تأثير هام على سياسة الأمن الأمريكية ، غير أنها تلقى فى نفس الوقت ظلالا من الشك على مدى ماحققته من النجاح بما تثيره من التساؤل حول الأهداف الدقيقة لكل نظام من نظم الأسلحة التى تضمنتها الاتفاقية بحيث يبدو من العسير التأكد من أن هذه الاتفاقية تشكل إدارة مرضية لقضايا الأمن الأمريكى ، ويضيف إلى ذلك أن سولت (٢) - التى لم توقع بعد – لاتعتبر دواء عاما ، لأنها لن تؤدى بذاتها إلى تقييد سباق التسلح أو إلى خلق وفورات كبيرة فى الميزانية ، أو إلى إقامة نوع جديد من العلاقات بين القوتين العظميين ، بل ان بعض الأسلحة السوفيتية التى لاتشملها هذه الاتفاقية يمكن استخدامها لتعريض حلفائها فى أوروبا الغربية للخطر .

وبالنسبة للعلاقات الأمريكية الصينية يقول الكاتب ، إن الصين لم تعد تمثل تهديدا للولايات المتحدة ، وخاصة فى أعقاب الاعتراف الدبلوماسى الكامل بها . وإذا كان تحسين هذه العلاقات يسمح للولايات المتحدة بامكانية اللعب « بورقة الصين » لضمان مزيد من التعاون الأمريكى السوفيتى بسبب مخاوف السوفيت من تزايد التقارب بين الولايات المتحدة والصين . فان استخدام هذه « الورقة » يتطلب قدرا كبيرا من المهارة ، لأن الافراط فى اللعب بها قد يؤدى إلى تشدد المواقف السوفيتية .

ويبرز الكاتب بعد ذلك السبب الرئيسى فى فشل الأمريكيين فى إدارة السياسة الاقتصادية الخارجية ، فيعزوه إلى أن كثيرا من الموارد الاقتصادية مركزة فى أيدى المشروع الخاص – أى الفاعلين غير الحكوميين مثل الشركات متعددة الجنسية التى يمكن أن تقاوم أى محاولات حكومية لتنظيم الاقتصادى القومى .

وأخيرا يخلص من تحليليه لدور الولايات المتحدة

كتحدى القوى العالمية إلى القول بأن السياسة الخارجية الأمريكية كانت تتسم دائما بالاضطراب حتى الآن بحيث يمكن التكهن بأنها سوف تستمر كذلك فى المستقبل .

القضايا العالمية بالنسبة للاتحاد السوفيتى

وفى الفصل الثالث عن الاتحاد السوفيت يبدأ كاتبه أمبريج جورجونسكى بابراز مشكلة تفسير السلوك العالمى للاتحاد السوفيتى واخطاء صانعى السياسة الأمريكيين فى فهم سياسة موسكو ، وتفضيلهم تفسير هذه السياسة على نحو يؤدى إلى عدم إثارة عداء الاتحاد السوفيتى . وعن دور الاتحاد السوفيتى فى النظام العالمى ، يقول الكاتب انه مع إختفاء كل من ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية ، أصبح الاتحاد السوفيتى القوة العظمى الثانية من الناحية العسكرية فى العالم ، كما بات الكرملين يمثل تحديا هائلا للولايات المتحدة فى أوروبا وبعض أجزاء آسيا .
ولقد كانت أزمة الصواريخ الكوبية تمثل أخر مواجهة حاسمة بين القوتين العظميين وماترتب عليها من إلحاق الهزيمة المريرة بالاتحاد السوفيتى ، فان هذه الأزمة كانت بمثابة القوة الدافعة له إلى سرعة إقامة البنيان الاستراتيجى الذى بلغ ذروته فى الوصول إلى مستوى التكافؤ مع الولايات المتحدة بعد ذلك بحوالى عشر سنين ، مما أدى إلى قرار واشنجطون بعدم منافسة الاتحاد السوفيتى ، والقيام بدور المبادأة فى مباحثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية .

وبالنسبة للمعسكر الشيوعى ، فان الاتحاد السوفيتى مازال يتمتع بمركز الصدارة بالرغم مما يتعرض له من التحديات من جانب الصين وبعض الزعماء الشيوعيين الأوربيين . وحتى منتصف الستينات ، لم تكن المشاركة السوفيتية فى النظام الاقتصادى العالمى ذات شأن يذكر ، ولكن الحظر الغربى على التجارة مع الشرق أدى بالاتحاد السوفيتى إلى إقامة مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة CMEA لتعزيز علاقاته الاقتصادية مع بقية العالم ، كما أنه فى العقد الأخير ، قررت موسكو الدخول بشكل مكثف فى مجال التجارة الدولية كمصدر للتكنولوجيا العصرية ووسيلة لتحديث الاقتصاد السوفيتى .

وفيما يتعلق بالدور السوفيتى فى الموازين الاستراتيجية العالمية والاقليمية ، يبرز الكاتب إهتمام الاتحاد السوفيتى بأن تكون له إستراتيجية مكافئة للولايات المتحدة ـ الأمر الذى يظهر بصورة واضحة من تمسكه بسياسة الوفاق وحرصه على توقيع معاهدة سولت الثانية ، والتزامه بنظرية التعايش السلمى مع الغرب . وعلى المستوى الاقليمى ، يحرص الاتحاد السوفيتى على أن يكون له دور قيادى فى منظمة معاهدة وارسو WTO وان يسيطر على القيادة العليا للمنظمة بدليل عدم رغبة السوفيت فى تزويد دول أوربا الشرقية بالأسلحة المتطورة التى يقدمها الكرملين لحلفائه فى بعض دول الشرق الأوسط وغيرها .

وفى تحليله للعوامل والقوى المؤثرة فى السياسة الخارجية السوفيتية ، يبرز الكاتب الدور الفعال الذى كانت تلعبه الأيديولوجية الشيوعية فى صنع السياسة ، ثم يقول إن تأثيرها قد تضاءل فى الوقت الحاضر ، بل إنها أصبحت تعتبر عقبة بالنسبة لتحسين العلاقات مع كثير من الدول . ويتناول بعد ذلك تأثير الوضع الاقتصادى الداخلى على توجيه السياسة الخارجية ، وهو مايظهر بصفة خاصة من القرارات التى إتخذت بشأن إستيراد كميات كبيرة من الحبوب من الولايات المتحدة والدول الغربية وتحديث القاعدة الصناعية والاستفادة من فرص التجارة الدولية ، وهذه القرارات تدل فى نفس الوقت على تزايد عنصر العقلانية والحنكة فى السلوك السوفيتى . وعن دور النخبة فى تشكيل السياسة الخارجية يقول الكاتب إن الصفوات السوفيتية اليوم أكثر تعليما وأقل مذهبيا وأكثر براجماتيا من نظرائهم من الجيل السابق ، كما أن الدلائل تشير إلى المهارة الفكرية والتحليلية من جانب صانعى القرار من المرتبة الثانية مثل الوزراء واللجان المتخصصة ومعاهد الأبحاث . كذلك يتضح دور المؤسسة العسكرية كقوة ضاغطة تسعى إلى الاحتفاظ بقدرة عسكرية وتركيز ضخم للقوات والأسلحة فى وسط أوربا .

وفى مناقشته للقضايا الرئيسية التى تواجه الاتحاد السوفيتى ، يتناول الكاتب التدخل السوفيتى الكوبى فى أفريقيا ، وتقارب موسكو مع العالم الثالث . ودورها فى المواجهة بين الشمال والجنوب ، كما يعرض بالتفصيل لقضية الصراع الصينى السوفيتى ، والتفكك الذى لحق بالشيوعية الدولية ومشكلة الأمن الأوربى ، وأخيرا المشكلة التى تحيط بدور الاتحاد السوفيتى فى بيئته الاقليمية كقائد لحلف وارسو . ويصف الكاتب هذه المشكلة الأخيرة بأنها القضية الصارخة التى تواجه الاتحاد السوفيتى وذلك لاتصالها أولا بدوره فى مواجهة منظمة حلف شمال الأطلنطى ، وثانيا بدوره فى مواجهة عضوية حلف وارسو . وتدور العلاقة مع حلف شمال الأطلنطى أساسا حول إلغاء كل من المعاهدتين (الأطلنطى ووارسو) فى وقت ما فى المستقبل ، إذ أن القيمة الحقيقية لحلف وارسو كما يراها السوفيت تتمثل فى أنه نوع من المساومة التى يمكن إستخدامها فى المفاوضات التى تستهدف حل كل من الحلفين . أما بالنسبة لعلاقات موسكو بأعضاء منظمة حلف وارسو

فانها تستهدف تحقيق الاستقرار السياسى فى الحلف ومعالجة مشاكل التبرم من السيطرة السوفيتية التى تثيرها دائما رومانيا .

وفى تقييمه لأداء السياسة الخارجية السوفيتية ، يشير الكاتب إلى فشل الوجود السوفيتى خلال بقائه فى مصر عن تحقيق أى مكسب ملحوظ ، ثم يضيف إلى ذلك أن الاتحاد السوفيتى أصبح معزولا عن أفريقيا (باستثناء انجولا وأثيوبيا) وأن نفوذه فى أسيا فقد كثيرا من رونقه ، بيد أنه فى نطاق أوربا الشرقية تمكن من تجاوز كثير من الأزمات . أما عن أوربا الغربية ، فقد إستفاد بادىء الأمر من الفوضى التى تفشت فى صفوف حلف الأطلنطى تحت تأثير ديجول وخلفائه ، ومن الصعوبات الاقتصادية التى يجتازها « الرجلان المريضان الأوربيان » وهما بريطانيا وإيطاليا ، غير أن وجود القوات السوفيتية الضخمة عبر خط التقسيم فى ألمانيا كان قوة دافعة إلى تماسك الأطلنطى . وأخيرا يسجل الكاتب نجاح السياسة السوفيتية فى مجال تطبيع العلاقات مع بون ، الأمر الذى أدى إلى تخلى ألمانيا الفدرالية عن فكرة توحيد الدولتين الألمانيتين ، وتقديم العروض لامداد الاتحاد السوفيتى بائتمانات سخية بقصد تحديث القاعدة الصناعية السوفيتية .

قضايا السياسة العالمية بالنسبة للجماعة الأوربية

ويختص الفصل الرابع بموضوع « قضايا السياسة العالمية بالنسبة للجماعة الأوربية . » وفى مستهله يشير كاتبه جون بندر إلى أهمية دور الجماعة الأوربية فى الاقتصاد الدولى فيقول إن حجم تجارتها أكبر من حجم تجارة الولايات المتحدة ، كما أنها ربما تكون أكثر أهمية من الولايات المتحدة فى المفاوضات الخاصة بالتجارة الدولية . ومع ذلك فان الجماعة ، بسبب إختلاف أدوار وإستراتيجيات أعضائها ، تفتقر إلى التماسك فى الشئون النقدية ، وإلى الذاتية الاستراتيجية ، كما أنها فى كثير من المجالات تعتبر قزما سياسيا .

وبعد أن يعرض الكاتب لتطور الجماعة ومؤسساتها المختلفة ابتداء من ظهور الجماعة الأوربية للفحم والصلب ، ثم جماعة الدفاع الاوربية ، والجماعة الاوربية الاقتصادية ، ومجلس وزراء أوربا ، والبرلمان الاوربى ، ومحكمة العدل ، والنظام النقدى الأوربى ، ينتقل الى تحليل دور الجماعة فى النظام العالمى فيقول إنه أساسا دور ذوطابع اقتصادى إذ أن الدول الأعضاء نقلوا اليها وظيفة وضع سياسة التجارة الخارجية وتحديد التعريفة الجمركية على الصادرات الخارجية ممثلة فى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) ، فضلا عما للجماعة من اهتمام قوى باستقرار وتدعيم الاقتصاد العالمى .

وفيما يتعلق بقدرة الجماعة على مواجهة القضايا العالمية ، يذهب الكاتب الى أن هذه القدرة تتوقف على امكانيات الأعضاء فى التصرف كوحدة واحدة فى مواجهة التحديات الخارجية . ويورد فى هذا السباق كثيرا من الأمثلة التى تدل على مثل هذا التصرف ، فاقامة الجماعة الأوربية للحديد والصلب كان نتيجة للاستيلاء الشيوعى على تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٤٨ ، والجماعة الاوربية الاقتصادية اقيمت إثر الاحتلال السوفيتى لبلغاريا ، كما أن الاتحاد الاقتصادى والنقدى أعقب احتلال تشكيوسلوفاكيا فى ١٩٦٨ . ومع ذلك ، فان ثمة كثيرا من القضايا التى تكون موضع اختلاف بين الدول الأعضاء ، فمنذ تأسيس الجماعة فى الخمسينات كانت جزءا من نظام اقتصادى متماسك تحت قيادة الولايات المتحدة ، ومرتكز على مبادىء الحرية الاقتصادية وسياسة الباب المفتوح ، ولكن الحكومات الفرنسية فى عهد ديجول وضعت استثناء الزراعة الذى أصرت فيه على الحماية . كما أن ارتفاع أسعار النقط فى أواخر عام ١٩٧٣ وما أعقبه من اضطراب النظام النقدى وظهور الضغوط التضخمية وانتشار البطالة أدى الى ردود فعل مختلفة من جانب الدول الأعضاء بحيث أن الجماعة لم تكن قادرة على اتباع سياسة مشتركة ــ الأمر الذى أدى الى ظهور مجموعة السبع والسبعين (الممثلة للدول النامية) ومطالبتها بنظام اقتصادى عالمى جديد يهيىء اعادة توزيع المزايا الاقتصادية بين الدول الغنية والدول الفقيرة .

وبالنسبة لعلاقات الجماعة بكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والدول النامية ، يشير الكاتب الى الصراع الدائر بين دول السوق والولايات المتحدة بسبب اختلاف وجهات النظر حول السياسات الاقتصادية والصناعية الملائمة لمواجهة المشاكل الاقتصادية المعاصرة ، كما يقول إن الاتحاد السوفيتى رفض الاعتراف بالجماعة ، ومنع بلاد أوربا الشرقية بادىء الأمر من الدخول فى مفاوضات تجارية معها إلا أن العلاقة بين الجماعة الاوربية والكوميكون أو بعض الدول الأعضاء فيه أخذت تنمو فى الفترة بين ١٩٧٤ ، ١٩٨٠ . وفى مجال العلاقات بالدول النامية عمدت الجماعة فى السبعينات الى توسيع تجارتها واستثماراتها مع هذه الدول ــ فى افريقيا والكاريبى والعديد من البلاد الآسيوية ، فضلا عن اجراء الحوار العربى الأوربى لتحقيق المزيد من الروابط بين الجماعة والدول العربية .

وفى تقييمه لأداء الجماعة ومعالجتها للقضايا العالمية ، يقول انها تنفرد بين القوى العالمية بافتقارها الى البنيان السياسى للدولة ، ومن ثم فانها تعالج القضايا على أساس تعددى يتمثل فى حكومات الدول الأعضاء والمؤسسات الاوربية والقوى المتعددة غير الرسمية مثل الأحزاب السياسية وجماعات المصالح وبصفة عامة ، فان الخصيصة المميزة للجماعة هى الدور المسيطر لحكومات الاعضاء فى إتخاذ القرارات الأساسية وخاصة حكومات البلاد الكبرى الأمر الذى يعنى أن الجماعة – كما يقول المؤلف فى خاتمة بحثه – لا يمكن أن تلعب دورا حيويا وبالغ الأهمية فى حركة النظام العالمى إلا من خلال تكثيف التعاون ، والوصول الى أسلوب تكاملى فى ادارة الاقتصاد ، فهذا وحده يمكن أن يفى باحتياجات الاقتصاد العالمى .

قضايا السياسة العالمية بالنسبة للصين

ويدور الفصل الخامس حول « قضايا السياسة العالمية بالنسبة للصين » ، ويستهله مؤلفه جافن بويد بابراز موقع الصين بين القوى العالمية الرئيسية ، فيقول إن الصين دولة تحديثية ، ويحاول زعماؤها التغلب على قيود التخلف الاقتصادى بتكثيف نشاطها السياسى فى النظام العالمى وتعبئة التأييد الدولى على نطاق واسع للحملة الصينية ضد طموحات الاتحاد السوفيتى للسيطرة العالمية ، وتشجيع التغييرات الثورية فى المناطق النامية باعتبار أن من بين الأهداف النهائية للصين إقامة نظام اشتراكى عالمى يكون لها دور قيادى فيه .

وفى تحليله لعملية تحديد اختيارات السياسه الخارجية وتشكيل الأهداف الدولية للصين ، يبرز المؤلف عنصر السيكولوجية السياسية للصفوة الصينية ويصفها بأنها تسلطية وثورية وقومية وتحديثية فى آن واحد ، كما انها انقسامية factional نظرا لما يتولد من الصراعات والضغوط فى داخلها ، وان كان ثمة أساس كبير للاتفاق والاستقرار .

أما بالنسبة لدور الصين كقوة عالمية فيقول إن الصين معزولة نسبيا وان كان النظام العالمى يميل بصفة عامة الى تأييدها والتعاطف معها .

وتدور القضايا الرئيسية التى تستأثر باهتمام صانعى السياسة الخارجية فى الصين حول عدة محاور . فبالنسبة للصراع السوفيتى الصينى ، فانه يثير مشاكل خطيرة للصين بسبب الانتشار السوفيتى العسكرى المكثف على الحدود المشتركة وفى منغوليا بينما يدرك الزعماء الصينيون ضعف قوتهم العسكريه من ناحية وتردد الولايات المتحدة فى التصريح بالالتزام بالدفاع عنها من ناحية أخرى . وفى البيئة المجاورة يقول الكاتب إن العلاقات السوفيتية مع فيتنام تشكل قضايا خطيرة تتطلب أن تكون الاستجابة المنطقية للصين الأخذ باتجاه توفيقى مع هانوى ومحاولة استغلال الانقسامات التى من المحتمل تفجرها بين فيتنام والاتحاد السوفيتى . وبالنسبة للعلاقات الصينية الامريكية فان قيام هذه العلاقات يرجع أساسا الى قضية الصراع الصينى السوفيتى . ولذلك فإن المسالة الحيوية التى تواجه صانعى السياسة الخارجية هى التأثير على الولايات المتحدة للوقوف فى وجه التوسع السوفيتى ومقاومته – الأمر الذى يعلل التأييد السياسى غير المباشر فى وسائل الاعلام الصينية لانشطة الولايات المتحدة الموجهة ضد الاتحاد السوفيتى . وفيما يتصل بالعلاقات مع اليابان ، تبرز مشكلة زيادة فاعلية التأثير الذى يضمن فى سياسة طوكيو أولوية الصداقة مع الصين والحد من اهتمام اليابان بجانب التعاون الاقتصادى مع الاتحاد السوفيتى ، وان كانت اليابان تشعر أصلا بأن السلوك السوفيتى غير ودى بالنسبة لها . وبشأن القضايا الخاصة بعلاقات الصين بدول اوربا الغربية ، فانها لا تستأثر بالاهتمام الصينى الاقليلا ، لأن هذه الدول تعتبر مصدرا ثانويا للصين فيما يتعلق بالسلع الرأسمالية على أساس أن دخول الصين الى سوق الجماعة الأوربية أكثر صعوبة من دخولها السوق اليابانية . وعن العالم الثالث يبرز الكاتب اتجاه بكين الى تشجيع الحكومات فى هذه الدول لمعارضة الاتحاد السوفيتى نظرا لتأييده للحركات الثورية المحلية التى تستهدف الاطاحة بهذه الحكومات .

وفى تقييمه لكيفية معالجة الصين لهذه القضايا ، يركز الكاتب على البيئة السيكولوجية للقيادة الصينية التى تسيطر عليها الايديولوجية الماركسية اللينينية والحساسية المفرطة والشعور الوطنى القوى المرتبط بالتأكيد على الاعتماد على الذات والقوة الدافعة لنقل قيم الثقافة السياسية الصينية الى المجتمعات الأجنبية لتعزيز أواصر الصلة بالصفوات الحاكمة فى هذه البلاد – وهو ما يعنى أن ادارة الصين لقضايا السياسة الخارجية لا تأخذ الطابع المؤسسى . ومع ذلك فان أعظم ما حققته هذه السياسة من نتائج هو بلوغ الصين هدف الحصول على التكنولوجيا من اليابان بشروط ملائمة . كما أن تفاعلها مع الولايات المتحدة – رغم ما يشوبه من التعقيدات بسبب التزام واشنجطون باستراتيجية واسعة مع الاتحاد السوفيتى وبسبب علاقاتها مع تايوان – يشير الى احتمال تزايد قوة المساومة الصينية من أجل تكثيف التبادل التجارى مع الولايات المتحدة وتوسيع القدرة الصينية على التحديث .

أحمد عباس عبدالبديع

كتب جديدة وردت الى المجلة

□ العلاقات السياسية الدولية ـ دراسة فى الاصول والنظريات
□ تاليف : د . اسماعيل صبرى مقلد
□ الناشر : مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧٩

قليلة هى الكتابات العربية التى عالجت نظريات العلاقات السياسية الدولية رغم اهميتها سواء فى الدراسات الجامعية او البحوث السياسية او برامج التثقيف السياسى . ويأتى هذا السفر العربى الشامل (٧٥٠ صفحة) ليملأ فراغا كبيرا فى المكتبة العربية ويتيح للقارىء التعرف على حقائق الوضع الدولى وذلك من خلال التعرف على طبيعة القوى التى تتحكم فى تشكيل الاتجاهات السياسية للدول ازاء بعضها البعض تحديد الكيفية التى تتفاعل بها هذه القوى والالمام بمختلف التاثيرات وردود الفعل التى تركها على اوضاع المجتمع الدولى .

والكتاب يقسم الى سبعه عشر فصلا ، يتناول الفصل الاول منها تحليل اهم المناهج المستخدمة فى دراسة العلاقات الدولية ، التقليدية منها والمعاصرة ، والفصل الثانى يعرض لاهم ملامح التطور الذى مر به النظام السياسى الدولى منذ ظهر هذا النظام الى حيز الواقع فى القرن السابع عشر حتى الوقت الحالى . ثم بعد ذلك يحاول الكتاب التعرض لبعض القوى الديناميكية فى العلاقات الدولية مثل الايديولوجية فى الفصل الثالث ، والقومية فى الفصل الرابع . وافرد المؤلف الفصل الخامس لمناقشة الاهداف القومية فى السياسة الخارجية للدول ، وعرض لكل الابعاد المتصلة بهذا الموضوع . ولما كانت الاهداف القومية لايمكن ان تتحدد فى سياسات الدول الخارجية بمناى عن الامكانات المتوفرة لدى هذه الدول من القوة القومية ، فقد ناقش المؤلف فى الفصل السادس القوة القومية من جوانبها المختلفة .

وبالنظر الى ان القوة القومية تشكل حجر الاساس فى السلوك الدولى ،فقد افرد المؤلف الفصلين السابع والثامن لتحليل جوانب النظامين اللذين قاما على معالجة تاثيرات القوة فى العلاقات الدولية ، كل بحسب مفهومه وفى اطار تصوراته الخاصة ، وهما نظام توازن القوى ونظام الامن الجماعى وحيث ان طبيق نظام الامن الجماعى قد تعثر على ارض الواقع وصادف الكثير من المشكلات فقد راى المؤلف انه يكون من الاوفق تحليل نظم المحالفات وترتيبات الامن الجماعى والاقليمى التى ظهرت كبديل لهذا النظام . وهذا هو موضوع الفصل العاشر .

وتناول الفصل الحادى عشر بالتحليل نظرية اتخاذ القرارات فى السياسة الخارجية ثم عرض المؤلف فى الفصول الاربعة التالية الادوات الرئيسية المستخدمة فى تنفيذ قرارات السياسة الخارجية وهى على الترتيب :

الدبلوماسية ، الدعاية ، الادوات الاقتصادية ، القوة المسلحة .

وتم تخصيص الفصول الثلاثة اخيرة لمناقشة عدد من الموضوعات الهامة فى العلاقات الدولية وهى الاستعمار ونزع السلاح والتنظيم الدولى .

ويبدو واضحا شمولية هذه الدراسة وعمقها فى التأصيل النظرى للعلاقات السياسية الدولية . ويبقى على المؤلف الاستاذ الدكتور اسماعيل صبرى مقلد استكمال هذا المرجع الرئيسى بكتاب أخر عن مشكلات التطبيق فهو أجدر من يتولى هذه المسئولية العلمية لانه اقرب من خبرها بحكم دراساته وبحوثه العديدة فى هذا المجال .

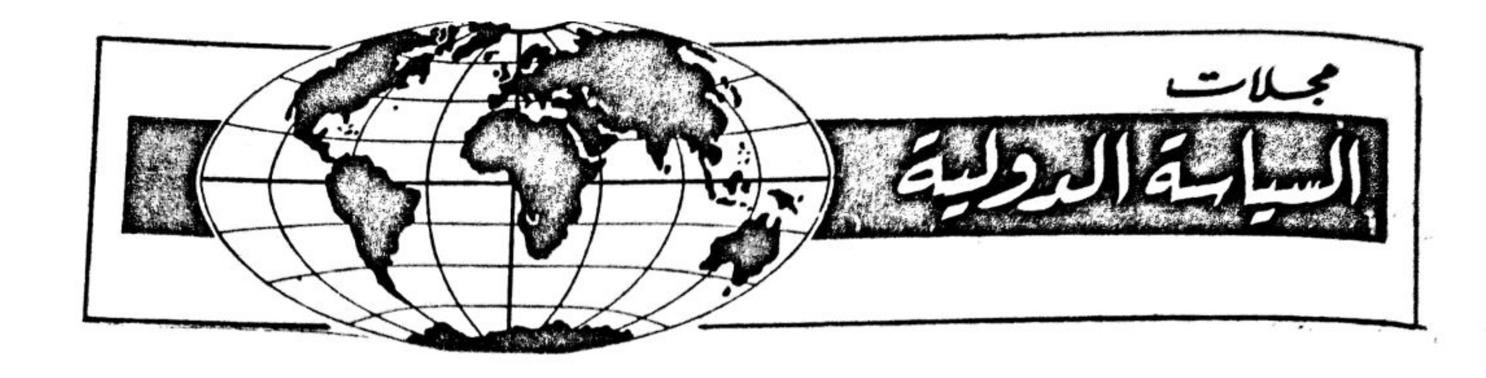
□ في دهاليز الصحافة
□ تاليف : سمير صبحى
□ الناشر : انترناشيونال برس ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

هذا الكتاب ليس عرضا تسجيليا للصحافة المصرية بقدر ماهو مناقشة وحوار مكتوب يحاول البحث عن الشخصية المصرية فى وعلى صفحات جرائدنا . ويرصد المؤلف فى هذا الصدد كل الرموز والادوات وكل المعانى والدلائل التى تعكس شخصية مصر ابتداء من تسميات الصحف الى رسومها الى طريقة الاخراج والترتيب الى اسلوب الصحف فى عرض ابرز الاحداث والاخبار الى ولاء الصحيفة للحاكم او للانسان المصرى الى الرقابة على الصحف الى اقرار الحريات الصحفية الى الشخصيات الصحفية التى تركت بصماتها فى صحف مصر ، الى الصحف الاهلية وكيفية نشوئها الى الصحف القومية والحزبية ، الى القضايا الصحفية المثارة بين حين واخر ... الخ .

وفى بحثه عن شخصية مصر او الدم المصرى فى عروق الصحف المصرية كانت ثقافة المؤلف تكسو كل الصفحات واراؤه وتحليلاته واضحة بين السطور . ولم يكتف المؤلف بالماضى والحاضر وانما كانت له ايضا رؤية المستقبلية فهو يرى انه : « سيزداد نجوم الصحافة وسوف تنتشر الصحف لتتسع لكل الاقلام وستقف المطبعة الحديثة تؤيدها وتشد ساعدها وستعدد وتنتشر الصحف الشعبية والصحف التخصصية ومجلات الكاريكاتير وستملا محافظات مصر بكل انواع الصحف الاقليمية وسيظهر جيل ممتاز فى النقد اللازع وفى الادب وفى فنون الصحافة والطباعة جيل لايقل فى خطورته عن جيل ثورة ١٩١٩ الذى مازالت بقاياه تتربع على عرض ثورة يوليو وستظل الصحافة بالرغم من كل منحنيات الطريق هى وجه مصر » .

ولا يملك اى انسان مصرى الا ان يشارك المؤلف الزميل الصحفى سمير صبحى رؤيته المستقبلية .

احمد يوسف القرعى



تأملات حول التدخل السوفيتى فى العالم الثالث

إعداد : سوسن حسين

● استأثرت قضية التدخل السوفيتى فى العالم الثالث باهتمام الباحثين السياسيين الغربيين فى الآونة الاخيرة . فقد اتسمت الحقبة الماضية بتكثيف محاولات موسكو للتدخل وبسط نفوذها على أكبر عدد ممكن من دول هذا العالم سواء عن طريق مباشر أو غير مباشر وضمها الى الفلك السوفيتى . وتمثل كوبا أداة السوفيت الفعالة للتدخل غير المباشر . وهذه الاستراتيجية السوفيتية الكوبية المشتركة لاتستهدف بالضرورة اقامة نظم ماركسية لينينية فى دول العالم الثالث بقدر ماتستهدف إثارة العداء الايديولوجى والسياسى والاقتصادى للولايات المتحدة والقضاء على نفوذها تماما فى هذه الدول . وتكفى الاشارة الى المساعدات العسكرية التى قدمها الاتحاد السوفيتى الى موزمبيق وغينيا وزامبيا وسوريا واليمن الجنوبية وتدخله العسكرى من خلال كوبا فى أنجولا وأثيوبيا ، وفى كمبوديا عن طريق فيتنام الشمالية هذا بالاضافة الى تدخله المباشر ودون وساطة فى افغانستان . بل أننا نشهد فى الفترة الأخيرة تطورات بالغة الاهمية فى امريكا الجنوبية تؤكد أن الاستراتيجية السوفيتية الكوبية تؤتى ثمارها ايضا فى هذه المنطقة الحساسة بالنسبة للولايات المتحدة . فنجاح الثورة الساندنيسيه فى نيكاراجوا ، والفوضى الثورية المستمرة فى السلفادور ، والأوضاع القلقة فى جواتيمالا ماهى إلا تعبير عن امتداد التدخل السوفيتى الى مايسمى بالفناء الخلفى للولايات المتحدة .

ونعرض هنا بعض أهم المقالات التى تناولت بالتحليل ابعاد التدخل السوفيتى فى العالم الثالث خاصة بعد أن أكد كثير من المسئولين الغربيين أن هذه الانشطة السوفيتية تأتى ضمن خطة شاملة هدفها النهائى هو السيطرة على العالم ! فى حين يستمر العالم الحر فى جهله أو تجاهله لهذا الخطر المحدق به واغماض عينيه عن حقائق الخطة السوفييتية فى المدى البعيد .

politique internationale

L,urss et la guerre du golfe
Héléne Carfre d' Encausse
Politique Internationale
Printemps 1982

الاتحاد السوفيتى وحرب الخليج

بقلم هيلين كارير دانكوس

● تعتبر كاتبة هذا المقال من أهم الباحثين السياسيين المتخصصين فى الشئون السوفييتية ولها عدة مؤلفات فى هذا الموضوع من أهمها « السياسة السوفييتية فى الشرق الأوسط » و « الأمبراطورية الممزقة » و « لينين الثورة والنفوذ » و « ستالين والحكم عن طريق الارهاب » .

وقد كتبت أيضا عدة مقالات نشرنا بعضها فى هذا الباب فى اعداد سابقة . ومقال اليوم يدور حول تصاعد النفوذ السوفييتى فى منطقة الخليج والسياسة التى تتبعها موسكو فى هذه المنطقة من العالم ، علما بان هذه السياسة تدخل ضمن الاطار العام للسياسة السوفييتية فى العالم الثالث التى بدأت ملامحها تظهر بوضوح منذ عام ١٩٧٥ . وتشير هيلين كارير دانكوس الى تصريح بونوماريف المختص بالشئون الدولية فى النجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الذى أكد فيه على النجاح الساحق للسياسة السوفييتية فى العالم الثالث منذ عام ١٩٧٥ ، وتعلق بقولها : حقا إن نظما راديكالية موالية السوفييت قد أقيمت فى سبع دول أسيوية وافريقية بمساعدة الاتحاد السوفييتى المباشرة وغير المباشرة وهى فيتنام ولاوس وكمبوديا وأنجولا واليمن الجنوبية واثيوبيا وافغانستان . وهذا الواقع قد يبرر تصريح بونوماريف المتفائل ، ولكن هناك بعض التحفظات التى يجب إضافتها على الفور . كيف يمكن تجاهل ردود الفعل الساخطة التى قوبل بها غزو افغانستان وشعور الشك الذى آثاره هذا الغزو تجاه الاتحاد السوفييتى ؟ وخاصة بين دول العالم الثالث ؟ كيف يمكن تجاهل التآكل المستمر فى النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط بعد مرحلة من التقدم الكبير ؟ ومما لاشك فيه أن الاتحاد السوفييتى له مصالح هامة فى هذه المنطقة الحاسمة بالنسبة لأمنه : وهذا يؤكد ان هذا النجاح ليس ساحقا كما يدعون ولكنه نجاح نسبى على اى حال . ومع ذلك نشهد فى بداية الثمانيات دلائل عديدة تشير الى امكانية ديناميكية جديدة للسياسة السوفييتية فى الشرق الأوسط . إن مصر معزولة عن العالم العربى وقد هزت سياستها السلمية مع اسرائيل الوحدة العربية الضعيفة اصلا ، وساعدت هذه العزلة على تقارب بعض الدول العربية من الاتحاد السوفييتى . هذا بالاضافة الى ان الثورة الايرانية قد حرمت الولايات المتحدة من حليف مؤكد ، وجاءت عملية الرهائن لتطيح بهيبتها الدولية . وكلها ظروف تشكل فرصة ذهبية أمام الاتحاد السوفييتى ، ولكننا نجد أن موسكو لا تستغل هذه الامكانيات الجديدة كما هى العادة وقد يكون السبب هو اندلاع الحرب بين دولتين مسلمتين أى العراق وايران . حقا ان الحروب الاقليمية فى الشرق الأوسط مثلها مثل الحرو الاقليمية فى الهند والشرق الأقصى تخدم عادة المخططات السوفييتية ! ولكن الصراع الايرانى العراقى هذه المرة بخاصياته ومكانة كل من الخصمين فى المنطقة يشكل عائقا فى الوقت الحالى امام النشاط السوفييتى .

الأبعاد الحقيقية لعلاقات موسكو بالعراق وايران :

● لقد اتسمت العلاقات بين بغداد وموسكو خلال الاعوام العشرة الماضية بالغموض وعدم الوضوح وذلك لأن ايران كانت دائما تلقى بظلالها على هذه العلاقات وتشوه طابعها الثنائى . فالاتحاد السوفييتى يرتبط على المستوى الرسمى بمعاهدة صداقة وتعاون مع العراق منذ ابريل عام ١٩٧٢ تستمر لمدة خمسة عشر عاما . وهذه المعاهدة كما هو الحال فى معظم المعاهدات من هذا النوع ، تنظم تعاونا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا بين البلدين . والتعاون العسكرى ليس اجباريا ، وانما مجرد تشاور من أجل ضمان أمن الاطراف المتعاقدة . وقد التزم الاتحاد السوفييتى بتزويد العراق بالسلاح . ولكن فى عام ١٩٧٢ واجه العراق مشاكل داخلية وخارجية أدت الى دخول إيران الى مسرح الاحداث . فداخليا انفجرت المشكلة الكردية

وراحت تطالب بالحقول البترولية فى كيرلوك ، وخارجيا كانت هناك اطماع إيران التوسعية وكراهية الشاه للنظام السياسى العراقى وليد الثورة الذى يعتبره خطرا بالغا على نظامه ، وراح يساعد الثورة الكردية حتى يقضى عليه . وفى هذا الوقت كانت موسكو بدورها تواجه خيارات صعبة . حقا انها فعلت مع العراق نفس ما فعلته مع مصر عام ١٩٥٦ أى الاستفادة من عزلة الدولة وحاجتها الى التسليح لتضمن حليفا لها ، ولكنها كانت تساعد الأكراد وحركتهم الانفصالية فى الماضى وعليها الآن ان تفرض عليهم الوحدة الوطنية . هذا الى جانب ان الاتحاد السوفييتى قد سعى دائما الى تطبيع علاقاته مع ايران . وكان على الاتحاد السوفييتى فى هذا الوقت ان يفعل أى شىء ليضمن العراق الى جانبه خاصة بعد ان ألغت مصر المعاهدة ، وأصبح العراق هو الحليف الوحيد فى الشرق الأوسط ، خاصة وان الاتحاد السوفييتى كان قد بدأ يهتم بالعالم البترولى والخليج « الفارسى » ، والتحالف مع العراق يتيح أمامه مدخلا الى هذه المنطقة . ورغم كل هذه الاعتبارات بدأت العلاقات السوفييتية العراقية فى التدهور خاصة بعد ان حصل العراق على دخول بترولية تسمح له بتحويل انظاره تجاه الغرب من أجل الحصول على السلاح الذى كثيرا ما ترددت موسكو فى تزويده به لأنه يستخدمه ضد الاكراد . وبذلك نجد ان واردات العراق العسكرية من الاتحاد السوفييتى قد انخفضت فى عام ٧٩ الى ٦٣٪ بعد ان كانت ٩٥٪ وقت توقيع المعاهدة . نضيف الى ذلك استياء النظام العراقى من التصرفات السوفييتية فى العالم الثالث وإدانته للغزو السوفييتى لافغانستان . وهكذا خيم التوتر منذ البداية على علاقات الدولتين الحليفتين ، ومع ذلك استمر هذا التحالف ضرورة بالنسبة لكليهما .

أما فيما يتعلق بعلاقة موسكو بايران فنجد أنها علاقة حساسة للغاية . فهناك ٢٥٠٠ كيلو مترا من الحدود المشتركة بين الدولتين ، أى أن نفس الشعب يعيش على جانبى الحدود فى ظل تاريخ طويل من الشك وعدم الثقة . ولذا لا يجب ان ندهش إذا وجدنا ان العلاقات بينهما تتراوح بين القطيعة والعداء ومحاولات التفاهم وحسن الجوار . وإذا كانت الستينات هى سنوات محاولات تطبيع العلاقات فان السبعينات قد تميزت بنشاط سوفييتى هدد ايران ونظامها السياسى فى ذلك الوقت . فقد امتد النفوذ السوفييتى حول ايران فى أفغانستان والعراق واليمن الجنوبية . وراحت موسكو عن طريق هذه الأخيرة تشجع التمرد فى ظفار وتهدد أيضا مرور البترول عن طريق مضيق هرموز . وحاولت إيران من جانبها مواجهة هذا التهديد عن طريق تدعيم امكانياتها العسكرية معتمدة فى ذلك الوقت على الولايات المتحدة ، وبدأت عملية تقارب مع الصين فى بداية السبعينات وحاول الشاه التصدى للاطماع السوفييتية حيثما وجدت عن طريق اقامة التحالفات الاقليمية ، وساعدت ايران افغانستان اقتصاديا لتفصلها عن موسكو ، وفعلت نفس الشىء مع الصومال . ولكن الشىء الغريب انه فى الوقت الذى تأزمت فيه العلاقات السياسية بين البلدين نجد ان العلاقات الاقتصادية بينهما قد نمت وازدهرت ، وهذه ظاهرة واضحة فى الشرق الأوسط .

وفى هذا السياق من العلاقات المركبة بين الدولتين ، استقبلت موسكو فى بداية الأمر نبأ الثورة الايرانية بحذر شديد خشية ان تؤدى هذه الثورة الى تفاقم التوتر الموجود أصلا بين البلدين . ولم يكن الاتحاد السوفييتى قد اتخذ أى موقف خلال الأزمة السياسية الايرانية وحتى سقوط الشاه ، واكتفى فقط بتحذير الولايات المتحدة من التدخل فيما اسماه بمشكلة ايران الداخلية . وقد ظلت موسكو على سلبيتها إبان الشهور الأولى من النظام الجديد . وكانت هناك عوامل كثيرة تبرر موقف الانتظار من جانبها : أولا : هذا الجوار الجغرافى للاتحاد السوفييتى مع الثورة الاسلامية ، وثانيا : تأثير أى عمل سوفييتى فى إيران على العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . إن هذا الجوار الجغرافى مع الثورة قد منع الاتحاد السوفييتى من الاقدام على أى تصرف ، فوجود قراية عرقية وثقافية ودينية بين الشعبين اللذين يعيشان على جانبى الحدود يهدد بحدوث تطورات مماثلة على الجانب الأخر . حقا ان الاتحاد السوفييتى قد اظهر دائما تعاطفا مع الثورات ذات المفهوم الوطنى أو الدينى ، ولكن فى حالة إيران يستطيع مثل هذا التعاطف والتأييد ان يؤدى الى نتائج وخيمة العواقب بالنسبة للشعوب المسلمة التى تعيش داخل الاتحاد السوفييتى . فالاسلام موجود دائما فى خلفية المسرح السياسى السوفييتى ، ويشكل معطى متناميا فى تطور المجتمعات التى تدين به . رأيناه فى المعارضة الافغانية لنظام تراقى وفى معظم الدول العربية حيث تنمو تيارات الاسلام المتشدد سريعا ، وتعبر عن نفسها اولا ضد الشيوعية . وفى ظل مثل هذه الظروف كان من الصعب على الاتحاد السوفييتى مساندة ثورة وطنية دينية تعادى أساسا الايديولوجية الاشتراكية التى يتبعها هو نفسه . وإذا كان الكرملين لم يتردد فى كثير من الأحيان أمام هذه التناقضات فى أماكن اخرى بعيدة عنه ، فانه هذه المرة لا يستطيع إلا ان يفكر فى تأثير ذلك على الجماعات الاسلامية التى تعيش داخله ، خاصة وان نظام الخومينى قد عبر مرارا عن عدائه للشيوعية بقدر ما عبر عن عدائه للامبريالية . وقد خشى الاتحاد

السوفييتي من عودة إيران الى حلفائها القدامى ، وهذا الخوف يفسر هجمات الصحافة السوفييتية المتواصلة على القوى الرجعية فى ايران التى لم يقض عليها نهائيا والتى أصرت على استمرار وجودها فى السلطة . وشجع الاعلام السوفييتي قطع العلاقات بين ايران والولايات المتحدة ، خشية ان يحدث تقارب امريكى ايرانى مرة اخرى كحل أخير للفوضى التى تسود البلاد والتى يسعى الاتحاد السوفييتي الى الاستفادة منها ليضمن حلفاء مؤكدين له فى هذه الدولة المتاخمه . لذلك واكبت هذه الادانة للقوى الرجعية فى ايران جهود سوفييتية لمساندة المتمردين من الأكراد ومطالبتهم بالحكم الذاتى . ولكن جاءت عملية احتجاز الرهائن لتحسم الأمر وتقدم فلاتحاد السوفييتي فرصة العمر لينصب نفسه حاميا للسلطة الايرانية ضد الولايات المتحدة . واستلزم الأمر ان تكون موسكو على حذر شديد ، فالاتحاد السوفييتي كقوة عظمى لا يصح أن يساند عمليات ارهابية . فقد يصبح هو نفسه هدفا لمثل هذه العمليات ، لذلك صرح جروميكو ان مثل هذه الممارسات لا ينبغى ان تكون امرا معتادا فى العلاقات الدولية ، ولكنه سارع واصدر تصريحا أخر وافق فيه على اتهام ايران للولايات المتحدة بانها قاعدة التخريب فى العالم ، واضاف انه « لا يمكن الحكم على الحدث دون وضعه فى سياق العلاقات الايرانية الامريكية التى لم تقم على اساس من العدالة أو الاخلاق » وأصر على ان عملية الرهائن ليست سوى حجة ألفتها امريكا للتدخل والاطاحة بالثورة الايرانية التى طردتها من البلاد .

وتؤكد الكاتبة على وجود رابطة بين حادثه الرهائن الامريكيين والغزو السوفييتي لافغانستان . فقد تدهور موقف النظام الشيوعى الافغانى داخليا بسرعة شديدة فى ديسمبر ١٩٧٩ نتيجة لانتصار الثورة الاسلامية فى ايران ، وكان ابلغ دليل على هذا الانتصار هو اذلال الولايات المتحدة وتحقيرها من خلال عملية الرهائن الأمر الذى شجع الثورة الاسلامية فى افغانستان ضد النظام الشيوعى . فكان على الاتحاد السوفييتي قمع هذه الثورة حتى لو كان ذلك عن طريق الغزو . كما أن الموقف عامة كان يهدد بتدخل امريكى لانقاذ الرهائن وتلقين ايران درسا . واصبح من الضرورى على الاتحاد السوفييتي ان يمنع الولايات المتحدة من العودة الى المنطقة ، عن طريق وجوده على الحدود الافغانية ايرانية . وعمد الزعماء السوفييت الى استقطاب الانتباه العالمى حول التهديد الامريكى لايران لصرف الانظار عما سيحدث فى افغانستان . وادى غزو افغانستان الى تدهور العلاقات السياسية بين الاتحاد السوفييتي وايران التى أدانت رسميا هذا الغزو ولكن ذلك لم يمنع عودة العلاقات الاقتصادية التى كانت قد قطعت فى بداية الثورة . وتفاقم شعور العداء للاتحاد السوفييتي بين صفوف الشعب الايرانى وتصاعدت موجه الاضرابات المعادية للسوفييت ولم تحرك الحكومة الايرانية ساكنا عندما هوجمت السفاره السوفييتية فى طهران ودمرت وحرق علمها .

ان عداء النظام الاسلامى المتأصل للشيوعية يفسر الى حد كبير تردد موسكو وعدم سعيها جديا الى الاستفادة من الأوضاع فى ايران واخذ مكان واشنطن ، وتفضيلها تثبيت أقدامها فى افغانستان .

التطورات فى الموقف السوفييتي :

● لقد اثرت الحرب التى اندلعت فى سبتمبر ١٩٨٠ بين العراق وايران على موقف الاتحاد السوفييتي ، الذى بدا فى الظاهر بسيطا ولكنه فى الحقيقة موقف شديد التعقيد ، فالاتحاد السوفييتي مرتبط مع العراق بمعاهدة تجبره على الدفاع عن أمن حليفه ، ولا يرتبط مع ايران بمثل هذه المعاهدة . وكانت موسكو قد اختارت فى بداية السبعينات الجانب الذى ستنحاز اليه رغم تصريحاتها المتكرره بأن المعاهدة مع العراق ليست موجهة ضد طهران ، وحاولت دائما ان تظل على الحياد ولكنها اعطت اسلحة للعراق فأتاحت له بذلك فرصة توازن قوته العسكرية مع القوة الايرانية . والموقف الآن فى تغير ، فالأمر يتعلق حاليا بدولتين معاديتين للامبريالية ، ولاشك ان الولايات المتحدة ستسعى الى الاستفاد من الأحداث لتضعف من قدرتهما وخاصة إيران على مقاومة الضغط الامبريالى . ويهدف الغرب فى نفس الوقت الى فرض تغيير فى السياسة الخارجية العراقية عن طريق جر العراق الى تصرف عسكرى ضد ايران . وقد اكدت البرافدا ان هذا الصراع يتيح امكانية كبيرة لتدخل واشنطن فى المنطقة بحجة اعادة الاستقرار اليها . لذلك يتضح ان الحياد الذى اعلنته موسكو فى بداية الصراع لا يمكن ان يستمر . فالعراق يضغط من أجل تزويده بالسلاح ، هذا فى الوقت الذى أعلن فيه راديو طهران ان موسكو قد اقترحت على لسان سفيرها فى ايران تزويد إيران بالسلاح ، وتسارع موسكو بتكذيب هذا النبأ وتتهم الولايات المتحدة بتأليفه ، حتى تستطيع ان تحتفظ بهيبتها كحليف . ولكن نجد ان بريجنيف يصرح فى مؤتمر الحزب السادس والعشرين بأن صداقة الاتحاد السوفييتي لايران تشكل هدفا له الأولوية فى السياسة السوفييتية .

وهنا يتضح تناقض وتعقيد الموقف السوفييتي واضطرار الاتحاد السوفييتي لأن يلعب لعبته على مستويين : أولا : بصفته قوة عظمى طالب بعدم تدخل الدول الكبرى وبتسوية الصراع أما عن طريق الأطراف

المعنية أو عن طريق وساطة دول العالم الثالث . وأكد على أهمية هذه الوساطة التى لا تأتى من القوى العظمى وبالتالى تحافظ على السيادة الكاملة للخصمين ، وهذا يعنى بلاشك ان ترفع الولايات المتحدة يدها عن المشكلة . وعلى مستوى آخر سعى الاتحاد السوفييتى باصرار الى الاحتفاظ بقدر من العلاقات مع الدولتين تكفى لكى لا تنزلق أحداهما الى الجانب الغربى . أى عدم الاشتراك فى الصراع وانما مساعدة الدولتين ، وهذا هو الطريق الضيق الذى تحاول موسكو اتباعه منذ سبتمبر ١٩٨٠ .

وتقول هيلين دانكوس أن هذه النداءات السوفييتية المتكررة بعدم التدخل وتشجيع وساطات دول العالم الثالث التى لم تنجح احداها حتى الآن ومحاولات الاحتفاظ بعلاقات متوازنة مع الدولتين وتكرار إقتراح تحويل الخليج والمحيط الهندى الى منطقة سلام ، كل ذلك لا يشكل فى الواقع سياسة خلاقة نشطة فى مواجهة الصراع الايرانى العراقى . بل انها مواقف تتسم بعدم الحسم ، وتؤكد التردد السوفييتى وعدم القدرة على تصور خيارات جديدة . ولكن هل يعنى ذلك ان الموقف السوفييتى لا ينطوى على امكانية جديدة ؟ ان هناك احتمالات للتغيير تبدو فى الأفق وراء هذا التردد الظاهر . فما هى هذه الاحتمالات ؟

لقد وقع الاتحاد السوفييتى فى أكتوبر عام ١٩٨٠ معاهدة صداقة مع سوريا على غرار المعاهدات التى وقعها مع دول كثيرة فى العالم الثالث منذ ١٩٧١ . ولكن ما حدث فى مصر ثم الصومال قد أكد أن الاتفاقات لا تكفى لضمان حلفاء دائمين خاصة عندما يكون الأمر متعلقا بدول تقع خارج العالم الاشتراكى . لذلك قام الاتحاد السوفييتى اخيرا بتوقيع معاهدات صداقة مع دول غير اشتراكية طالبت بعدم تعارض هذه المعاهدات مع سيادتها وطبيعة نظمها السياسية . ومما لاشك فيه ان المعاهدة السوفييتية السورية غير واضحة فى مجال التعاون العسكرى ولكنها تشكل اهمية خاصة فى سياق الصراع العراقى الايرانى . فسوريا وايران هما أكثر الاطراف تشددا فى جبهة المعارضة لاتفاقات كامب دافيد . وقد قربت بينهما هذه المعارضة لدرجة ان سوريا اقترحت مساعدة ايران عسكريا . هذا بالاضافة الى ليبيا التى أعلنت مصادر امريكية انها تقوم بتزويد إيران بالسلاح . نرى اذن ان هناك طريقا غير مباشر يستطيع الاتحاد السوفييتى من خلاله مساعدة ايران دون ان ينحاز بشكل واضح الى جانبها ، ودون ان يخون صداقته للعراق علنا ، واكتمل الامر بالتقارب الليبى السورى الذى سيسمح بمساندة ايران بشكل أكبر ، فتقوم ليبيا بارسال السلاح وتفتح سوريا الطريق امام نقله اليها ، وتستطيع الاسلحة السوفييتية ان تجد طريقها الى طرفى الصراع ، ويصبح من السهل على الكرملين من خلال هذا التدخل المستتر أن يضمن وجوده فى المعسكر الرابع مهما كانت نتيجة الصراع .

لاشك ان تردد الاتحاد السوفييتى فى مساعدة العراق قد دفع بهذا الأخير الى أحضان الدول ذات الميول الغربية . ولكننا نشهد أيضا تحولا فى سياسة بعض الدول العربية المعتدلة واتجاهها الى عدم الاعتماد الكلى على الدول الغربية ، وهذه الرغبة هى التى دفعت بالملك حسين لزيارة موسكو فى مايو ١٩٨١ ومن ورائه وزير الخارجية الكويتى . كما ان الحوار بين الاتحاد السوفييتى والسعودية قد تطور رغم غياب العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وهكذا فى الوقت الذى ينفصل فيه العراق تدرجيا عن مجموعة الدول العربية التقدمية ، نجد ان الدول العربية الكبرى المعتدلة تضاعف اتصالاتها بموسكو .

يذكرنا هذا الموقف الذى خلقته حرب ١٩٨٠ فى الشرق الأوسط الى حد ما بالموقف فى القرن الافريقى فى فترة حرب أو جادين . فقد كان الكرملين فى ١٩٧٥ مرتبط مع احدى الدولتين المتحاربتين وهى الصومال بمعاهدة صداقة وتعاون كما هو مرتبط مع العراق فى الوقت الحالى . ولم يكن متصورا فى ذلك الوقت ان الاتحاد السوفييتى سيستطيع الاستفادة من هذه الظروف ويغير تحالفاته طبقا لسيناريو معدا من قبل . وهناك تشابه بين الاحداث والظروف فى اثيوبيا وايران . فقد احتفظت كل من هاتين الدولتين بعلاقات ودية حميمة مع الولايات المتحدة سنوات طويلة دمرتها خيارات راديكالية ثورية . وكما حدث مع ايران اقترحت موسكو على اثيوبيا فى ١٩٧٥ تزويدها بالسلاح ولكنها ترددت خشية اغضاب حليفتها الصومال . ولكن بعد طرد الصومال للخبراء السوفييت أصبح الطريق ممهدا أمام المعاهدة السوفييتية الاثيوبية . وتجرى الكاتبة فى هذا الصدد بعض المقارنات بين المقترحات التى تقدم بها السفير السوفييتى فى طهران عام ١٩٨٠ وتلك التى تقدم بها السفير السوفييتى فى أديس أبابا عام ١٩٧٥ . وبالفعل هناك تماثل واضح ، ولكن هناك بعض الخلافات بلاشك . فعلى عكس الموقف الصومالى يمارس العراق ضغوطا متزايدة ومستمرة على حليفه ولا يبدى استعدادا للقطيعة . ومن جهة اخرى لا يمكن ان تقبل ايران الاسلامية التودد السوفييتى علنا كما فعل منجستو الماركسى ، ولكن لا يمكن مع ذلك تجاهل الاصرار السوفييتى ، فمستقبل الجمهورية الاسلامية غامض وينطوى على احتمالات كثيرة منها سقوط النظام الاسلامى وقيام نظام اخر موال للسوفييت .

باختصار يتبع الاتحاد السوفييتي سياستين متناقضتين : التقارب مع ايران مع الاحتفاظ بالتحالف مع العراق ويميل الميزان حاليا تجاه ايران ، وهكذا نرى أن التحالفات بالنسبة لموسكو ليست سوى اساليب استراتيجية ولا تشكل أهدافا فى حد ذاتها . وقد اكدت الاحداث الأخيرة انه يمكن تخطى العوائق امام التقارب السوفييتي الايرانى ، وبدأ نوع من الحوار بين الدولتين فتح الباب أمام تعاون فعلى فى مجالات عديدة . واشترك الاتحاد السوفييتي فى تشكيل الكوادر السياسية والادارية والفنية فى إيران ، وقام بوضع مستشارين مدنيين سوفييت فى عدة وزارات ايرانية ليساعدوا فى تشغيل قطاعات رئيسية مثل الامن والاقتصاد والطاقة . وإذا كان الوقت مازال مبكرا للحكم على مدى خطورة هذا التعاون ، إلا أنه من الممكن استشفاف الدور الذى ينوى الاتحاد السوفييتي لعبه فى الحياة السياسية الايرانية فى السنوات القادمة . ان تشكيل الكوادر من ذوى الاتجاهات الموالية للسوفييت قد كان منذ ١٩٥٦ أحد الأساليب الخاصة التى تستخدمها موسكو فى العالم الثالث .

ما هى النتائج التى يمكن استخلاصها من هذه الاستراتيجية الملتوية ؟ أهم ما فى الموضوع هو أن فشل الموقف السوفييتي النسبى ينطوى على بعض العناصر الايجابية التى تبشر بامكانيات جديدة بالنسبة لموسكو . فالتفسخ الداخلى يتزايد فى ايران ويعمل الاتحاد السوفييتي على تأكيد وجود قوى موالية له فى الداخل مثل الاكراد وحزب توده . وفى ظل مثل هذه الفوضى يستطيع الاكراد إضعاف القوى المعادية للسوفييت داخل البلاد ، كما يستطيع حزب تودة التفاوض بشأن المساعدات العسكرية السوفييتية عندما يحين الوقت والتى رفضها آية الله خومينى . وليس من المستبعد ان تؤدى هذه المساعدات الى إعادة تقييم العلاقات بين البلدين كما حدث فى ١٩٧٧ مع منجستو . كما ان تنمية التعاون الاقتصادى وخاصة اشتراك السوفييت فى تشغيل بعض القطاعات الايرانية مهما كان متواضعا سيؤثر بلاشك على تطور العلاقات السوفييتية الايرانية . وهناك عنصر آخر فى صالح الاتحاد السوفييتي يتمثل فى فقدان الاهتمام تدريجيا بأزمة غزو افغانستان التى أثرت بشكل كبير على علاقات موسكو بالدول الاسلامية . وتعودت هذه الدول على الوضع الجديد بعد ان ابتذلت المشكلة وادرجتها ضمن المشاكل الدولية . ألم يكن هذا هو مضمون تصريحات اللجنة الجزائرية فى القمة الاسلامية فى الطائف ؟ والتى نصت على ضرورة إلا تؤثر المشكلة الافغانية على تصرفات العالم الثالث ازاء الاتحاد السوفييتي وتجعله ينسى ان موسكو هى حليفته الرئيسية . وهذا المفهوم للمأساه الأفغانية يشجع السوفييت على مواصلة سياساتهم تجاه ايران ، فقد تؤدى هذه الجهود الى نتائج رائعة بالنسبة لهم اذا استمرت ايران فى تطورها الحالى تجاه مزيد من الفوضى . وقد ينتهى الأمر بسيطرة الاتحاد السوفييتي على المنطقة التى تبدأ من القوقاز حتى افغانستان ، ويضمن بالتالى السيطرة على الجزء الشمالى من الخليج ، ان مثل هذه الامكانية التى تغذى احلام موسكو تكفى لتفسير الطرق البارعة الملتوية التى تلجأ اليها الاستراتيجية السوفييتية .

ORBIS
A Journal of World Affairs
Fall 1987
The Soviet Threat and The West

الغـــرب والتهـــديد السـوفيتى الشـــامل

بقلم بيير م . جالوا

● يدور هذا المقال حول الخطأ الاستراتيجى الذى تقع فيه حاليا القوى الغربية فى مواجهة الاتحاد السوفيتى . فالموقف الدولى قد تغير بشكل جذرى ويختلف تمام الاختلاف عن ذلك الموقف الذى كان سائدا فى منتصف القرن . ولايمكن تجاهل أن الاتحاد السوفيتى قد قام خلال الحقبتين الأخيرتين بتوسيع امبراطوريته من خلال عمليات الضم أو السيطرة السياسية ليس فقط على دول مجاورة له وإنما مد نفوذه الى اراض بعيدة عبر البحار . فمنذ بداية السبعينات والاتحاد السوفيتى يتدخل بشكل غير مباشر فى مناطق بعيدة عن حدوده . وهذا التدخل يستهدف المناطق حيث توجد موارد الطاقة والمواد الخام ذات الاهمية البالغة بالنسبة للدول الغنية ، وبذلك يمكنه خنق هذه الدول اقتصاديا واضعافها بحيث يصبح من السهل القضاء عليها بعد ذلك نهائيا . ويقول الكاتب أن نجاحه فى بلوغ هذا الهدف أمر ممكن ، طالما أن احدا لايعبأ بمثل هذا التهديد الخطير ابتداء من هؤلاء الذين سيكونون أولى ضحاياه . إننا نشهد منذ عام ١٩٥٠ انتقال دول آسيا وافريقيا الموالية للغرب الواحدة تلو الاخرى الى المعسكر الاشتراكى . وسواء اغلقت هذه الدول حدودها فى وجه التبادل التجارى مع الغرب أو حولت جزءا من ثرواتها الى الشرق فإن جزءا هاما من العالم الذى يطلق عليه العالم الحر قد انفصل عن الغرب .

إن الاتحاد السوفيتى لايخفى مخططاته التوسيعية عن العالم فقد صرح المسئولون السوفيت اكثر من مرة أن الوظيفة التاريخية للقوات المسلحة السوفيتية ليست قاصرة على الدفاع عن الأراضى السوفيتية والدول الاشتراكية فحسب وإنما تتعداها الى مساندة حركات النضال الوطنى ومقاومة العدوان الامبريالى فى أى مكان فى العالم مهما كان بعيدا . وهذا يعنى أن الاتحاد السوفيتى قد بيت النية على التدخل فى الشئون الداخلية للدول اينما وقعت ، وأن ذلك سيتم بقوة السلاح طالما أن هذه هى المهمة الجديدة للجيشين السوفيتى وجيوش الدول الاشتراكية ، أى استغلال الظروف الداخلية للدول وماتعانيه من مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية فى أعقاب التحرر . وهذا هو ماحدث تماما وبنجاح فى معظم الحالات .

ولكى يستطيع الاتحاد السوفيتى تنفيذ مثل هذه الخطة الطموحة دون أن يواجه اخطارا كثيرة ، كان لابد أن يقوم بتطوير قدراته العسكرية ليسهل عليه التدخل فى المناطق التى تبعد عن أراضيه مسافات شاسعة . أى أن يمتلك اسطولا ضخما فى اعالى البحار وقدرة عالية الكفاءة على النقل الجوى الاستراتيجى ، وقد نجح فى ذلك . واليوم وبعد مرور أقل من ربع قرن منذ أن اتخذ الاتحاد السوفيتى هذا القرار ، بدأ السوفيت يجنون ثمار هذه السياسة . ومازالوا مستمرين حتى الآن . ويبدو أن الغرب غير قادر على مواجهة هذا النجاح أو الحد منه . وقد بلغت البحرية السوفيتية حجما ضخما وكذلك القوات الجوية . وكشفت العمليات التى تمت فى انجولا واثيوبيا وافغانستان عن مدى القدرة التى تتمتع بها قوات التدخل الخارجى السوفيتية . وكانت نتيجة هذه الاستراتيجية التوسعية هى انتقال حوالى ٢٢ دولة فيما بين سنة ١٩٤٦ و سنة ١٩٨١ الى المعسكر الاشتراكى والأتخذت هذه السيطرة السوفيتية اشكالا مختلفة وتمت بمهارة شديدة بحيث لم تبد فى معظم الاحيان كغزو . وتبلغ مساحة هذه الدول الاثنى والعشرين حوالى اثنى عشر كيلو مترا مربعا إن لم يكن اكثر وتضم مايزيد عن ٢٠٠ مليون نسمة .

إن الجيش الأحمر يتدخل مباشرة إذا كان الأمر يتعلق بتهديد أمن الاتحاد السوفيتى ، مثلما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ وافغانستان عام ١٩٨٠ . وهذا التدخل الفورى

الحاسم يكشف عن مدى تصميم الاتحاد السوفيتي على عدم السماح أو التسامح بشأن أى اتجاه مغاير لسياسته . فالحكومة السوفيتية تعلم تماما أن أيه هزيمة عسكرية لجيشها لن تؤثر فقط على خططها السياسية الضخمة وأنما ستهز وضع الاعراق المختلفة التى تتجمع تحت اللواء السوفيتي .

ويبدو ، أن زعماء الدول الغربية لم يفهموا تماما هذه الحقيقة . فنجد أن حلف الاطلنطى يقيم استراتيجية الدفاعية على وهمين كبيرين هما : أولا فى حالة اندلاع صراع شامل فى اوربا الغربية فإن المواجهة ستتم بالطريقة التقليدية ، وهذه الفرضية تضع دول حلف الاطلنطى أمام بديلين كليهما مدمر : إما أن تخسر المعركة وتقع بالتالى تحت السيطرة المباشرة أو غير المباشرة للاتحاد السوفيتي ، وإما أن تقاوم عسكريا ، وبما أن العدو لايمكن أن يقبل الهزيمة لأن هزيمته معناها القضاء المبرم عليه فسيلجأ الى أسلحة الدمار الشامل التى يملك منها كميات هائلة .

الفرضية الثانية : فى حالة اندلاع مثل هذا الصراع الشامل فان فترة من التوتر ستسبقه بلا شك تتيح أمام الزعماء الغربيين وقتا كافيا لاتخاذ التدابير اللازمة : أى التشاور والتنسيق فيما بينهم وتحريك قواتهم وتدعيمها عبر البحار . وهذه فرضية تصلح فى حالتين فقط هما : إذا اعطت الكتلة الاخرى التى ستبدأ القتال اى نوع من التحذير بشأن نواياها الحقيقية . وثانيا : أن لايستخدم العدو اسلحة الدمار الشامل منذ البداية . وبما أن هذه الفرضية لاتتفق مطلقا مع مصالح الكتلة التى ستقرر البدء فى القتال ـ والتى لن تكون بأى حال من الأحوال القوى الغربية ـ فإنه من غير المجدى ان تبنى دول حلف الاطلنطى استراتيجيتها الدفاعية عليها .

استراتيجية جديدة فى أوروبا :

● أن التقدم الذى حدث أخيرا فى مجال الاسلحة النووية يجعل احتمال نشوب حرب أوروبية شبه مستحيل . أولا من الواضح أن الجيش الأحمر لن يبقى خارج الصراع وسيلقى بثقله العسكرى فى المعركة . وبما أن زعماء الكرملين لايمكن أن يسمحوا لقواتهم بخوض معركة خاسرة ، فانهم سيلجأون منذ البداية الى الأسلحة الاستراتيجية التى تضمن لهم الانتصار مع استخدام عنصر المفاجأة الذى سيشل المعسكر الآخر تماما .

أن الزعماء السياسيين والعسكريين فى أوروبا الغربية لم يستطيعوا حتى الآن أن يدركوا حقيقة واضحة وبسيطة هى عدم وجود أى نوع من التوازى فى مواقف دولهم ودول المعسكر الآخر . فالاهداف السياسية والاجتماعية ليست متشابهة . ويتضح هذا الاختلاف بشكل حاسم فى المجال العسكرى والسياسى ،

فبينما توجد القدرة على اتخاذ القرار والتصرف الفورى لدى الجانب الاشتراكى ، وبالتالى استخدام عنصر المفاجأة ، نجد أن الدول الديموقراطية تفتقر الى مثل هذه القدرة ولاتستطيع أن تقدم على أية مبادرة دون الرجوع الى الرأى العام وعرض المشروع على الساحة الديموقراطية وتحليله ومناقشته وتفنيده .. الخ .. على عكس الدول الاخرى حيث لاتوجد أية سيطرة برلمانية وحيث لاوجود للرأى الآخر . أن الاتحاد السوفيتي قد فاجأ العالم فى المجر وتشيكوسلوفاكيا وافغانستان . فى حين أن الولايات المتحدة قد استمرت تناقش قرار ارسال بعض طائرات المراقبة الاكترونية للسعودية لمدة عامين .

● ويعود الكاتب فيؤكد أن الهزيمة ستكون من نصيب قوات حلف الاطلنطى لو نشبت الحرب ، فالعدو لايتمتع فحسب بميزة المفاجأة وتأثيرها الحاسم ، وإنما ايضا بالقدرة على تدمير القوات التى تواجهه . أن قوات حلف الاطلنطى تتخذ دائما موقفا دفاعيا ومعداتها العسكرية لم تتغير كثيرا منذ الحرب العالمية الثانية ، وليس هناك وجه مقارنة بينها وبين قوات حلف وارسو . لذلك فإن هزيمة قوات حلف الاطلنطى مؤكدة إذا أخذت قوات حلف وارسو المبادرة بالهجوم .

إن المفاوضات الدائرة حاليا فى فيينا والتى تهدف الى تخفيض الأسلحة فى أوروبا هى مفاوضات بلا معنى ، فهذا النضال من أجل المساواة العددية بين المعسكرين لامعنى له ولايمكن أن يضمن أمن دول حلف الاطلنطى . وهذا الخطأ نفسه يتكرر فى مفاوضات سولت ، ولن يكون هناك اتفاق جدى بيه ممثلين لمجتمع مغلق يتصرف بسرية وكتمان وبين مجتمع مفتوح لايقدم على أى تصرف دون الاعلان عنه مسبقا أمام الرأى العام العالمى . لقد اخطأ الغرب على مدى عشرين عاما تجاه طبيعة وفعالية المفاوضات العسكرية التى يعتقد بوجوب الاستمرار فيها مع السوفيت . لقد توارت الخلافات والخصومة بين المجتمعين المتضادين خلف شعارات لايساندها الواقع مثل « الوفاق » « والتوازن الاستراتيجى » « والسيطرة على التسليح » . وحتى « نزع السلاح »

ثم يطرح الكاتب تساؤلا : أيعنى كل هذا أن الغرب قد اتبع الاستراتيجية الخاطئة ؟

من وجهة نظره « نعم » أن الغرب قد أخطأ وسيحاكم التاريخ فى يوم مازعماء السياسة الغربية الذين ضللوه طويلا بالكلمات التى لاتتفق مع التصرف المطلوب . ويقول أن صرخات التحذير قد انطلقت من كل صوب تنادى بالواقعية وبعد النظر ، ولابد أن يكون المرء

اصما حتى لايسمعها اليوم وأن يكون انسانا غير مسئول إذا لم تثر لديه رد فعل . فالاتحاد السوفيتى يقترب اكثر واكثر من موارد الطاقة التى تهم الدول الصناعية بشكل اساسى ، ويضع يده تدريجيا من خلال نظم سياسية وسيطه على مناطق شاسعة يعتمد عليها اقتصاد المجتمعات الغربية اعتمادا كليا . وهذا هو التهديد الذى يرزح تحت عبئه العالم الحر اليوم . ولقد دعا ديجول منذ عشرين عاما عاما الى إعادة النظر فى سياسة حلف الاطلنطى الاستراتيجية ، ومحاولة عدم حصرها فى نطاق أوروبا فقط ونادى بوجوب اجراء عملية إعادة تقييم للأفكار والاستراتيجيات والاسلحة التى يعتمد عليها العالم الغربى فى الدفاع عن أمنه . ولكنه اصطدم بآذان صماء .

أن كل شىء فى الغرب يؤكد غياب الارادة الجماعية والجهود المتضافره لوضع حد لهذا التوسع السوفيتى واسترداد الاراضى المفقوده . وإذا اجتمع هذا الخطأ الاستراتيجى الجيوبولتيكى مع رد الفعل البطىء والمتواضع فان الحضارة الليبرالية التى يزهو بها العالم سيكون مصيرها بلا شك الأفول السريع .

SURVIVAL

March / April 1982

Soviet Use of Surprise and Deception

الاستخدام السوفيتى للمفاجأة والخدعة

بقلم چيرى فالنتا

● يتناول هذا المقال ـ وهو مقال إستراتيجى أساسا ـ تطور إستخدام الاتحاد السوڤيتى للخدعة والمفاجأة الاستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية . ويتخذ الكاتب من غزو تشيكو سلوفاكيا عام ١٩٦٨ وغزو أفغانستان عام ١٩٨٠ وكذلك الأزمة البولندية المستمرة إطارا للعمل يقيم عليه مناقشته لهذين العنصرين الهامين فى الاستراتيچية السوڤيتية .

أولا ماهى الخدعة وما هى المفاجأة ؟ إن الخدعة هى تصوير خاطىء للحقيقة يهدف إلى تحقيق مزية فى مواجهة الخصم ، وهو ما يعرف بالمناورة العسكرية . أما المفاجأة ، فهى تصرف عسكرى مفاجىء غير متوقع من جانب ضحيته . ونجد أنه فى الوقت الذى قد تحدث فيه المفاجأة بلا خدعة ، فان الخدعة على العكس تؤدى عادة إلى المفاجأة ، بل هى وسيلة لتحقيقها .

إن إستخدام الخدعة العسكرية قد بدأ مرة أخرى فى الظهور بعد أن كان قد إختفى تقريبا فى القرن التاسع عشر ، ولكن بشكل غير علنى لأن تطبيق الخدعة يدخل ضمن أسرار صنع القرار فيما يتعلق بالأمن القومى . وهناك أنواع عديدة من المفاجآت والخدع يؤدى

إستخدامها إلى أهداف متباينة ولقد إستخدم الاتحاد السوفيتي المفاجأة الاستراتيجية فى غزو تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان ، وهذا النوع من المفاجآت يؤثر تأثيرا بالغا على إتجاه الحرب ذاتها ويحدث دائما فى بداية الحرب .

الخدعة والمفاجأة الاستراتيجية فى النظرية السوفيتية :

● لقد إستمرت الخدعة والمفاجأة الاستراتيجية لمدة طويلة جزاء لا يتجزأ من السياسة العسكرية الروسية السوفيتية . ولكن ستالين لم يكن يحبذ إستخدام هذين العاملين فى عملياته العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية وإعتبرهما « عوامل مرحلية » لاتستطيع أن تؤثر فى نتيجة الحرب . ولم يلجأ إلى المفاجأة الاستراتيجية إلا بعد أن كبده الألمان خسائر فادحة إثر الهجوم المفاجىء الذى شنوه على القوات السوفيتية وهى غير مستعدة ، وكانت حمله منشوريا فى أغسطس ١٩٤٥ التى قام بها ستالين مثلا للمفاجأة الاستراتيجية الناجحة ، ولكنها كانت الوحيدة ، فجميع الخدع التى لجأ إليها ستالين كانت ذات طبيعية تكتيكية ، أى كانت تهدف فقط إلى إخفاء الاستعدادات للعمليات المختلفة . وقد قبل ستالين بعد تردد طويل الاشتراك فى الخدعة التى هدفت إلى تغطية شرق البحر المتوسط ، ضمن خطة مساندة غزو الحلفاء للنورماندى .

وبعد موت ستالين إهتم المنظرون العسكريون السوفيت بالخدعة والمفاجأة الاستراتيجية . فقد كان عليهم أن يعيدوا النظر فى دور هذين العاملين الهامين فى الاستراتيجية العسكرية خاصة بعد التطور الشامل فى الأسلحة النووية والثورة فى إستخدام الفنون العسكرية . وخلصت جميع المناقشات والأبحاث إلى أهمية أن لا يؤخذ الاتحاد السوفيتى على غرة مرة أخرى ويفاجأ بالهجوم عليه مثلما حدث عندما هاجمته ألمانيا عام ١٩٤١ . ولقد إستفاد السوفيت كثيرا من الاستراتيجية الألمانية واليابانية أيضا ، وكذلك من البريطانيين ومناوراتهم خلال الحرب العالمية الثانية . وخلص السوفييت إلى أن الخدعة والمفاجأة هما أهم مبادىء الفنون العسكرية ، أى إختيار الوقت المناسب والأسلوب العسكرى الذى يسمح بتسديد الضربة عندما يكون العدو غير مستعد لردها وبالتالى شل حركته وإرادته وقدرته على المقاومة .

إن الأفكار الأساسية فى الأدب العسكرى السوفيتى فى الستينات والسبعينات تتلخص فى كلمتين : ضرورة تفادى هجوم مفاجىء من العدو ، وشن هجوم مفاجىء على العدو . وقد إكتسب عنصر المفاجأة دلالة أعمق نتيجة إنتشار الأسلحة النووية . وترى النظرية العسكرية السوفيتية أن الحرب النووية مثلها قبل الحرب التقليدية تبدأ بشن هجوم إستراتيجى مفاجىء وغير متوقع . ويؤكد الأدب العسكرى السوفيتى أن وسائل الخداع تشمل تضليل العدو فيما يتعلق بالنوايا الحقيقية للطرف الآخر . عن طريق التمويه وإذاعة المعلومات الخاطئة وإحباط معنويات العدو من خلال عمليات دعائية وتخريبية . وقد أعقب هذا الاهتمام والتقدير للخدعة والمفاجأة ٥ خطوات عملية قامت بها المخابرات العسكرية السوفيتية فأنشأت إدارة خاصة داخل لجنة أمن الدولة مهمتها التخطيط لعمليات الخداع الاستراتيجى واصبحت واحدة من أهم الادارات .

ويأخذ المقال حالتى تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان ليطبق عليهما دراسته حول عنصرى الخدعة والمفاجأة فى الاستراتيجية السوفيتية .

تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان والتخطيط للغزو المفاجىء :

● إن حالة تشيكوسلوفاكيا هى أبلغ مثال على إستخدام الاتحاد السوفيتى للمفاجأة الاستراتيجية . وكان التفكير فى الغزو قد بدأ على الأقل قبل وقوعه ببضعة أشهر . وقد صرحت المخابرات التشيكوسلوفاكية أن الاعداد للغزو المحتمل قد بدأ فى فبراير ومارس سنة ١٩٦٨ . وقد تم الغزو الفعلى فى أغسطس من نفس العام . ولجأ السوفيت إلى إستخدام التدريبات والمناورات كغطاء لانتشار القوات العسكرية . وصور تطويق تشيكوسلوفاكيا عسكريا وكأنه مجرد إستعداد إذا حدث تطور غير متوقع مثل إنقلاب مضاد للشيوعية مثلا أو إنسحاب تشيكوسلوفاكيا من حلف وارسو . وكان هذا التطويق يخدم غرضين : أولا كنوع من الضغط النفسى على المسئولين التشيكيين وإنذارهم بضرورة إحكام قبضتهم على الأمور داخل الدولة ، وثانيا إخفاء الاستعداد للغزو تحت غطاء التدريبات والمناورات . وهكذا بدأ هذا البناء العسكرى حول الحدود التشيكية وإستمر بضعة أشهر طوال إستمرار الأزمة دون أن يتنبه أحد إلى الهدف الحقيقى ، فكان خداعا من نوع فريد لأن العمليات لم تكن سرية بل كانت علنية ولكنها مستترة وراء أسباب غير حقيقية .

وعندما تقررت المفاوضات بين الزعماء التشيكيين والسوفيت فى سيرنا ، أعلنت وسائل الاعلام عن نبأ أكبر تدريب عسكرى قامت به القوات السوفيتية وقوات حلف وارسو ، وذلك بهدف ردع الزعماء التشيكيين وتدعيم موقف السوفيت التفاوضى . وقد لعبت

المخابرات السوفيتية دورا هاما فى التأثير على السلوك السوفيتى خلال الأزمة التشيكية . فقد عمد المسئولون فى المخابرات إلى إذاعة أكاذيب ومعلومات خاطئة من خلال أشكال متعددة من الاثارة السياسية والحجج التى تحبذ التدخل ، مثل إشاعة إكتشاف أسلحة مخبأة على الحدود الألمانية الغربية ، وهى أسلحة مفروض أنها وضعت هناك بمعرفة الأمبرياليين ، كما تعمدوا أيضا تهيئة مناخ معارض قوى لسياسة دوبتشيك وأتباعه فى الحزب . ورغم أن الخدع التى قامت بها المخابرات السوفيتية تعتبر فى المرتبة الثانية إذا قيست بالخداع العسكرى بقيادة حلف وارسو ، إلا أنها قد أثرت تأثيرا بالغا فى الحل النهائى للأزمة ، فقد هدفت هذه الحملات الدعائية والاثارة السياسية والمعلومات الكاذبة إلى التأثير على الرأى العام التشيكى وردع المجموعة الليبرالية وإيجاد المبررات والحجج لاضفاء الشرعية على الغزو السوفيتى . كما إستخدمت المخابرات السوفيتية أيضا خدعا أخرى مثل تزوير وثائق تثبت وجود مؤامرة صهيونية وتورط المخابرات الأمريكية فى العملية وقد أثرت هذه الحيل على جماهير حلف وارسو تأثيرا كبيرا .

ويعتبر غزو أفغانستان فى ديسمبر ١٩٧٩ مثلا آخر للمفاجأة الاستراتيجية . وكما هو الحال فى تشيكوسلوفاكيا تم الاعداد لهذا الغزو أيضا قبل وقوعه بعدة أشهر . فقد أقدم الاتحاد السوفيتى فى سبتمبر على أول محاولة جادة للتأثير عن طريق القوة العسكرية على تطور الأحداث فى أفغانستان . ونشرت البرافدا فى ١٣ سبتمبر أثناء زيارة تراقى لموسكو أن هذا الأخير يستطيع الاعتماد كلية على الاتحاد السوفيتى ، وهذا يشمل فى اللغة السوفيتية المساندة العسكرية . وقد كانت خطة زعماء الكرملين هى إقامة حكم إئتلافى من تراقى وكارميل وتصفية أمين ، ولكن المخطط لم يتم تنفيذه كما يجب وقتل تراقى بدلا عن أمين ، وقبل الاتحاد السوفيتى الأمر الواقع ، وإستمر فى خداع هذا الأخير وإظهار تعاطفه معه . وكانت المهمة الظاهرة أو الرسمية لوزير الداخلية السوفيتى عند زيارته لكابول فى نهاية نوفمبر هى مساعدة أمين على إخماد التمرد وإقرار النظام فى البلاد بل وحمايته هو شخصيا أيضا . اما المهمة الحقيقية فقد كانت تنظيم الانقلاب وحشد خصوم أمين وضمهم إلى صفوف أتباع كارميل وتراقى : تماما كما حدث فى تشيكوسلوفاكيا عندما حاول الدبلوماسيون وضباط الأمن السوفيت تحويل الصراع داخل أجنحة الحزب لصالحهم ، وكونوا سرا حكومة موالية للسوفيت وتطلب مساعدتهم . فى حالة تشيكوسلوفاكيا حاول الاتحاد السوفيتى ضم العناصر المناوئة لسياسة دوبتشيك إلى صفوفه ، وفى أفغانستان حاول قلب نظام أمين عن طريق إقامة تحالف بين اتباع تراقى وأتباع كراميل .

ولكن فى حالة أفغانستان لم تؤخذ الولايات المتحدة على غرة هذه المرة كما حدث فى تشيكوسلوفاكيا ، وقامت بتحذير الاتحاد السوفيتى من التدخل فى أفغانستان مرتين ، وفى نهاية نوفمبر سجلت المخابرات الأمريكية تحركات سوفيتية على الحدود الأفغانية . وكانت الخطة السوفيتية فى الحالتين هى مفاجأة النظام القائم والاطاحة به وإقامة نظام جديد مكانه فى أسرع وقت . وبذلك يتحاشى الاتحاد السوفيتى دفاعا قويا ومنظما . وقد جاء الغزو فى الحالتين مفاجأة إستراتيجية لم يتوقعها أو يتنبأ بها النظامان التشيكى والافغانى . وقد عمد السوفيت إلى الخداع العسكرى فقاموا قبل غزو تشيكوسلوفاكيا مباشرة بنقل إحتياطيات الوقود والمؤن الخاصة بالقوات المسلحة التشيكية إلى ألمانيا الشرقية ، مدعين القيام بتدريبات ضخمة ، وكان من المفروض أن تبدأ التدريبات يوم ٢١ أغسطس وتم الغزو يوم ٢٠ أغسطس وهكذا صرفوا أنظار الجنرالات التشيكيين عن إحتمال الغزو ووضعوا القوات المسلحة التشيكية تحت الرقابة السوفيتية الدقيقة .

أما فى حالة أفغانستان فقد قام المستشارون السوفيت قبل الغزو بنزع سلاح القوات المسلحة الأفغانية المعسكرة فى كابول بحجة ضرورة إرسال المعدات العسكرية لهذه القوات لاختبار صلاحيتها وإعادة تهيئتها وإصلاح ما قد يكون بها من خلل وأعطال ، وحدثت المفاجأة بعد ذلك مباشرة عندما هاجمت القوات السوفيتية كابول وإحتلتها .

ازمة بولندا ومشاكل الغزو المفاجىء :

فكرت القيادة السوفيتة خلال الأزمة البولندية فى إستخدام القوة العسكرية المباشرة كخيار أخير إذا فشلت جميع الأساليب الأخرى ، ولجأت إلى المناورات العسكرية التى هدفت إلى الضغط على الزعماء البولنديين وإعطائهم الفرصة للسيطرة على الموقف وإيجاد حل بولندى للأزمة . وأعلنت عن هذه المناورات بما فى ذلك تلك التى لم تحدث . كما أن هذه المناورات قد هدفت أيضا إلى إعداد القوات السوفيتية إذا إستلزم الأمر غزوا فعليا .

وقد جاء إندلاع الأزمة البولندية فى صيف ١٩٨٠ مفاجأة للقوات السوفيتية التى لم تكن مستعدة ويتضح ذلك من إرتباك المناورة الأولى التى قامت بها هذه القوات فى المانيا الشرقية قريبا من الحدود البولندية . ثم المناورة التى تلتها فى الجزء الغربى من الاتحاد السوفيتى والتى جاءت مشوشة وغير منظمة وأدت إلى فصل بعض

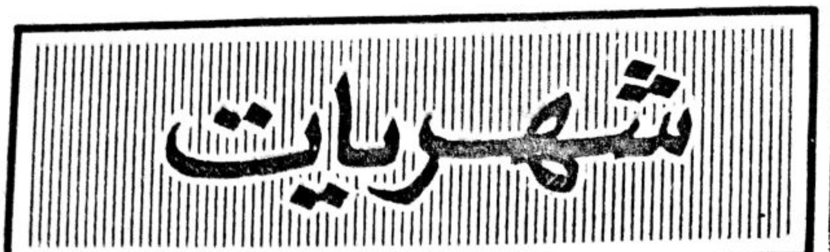
المسئولين العسكريين السوفيت . ولكن سرعان ما نظمت العملية ، وتمت سلسلة من المناورات الشاملة لزعزعة موقف التضامن وتدعيم مركز الزعماء البولنديين فى التفاوض معها . وكانت بعض ملامح هذه المناورات العسكرية توحى بأن الاتحاد السوفيتى يستعد مرة أخرى لغزو محتمل . وقد رصدت الولايات المتحدة هذه التحركات وحذرت السوفيت من التدخل عسكريا فى بولندا ، كما نبهت بولندا إلى هذه التحركات وأعلنتها على العالم أجمع ونجحت فى تركيز جميع الانظار عليها ، لذلك فشلت المفاجأة الاستراتيجية وقضى على العنصر الأساسى فى المفاجأة وهو الكتمان .

وفى ربيع ١٩٨١ أعد الاتحاد السوفيتى العدة للقيام بسلسلة أخرى من المناورات العسكرية داخل بولندا وعلى الحدود تحت قيادة القائد العام لحلف وارسو ، ثم تم تأجيلها قليلا لاعطاء الوقت الكافى للعناصر الموالية للسوفيت للتصرف وسحق التضامن . وقام المسئولون السوفييت فى وزارة الدفاع بحملات تفتيشية مكثفة على المناطق العسكرية على حدود بولندا « و رفعت ثلاث فرق طيران سوفيتية فى هذه المنطقة إستعداداتها إلى الدرجة القصوى . وتعمد السوفييت عدم تزويد القوات البولندية بالذخيرة والوقود وقطع الغيار تماما كما حدث فى تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان . وفى نفس الوقت قامت البحرية السوفيتية بأضخم مناورة عسكرية فى البلطيق منذ الحرب العالمية الثانية وقامت بعمليات إنزال على الساحل البولندى بقرب جمهورية ليتيوانيا السوفيتية . وقامت المخابرات البولندية بالاشتراك مع السياسيين الموالين للاتحاد السوفيتى وتحت إشراف السوفييت أنفسهم بعمليات إستفزاز سياسى متعمد وتشويش إعلامى ، وصورت بعض الأحداث التى وقعت خلال الأشهر الأخيرة كما لو كانت مدبرة لاثارة رد فعل سوفيتى رسمى : كما قلت من شأن أمور خطيرة مثل إضرابات الطلبة من أجل الافراج عن المسجونين السياسيين ، والمصادمات التى حدثت بين عسكريين ومدنيين وإنتحار بعض الوزراء البولنديين . وكل هذه الألاعيب قد مهدت الأرضية لقرار جاروزلسكى باعلان « حالة الحرب » وسحق التضامن فى ديسمبر ١٩٨١ .

يخلص إذن المقال إلى أن الخداع والمفاجأة الاستراتيجية قد أصبحتا ركنا أساسيا من أركان النظرية العسكرية السوفيتية بعد الحرب العالمية الثانية . وقد ساعد عصر الذرة على تطوير هذه النظرية وإضفاء مزيد من الأهمية على معنى الخداع والمفاجأة وجاء نجاح التدخل السوفيتى المباشر فى تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان والتدخل غير المباشر فى بولندا تعبيرا عن مهارة الزعماء العسكريين السوفييت فى إستخدام هذين العنصرين الأساسيين فى فنون الحرب .

إن الغرب لم يتنبه إلى الخداع الاستراتيجى السوفيتى فى حالتى تشيكوسلوفاكيا وأفغانستان ، ولكنه تعلم من أخطائه وإستطاع أن يعرقل غزو السوفييت لبولندا ، فى بداية الأزمة وجعل المفاجأة الاستراتيجية امرا صعبا بالنسبة لهم . ولكنه فشل فى توقع تدخل سوفييتى عن طريق وسيط ، خاصة بعد أن طالت فترة الأزمة وملها العالم الغربى وكف عن تتبع أخبارها والاهتمام بها ، فاقدم الاتحاد السوفييتى على مفاجآته بالتدخل فى ١٣ ديسمبر ١٩٨١ . ولكن هذه المرة بطريق غير مباشر . ومما لا شك فيه أن الاتحاد السوفييتى كان يعلم مسبقا بنية الجنرال جاروزلسكى المبيتة للاستيلاء على السلطة ، بل وليس مستبعدا أن يكون هو مدبر الحادث ، والدليل على ذلك التخطيط الرائع للانقلاب وتنفيذه . وقد كان توقيت الانقلاب مفاجأة تامة ليس فقط بالنسبة للتضامن وإنما أيضا بالنسبة للمخابرات الغربية . لقد وقع الانقلاب فجر يوم أحد وقبل الأعياد مباشرة ، أى فى وقت لا يوجد فيه عمال فى المصانع على الاطلاق ، والغرب كله مسترخى فى حالة إستعداد لاستقبال الأعياد . وهو مايدل على الخبرة الرائعة فى مجال الخداع الاستراتيجى . ولكن هذه المهارة تعود فى جزء كبير منها إلى أن الاتحاد السوفييت يستطيع أن يحتفظ بسرية خططه .

والواقع أن الاختبار الحقيقى لفعالية أساليب الخداع الاستراتيجى السوفييتى سيكون فقط فى حالة إندلاع صراع مع دول حلف الأطلنطى . ويقول الكاتب أن الغرب يجب أن يكف عن تضليل نفسه حول نوايا السوفييت وما يواكب هذا التضليل من إسترخاء وإفتقار إلى الارادة . ولو حدث ذلك لوجد الاتحاد السوفييتى المفاجأة الاستراتيجية صعبة إن لم تكن مستحيلة .





شهريات يونيو ١٩٨٢

الاتحاد السوفيتى :

٧ : أدان الاتحاد السوفيتى رسميا الغزو الاسرائيلى ضد لبنان وطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى اللبنانية .

٨ : حذر الاتحاد السوفيتى اسرائيل من انها قد تدفع ثمنا غاليا لغزوها الأراضى اللبنانية .

١٤ : طالب الاتحاد السوفيتى اسرائيل بسحب قواتها من لبنان وحذرها من الا تنسى أن منطقة الشرق الأوسط منطقة محاذية للحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى .

١٥ : تم تبادل الرسائل بين الرئيس السوفيتى بريجنيف والرئيس الأمريكى ريجان عبر الخط الساخن بشأن الموقف فى لبنان .

: اعلن أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتى أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ان الاتحاد السوفيتى يتعهد بأنه لن يكون البادىء باستخدام الأسلحة النووية .

: صرح ليونيد زاميا تين المتحدث باسم الرئيس السوفيتى بان الاتحاد السوفيتى مستعد لاجراء حوار مع واشنطن لوقف صراعات (هامشية) مثل الصراع فى لبنان وفوكلاند لتجنب مواجهة مع الولايات المتحدة .

: اعلن السفير السوفيتى فى بيروت أن عدة قطع بحرية سوفيتية بدأت تتحرك نحو الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط .

٢٤ : اطلقت سفينة الفضاء السوفيتية (سويوز ٦) تحمل طاقما سوفيتيا فرنسيا لأول مرة .

٢٦ : دعا الاتحاد السوفيتى الدول العربية الى توحيد جهودها للتصدى بقوة وحزم للعدوان الاسرائيلى فى لبنان .

الأرجنتين :

٢ : اعترفت الأرجنتين بصعوبة موقفها العسكرى فى فوكلاند .

٣ : اعلن الرئيس جالتيرى ان الارجنتين قد تطلب مساعدة سوفيتية فى الحرب ضد بريطانيا .

١٤ : اعلنت القيادة العسكرية الارجنتينية نبأ التوصل الى اتفاق لوقف اطلاق النار فى فوكلاند بين القوات الارجنتينية والبريطانية .

١٦ : اجتاحت المظاهرات بيونس ايرس تطالب بأسقاط نظام الحكم العسكرى فى اعقاب الاستسلام غير المشروط فى جزر فوكلاند .

١٧ : أصدرت السلطات قرارا يسمح للأحزاب السياسية بالعودة الى ممارسة نشاطها بعد توقف دام ست سنوات .

١٨ : نحى الجنرال جالتيرى من كافة مناصبه كرئيس للأرجنتين وقائد للقوات المسلحة وعضو للمجلس العسكرى الحاكم . وعين الجنرال الفريد وسان جان رئيسا مؤقتا للبلاد .

: طالبت الأرجنتين الأمم المتحدة بالتدخل للتوصل الى حل نهائى للنزاع حول جزر فوكلاند .

٢٢ : انهار الحكم العسكرى فى الأرجنتين وتولى الجيش السلطة واختير الجنرال المتقاعد رينالدو بيجنونى رئيسا للبلاد .

٢٤ : طالبت الأحزاب السياسية الحكومة الانتقالية بوضع برنامج مفصل لتطبيق الاصلاحات الدستورية والسياسية والاقتصادية خلال العاملين القادمين .

٢٨ : استبعد كوستامنديز من وزارة الخارجية وعين خوان امون خليفة له .

اسرائيل :

١ : أكد تقرير صدر عن بنك اسرائيل ان عدد الذين غادروا اسرائيل للهجرة منها خلال العام الماضى بلغ حوالى ضعف عدد المهاجرين اليها .

٣ : يعرض سفير اسرائيل فى لندن الى محاولة اغتيال اتهمت اسرائيل الفلسطينيين بتدبيرها .

٦ : قامت اسرائيل بعملية غزو شاملة برية وبحرية وجوية لجنوب لبنان تحت اسم (عملية السلام من أجل الجليل) .

٧ : أعلن متحدث باسم الجيش الاسرائيلى ان سياسة اسرائيل تقضى بعدم مهاجمة الجيش السورى فى لبنان الا اذا حاول التدخل .

٨ : أعلن مناحم بيجين رئيس الوزراء ان اسرائيل ستنسحب من لبنان عندما يتم القضاء على الارهاب وأبعاد الفلسطينيين المسلحين الى مسافة ٤٠ كيلو مترا داخل لبنان من حدود اسرائيل .

: رفض الكنيست بأغلبية (٩٤ صوتا ضد ٣) اقتراحا بسحب الثقة من الحكومة

١١ : اعلنت اسرائيل وقف اطلاق النار فى لبنان واكدت ان الاتفاق لا يشمل الفلسطينيين .

١٢ : قررت اسرائيل وقف قصف المواقع الفلسطينية حول بيروت .

: اصدرت القيادة العسكرية الاسرائيلية خريطة تبين سيطرة اسرائيل على ربع لبنان .

١٣ : حددت اسرائيل موقفها التفاوضى فيما يتعلق بلبنان ويقوم على اقامة منطقة عازلة تتراوح بين ٤٠و ٤٥ كيلو مترا شمالى بلدة المطلة الاسرائيلية وعدم السماح باعادة بناء قوة الفدائيين الفلسطينيين فى المناطق التى استولت عليها اسرائيل .

١٦ : أعلن بيجين التوصل الى قدر كبير من التفاهم مع الولايات المتحدة حول سبل انهاء الحرب فى لبنان .

١٧ : قررت اللجنة المركزية لحزب تيليم وقف نشاطه وانضم أحد نائبيه الى كتلة ليكود .

١٨ : القى بيجين خطابا امام الجمعية العامة للأمم المتحدة دعا فيه الدول العربية المجاورة لاسرائيل الى التفاوض المباشر لعقد اتفاقيات سلام مع اسرائيل .

: ابدى بيجين استعداد أسرائيل توقيع معاهدة تعلن الشرق الاوسط منطقة منزوعة السلاح النووى .

٢٠ : أعرب اسحاق شامير وزير الخارجية عن قلقه من بوادر دعم العلاقات بين القاهرة ومنظمة التحرير الفلسطينية .

٢٧ : أصدرت الحكومة الاسرائيلية قرارا فى شكل اقتراح يطالب جميع الفدائيين الفلسطينيين بالاستسلام وتسليم اسلحتهم للجيش اللبنانى ومغادرة بيروت وتأمين خروجهم الى سوريا ودخول الجيش اللبنانى الى بيروت الغربية .

٣٠ : هدد بيجين باستئناف القتال فى لبنان اذا لم يوافق المسلحون الفلسطينيون على الخروج من بيروت .

افغانستان :

١٧ : دعا البرلمان الاوربى الدول العشر الاعضاء الى وقف اعترافها بحكومة افغانستان والاعتراف بالمقاومة الافغانية كقوة تحرير وطنى مشروعة .

٢٨ : انسحبت القوات السوفيتية من المنطقة الاستراتيجية بوادى بانجشهر .

المانيا الغربية :

٣ : طالب جينشر وزير الخارجية اسحاق شامير وزير خارجية اسرائيل ببناء الثقة فى الشرق الاوسط لتدعيم اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية .

: اكد جينشر تأييده لحق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم دون ان يتم ذلك على حساب طرف آخر .

٩ : عقد وزراء خارجية المجموعة الاوربية اجتماعا طارئا فى بون ادانوا فيه الغزو الاسرائيلى للبنان وطالبوا اسرائيل بالانسحاب الفورى والالتزام بقرارات الأمم المتحدة .

١٠ : عقد مؤتمر قمة لدول حلف الاطلنطى فى بون .

١٤ : ١٦ : قام هوانج هوا وزير خارجية الصين بزيارة رسمية لبون .

١٥ : دعا المستشار هيلموت شميت كلا من واشنطن وموسكو الى التفاوض بصورة جادة حول خفض القوات الاستراتيجية .

٢١ : استنكرت حكومة بون القرار الامريكى بحظر بيع التكنولوجيا الامريكية للاتحاد السوفيتى .

٢٤ : اكد المستشار شميت تصميم المانيا الغربية وشركائها الاوربيين على تنفيذ عقد الغاز الطبيعى السوفيتى محذرا من ان المواجهة التجارية مع موسكو ستؤدى الى حرب باردة جديدة .

ايران :

٢ : هدد وزير خارجية ايران بنقل العمليات العسكرية الى العراق اذا ما تواصل قصفه للأراضى الايرانية من داخل حدوده .

: حذر وزير الخارجية الايرانى من انه اذا انعقد مؤتمر قمة عدم الانحياز فى بغداد فى سبتمبر القادم فانه لا يمكن ضمان سلامة المشتركين فيه .

٣ : قصفت ايران المنشآت البترولية العراقية فى منطقة فاو .

٤ : طالب الرئيس الايرانى على خامنئى بـ ١٥٠ مليار دولار تعويضا عن خسائر الحرب مع العراق ومحاكمة الرئيس العراقى صدام حسين وانسحاب القوات العراقية من الاراضى الايرانية واعادة العراقيين من اصل ايرانى الى العراق .

٨ : اعلنت ايران انها سترسل متطوعين للدفاع عن الجنوب اللبنانى .

١١ : طالبت ايران العراق بالموافقة على المرور عبر اراضيه للوحدات المدرعة الايرانية الى سوريا كشرط جديد لوقف اطلاق النار .

١٢ : رفضت ايران العرض العراقى بوقف اطلاق النار .

: قام عبد السلام جلود المسئول الثانى فى ليبيا بزيارة لطهران لاعطاء بعد اكثر اتساعا للدور الدولى للاسلام حسب تصريحاته .

١٨ : اعلن رئيس وزراء ايران انه تم بحث تكوين جيش ايرانى ليبى للقتال فى لبنان .

٢١ : أعلن الامام الخمينى ان ايران ستواصل حربها مع العراق الى ان تلبى بغداد جميع المطالب الايرانية بما فيها تعويضات الحرب .

٢٧ : ذكرت صحيفة اطلاعات الايرانية ان الحكومة احبطت مؤامرة جديدة لقلب نظام الحكم دبرها عدد من ضباط الجيش بزعامة الكولونيل ازار دهقان .

بلجيكا :

١٥ : قرر مجلس وزراء المجموعة الأوربية تأجيل توقيع البروتوكول المالى مع اسرائيل لغزوها لبنان .

٢٣ : أعلنت دول السوق الاوربية انها تدرس تقديم الحكومة الأمريكية لمحكمة دولية بسبب قرارها حظر بيع التكنولوجيا الامريكية للاتحاد السوفيتى .

٢٨ : ٢٩ : عقد اجتماع قمة لزعماء دول المجموعة الاوربية طالبوا فى نهايته بانسحاب اسرائيل من لبنان فورا وسحب القوات الفلسطينية

والاسرائيلية من بيروت ووجهوا انتقادات للحكومة الامريكية بسبب سياستها التجارية واتهموها بتعريض النظام التجاري الدولي لخطر كبير .

٣٠ : حذرت المجموعة الاوربية بصفة رسمية الولايات المتحدة من انها لن تقبل اية قرارات تجارية امريكية منفردة تضر بالمصالح الاوربية كما حذرت من ان التوترات مع واشنطن قد تؤدي الى اضطراب حلف الاطلنطي وتهديد السلام العالمي .

تشاد :

٣ : اعلن رسميا عن تشكيل وزارة جديدة برئاسة جيد بتجار تضم ١٦ وزيرا ٦ وزراء دولة .

٥ تفجرت انقسامات داخل الجيش التشادي احتجاجا على رئاسة عبد القادر كاموجي رئاسة مجلس الدولة التشادي .

٧ : استولت قوات حسين حبري على العاصمة التشادية انجامينا .

٨ : استولى حسين حبري على السلطة في تشاد .

١٠ : اعلن متحدث باسم منظمة الوحدة الافريقية ان قواتها في تشاد تستعد للرحيل بعد ان استتبت الأوضاع فيها .

٢٢ : تولى حسين حبري مهام الرئاسة في تشاد وشكل مجلسا للدولة ودعا القوات التابعة للتجمعات السياسية المختلفة الى العودة الى ثكناتهم .

٢٦ : اعلن اصيل احمد وزير الخارجية السابق استعداده للتفاوض لاجراء مصالحة وطنية مع الرئيس الجديد تحت اشراف منظمة الوحدة الافريقية .

تونس :

٢٦ : ٢٧ : عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعا لبحث الغزو الاسرائيلي للبنان اسفر عن تشكيل لجنة وزارية محددة لمتابعة الموقف والعمل على تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن الانسحاب الاسرائيلي من لبنان .

جمهورية مصر العربية :

١ : وجه الرئيسان المصري حسني مبارك والسوداني جعفر نميري نداءا من القاهرة الى كل شعوب العالم المتحاربة لوقف الصراعات والحروب الدموية .

٥ : اعلن الدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية ان مصر تبذل جهودا مخلصة لتحسين علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي من واقع انتمائها لحركة عدم الانحياز .

٦ : أدانت رئاسة الجمهورية غزو اسرائيل لجنوب لبنان وطالبت اسرائيل بوقف جميع الأعمال العسكرية والانسحاب فورا من الاراضي اللبنانية .

٧ : بعث الرئيس حسني مبارك برسائل عاجلة الى الرئيس الأمريكي وقادة العالم بشأن الوضع في لبنان كما ابلغت مصر واسرائيل قلقها وادانتها واحتجاجها على العدوان الاسرائيلي على لبنان .

: وصل الى القاهرة وزير خارجية المغرب وسلم رسالة الى الرئيس مبارك من الملك الحسن الثاني .

٨ : بعث الرئيس مبارك رسالة ثانية الى الرئيس الامريكي يطالبه ببذل كل جهد ممكن لوقف اطلاق النار في لبنان وانسحاب اسرائيل .

١٠ : بعث الرئيس مبارك رسالة ثالثة الى الرئيس الأمريكي محذرا من خطورة الغزو الاسرائيلي على الاستقرار في المنطقة .

: اعلنت مصر معارضتها لاية محاولة لتقسيم لبنان .

١٤ : سافر الرئيس مبارك الى الرياض لتقديم العزاء في وفاة الملك خالد .

: صرح وزير الدولة للشئون الخارجية بان مصر تجري اتصالات مع الفلسطينيين لمساعدتهم على التوصل لايقاف اطلاق النار في لبنان .

١٥ : اكدت مصر تأييدها للوفاق الوطني في لبنان بشرط عدم تدخل اسرائيل او السوريين .

١٧ : طالبت مصر الولايات المتحدة بالعمل على رفع الحصار الاسرائيلي عن بيروت .

٢١ : رحب الرئيس حسني مبارك باقامة حكومة فلسطينية مؤقتة في المنفى بالقاهرة ويقتصر نشاطها على العمل السياسي .

٢٦ : قال الرئيس حسني مبارك ان الفيتو الامريكي في مجلس الأمن ضد المشروع الفرنسي الخاص بلبنان اثار خيبة امل كبيرة .

٢٨ : كلف الرئيس مبارك وزير الدولة للشئون الخارجية بتسليم رسالة الى الرئيس الفرنسي تأكيدا للتنسيق بين مصر وفرنسا لمواجهة الأزمة اللبنانية .

: دعا الرئيس مبارك اوربا الى القيام بدور هام لتسوية الأزمة اللبنانية والمسألة الفلسطينية .

: حذر الرئيس مبارك من ارغام المقاومة الفلسطينية على الاستسلام .

٣٠ : عقد وزير الخارجية كمال حسن على اجتماعا مع اعضاء مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالقاهرة على ضوء الانذار الاسرائيلي بدخول بيروت .

دولة الامارات العربية المتحدة :

٧ : قررت دولة الامارات العربية المتحدة قطع علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع كوستاريكا لنقلها سفارتها في اسرائيل الى القدس .

السودان :

١ : دعا الرئيس جعفر نميري الى عقد مؤتمر قمة عربي في اسرع وقت ممكن تحضره مصر لوضع برنامج عملي عربي لانهاء الحرب العراقية الايرانية .

: اكد بيان سوداني اثيوبي مشترك التزام الدولتين باحترام كل دولة حدود الأخرى وعدم التدخل في شئونها .

١٢ : أمرت الحكومة السودانية اعضاء البعثة الدبلوماسية الايرانية بمغادرة البلاد واغلاق السفارة الايرانية في الخرطوم .

سوريا :

٨ : اعلنت سوريا ان قواتها البرية والجوية بدأت تتدخل في القتال في لبنان .

٩ : قصفت الطائرات الاسرائيلية العاصمة السورية واسفر القصف عن خسائر مادية وبشرية .

: استدعت سوريا الاحتياطي واغلقت اجواءها .

: أعلن وزير خارجية سوريا رفض حكومته للشروط الاسرائيلية للانسحاب من

لبنان ومن بينها الانسحاب الشامل للقوات السورية من لبنان .

١١ : وافقت سوريا على وقف اطلاق النار في لبنان بشرط تحقيق الانسحاب الاسرائيلي الشامل

١٥ : رفضت سوريا انذارا اسرائيليا باخلاء مدينة بيروت وما جاورها من القوات السورية .

١٩ : قررت الحكومة السورية تطوير معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي الى « تحالف استراتيجي » بين البلدين لخدمة القضايا العربية .

٢٠ : اعلنت سوريا عدم اعتراضها على مرابطة قوة متعددة الجنسيات في لبنان تشترك فيها وحدات سورية وأمريكية .

السويد :

٥ : اكدت دراسة لأكاديمية العلوم الملكية ان اندلاع حرب نووية في الثمانينات سوف يؤدي الى مصرع ٧٥٠ مليون شخص على الأقل واصابة ٣٥٠ مليونا أخرين .

سويسرا :

٢٩ : بدأت في جنيف مفاوضات (ستارت) بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لأحتواء تهديدات الخطر النووي .

الصومال :

١٢ : اعتقلت السلطات سبعة من كبار المسئولين السياسيين والعسكريين لتورطهم في محاولة لقلب نظام الحكم بالتواطؤ مع دولة أجنبية .

٢٢ : أعلنت الصومال استعدادها لاجراء حوار بناء مع أثيوبيا لحل مشاكل القرن الافريقي .

الصين :

١ : اعرب تنغ هسياوبنغ نائب رئيس الحزب الشيوعي عن أمله في لقاء الرئيس الامريكي ريجان لبحث سبل تدعيم التعاون الشامل بين بيكين وواشنطن وتسوية الخلافات بينهما بشأن تايوان .

١١ : اتهمت الصين اسرائيل باستخدام منطق العصابات في تبرير غزوها للبنان .

١٢ : اعرب وزير خارجية الصين عن استعداد بلاده للانضمام الى الدول النووية الأخرى لوقف تطوير الاسلحة النووية اذا وضعت واشنطن وموسكو حدا لسباقهما النووي .

العراق :

١٠ : كرر العراق عرضه بوقف جميع الاعمال العسكرية مع ايران اذا ما وافقت على وقف اطلاق النار .

٢٠ : اعلن الرئيس صدام حسين ان القوات العراقية بدأت في الانسحاب من جميع الاراضي الايرانية المحتلة الى الحدود الدولية بين البلدين .

٢٧ : قرر المؤتمر القومي التاسع لحزب البعث بالاجماع اعادة انتخاب الرئيس صدام حسين امينا عاما للحزب .

٢٨ : اعيد تشكيل مجلس قيادة الثورة العراقي واقصى نصف اعضائه من مناصبهم في حزب البعث .

٢٩ : أتمت القوات العراقية انسحابها من جميع المدن والاراضي الايرانية وانتشرت على طول الحدود العراقية في حالة تأهب .

٣٠ : طالب العراق بتمركز قوة لحفظ السلام تابعة للأمم المتحدة أو حركة عدم الانحياز او الدول الإسلامية على الحدود الفاصلة بين القوات العراقية والايرانية .

فرنسا :

٥ - ٦ : عقد في فرساي مؤتمر قمة للدول الصناعية الكبرى في التحالف الغربي لبحث المشاكل الاقتصادية والنقدية التي تواجهها الولايات المتحدة واوربا وقضايا الصراع الدولي الساخنة .

٩ : حذر الرئيس فرانسوا ميتران بريطانيا من تحويل حرب فوكلاند الى حرب ثأرية .

: أدان الرئيس ميتران العدوان الاسرائيلي على لبنان .

١٠ : اعترفت فرنسا بالوضع الجديد في تشاد .

١٢ : ناشد وزير الخارجية الفرنسي واشنطن وموسكو خلق جو ثقة بينهما يؤدي الى تخفيض حقيقي للاسلحة النووية الاستراتيجية .

١٥ : حذر الرئيس ميتران من مخاطر حرب اقتصادية ضد الاتحاد السوفيتي على نحو ما تريده الحكومة الأمريكية .

٢٤ : اعلن الرئيس ميتران مبادرة من اربع نقاط لأنقاذ الموقف في لبنان .

فلسطين :

٦ : قرر مجلس منظمة التحرير الفلسطينية وقف قصف المستعمرات الاسرائيلية عبر اراضي لبنان تنفيذا لقرار مجلس الأمن .

٧ : اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بسقوط مدينة النبطية بعد معارك مع الاسرائيليين .

٨ : اعلن رئيس البعثة الفلسطينية في موسكو ان الاتحاد السوفيتي مستمر في مساعداته العسكرية للفلسطينيين .

١٢ : ابلغ السيد ياسر عرفات السكرتير العام للأمم المتحدة موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على وقف اطلاق النار في لبنان .

١٦ : اتهم ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في الصين سوريا بالخيانة .

: أعلن ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة ان الغزو الاسرائيلي للبنان اسفر عن مقتل ٣٠ الف فلسطيني واصابة ٣٠ الفا آخرين .

١٧ : أكدت منظمة التحرير الفلسطينية اصرار المقاومة على الاحتفاظ بسلاحها .

٢١ : اعلن رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ان المنظمة لا تبحث حاليا اقتراح تشكيل حكومة فلسطينية في المنفى .

قطر :

٢٦ : قررت قطر وزامبيا اقامة علاقات دبلوماسية بينهما على مستوى السفراء .

كمبوديا :

٢٢ : وقعت حركات المقاومة الكمبودية الثلاث المعارضة للاحتلال الفيتنامي لكمبوديا على اتفاق تكوين حكومة ائتلافية .

كوبا :

١ - ٦ : عقد في هافانا مؤتمرا لوزراء خارجية الدول غير المنحازة . اكد

المؤتمر ضرورة حل نزاع الشرق الاوسط وان منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى . كما أصدر اعلانا سياسيا تضمن عدة توصيات حول نزاع فوكلاند والموقف فى أمريكا اللاتينية والمشكلات الأفريقية والآسيوية

الكويت :

٦ : اعلن سفير الكويت فى واشنطن ان الولايات المتحدة اعطت تأكيدات قاطعة لدول الخليج بأنها لن تسمح لايران بعبور الحدود العراقية أو دخول اية دولة خليجية أخرى .

٨ : اقترحت الكويت عقد اجتماع عاجل لوزراء الخارجية العرب لبحث الأزمة اللبنانية .

١٦ : اقر مجلس الأمة الكويتى تقديم الدعم المادى لدول المواجهة وتشمل الاردن وسوريا .

لبنان :

٤ :٥ : قامت الطائرات الاسرائيلية بغارات جوية كثيفة على بيروت المواقع الفلسطينية فى لبنان

٦ : قامت اسرائيل بغزو شامل لجنوب لبنان برا وبحرا وجوا .

٩ : وصلت قوات الغزو الاسرائيلى الى مشارف بيروت ودمرت قواعد الصواريخ السورية فى سهل البقاع شرقى لبنان

١٠ : طالبت اسرائيل القوات السورية بالانسحاب من بيروت .

١١ اعلنت قيادة الحركة الوطنية اللبنانية الفلسطينية التزامها بوقف اطلاق النار

١٤ : حاصرت القوات الاسرائيلية المعاقل الفلسطينية غربى بيروت برا وبحرا وجوا .

: شكل الرئيس الياس سركيس لجنة للخلاص الوطنى .

١٦ : انضمت رسميا مليشيات حزب الكتائب اليمينى اللبنانى الى القوات الاسرائيلية فى ضرب معاقل المقاومة الفلسطينية فى غرب بيروت .

١٨ : وافق مجلس الأمن الدولى على تجديد عمل قوات الطوارىء الدولية فى لبنان لمدة ٦٠

٢٢ : ابلغت لبنان رسميا الجامعة العربية والأمم المتحدة انها لن تجدد فترة عمل قوات الردع العربية فى لبنان .

٢٣ : اجرى رئيس وفد لبنان فى الأمم المتحدة اتصالا رسميا مع رئيس وفد مصر لمناقشة الوضع فى لبنان

٢٤ : طالب مندوب لبنان فى الأمم المتحدة بانسحاب القوات الاسرائيلية وقوات المقاومة الفلسطينية وقوات الردع السورية من لبنان .

٢٥ : قدم شفيق الوزان رئيس الوزراء استقالة حكومته الى الرئيس الياس سركيس .

٢٧ : أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا بأغلبية ١٢٧ صوتا ومعارضة الولايات المتحدة واسرائيل وحدهما وعدم امتناع اية دولة عن التصويت بشأن لبنان ويقضى بانسحاب القوات الاسرائيلية فورا من لبنان .

ليبيا :

١٥ : اكد العقيد معمر القذافى عدم امكانية قيام ليبيا بعمل عسكرى فى الجبهة الشمالية (لبنان) لأسباب جغرافية .

: دعت ليبيا الى عقد قمة عربية عاجلة لاتخاذ اجراءات لارغام اسرائيل على الانسحاب من لبنان وممارسة ضغوط على الولايات المتحدة .

١٦ : اكد العقيد معمر القذافى ان ليبيا لا يمكنها ان تقف مكتوفة الأيدى امام ما يجرى فى تشاد أو تحول تشاد الى قاعدة عدوان ضد ليبيا

١٨ : هددت ليبيا بقطع علاقاتها بالدول العربية الأخرى اذا لم تعلن هذه الدول عن موافقتها على عقد مؤتمر قمة لبحث الازمة اللبنانية .

: اكد الرائد عبد السلام جلود التحالف الاستراتيجى بين ثورة الفاتح والثورة الاسلامية فى ايران .

٢٧ : أوضح الرئيس القذافى لسفراء الدول الشرقية فى طرابلس ان الصداقة بين القوى التقدمية العربية وبين مجموعة الدول الاشتراكية تمر بخطر مماثل للخطر المحدق بالمقاومة الفلسطينية فى لبنان .

المملكة الاردنية الهاشمية :

٨ سمحت الحكومة الاردنية لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى عمان بتولى تجنيد المتطوعين للانضمام للقوات الفلسطينية فى لبنان

١٨ اكد الملك حسين والرئيس الرومانى شاوشيسكو ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان والحاجة الملحة لايجاد تسوية للمشكلة الفلسطينية .

٢٨:٢٣ قام الملك حسين بزيارة للاتحاد السوفيتى بحث خلالها الحصول على اسلحة لدعم القوات الجوية الاردنية والوضع فى لبنان والشرق الاوسط والتعاون الثنائى

المملكة العربية السعودية :

٥ : اكد وزير الدفاع السعودى انه من الصعب قبول هزيمة العراق لان ذلك معناه تحول ميزان القوى فى المنطقة كما انه من الصعب قبول هزيمة ايران

٨ : ناشد الملك خالد الأمة الاسلامية لتوحيد صفوفها لمواجهة العدوان الصهيونى .

١٣ توفى الملك خالد بن عبد العزيز وبويع فهد بن عبد العزيز ملكا للسعودية والأمير عبد الله بن عبد العزيز وليا للعهد .

١٤ : اكد الملك فهد بن عبد العزيز للسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ان السعودية تستخدم كل ما فى حوزتها لاجبار اسرائيل على سحب قواتها من لبنان

المملكة المتحدة :

١ . حاصرت القوات البريطانية مدينة بورت ستانلى عاصمة جزر فوكلاند

٧ : اكد دوجلاس هيرد وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية ان أمن اسرائيل لن يتحقق باحتلال اراضى الدول الأخرى ولكن بالطرق السياسية .

٩ : ادانت رئيسة الوزراء البريطانية الغزو الاسرائيلى للبنان .

١٢ : اكد فرانسيس بيم وزير الخارجية أن منح الشعب الفلسطينى حق تقرير المصير هو مفتاح الحل لأزمة الشرق الاوسط .

١٥ : أعلن ناطق رسمى بريطانى ان ما

يزيد على ١٤،٨٠٠ جندى ارجنتينى فى جزر فوكلاند قد استسلموا كأسرى حرب للقوات البريطانية بعد اتفاقية وقف اطلاق النار .

١٦ : اكدت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء ان السيادة على جزر فوكلاند لن تكون مجالا للتفاوض .

النمسا :

١٥ : وصف المستشار برونوكرايسكى حكومة مناحم بيجين الاسرائيلية بأنها شبه فاشية ووصف غزو اسرائيل للبنان بأنه كارثة .

الولايات المتحدة الامريكية :

٢ : اكد الرئيس رونالد ريجان ضرورة حل النزاع العربى الاسرائيلى طبقا لمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية .

٣ :١١ : قام الرئيس ريجان بجولة اوربية شملت بريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية .

٤ : كشف استطلاع للرأى عن استمرار انخفاض شعبية الرئيس ريجان

٥ : استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو فى مجلس الامن ضد قرار يدعو الى وقف اطلاق النار بين بريطانيا والارجنتين ثم عدلت موقفها الى الامتناع عن التصويت .

٧ : اكدت الخارجية الامريكية تصميم واشنطن على عدم تقسيم لبنان ودعت اسرائيل الى سحب قواتها من لبنان والفلسطينيين الى الكف عن مهاجمة اسرائيل من لبنان .

٨ : القى الرئيس ريجان كلمة امام البرلمان البريطانى اقترح فيها شن حملة دولية من اجل الديمقراطية لوضع الماركسية واللينينية على كومة رماد التاريخ .

: قررت مجموعة عمل امريكية برئاسة نائب الرئيس استبعاد فرض عقوبات ضد اسرائيل .

٩ : استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد مشروع قرار اسبانى بادانه الغزو الاسرائيلى للبنان .

١٣ : صرح الكسندر هيج وزير الخارجية بان الولايات المتحدة لا تطالب اسرائيل بانسحاب فورى من لبنان وان اى انسحاب يجب ان يتضمن جميع العناصر الاجنبية فى لبنان .

١٨ : اعلن الرئيس ريجان توسيع نطاق الحظر المفروض على تزويد الاتحاد السوفيتى بمعدات خط نقل انابيب الغاز السوفيتى الى اوربا الغربية .

٢١ : اجتمع الرئيس ريجان برئيس وزراء اسرائيل فى واشنطن . اكد ريجان ان الولايات المتحدة واسرائيل ستسعيان لوضع نهاية للعنف فى لبنان وسحب جميع القوات الاجنبية منها .

٢٥ : قدم الكسندر هيج وزير الخارجية الامريكى استقالته وعين جورج شولتز خلفا له .

: استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قرار فرنسى فى مجلس الامن بشأن لبنان .

٢٩ : صرح المتحدث باسم الخارجية الامريكية ان واشنطن على اتصال بالرئيس المصرى حسنى مبارك بالنسبة لتطورات الوضع فى لبنان والشرق الاوسط بما يوجد من تفاهم بين البلدين .

اليابان :

٨ : ابلغت اليابان سفير اسرائيل فى طوكيو بأنها ستفرض عقوبات ضد اسرائيل اذا لم تمتثل لقرارات مجلس الامن بشأن الغزو الاسرائيلى للبنان .

١٢ : دعا رئيس وزراء اليابان الى ضرورة حظر انتاج وتخزين الاسلحة الكيمائية واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من نقل الاسلحة التقليدية .

٢١ : اعلن مسئول يابانى بان حكومته ستقدم احتجاجا للحكومة الامريكية على قرارها حظر بيع التكنولوجيا الامريكية للاتحاد السوفيتى .

اليمن الجنوبى :

٥ : الغى اجتماع كان مقررا عقده فى الكويت مع ممثلى سلطنة عمان لتطبيع العلاقات بين عدن ومسقط بسبب خفض مستوى التمثيل الرسمى العمانى .

٧ : بحث وكيل الخارجية الايرانية مع الزعماء فى عدن اوجه التنسيق بين مجموعة الدول التقدمية ضد مخاطر الامبريالية والصهيونية والرجعية فى المنطقة .

٩:٨ : قام وزير الداخلية السعودى بزيارة لعدن فى اطار المشاورات بين البلدين لارساء قواعد الامن والاستقرار والعلاقات الثنائية بين البلدين .

٩ : ابلغت اليمن الجنوبية الكويت استعدادها للاستجابة لجهود الوساطة من الكويت ودولة الامارات العربية لتسوية الخلافات بين عدن ومسقط .

اليمن الشمالى :

٨ : أصدر الرئيس على عبد الله صالح توجيهات بتسهيل ترحيل متطوعين يمنيين الى لبنان للمشاركة فى مواجهة العدوان الاسرائيلى .

يوجوسلافيا :

٢٩:٢٥ : عقدت أعمال المؤتمر الثانى عشر لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف الذى انتخب اللجنة المركزية الجديدة (١٦٣ عضوا) .

: اكدت قرارات المؤتمر انتهاج يوجوسلافيا سياسة نشطة على الصعيد الدولى وعزمها على توطيد استقلالها المبنى على سياسة عدم الانحياز والتعايش السلمى .

: اصدر المؤتمر بيانا خاصا ادان فيه الغزو الاسرائيلى للبنان وطالب بحل القضية الفلسطينية حلا عادلا .

اليونان :

٦ : ادانت حكومة اليونان الاعتداء الاسرائيلى على لبنان .

٧ : طلبت اليونان عقد اجتماع طارىء لوزراء خارجية المجموعة الاوربية لمناقشة الوضع فى الشرق الاوسط على ضوء الغزو الاسرائيلى للبنان .

١٢ : اكد اندرياس باباندريو رئيس الوزراء ان تركيا قد تعهدت امام دول حلف الاطلنطى بتحسين علاقاتها مع اليونان .

شهريات يوليو ١٩٨٢

الاتحاد السوفيتي :

٦ : ابلغ الاتحاد السوفيتي منظمة التحرير الفلسطينية انه ليس على استعداد لتغيير سياسته في الشرق الاوسط او اظهار قوته في المنطقة ورفض طلب المنظمة الحصول على مساعدات عسكرية .

٨ : ناشد الرئيس ليونيد بريجنيف الرئيس الامريكي ريجان بذل قصارى جهده لوقف اراقة الدماء في لبنان وحذره من ارسال قوات امريكية الى لبنان .

١٠ : حذر الاتحاد السوفيتي فرنسا من الاشتراك في قوة دولية ترابط في لبنان يدافع من واشنطن .

١٢ : اتهم وزير الدفاع السوفيتي واشنطن بعرقلة محادثات جنيف للحد من الاسلحة النووية

١٦ : اتهمت صحيفة برافدا ادارة الرئيس الامريكي ريجان بالسعي لتدمير سياسة الوفاق الدولي وزيادة مخاطر احتمال نشوب الحرب وتصاعد سباق التسلح بين الشرق والغرب

٣٠ : نشر الاتحاد السوفيتي مشروعاً من خمس نقاط لحل الازمة اللبنانية من بينها عقد مؤتمر دولي تشترك فيه منظمة التحرير الفلسطينية لحل مشكلة الشرق الأوسط ونداء الى الامة العربية لتوحيد صفوفها وعودة تضامنها

الارجنتين :

٢ : جدد الرئيس رينالدو بينيونتي اصرار حكومة الارجنتين على حقوق سيادتها في جزر فوكلاند .

: اكد الرئيس الارجنتيني عزم حكومته على تهيئة الارجنتين للدخول في ظل الحكم المدني اعتبارا من مارس ١٩٨٤ والمضي قدما في تطبيق الاصلاحات الدستورية والاقتصادية في البلاد .

١٢ : اكد وزير الخارجية الارجنتيني أن حكومته لم توافق على وقف القتال مع بريطانيا في جنوب الاطلنطي .

اسبانيا :

٢ : وقعت اسبانيا والولايات المتحدة اتفاقاً للصداقة والتعاون العسكري بعد قبول اسبانيا عضوا بالحلف الاطلنطي يتيح لواشنطن مواصلة استخدام قواعدها العسكرية باسبانيا مقابل مساعدة اسبانيا في تحديث امكانياتها العسكرية .

اسرائيل :

٢ : اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي ان اسرائيل لاتعتزم الاحتفاظ بشبر واحد من الاراضي اللبنانية وتأمل في عقد اتفاق سلام مع حكومة لبنانية وانها تؤمن بالتعايش السلمي مع الشعب الفلسطيني ولكنها لاتقبل اي وجود عسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية

٤ : رفض مجلس الوزراء الاسرائيلي ابقاء اي وجود سياسي او عسكري او تنظيمي فلسطيني في لبنان بينما احكمت القوات الاسرائيلية حصارها حول بيروت الغربية .

٦ : اتهم مجلس الكنائس العالمي اسرائيل بانتهاك روح اتفاقيات جنيف في لبنان .

١٧ : اقترح مناحيم بيجين رئيس الوزراء على ملك الاردن حسين توقيع معاهدة سلام وانشاء اتحاد كونفيدرالي بين اسرائيل والاردن

٢٤ : اعلن ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي ان بيجين لا يمثل الشعب اليهودي ووصف نظام حكمه بانه حلقة مأساوية في تاريخ الشعب اليهودي .

٢٦ : وصف المتحدث باسم الخارجية الاسرائيلية الوثيقة التي وقعها ياسر عرفات بالاعتراف بقرارات الامم المتحدة بشأن الشرق الاوسط بانها حيلة دعائية ذكية .

المانيا الغربية :

١٣ ، ١٥ : قام وزير الخارجية جينشر بزيارة للاردن ومصر واعلن تأييد حكومته لسياسة السلام المصرية وحق تقرير المصير للفلسطينيين .

٢٩ : اعلن المستشار هيلموت شميث تحدي الدول الغربية رسميا لاجراءات الحظر الامريكية على مبيعات التكنولوجيا للاتحاد السوفيتي

اوغندا :

٧ : اتهمت الحكومة الاوغندية النظام الليبي بتقديم الدعم المباشر للعناصر المناهضة لنظام الرئيس الاوغندي ملتون اوبوتي .

ايران :

٧ : حذر وزير الدفاع الايراني من ان الاندفاع الى الاراضي العراقية اصبح امرا حتميا .

١٣ : رفضت ايران رسميا نداء من مجلس الامن الدولي الى العراق وايران بوقف كافة العمليات العسكرية بينهما والانسحاب الى الحدود الدولية .

١٤ : اعلنت ايران ان قواتها توغلت مسافة ٢٠ كيلو مترا داخل العمق العراقي في عملية اطلقت عليها رمضان بهدف تحرير العراق من نظام الرئيس صدام حسين

١٧ : اعلن رئيس الوزراء ان القوات الايرانية سوف تتقدم الى ابعد مدى ضروري داخل العراق لاقامة خط دفاعي قوي يضمن وحدة الاراضي الايرانية .

٢٤ : رحبت ايران بالوساطة الجزائرية لانهاء الحرب مع العراق في اطار تحقيق الشروط الايرانية

٢٦ : اعلن الامام الخميني ان غزو القوات الايرانية للعراق لا يستهدف التوسع وانما هو عمل من اعمال الدفاع عن الاسلام .

٢٨ : حذر رئيس البولمان الايراني من ان ايران ستستولي على بغداد اذا لم تنفذ مطالبها لوضع حد للحرب بينهما

بلجيكا :

١٩ : ندد وزراء خارجية المجموعة الأوروبية بالغزو الاسرائيلي للبنان ودعوا الى تحقيق السلام في المنطقة

٢٥ : قررت المجموعة الاوروبية مواصلة جهودها لتسوية النزاع التجاري مع الولايات المتحدة بالتفاوض .

بولندا :

١٠ : رفعت بولندا التمثيل الدائم لمنظمة التحرير الفلسطينية في وارسو الى درجة التمثيل الدبلوماسي الرسمي

٢١ : اعلن الجنرال ياروزيلسكى اطلاق سراح ١٢٢٧ معتقلاً سياسيا وحدد نهاية العام الحالي موعدا لرفع العمل بالأحكام العرفية .

عين ستيفان اولسوفسكى وزيرا للخارجية خلفا لجوزيف تشيريك .

بوليفيا :

١٧ قدم الجنرال سيلسوتوريليو رئيس بوليفيا استقالته من منصبه .

٢٠ اعلن المجلس العسكرى الحاكم فى بوليفيا اختيار الجنرال جيدوفيلدوسو رئيس اركان الجيش رئيسا للدولة

جمهورية مصر العربية :

١ جرت مشاورات مصرية امريكية بالقاهرة حول الاطار العام لحل الازمة اللبنانية بينما جرت مشاورات مصرية فرنسية بريطانية فى باريس حول نفس القضية .

٢ ابلغت مصر وفرنسا مجلس الامن الدولى بمبادرة مشتركة حول الوضع فى الشرق الاوسط

٣ عقد اجتماع مصرى فلسطينى فى القاهرة لبحث المشروع المصرى الفرنسى .

٥ اعلن الرئيس حسنى مبارك قبوله لدعوة الرئيس العراقى صدام حسين لحضور مؤتمر قمة دول عدم الانحياز ببغداد فى سبتمبر

١٠ اعلنت مصر رفضها لاقامة وطن فلسطينى بالاردن

١٤ اهابت مصر بالعراق وايران التوقف عن العمليات الحربية وانتهاج الحوار لحل خلافاتهما

ناشدت مصر اثيوبيا وقف عملياتها العسكرية فى الصومال

١٥ وجه الرئيس مبارك نداء الى القادة العرب يدعوهم الى الاجتماع لتدارس الموقف فى المنطقة

٢٤ اكدت مصر ان خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت مرتبط بالحل الشامل للقضية الفلسطينية

٢٦ اعلن الرئيس حسنى مبارك فى احتفالات ثورة ٢٣ يوليو بانه لاخلاف بين جيل ٢٣ يوليو وجيل ١٥ مايو وجيل ٦ اكتوبر

٢٨ طالب الرئيس حسنى مبارك الرئيس الامريكى ريجان باعادة تقييم السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط لتحقيق السلام العادل فى المنطقة

٣١ اكدت مصر ضرورة بدء حوار امريكى فلسطينى لحل القضية الفلسطينية

دولة الامارات العربية المتحدة :

٦ دعا المجلس الوطنى الاتحادى الى عقد مؤتمر قمة عربى لبحث فرض عقوبات اقتصادية وسياسية ضد الولايات المتحدة والدول المساندة لاسرائيل

دعا المجلس الولايات المتحدة الى اعادة تقييم سياستها فى الشرق الاوسط .

الدومنيكان :

٤ لقى رئيس الجمهورية انطونيو جوزمان مصرعه فى حادث غامض وتولى نائبه جاكوبوا ماجلوت منصب الرئيس المؤقت للبلاد

سرى لانكا :

٣١ اعلنت حالة الطوارىء فى جميع انحاء البلاد بعد احداث العنف الطائفية بين الطائفتين الاسلامية والسنهالية .

السلفادور :

١٣ اعلنت لجنة حقوق الانسان بالسلفادور ان ٢٤٤٤ شخصا مدنيا قد اغتيلوا فى السلفادور فى الفترة من يناير الى مايو من العام الحالى كما اختفى ٤٤٨ اخرون

٢٨ تم تحديد حالة الطوارىء فى البلاد لمدة شهر اخر بسبب تصاعد انشطة الثوار المسلحة ضد نظام الحكم الحالى

السودان :

١ اجريت تغييرات واسعة فى المسئولين عن المحافظات والاقاليم السودانية شملت ٤٤ وزيرا اقليميا وثمانى محافظين ونائب رئيس المجلس التنفيذى العالى بالاقليم الجنوبى ونواب حكام الاقاليم الخمسة

٣ عين الرئيس جعفر النميرى جوزيف لاجو نائبا للرئيس بدلا من ابل الير الذى اقيل من منصبه

٢٦ اعرب الرئيس جعفر النميرى عن استعداد السودان لاستقبال المقاتلين الفلسطينيين المحاصرين فى بيروت الغربية

سوريا :

٩ اعلنت سوريا رفضها لاستقبال قوات المقاومة الفلسطينية فى اطار اية تسوية للازمة اللبنانية

١٩ اعلن الرئيس حافظ الاسد ان القوات السورية لم تدخل لبنان لتحارب اسرائيل من هناك وانما لايقاف حرب اهلية لها امتدادات دولية وخارجية على ارض لبنان

٢٤ حذرت سوريا اسرائيل من انها ستواجه بضربات قوية ومفاجئة من جانب سوريا ردا على اى خرق مفاجىء لوقف اطلاق النار معها

اسقطت البطاريات السورية فى سهل البقاع اللبنانى طائرة فانتوم اسرائيلية

الصومال :

٧ تعرض الصومال لغزو اثيوبى بالمدرعات والطائرات

٢ اعلن الصومال ان القوات الاثيوبية توغلت داخل اراضيه عبر اقليم اوجادين .

١٣ طلبت الصومال مساعدات عسكرية واقتصادية من الولايات المتحدة لصد الهجمات الاثيوبية

١٤ اكد سفير الصومال فى كينيا ان الاتحاد السوفيتى شجع اثيوبيا على غزو الصومال وان ليبيا تتكفل بنفقات هذا الغزو كما اشترك فيه جنود ومعدات كوبية

٢٢ اعلن الرئيس سياد برى ان العدوان الاثيوبى يستهدف الاستيلاء على الصومال

٣١ حذر رئيس اركان الجيش الصومالى من هزيمة بلاده اذا شنت اثيوبيا هجوما شاملا فى الوقت الذى حققت فيه اثيوبيا السيادة الجوية وتوغلت قواتها مسافة ٣٠ كيلو مترا فى جبهة عرضها ٤٠٠ كيلو مترا داخل الصومال

العراق :

١٣ نفذت العراق اعلانها الخاص بالانسحاب الكامل لقواتها من الاراضى الايرانية وطالبت ايران بالاستجابة للجهود الدولية لوقف اطلاق النار

اعلن الرئيس صدام حسين انه سيطبق العفو الشامل على المتمردين الاكراد الذين حملوا السلاح ضد السلطات المركزية كما تعهد بتوسيع صلاحيات الحكم الذاتى لاقليمهم

١٤ تعرضت الاراضى العراقية لعملية غزو ايرانية توغلت حتى مسافة عشرة كيلو مترات فى قطاع البصرة

١٥ اعلن العراق نجاحه فى تطهير اراضيه تماما من قوات الغزو الايرانية وانتقاله الى مرحلة الهجوم المضاد

١٧ اتهم الرئيس صدام حسين ايران بانها طرف فى مؤامرة تشترك فيها اسرائيل ضد الامة العربية ودعا الى اعادة بناء اسس التضامن العربى

١٨ اعلنت القيادة العليا للجيش العراقى ان قواتها اجهزت نهائيا على قوات الغزو الايرانى وتواصل تطهير جيوب المقاومة واعترفت بان القتال يجرى داخل الاراضى العراقية

٢٥ اعلنت العراق قبولها للوساطة الجزائرية لانهاء الحرب مع ايران

٢٩ اقترح الرئيس صدام حسين عقد هدنة مع ايران اثناء انعقاد مؤتمر قمة الدول غير المنحازة فى بغداد فى سبتمبر القادم

٣١ اعلنت العراق ان قواتها نجحت فى احتواء

الهجوم الايراني الخامس على الاراضي العراقية شرقي البصرة .

فرنسا :

٥ اعلن وزير الدفاع الفرنسي ان دخول اسبانيا حلف الاطلنطي سيحدث مشاكل متعددة لفرنسا والبرتغال .

١٠ اعلنت فرنسا موافقتها على الاشتراك في قوة لحفظ السلام في لبنان بناء على طلبه

١٥ استقبل الرئيس ميتران وفدا عربيا يضم رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية واكد متحدث بلسان قصر الرئاسة ان هذا لا يعني تغيرا في سياسة فرنسا ازاء المنظمة

١٦ كذبت فرنسا رسميا اتهامات امريكية لها بتوقيع بروتوكول اتفاق سري يتيح للسوفيت الحصول على قروض ميسرة .

١٩ رحبت فرنسا وايدت دعوة الرئيس المصري لعقد قمة عربية لاتخاذ موقف عربي موحد

٢٣ اعلن وزير الخارجية الفرنسية ان العلاقات الفرنسية الامريكية تتجه الى حدود القضية شبه الكاملة .

قررت فرنسا المضي قدما في اتمام صفقة خطوط الغاز السوفيتي الطبيعي بين سيبيريا واوروبا الغربية

٢٦ رحبت الخارجية الفرنسية بالوثيقة الفلسطينية بالاعتراف بقرارات الامم المتحدة بشأن الشرق الاوسط .

فلسطين :

٤ رحب رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالجهود المصرية لفك الحصار عن بيروت وانهاء الاحتلال الاسرائيلي للبنان .

٧ رفضت منظمة التحرير الاقتراح الامريكي باجلاء المقاومة عن بيروت تحت اشراف الاسطول السادس الامريكي .

اكد السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية امكانية التعايش بين دولة اسرائيلية واخرى فلسطينية ونفى اعلان المنظمة عن رغبتها في ابادة اسرائيل .

١٢ ناشد ياسر عرفات الدول العربية ارسال قوات للقتال الى جانب الفلسطينيين في لبنان .

١٤ طالب ياسر عرفات باجراء مفاوضات مباشرة بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية لتسوية الازمة في لبنان .

١٥ امتدح رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير موقف الرئيس الفرنسي ميتران من قضية حقوق الشعب الفلسطيني .

٢٣ لقى فاضل العناني مساعد ممثل منظمة التحرير في باريس مصرعه في حادث اغتيال .

٢٤ بلغ عدد الدول التي اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية ١١٧ دولة .

٢٥ وقع السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وثيقة يعترف فيها بجميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية والشرق الاوسط .

٢٧ انتقدت منظمة التحرير الفلسطينية الحكومة الليبية لعدم اسهامها بشيء في المواجهة مع اسرائيل في لبنان .

٣٠ وافقت منظمة التحرير الفلسطينية على جدول زمني للانسحاب من بيروت مقابل رفع الحصار الاسرائيلي عن المدينة .

٣١ اعرب هاني الحسن المستشار السياسي لرئيس المنظمة الفلسطينية عن اسفه لموقف الاتحاد السوفيتي من الازمة اللبنانية

فيتنام :

٧ اعلن وزراء خارجية فيتنام ولاوس وكمبوديا في هانوي عن بدء عملية انسحاب جزئي للقوات الفيتنامية من كمبوديا للحد من التوترات في المنطقة

قبرص :

١٥ ١٧ عقد في نيقوسيا مؤتمرا لوزراء خارجية دول عدم الانحياز لبحث العدوان الاسرائيلي على لبنان وطالب المؤتمر بفرض عقوبات شاملة والزامية ضد اسرائيل لعدم امتثالها لقرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين . وطالب اسرائيل برفع الحصار عن بيروت الغربية ومجلس الامن بتشكيل قوة مؤقتة لحفظ السلام في لبنان دون تأخير

كمبوديا :

٧ عاد الامير نورودوم سيهانوك الى كمبوديا واعلن تكوين حكومة ائتلافية تضم حركات المقاومة الكمبودية الثلاث المعارضة للاحتلال الفيتنامي لكمبوديا .

١٨ اكد الكمبوديون الحمر ان حكومة هانوي ارسلت تعزيزات الى كمبوديا بدلا من سحب قواتها من هناك

لبنان :

٢ اكد المدير التنفيذي لمنظمة اليونيسيف ان ما يقرب من مليون من الامهات والاطفال الفلسطينيين واللبنانيين اضيروا من عملية الغزو الاسرائيلي للبنان .

٥ وافق مجلس الامن الدولي بالاجماع على قرار يدعو الى احترام حقوق السكان المدنيين في لبنان دون اي تمييز بينهم .

٨ وصلت قطع الاسطول السادس الامريكي الى مسافة اقل من ٥٠ كيلو مترا من السواحل اللبنانية

١٥ طالب لبنان رسميا لاول مرة لدى الامم المتحدة باخراج جميع القوات الاجنبية من اراضيه

١٧ اكد متحدث حكومي لبناني ان اساس الحل الشامل للمشكلة اللبنانية هو اجلاء المقاومة الفلسطينية من لبنان .

١٩ اعلنت السلطات ان اكثر من ٦ الاف طفل لبناني فقدوا اباءهم منذ بدء عملية الغزو الاسرائيلية

٢٥ اعلن بشير الجميل قائد مليشيات حزب الكتائب ترشيح نفسه رسميا لانتخابات الرئاسة اللبنانية واكد ان حركته ترفض تماما اي وجود فلسطيني مسلح في لبنان او اي وجود مسلح اخر .

٢٧ انتهت مدة التفويض الحالية عشرة لقوة الردع العربية في لبنان دون قرار بتجديدها

٣٠ اصدر مجلس الامن الدولي قرارا يطالب اسرائيل برفع حصارها العسكري فورا عن بيروت لارسال المواد الغذائية استجابة لحاجة السكان الملحة .

ليبيا :

٤ دعا العقيد معمر القذافي قادة منظمة التحرير الفلسطينية الى الانتحار وطالبهم بعدم التفاوض الا مع اللبنانيين فقط .

٧ اعلن عبد الحميد البكوش رئيس وزراء ليبيا الاسبق ورئيس « منظمة تحرير ليبيا » المعارضة فتح باب التطوع لاسقاط نظام العقيد القذافي .

٢٤ اعترفت ليبيا بتقديم مساعدات للمعارضة الصومالية التي تقودها الجبهة الديمقراطية لانقاذ الصومال

المكسيك :

٥ فاز ميجيل دي لامدريد مرشح الحزب الثوري التأسيسي الحاكم بمنصب رئاسة الجمهورية خلفا للرئيس جوزيه لوبيز بورتيللو

المملكة الاردنية الهاشمية :

١١ تسلم الملك حسين رسالة من الرئيس المصري حسني مبارك حول تطورات الموقف في لبنان

١٩ : اعلن الاردن حالة التعبئة الجزئية بين افراد الاحتياطي وتقرر انشاء جيش شعبي من المواطنين القادرين على حمل السلاح للتصدى لاى عدوان محتمل .

٢٢ : طالب الملك حسين باعتراف متبادل ومتزامن بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل .

٢٩ : طالب الملك حسين بعقد مؤتمر دولى تشارك فيه جميع الاطراف المعنية بما فى ذلك الفلسطينيون لوضع اسس للسلام العادل والدائم فى الشرق الاوسط .

المملكة العربية السعودية :

١٣ : ندد وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي باستخدام الولايات المتحدة للفيتو فى مجلس الامن ودعوا المجلس الدولى الى تقرير فرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل .

١٩ طالب وزير الخارجية السعودى الولايات المتحدة بالعمل على رفع الحصار الاسرائيلى عن بيروت والانسحاب من لبنان .

٣١ اتهمت السعودية ليبيا بترويج اكاذيب عن محاولات الرياض تسوية الازمة فى لبنان واتهمت طرابلس بالوقوف فى نفس الخندق مع اسرائيل .

المملكة المتحدة :

١ : فرضت بريطانيا حظرا على بيع الاسلحة لاسرائيل لرفضها سحب قواتها من لبنان .

: خولت الشركات البريطانية صلاحية عدم الرضوخ للضغوط الامريكية .

٣ : اعترف متحدث باسم وزارة الدفاع بوقوع اخطاء فى العمليات العسكرية البريطانية فى فوكلاند .

١٢ : قررت بريطانيا اعادة ٥٩٣ اسيرا ارجنتينيا لا يزالون تحت سيطرتها .

٢٢ اعلنت بريطانيا رفع الحصار البحرى والجوى حول جزر فوكلاند وسواحل الارجنتين

٣٠ : حذر وزير الخارجية البريطانى من الاثار الناجمة عن الخلاف بين واشنطن وحلفائها الغربيين .

ناميبيا :

١٤ : اعلن مندوبو الدول الغربية الكبرى الخمس المعنية بمفاوضات استقلال ناميبيا ان جنوب افريقيا ومنظمة سوابو قد اتفقتا على المبادىء الاساسية الخاصة بالدستور واجراء انتخابات حرة فى الاقليم .

النمسا :

١٩ : اعلن المستشار برونوكرايسكى ان السياسة الاقتصادية للرئيس الامريكى ريجان تلحق اضرارا بالدول الاوروبية الحليفة بصفة عامة وبولندا بصفة خاصة .

الهند :

٨ : طردت الهند القنصل الاسرائيلى فى بومباى بعد انتقاده للسياسة الهندية فى الشرق الاوسط .

١٥ : انتخب زايل سينج رئيسا للهند خلفا للرئيس سانجيفا ريدى كاول زعيم لطائفة السيخ الهندية يفوز بمنصب الرئاسة .

٢٣ : اعربت رئيسة الوزراء انديرا غاندى عن املها فى اقامة علاقات افضل مع الولايات المتحدة والصين

٢٦ : اكدت السيدة انديرا غاندى استعداد حكومتها لتوقيع اتفاق تعاون وصداقة وسلام مع باكستان .

٣٠ : توصلت الهند والولايات المتحدة على اتفاق مبدئى يسمح للهند بالحصول على اليورانيوم المخصب من فرنسا مع التزام الهند باحكام الرقابة الدولية على نشاطها النووى .

٣١ : اكدت السيدة انديرا غاندى ان الهند لا تمتلك سلاحا نوويا واعربت عن رغبتها فى تجميد السلاح النووى فى العالم .

الولايات المتحدة الامريكية :

١ : اكد الرئيس ريجان اصراره على قرار فرض الحظر على بيع معدات امريكية للاتحاد السوفيتى لانشاء خط انابيب الغاز الطبيعى بين سيبيريا واوربا الغربية .

٥ : اكد الرئيس ريجان تصميم الولايات المتحدة على استخدام الفضاء فى الاغراض العسكرية .

٦ : وافق الرئيس ريجان على ارسال الف جندى امريكى الى لبنان للمساهمة فى اجلاء المقاومة الفلسطينية .

١٠ : رفض الرئيس ريجان توقيع معاهدة قانون البحار .

١٣ : اكد جورج شولتز وزير الخارجية المعين ان المشكلة الفلسطينية تمثل حقيقة رئيسية فى الشرق الاوسط وينبغى تسويتها على وجه السرعة ودعا الى اقامة علاقات ودية بين واشنطن والدول العربية مع الالتزام بالعلاقات الخاصة مع اسرائيل .

١٤ : وافقت لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ على اختيار جورج شولتز وزيرا للخارجية .

طالب البيت الابيض بوقف العمليات العسكرية بين ايران والعراق وتسوية النزاع سلميا عن طريق التفاوض واكد استعداد واشنطن لتقديم مساعدات للدول الصديقة المهددة فى المنطقة .

اكدت الخارجية الامريكية استمرار عدم انحياز الولايات المتحدة فى حرب الخليج العراقية الايرانية

١٥ : صرح وزير الدفاع وانبرجر بانه لا يجب اعتبار اسرائيل الصديق الوحيد لواشنطن فى الشرق الاوسط واستبعد التوصل الى سلام فى المنطقة بدون حصول الفلسطينيين على وطن لهم .

١٦ : اتهمت واشنطن فرنسا بتوقيع بروتوكول اتفاق سرى مع موسكو يتيح لها الحصول على قروض ميسرة رغم القيود التى طلبت واشنطن من حلفائها فرضها على موسكو .

١٩ : اوقف الرئيس ريجان شحن القنابل العنقودية وقذائف المدفعية الثقيلة لاسرائيل .

٢٢ : كلف الرئيس ريجان مبعوثه فيليب حبيب بالتوجه الى سوريا واسرائيل ومصر والسعودية لاستكمال جهوده لحل الازمة اللبنانية سلميا .

٢٤ : اعلنت الولايات المتحدة انها تزود الصومال بالاسلحة والعتاد العسكرى لمواجهة العدوان الاثيوبى

٢٥ : اعلنت الخارجية الامريكية عن فشل المحادثات الامريكية السوفيتية حول افغانستان .

٢٦ : اعلن البيت الابيض ان وثيقة عرفات حول المسالة الفلسطينية اخفقت فى الاستجابة لطالب الولايات المتحدة بتعهد صريح لايحتمل اللبس بالاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود .

٢٩ : اكد الرئيس ريجان ان اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بحق اسرائيل فى الوجود وبقرارى الامم المتحدة رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ سيشكل خطوة الى الامام تتيح امكانية الحوار بين الولايات المتحدة والمنظمة .

٣٠ : استقبل الرئيس ريجان وزير الخارجية المصرى الذى سلمه رسالة من الرئيس مبارك تطالب واشنطن بالتحرك السريع لانقاذ الموقف فى بيروت وبدء حوار بين امريكا ومنظمة التحرير الفلسطينية .

ابلغ وزير الخارجية المصرى الرئيس ريجان موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على قرار مجلس الامن الدولى رقم ٢٤٢ .

شهريات اغسطس ١٩٨٢

الاتحاد السوفيتي :

٢ دعا الرئيس ليونيد بريجنيف الولايات المتحدة الامريكية الى التحرك باسرع ما يمكنها لوقف الاعمال العسكرية الاسرائيلية فى لبنان ، ووضع حد لاعمال الابادة التى يتعرض لها سكان بيروت

٥ نكرت موسوعة جينز العسكرية الدولية ان السوفييت يبنون غواصتين مقابل كل غواصة امريكية وان للاتحاد السوفييتى تفوقا فى مناطق عديدة وان ذلك له تاثير كبير فى صياغة القرار الدولى ..

انظر ايضا المانيا الغربية ٨/٢٨ ، والصين ٨/٢٤

اثيوبيا :

١ نفت الحكومة الاثيوبية تورط قواتها فى النزاع الناشب فى وسط الصومال .

اسبانيا :

٢٨ : قرر الملك خوان كارلوس حل البرلمان تلبية لطلب ليوبولدو كالفو ستيللو رئيس الوزراء الاسبانى تمهيدا لاجراء انتخابات تشريعية فى البلاد .

اسرائيل :

١ : شنت القوات الاسرائيلية هجوما واسع النطاق من البر والبحر والجو على القطاع الغربى من بيروت .

: قرر مجلس الوزراء الاسرائيلى تشكيل لجنة وزارية تتولى شئون اللاجئين فى لبنان والشرق الاوسط .

٥ : وجه مجلس الامن الدولى اللوم الى اسرائيل لغزوها لبنان وطالبها بالانسحاب فورا من الاراضى اللبنانية .

١١ : اعلن مناحيم بيجين رئيس الوزراء انه يعتزم ترك منصبه خلال عامين من الان .

١٧ : ادانت لجنة الامم المتحدة لحقوق الانسان باجماع ٢٦ صوتا اسرائيل لتسببها فى الام انسانية على نطاق واسع للمدنيين بغزوها لبنان .

٢٢ : حذر بيان عسكرى اسرائيلى الدول العربية المضيفة للمقاومة الفلسطينية بان عليها ان تقدم كشف حساب الى اسرائيل اذا استانف الفدائيون نشاطهم ضدها .

٢٩ اكد مناحيم بيجين رئيس الوزراء ان اسرائيل ستنسحب من لبنان بمجرد ان تنسحب القوات السورية .

هدد مناحيم بيجين بان اى اقتراح امريكى باقامة دولة فلسطينية سيؤدى الى انهاء اتفاقات كامب ديفيد بين مصر واسرائيل .

٣٠ توفى ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية والمؤتمر اليهودى العالمى واعلن فى اسرائيل انه سيدفن فى مقبرة جبل هرتزل فى المكان المخصص للرؤساء الاسرائيليين .

: اعلن اريل شارون وزير الدفاع ان اسرائيل لن توافق مطلقا على اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وان الاردن تعد دولة فلسطينية .

المانيا الغربية :

١ : اكد المستشار هيلموت شميث اصرار الدول الاوروبية على المضى قدما فى اتمام مشروع خط انابيب الغاز الطبيعى مع الاتحاد السوفيتى ودعا الولايات المتحدة حلفاءها الغربيين الى تجاوز الخلاف ووقف تبادل الاتهامات .

٢٨ : نكرت الدوائر العسكرية فى بون ان موسكو تقوم بتجهيز اربع وحدات فى المانيا الشرقية وبولندا والمجر تضم ١٢٠ طائرة مقاتلة تكتيكية لتعزيز قدرتها على التدخل العسكرى .

٢٩ : حذر المستشار هيلموت شميث من ان فوز الحزب الديمقراطى المسيحى المعارض على الحزب الاشتراكى الديمقراطى الحاكم فى انتخابات الشهر القادم سيعنى سقوط حكومته فى بون .

اوغندا :

٢٨ : اطلقت السلطات الاوغندية سراح ١١٦٦ من المعتقلين السياسيين معظمهم من الجنود السابقين .

ايران :

٥ : وجهت ايران تهديدات جديدة باستئناف عملياتها العسكرية ضد العراق اذا لم ينفذ شروطها لانهاء الحرب .

٧ : اكد هاشمى رافسنجانى رئيس البرلمانى الايرانى ان القوات الايرانية قد تضطر الى القتال فى العمق العراقى وربما تضطر للاقتراب من بغداد .

١٤ : طالب رافسنجانى العراق بمنح حق المرور للقوات الايرانية الذاهبة لنجدة الفلسطينيين المحاصرين فى بيروت الغربية كشرط لانهاء الحرب .

٢٦ : هدد الرئيس على خامينى بان ايران ستدمر كل المراكز الصناعية فى العراق اذا لم يوقف هجومه غير العادل ضد الاراضى الايرانية .

ايطاليا :

٧ : قدمت حكومة الائتلاف الحاكم برئاسة جيوفانى سبادولينى استقالتها فى اعقاب استقالة سبعة وزراء اشتراكيين مشتركين فى الائتلاف احتجاجا على السياسة الاقتصادية للحكومة .

٢٠ طالب ايمو ايجولى رئيس جمعية الصداقة الايطالية العربية الحكومات والمؤسسات الاكاديمية فى العالم بالتدخل لدى لجنة جائزة نوبل كى تلغى جائزة نوبل للسلام الممنوحة فى عام ١٩٧٨ لمناحيم بيجين رئيس وزراء اسرائيل .

٢٣ : شكل جيوفانى سبادولينى حكومة جديدة وهى الحكومة رقم ٤٢ فى ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية .

باكستان :

١٤ : وعد الرئيس ضياء الحق بانه سيعلن اطارا لنظام حكم اسلامى جديد فى باكستان خلال عام .

بلجيكا :

١٢ : وافقت دول المجموعة الاوروبية العشر على توجيه احتجاج شديد اللهجة الى الولايات المتحدة على فرضها عقوبات على الشركات التى تبيع التكنولوجيا للاتحاد السوفيتى لمد خط انابيب الغاز الطبيعى بين سيبيريا واوروبا الغربية

يوجوتا :

٢١ : اعلن اندرياس توسند اسكورا

سكرتير برلمان امريكا اللاتينية ان دول امريكا اللاتينية تعتزم الانسحاب من منظمة الدول الامريكية تمهيدا لانشاء منظمة جديدة تستبعد منها الولايات المتحدة

بولندا :

١٧ . اتهم الجنرال ياروزيلسكى رئيس المجلس العسكرى الحاكم فى بولندا الولايات المتحدة بدعم قوى الثورة المضادة التى تمارس انشطتها بصورة سرية ضد نظام حكمه

٢٨ اشارت السلطات البولندية الى تدريبات عسكرية مشتركة سوفيتية بولندية تجرى فى القطاع العسكرى بوارسو

٣١ . تجاهل الاف العمال إجراءات الامن الصارمة وخرجوا فى مظاهرات صاخبة للتنديد بالدكتاتورية وتطالب بالانفصال عن موسكو

جمهورية مصر العربية :

١ طالب الرئيس حسنى مبارك الرئيس الامريكى ريجان بالتدخل لوقف اطلاق النار فى بيروت واتخاذ موقف حاسم لمواجهة العدوان الاسرائيلى هناك .

٣ اعرب السيد كمال حسن على وزير الخارجية عن قلقه بشأن مستقبل العلاقات المصرية الاسرائيلية بسبب الغزو الاسرائيلى للبنان واشار الى تجميد عملية تطبيع العلاقات المصرية الاسرائيلية

٥ . ذكرت موسوعة جينز العسكرية الدولية ان اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات بطوربيد مصرى فى عام ١٩٦٧ احدث تغييرا جذريا فى التوازن البحرى العالمى .

٨ . اكدت مصر انها لن تقبل استقبال الفلسطينيين العائدين من بيروت الا فى اطار الحل الشامل للقضية الفلسطينية

٩ :١١ : قام الرئيس حسنى مبارك بزيارة لكل من سلطنة عمان والسودان لتدارس الموقف العربى .

١٣ اختيرت مصر لرئاسة المجموعة الافريقية فى المؤتمر العالمى لاستخدام الفضاء الخارجى .

١٧ حذر مندوب مصر فى الامم المتحدة من محاولة تمزيق لبنان او القضاء على الفلسطينيين .

٢١ : اشاد وزير الدفاع المصرى بالعلاقات المصرية الاسبانية .

٢٣ . اكد الرئيس حسنى مبارك ضرورة قيام الكيان الفلسطينى فى الضفة الغربيه وغزه

٢٣ طالبت مصر اسرائيل بالانسحاب الكامل من لبنان

٢٦ ادانت مصر الاحتلال غير الشرعى لناميبيا والسياسة العنصرية لجنوب افريقيا

: اعلن وزير الخارجية المصرى ان انسحاب اسرائيل من لبنان شرط لاستئناف جهود السلام .

٢٨ اكد الرئيس حسنى مبارك ان مصر تسعى للحل الشامل للقضية الفلسطينية فى اطار كامب ديفيد .

٣١ شكلت وزارة جديدة برئاسة الدكتور فؤاد محيى الدين

انظر ايضا فرنسا ٨/٢٣ ، فلسطين ٨/٧

جنوب افريقيا :

١١ اعلنت جنوب افريقيا ان قواتها شنت هجوما جديدا ضد انجولا لمطاردة قوات منظمة سوابوا

١٨ بدات حكومة جنوب افريقيا حرب الطرود الناسفة لمحاولة تصفية خصومها السياسيين

جواتيمالا :

٢٨ اعلنت حكومة جواتيمالا مد حالة الطوارىء المفروضة على البلاد بعد تصاعد هجمات الثوار ضد نظام الحكم

السلفادور :

٢٩ اعلن ثوار السلفادور استعدادهم لبدء مفاوضات مشروطة مع السلطات الحاكمة لانهاء الحرب الاهلية ومن بين هذه الشروط اطلاق سراح المسجونين السياسيين ورفع الاحكام العرفية واعادة الحريات لوسائل الاعلام .

سوازيلاند :

٢٣ : توفى الملك سوبوزا الثانى ملك سوازيلاند عن ٨٣ عاما وفترة حكم تزيد على ٦٠ عاما .

السودان :

١٠ : طلب السودان دعوة مصر لحضور مؤتمر وزراء الخارجية العرب ومؤتمر القمة العربى فى فاس بالمغرب

: اكد الرئيس جعفر نميرى استعداد السودان لاستضافة ٦٠٠ من رجال المقاومة الفلسطينية المحاصرين فى بيروت .

: اقترح السودان عقد مؤتمر القمة الافريقى فى اديس ابابا بدلا من طرابلس .

سوريا :

١٥ : اكدت سوريا استعدادها لسحب قواتها من لبنان بعد اتمام انسحاب القوات الفلسطينية

٣٠ بدات القوات السورية المشتركة فى قوة الردع العربية فى بيروت مغادرة المدينة الى سهل البقاع شرقى لبنان .

سيشل :

١٧ وقعت محاولة انقلاب عسكرى فى جزر سيشل اكدت ولاءها للرئيس الاشتراكى فرانس البرت رينيه وطالبت باقالة بعض كبار القادة العسكريين والوزراء

١٨ احبطت القوات الحكومية التمرد الذى قامت به مجموعة من العسكريين المنشقين

شيلى :

٢٧ اقال الرئيس اوجستو بينوشيت حكومته للمرة الثانية خلال اربعة اشهر وسط اسوأ ازمة اقتصادية تمر بها شيلى منذ ٥٠ عاما .

الصومال :

٤ اعيد انتخاب الرئيس محمد سياد برى سكرتيرا عاما للحزب الثورى الصومالى الحاكم .

١١ اكد الرئيس سياد برى استعداده لاجراء محادثات مع اثيوبيا بهدف التوصل الى اتفاق سلام لانهاء حالة الحرب غير المعلنة بينهما فى منطقة الصومال الغربى . وطالب بحق تقرير المصير لشعب اقليم اوجادين .

١٥ : اعلنت حالة الطوارىء فى منطقتين على حدود البلاد بسبب الغزو الاثيوبى .

٣٠ : اكد الرئيس سياد برى ان القوات الكوبية فى اثيوبية تلقت تعزيزات جديدة وتستعد لغزو الصومال بمساندة من الاتحاد السوفيتى .

انظر ايضا اثيوبيا ٨/١

الصين :

٥ : ذكرت موسوعة جينز العسكرية الدولية ان الصين اصبحت تمتلك حاليا ثالث اكبر اسطول غواصات فى العالم .

١٨ : حذرت الصين الولايات المتحدة من انه لا تزال هناك عقبات كبيرة فى طريق العلاقات الطبية بينهما .

٢٤ : اعلن هسياو يانج رئيس الحزب الشيوعى الصينى استعداد الصين لاقامة علاقات حسن الجوار مع الاتحاد السوفيتى اذا ما تمت تسوية مشكلات الحشود السوفيتية على حدود الصين والاحتلال السوفيتى

لافغانستان والتأييد السوفيتي لفيتنام في عدوانها على كمبوديا .

العراق :

٣ : اكد متحدث رسمي عراقي ضرورة ان تدفع ايران تعويضات للعراق باعتبار ايران الدولة البادئة بالحرب .

٤ : صرح سفير العراق في السعودية بان العراق قد قبل شروط ايران لوقف القتال بينهما .

١١ : اكد العراق رسميا عدوله عن استضافة مؤتمر القمة السابق للدول غير المنحازة .

: طالب العراق بادراج موضوع النتائج المترتبة على استمرار النزاع المسلح بين ايران والعراق في جدول اعمال الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة .

١٥ : حذر الرئيس صدام حسين من ان القوات العراقية ستضرب في المستقبل اهدافا ايرانية رئيسية وحيوية اذا ما اصرت ايران على مواصلة الحرب .

٣٠ : اعلن سفير العراق في الهند عدول بلاده عن استضافة مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز .

فرنسا :

٤ : اظهرت استطلاعات للرأي تدهور شعبية الرئيس فرانسوا ميتران ورئيس وزرائه بيير موروا نتيجة للنكسات الاقتصادية والسياسية المتعاقبة .

: اعلنت فرنسا رفع الحظر المفروض على مبيعاتها من الاسلحة الى الارجنتين .

١٧ : حدد الرئيس ميتران ثلاثة اسس للسياسة الفرنسية في الشرق الاوسط هي : الحضور الفرنسي في المنطقة واتباع سياسة متوازنة والعمل من اجل السلام .

١٨ : اعلن الرئيس ميتران ان فرنسا وان كانت لا تستطيع الاعتراف الرسمي بمنظمة التحرير الفلسطينية الا انها تقر ان للمنظمة حقوقا في شرعية النضال والكفاح .

٢٣ : قام وزير الدولة المصري للشئون الخارجية بزيارة رسمية لفرنسا اعلن ان هدفها التنسيق بين الدبلوماسية المصرية والفرنسية في التعامل مع ازمة الشرق الاوسط وامكانية مساعدة الشعب الفلسطيني في ممارسة حق تقرير مصيره .

٢٤ : اصدرت الحكومة الفرنسية اوامرها لشركة امريكية تعمل في فرنسا بتجاهل الحظر الامريكي المفروض على بيع التكنولوجيا اللازمة لبناء خط الانابيب الى موسكو .

فلسطين :

١ : اعلن متحدث فلسطيني ان الطائرات الاسرائيلية قامت بـ ١٧٠ طلعة جوية على بيروت الغربية والقت ٥٠٠ الف قنبلة واستخدمت القنابل العنقودية وقنابل الفوسفور المحرمة دوليا

٧ : اشاد الدكتور صدقي الدجاني عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالموقف المصري من الازمة اللبنانية .

١٤ : انتقد صلاح خلف نائب زعيم حركة فتح مواقف الجزائر وسوريا وليبيا واليمن الجنوبي من الغزو الاسرائيلي للبنان .

١٩ : وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على ثلاثة مشروعات قرارات قدمتها مجموعة الدول غير المنحازة وقطر والكويت تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وتدين الاعتداءات الاسرائيلية على الشعبين الفلسطيني واللبناني .

٢١ : بدا المقاتلون الفلسطينيون مغادرة بيروت تنفيذا للاتفاق الذى توصل اليه المبعوث الامريكي فيليب حبيب

٢٤ : اعلن السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ان المنظمة ستواصل نضالها لاقامة الوطن الفلسطيني واقرار حقوق الشعب الفلسطيني .

٢٥ : اعلن خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح ان منظمة التحرير ستبحث اقامة حكومة فلسطينية في المنفى بمجرد خروج قواتها من بيروت وستترك كل الابواب مفتوحة امام الحل السلمي ولن تلجأ الى العنف الا كملاذ اخير .

٣٠ : غادر ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بيروت في احتفال مهيب وسط اجراءات امن بالغة الصرامة متوجها الى اليونان تلبية لدعوة رسمية من حكومتها لزيارتها .

قطر :

٢٩ : حذر عبد الله بشارة سكرتير مجلس التعاون الخليجي من ان دول الخليج البترولية قد تكون هدفا اسرائيليا في المستقبل بعد نجاح اسرائيل في غزو لبنان .

كمبوديا :

٧ : طالب وزراء خارجية دول رابطة جنوب شرق اسيا المجتمع الدولي بتأييد الائتلاف الكمبودي بزعامة الامير نورودوم سيهانوك رئيس دولة كمبوديا الشرعي وشجب التسوية الفيتنامية للازمة .

كينيا :

١ : احبطت محاولة انقلاب عسكري مضادة للرئيس دانييل اراب موي وقامت بها بعض عناصر سلاح الطيران .

لبنان :

١ : طالب مجلس الامن الدولي بالاجماع بوقف اطلاق النار فورا في بيروت ووقف كل الانشطة العسكرية في لبنان وعبر الحدود اللبنانية الاسرائيلية .

٤ : اعرب مجلس الامن الدولي عن قلقه العميق ازاء انباء التحركات العسكرية في بيروت وحولها .

٧ : صرح فيليب حبيب المبعوث الامريكي للشرق الاوسط بانه تسلم وثيقة مكتوبة من منظمة التحرير الفلسطينية تتضمن جدولا زمنيا لخطة مغادرتها بيروت الغربية

١٢ : دعا مجلس الامن الدولي بالاجماع الى وقف جميع الانشطة العسكرية فورا في لبنان وبصفة خاصة تلك التى تحدث في بيروت وحولها .

١٤ : اكد شفيق الوزان رئيس الوزراء شرط التزامن بين بدء ترحيل المقاومة الفلسطينية من بيروت وانتشار قوة حفظ السلام الدولية كمطلب لبناني مبدئي .

١٧ : اعلن رئيس الوزراء شفيق الوزان ان اتفاق انسحاب المقاومة الفلسطينية من بيروت سلميا قد اكتمل على الورق في صورته النهائية .

: قرر مجلس الامن الدولي مد فترة عمل قوات الطوارىء الدولية في لبنان لمدة شهرين اخرين تنتهي في ١٩ اكتوبر القادم .

١٨ : وافقت الحكومة اللبنانية على خطة المبعوث الامريكي فيليب حبيب الخاصة بترحيل الفدائيين الفلسطينيين من بيروت الغربية .

: قرر زعماء الطوائف الاسلامية في لبنان مقاطعة انتخابات الرئاسة اللبنانية المرشح لها بشير الجميل زعيم حزب الكتائب .

٢١ : غادر ٤٧٠ فدائيا فلسطينيا في زيهم العسكري ميناء بيروت في بداية عملية الانسحاب السلمي للمقاومة الفلسطينية من لبنان .

٢٣ : اعلن رسميا انتخاب بشير الجميل

٣٥ سنة رئيسا جديدا للبنان .

: ذكر تقرير اولى للحكومة اللبنانية ان ٩٠ ٪ من ضحايا الغزو الاسرائيلى للبنان من المدنيين وان ١٠ ٪ فقط من الضحايا من رجال المقاومة الفلسطينية وان ما بين ٧ الى ٨ الاف شخص لقوا مصرعهم واصيب حوالى ٢٠٠٠٠ اخرون .

٢٥ : اعلن رشيد كرامى رئيس الوزراء الاسبق وزعيم السنة فى شمال لبنان انه يعتبر انتخاب بشير الجميل باطلا من الناحية الدستورية وهدد بقطع علاقة شمال لبنان بجنوبه .

ليبيا :

٧ : فشلت محاولات عقد مؤتمر قمة للدول الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية لعدم اكتمال النصاب القانونى لعقده .

: اقترح العقيد الليبى معمر القذافى تشكيل قوة عربية ضخمة يقودها بنفسه لتحرير لبنان من الغزو الاسرائيلى .

المملكة الاردنية الهاشمية :

١٢ : تلقى الملك حسين رسالة من وزير الخارجية الامريكية اكد فيها تصميم الولايات المتحدة على تحقيق السلام الشامل فى الشرق الاوسط كما اكد تأييد امريكا لاستقلال الاردن وسيادته على اراضيه وتكامل اراضيه .

: اعرب الملك حسين عن ارتياحه لالتقاء وجهتى النظر المصرية والاردنية حول ضرورة انسحاب المقاتلين الفلسطينيين من بيروت بالحل الشامل للمشكلة الفلسطينية .

٢٣ : طالب الملك حسين باشتراك جميع القادة العرب فى اجتماع القمة العربى القادم كشرط ضرورى لبحث القضايا العربية .

٢٥ : طالب ولى عهد الاردن الولايات المتحدة بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية اذا ارادت اقرار السلام فى الشرق الاوسط .

المملكة العربية السعودية :

٥ : تم تجديد الاتفاق العسكرى بين السعودية وبريطانيا فى مجال الدفاع الجوى لمدة ثلاثة سنوات اخرى .

المملكة المتحدة :

٣ : اصدرت الحكومة البريطانية اوامرها لاربع من شركاتها الكبرى بتجاهل الحظر الامريكى على صادرات التكنولوجيا للاتحاد السوفيتى والمضى قدما فى انشاء خط انابيب الغاز الطبيعى بين اوربا الغربية والاتحاد السوفيتى .

٢١ : اعلن فرانسيس بيم وزير الخارجية البريطانى انه ينبغى التوصل الى حل لمشكلة حق تقرير المصير للفلسطينيين بعد انسحاب مقاتليهم من لبنان .

٢٥ : اعلنت السفارة البريطانية فى بكين ان بريطانيا ستفتح قنصليتها العامة فى مدينة شنغهاى بالصين قبل نهاية العام الحالى كما ان الصين ستفتح قنصلية لها فى احدى المدن البريطانية .

المملكة المغربية :

٢٨ : طالبت المغرب الامم المتحدة بشطب مشكلة الصحراء الغربية من جدول اعمال لجنة تصفية الاستعمار التابعة للمنظمة العالمية .

٢٩ : قرر مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية بالمغرب احالة موضوع عودة مصر الى الجامعة العربية الى مؤتمر القمة العربى القادم .

٣٠ : وافق وزراء الخارجية العرب على عقد مؤتمر القمة العربى الثانى عشر فى مدينة فاس المغربية يوم ٦ سبتمبر المقبل لوضع استراتيجية مشتركة على ضوء النتائج المترتبة على غزول اسرائيل للبنان .

نيكاراجوا :

٦ : قطعت نيكاراجوا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل احتجاجا على الغزو الاسرائيلى للبنان .

١٤ : اعلنت حكومة نيكاراجوا حالة التأهب القصوى بين صفوف مليشيات الدفاع الشعبية لمجابهة خطر زحف القوات الامريكية واحتمال غزوها للبلاد .

الهند :

٨ : اعتذرت الهند عن استضافة مؤتمر القمة السابق لدول عدم الانحياز .

١٣ : اقترحت الهند توقيع معاهدة سلام وصداقة وتعاون مع باكستان تتضمن ميثاق عدم اعتداء بين البلدين .

٢١ : اندلعت اعمال العنف باقليم البنجاب الذى تقطنه اغلبية من طائفة السيخ المطالبة بالاستقلال .

انظر ايضا اليابان ٥ ، ٦ /٨

الولايات المتحدة الامريكية :

٢ : اكد الرئيس ريجان لوزير خارجية اسرائيل ضرورة وقف جميع اعمال القتال فى بيروت .

٤ : دعا الرئيس ريجان منظمة التحرير الفلسطينية الى مغادرة بيروت دون ابطاء كما دعا اسرائيل الى اقرار وصيانة وقف اطلاق النار فى لبنان .

٥ : وجهت الولايات المتحدة نداء رسميا لاسرائيل بسحب قواتها الى خطوط وقف اطلاق النار التى كانت قائمة قبل توغلها فى غرب بيروت .

٦ : استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد مشروع قرار سوفيتى يقضى بفرض حظر على امداد اسرائيل بكافة انواع المعونات العسكرية .

: رفض مجلس النواب الامريكى تجميد القوة النووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

٧ : رفضت الشركات الامريكية اتفاق خفض واردات الصلب من السوق الاوروبية المشتركة

١٠ : اكد الرئيس ريجان ان الولايات المتحدة لا تعتزم خوض حرب تجارية مع اوربا الغربية

١١ : اعلن وزير الدفاع الامريكى ان الولايات المتحدة اعدت مشروعا للاستعداد لحرب نووية طويلة .

: اقترحت الولايات المتحدة اجراء خفض متبادل فى الرءوس النووية مع الاتحاد السوفييتى .

١٧ : قررت الولايات المتحدة خفض مبيعات الاسلحة الامريكية الى تايوان بصورة تدريجية .

: قررت الولايات المتحدة تقديم مساعدات عسكرية عاجلة الى الصومال .

١٩ : اعلنت الولايات المتحدة ان الصين ملتزمة بايجاد حل سلمى لنزاعها مع تايوان وان واشنطن ستتحرك لمساعدة تايوان اذا ما تعرضت لاية تهديدات صينية .

٢٠ : اعلن الرئيس ريجان موافقته على اشتراك فرقة من مشاة البحرية الامريكية فى عملية تأمين انسحاب المقاتلين الفلسطينيين من لبنان .

٢٢ : اكدت دراسة للخارجية الامريكية ان برنامج التحديث العسكرى فى كوبا والممارسات العسكرية الكوبية فى افريقيا قد اكسبت كوبا قدرة على التدخل فى النزاعات الاقليمية فى امريكا اللاتينية وتهدد المصالح الامريكية

٢٩ : اقترح بيل بورك الممثل التجارى الامريكى على دول اوروبا الغربية استخدام الغاز النرويجى او الفحم الامريكى كبديل لمشروع خط انابيب الغاز الطبيعى السوفيتى .

اليابان :

٥ : ٦ : قامت انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند بزيارة لطوكيو فى اول زيارة رسمية لليابان منذ ١٣ سنة لاجراء مباحثات حول تطوير العلاقات بين البلدين .

طبع بمطابع الأهرام بالجلاء